

فرسان تحت راية

@ النبي

الجزء الأول

بقلم

أيمن الظواهري

الطبعة الثانية

عن معاذ بن جبل < قال: سمعت رسول الله @ يقول: "خذوا العطاء ما دام عطاءً، فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذه. ولستم بتاركيه، يمنعكم الفقر والحاجة. ألا إن رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث دار. ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب. ألا إنه سيكون عليكم أمراء، يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم، إن عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلوكم". قالوا: يا رسول الله كيف نضع؟ قال: "كما صنع أصحاب عيسى بن مريم، نشروا بالمناشير، وحملوا على الخشب. موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله"¹.

(هذه كلمة حق وصيحة في واد، إن ذهبت اليوم مع الريح لقد تذهب غداً بالأوتاد)².

¹ قال الهيثمي ~: رواه الطبراني، وي زيد بن مرثد لم يسمع من معاذ، والوضين بن عطاء وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه جماعة، وبقيت رجاله ثقات. [مجمع الزوائد- باب لا طاعة في معصية ج: 5 ص: 227، 228، 238].

² عبد الرحمن الكواكبي.

مقدمة الجزء الأول من الطبعة الثانية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة الجزء الأول من الطبعة الثانية

ليس في أعواد غابي سقط هي للمنبر
أو أعواد صلب³

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ
بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا
مضل له، ومن يضل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَاللَّهِ وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
وَإِحْدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رَوْحَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا
اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾. ﴿يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا {70} يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ
فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

³ محمد إقبال رحمه الله.

مقدمة الجزء الأول من الطبعة الثانية

وبعد فهذا هو الجزء الأول من الطبعة الثانية من كتاب (فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم) أثرت أن أخرجه أولاً، ولا أنتظر إتمام الطبعة الثانية، نظراً للظروف التي تمر بالمجاهدين، وإن مد الله سبحانه في العمر، وأمد بعون منه، ويسر الأحوال، فأرجو أن أتمم الطبعة الثانية. وقد توسعت في هذه الطبعة في عدة مواضع من الكتاب، وخاصة فيما يتعلق بالغزوات المباركات على واشنطن ونيويورك وبنسلفانيا، وتوقفت عندها، وأثرت ألا أكمل التعرض للإحداث التي تلتها، لأن المعركة ما زالت محتدمة، والعدو يتسقط أية معلومة، كما أن العديد من الإخوة المسلمين في أسر العدو، وربما يؤثر عليهم ما ذكره، ولهذا وغيره أثرت أن أكتفي في السرد بالغزوات المباركات، وكما ذكرت في مقدمة الطبعة الأولى:

"وقد يتوقع القارئ أن يجد في هذا الكتاب تاريخاً لفترة أو سرداً لأحداث مرحلة، وقد يتوقع أن يجد فيه تحليلاً لسياسات أو تقييماً لمناهج أو نقداً لنظم، ولكنني أنبه القارئ الكريم أن الكتاب - وإن كان فيه شيء من ذلك - إلا أنه ما كتب لذلك، ولا يستطيع كاتبه أن يوفي بذلك.

أما أنه ما كتب لذلك فلأن هذا الكتاب - هو في حقيقته - رسالة من الكاتب إلى أمته وليس شيئاً من ذلك الذي قد يتوقعه القارئ الكريم، حتى وإن تضمن تاريخاً أو تحليلاً.

وأما أن كاتبه لا يستطيع أن يوفي بذلك فلأسباب منها أن الكاتب لا يملك الاستقرار الذي يستطيع أن يجمع به كثيراً من الوثائق والأسانيد الضرورية لهذا النوع من الكتابة، فالكاتب - بصراحة - لا يملك إلا شهادته مع قليل من الوثائق والمصادر، وحتى هذه الشهادة لا يستطيع أن يقدمها مفصلة لأن كثيراً من أبطالها ما زالوا في خضم المعركة، وكثيراً من

مقدمة الجزء الأول من الطبعة الثانية
أحداثها لا زالت تتفاعل في الميدان. فليقبل القارئ
هذا الكتاب (الرسالة) مني على حاله، وكفى بهذا
هدفاً، وكفى بهذا نجاحاً".

فغايته من هذا الكتاب توصيل رسالة وأداء أمانة، وليس
مجرد التاريخ والتحليل، فلست بالمؤرخ ولا المحلل، ولا
أستطيع أن أكونهما في ظروف حتى وإن كنت أحدهما.
وأحمد الله أن الفترة بين الطبعين قد شهدت أحداثاً في
غاية الخطورة والتأثير في تاريخ العالم والأمة المسلمة، فقد
شهدت الغزوات المباركات، وشهدت غزو أفغانستان
والعراق، وها هي تشهد تكسر الحملة الصليبية في كل منهما،
وبوادر انسحاب الصليبيين منهما. وبزوغ الحركة الجهادية
أقوى شوكة وأكثر حنكة وأوسع انتشاراً وأوضح بياناً بفضل
الله وقوته.

وقد تعرضت الطبعة الأولى للتشويه والبتير على يد صحيفة
الشرق الأوسط، التي تلقفتها من المخابرات الأمريكية، التي
حصلت عليها من حاسوب المحمول في أفغانستان، وحاولت
المخابرات الأمريكية أن تخفي النص الكامل للطبعة الأولى،
فقد ذكر ويليام ماكنيس وزميله من مركز مكافحة الإرهاب
بالجيش الأمريكي عني:

"وقد نشر في ديسمبر 2001 كتاب (فرسان
تحت راية النبي) يوضح فيه عقيدة القاعدة، وقد
نشرت ترجمات إنجليزية لهذا الكتاب، ولكن يصعب
تحديد مكانها الآن لظروف أمنية، ولكن مقتطفات
منه موجودة على شبكة المعلومات"⁴.

⁴ MILITANT IDEOLOGY ATLAS- RESEARCH COMPENDIUM, p: 357

والغريب أن الكتاب المذكور صادر عن مركز مقاومة الإرهاب التابع للجيش الأمريكي،
وقد ورد به تقرير عني في قرابة صفحة ونصف [ص: 358 و 359]، ورد فيه ثلاثة عشر
خطأ، رغم أن مؤلفيه ثلاثة من الحاصلين على شهادة الدكتوراه، ورغم فخر الجيش
الأمريكي بهذا المركز، ومن هذه الأخطاء قولهم أنني قد التحقت بالإخوان المسلمين
وعمرى أربعة عشر عاماً، ولم التحق بالإخوان طيلة عمرى، أما الإثنا عشر خطأ الأخرى
فعلينهم أن يكتشفوها بأنفسهم، وإلا فهل تنفق عليهم الميزانيات الطائلة؟ ثم أصحها
لهم مجاناً، فليبحثوا، وليجهدوا.

مقدمة الجزء الأول من الطبعة الثانية
وما أدري أية ظروف أمنية تلك التي تمنع نشر ترجمات
لكتاب منشور!!
ولكن يسر الله لي أن أجد نسخة كاملة من الطبعة الأولى.
وسأرسلها للنشر إن شاء الله.
وقد كنت أود في هذه المقدمة أن أشكر الكثيرين الذين
قدموا لي العون ومدوا لي يد المساعدة في سبيل الله عز

ومن طرائف هذا المركز، الذي يعد نفسه متخصصاً في القاعدة؛ أنه أخرج كتاباً عن
تغرات القاعدة سماه (Harmony and Disharmony) أو التناسق وعدم التناسق،
وتباهى بأنه قد أظهر فيه عدداً من الوثائق السرية للقاعدة، وهي خليط من أوراق
حصلوا عليها في أفغانستان وباكستان، وتضخم الدراسة من أهمية الوثائق، وتخلط
خلطاً شديداً من حيث نسبة الوثائق للقاعدة، ومن حيث الدعوة بأنها وثائق سرية تم
الإفراج عنها. والأدهى أنني وجدت بعض الكتاب المشهورين والمراكز المعروفة تنقل
عن هذه الوثائق السرية الخطيرة!
أ- فمن حيث نسبة الرسائل للقاعدة: فثلاث عشرة وثيقة من الثماني والعشرين لا
صلة لها بالقاعدة:

- (1) فالوثائق الخمس للفيلق الأفريقي هي رسائل من أبي الوليد المصري، بل وفيها
نقد للقاعدة، وهي الوثيقة رقم (AFGP-2002-600053).
- (2) أما الوثيقة رقم (2RAD-2004-600457) فهي من موقع الإرهاب الإسلامي في
التعريف بالطواهري.
- (3) والوثيقتان (AFGP-2002-600080 وAFGP-2002-600966) هما لأبي مصعب
السوري فك الله أسرهما، كتبهما بصفته الشخصية وليس باسم القاعدة.
- (4) والوثيقة (AFGP-2002-601041) هي رسالة الرد على الألباني، التي أصدرتها جماعة
الجهاد منذ سنين طويلة قبل الالتحاق بالقاعدة.
- (5) أما الوثائق الأربع ذات الأرقام:
(AFGP-2002-601346, AFGP-2002-601693, AFGP2002-602181, AFGP-2002-602187)
فهي مراسلات من ناس لا صلة لهم بالقاعدة، بل يعادونها، ومن يقرأ الرسائل يعرفهم.
ب- أما من حيث السرية:
(1) فالوثائق الثلاثة عشرة المتصلة بالقاعدة منها ثلاث عبارة عن منشورات موزعة
وهي الرسالة للملك فهد والرسالة لمؤتمر علماء ديوبند في بيشاور ورسالة أخرجوا
المشركين من جزيرة العرب.
(2) أما الوثائق الخمس عشرة المنفصلة عن القاعدة فمنها أربع عبارة عن منشورات
موزعة للجميع وهي رسالتان لأبي مصعب السوري ورسالة الرد على الألباني ونبذة
عن الطواهري.
وفي هذا الكتاب نسبوا لي كتاب الرد على الشيخ الألباني ~، والكتاب ليس لي، بل من
سلسلة كنت أشرف على إخراجها، والذي يضحك التكلّي؛ أنهم ذكروا؛ أن ذلك الكتاب
فيه أحاديث عن ابن عباس { والملك الشجاعى
(King Al-Shaj'ai) [ص: 91]، وقد فكرت كثيراً فيمن يكون هذا الملك الشجاعى؟ ثم
بالبحث في الرسالة المذكورة وجدت أنهم يقصدون الصحابي الجليل عوف بن مالك

مقدمة الجزء الأول من الطبعة الثانية
 وجل، كما كنت أود أن أعرف بالكثيرين من الأبطال
 والصناديد، الذي قدموا ولا زالوا يقدمون في سبيل الله، لا
 يرجون من أحد جزاء ولا شكوراً.
 فقد مرت بي بين طبعتي هذا الكتاب مرحلة تاريخية في
 غاية الخطورة في تاريخ الأمة المسلمة، بل وفي تاريخ الدنيا،
 شهدت فيها بطولات يتشرف التاريخ بذكرها، وفي نفس
 الوقت انكشفت كثير من الحقائق، وسقطت كثير من الأقنعة،
 وتبدت كثير من الوجوه على حقيقتها، وأبدت الكثير من
 النفوس سرائرها.

ولكن قد لا تسمح الظروف بشكر كل من يستحق الشكر،
 ولا بالإشادة بكل من يستحق الإشادة، فأرجو من أولئك الكرام
 الشرفاء النبلاء أن يعتبروا هذه الطبعة مهداة لكل منهم، وأن
 يعتبروا شكري المجمل هذا شكراً خاصاً لكل منهم.
 وإن كنت لا أستطيع أن أشكر هؤلاء الأبطال واحداً واحداً،
 فأني أود أن أتوقف عند سمة بارزة من سماتهم لأؤكد عليها
 وأبشر بها أمتنا؛ بأنها لا زالت بخير ولا زال الخير فيها، تلك

الأشجعي >. فتأمل العلم والخبرة والتخصص!
 وفي هذا الكتاب يعرفون الردة عند القاعدة بأنها: تضم كل أولئك الذين يختلفون مع
 تفسير القاعدة للإسلام! [ص: 57] فتأمل الدجل!
 وفي هذا الكتاب يعرفون الخوارج بأنهم: فرقة متطرفة من الشيعة [-AFGP-2002-
 601693-Trans, p: 3]، أما المرجئة فهم أيضاً فرقة من الشيعة [-AFGP-2002-601693-
 Trans, p: 4]، فتأمل التبحر في الفرق والنحل! أما حلف الفضول فيعرفونه بأنه:
 "مجلس شكله النبي محمد قبل انتشار الإسلام، وكان هذا المجلس مكوناً من زعماء
 القبائل في الجزيرة العربية ليعالج شؤون أقوامهم" [AFGP-2002-601693-Trans, p: 3].
 وحلف الفضول لم يشكله سيدنا محمد @، إنما شكله بعض من زعماء قريش، وليس
 زعماء القبائل في الجزيرة العربية، وشهده النبي @، وهو غلام عليه الصلاة والسلام،
 قال النبي @: "شَهِدْتُ حَلْفَ الْمُطَيِّبِينَ مَعَ عُمُوْمَتِي، وَأَنَا عَلَّامٌ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي حُمْرُ
 النَّعْمِ وَأَنِّي أُنْكُئُهُ". [مسند أحمد- كتاب: مسند العشرة المبشرين بالجنة - باب: حديث
 عبد الرحمن بن عوف الزهري - حديث رقم: 1567]. ولم يكن هدفه النظر في شؤون
 القبائل العربية، بل تعاقبوا على نصرة أي مظلوم بمكة [تفسير القرطبي- تفسير قوله
 تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ] سورة المائدة الآية: 1- المسألة الثانية. ج: 6
 ص: 33]، فتأمل التبحر في السيرة! وهذه أمثلة فقط، وغيض من فيض. يقول الحق
 تبارك وتعالى: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ
 تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ].

مقدمة الجزء الأول من الطبعة الثانية

الصفة هي المبادرة لنصرة الإسلام، ونصرة المسلمين والتصدي للكافرين ومعاداتهم ومجاهدتهم باليد واللسان، وقد عاينت هذه الصفة النبيلة لدى الكثيرين ممن عاشرتهم في تلك الحرجة من تاريخ أمتنا، وأدركت كيف تمكنت في فطرتهم عقيدة الولاء والبراء سليقة بلا تكلف ولا تصنع، وكنت أتعجب في نفس الوقت أن كثيراً من هؤلاء - إن لم يكن أكثرهم - لم يكن حظهم من العلم الشرعي كثيراً، بل منهم - إن لم يكن أكثرهم - ممن يمكن أن يوصفوا بالعوام في العلم الشرعي، وكنت أتعجب من عمق الإيمان في قلوبهم، وتجدد الحمية للإسلام في نفوسهم، وتمييزهم الواضح بين أولياء الله وأعدائه، وكنت أتعجب أكثر إذا قارنتهم بكثير من الحاصلين على الدرجات والشهادات، والمتصدرين للدروس والدعاية والإعلام، والمتقلدين للمناصب والدرجات، وهم كما قال الأستاذ محمد ياسر فك الله أسره: بلغوا درجة الأستاذية في العلم، ولكنهم في الإيمان لم يرتفعوا عن درجة المنافقين! فحري بأولئك الذين لم يرفعهم العلم مع كثرة تحصيلهم، أن يطرحوا شهاداتهم وتحصيلهم في البحر، ويعودوا لأول الطريق ليصححوا مسيرتهم.

تركت هوى ليلي وسعدى بمنزل وعدت إلى تصحيح أول منزل

وبعد فهاهو الجزء الأول من الطبعة الثانية، أسأل الله أن يجد فيه القارئ فائدة ونفعاً، وما كان فيه من خير فمن توفيق الله سبحانه، وما كان فيه من غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان.

جربة النهر مزبداً	إن سيل الزمان
بالهشيم	بالناس ماض
بهزيم الرياح أو	وسطور الأقوام
بالنسيم	تمحى وتنسى
ثم تمحو الأمواج	ويخط الأطفال
كل رقيم	فوق رمالٍ

مقدمة الجزء الأول من الطبعة الثانية
غير أن الكريم يثبت رسوخ الأطواد غير
في الدهر مليم
وبذور الخيرات ثم تنمو على
تنمو وتجنّي طريق قويم
فكن الحر لا عصفة الريح أو هوي
تزلزل منه الرجوم
وافعل الخير جاهداً وتوكل على العزيز
لا تبالي الرحيم⁵

وقد أجزت كل أحد أن ينشر هذا الكتاب أو يختصره أو
يقتبس منه ما لم يخل بمقصده.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، وما توفيقي إلا
بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبها احتساباً لأجر الله ورضوانه

أر

من الظواهري

محر

م 1431 هجري

ديسمبر

ر 2009 ميلادي

⁵ الأبيات للعلامة عبد الوهاب عزام رحمه الله- قصيدة حديث النجوم- كتاب النفحات.
والشطر الثاني من البيت الأخير يشير إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ﴾ {214} {وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} {215} فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ
إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ} {216} وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ. □.

فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم/ الجزء الأول:
التفاته للماضي

الجزء الأول التفاته للماضي

فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم/ الجزء الأول:
التفاته للماضي

الباب الأول صنم يتهاوى وطاقة تتحرر

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الأول: صنم يتهاوى
وطاقة تتحجر

الفصل الأول: البداية

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ
الْكِرَامَ قَلِيلٌ
شَبَابٌ تَسَامَى
لِلْعُلَى وَكُهُولٌ
عَزِيزٌ وَجَارٌ
الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ⁶

ويوشكُ أن يكونَ له
اضطرامٌ
وإنَّ الحَرْبَ
أولُهَا كَلَامٌ⁷

تُعَيِّرُنَا أَنَا
قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
وَمَا قَلٌّ مَن كَانَتْ
بَقَايَاهُ مِثْلَنَا
وَمَا صَرَّرْنَا أَنَا قَلِيلٌ
وَجَارُنَا

أرى خللَ الرمادِ
وميضَ جمرٍ
فإنَّ النَّارَ
بالعودين تَذكى

⁶ الشعر للسموأل بن عدياء. الموسوعة الشعرية- سموأل، المستطرف- الباب الثامن والعشرون في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت ج: 1 ص: 292.
⁷ الشعر لعبد الله بن إسماعيل الجلي كتب به نصر بن سيار لمروان بن محمد عند خروج أبي مسلم بخراسان. البيان والتبيين ج: 1 ص: 97، المثل السائر- الفصل العاشر: في الطريق إلى تعلم الكتابة- المقالة الثانية: في الصناعة المعنوية- النوع التاسع عشر: في الكناية والتعريض ج: 2 ص: 185، البداية والنهاية- ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة- أول ظهور أبي مسلم الخراساني ج: 10 ص: 32، وفيات

الفصل الأول: البداية

1- بدأت الحركة الجهادية في مصر مسيرتها الحالية ضد الحكومة بعد منتصف الستينيات حينما قام الحكم الناصري بحملته الشهيرة في سنة 1965 ضد الإخوان المسلمين، وأودع السجون سبعة عشر ألفاً، وتم إعدام سيد قطب واثنين من رفاقه رحمهم الله، وظنت السلطات أنها بذلك قد قضت على الحركة الإسلامية في مصر بلا رجعة. ولكن شاء الله أن تكون هذه الأحداث هي شرارة البداية للحركة الجهادية في مصر ضد الحكومة.

والحركة الإسلامية في مصر وإن كانت قد مارست الجهاد ضد أعداء الإسلام من قبل، ولكن خطها العام لم يكن موجهاً ضد النظام الحاكم، بل كان موجهاً أساساً ضد العدو الخارجي، وبقي فكر الحركة وإعلامها يحاول قدر الإمكان أن يتقرب من رأس النظام الحاكم (الملك)، وأن يخاطبه بصفته السلطة الشرعية في البلاد.⁸

وقد أدى هذا الفصل المتعسف بين الأعداء الخارجيين وعملائهم الداخليين إلى عديد من الكوارث والانتكاسات، لأن أبناء الحركة واجهوا بصدورهم عدواً، وتركوا ظهورهم عارية لحليفه، ليُطعنوا من خلفهم بأوامر من يواجهونه بصدورهم. وقد تعمد عبد الناصر ومن خلفه أنصار الشيوعية قتل الأستاذ الشهيد -كما نحسبه- سيد قطب رحمه الله، لأنه أكد على مدى أهمية قضية التوحيد في الإسلام، وأن المعركة بين الإسلام وأعدائه هي في الأصل معركة عقائدية حول قضية التوحيد، أو حول لمن يكون الحكم والسلطان؟ لمنهج الله ولشرعه أو للمناهج الأرضية والمبادئ المادية أو لمدعي الوساطة بين الخالق وخلقهم.⁹

الأعيان- حرف العين- ترجمة رقم: 372- أبو مسلم الخراساني ج: 3 ص: 150.
⁸ لمزيد من التفصيل راجع: الحصاد المر- الإخوان المسلمين في ستين عاماً (الطبعة الثانية)- الباب الثاني: مواقف الإخوان مع الحكومات في مصر خلال ستين عاماً- الفصل الثاني: الإخوان والحكام- المطلب الأول: الإخوان والملك.

⁹ لمزيد من التفصيل حول هذه القضية راجع: الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/ المطلب الثالث:

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الأول: صنم يتهاوى
وطاقة تتحرر

وكان لهذا التأكيد أثره الواضح في معرفة الحركة الإسلامية لأعدائها وتحديدها لهم، وإدراكها أن العدو الداخلي لا يقل خطورة عن العدو الخارجي، بل إنه الأداة التي يستخدمها العدو الخارجي والستار الذي يحتمي وراءه في شن حربه على الإسلام.

وكانت المجموعة الملتفة حول سيد قطب قد قررت أن توجه ضرباتها ضد الحكومة القائمة باعتبارها نظاماً معادياً للإسلام خارجاً عن منهج الله رافضاً للتحاكم إلى شرعه. وكان تخطيط هذه المجموعة بسيطاً فلم يكن يهدف لتغيير النظام ولا لإحداث فراغ به، ولكنه كان يهدف فقط لتوجيه ضربات وقائية أو دفاعية أو انتقامية إذا خطط النظام لحملة تنكيل جديدة ضد المسلمين.

ولكن المعنى في هذا التخطيط كان أكبر من قوته المادية، فقد كان يعني بوضوح أن الحركة الإسلامية قد بدأت خوض حربها ضد النظام باعتباره عدواً للإسلام، بعد أن كانت أدبياتها ومبادئها من قبل -والتي لا يزال بعضهم يرددونها حتى اليوم- تؤكد على أن عدو الإسلام هو العدو الخارجي فقط. ورغم أن مجموعة سيد قطب -رحمه الله- تم البطش بها والتنكيل بأفرادها على أيدي الحكم الناصري، إلا أن ذلك كان أعجز من أن يحد من تأثير هذه المجموعة المتعاضم في أوساط الشباب المسلم.

فلقد كانت وما زالت دعوة سيد قطب -إلى اخلاص التوحيد لله والتسليم الكامل لحاكمية الله ولسيادة المنهج الرباني- شرارة البدء في إشعال الثورة الإسلامية ضد أعداء الإسلام في الداخل والخارج، والتي ما زالت فصولها الدامية تتجدد يوماً بعد يوم.

المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً / المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى.

الفصل الأول: البداية

تلك الثورة التي تزداد كل يوم ثباتاً في العقيدة ووضوحاً في المنهج وإدراكاً لطبيعة الصراع وخبرة بمشاكل الطريق، طريق الأنبياء والمرسلين وأتباعهم إلى ان يرث الله سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها.

ذلك الطريق الذي كان للأستاذ سيد قطب -رحمه الله- دور كبير في توجيه الشباب المسلم اليه في النصف الثاني من القرن العشرين في مصر خاصة والمنطقة العربية عامة. وبإعدام سيد قطب اكتسبت كلماته بعداً لم تكتسبه كثير من الكلمات، فلقد أصبحت هذه الكلمات -التي سُطرت بدماء صاحبها- في نظر الشباب المسلم معالم طريق مجيد طويل، واتضح للشباب المسلم مدى فزع الحكم الناصري وحلفائه الشيوعيين من دعوة سيد قطب -رحمه الله- إلى التوحيد. يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

"إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين فتحركها، وتجمعها، وتدفعها، إنها الكلمات التي تقطر دماء، لأنها تقطت قلب إنسان حي. كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان، أما الكلمات التي ولدت في الأفواه، وقذفت بها الألسنة، ولم تتصل بذلك النبع الإلهي الحي، فقد ولدت ميتة، ولم تدفع بالبشرية شبراً واحداً إلى الإمام، إن أحداً لن يتبناها لأنها ولدت ميتة، والناس لا يتبنون الأموات"¹⁰.

وأصبح سيد قطب -رحمه الله- نموذجاً للصدق في القول، وقدوة للثبات على الحق، فقد نطق بالحق في وجه الطاغية، ودفع حياته ثمناً لذلك، وزاد من قيمة كلماته موقفه العظيم عندما رفض التقدم بطلب للعفو من جمال عبد الناصر، وقال كلمته:

¹⁰ عملاق الفكر الإسلامي ص: 17.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الأول: صنم يتهاوى
وطاقة تتحرر

"إن إصع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في
الصلاة ليرفض أن يكتب حرفاً واحداً يقربه حكم
طاغية " ¹¹.

وظن الحكم الناصري أن الحركة الإسلامية قد تلقت ضربة
قاضية بقتل سيد قطب ورفيقه -رحمهم الله- واعتقال الآلاف
من أبناء الحركة الإسلامية، ولكن الهدوء الظاهري على
السطح كان يخفي تحته تفاعلاً فواراً مع أفكار سيد قطب
ودعوته، وبداية تشكل نواة الحركة الجهادية المعاصرة في
مصر.

وهكذا تكونت النواة التي انتمى إليها كاتب هذه السطور.
لقد صدمت حملة البطش الناصرية عام 1965 المجتمع
المصري كما لم تصدمه من قبل، فقد كانت أشد حملات
البطش الناصرية التي وجهت للحركة الإسلامية، وأحدثت هذه
الصدمة في المجتمع المصري تأثيرين متفاعلين:
التأثير الأول: هو الرعب من القصاص التي كانت تتسرب
من المعتقلات ومن أخبار المداهمات، وما يرتكب فيها من
فظائع وجرائم، مما عمق الشعور بالسلبية والابتعاد عن
التعرض للسلطة والانسحاب للاهتمام بتحصيل أسباب العيش
لدى عامة المصريين.

والتأثير الثاني: الغضب المكتوم المتنامي والرغبة في
الانتقام من هؤلاء الذين اعتدوا على الإسلام والمسلمين،
واستباحوا كل محرم في سبيل شهوة السلطة، ذلك الشعور
الذي جعل عامة المصريين -وهم في معظمهم متدينون-
يتعاطفون مع الإخوان المسلمين، وخاصة عندما علموا بما
يرتكبه النظام من تعد على النساء وحرمان البيوت.
وضاعف من هذا الغضب عند الشباب المسلم كتابات سيد
قطب -رحمه الله- عن المقابلة بين الإسلام والجاهلية.

¹¹ عملاق الفكر الإسلامي ص: 6.

الفصل الأول: البداية

2- ثم جاءت هزيمة عام 1967 المخزية، ورأي الناس جميعاً مدى فساد النظام المجرم وعجزه، وكيف تبعثر جيشه في ست ساعات لفلول هائلة هاربة، فكان لا بد أن يسقط النظام في أعين المصريين الذين لم يجدوا إلا السخرية سلاحاً يواجهون به النظام المتجبر، ولا أحسب أن المصريين قد ألفوا فكاهات (نكات) أكثر مما ألفوها عن عبد الناصر عموماً وعن نكسته خاصة.

أما بالنسبة للحركة الجهادية في مصر فقد أضافت هزيمة عام 1967 عاملاً خطيراً، أثر في مسارها المتنامي، فقد سقط رمز البطش والجبروت جمال عبد الناصر، الذي حاول أتباعه أن يصوره للشعب على أنه الزعيم الخالد الذي لا يقهر.

وتحول الزعيم الباطش بخصومه المهدد المتوعد في خطبه إلى إنسان يلهث وراء حل سلمي، يحفظ له شيئاً من ماء وجهه.

وأدركت الحركة الجهادية أن الصنم قد نخر فيه السوس حتى أوهنه، ثم مادت به الأرض من تحته بزلزال النكسة، فخر على أنفه منتكساً وسط ذهول كهنته وهلع عبّاده، فاشتد عزم الحركة الجهادية، وأدركت أن خصمها اللدود كان صنماً، صنعته آلة الدعاية الضخمة وحملة البطش والاستقواء على العزّل والأبرياء.

أمّتي كم صنم مجدته لم يكن يملك طهر الصنم¹²

3- ثم تلقى الحكم الناصري الضربة القاضية بموت جمال عبد الناصر بعد ثلاث سنوات من النكسة، عاشها وهو يعاني من آثار الهزيمة، بعد أن تحطمت أسطورة زعيم القومية العربية الذي سيلقي بإسرائيل إلى البحر.

ولم يكن موت جمال عبد الناصر موتاً لشخص، وإنما كان أيضاً موتاً لمبادئه، التي أثبتت فشلها على أرض الواقع، وموتاً لأسطوره الشعبية التي تهشمت على رمال سيناء.

¹² الشعر لعمر أبي ريشة.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الأول: صنم يتهاوى
وطاقة تتحرر

ولم تكن جنازة عبد الناصر الحاشدة إلا بقية من حالة الغيوبة التي سيطرت على الجماهير المصرية بفعل إعلامه القوي، ونوعاً من وداع المصريين لفرعونهم الميت، الذين ما لبثوا أن استبدلوا به حاكماً جديداً، وجههم وجهة أخرى، وبدأ يبيع لهم وهماً جديداً.

ولم تمض سنوات حتى أصبح اسم جمال عبد الناصر لا يثير لدى عامة المصريين إلا خليطاً من مشاعر اللامبالاة والاستخفاف.

4- وكان تولي أنور السادات للحكم بداية لتحول سياسي جديد في مصر، فقد انتهى العصر الروسي وبدأ العصر الأميركي.

وكل تحول فإنه يبدأ ويبدأً ضعيفاً، ثم لا يلبث أن يتقوى شيئاً فشيئاً، وتتضح معالمه أكثر فأكثر مع مرور الوقت. وبدأ أنور السادات بإزاحة بقايا النظام القديم، وكانت أقوى أسلحته في مقاومة تلك البقايا هي إتاحة بعض من الحرية للشعب المكبوت.

وما أن ارتفع بعض الضغط عن الحركة الإسلامية حتى خرج المارد من القمقم، واتضح مدى النفوذ الشعبي الكاسح للإسلاميين. واكتسح الشباب المسلم مقاعد الغالبية الساحقة من مقاعد اتحادات طلاب الجامعات والمدارس الثانوية في سنوات معدودات. وبدأت الحركة الإسلامية زحفها نحو النقابات.

وبدأت دورة جديدة من النمو للحركة الإسلامية، ولكنها هذه المرة لم تكن تكراراً لما سبق، ولكنها كانت بناءً عليه واستفادةً من خبرته ودروسه وأحداثه.

فقد بدأت الحركة الإسلامية خوض هذه الحلقة الجديدة من حلقات نموها، وقد انتشر بين شبابها وعي عميق بأن العدو الداخلي لا يقل خطورة عن العدو الخارجي، وكان هذا الوعي

الفصل الأول: البداية

يتنامى بقوة مستنداً إلى أدلة شرعية واضحة وخبرة عملية تاريخية مريرة.

وعبثاً حاولت -وما زالت تحاول- بعض الرموز القديمة أن تردد المفاهيم التي بليت، من أن القتال لا يكون إلا مع العدو الخارجي فقط، وأن الحركة الإسلامية لا صدام بينها وبين حكوماتها.

ولكن الوعي الجديد كان أرسخ في أسسه الشرعية، وأوضح في خبرته العملية التاريخية من كل هذه الأوهام.

5- تنظيم الكلية الفنية العسكرية:

بدأ تكون هذا التنظيم بوصول صالح سرية إلى مصر، حيث بدأ في الاتصال برموز الإخوان من أمثال السيدة زينب الغزالي والأستاذ حسن الهضيبي رحمهما الله، ونشط في تكوين مجموعات من الشباب وحثهم على وجوب التصدي للنظام الحاكم.

ولقد كان صالح سرية محدثاً جذاباً ومثقفاً على درجة عالية من الاطلاع والمعرفة، وكان حاصلًا على درجة الدكتوراه في التربية من جامعة عين شمس، كما كان متضلعا في عدد من العلوم الشرعية، وقد رأته مرة واحدة أثناء إحدى المعسكرات الإسلامية في كلية الطب، حين دعاه أحد المشاركين في المعسكر إلى القاء كلمة في الشباب. وبمجرد استماعي لكلمة هذا الزائر أدركت أن لكلامه وقعاً آخر، وأنه يحمل معانٍ أوسع في وجوب نصرته الإسلام. وقررت أن أسعى للقاء هذا الزائر، ولكن كل محاولاتي للقاء لم تفلح.

واتسعت المجموعة التي كونها صالح سرية، واستطاعت أن تجند عدداً من طلاب الكلية الفنية العسكرية وعلى رأسهم كارم الأناضولي.

وبدأ الشباب يضغطون على صالح سرية من أجل البدء في المواجهة، فوافق تحت ضغطهم على القيام بمحاولة لقلب نظام الحكم، تتلخص في مهاجمة أفراد الجماعة لحرس بوابة

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الأول: صنم يتهاوى
وطاقة تتحرر

الكلية الفنية العسكرية في صمت لادخال عدد كبير من الشباب إلى الكلية، ثم بعد ذلك الاستيلاء على الأسلحة والسيارات والمدركات من الكلية الفنية العسكرية بمساعدة إخوانهم الطلبة داخل الكلية، مستغلين صلاحياتهم كقادة مناوبين أثناء الليل، ثم التوجه بما حصلوا عليه إلى مقر اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي لمهاجمة السادات وأركان حكمه أثناء اجتماعهم.

ولم تنجح محاولة الانقلاب لعدم مراعاتها للظروف الموضوعية للواقع ووجوب الاعداد الجيد له، فقد كانت تلك المحاولة تفتقر إلى التدريب في جانب الشباب المكلف بالهجوم على حرس بوابة الكلية، كما أن الخطة كانت تمر بعنق زجاجة في أكثر من مرحلة. ولكن المعنى الذي أود التأكيد عليه هو أن الحركة الإسلامية -بعد ضربات عبد الناصر المتتالية- أثبتت أنها أكبر من أن تستأصل، وأقوى من أن تدفع إلى اليأس والعجز. فها هي الحركة الإسلامية تفرز جيلاً جديداً بعد سنوات قلائل من محنة عام 1965، تعود به إلى ميدان الجهاد مرة أخرى، شاهرة سلاحها في وجه النظام المعادي للإسلام والمتحالف مع أميركا هذه المرة.

وأثبتت هذه العملية أن الشباب المجاهد لا يفرق بين العهد الناصري الروسي القديم والعهد الساداتي الأميركي الجديد، وأنهما في العداة سواء.

ورغم أن هذه العملية قد أجهضت في بدايتها، إلا أنها كانت إرهاباً بالتغير الجديد في المسار العام للحركة الإسلامية، فقد قررت الحركة الإسلامية أن تحمل السلاح في وجه الحكومة، لتثبت للحكومة -بعد حملة البطش الناصرية- أن البطش لا يجدي معها، وأن ما ظنه أعوان عبد الناصر حملة اجتثاث للتيار الجهادي -في عام 1965- لم يكن إلا شرارة الانطلاق.

الفصل الأول: البداية

وسيقت المجموعة إلى المحاكمة، وحكم على صالح سرية وكارم الأناضولي وطلال الأنصاري بالإعدام. وبدأت الحكومة في مساومة الثلاثة على تقديم طلب للعفو إلى رئيس الجمهورية، أما طلال الأنصاري فقد قدم طلباً للعفو حصل بسببه على تخفيف للحكم إلى السجن المؤبد، أما صالح سرية وطلال الأنصاري فقد ألبيا ذلك.

وفي يوم من الأيام تجمع المساجين السياسيون حول صالح سرية في فناء سجن الاستئناف في إحدى الفسحات القصيرة، التي كانت تسمح بها إدارة السجن له خلال حبسه الانفرادي المستمر، وألحوا عليه في تقديم طلب للعفو، فقال لهم في يقين المؤمن: وماذا يملك أنور السادات من أمره حتى يملك أن يطيل في عمري شيئاً؟ ثم قال لهم: انظروا إلى هذا السجن الكئيب، وهذا الطعام الرديء الذي يقدم فيه، وإلى هذه المراحيض المسدودة التي نفرغ فيها هذا الطعام، إن هذه هي الدنيا في حقيقتها، فلماذا نتمسك بها؟ وفي الزيارة الأخيرة قبل الإعدام جاءت زوجة صالح سرية ومعها أولادها التسعة لزيارته في السجن، فقال لها: إذا تقدمت بطلب للعفو فأنت طالق.

وفي يوم التنفيذ دخلت قوة من السجن والمباحث على طلال الأنصاري ليوثقوه، وبأخذه إلى المشنقة، فطلب منهم أن يصلي ركعتي سنة الشهادة، فقال له عادل مجاهد ضابط مباحث أمن الدولة: صلها عند الذي ستذهب إليه. وكان عادل مجاهد من أكابر المجرمين الذين أذاقوا الشباب المسلم صنوف العذاب في فترة التحقيقات، وبلغ به الغرور والصلف أن دخل بعد انتهاء التحقيقات بفترة للقسم المحتجز فيه الشباب المسلم من تنظيم الفنية العسكرية وحده دون حراسة، فظفر به الأخوان المجاهدان التوأمان عادل فارس وصلاح فارس، فأوسعاه ضرباً ووقفاً له عينه، ليترك بعدها العمل في مباحث أمن الدولة. أما عادل وصلاح فارس فقد هاجرا من مصر، ومضى عادل فارس إلى

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الأول: صنم يتهاوى

وطاقة تتحرر

أفغانستان، حيث قتل شهيداً -كما نحسبه- في معركة نهرين في شمال أفغانستان.

6- وبعد عدة سنوات حاول بعض من خرج من السجن من تنظيم الفنية العسكرية محاولة إحياء التنظيم مرتين، انتهت المحاولة الأولى بالقبض على المجموعة في سنة 1977، وانتهت المحاولة الثانية بالقبض على الشباب في سنة 1979 نتيجة وجود مرشد للمباحث بينهم.

7- وكان محمد عبد السلام فرج -رحمه الله- من الذين لم يقبض عليهم من المجموعة الثانية، وبدأ محمد عبد السلام فرج في الحركة النشيطة في القاهرة والجيزة وشمال مصر. وفي نفس الوقت كان التيار الجهادي السلفي يسيطر على اتحادات الطلاب في جامعات جنوب مصر، ويرفض محاولات الإخوان لاحتوائهم وإدخالهم في خط التهادن مع الحكومة¹³. وبدأ هؤلاء الشباب في جامعات جنوب مصر يتعرفون على الشيخ عمر عبد الرحمن، ويدعونه إلى محاضراتهم ومؤتمراتهم ومخيماتهم.

وأخذ نشاط هؤلاء الشباب ينتقل بعد السيطرة على الجامعة إلى العمل الجماهيري خارج الجامعة، وكان من أهم أنشطتهم المظاهرات والمؤتمرات الحاشدة اعتراضاً على الصلح مع إسرائيل وعلى استقبال السادات لشاه إيران في مصر.

13

لمزيد من التفصيل حول سعي الإخوان في تهذئة المعارضة الإسلامية لنظام أنور السادات، ومفاوضاتهم معه: راجع الحصاد المر (الطبعة الثانية)/ الباب الثاني: مواقف الإخوان مع الحكومات في مصر خلال ستين عاماً/ الفصل الأول: الإخوان ورفض الخروج على الحاكم مع الالتزام بالدستور والقانون ص: 95 وما بعدها و الفصل الثاني: الإخوان والحكام/ المطلب الثالث: الإخوان وأنور السادات ص: 210 وما بعدها.

الفصل الأول: البداية
والتقى محمد عبد السلام فرج وإخوانه بالشباب في جنوب
مصر، وبتحاد هذين التيارين تكونت (الجماعة الإسلامية)
بإمارة الشيخ عمر عبد الرحمن.

الفصل الثاني: يحيى هاشم - رائد على الطريق

الفصل الثاني:

يحيى هاشم - رائد على الطريق

□ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا □

لم تكن عملية الفنية العسكرية هي الإرهاص الوحيدة في ذلك الوقت، فعقب هذه العملية بأشهر معدودات قام يحيى هاشم ~ بمحاولة لبدية حرب عصابات من جبال المنيا. ورغم أن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح، لأنها لم تراع الظروف الموضوعية اللازمة لنجاح هذه الحروب، إلا أنها كانت مؤشراً آخر على أن التغيير في فكر الحركة الاسلامية صار حقيقة ملموسة، وأن الشباب المسلم هذه المرة لم يعد كاسلافه في الأربعينيات.

ويحيى هاشم ~ رائد من رواد الجهاد في مصر، وحق له أن يكون كذلك. فقد أنعم الله عليه بنعمة عظيمة، وهي نفسه العزيزة وهمته العالية، التي حملته على أن يضحي بكل ما يملك غير مبال بحطام الدنيا، ولا ما يتكالب عليه الناس.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الأول: صنم يتهاوى

وطاقة تتحرر

وكانت فيه خصلة أخرى حميدة وهي حماسته في سبيل ما يؤمن به، وكان أيضاً -رحمه الله- ذا نفس صافية تحسن الظن وتتعاطف مع إخوانه المسلمين.

وكان يحيى هاشم ~ وكيلاً للنيابة وهو منصب يتمناه كثير من الشباب، ولكن يحيى كان لا يعبأ بهذا المنصب، وكان دائماً على استعداد للتضحية به في سبيل الله، غير مبال بأرجاس الدنيا، التي يتقاتل عليها غيره.

تعرفت على يحيى هاشم ~ عقب انضمامه إلى مجموعتنا الناشئة في أعقاب نكسة عام 1967، وكانت بداية انضمامه إلينا حادثة فريدة.

ففي ذلك الوقت كانت البلد تموج بالمظاهرات -وخاصة في الجامعات وبين العمال- احتجاجاً على كارثة الحكم الناصري وتقهقر قواته أمام إسرائيل، فقد تبعث أقوى جيش عربي، جيش زعيم الأمة العربية الذي كان يعده -كما كان يكذب على شعبه- ليلقي بإسرائيل في البحر، وليحارب -كما كان يزعم- إسرائيل ومَنْ وراء إسرائيل، وتحول هذا الجيش الجرار إلى فلول تبحث عن مهرب في صحراء سيناء من مطاردة جيش الدفاع الإسرائيلي. وتحطم سلاح الطيران على الأرض قبل أن يتحرك.

وقررنا أن نحرك مظاهرة من مسجد الإمام الحسين <، ونخرج بها إلى شارع الأزهر ثم إلى وسط القاهرة، تضامناً مع مظاهرات الطلبة في الجامعة والعمال في منطقة حلوان الصناعية.

وقصدنا مسجد سيدنا الحسين < في صلاة الجمعة، ووزعنا أنفسنا في أنحاء المسجد، وبعد الصلاة وقف يحيى هاشم ~ يخطب في الناس موضحاً مدى النكبات التي حلت على الأمة المسلمة، وجاوبناه بالتكبير، ولكن المباحث كانت مستعدة ومترقبة في هذه الأجواء المتوترة، فأحاط به المخبرون، وأخذوا يدفعونه إلى خارج المسجد، والناس مندهشون من

الفصل الثاني: يحيى هاشم- رائد على الطريق
هذه الجرأة، التي لم يعهدوها في ظل حكم عبد الناصر، ولكن
يحيى لم يكف عن الصياح بأعلى صوته، وقد أحاط به
المخبرون من كل جانب، يمسكون به ويدفعونه. ولما خرج
إلى ميدان الإمام الحسين < استمر في الخطابة بصوت
جهوري. فلجأ المخبرون إلى حيلة لإسكاته، فتقدم أحدهم،
وأمسك بخناقه، وقال له: يا لص أنت سرقت محفظتي، وأخذ
يصرخ بصوت أعلى من صوت يحيى، وتجمع عليه المخبرون،
ودفعوا به إلى صيدلية قريبة، وأغلقوها عليه، وسرعان ما أتت
سيارة حملته، وذهبوا به إلى مدير المباحث العامة -في ذلك
الوقت- حسن طلعت.

وكان الحكم الناصري في ذلك الوقت مبهوتاً مترنجأً،
وكانت أجهزة أمنه غير قادرة على التصرف، فقد كانت بين
نارين، قيادة شلتها فضيحة الهزيمة، تقود حكماً نخر فيه
السوس والعفن من ناحية، ومقاومة شعبية رافضة كسرت
حاجز الخوف، وفاجأت هذه الأجهزة بظاهرة جديدة من
المقاومة والرفض لم تعهدها من قبل.
وفي مبنى المباحث أوسعوا يحيى هاشم ~ ضرباً، ثم
ساقوه إلى مكتب مدير مباحث أمن الدولة حسن طلعت.
وحكى لنا يحيى هاشم ~ عن المقابلة التي حدثت في
مكتب حسن طلعت، ومدى الورطة التي وجد النظام نفسه
فيها، فالغضبة الشعبية وصلت إلى سلك القضاء والنيابة،
ووجد مدير مباحث أمن الدولة نفسه أمام وكيل نيابة يتمتع
بالحصانة القضائية، والبلد تغلي كالبركان غلياناً، شل مدير
مباحث أمن الدولة عن ممارسة أساليبه المعهودة وخاصة مع
المسلمين.

وأخذ حسن طلعت يدافع عن نفسه أمام يحيى هاشم ~،
ويردد أنه مسلم يدافع عن الإسلام، وهو الذي ترقى في خدمة
الحكم على دماء المسلمين وأشلائهم، ولكن يحيى هاشم
كالأسد الحروب مسفهاً مزاعمه، وكانت فوق رأس حسن
طلعت على الحائط لوحة كبيرة مكتوب فيها اسم الجلالة،

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الأول: صنم يتهاوى

وطاقة تتحرر

فصاح به يحيى: لماذا تضع هذه اللوحة فوق رأسك وانت لا تعرف الله؟

ولم يجد الحكم بدأً من الانسحاب والتراجع في هذه الظروف العصيبة، فأفرج عن يحيى هاشم ~ صاغراً. لقد كانت مظاهرة مسجد الإمام الحسين < فورة عاطفية متناسبة مع أعمارنا في تلك المرحلة.

وانطلق يحيى هاشم ~ لا يترك فرصة في الدعوة والتحريض على النظام ودعوة المسلمين إلى الجهاد، وتزامن نشاطه هذا مع موت عبد الناصر وخروج الأخوان على دفعات في بداية عهد السادات.

والتقى يحيى هاشم ~ بعدد من قيادات الإخوان، وبطبيعته الصافية وعاطفته الجياشة توجه إليهم بكل مشاعره، باعتبارهم القادة الشرعيين للحركة الإسلامية كما أقنعوه. وجاء إلينا يحمل تصورهم في العمل. كان تصورهم يقوم على أن تكون لهم القيادة من بعد، ولكن لا يتحملون مسؤولية أية مشكلة تحدث لأية مجموعة. فقلت ليحيى: إن هذه هي عين الانتهازية، لهم حسنة القيادة وعلينا سيئتها. ولكن يحيى كان مندفعاً في حبه لهم وحسن ظنه بهم.

و شاء قدر الله الغالب أن يكشف له عن الحقيقة في واقع عملي، فقد حدث أن أحد إخوانه حدث له مشكلة أمنية، اضطرت به إلى الاختباء من أجهزة الأمن، فذهب إلى الإخوان -وهم قادته- ليعينوه في حل المشكلة، ولكنه صدم بردهم، إذ أنهم قالوا له: عليك أن تتخلى عن هذا الأخ تماماً، ولا تقدم له أي عون. وكانت صدمة أدت إلى قطيعة بين يحيى هاشم والإخوان. واستمر يحيى هاشم ~ في إعانة أخيه ورعايته، حتى أوصله إلى مأمنه بفضل الله.

ثم جاءت قضية الفنية العسكرية في سنة 1974، فتعاطف يحيى هاشم ~ معها تعاطفاً شديداً، وكان يتابع أخبارها بدقة.

الفصل الثاني: يحيى هاشم- رائد على الطريق
وفي هذه الاثناء بدأت تختمر في ذهنه فكرة بدء الصدام
المسلح مع الحكومة. وبدأ يدعو المقربين منه إلى الشروع
في حرب العصابات، وفاتحني في هذه الفكرة فلم أوافق
عليها، وقلت له إن طبيعة البلد لا تصلح لهذا النوع من
الحروب، وأعطيته كتاباً عن حرب العصابات. ولكن الفكرة
كانت تختمر في رأسه وفي رأس عدد من إخوانه.
وأخذ يحيى هاشم ~ يتصل بعدد من الإخوة المتهمين في
قضية الكلية الفنية العسكرية. وأخذ يدير خطة لهروبهم
يستغل فيها منصبه كوكيل للنيابة، وكان أساس الفكرة أن
يستصدر أمراً مزوراً بترحيلهم من سجنهم، وفي أثناء الترحيل
يتم الهروب. ولكن الخطة انكشفت، إذ أمسكت المباحث
برسالة تهرب من قاعة المحكمة إلى قفص المتهمين.
وبعد وقوع الرسالة التي تحتوي على شرح للخطة، قرر
يحيى هاشم الهروب، والشروع في مشروعه الخاص بحرب
العصابات. ولجأ يحيى هاشم ~ ورفاقه إلى منطقة جبلية في
محافظة المنيا على حافة الصحراء، وتمركزوا فيها تحت غطاء
أنهم وحدة عسكرية بعد أن اشتروا بضع قطع من السلاح.
ولكن عمدة القرية المجاورة استراب في الامر، فأبلغ
الشرطة، التي هاجمت موقع الإخوة، وحدثت معركة قبضت
فيها الشرطة على الإخوة بعد نفاذ ذخيرتهم، وجاؤ يحيى
الانقضاء على قائد القوة، فعاجله برصاصات أردته قتيلاً.
وكانت هذه بعضاً من سيرة هذا البطل، الذي كان -بحق-
رائداً في الجهاد، مضحياً بكل ما يملك في سبيل إيمانه.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

الباب

الثاني

السادات مقتولاً

ثم مداناً

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

الفصل الأول: في يوم زينته الفرعون مصروع

إبء المجد	رويدك أم خالد
ثم وخبرينا	علمينا
كرهنا الذل كأس	وهزي في
الخاصعينا	سبات الذل إنا
فخالد لايزال	رويدك أم خالد
يصول فينا	لا تراعي
لقد وجب الجهاد	ويصرخ في
الحق ديننا	سبات النائميننا
مسيرة ألف	رويدك أم خالد
خالد زاحفينا	سوف تمضي
ألا ما أقرب	ويقتحمون حصن
الفتح الميينا ¹⁴	الكفر جنداً

¹⁴ القصيدة لتوفيق علوان، وتوفيق علوان شاعر وجراح. اعتقل عقب اغتيال السادات بتهمة انتمائه لتنظيم جند الله بالأسكندرية.

- الفصل الأول: في يوم زينته الفرعون مصروع
 تناول في هذا الفصل بإيجاز حادث قتل السادات وما
 اكتنفه من أحداث تحت العناوين التالية:
- 1- الأحداث التي سبقت قتل السادات:
 - أ- خذلان الجيش المصري وتهديد الأمن المصري في معاهدات فض الاشتباك.
 - ب- زيارة القدس ومعهدي السلام.
 - ج- اعتقالات سبتمبر عام 1981م.
 - 2- انفجار قضية الجهاد في مصر.
 - 3- تمرد ذي الحجة 1401هـ الإسلامي.
 - 4- طاحونة التعذيب.
 - 5- مهزلة تحقيقات النيابة.
 - 6- المحكمة العسكرية.
- ****

1- الأحداث التي سبقت قتل السادات:
 كان عصر السادات عصر حكم علماني كمن سبقه، ولكنه
 تميز بكونه مليئاً بالفساد والخيانات ومحاربة الإسلام والتمكين
 للأمريكان واليهود في منطقة قلب العالم الإسلامي¹⁵، وهي
 الأسباب التي أدت لقتله، وأنا هنا أوجز أهمها:

¹⁵ لن أتعرض في هذا الفصل الموجز لدور السادات في حرب أكتوبر 1973، وهو الدور الذي أدى لخسائر عسكرية كبيرة أثناء الحرب، ولكنني أشير لأمرين خطيرين: الأول: هو خداع السادات ووزير حربيته للسوريين، فقد كان السادات ووزير حربيته يعلمان أن السوريين لن يوافقوا على المشاركة في الحرب إلا إذا تضمنت الخطة عبور القناة والوصول لخط المضايق، وأعدت خطة تتضمن ذلك للعرض على السوريين فقط، وأخبر أحمد إسماعيل -وزير الحربية- سعد الدين الشاذلي -رئيس الأركان- بأن هذه الخطة لن تنفذ إلا إذا توفرت الظروف المناسبة، بينما كانت الخطة الحقيقية تتضمن العبور فقط والوصول لمسافة 10 إلى 15 كم غرب القناة. [حرب أكتوبر للشاذلي ص: 24 و 25]. الأمر الثاني: وهو متماش مع نفسية السادات الدنيئة، أنه كلف حافظ إسماعيل بالاتصال بهنري كسينجر يوم 7 أكتوبر من وراء ظهر السوريين، وإبلاغه بأن الحكومة المصرية لا تنوي توسيع مجال الاشتباكات. الأمر الذي استغلته إسرائيل أسوأ استغلال لصد الهجوم السوري ثم الاستدارة لصد الهجوم المصري. [ولمزيد من التفاصيل حول هذا الاتصال وتداعياته الخطيرة راجع: مذكرات الجسمي ص: 346 إلى 350، أمن مصر القومي لحافظ إسماعيل ص 317 إلى 319، مذكرات كسينجر في البيت الأبيض ترجمة خليل فرحات ج: 4 ص: 316].

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

أ- خذلان الجيش المصري وتهديد الأمن المصري في
معاهدات فض الاشتباك.

(1) المعاهدة الأولى في يناير عام 1974:

ويقول عنها محمد عبد الغني الجمسي¹⁶ مبيناً الطريقة
التي تمت بها، ومبيناً لخطورة هذه الوقائع وأثارها المدمرة
على مصالح الأمة في صراعها ضد إسرائيل، يقول الجمسي:
"بدأ الدور الحقيقي لعملية في أسوان، عندما
دعيت لحضور اجتماع للمفاوضات بين الوفدين
المصري والأمريكي... وقيل هذا الاجتماع لم
يخطرني الرئيس السادات بأي اتفاق مسبق تم
بينه وبين كيسنجر- في المفاوضات التي تمت
بينهما- عن أي موضوعات عسكرية بحثت بينهما
سيتضمنها الاتفاق

.....
جلسنا لإجراء محادثات جادة وسرية لمدة
حوالي ساعتين، نوقشت فيها موضوعات سياسية
وأخرى عسكرية، وأبلغ كيسنجر الحاضرين بنود
الاتفاق، الذي توصل إليه مع الرئيس السادات
حول الموضوعات العسكرية، وهنا كانت المفاجأة
لي وللحاضرين، عندما ذكر كيسنجر أن الرئيس
السادات وافق على تخفيض حجم القوات على
الضفة الشرقية لتصبح 7000 رجل و 30 دبابة
وعدداً محدوداً من قطع المدفعية، في هذه
اللحظة شعرت بمدى التخفيض الذي سيحدث في
القوات، بعد أن كان لنا قوات جيشين يصل عدد
رجالهما إلى أكثر من عشرة أمثال العدد الجديد،
وكنا نقدر أن يكون لنا 300 دبابة في شرق القناة،

¹⁶ وزير الحربية السابق، ورئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة عند توقيع تلك
المعاهدة.

الفصل الأول: في يوم زينته الفرعون مصروع
كما كان الوضع الطبيعي أن يكون لنا أعداد كبيرة
من المدفعية لتدعيم القوات في سيناء، وأتذكر
أنني أبديت رفضي لتخفيض حجم القوات كما هو
مقترح، وقلت للدكتور كيسنجر بحدة: "إنك تعطي
لإسرائيل كل ما يضمن تأمين قواتها، وتحرمنا من
كل ما يضمن تأمين قواتنا... إنني لا أوافق على
ذلك، ولا يمكن -كـرئيس لـأركان حرب القوات
المسلحة- إيجاد المبرر له أمام القوات المسلحة".
قال كيسنجر: "إنه يضع استراتيجية للسلام
مستقبلاً وهو موضوع هام، وفي سبيل ذلك تم
الاتفاق على الأعداد المقترحة من القوات المصرية
والأسلحة لتكون في شرق القناة".

قلت له: "إنني لا أتحدث عن السلام، ولكنني
أتحدث عن تأمين قواتنا... وتركت غرفة الاجتماع
بانفعال، بعد أن اغرورقت عيناى بالدموع...
واتجهت إلى الحمام".

ويقول إسماعيل فهمي¹⁷ أنه بعد أن غادرت
الغرفة: "بدأ الجميع يتملطون، وتأثرت مشاعر
الوفد المصري، الذي كان يشعر بنفس شعور
الفريق الجمسي، وكان يمكن أن يرى المرء
بسهولة على وجوه الوفد الأمريكي أنهم أيضاً
شعروا بالظلم الذي وقع على مصر... غير أن
كيسنجر كان لا يفكر إلا في نفسه، وقد شحبت لونه،
وظل يتمتم قائلاً "ما الخطأ الذي قلته؟".
عدت لغرفة الاجتماعات، لأكون صامتاً حتى
نهاية الاجتماع.

.....
وفي اليوم التالي استدعاني الرئيس إلى مكتبه
في استراحة أسوان.

¹⁷ وزير الخارجية في ذلك الوقت.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً ثم مداناً

.....
شُرحت للسيد الرئيس وجهة النظر العسكرية
قائلاً: إن الحجم المقترح لقواتنا شرق القناة لا
يحقق أبداً الدفاع عن الأرض التي حررتها قواتنا
بمواجهة حوالي مائة كيلو متر، وإن إسرائيل لن
تنسى الهزيمة التي لحقت بها في حرب أكتوبر،
ولذلك فإننا لا نستبعد مطلقاً قيامها بالهجوم ضد
قواتنا.

.....
وفي نهاية حديثي اقترحت على السيد الرئيس
استدعاء الفريق أول أحمد إسماعيل¹⁸ إلى أسوان
لمناقشته في الموضوع، والوقوف على رأيه.
ردّ الرئيس أنه لن يستدعي أحمد إسماعيل، وأن
الاتفاق الذي تم مع كيسنجر يجب الالتزام به لصالح
الاستراتيجية السياسية الجارية وضعها مع أمريكا،
واستطرد قائلاً: "إنه يحملني مسؤولية وضع الخطة
المناسبة للدفاع شرق القناة بالقوات التي
حددت"¹⁹

يستخلص مما سبق عرضه من أسلوب المفاضات ما يلي:
1- أول ما يستوقف المرء هو تلك الطريقة التي كان يعامل
بها السادات وزرّاءه ومعاونيه، فقد كان يجتمع على انفراد
بكيسنجر، ثم يترك كيسنجر بعد ذلك ليخبرهم بما اتفقا عليه.
2- والأغرب من ذلك هو رضا هؤلاء الوزراء والمساعدين
بكل هذه الإهانات المتكررة التي يوجهها لهم السادات.
3- ثم بعد ذلك سكوّتهم ورضوخهم لما يروونه تضييعاً
لحقوق البلاد وتهديداً لأمنها، أي ما يروونه خيانة واضحة
واستسلاماً لإسرائيل، ورغم كل ذلك يشاركون في تنفيذ هذه

¹⁸ وزير الحربية في ذلك الوقت.
¹⁹ مذكرات الجمسي ص: 480 إلى 483.

الفصل الأول: في يوم زينته الفرعون مصروع
السياسات، ويوقعون على هذه الاتفاقيات، ويستمررون في
مناصبهم، بل ويترقون فيها.

والجمسي هو أحد الأمثلة البارزة على هذا السلوك، فرغم
شعوره بالظلم والقهر أثناء منصبه وبعد اعتزاله العمل العام
وكتابته لمذكراته، إلا أن هذا الشعور لم يمنع من الاستمرار
في خدمة هذا النظام الذي انتقده مراراً، بل والاستمرار في
الترقي، حتى وصل إلى منصب نائب رئيس الوزراء ووزير
الحربية ثم مستشار عسكري للسادات.

لقد بلغ الأمر بالجمسي - كما روى هو بنفسه - أنه خرج من
المباحثات باكياً من شدة المهانة، مما يراه أمامه من
استسلام لإسرائيل وخنوع للتكبر الأمريكي، الذي جاء كيسنجر
ممثلاً له، ليعلم الوزراء المصريين ما يجب تنفيذه، وما اتفق
مع السادات عليه. ورغم هذا الرفض فقد وقع الجمسي
بصفته رئيساً للأركان على هذا الاتفاق، الذي ترك القاعة باكياً
منه رافضاً له.

وهنا تثار أسئلة كثيرة: لماذا بلغ الأمر بنا كأمة إلى هذا الحد
من الانصياع واجترار الهوان والرضا بالمذلة؟ لماذا تم تطهير
الجيش المصري من كل الشرفاء المؤمنين المعترزين بربهم؟
حتى بقي كل من هو مستسلم أو مرغم لنفسه على
الاستسلام من أجل الراتب ومزيد من الترقيات. هل يمكن أن
يكون السبب إلامات البطش المستمرة، التي يقودها
الحكام العلمانيون في مصر ضد كل مسلم مؤمن غير على
دينه وأمته وعرضه من الأربعينيات حتى اليوم؟

إن إلامات البطش والتكيل المستمرة لم تترك للشرفاء إلا
خياراً واحداً؛ هو أن يحملوا سلاحهم ويقاتلوا، ويتحملوا تبعات
مقاومتهم؛ الأسر أو القتل. أما البديل الذي لا يمكن أن يقبله
أي شريف؛ فهو هذه الوقائع التي جرت، ولا زالت تجري على
أرض مصر. تباع فيها البلاد، ويطأ طئ عباد الراتب رؤوسهم
للصفقة تلو الصفقة، بل ويشاركون في إتمامها.

وعن نفس هذه الاتفاقية يقول محمود رياض الأمين العام

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

السابق للجامعة العربية ووزير خارجية مصر من قبل :
" وكان هذا الاتفاق الخطوة الأولى في سلسلة
الاتفاقات التي سيوقعها السادات باسم السلام،
وكان كل اتفاق يحمل مزيداً من التنازلات " ²⁰.
(2) المعاهدة الثانية لفض الاشتباك في سبتمبر 1975:
ويقول عنها محمد فوزي وزير الحربية الأسبق:
" وكان فض الاشتباك الأول في يناير 1974 هو
أكبر إنجاز قام به كيسنجر لصالح إسرائيل من
الناحية العسكرية، عندما أنقذ الجيب الإسرائيلي،
ويمكن إسرائيل من التمسك بالمضايق، أما فض
الاشتباك الثاني في سبتمبر 1975 فكان أكبر
إنجاز يحققه لصالح إسرائيل سياسياً وشمل:
من الجانب الإسرائيلي: تعهد بإجراء انسحاب
محدود إلى خط شرق المضايق.
ومن الجانب المصري:
تعهد في المادة الأولى: بأن النزاع بين مصر
وإسرائيل في الشرق الأوسط لا يتم حله بالقوة
المسلحة وإنما بالوسائل السلمية.
وفي المادة الثانية: يتعهد الطرفان بعدم
استخدام القوة أو التهديد بها أو الحصار العسكري
ضد الطرف الآخر.
وفي المادة السابعة: تتعهد مصر بحرية مرور
الشحنات غير العسكرية المتجهة إلى إسرائيل
والصادرة منها بالمرور في قناة السويس ²¹.
وهكذا أنهى السادات حالة الحرب مع إسرائيل
استجابة لشروطها منذ بداية البحث حول الحل

²⁰ مذكرات محمود رياض ص: 109.

²¹ ما كان يعتبره محمد فوزي عاراً وفضيحة على أنور السادات أصبح اليوم يعتبر عبقرية سياسية وحكمة، فقد مرت سفن العدوان الصليبي على العراق بكل عتاها من قناة السويس.

الفصل الأول: في يوم زينته الفرعون مصروع
الجزئي، وبقيت القوات الإسرائيلية تحتل الأراضي
المصرية، مع حرمان مصر من حقها في القيام بأي
عمل عسكري لطردھا.

وكان هذا الاتفاق الجزئي مطروحاً على مصر
عام 1971، ورفض لعدم تعهد إسرائيل بالانسحاب
إلى الحدود الدولية في مرحلة تالية، وبعد حرب
أكتوبر- وكل ما تكبدته مصر فيها- وافق السادات
على الحل الجزئي الذي كان قد رفض في
1971" ²².

ويقول محمود رياض ²³ عن نفس الاتفاقية:
"والغرابية في هذا الاتفاق السياسي أنه لم يكن
هناك ما يرغم السادات على الاستسلام للشروط
الإسرائيلية المجحفة، والتي تهدر حق مصر في
السيادة على أراضيها، ولم يحقق السادات من هذا
الاتفاق إلا مزيداً من الخسارة السياسية
والعسكرية لمصر" ²⁴.

ويقول محمد حسنين هيكل عن هذه الاتفاقية:
"وبمقتضى التعهدات السرية التي ألحقت
بالاتفاقية -وعدها 12 تعهداً- فإن السادات تعهد
في الواقع بصلح منفرد مع إسرائيل، كما تعهد
بالتعاون مع الولايات المتحدة لإخراج الاتحاد
السوفييتي من أفريقيا وليس العالم العربي
وحده" ²⁵.

ب- زيارة القدس ومعاهدتي السلام
لقد كانت زيارة السادات للقدس عام 1977 واتفاقيتي
كامب ديفيد عام 1978 ثم اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل

²² محمد فوزي: حرب أكتوبر (1973) دراسة ودروس ص: 218 و 219.

²³ أمين عام سابق للجامعة العربية.

²⁴ مذكرات محمود رياض ص: 224.

²⁵ المفاوضات السرية- الكتاب الثاني: عواصف الحرب وعواصف السلام ص:
282، 283.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

في 17 سبتمبر 1979 من أخطر الأحداث في تاريخ الشرق الأوسط، وأنا هنا أورد تعليقاً لمحمد عبد الغني الجمسي وزير الحربية في مصر من ديسمبر 1974 إلى أكتوبر 1978، وهو رجل اشتهر بأنه عسكري محترف لا شأن له بالسياسة، بل هو من رجال النظام، ونال من النظام أعلى درجات التكريم، ومع ذلك فإن هذا الرجل لم يحتمل أن يسكت، فعبّر عن المأساة بكلمات هادئة، يحاول ألا يصطدم فيها بالنظام، ولكنه في نفس الوقت لا يريد أن يكتفم الحقيقة البارزة، التي يصطدم بها أي عسكري مصري، فقال في مذكراته:

"لقد كانت اتفاقية كامب ديفيد هي نهاية مرحلة من مراحل الصراع في الشرق الأوسط، فعلى المستوى الدولي حسم الصراع بين القوتين الأعظم لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، هذا الصراع الذي انفجر في عام 1956م وبلغ الذروة في عام 1967م وحسم في عام 1978، وعلى المستوى العربي أدت هذه الاتفاقية إلى **خروج مصر من ساحة الصراع العربي الإسرائيلي، الأمر الذي يضعف موقف الدول العربية سياسياً وعسكرياً في هذا الصراع، ويعطي لإسرائيل الموقف الاستراتيجي الأقوى في المنطقة، ويتيح لها حرية العمل لابتلاع باقي فلسطين في المرحلة الحالية، والتوسع على حساب الأرض العربية المجاورة في المراحل التالية، وعلى المستوى الوطني فإن هذه الاتفاقية وما تلاها من معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل قد أعادت لنا **سيناء بقيود شديدة، تضع إسرائيل في الموقف العسكري الاستراتيجي الأقوى،** ووضعت نهاية لمرحلة من مراحل الصراع بين مصر**

الفصل الأول: في يوم زينته الفرعون مصروع وإسرائيل، هذه المرحلة التي بدأت بحرب أكتوبر 1973م ثم زيارة القدس 1977 وانتهت باتفاقية كامب ديفيد 1978، وقد كان واضحاً بعد إعلان الاتفاقية ثم المعاهدة بعد ذلك بنصوصها أن هناك مرحلة جديدة في تاريخ هذه المنطقة قد بدأت، مرحلة لها انعكاساتها العميقة في صراع القوتين الأعظم في الشرق الأوسط، ولها انعكاساتها في الوطن العربي ولها نتائجها ومتطلباتها، ولعل أهمها **تغيير نظام الأمن في المنطقة، ليكون نظام الأمن في الشرق الأوسط تلعب فيه الولايات المتحدة الأمريكية الدور الرئيسي** ²⁶.

أي أن الجمسي يريد أن يقول أن الاتفاقية حققت لإسرائيل التفوق، وفرضت على مصر العجز عن مقاومتها، وباتفاق كامب ديفيد ثم بمعاهدة السلام التي تلتها بدء عصر سيطرة الولايات المتحدة على بلادنا.

ج- اعتقالات سبتمبر عام 1981م. وهي الحملة الاعتقالات الواسعة التي أمر السادات بها، ووصل عدد المعتقلين فيها إلى 1500 معتقل على حد زعم الحكومة. وكانت الأغلبية العظمى من هؤلاء المعتقلين من التيار الإسلامي.

وقد حاول السادات بهذه الاعتقالات أساساً أن يتخلص من كل معارضي سياسته تجاه إسرائيل، وكان منهم فضيلة الشيخ أحمد المحلاوي، الذي وصفه السادات بأنه (مرمي في السجن زي الكلب).

وكانت هذه الاعتقالات -وما تم فيها من تعديات وخاصة على الشيخ أحمد المحلاوي- من أهم الأسباب المباشرة في قتل أنور السادات.

²⁶ مذكرات الجمسي ص: 564.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً
وقد أودع المعتقلين سجنًا جديدًا هو سجن استقبال طرة،
الذي خصص للمعتقلين السياسيين ومن التيار الإسلامي
بالذات، مما يدل على أن هذه الاعتقالات كان السادات
يخطط لها منذ فترة.

2- انفجار قضية الجهاد في مصر:

ويقتل أنور السادات انفجرت قضية الجهاد في مصر
والعالم العربي، بل أصبحت ممارسة ميدانية يومية، وأضحت
مواجهة النظام -المحارب للشريعة والمتحالف مع أميركا
وإسرائيل- معركة متصلة الفصول لم تتوقف حتى اليوم، بل
على العكس تزيد حدتها يوماً بعد يوم، ويتسع ميدانها فترة بعد
فترة، ويزيد أنصارها مرحلة بعد مرحلة، ويشتد تهديدها
لأعدائها في واشنطن وتل أبيب طوراً بعد طور. وأصبحت
القضايا التي فجرها قتل أنور السادات -وما صاحبه من
أحداث- قضايا أساسية في فكر الشباب المسلم. وهكذا
أصبحت قضايا حاكمية الشريعة، وردة النظام عن الإسلام،
وعمالة الحكم لأميركا وإسرائيل، مسلمات يقاتل عنها
الشباب المسلم في الميدان، بعد أن فجرها محمد عبد السلام
فرج وإخوانه رحمهم الله، وبعد أن أجاب خالد الإسلامبولي
-رحمه الله- حينما سئل: لماذا قتلت أنور السادات؟ بقوله:
لأنه لم يحكم بالشريعة، ولأنه عقد صلحاً مع إسرائيل، ولأنه
أهان علماء الإسلام.

3- تمرد ذي الحجة 1401هـ الإسلامي:

دارت أحداث تمرد ذي الحجة 1401هـ الإسلامي (أكتوبر
1981م) في مصر على محورين:
المحور الأول: الهجوم على السادات وأركان حكمه خلال
العرض العسكري يوم 6 أكتوبر، في محاولة لقتل أكبر عدد
من رؤوس الحكم، وما صاحب هذا الهجوم من محاولة
للاستيلاء على الإذاعة. وقد نجح التحرك على هذا المحور في

الفصل الأول: في يوم زينته الفرعون مصروع
قتل أنور السادات، أما أركان الحكم فقد نجوا، كما لم تنجح
محاولة الإستيلاء على الإذاعة.

المحور الثاني: القيام بانتفاضة مسلحة في مدينة أسيوط
لاستيلاء عليها. تمت الانتفاضة بعد اغتيال أنور السادات
بيومين، أي بعد أن نجح الجيش في السيطرة على البلد
وتأمين النظام. وقد نجحت هذه المحاولة في الاستيلاء على
بعض مراكز الشرطة، ولكن الحكومة استدعت القوات
الخاصة التي بدأت في دك مواقع مقاومة الشباب المجاهد،
فاضطروا إلى ترك هذه المراكز لما نفذت ذخائرهم.
لقد كان محكوماً على ترمز أسيوط المسلح بالفشل، فقد
كانت انتفاضة عاطفية ذات نصيب متواضع من التخطيط، فقد
جاءت متأخرة عن قتل السادات بيومين، إضافة لاستنادها
لخطة غير واقعية، تهدف إلى السيطرة على مدينة أسيوط ثم
التقدم شمالاً نحو القاهرة لفتحها، متناسية أية أرقام عن قوة
العدو وعتاده.

وهكذا انتهت انتفاضة 1401هـ (1981م) بمكسب أساسي
وهو قتل أنور السادات، أما ما صاحبها من محاولات فلم يكتب
لها التوفيق لعدم توفر الإعداد الكافي اللازم لها. ولكن الأمر
يجب ألا ينظر إليه بنظرة محدودة تتعلق بمسارح هذه الأحداث
الضيقة، بل يجب أن ينظر إلى تلك الانتفاضة بنظرة أوسع
تتعدى مكانها وتمتد إلى آثارها التي تبعثها والحقائق التي
أثبتتها. فمن الواضح أن هذه الانتفاضة أثبتت عدة حقائق:
أ- أظهرت هذه الانتفاضة مدى شجاعة المجاهدين الذين
هاجموا قوات تتفوق عليهم أضعافاً مضاعفة في العدد والعتاد
والخبرة العسكرية.

ب- وأظهرت الأحداث الطبيعة الهجومية للحركة الجهادية،
التي قررت أن تهاجم النظام في محاولة للقضاء على رؤوسه
في وسط جموعه وحشوده.

ج- كما أظهرت الأحداث أن تغيير النظام -البعيد عن
الإسلام- أصبح الفكرة المحورية التي تشغل بال الشباب

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

المسلم متخطين بذلك مناهج الإصلاح الجزئي وأساليب الترقيع ووسائل تجميل وجه النظام القبيح ببعض الإجراءات الإصلاحية.

د- أثبتت الأحداث أن مرحلة تفرد النظام الحاكم بضرب الحركة الإسلامية قد انتهت، وأن على أعداء الإسلام في البيت الأبيض وتل أبيب ووكلائهم في القاهرة أن يتوقعوا ردود أفعال في غاية العنف على كل حملة قمع يقومون بها.

هـ- أثبتت الأحداث أن فكرة العمل من خلال القوانين

الحكومية والخضوع للدستور العلماني المفروض بالاستفتاءات المزورة والاعتراف بشرعية الحكومة أصبحت أفكاراً بالية في نظر المجاهدين، الذين قرروا حمل السلاح ليدافعوا عن العقيدة المغيبة والشريعة الممنوعة وحرمتهم المستباحة ووطنهم المحتل بالاستعمار الدولي الجديد، ومقدساتهم التي باعنها اتفاقيات الاستسلام مع إسرائيل.

و- كما أظهرت الأحداث الفشل الذريع لأجهزة الأمن، التي لم تكن على علم بأن البلد يمجج بالتيار الجهادي، الذي استطاع اختراق القوات المسلحة، بل واستطاع إخراج كميات من الأسلحة منها، واستطاع الوصول إلى قوات العرض العسكري رغم إجراءات الأمن المشددة لتأمينه.

وأجهزة الأمن في بلادنا مجموعات من المرتزقة الذين باعوا دينهم في مقابل راتبهم، الذي يعبدونه من دون الله. ويتميزون بانحطاط في السلوك وفي القدرات العقلية، مع غرور وكبر بسب ما أولاهم النظام من سلطة وحماية. وهم فاشلون علي العموم، وما أشبههم بحفاري القبور الذين يصلون دائماً بعد وقوع المصيبة، أو كما شبه به المجرم محمد عبد الفتاح عمر طائفته، وهو يهددني بالتعذيب في بداية التحقيق: (إحنا كالطبيب الشرعي الذي يشرح الجثة ليصل إلى الحقيقة).

الفصل الأول: في يوم زينته الفرعون مصروع
ووسيلتهم الأساسية في الوصول لأي معلومات هي
التعذيب البشع والتعدي على الحرمات، والنظام ومن خلفه
أمريكا يكفلان لهم الحماية التامة من أجل التصدي للمقاومة
الإسلامية في منطقة العالم الإسلامي.
بل إن أمريكا ترسل لهم المعتقلين لكي يعذبوا بإشرافها
في أرض غير أمريكية.
وبعد قتل أنور السادات كان المتوقع من النظام أن يتخلص
من كل الطاقم القديم الفاشل، ولكن معظمهم ظل يقدم
نفس الخدمات لنظام لا يقل عنهم غباءً ودناءةً.
ومن المضحكات المبكيات في تحقيقات المباحث في
قضية الجهاد الكبرى، تلك التقارير المتناقضة التي كانت تمطر
بها المباحث النيابة، ثم تحولها النيابة للمحكمة بكل ما فيها من
تناقض.

ولم تقبل بها المحكمة حيث قالت في حيثيات حكمها:
"أن ما ورد بتقرير المباحث العامة من معلومات
فقد سبق للمحكمة أن أوضحت رأيها في هذه
التقارير بصفة عامة وعدم اطمئنانها إليها"²⁷.
ومن مضحكاتهم المبكيات أن أحد التقارير المقدمة بشأن
من مباحث أمن الدولة لنيابة أمن الدولة: أنني أعطيت أحد
الأشخاص حقيبة سمسونايت للأوراق بها قاذف آر بي جي!!
ومررت النيابة التقرير بلا تعليق للمحكمة، حيث كان محل
سخرية الدفاع.

ز- لقد كان قتل أنور السادات على يد -خالد الإسلامبولي
ورفاقه الكرام- ضربة قوية للمخطط الأميركي الإسرائيلي
في المنطقة. الأمر الذي أثبت أن العداء لإسرائيل وأميركا
راسخ في قلوب المسلمين.

وهذا يثبت مدى الافتراء والكذب في ما ترددده العلمانية
العربية من أن كثيراً من الحركات الجهادية -وخاصة التي
شاركت في الجهاد الأفغاني- هي صنيعه لأميركا. وإن المرء

²⁷ كلمة حق ص: 123.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

ليعجب من هذه الجرأة في الافتراء من الكتاب العلمانيين،
فإنهم لما أسقط في أيديهم حينما شاهدوا التأييد الشعبي
الكاسح في العالم الإسلامي للحركات الإسلامية المجاهدة
-بعد إنزالها ضربات موجعة بأميركا- اختلقوا هذه الفرية،
متناسين أن العميل السادات المقرب من أميركا قد قتل على
يد المجاهدين في عام 1981 أي في بداية الجهاد الأفغاني،
وأن هؤلاء المجاهدين هم الذين شاركوا في ما بعد في الجهاد
الأفغاني.

و- أما أهم ثمرات مقتل السادات في ظني والله أعلم؛ أنها
أثبتت أن أهل مصر قد ثاروا على فرعونهم فقتلوه. وهذه
سابقة خطيرة في التاريخ المصري والعربي، وهذه الجرأة
-في التصدي لأعداء الإسلام الفاسدين المفسدين- لم تكن
لتحدث لولا انتشار الصحوة الإسلامية، وانتشار مفاهيم
العقيدة الصحيحة؛ مفاهيم الولاء والبراء والحاكمية، ولولا
انتشار روح الجهاد بين الأمة.

إنه حدث تاريخي بكل المقاييس، وقد أثبتت الأحداث ذلك،
فقد تصاعدت وقائع الجهاد بمقتل أنور السادات تصاعداً
انفجارياً، وأذنت ببداية عهد جديد ومرحلة جديدة يحمل عبأها
جيل جديد. وقد كنت أقول لزملائي في السجن إن قتل
السادات حدث تاريخي ضخم بكل معنى الكلمة، وأنا جميعنا
لو ذهبنا شهداء، أو قضينا بقية أعمارنا في السجن في مقابل
هذا الحدث لكننا من الفائزين.

ولكن للأسف فإن عدداً ممن رافقوني في السجن لم
يكونوا مستعدين نفسياً لأن يتقبلوا مثل هذه الآراء
والاجتهادات، لقد كانت قدراتهم النفسية والمعنوية دون ذلك
بكثير، وكنت أرى من معايشتي اللصيقة بهم بذور شيء ما
ينخر كالسوس في داخل النفوس، وهو ما صاغه عصام
القمرى ~ في عبارة (الإخوان الجدد). وللأسف فقد أثبتت

الفصل الأول: في يوم زينته الفرعون مصروع
الأحداث المتأخرة صدق الملاحظات المبكرة، ولذلك حديث
آخر.

لقد كان هؤلاء أشبه بالطفل الصغير الذي أعطوه سيفاً
ثقيلاً صقيلاً باتراً، وهو أضعف من مجرد حمله، فكيف يقا تل
به؟ لقد حاول أن يتحامل ويتظاهر لفترة، ثم استسلم في
النهاية وباع سيفه لعدوه بثمان بخس دراهم معدودات، وكان
فيه من الزاهدين. وقرر في مقابل فتات ضئيل من فتات
الدينا، أن يتنازل ويعتذر، ويتخلى عن سبب قوته وإرعابه
وإرهابه لأعدائه، تنازل في مقابل دنيا قليلة زهيدة، يتمتع
الملايين بأرفه منها دون أن يتنازلوا، ولكن لأنه في داخله طفل
صغير، تصرف كالطفل، الذي يفضل قطعاً من الحلوى على
رشاش ثقيل.

وهذه الصور تتكرر في كل التجارب والملاحم الإنسانية
الكبرى في التاريخ البشري، والمتأمل بامعان في القرآن
الكريم يجد وصف هذه الأمراض والنقائص في عدد من
المواضع منها سورتي الأحزاب والتوبة. يقول الحق تبارك
وتعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ
فَارْجِعُوا وَبَسْتَاذِنُ قَرِيْبٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا
عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا {13} وَلَوْ
دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوُّهَا وَمَا
تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا {14} وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ
لَا يُولُونَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا.﴾

ثم ذكر الحق بعيد ذلك صفات أهل الصدق، فقال عز من
قائل:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ
يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا {21} وَلَمَّا رَأَى
الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا {22} مِّنَ
الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

مَنْ قَصَى تَحْتَهُ وَمِنْهُمْ مَن تَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا تَدْبِيلاً {23}
لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُتَافِقِينَ إِنْ شَاءَ
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا.

وفي نفس السياق يشعر المرء بمدى العجز والانكسار
عندما يُسأل عمر التلمساني في حواره مع (المصور) عن قتل
أنور السادات، فيجيب:

"المعتقد الديني بعيد كل البعد عن هذه

الجرائم"²⁸.

4- طاحونة التعذيب:

وكان رد فعل الحكومة على هذه الاحداث وحشياً في شدته
وفي أسلوبه.

ودارت طاحونة التعذيب والتنكيل بأقصى سرعتها مرة
أخرى، لتكتب فصلاً دامياً جديداً في تاريخ الحركة الإسلامية
المعاصر في مصر.

وكانت طاحونة التعذيب وحشية في دورانها، فقد كسرت
العظام، وسلخت الجلود، وصعقت الأعصاب، وأزهقت
الأنفس.

وكانت دنيئة في أساليبها لأنها اتخذت من سب الدين
والرب، واحتجاز النساء، والاعتداء الجنسي، وتسمية الرجال
بأسماء النساء، والتجوع ورداءة الطعام، وقطع المياه،
والإغلاق ومنع الزيارات، وسائل معتادة لإذلال المعتقلين.
ولقد وجدت علي جدران أحد الزنازين في سجن القلعة بيتاً
من الشعر محفوراً، يقول:

ما أطيب العيش لو أن الفتى حـر تنبو الحوادث عنه وهو

ملموم²⁹

ووجدت أيضاً عبارة محفورة تقول:

²⁸ المصور، عدد 2989 - 27 ربيع الأول 1402 هـ - 22/1/1982 م.
²⁹ البيت لتميم بن أبي بن مقبل. الموسوعة الشعرية - تميم بن أبي مقبل.

الفصل الأول: في يوم زينته الفرعون مصروع
"إذا سقطت المرأة أصبحت عاهرة، وإذا سقط
الرجل أصبح شرطياً".

لقد تصورت هذه الحكومة كسابقاتها أنها بالتعذيب ستقضي
على المقاومة الإسلامية المتصاعدة، ولكنها وإن انتزعت
بالتعذيب أقبوالاً، فقد خسرت خسارة لا حد لها، فمعظم من
مر بهذه التجربة البشعة دخل السجن يطلب ثأراً واحداً،
وخرج ليطالب ثارين: ثار عام ضد المجرمين المعادين للإسلام
خدمة لأمريكا وإسرائيل، وثار خاص ضد من عذبوه، وعذبوا
إخوانه، واعتدوا على حرماته.

لقد ترك هذا التعذيب في الذاكرة أخايد عميقة لا تنطمر،
وفي الوجدان جروحاً دامية لا تندمل، وفي النفس جمرًا
متقدماً لا ينطفئ إلا بالقصاص بإذن الله وقوته.
إنه ثار حي متجدد ينتهز الفرصة للاستيفاء وإن طال الزمن،
ويورث من جيل لجيل.

فَإِنْ كَانَ بَاغٍ نَالَ مِنْكَ ظُلْمَةً ۖ فَإِنَّ شِفَاءَ الْبَغْيِ سَيْفُكَ
فَاقْتُلْ³⁰

وكانت طاحونة التعذيب هذه المرة مختلفة عن سابقاتها
من ناحيتين: فقد دارت ولا زالت تدور حتى اليوم بلا توقف،
كما أنها ابتلعت مئات الألوف من الضحايا منذ مقتل أنور
السادات وحتى الآن.

وتتكم الحكومة تماماً عن الرقم الحقيقي للمعتقلين في
مصر، وستعرض لهذا الموضوع بإسهاب أكثر -إن شاء الله-
عند الحديث عن النظام المصري.
5- مهزلة تحقيقات النيابة:

وأحالت مباحث أمن الدولة والمخابرات الحربية المتهمين
إلى النيابة المدنية والعسكرية. وكانت تحقيقات النيابة
فصلاً آخر من فصول المهزلة، فقد كانت النيابة تسرب
محاضر التحقيق إلى ضباط المباحث ليراجعوا فيها المتهمين،

³⁰ البيت لعباس بن مرداس رضي الله عنه. الموسوعة الشعرية- عباس بن مرداس.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

وليحاسبوهم على ما قالوه فيها، ثم يعاد تلقينهم ما يجب
عليهم أن يقولوه.

وأذكر أنني سألت رئيس النيابة محمود مسعود -الذي تولى
معظم التحقيق معي- مرة:
أليس من حقي أن استدعي محامياً؟
فأجابني بسخرية:

ومن هذا المحامي الذي تريده أن يعتقل معك في
السجن؟

ولكن نيابة أمن الدولة كانت في هذه المرة مهتزة في ثقتها
بالنظام، فقد رأت بعينها حدة الصراع بين النظام وخصومه،
ولذلك حرصت على ألا يكون تواطؤها مع المباحث بالقدر
الذي يورطها في أدلة مادية ضدها، إذا ما انقلبت الأحوال
وسقط النظام.

فقد حدث أنني ذكرت لرئيس النيابة محمود مسعود أنواع
التعذيب الذي أعرض له وصوراً من التعذيب الذي أشاهده
يقع على غيري في سجن القلعة، وأن أقوالي في هذه
التحقيقات هي نتيجة هذا التعذيب والإكراه، وأنني أراجع في
التحقيقات في سجن القلعة، ووصفت له إصاباتي بالتفصيل
والآلات المستخدمة في إحداثها وتفاصيل حولها، وإنني أطلب
بعرضي على الطبيب الشرعي لإثبات هذه الإصابات، فأنهى
التحقيق معي سريعاً بعد أن سجل أقوالي، ثم أمر بإحالتني
للطبيب الشرعي.

ولما عدت لسجن القلعة استدعاني العميد محمد عبد
الفتاح عمر والمقدم محسن حفطي، وهدداني بفتح قضية
تجسس ضدي لحساب إيران، وأن معلوماتهما أنني قد زرت
إيران وتدربت فيها على التجسس، فأنكرت ذلك تماماً، فردا
بأنهما رغم علمهما أنني جاسوس فإنهما لا يريدان إثارة هذا
الأمر حرصاً على سمعتي، حتى لا يكون عاراً على أولادي بعد
إعدامي!! ولذا فإن علي -حتى لا يفتحا قضية تجسس ضدي-

الفصل الأول: في يوم زينته الفرعون مصروع
أن أعود مرة أخرى للنيابة، لتغيير كل ما قلته في المحضر
السابق، وقال لي محمد عبد الفتاح عمر: لقد كنت أرتب لك
لتحصل على عفو من رئيس الجمهورية، ولكنك ألقيت تراباً
في الطبخة، التي كنت أطبخها لك! ولا تتصور أن إصبعنا تحت
ضرسك! فأنت وإن أفرج عنك ستظل على رأس قائمة
الاعتقال في كل مرة. فتعجبت لمدى الرعب، الذي في قلوب
هؤلاء المجرمين من أقوالي ومن شخصي الضعيف، الذي
نزعت منه كل أسباب القوة إلا الاعتماد على الله والطمع في
رحمته، فشجعني هذا على الاستمرار في فضح تعذيبهم
للمسلمين، وأدركت أن النظام رغم جبروته غير واثق من
مستقبله، وترتعد فرائضه من المعتقلين الأسرى، بعد الإحداث
الهائلة التي عاينها.

وبعد قرابة يوم استدعاني المقدم محسن حفطي، وقال
لي: نحن الدولة وأنت ضد الدولة، وحذار من أن تحارب
الدولة، وأنا لا أريدك أن تلف حبل المشنقة حول عنقك، ولكن
يجب أن تغير أقوالك في المحضر السابق، وسيذهب معك
(محمد بك تاج) الآن لنيابة مباحث أمن الدولة لتغيير أقوالك،
وفعلاً أخذني الرائد محمد تاج لمكتب المستشار رجا
العربي³¹، حيث أكد علي بوجود تغيير الأقوال، ومن مكتب
رجاء العربي أخذوني عبر باب لمكتب به رئيس النيابة محمود
مسعود، الذي ابتسم بخبث، وقال:

هل ستعترف هذه المرة؟
فقلت له:

إن ضابط المباحث في الغرفة التي جئت منها، وقد صاحبني
ليتأكد من تغيير أقوالي، وقد واجهوني في سجن القلعة
بتفاصيل المحضر السابق، وأنا متهم، ومن حقوقي المحافظة
على سرية التحقيق، وإن صوراً من محاضر تحقيق النيابة التي

³¹ عين بعد ذلك محامياً عاماً لنيابة أمن الدولة ثم نائباً عاماً مكافأة على خدماته، ولكن
رفضت الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف قبوله قاضياً نظراً لسمعته السيئة.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

تجربها معي يواجهني بها ضباط المباحث في سجن القلعة،
ويهددونني بتكرير التعذيب وبتهم جديدة إذا لم أغير أقوالي.
فانتفض مرعوباً، وقال أن صلته بالمحاضر تنتهي بانتهاء
التحقيق، وأنه يسلمها لسكرتير النيابة، ولا يدري ما يحدث فيها
بعد ذلك.

وخرج مسرعاً من الغرفة وعاد وفي صحبته المستشاران
ماهر الجندي³² ورجاء العربي، أما ماهر الجندي فتصنع البراءة،
وقال:

نحن ترد إلينا محاضر استدالات من الشرطة، ونحقق فيها.
أما رجاء العربي فقد كلمني بطريقة أشبه بطريقة الغوغاء:
جري إيه يا أيمن... عذبوني وضربوني.
فقلت له:

إني متهم ومن حقوقي المحافظة على سرية التحقيق.
فقال:

هم يعرفون كل حاجة حتى أكبر رأس في الدولة، وكما
عرفوا ماذا فعلت، يعرفون أيضاً ماذا نعمل. المهم حتعترف
ولا لأ؟

فقلت: لأ.

فأمر محمود مسعود بإنهاء التحقيق وإعادتي لسجن القلعة.
بل بلغ الأمر بالمدعي العام العسكري -الذي يتولى التحقيق
في اغتيال أنور السادات- أنه تجاهل مسؤولياته، ولم يذهب
إلى منصة العرض العسكري إلا بعد يوم كامل من وقوع
الحادث، رغم أن الحادثة تقع بالكامل في دائرة اختصاصه، إذ
أن المقتول هو القائد الأعلى للقوات المسلحة، والمهاجمون
من أفراد القوات المسلحة، والحادث وقع على أرض
عسكرية، ولكنه ترقب النتائج في أعقاب الزلزال الذي أصاب
النظام، فأصابه بحالة من الشلل.

³² عين بعد ذلك محافظاً لمحافظة الغربية، ثم اتهم بعد ذلك في قضية فساد مالي.

الفصل الأول: في يوم زينته الفرعون مصروع
لقد كان المدعي العام العسكري ينتظر ليرى بأمر من
سيحقق مع من؟ ومن سيتهم من؟ ومن سيدعي على من؟
ومن الطرائف أن العقيد محسن السرساوي مأمور سجن
استقبال طره في ذلك الوقت عقب اغتيال السادات -وهو
نموذج لراكبي الموجات ومنتهزي الفرص- دخل إلى عنبر
السجن ذي الطوابق الأربعة والممتلئ بالمعتقلين السياسيين
وإصح فيهم: (إخوة النضال، إخوة الكفاح لقد قتل الرئيس
أنور السادات).

6- المحكمة العسكرية:

وأسرعت النيابة العسكرية بتقديم المتهمين في واقعة
اغتيال أنور السادات إلى القضاء العسكري. وتشكلت
المحكمة العسكرية برئاسة اللواء محمد سمير فاضل. ودارت
مهزلة جديدة من مهازل إقحام العلمانية العسكرية للجيش
المصري في البطش بخصومها المسلمين، بعد أن أدار
الجيش المصري ظهره لإسرائيل، ووجه سلاحه إلى شعبه.
وكانت المحاكمة العسكرية نموذجاً متكرراً من المواجهات بين الحركة
الإسلامية وطلبيتها المجاهدة بكل صفائها ونقاها وعطائها، وبين العلمانية
العسكرية بكل زيفها ونفاقها وفسادها. لقد ادعت العلمانية العسكرية
الديمقراطية وسيادة القانون، ولكن المحاكمة بإجماع كل من شاهدها كانت
تمثيلية سخيفة فاسدة الإخراج لحكم أعد مسبقاً.

يا أيها القاضي
المغفل هل تعي
أنا قد قتلت وسوف
أقتل إن أعش
أني عرفت نهايتي
فكفاني
الحاكمين بشرعة
الشیطان³³

لقد ادعت العلمانية العسكرية دائماً أنها تحترم الإسلام،
ولكن هذا الاحترام كان له عند العلمانية معنى واحد، ألا وهو
توظيف طبقة من العلماء للتسييح بحمدها لتبرير ما تفعله،
وبالفعل فقد استندت المحكمة لفتوى الشيخ جاد الحق -مفتي
الديار المصرية حينذاك، ثم شيخ الأزهر لاحقاً- فذبحت بفتواه
شباب المجاهدين.

³³ الشعر لأنور عكاشة على لسان خالد الإسلامبولي رحمه الله.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً
قال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله:
وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

الفصل الثاني: قضية الجهاد الكبرى

"أيها المستشار رئيس محكمة أمن الدولة
العليا: لقد أقيمت الحجة، وظهر الحق، وبان
الصبح لذي عينين، فعليك أن تحكم بشريعة
الله، وأن تطبق أحكام الله، فإنك إن لم
تفعل **فأنت الكافر الظالم الفاسق.**

.....
أيها القاضي المستشار: الحساب من
ورائك سوط بسوط وغضب بغضب، والله
بالمrصاد " 34 .

ذكرنا فيما سبق ما قامت به النيابة العسكرية، أما النيابة
المدنية (نيابة أمن الدولة) فيعد انتهاء تحقيقاتها حولت
لل قضاء ثلاثمائة واثنين متهما باعتبارهم قيادات في تنظيم

³⁴ الشيخ عمر عبد الرحمن في بياناته أمام المحكمة في القضية 462 / 81 أمن دولة
عليا المعروفة بقضية الجهاد الكبرى. [كلمة حق ص: 104].

الفصل الثاني: قضية الجهاد الكبرى

الجهاد، وهي القضية المعروفة (بقضية الجهاد الكبرى)، وهي أكبر قضية في تاريخ القضاء المصري، كما حولت للقضاء أيضاً مائة وثمانية وسبعين متهماً للقضاء بتهمة الانتماء لتنظيم الجهاد، وبدأت إجراءات المحاكمتين بعد قرابة سنتين من قتل أنور السادات.

أما المحاكمة في (قضية الجهاد الكبرى) فكانت فريدة في نوعها مليئة بالأحداث والمفاجآت، لكن كان أهم حدثين في هذه المحاكمة هما؛ إلقاء الدكتور عمر عبد الرحمن لبياناته الشهيرة على مدى ثلاثة أيام، بالإضافة للشهادة التاريخية التي أدلى بها الشيخ صلاح أبو إسماعيل ~.

أما أهم مفاجئتين فيها فكانتا؛ اكتشاف القاضي أن مباحث أمن الدولة تتجسس عليه وعلى مدوالاته مع القاضيين المشاركين له، وأثبت ذلك في أوراق القضية، أما المفاجأة الأكبر فكانت الحكم في القضية، وكانت حيثيات الحكم أقوى وأهم من الحكم.

وقد سجل الدكتور عمر عبد الرحمن بياناته - في ما بعد - في كتابه (كلمة حق).

وفي هذه البيانات، عرض الدكتور عمر قضية الحكم بالشريعة والجهاد من أجلها بأدلتها التفصيلية من الكتاب والسنة، وإجماع علماء الأمة، ورد على مراعاة النيابة وتقرير الأزهر الذي استعانت به. وقد مثلت هذه الشهادة خطراً على موقف الدكتور عمر عبد الرحمن القانوني، إذ أنها تقدم الأدلة على مناصرة الدكتور عمر للجهاد من أجل إقامة الشريعة، وقد حذر القاضي من أن كلامه قد يمثل خطراً عليه، وأن كلام المحامين عنه هو كلام الوكيل عن الأصل، وهو كلام يمكنه أن يتراجع عنه، أما كلامه فهو مأخوذ به.

لكن الدكتور عمر عبد الرحمن، أصرّ على أن يدافع عن قضية الإسلام في المحاكمة، ولو أدى الأمر لإدانته. بل لقد وضع القاضي في موضع المتهم وحمله مسؤولية الظلم الذي قد يوقعه على المسلمين، وحذره من عذاب الله

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

وقصاصه، ودعاه إلى الحكم بالشرعية، وحذره من مغبة ترك
الحكم بها.

وكان اجتهاد الدكتور عمر عبد الرحمن، أن هذه فرصة لتبليغ
قضية الحكم بما أنزل الله لا يجب أن تفوت، كما أن هذه
البيانات هي أفضل دفاع يمكن أن يقدمه لإخوانه، خاصة
المتوقع صدور الحكم عليهم بالإعدام، وذلك بإظهار عدالة
قضيتهم ونبيل مقصدهم.

وفعلاً، لم يصدر القاضي أي حكم بالإعدام في هذه القضية،
وأعمل الظروف المخففة استناداً لنبل الغاية وشرف المقصد
لدى المتهمين، كما بين في حيثيات حكمه.

ولا أستطيع أن أترك الحديث عن بيانات عمر عبد الرحمن
في المحكمة، من دون أن أقتطف بعضاً من عباراتها القوية
المدوية بالحق الراعدة بالصدق في موقف حرج، تطالب
النيابة فيه باعدامه، وتحاسبه على كل كلمة، ولكنه عالم
المجاهدين ومجاهد العلماء، والله حسيبه.
يقول الشيخ عمر:

"قالت النيابة: "إن أولئك الذين رفعوا شعار
الحكم لله، وأرادوا به أن يكون الحكم لهم، قد
وُصفهم المسلمون ووصفهم التاريخ الإسلامي
بأنهم (خوارج) على المجتمع".

نعم [إن الحكم إلا لله] كلمة حق وصدق، نادى
بها من قبل الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن
الكريم نبي الله يوسف بن اسحاق بن يعقوب بن
ابراهيم، نادى بها من داخل سجنه في مصر، ولم
تمنعه قيود السجن من أن يعلن الحق الذي يدعو
إليه، كما أعلنها سائر الرسل.

.....
فهي إذن دعوة المسلمين عبر التاريخ كله.
.....

الفصل الثاني: قضية الجهاد الكبرى
إن الخوارج قالوها لإمام مصطبر بالحق يعطيه،
لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أقامها وعمل بها..
قالوها لرابع الخلفاء الراشدين.

.....
فإذا قيلت في العصر الأول فقائلوها خوارج، وإذا
قيلت في هذا العصر فقائلوها مجاهدون³⁵.
ويقول الشيخ عمر عبد الرحمن في بياناته:
"دافعت النياية عن معاهدة الصلح بين مصر
وإسرائيل، ولن أرد على النياية، فقد كتبت في ردي
على لجنة شيخ الأزهر ما هو كاف في ذلك، إنما أرد
على استدلال العالم الجهيد في النياية الذي استدلى
على صحة المعاهدة بقوله تعالى: ﴿قَمَا اسْتَقَامُوا
لَكُمْ قَاَسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَإِنْ
جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْتَحْ لَهُمْ﴾، نقول: هل استقام
اليهود لنا؟ وهل جنحوا للسلام؟ أم أننا الذين جنحنا
واستقمنا؟ نبئوني بعلم إن كنتم صادقين؟"³⁶
ويقول أيضاً:

"وختاماً: فجرمتمني أنني نقدت الدولة، وأظهرت
ما في المجتمع من مفاسد ومعاداة لدين الله،
ووقفت في كل مكان أصدع بكلمة الحق، التي هي
من صميم ديني واعتقادي.

.....
إنني مطالب أمام ديني وأمام ضميري أن أدفع
الظلم والجبروت، وأرد الشبهة والضلالات، وأكشف
الزيغ والانحراف، وأفضح الظالمين على أعين
الناس، وإن كلفني ذلك حياتي وما أملك.
أنا لا يرهبنني السجن ولا الإعدام، ولا أفرح بالعفو
أو البراءة، ولا أحزن حين يحكم عليّ بالقتل، فهي

³⁵ كلمة حق ص: 64 و 65.

³⁶ كلمة حق ص: 100.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً

ثم مداناً

شهادة في سبيل الله، وعندئذ أقول: فزت ورب
الكعبة، وعندئذ أقول أيضاً:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب

كان في الله مصرعي

إنني مسلم أحيًا لديني، وأموت في سبيله، ولا
يمكن بحال أن أسكت والإسلام يحارب في كل

مكان³⁷

ويقول أيضاً فرج الله كربته:

"أيها المستشار رئيس محكمة أمن الدولة العليا:

لقد أقيمت الحجة، وظهر الحق، وبان الصبح لذي
عينين، فعليك أن تحكم بشريعة الله، وأن تطبق

أحكام الله، فإنك إن لم تفعل فأنت الكافر الظالم
الفاسيق، لأنه يصدق فيك قول الله: [وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ

بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ]، [وَمَنْ لَمْ

يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]، [وَمَنْ

لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِقُونَ].
وليس الحكم بمنته في هذه القاعة ولا في هذه

الدنيا، بل الحكم هناك ينتهي أمره في الآخرة يحكم
فيها الحكم العدل: [يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ

وَالسَّمَاوَاتُ وَتَبَرُّوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ].
وإننا لا نخشى سجنًا ولا إعدامًا، ولكن نرهب بأي

تعذيب ولا إيذاء. ونقول ما قاله السحرة لفرعون:
[لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتَاتِ وَالَّذِي قَطَرْنَا

قَافُضَ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِلَّا مَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا].
واعلم أيها المستشار أن الله أنزل الحدود ليزجر

بها عن الخبائث، فكيف إذا أتاه من يليها؟ وأن الله
أنزل القصص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من
يقتص لهم؟

³⁷ كلمة حق ص: 101 و 102.

الفصل الثاني: قضية الجهاد الكبرى

واذكر أيها المستشار الموت وما بعده وقله
أشيا عنك عنده وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده
من الفزع الأكبر، وإعلم أيها المستشار أن لك منزلاً
غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك،
وفارقك أحبابك، ويسلمونك إلى مقرك فريداً
وحيداً، فتزود له ما يصحك [يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ
أَخِيهِ {34} وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ {35} وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ] ³⁸.
ويقول أيضاً فك الله أسره:

"أيها القاضي المستشار رئيس المحكمة:
الموت طالب لا يمل الطلب، ولا يبطئ الخطى، ولا
يخلف الميعاد، ولا يعجزه المقيم، ولا ينفلت منه
الهارب.

.....
وهو رحي دواره بين الخلق، وكأس يدار بها
عليهم.

.....
الموت الذي يفرق الأحياء، ويمضي في طريقه، لا
يتوقف، ولا يتلفت، ولا يستحيب لصرخة مقهور
ملهوف ولا لحسرة مفارق ولا لرغبة راغب ولا
لخوف خائف. الموت الذي لا حيلة للبشر فيه، وهم
مع هذا لا يتدبرون القوة القاهرة التي تجربه.
فكيف بك أيها المستشار إذا ورد عليك مذل
الملوك وقاهر الجبابرة وقاصم الطغاة" ³⁹.
ويقول أيضاً فك الله أسره:

"أيها المستشار، رئيس المحكمة، ان الله يمنعك
من الحكومة، وإن الحكومة لا تمنعك من الله، وإن
أمر الله فوق كل أمر، وإنه لا طاعة في معصية

³⁸ كلمة حق ص: 102 و 103.

³⁹ كلمة حق ص: 103 و 104.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً

ثم مداناً

الله، وإني احذرُك بأسه الذي لا يرد عن القوم
المجرمين.

أيها القاضي المستشار: الحساب من ورائك
سوط بسوط وغب بغب، والله بالمرصاد،
والسلام عليكم ورحمة الله.

الاثنين

25 جمادى الأولى

1404هـ

27 فبراير

1984م⁴⁰

أما شهادة الشيخ صلاح أبو إسماعيل ~ التي استغرقت
يومين كاملين فكانت شهادة خطيرة، لأنها تضمنت إجابات
واضحة حول عدد من المسائل الخطيرة المتعلقة بالحكم في
مصر وموقفه من الإسلام.

فقد أكد الشيخ صلاح أبو إسماعيل ~ في هذه الشهادة أن
أنور السادات بإعلانه أن (لا سياسة في الدين، ولا دين في
السياسة) قد نفى يده من الإسلام.

وسرد الشيخ صلاح أبو إسماعيل ~ في هذه الشهادة
محاولاته لتقنين الأحكام الشرعية عبر مجلس الشعب،
وانتهائه إلى اليأس من تطبيق الشريعة عبر طريق الانتخابات
والمجالس النيابية نتيجة لمناورات الحكومة.

تلك الانتخابات التي كانت ومازالت درساً مؤلماً للذين
سلكوا طريقها، بدعوى أنهم سيحققون مصلحة الإسلام
والحكم بالشريعة عبر مخالفة الشريعة، بزعمهم أن الظروف
الحاضرة تتطلب مرونة سياسية في التعامل مع النصوص،
فخسروا الدين ولم يكسبوا الدنيا.

⁴⁰ كلمة حق ص: 104.

الفصل الثاني: قضية الجهاد الكبرى

أما أحكام المحكمة فجاءت مفاجئة للحكومة وأجهزة الأمن وللنيابة، فلم تصدر المحكمة أي أحكام بالإعدام، وقضت ببراءة 194 متهماً من مجموع 302 متهم.

وكانت حيثيات الحكم أهم وأخطر من الحكم:

- فقد اعترفت المحكمة بأن مصر لا تحكم بالشرعية الإسلامية.

- واعترفت بأن الحكم بالشرعية واجب وهو أمل كل مسلم.

- كما اعترفت بمناقضة الدستور والقوانين المصرية لأحكام الإسلام.

- واعترفت بانتشار الخروج على الإسلام في المجتمع

المصري تحت رعاية القانون.

- واعترفت بوقوع التعذيب الجسدي على المتهمين، مما

أدى لإحداث عاهات مستديمة في بعضهم، وطالبت بإحالة

المسؤولين عن هذا التعذيب للتحقيق.

وجاء في حيثيات حكم المحكمة في أكبر قضية في تاريخ

القضاء المصري:

"بخصوص الموضوع الثاني: فالذي استقر في

ضمير المحكمة أن أحكام الشريعة الإسلامية غير

مطبقة في جمهورية مصر العربية، وهذه حقيقة

مستخلصة من الحقيقة الأولى وهي وجوب تطبيق

الشريعة".

ثم راحت المحكمة تسرد الأدلة على غياب الشريعة ومنها:

"وجود مظاهر في المجتمع المصري لا تتفق مع

أحكام الشريعة الغراء، من ملاء ترتكب فيها

الموبقات، ترخص بإدارتها من الدولة، إلى مصانع

خمور ترخص بإنشائها من الدولة، إلى محال لبيع

وتقديم الخمور ترخص بإدارتها من الدولة، إلى

وسائل إعلام سمعية ومرئية ومقروعة تذيع وتنشر

ما لا يتفق على أحكام الشريعة الإسلامية، إلى

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً

ثم مداناً

سفور للمرأة يخالف ما نص عليه دين الدولة
الرسمي وهو الإسلام"⁴¹.
كما قرر حكم المحكمة في مسودة الحثيات في موضع
آخر:

"حقيقة أن المادة الثانية من الدستور بعد تعديلها
نصت على أن الإسلام دين الدولة الرسمي واللغة
العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية
المصدر الرئيسي للتشريع، إلا أنه يكفي المحكمة
تدليلاً على أن أحكام الدستور لا تتفق مع أحكام
الشريعة الإسلامية، ما قرره عمر أحمد عبد
الرحمن - باعتباره من علماء المسلمين - أمام
المحكمة بجلسة 3 سبتمبر سنة 1983م من أن
الدستور يتصادم مع الشريعة الإسلامية ولا يتحاكم
إليها فالمواد 86، 107، 108، 109، 112، 113،
189 تعطي لمجلس الشعب حق التشريع وسن
القوانين، وهو في الإسلام لله وحده، كما أن المادة
(75) من الدستور لا تشترط الإسلام والذكورة في
رئيس الدولة وهو أمر يخالف إجماع الفقهاء،
والمادة (165) تنص على أن الحكم في المحاكم
بالقانون الذي لا يتفق في أسلوب إصداره
ونصوصه مع الشريعة الإسلامية"⁴².

كما قرر حكم المحكمة في موضع آخر في معرض بيان
حالة المجتمع المصري قبل وقوع أحداث القضية:
"غياب شرع الله عن أرض جمهورية مصر
العربية: وهو ما سبق للمحكمة أن دللت عليه بأدلة

⁴¹ مسودة حثيات الحكم في القضية 462 / 81 أمن دولة عليا طوارئ المشهورة
بقضية الجهاد الكبرى ص: 265 نقلًا عن: هؤلاء قتلوا السادات ص: 260 و 261،
أيضاً: تنظيم الجهاد- جذوره وأساره ص: 95.

⁴² مسودة حثيات الحكم في القضية 462 / 81 أمن دولة عليا طوارئ المشهورة
بقضية الجهاد الكبرى ص: 363، 364 نقلًا عن: هؤلاء قتلوا السادات ص: 180 و 181.

الفصل الثاني: قضية الجهاد الكبرى
 قاطعة لا ترى حاجة لتكرارها، ولكنها تشير إلى أن
 السلطة التشريعية لم تنته بعد من تقنين أحكام
 الشريعة الإسلامية، وكانت قد بدأت في هذا العمل
 منذ عام 1979م، هذا إلى وجود مظاهر في
 المجتمع المصري لا تتفق بأي حال مع قواعد
 الإسلام، فلا يتصور أن دولة دينها الإسلام وترخص
 لملاهي ترتكب فيها موبقات، وترخص لمصانع لإنتاج
 الخمر أو محال لبيعها وشربها، أن تصرح لوسائل
 الإعلام المرئية أو السمعية أو المقروءة بنشر أو
 إذاعة ما لا يتفق مع شرع الله أو سفور المرأة
 بصورة تخالف ما نص عليه الإسلام"⁴³.

وقد ادعت عليّ جريدة (الشرق الأوسط) فيما نشرته
 مشوهاً مبتوراً من الطبعة الأولى لهذا الكتاب -الذي حصلت
 على نسخته من المخابرات الأمريكية- أنني أشدت
 بالمستشار عبد الغفار رئيس المحكمة، وقلت: إن أحكامه
 جاءت منصفة للإسلاميين! فقالت:

"وبينما يندد الظواهري في كتابه بالمحكمة
 العسكرية، ويعتبرها نموذجاً مكرراً من المواجهات
 بين الإسلاميين وما سماه بـ[العلمانية العسكرية]،
 إلا أنه يشيد بالمستشار عبد الغفار رئيس المحكمة
 قائلاً: إن أحكامه جاءت منصفة للإسلاميين".

وهذه واحدة من الافتراءات الكثيرة التي حشرتها (الشرق
 الأوسط) في سياق ما نقلته عني⁴⁴، وحاشا لله أن أشيد بقاض
 علماني يحكم بقانون ووضعني، وأصفه بالإنصاف، والله سبحانه
 وتعالى يقول: **وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ**

⁴³ مسودة حيثيات الحكم في القضية 81 /462 من دولة عليا طوارئ المشهورة
 بقضية الجهاد الكبرى نقلاً عن: هؤلاء قتلوا السادات ص: 272.

⁴⁴ ومن ذلك أيضاً استبدالهم كلمة الانتحارية بالاستشهادية، عند ذكري لعبارة العمليات
 الاستشهادية، ومن ذلك استبدالهم لكلمة الأصولية بالجهادية، عند ذكري للحركات
 الجهادية، وحاشا لله أن أستخدم كلمة الانتحارية أو الأصولية، إنها الأمانة الصحفية،
 وشرف المهنة، ولكن أية مهنة؟

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

الظَّالِمُونَ. فالقاضي العلماني ظالم حتى لو أصاب الحق،
لأنه لم يقر بالحاكمية للمولى سبحانه وتعالى.

يقول الأستاذ الشهيد - كما نحسبه - سيد قطب ~:

" ولم يكن بد أن يكون "دين الله" هو الحكم بما
أنزل الله دون سواه. فهذا هو مظهر سلطان الله.
مظهر حاكمية الله. مظهر أن لا إله إلا الله.

وهذه الحتمية: حتمية هذا التلازم بين "دين الله"
و"الحكم بما أنزل الله" لا تنشأ فحسب من أن ما
أنزل الله خير مما يصنع البشر لأنفسهم من مناهج
وشرائع وأنظمة وأوضاع. فهذا سبب واحد من
أسباب هذه الحتمية. وليس هو السبب الأول ولا
الرئيسي. إنما السبب الأول والرئيسي، والقاعدة
الأولى والأساس في حتمية هذا التلازم هي أن
الحكم بما أنزل الله إقرار بالوهبة لله، ونفي لهذه
الألوهية وخصائصها عن عداه.

وهذا هو "الإسلام" بمعناه اللغوي: "الاستسلام"،
وبمعناه الاصطلاحي كما جاءت به الأديان.. الإسلام
لله.. والتجرد عن ادعاء الألوهية معه؛ وادعاء أخص
خصائص الألوهية، وهي السلطان والحاكمية، وحق
تطويع العباد وتعبدهم بالشرعة والقانون.

ولا يكفي إذن أن يتخذ البشر لأنفسهم شرائع
تشابه شرعة الله. أو حتى شرعة الله نفسها
بنصها، إذا هم نسبوها إلى أنفسهم، ووضعوا عليها
شاراتهم؛ ولم يردوها لله؛ ولم يطبقوها باسم
الله، إذعانا لسلطانه، واعترافاً بالوهبته؛ وتفرده
بهذه الألوهية. التفرد الذي يجرد العباد من حق
السلطان والحاكمية، إلا تطبيقاً لشرعة الله⁴⁵.

⁴⁵ في ظلال القرآن- سورة المائدة- المقدمة ج: 2 ص: 828 و 829.

الفصل الثاني: قضية الجهاد الكبرى

ولكن الإنصاف يقتضيني أن أذكر أن المستشار عبد الغفار محمد كان شجاعاً حينما رفض تقارير مباحث أمن الدولة، وحينما رفض أن يلبي دعوة للقاء وزير العدل أثناء نظر القضية، بل ورفض حتى أن يجيبه على الهاتف، واعتكف عن إحدى الجلسات احتجاجاً على محاولة وزير العدل التدخل في القضية، وقد أشار إلى هذا الشيخ عمر عبد الرحمن -فك الله أسره- في بياناته أثناء المحاكمة، وكان شجاعاً حينما أثبت أقوال كل المتهمين متهماً متهماً عن التعذيب الذي تعرضوا له في بداية المحاكمة، وكان شجاعاً حينما أمر بعرض جميع المتهمين على الطب الشرعي لفحص إصاباتهم من التعذيب، وكان شجاعاً حينما أمر بطرد ضباط مباحث أمن الدولة من القاعة، ولكنهم تسللوا للشرفات المطللة على القاعة، ودسوا بعضاً منهم في زي حرس المحكمة، وكان شجاعاً حينما أتاح الفرصة للدكتور عمر عبد الرحمن ليلقي بياناته التاريخية على مدى ثلاثة أيام، وكان شجاعاً حينما قبل استدعاء الشيخ صلاح أبو إسماعيل ~ للشهادة، وكان شجاعاً حينما منح الفرصة للمتهمين عشرات المرات لإلقاء كلمات في بداية الجلسات، وكان شجاعاً حينما أصدر حكماً كان بمثابة صفة للنظام الحاكم ولأجهزته، وكان شجاعاً حينما قرر الحقائق الخطيرة التي أشرنا إليها آنفاً في حيثيات الحكم، وكان شجاعاً حينما طلب من النيابة -في حكمه- فتح تحقيق في التعذيب الذي تعرض له المتهمون.

كل هذا كان فيه عبد الغفار محمد شجاعاً، وكان متحدياً للنظام، ومبحراً ضد التيار، ومعرضاً نفسه للمشاكل والمصاعب، في وقت كانت كل أجهزة النظام تعد العدة للانتقام من الشباب المسلم في هذه القضية الخطيرة، تلك القضية التي تورطت فيها النيابة العامة -كعادتها- تورطاً مشيناً مع الجلادين.

لكن كل هذا لا يمكن أن يرقى به لأن يكون قاضياً عادلاً، لا من حيث مرجعية التحاكم ولا من حيث تطبيق الأحكام.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

أما من حيث مرجعية التحاكم: فقد بينا أن القاضي العلماني الذي يحكم بقانون وضعي، هو بنص القرآن ظالم وفاسق وكافر.

ويتحمل عبد الغفار محمد وزر الأحكام التي أصدرها بسجن مائة وتسعة مسلماً بأشرف تهمة وهي الجهاد في سبيل الله، حتى وإن أعمل الظروف المخففة في هذه الأحكام مراعاة لنبل الغاية وشرف المقصد، كما نص على ذلك في حيثيات حكمه، وحتى وإن خلى أي حكم له في القضية من الحكم بالإعدام.

ولا ينفي المسؤولية عن عبد الغفار محمد ما قرره في حيثيات حكمه من أن المحكمة ملزمة شرعاً بالحكم بالشريعة مضطرة قانوناً للحكم بالقانون الوضعي. فهذا الكلام لا وزن له في ميزان الشريعة، لأنه لم يكن مكرهاً إكراهاً معتبراً في الشريعة، حتى يدعي الاضطرار!

أما من حيث تطبيق الأحكام: فكان على الحكم انتقادات عدة، منها أن عبد الغفار محمد في كثير من الأحيان اعتمد في حكمه على محاضر ضبط وإحراز ومحاضر إرشاد يعلم يقيناً أنها بنيت على معلومات انتزعت بالإكراه والتعذيب، ومنها أنه في كثير من الأحيان اعتمد في حكمه على محاضر تحقيق أمام النيابة يعلم يقيناً أنها تمت في ظروف من الرعب والهلع من تواطؤ النيابة مع المباحث على إعادة تعذيب المتهمين. ومن الأمثلة على ذلك ما حكاه لي أحد الإخوة الأفاضل من أنه اعترف تفصيلاً في النيابة، لأن التعذيب الذي تعرض له والمعاملة التي لقيها في السجن أقنعتة إقناعاً تاماً أنه لا بد مقتول على أيدي الشرطة. وذكر لي -أنه على سبيل المثال- لما رحل مع آخرين لسجن استقبال طرة، رتبت لهم إدارة السجن ما يعرف (بحفلة استقبال)، حيث ظلوا لعدة ساعات يتعرضون للضرب أثناء مرورهم بين صفين من الجنود، وأن

الفصل الثاني: قضية الجهاد الكبرى

الجنود كانوا يضربونه على رأسه بالقيود الحديدية (الكلابشات)، مما أقنعه أنهم لا بد قاتلوه.

ومن أبرز الأمثلة على مخالفة عديد من أحكام عبد الغفار محمد لقواعد القانون الوضعي حكمه على الشهيد - كما نحسبه - البطل عصام القمري ~ بحكمين أحدهما بعشر سنوات والآخر بخمسة سنوات، لإدائته بالانضمام لتنظيم الجهاد وبمقاومة الشرطة. رغم أن الأوراق تخلو من أي دليل قطعي على إدانة عصام القمري ~.

قد يشعر البعض - ممن لا يزنون الأمر بميزان الشريعة - بالتعاطف مع عبد الغفار محمد، ولكن الأمر أجل من ذلك وأخطر، إنه أمر دعم النظام المحارب للإسلام، بقوانين وأحكام مخالفة للشريعة.

ولا يعذر عبد الغفار محمد - ما كان يشاع ولا أدري مدى صحته - قوله الذي كان ينقل عنه، من أنه إذا لم يحكم هو في هذه القضية فقد يحكم فيها قاض آخر ينكل بهؤلاء الشباب. وبعد أن تقاعد عبد الغفار محمد امتهن المحاماة، وصار يدافع عن الشباب المسلم في المحاكم، هل تاب عن ماضيه كقاض علماني يحكم بقانون وضعي؟ ولكن أين حقوق المظلومين المحكوم عليهم؟؟

وبناء على حكم المحكمة بدأت النيابة تحقيقاً في التعذيب الذي أثبتته الحكم، وكان هذا تعبيراً عن اهتزاز الحكومة أمام التيار الجهادي المتصاعد، وتعبيراً عن حرص حسني مبارك على النجاة بنفسه، حتى وإن أدى ذلك للتضحية بأكثر من خمسين من ضباط الشرطة والمباحث.

وبدأت النيابة تحقيقاً واسعاً في التعذيب، واستدعت المتهمين في قضية الجهاد الكبرى للتحقيق معهم في وقائع التعذيب الذي تعرضوا له، وحاولت الشرطة عدم توصيل استدعاء النيابة المتكرر لي عبر قسم الشرطة، ولكن حدث بالقدر أن أحد الإخوة طلبني للشهادة عن وقائع تعذيبه، وعندما حضرت أمام المستشار المحقق، أخبرني أنني أنا

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

شخصياً مطلوب أمامه للتحقيق في وقائع التعذيب الخاصة بي، وأخرج لي من مكتبه حزمة من أوامر الاستدعاء الخاصة بي، وتعجب كيف لم أستجب لها، فأبلغته أنني لم يصلني أي استدعاء، وأن هذا من مكر الشرطة.

وحدد لي المحقق موعداً للتحقيق معي بشأن تعذيبي، وذهبت، وفي أثناء التحقيق قلت للمحقق: ما فائدة هذا التحقيق؟ أنتم تحققون في وقائع حدثت منذ قرابة ثلاث سنوات، والنظام هو النظام والتعذيب لا زال قائماً، فما الجدوى من كل ذلك، فرد علي بخبرة المجرم المحنك وقال لي هذه أول مرة في تاريخ مصر يحاكم رجال العهد في نفس العهد، فهذه فرصة فانتهزوها. وصارحني بأنه طالما ظلت الحكومات تمارس هذه الأساليب فلن يتوقف العنف في مصر.

وفعلاً انتهى -بفضل الله ثم بتضحيات المجاهدين- في مصر النظام الباطش المتبجح المتجبر، وجاء النظام المراوغ المتصنع للبراءة المتبجح لها من النقد والحرية، وهذه خطوة هامة على الطريق، ما تحققت إلا بالدماء والتضحيات، وهي أيضاً درس للمجاهدين أن لا يسمحوا للنظام أن ينكل بهم في الظلام وهذا ما سنتعرض له لاحقاً بتفصيل إن شاء الله.

وبعد خروجي من السجن فرضت علي النيابة حكماً لمدة ثلاث سنوات بالمراقبة الجبرية، وهو نظام سيء يطبق على أرباب السوابق من اللصوص والمجرمين، حيث يوضعون تحت مراقبة الشرطة، وبمقتضى هذا النظام يحق للشرطة أن تعتقل المراقب في حجز الشرطة أو تلمزه منزله من الغروب للشروق، وعلى المراقب أن يراجع قسم الشرطة كل أسبوع، وعليه ألا يغادر مدينته ولا مقر سكنه إلا بإذن الشرطة.

الفصل الثاني: قضية الجهاد الكبرى

أي هو بقية من سجن، وقد اكتشفت أن هذه مؤامرة أخرى من النيابة في تواطئها مع المباحث لتقييد حركة المفرج عنهم، واكتشفت أن حكم المحكمة لا يتضمن هذا الحكم، واكتشفت أيضاً أن التهمة التي أدنت فيها -وهي إحراز أسلحة وذخائر بدون ترخيص- لا ينطبق عليها نظام المراقبة الجبرية، ودعاني هذا للقراءة في كتب القانون حول هذا النظام فاكتشفت -وهو الأهم في الموضوع- أن هذا نظام فرضه الاحتلال البريطاني على مصر لمواجهة المجاهدين والمقاومين له، فأدركت أن هؤلاء تلامذة لأولئك، لزالوا يترسمون نفس الخطى.

وبالإضافة لنظام المراقبة الجبرية فرضت علي مباحث أمن الدولة نظاماً من المراقبة السرية على مدار الساعة، ولكنني -بفضل الله- قلبت عليهم المائدة، فعبّر نظام من الرشاوى، أنشأت -بحول الله وقوته- نظاماً لمراقبتهم، فكانت تذهب إليهم أخباري، وتأتيني أخبارهم.

ورغم هذا الحصار قررت ألا أكف عن المقاومة، فبدأت حملة في التشهير العلني بالنظام، وصرت أمد الصحف المعارضة بوقائع التعذيب، كما حركت قضية تواطؤ أطباء السجون في تعذيب المعتقلين في النيابة وفي نقابة الأطباء. وحدث ذات مرة وأنا أصور أخبار التعذيب من الصحف -في دكان بسيط يملك صاحبه آلة تصوير- أن سألني صاحب الدكان بفطرة المصري البسيط: إذا كان كل هذا قد حل بكم، فلماذا لا تنتقمون ممن اعتدي عليكم؟ فأجبته أن هذا جزء من المعركة، أما ثارنا منهم فسنأخذه بأيدينا إن شاء الله. وأرجو أن أكون -بعون الله- قد صدقته.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثاني: السادات مقتولاً ثم
مداناً

الفصل الثالث: عصام القمري- شهامة وشجاعة وشهادة

تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ	فَتَى مَاتَ بَيْنَ الصَّرْبِ وَالطَّعَنِ مَيْتَةً
مِنَ الصَّرْبِ وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السُّمْرُ	وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرُبُ سَيْفِهِ
إِلَيْهِ الْحِفَاظُ الْمُرُّ وَالْحُلُقُ الْوَعْرُ	وَقَدْ كَانَ قَوْثَ الْمَوْتِ سَيْهلاً قَرْدَهُ
وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَحْمُصِكَ الْحَشْرُ	فَأْتَيْتَ فِي مُسْتَنْقِعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ
فَلِمَ يَنْصَرِفُ إِلَّا وَأَكْفَائُهُ الْأَجْرُ	عَدَا عَدْوَةً وَالْحَمْدُ تَسْجُ رِدَائِهِ
لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ	تَرَدِّي ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْراً قَمَا أَتَى
عَدَاةً تَوَى إِلَّا إِسْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ	مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبَقْ رَوْضَهُ
رَأَيْتُ الْكَرِيمَ الْحُرَّ لَيْسَ لَهُ عُمْرُ ⁴⁶	عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفَاً فَأَيْتِي

⁴⁶ الأبيات لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي. وقد قال الأمير أبو دلف لأبي تمام عن هذه الأبيات: "وددت والله أنها لك في". فقال له أبو تمام: بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي. فقال له: "ما مات من رثي بهذا الشعر". [الموسوعة الشعرية- أبو تمام وأخبار أبي تمام للصولي ص: 63، الأغاني ج: 16 ص: 422 و 423، تاريخ الأدب

الفصل الثالث: عصام القمري- شهامة وشجاعة وشهادة

1- كانت من أهم المجموعات الجهادية التي اكتشفتها أجهزة الأمن مجموعة عصام القمري ~ .

وإذا ذكر عصام القمري ~ ، فلا بد من وقفة، فعصام القمري من القلائل الأفاذ الذين لم يأخذوا حقهم في التعريف بفضلهم وجهادهم، لأن أجهزة الإعلام والدعاية في بلادنا في يد جماعات معادية للمسلمين، فهم يقصرون حق النشر عليهم، ويحرمونه على المسلمين، اقتداءً بسياسة الغرب الذي يسيطر فيه اليهود على وسائل الإعلام والتوجيه. وعصام القمري ~ رجل جاد، أخذ -منذ بداية شبابه- قضية الإسلام مأخذ الجد. أخبرني ~ عن بدايات اقتناعه بضرورة خلع النظام، أنه -في أثناء فترة دراسته الثانوية- كان في حيه شاب مقعد، ولكنه كان بذيء اللسان يتعرض للفتيات بالكلام الساقط، فأمسكه عصام ~ وضربه، فجاء أبو الشاب يشكو عصاماً لأبيه، فأخذ أبوه يعنفه على ضربه لشاب مقعد، فأخبره عصام بفحشه، وكان في بيتهم زائر من أقربائهم، فقال لعصام: بدلاً من أن تضرب هذا المجرم الصغير عليك بالمجرم الكبير الذي يحكم البلد.

ولما تكونت عنده هذه القناعة قرر أن يدخل الكلية الحربية ليغير النظام الحاكم في مصر، هكذا كانت قناعته وهو لا يزال طالباً متخرجاً من المدارس الثانوية.

فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ جِلْمٍ بِمَانَعَةٍ قَدْ يَوْجَدُ الْجِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشُّبَّانِ⁴⁷

وقد أخبرني ~ أنه سأل والده بعد دخوله للكلية الحربية: أتدري لماذا دخلت الكلية الحربية؟ فقال له والده: لماذا؟ فقال له: لكي أقوم بانقلاب عسكري في مصر، وذهل والده، لكنه لم يستطع شيئاً، فقد كان عصام قد قبل في الكلية الحربية.

العربي- العصر العباسي الأول ص: 286 و [287].
47 البيت للمتنبي في مدح كافور الأخشيد. الموسوعة الشعرية- المتنبي.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثاني: السادات مقتولاً ثم
مداناً

وكان مجموع عصام القمري في امتحان الثانوية العامة يؤهله لدخول عدد من الكليات العملية كالطب والهندسة ونحوهما، وكانت عادة الناس وما زالت أن يفضلوا الالتحاق بالكليات العملية في الجامعة علي الكليات العسكرية، لكن عصام خالف هذا العرف السائد لأمر في نفسه.

2- وفي الكلية الحربية تعرّف عصام القمري ~ على محمد مصطفى عليوة شقيق علوي مصطفى عليوة، الذي ضم عصام مع شقيقه إلى مجموعتنا الجهادية، وهكذا انضم عصام القمري إلى المجاهدين في مصر، ومنذ انضمام عصام القمري ~ إلى هذا الطريق -وحتى مقتله- لم يتوقف عن العطاء المثمر والبذل الجاد في سبيل هذا الدين.

وأعانه على هذا المستوى السامي طبيعته وخلقه الراقى، فعصام القمري ~ رجل بكل ما تعنيه كلمة الرجولة من معان، وشهم بكل ما تدل عليه لفظة الشهامة من مدلولات. بل إن كثيراً من المتاعب التي عاناها والتضحيات التي قدمها -برضا واطمئنان- كانت بسبب ما انطوت عليه نفسه الكريمة من شهامة ونخوة.

حتى أنه حاول وهو هارب أن يسعى لفك أسر إخوانه الضباط المعتقلين أثناء نقلهم من محبسهم في المجموعة 75 مخابرات حربية إلى المحكمة العسكرية، ولما أجبته بأن إمكانياتنا لا تسمح بذلك، رد عليّ بغضب أننا لو بعنا كل ما نملك حتى ملابسنا من أجل إنقاذ هؤلاء الإخوة لما وفيناهم حقهم.

وكان من أهم ما يؤرقه في السجن العمل على تهريب الإخوة المتوقع أن يحكم عليهم بالإعدام، وبعد صدور الأحكام اشتكى لي من أنه يريد أن يسعى في تهريب كل الإخوة المحكوم عليهم بمدد طويلة، ولكن بعضهم متردد، فنصحته بأن يسعى في ترتيب الهرب، فإذا واثته الفرصة، فليهرب بمن يوافقه، وليدع من يتردد.

الفصل الثالث: عصام القمري- شهامة وشجاعة وشهادة

ومن شمائل عصام الكريمة ~ تواضعه ودماثة أخلاقه
وحرصه على خدمة إخوانه والتودد إليهم، ولكنه كان شديد
الصراحة وبحسب مع أي شخص يحاول أن يراوغ معه، أو
يخادعه، أو يبرر للتنازل عن المبادئ.
كما كانت له فراسة ونظرة ثاقبة في الأمور ~، أخبرني من
أثق به أنه قبيل شهادته كان يقول عن قيادات الجماعة
الإسلامية في السجن: (هؤلاء هم الإخوان الجدد). هذا الكلام
قاله في عام 1988 تقريباً أي قبل ظهور أول مبادرة بثمان
سنوات. وقد كنت أتکتّم هذا الأمر، ولا أذيعه، أما الآن بعد أن
وصلت مبادرة المبادرين لما وصلت فلا حرج.

ومن شمائل عصام المميزة أيضاً ثباته وهدوءه في أوقات
الشدة والأزمات، أخبرني أخي نبيل نعيم -فك الله أسره-
أن عصام ~ كان يتصرف في معركة الجمالية -وثلاثتهم محاصرون بكتيبة
من الأمن المركزي وأطواق أخرى من قوات الشرطة- بمنتهى الهدوء وكأنه
في عمل عادي وليس في معركة.

وقفت وما في الموت كأنك في جفن الردى
شك لواقف وهو نائم
تمر بك الأبطال ووجهك وضاح وثرغرك
كلمي هزيمة باسم⁴⁸

3- وبعد تخرج عصام القمري من الكلية الحربية، انخرط
في سلاح المدرعات، الذي أحبه وتفوق فيه، وكان يكرر لنا
أن هذا السلاح يجب أن يكون سلاح المسلمين، لما يتوفر
فيه من قدرة على حسم المعارك وردع للخصم، وكنت
أداعبه في السجن قائلاً له: أنت تمدح المدرعات، بينما
أحمد شوقي يمدح عمر المختار ~ بأنه فارس، لا يعرف
ركوب الدبابات، فيقول:

بَطَلُ البَدَاوَةِ لَمْ يَكُنْ تَتَّكِّ وَ لَمْ يَكُ يَرَكَبُ
يَغْزُو عَلَى الأَجْوَاءَ

⁴⁸ تيممة الدهر- القسم الأول في ذكر محاسن شعر آل حمدان وشعرائهم- الباب الثاني
في ذكر سيف الدولة- فصل في انفجار يبايع جوده على الشعراء ج: 1 ص: 43.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثاني: السادات مقتولاً ثم
مداناً

لَكِنْ أَخُو حَيْلٍ حَمَى
صَهْوَاتِهَا
وَأَدَارَ مِنْ أَعْرَافِهَا
الهِجَاءُ⁴⁹

فيسكت مبتسماً ~ .

وكان تفوق عصام القمري في سلاح المدرعات تفوقاً ملحوظاً مميزاً، فقد انكبَّ عصام على العلم العسكري دراسة وفهماً، وعلى الخبرة الميدانية ممارسة وعملاً، لأنه كان يحتسب هذا الجهد في سبيل الله، لذا لم يكن غريباً أن يتفوق عصام في كل دوراته التدريبية، وأن يكون الأول على زملائه فيها.

من أجل ذلك رشح -وهو رائد- لدورة قادة كتائب في أميركا، وُعد بعدها أن يعود قائداً لكتيبة مدرعات في الحرس الجمهوري، وكان عصام ينتظر هذا المنصب باهتمام. ولم يثنه عن هذه الدورة إلا اجتهاد أحد الإخوة المبالغين سامحه الله، الذي أقنعه بأن عام 1981 سيكون عام التغيير في مصر، وبأنه قادر على أن يحشد عدداً ضخماً من الشباب المجاهد من الجماعات المجاهدة.

وبناء على هذا الزعم المهول قرر عصام ألا يسافر إلى أميركا، فرشح بدلاً من ذلك لكلية أركان الحرب، وكان بذلك ضابطاً من الضباط النوادير في سلاح المدرعات، الذي يرشح لهذه الكلية وهو ما زال رائداً.

4- وكانت لعصام نظرية في العمل الجهادي حاول جاهداً أن يوفر لها الإمكانيات، لكن الأقدار لم تسمح له بذلك. قال البطل الفارس الشاعر محمود سامي البارودي رحمه الله:

عَلَيَّ طِلَابُ الْعِرِّ مِنْ مُسْتَقَرِّهِ
وَلَا ذَنْبَ لِي إِنْ عَارَصْتَنِي
الْمَقَادِرُ⁵⁰

⁴⁹ من رائعة أحمد شوقي في رثاء عمر المختار رحمه الله. الموسوعة الشعرية - أحمد شوقي.

⁵⁰ الموسوعة الشعرية - محمود سامي البارودي.

الفصل الثالث: عصام القمري- شهامة وشجاعة وشهادة

وهذه النظرية ما زالت تمثل اختياراً عملياً مناسباً إن

توفرت لها مقوماتها، ومن سمات هذه النظرية:

أ- إن أنظمة الحكم في بلادنا قد فرضت من الاحتياطات الأمنية ما لا يمكن مواجهته إلا بقوة مسلحة تملك قوة نيران كبيرة وعدداً من الدروع، تستطيع به أن تفرض سيطرتها على العاصمة وخوض المعركة والصمود فيها من أسبوع إلى أسبوعين.

ب- إن الحركة الإسلامية تملك آلاف الشباب الذين يتسابقون إلى الشهادة، لكن هؤلاء الشباب بلا تدريب ولا خبرة قتالية.

ج- إن اختراق الحركة الإسلامية للجيش سيواجه دائماً بحملات التطهير، ومن العسير على الحركة الإسلامية أن تجند عدداً كبيراً من الضباط في صفوف الجيش، من دون أن ينكشف أمرهم نظراً للمتابعات الأمنية الدقيقة في صفوف القوات المسلحة.

د- فكانت فكرة عصام هي تدريب عدة مئات من الشباب المسلم على السلاح وعلى استخدام وقيادة الدبابات ولو بصورة مبدئية.

هـ- أما قوات الشرطة والأمن المركزي وما يتبع وزارة الداخلية، فكان عصام ينظر إليها باستخفاف.

وكان عصام ينتقد انشغال الشباب المسلم بالشرطة والهجوم عليها، وعدم نظرهم إلى الوضع العسكري نظراً لعملية تحليلية مبنية على المعلومات.

وكان عصام يثق كثيراً بالشباب المسلم المتدرب ويقول: (إن الشرطة تستأسد علينا، لأن إخواننا غير مدربين، أما إذا دربناهم، وأعطيناهم قليلاً من السلاح، فلن يقف أمامهم أحد).

هذه النظرية ظلت مجال نقاش بيني وبينه لفترات طويلة قبل السجن وأثناءه، وأشهد أن كثيراً من توقعاته صدقتها الأحداث.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثاني: السادات مقتولاً ثم مداناً

وهذه الخطة خطة جريئة تعتمد على الاستطلاع الدقيق والتحليل العلمي للمعلومات الواقعية، لذلك فهي تتوافق تماماً مع شخصية عصام التي تكاملت فيها هذه العناصر؛ القلب الجريء والعلم العسكري والعمل الدؤوب. ولهذه النظرية تفاصيل كثيرة وجوانب متعددة، لكنني فقط أشرت إلى فكرتها المحورية.

5- وبناء على قناعة عصام بالرأي القائل بأن عام 1981 يمكن أن يكون عام التغيير، بدأ يجتهد -هو وإخوانه الضباط الذين جندهم- في إخراج -كل ما يمكنهم إخراج- من أسلحة وعتاد من الجيش، وكنا نقوم بتخزين هذه الأسلحة. وأثناء نقل آخر كمية من هذه الأسلحة من عيادتي إلى المخزن المعد لذلك، وكانت عبارة عن حقيبة أوراق بها بعض الأسلحة مع كتب ونشرات عسكرية، ألقى القبض على حامل الحقيبة، لكنه استطاع الفرار وترك الحقيبة، وعن طريق بعض النشرات التي في الحقيبة، وبعض الخرائط الموضح عليها مواقع الدبابات في القاهرة، أمكن الوصول إلى مجموعة الضباط التابعين لعصام القمري، وأدرك عصام الخطر قبل وصولهم إليه، فهرب، لكن قبض على بعض الضباط من إخوانه.

وظل عصام هارباً من فبراير حتى أكتوبر عام 1981، حتى قبض عليه عقب اغتيال أنور السادات، وطوال هذه الفترة كان عصام صابراً كعادته، لا يشكو، ولا يتبرم، ولا يتذمر، ولا يلوم أحداً، بل يهون الأمر، ويشد من أزر إخوانه، ويقوي من عزيمتهم.

وأذكر في أحد المرات أن الظروف ضاقت به، فلم نجد له مكاناً إلا منزلي ريثما أعطي ممرض عيادتي إجازة، ثم نقلته لعيادتي، ولأننا زعمنا أن العيادة في إجازة فقد كان عليه ألا يوقد أي ضوء في الليل، ولا يحدث أية ضوضاء في النهار.

الفصل الثالث: عصام القمري- شهامة وشجاعة وشهادة
وكنت أزوره في الليل بحجة تفقد العيادة لأحضر له طعاماً،
وأطمئن عليه، فأجده صابراً راضياً لا يشتكي، ولا يتبرم.
ولم يتوقف عصام عن النشاط في فترة هربه، بل على
العكس، كان رغم المشاكل الجمّة -التي يواجهها، والضغط
العصبي والتوتر الذي يعيشه في كل دقيقة- لا يكف عن العمل
وبذل الجهد.

فقد استطلع العديد من الأهداف ومواقع القوات ومقار
الشرطة وأعد خططاً، وأجرى العديد من التجارب.
6- وعقب اغتيال أنور السادات طلب مني عصام أن أوصله
بالمجموعة التي نفذت الاغتيال، فقامت بتوصيله بعبود الزمر،
وفي هذه اللحظات الحرجة تدارس عصام القمري الموقف
مع عبود، وحاول أن ينقذ ما يمكن إنقاذه، لكن الوقت كان قد
فات.

فقد كان عصام يفكر في محاولة ضرب جنازة أنور
السادات بمن فيها من رؤساء أميركا وقادة إسرائيل، كما كان
يفكر في إمكانية الاستيلاء على بعض الدبابات وتحريكها
لضرب هدف حيوي أو الهجوم على جنازة السادات، لكن
الإمكانات المتاحة كانت أقل من طموحاته، وكان الوقت قد
فات.

وانتهت لقاءاتنا بعبود الزمر بنصيحتنا له؛ أن يحاول الخروج
من مصر في هذه المرحلة، ليواصل الهجوم في مرحلة أخرى،
لكن عبود اعتذر عن هذا الرأي، لأنه كان قد تعاهد مع إخوانه
على مواصلة المعركة، رغم أنه اعترف لي -في أثناء السجن-
أنه كان مقتنعاً برأينا، لكن عهده مع إخوانه ألزمه بعدم قبوله.
7- وشاء الله أن يقع عبود في الأسر، واكتشف المحققون
من تعذيب الإخوة أنه قد التقى بي وبعصام القمري، وكانت
المفاجأة ضخمة؛ أن الضابط الهارب منذ ثمانية أشهر قد ظهر
مرة أخرى على سطح الأحداث، وتكثيف المطاردات
والتعذيب تم القبض عليّ، ثم الهجوم على مخبأ عصام في
حي الجمالية بالقاهرة، حيث دارت معركة الجمالية المثيرة.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثاني: السادات مقتولاً ثم
مداناً

8- وهذه المعركة تحتل أهمية مهمة في تاريخ الحركة
الجهادية، لما أظهرت من حقائق خطيرة في المواجهة بين
المجاهدين وقوات الحكومة، ولما أظهرت من صدق نظرة
عصام وبعد نظره.
وهنا لا بد من وقفة لشرح بعض تفاصيل هذه المعركة:
أ- دارت هذه المعركة في منطقة منسقية ناصر في حي
الجمالية، وهي منطقة فقيرة تزدهم فيها بيوت الفقراء
المتلاصقة تفصل بينها الجوارى والأرقة الضيقة.
ب- وكان عصام مختبئاً في ورشة للخراطة -أنشأها أخونا
محمد عبد الرحيم الشرقاوي، لتكون إحدى قواعدنا- مع
إبراهيم سلامة ونبيل نعيم. وكانت هذه الورشة عبارة عن بيت
متواضع يتكون من ممر غير مسقوف على يساره غرفتان
وعن يمينه غرفتان، وفي بداية الممر باب حديدي.
وكانت الورشة تقع في زقاق ضيق، مسدود آخره، ويحيط
بها عدد من المنازل، العديد منها مكون من أكثر من طابق.
ج- ولما علمت وزارة الداخلية بأن عصام مختبئ في هذه
الورشة، حاصرت المنطقة كلها بالشرطة وقوات الأمن
المركزي، واستخدمت في الهجوم على الورشة أفضل قواتها،
وهي كتيبة مكافحة الإرهاب في الأمن المركزي، واستمرت
الكتيبة تحاصر الورشة لعدة ساعات نشرت خلالها أطواقها
حول الورشة، واحتلت أسطح المنازل المطلة وركزت عليها
مدافع الرشاشة. هذا بالإضافة لضباط مباحث أمن الدولة
الذين كانوا ينتظرون الأسرى، ثم قوات الشرطة العادية التي
أغلقت المنطقة بالكامل.

د- وقيب الفجر، بدأ النداء من مكبر الصوت على الإخوة
في الورشة، بأن الورشة محاصرة وعليهم أن يسلموا
أنفسهم، وعقب ذلك مباشرة بدأت مجموعة الاقحام وهي
تتكون من أفضل ضباط الأمن المركزي المرتدين للدروع
الواقية، في الهجوم على باب الورشة بإطلاق سيل لا ينقطع

الفصل الثالث: عصام القمري- شهامة وشجاعة وشهادة من الطلقات مع الصياح على الإخوة بالاستسلام، واستيقظ الإخوة على هذا الدوي المفزع.

لكن عصام ورفاقه كانوا مستعدين لهذا الاحتمال، لذا فقد ثبتوا سلكاً للكهرباء على بعد سنتيمترات من الباب الحديدي، وكان معهم رشاشان قصيران متهاالكان ومسدسان وعدد من القنابل اليدوية.

ولما اقتحمت مجموعة الاقتحام الباب الحديدي، صعقوا بالكهرباء، فارتدوا للخلف مصدومين مفزوعين، وحينئذ لم يمهلم عصام فعالجهم بقنبلة يدوية من فوق الباب سقطت في وسط مجموعة الاقتحام فسقطوا بين جريح وقتيل، وما أن سمع ضباط الكتيبة وجنودها -بعد ضوضاء الاقتحام- صراخ مجموعة الاقتحام حتى شلهم الرعب، ولف الليل سكون مطبق. وهنا قفز عصام وزميلاه فوق الورشة وبدأوا يمشون الأسقف المجاورة برصاص الرشاشين، اللذين ما لبثا أن توقفا عن العمل، لكن عصام ورفيقه لم يتوقفا، فأمطروا القوة بعشر قنابل انفجرت فيهم تسع، وانقطعت مقاومة القوة، وهنا أدرك عصام أن الكتيبة قد ضعفت، فخرج الإخوة من باب الورشة، فوجدوا في مواجهتهم جندياً شاهراً سلاحه، لكنه استدار -من الرعب- كاشفاً ظهره لهم، فأرداه الأخ نبيل نعيم -فك الله أسره- برصاصة في رأسه.

ثم أمرهم عصام بأن يكمنوا، وبنظروا إلقاءه لقنبلة يدوية، وأن ينطلقوا عدواً في اتجاه انفجارها، وانطلق الإخوة يعدون وسط أطواق الحصار، وكانهم يجرون وسط كتيبة من الموتى والأشباح.

وكان عصام ~ يكرر التأكيد لي في أثناء هروبه على أهمية القنابل اليدوية في قتال المدن وفك الحصار، وكنت أحياناً أعتبر أن كلامه فيه شيء من المبالغة، إلى أن جاءت الأحداث، فعلمت أنه رجل الحرب المجرب رحمه الله رحمة واسعة. واستمر الإخوة في العدو حتى وصلوا لتلال المقطم القريبة، ومن بعد جلسوا يراقبون الكتيبة المثخنة بالجراح، وهي تلملم جنودها لينسحبوا إلى

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثاني: السادات مقتولاً ثم
مداناً

سياراتهم. وهنا اقترح إبراهيم سلامة أن هذه أفضل فرصة للهجوم على
الكتيبة بما تبقى لدي الإخوة من ذخيرة، لكن عصام قرر الاكتفاء.

أبو سُجَاعِ أَبُو
السُّجْعَانِ قَاطِبَةً
هَوَلٌ تَمَتُّهُ مِن
الهِجَاءِ أَهْوَالٌ

...

كَأَنَّ تَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ
صَاحِبَتَهَا
وَلَا تُعَدُّكَ صَوَانًا
لِمُهْجَتِهَا
لَوْلَا الْمَيْبِقَةُ سَادَ
النَّاسُ كُلَّهُمْ
إِلَّا وَأَنْتَ عَلِيٌّ
الْمِفْضَالُ مِفْضَالٌ
إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا فِي
الرَّوْعِ بَدَالٌ
الْجَوْدُ يُفْقِرُ
وَالْإِقْدَامُ قَتَالٌ⁵¹

هـ- واستمر الإخوة في السير في تلال المقطم، وكان في
يد إبراهيم سلامة قبيلة يدوية، كان قد نزع فتيلها، ثم أعاده
مرة أخرى، لكن يبدو أنه قد اهتز من مكانه في أثناء العدو،
وتوقف الإخوة قليلا قرب إحدى المغارات. وأراد إبراهيم
سلامة أن يقضي حاجته، فاستدار ليووجه مدخل الغار، وظهر
عصام ونبيل على بعد أمتار قليلة منه، وهنا سقطت منه
القبيلة اليدوية، ويبدو أن الفتيل تزحزح بعد قليل من سقوطها،
وسمع الإخوة صوت انفجار الصاعق، وهنا انكب إبراهيم فوراً
فوق القبيلة، ليحمي أخويه منها، وتمزق سكون الليل بانفجار
القبيلة، الذي مزق أحشاء إبراهيم، التي استوعبت كل انفجار
القبيلة، فمزقته ~ إرباً.

لَمْ تُبْقِ مِنْهُ رَحَى الْوَقَائِعِ أَعْظَمًا تَبْلَى وَلَمْ تُبْقِ الرِّمَاحُ
دِمَاءً

كَرَّفَاتٍ نَسْرًا أَوْ بَقِيَّةٍ صَيِّعَمٍ بَاتَا وَرَاءَ السَّافِيَاتِ هَبَاءً⁵²
وكانت مفاجأة قدرية أخرى خارج أي توقع، فبعد أن يفر الإخوة سالمين
من قوات الأمن المركزي التي تفوقهم قرابة مائة مرة، يسقط إبراهيم على

⁵¹ أبو الطيب المتنبي في رثاء أبي شجاع فاتك. الموسوعة الشعرية- المتنبي.
⁵² أحمد شوقي في رثاء عمر المختار رحمه الله. الموسوعة الشعرية- أحمد شوقي.

الفصل الثالث: عصام القمري - شهامة وشجاعة وشهادة

موعد مع قدره، الذي لا يعلمه إلا علام الغيوب. ووقف عصام ونبل مشدوهين مدهولين من هول المفاجأة.

فيارب إن حانت وفاتي
فلا تكن
ولكن قبري بطنُ تسرٍ
مقيله
وأمسي شهيداً ثاوياً
في عصابة
عصائب أشتات يؤلف
بينهم
إذا فارقوا دنياهم
فارقوا الأذى

على شرّجٍ يُعلَى بخضِرِ
المطارفِ
بجو السماء في نُسور
عواكف
يصابون في فج من
الأرض خائف
تقى الله نزالون⁵³ عند
التزاحف
وصارو إلى ميعاد ما في
المصاحف⁵⁴

قال العلامة ابن القيم ~:

"إن عيدي كل عيدي الذي يذكرني وهو ملاق
قرنيه. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا
وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ".

ليس العجب من صحيح فارغ واقف مع الخدمة،
إنما العجب من ضعيف سقيم، تعتوره الأشغال،
وتختلف عليه الأحوال، وقلبه واقف في الخدمة،
غير متخلف بما يقدر عليه"⁵⁵.

وروى لي عصام ~ أن الشرطة اصطحبته ليدلهم على
جثة إبراهيم سلامة ~ ليدفنها، وأنهم توقفوا في معسكر
الأمن المركزي الذي انطلقت منه القوة التي حاصرته
وأخويه في الجمالية، والتف حوله ضباط الأمن المركزي
متعجبين مشدوهين من هذا المقاتل العنيد الذي قتل منهم
وجرح، وسأله أحدهم: لماذا تقتل منا وتجرح؟ فرد عليه

⁵³ والتَّراؤُ في الحرب: أن يتنازل الفريقان، وفي المحكم: أن ينزل الفريقان عن إبلهما
إلى جملهما فيتضاربوا. [لسان العرب ج: 11 ص: 657].

⁵⁴ الأبيات للطرماح بن حكيم. الأغاني- أخبار الطرماح ونسبه ج: 12 ص: 57، الأشباه
والنظائر ج: 1 ص: 353.

⁵⁵ الفوائد ج: 1 ص: 169.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثاني: السادات مقتولاً ثم
مداناً

عصام: وبأي دليل استحللت قتلي؟ وماذا تعلم عني حتى
تطبع أمر رؤسائك وتقاتلني؟ فسكت المخذول مفحماً.
وروى لي أيضاً ~ أنه كان معه -في البيت الذي هوجم
فيه- حافظة تركها، فيها أوراق هامة ومبلغ من المال ليس
بكبير، وأن هذه الحافظة لم يذكر له المحققون عنها أي
شيء، وأن أغلب ظنه أن أحد ضباط الشرطة قد وجدها،
وكتمها، لياخذ المال الذي فيها، وهي عادة متواترة عنهم في
سلب ونهب البيوت التي يفتشونها.

9- وبشاء القدر أن يقبض على عصام، وما أن ظفر به

ضباط مباحث أمن الدولة حتى بدأوا حملة شرسة من
التعذيب ضده، وكان كل همهم أن يعرفوا أكبر عدد من
الضباط المتصلين به، حتى يحققوا سبقاً على المخابرات
الحربية المنافسة لهم، وأخذ عصام يعطيهم أسماء كثيرة
لضباط خدموا معه في وحدات مختلفة، كما نسج لهم قصة
انقلاب وشيك من سلاح المدرعات، يشارك فيه كبار قادة
المدرعات. وطار وزير الداخلية (النوي إسماعيل) بهذه
الأخبار إلى رئيس الجمهورية، واعتقل عدد من كبار ضباط
سلاح المدرعات، وأمر رئيس الجمهورية بعقد مؤتمر يشارك
فيه قيادات أجهزة الأمن الرئيسية الثلاثة (مباحث أمن الدولة
والمخابرات الحربية والمخابرات العامة)، ويكون برئاسة مدير
المخابرات العامة اللواء نصار -الذي كان مديراً سابقاً
للمخابرات الحربية- للتحقيق مع عصام القمري.

وانعقد المؤتمر في إدارة مباحث أمن الدولة، وسأل اللواء
نصار عصاماً ~ عن حقيقة هذه المعلومات، فأجابه عصام بأن
هذه المعلومات قد أدلى بها ليدفع عن نفسه التعذيب، وأنه
كلما ذكر لضباط مباحث أمن الدولة اسم ضابط طالبه باسم
ضابط آخر ذي رتبة أعلى. وأن كل هذه الأسماء هي مجرد
أسماء لضباط من زملائه في الوحدات المختلفة، ويستطيع
اللواء نصار أن يتأكد من ذلك.

الفصل الثالث: عصام القمري- شهامة وشجاعة وشهادة

فأمر اللواء نصار فوراً بتسليم عصام للمخابرات الحربية، وكانت صفقة على قفا مباحث أمن الدولة.

ولم ينس ضباط مباحث أمن الدولة هذا لعصام ~، فكان المقدم محسن حفطي يسب الدين لعصام في التحقيق. ثم بناء على معلومات طرأت بعد ذلك أعيد عصام لسجن القلعة، حيث انتقم منه ضباط المباحث.

ومن الغرائب التي حكاها لي عصام القمري ~ عن هذه الفترة أن المقدم محسن حفطي استدعاه يوماً بعد انتهاء التحقيقات معه، ثم سأله عن رأيه فيه أمسلم هو أم كافر؟ وقال لي عصام ~ أنه تخوف من أن يكون هذا السؤال حيلة لمكيدة أو استدراجاً لشيء ما، فقال له: أنت أعلم بنفسك، فكرر عليه السؤال جاداً، فقال له عصام: لعلك تجهل الحكم الشرعي أو لا تفهم، فقال له محسن حفطي: أنا مطلع على كل الأدلة الشرعية، وأفهمها جيداً، فقال له عصام: إذن أنت كافر، لأنك باختيارك ضابط محارب للمسلمين في نظام مرتد، فقال له محسن حفطي: خيراً، وأمر بإعادته للزنازة. وقال لي عصام ~: أنه لم يفهم حتى الآن - بعد مرور أكثر من سنة على هذه الواقعة- لماذا سأله محسن حفطي هذا السؤال؟

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾، ويقول عز من قائل: ﴿قَدْ عَلِمَ إِنَّهُ لَيَخْرُجُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾، ويقول الحق سبحانه: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ {14} وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾.

10- وأدرجت النيابة اسم عصام في قرار الاتهام في قضية الجهاد، ولكن لم تحضره النيابة لقاعة المحكمة -تواطؤ مع المباحث- في أول جلسة، وأحضره هو ورفاعي طه من حبسهما -في سجن القلعة- في الجلسة الثانية.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثاني: السادات مقتولاً ثم
مداناً

وكشف عصام في المحكمة، هذه المكيدة، وأصر على
شرح ما يعانيه في سجن القلعة من عدوان ضباط المباحث
عليه.

وحاول القاضي أن يمرر الموضوع، لكن عصام أصر على
الاستمرار في الكلام، وهدد القاضي عصاماً بالطرد، ولم يأبه
عصام، ثم أمر بطرده فرفض عصام، وحاول ضباط الأمن
المركزي أن يقتربوا من عصام في حذر، لكنه نهرهم، فخافوا
وتراجعوا.

الأسدُ تَزَأُّ في الحَديدِ وَلَنْ تَرَى في السِجْنِ صِرْغاماً
بَكَى إِسْتِخْذاءً⁵⁶

وانفلت زمام الجلسة، وثار تائراً الإخوة المتهمين، وكنت
وقتها مسؤولاً من قبل الإخوة عن إدارة الجلسة، فطلبت من
الإخوة الصمت، ثم رفعت صوتي مهدداً بأنه إذا طرد عصام
بالقوة، وكانوا يضعونه في قفص وحده، بعيداً عن أقفاص بقية
الإخوة المتهمين، فلن تكون هناك محاكمة.

وتوتر جو القاعة، وأدرك القاضي أنه ينظر في قضية لا
سابق لها، وأنه قد ورط نفسه بالصدام مع المتهمين، وهنا
تدخل المحامون لإنقاذ الموقف، فتقدموا إلى القاضي
بالاعتذار وسط الصخب والضجيج، الذي حال دون سماع ما
يقولون. فالتقط القاضي الخيط، وقال: إن المحكمة قبلت
اعتذار المحامين، وقررت استمرار الجلسة⁵⁷.

⁵⁶ أحمد شوقي في رثاء عمر المختار رحمه الله. الموسوعة الشعرية- أحمد شوقي.
⁵⁷ يذكر منتصر الزيات في بداية كتابه (أيمن الطواهري كما عرفته) عن هذه الجلسة:
أنها كانت الجلسة الأولى في قضية الجهاد الكبرى، وأني كنت عائداً لتوي من سجن
القلعة، وأني تحدثت للصحفيين عن مأساة منتصر في سجن القلعة، وأنه قابلني بعد
ذلك في سجن ليمان طره، فشكرني على هذا الموقف. وللأسف فإن كل هذا لم
يحدث. فلم تكن الجلسة الأولى، بل كانت الثانية، ولم أكن عائداً من سجن القلعة،
ولكن حضرت للمحكمة من سجن ليمان طره، الذي أمضيت فيه قبل المحاكمة قرابة
سنة، ولم أتحدث للصحفيين عن منتصر، لأنني لم أكن أعلم أصلاً عن وجوده في سجن
القلعة، وهذه الكلمة بالذات سجلتها وكالات الأنباء، ولا زالت تتكرر في المواد الإعلامية
حتى الآن، ولم يرد فيها أي ذكر لمنتصر، ثم لم يقابلني في الليمان، بل لم أقابله في

الفصل الثالث: عصام القمري- شهامة وشجاعة وشهادة
11- وطوال فترة السجن، لم يكف عصام عن التعلم والتعليم والتدريس، وكان أهم ما يفكر فيه هو كيف يدبر نجاة الإخوة المنتظر أن يحكم عليهم بالإعدام.
و شاء الله سبحانه وتعالى أن أتشرف بمرافقته لأشهر عديدة في سجن ليمان طره في زنزانة واحدة، وكان طوال هذه الفترة لا يكف عن إعداد التصورات للمرحلة المقبلة، ووضع الحلول العملية وإجراء الأبحاث لكثير من المشاكل الواقعية.

و شاء القدر أن نفترق، فقد حكم عليّ بالسجن لمدة ثلاث سنوات، أمضيت أغلبها قبل صدور الحكم، وحكم عليه بعشر سنوات، استقبلها كالعادة بثباته وهدوئه الفريد، بل كان يثبتي ويشد من أزري ويقول لي: إني مشفق عليك مما ستحمله على كاهلك من عبء. ولم تكن هجرتي لباكستان إلا تنفيذاً للمراحل التي اتفقت عليها مع عصام ~ في السجن.

12- وبقي عصام في السجن لا يكف عن تدبير الخطط للهروب من السجن، وبعد عدة محاولات نجح أخيراً هو وخميس مسلم ومحمد الأسواني في إنجاز الهروب من سجن ليمان طره العتيد في 17 يوليو 1988. ولم يكن هروبا عاديا، فقد سبقه إعداد طويل ومعقد، توج بالهروب، الذي اتخذ أسلوب معركة اقتحام أسوار السجن، واختراق أطواق الحراسة من حوله، ثم عبور النيل إلى الضفة الأخرى. ودون الدخول في تفاصيل، فقد أسقط في يد وزارة الداخلية التي لم تتوقع أبداً مثل هذه الجراءة في عملية الهروب الصاخب، الذي بدأ ينزع قضبان نافذة الزنزانة، ثم أسر حراس العنبر، ثم اقتحام السور الذي يبلغ ارتفاعه قرابة أربعة أمتار بعد إلقاء القنابل الصوتية في اتجاهات متفرقة، ثم الاشتباك مع أحد حراس السور وانتزاع سلاحه منه، ثم الخروج

حياتي ولا مرة واحدة، ثم كيف يشكرني على شيء لم أفعله؟

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثاني: السادات مقتولاً ثم
مداناً

من منطقة سجون طره في منتصف الليل وسط الحراسات
المشددة.

وبعد هروب عصام القمري ورفيقه من السجن، عبروا
النيل إلى الضفة الغربية، ثم ساروا على أقدامهم وسط
المزارع حتى وصلوا إلى وسط الدلتا.

ونظراً لكثرة المشي، فقد بدأت أقدام خميس مسلم في
التشقق ثم التقيح، الذي أدى لإصابته بحمى ورعشة، وفي
محاولة لعلاج خميس، لجأ الإخوة إلى الأخ خالد بخيت، الذي
ترك لهم منزله بمنطقة مساكن إيديال بالشرابية.

وبشأن القدر أن تهاجم قوة من مباحث أمن الدولة منزل
خالد بخيت في فجر يوم 25 يوليو 1988 في حملة الاعتقالات
الموسعة، التي أعقبت هروب الإخوة الثلاثة.

وهنا تدور معركة أخرى من معارك الشجاعة والبسالة،
فبمجرد أن طرقت قائد القوة -وهو عقيد بمباحث أمن الدولة-
باب الشقة حتى انهارت عليه القنابل الصوتية، التي أعدها
الإخوة، ثم هجم عليه عصام القمري بسكين المطبخ، ففر
هارباً، وألقى مسدسه، كما ولى جنوده وضباطه الأدبار
مذعورين، فالتقط عصام مسدس قائد القوة، وسارع الإخوة
بالهرب من العمارة إلى الشارع، وأخذوا في العدو.

وعلى ناصية الشارع وقف عصام القمري مشتبكاً بالنيران
مع قوة الشرطة ليغطي انسحاب أخويه، فأصابته رصاصة في
بطنه سقط فوراً على إثرها، فجاءه أخواه، يحاولون أن
يحملاه، فنهاهما، وأعطاهما سلاحه، وأمرهما بمواصلة
الانسحاب، وفاضت روحه إلى بارئها.

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ
يَتَرَحَّمَا

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاجِدٍ
وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا⁵⁸

⁵⁸ الشعر لعبد بن الطبيب يرثي قيس بن عاصم. الموسوعة الشعرية- عبدة بن
الطبيب.

الفصل الثالث: عصام القمري- شهامة وشجاعة وشهادة
ويكفي للتدليل على مدى إيجاب الوزاره، تلك الواقعة التي
حكاها نبيل نعيم، حيث حدثني أنه قال لضابط المباحث بسجن
ليمان طره، عقب الحادث، بسخريته المعهودة: طبعاً
سينفونك إلى الصعيد الآن؟، فرد عليه الضابط بثقة: أبداً لن
يستطيعوا، إن عليهم أن يعطوني وساماً، لأنني قد حافظت
على عصام القمري طوال هذه السنوات في هذا السجن،
وفعلاً لم ينقل الضابط المذكور من وظيفته!
كان هذا بعضاً من سيرة هذا البطل، الذي لم يأخذ حقه في
الدينيا، والذي أشهد أن الحركة الإسلامية لم ترزأ في مثله في
الثلاثين سنة الأخيرة، وهذه شهادة رجل عايشه في أحلك
الظروف، وشاركه لأشهر عديدة زنزانه واحدة، وهي أيضاً
شهادة رجل تقلبت به الأحوال، ومرت عليه الأزمان، وتنقل
في أرض الله الواسعة، والتقى وتعامل مع الناس، وخبرهم
وعاينهم.

ومارست الرجال ومارسوني فمعوج علي ومستقيم⁵⁹
ومما شرفني -وأسأل الله أن يجعلني له أهلاً- ما أخبرني به
أخي سيد موسى⁶⁰ ~، أن عصام القمري أرسل إليهم من
السجن، وقال لهم: اذهبوا واعملوا مع أيمن الظواهري، فهو
الشخص الوحيد الذي أثق به.

⁵⁹ ديوان الحماسة- وقال قيس بن زهير يرثي حذيفة وحملابني بدر الفزاريين ج: 1 ص: 164.

⁶⁰ الأخ سيد موسى ~ كان رائداً في القوات الخاصة، وأخرج من الخدمة العسكرية، لأنه كان من مجموعة عصام القمري ~، وقد هاجر لباكستان مهاجراً ومجاهداً ومرابطاً، إلى أن توفي بسرطان الطحال، تقبل الله منه هجرته وجهاده، وألحقنا به على خير.

الفصل الرابع: طه البوتلي- أصالة من الصعيد

الفصل الرابع: طه البوتلي- أصالة من الصعيد

ولغت في الجرح
الذؤبان
كم هد قواك
الطغيان

دما لو مر ما كانت
فجر أحزانك يا
شعبي

طه البوتلي اسم لا يمحي من ذاكرتي. لا أزال أذكره بعفويته وبساطته ومرحه وضحكته الرنانة وخدمته للجميع ولهجته الصعيدية الأصيلة، ولكن كل هذا كان يخفي وراءه مأساة طه محمود حسين حسنين البوتلي من طما بمحافظة سوهاج.

قصة من ملايين القصص المؤلمة في مصر المتألمة، والتي هدها الظلم والعسف والتجبر على البسطاء والضعفاء. كان طه في منتصف الثلاثينيات لما دخل السجن، أما لماذا دخل السجن فهذه المأساة المضحكة المبكية من مآسي مصر، التي وصفها أبو الطيب المتنبي بقوله:
وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء
كان طه قد أنهى خدمته الإلزامية الطويلة في الجيش المصري، حيث خدم في القوات الخاصة في أثناء حرب الاستنزاف ثم حرب أكتوبر عام 1973، ثم عمل موظفًا

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

بالمجلس المحلي بطما، وانضم للحزب الوطني (حزب الحكومة) وكان أحد نشطاؤه، وكبقية الشباب التائه لم يكن يرى عيباً ولا عاراً في تعاطي الحشيش، ونظراً لما حباه به الله من قوة جسدية وبنيان رياضي، كان يدرّب رياضة الكاراتيه في أحد النوادي الرياضية، ومن هنا بدأت مأساته. وذلك لورود معلومات من مباحث أمن الدولة - بعد مقتل السادات- بأن أحد المشتبه في انتمائهم للجماعة الإسلامية طالب في كلية الهندسة وفي العشرينيات من عمره، ويدرب بعض الشباب على الكاراتيه في طما، وصدرت الأوامر لمركز الشرطة بالقبض على هذا المشتبه فيه.

ولم يجد مخبرو الشرطة مدرباً إلا طه البوتلي رغم الخلاف التام بين شخصيته وشخصية المشتبه فيه، فالمشتبه فيه طالب جامعي في العشرينيات وأعزب ولم يلتحق بالجيش ومنتم لجماعة إسلامية، وطه أنهى خدمته العسكرية، ولم يلتحق بالجامعة، وموظف حكومي ومتزوج وعضو في الحزب الوطني وغير ملتزم في سلوكه.

ورغم كل ذلك اعتقله مخبرو الشرطة، الذي كان يشاركه العديد منهم في تعاطي الحشيش، حتى لا يتهموا بالتقصير، وبدأت رحلة المتاعب لطه.

أخبروه أن المسألة بسيطة، وستحل في دقائق في مركز الشرطة، وفي مركز الشرطة أخبروه أن المسألة بسيطة، وستحل في مديرية الأمن في عاصمة المحافظة، وفي عاصمة المحافظة أخبروه أن الأمر بسيط، وسيحل في القاهرة، وبدأت رحلة طه البوتلي إلى العالم الآخر، الذي يسميه المصريون في دعاباتهم: وراء الشمس.

ولفقوا له محضر تحريات أن اسمه وإن كان طه محمود حسين حسنين البوتلي إلا أن له اسم شهرة رباعي، لا يمت لاسمه الأصلي بصلة، وهو اسم المشتبه فيه المطلوب.

الفصل الرابع: طه البوتلي- أصالة من الصعيد
وقد تبدو هذه دعابة سخيفة لمن يسمعها لأول مرة، ولكنها
في مصر -بلد العجائب- أمر عادي جداً، حيث لا يساوي
الإنسان إلا قيمة الحبر الذي يكتب به محضر التحريات. أما
حقوق الإنسان وحرماته فهي للباشوات والبكوات -الذين لا
يزالون يستخدمون هذه الألقاب حتى اليوم رغم إلغائها
رسمياً- ولكنها ليست للمخلوقات الأخرى التي يجمعها اسم
(الشعب المصري).

أذكر أنه في أثناء اعتقاله انفرادياً في سجن القلعة، أن
أحضروا طياراً في القوات المسلحة في الزنزانة التي أمامي،
لصلته بالشهيد -كما نحسبه- محمد عبد السلام فرج ~،
وأخبرني هذا الطيار أنهم في التحقيق معه قالوا له: هل تريد
أن تتعاون معنا؟ فنعاملك كالبشر (لأنه ضابط!)، أم تريد أن
نعاملك كبقية المخلوقات الأخرى التي في السجن!!

المهم. نعود لطله البوتلي. مر طه البوتلي بدورة التعذيب
كاملة، ولبنائه الجسماني القوي فقد زادوا له من الجرعة.
ورغم القبض على المشتبه فيه الأصلي، ورغم أن طه قابله
بعد ذلك في السجن، إلا أن الوصمة الأولى لمخبري الشرطة
في بلده بقيت ملتصقة به، وحول طه البوتلي لمحكمة أمن
الدولة العليا طوارئ، التي تنظر في أكبر قضية في تاريخ
القضاء المصري، بتهمة أنه من قيادات تنظيم الجهاد.

وفي السجن أفاق طه على حقيقة النظام وحقيقة الحزب
الوطني، بل وعلى حقيقة ما يجري في مصر. وكان مظهر طه
مختلفاً عن معظم المتهمين، فكان حليقاً ومدخناً، ولكنه كان
محبوباً من الجميع، لرجولته وأخلاقه، وحتى لا يؤذي أحداً
بتدخينه، فقد سكن في زنزانة وحده، إلا أن هذه الزنزانة كانت
مخزن العنبر ومنتدى الجميع، نظراً لكرم طه وأريحيته.

وحاولت المباحث -التي جلبت المصائب على طه- أنه
تجنده في السجن، على اعتبار أنه ليس من الجماعات
الإسلامية، ووعدوه، ومنوه، وطلبوا منه أن يطلق لحيته،
ويكف عن التدخين، ويحاول أن يتخلل المعتقلين، وينقل

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

أخبارهم لمباحث السجن، ولكن طه برجولته وشهامته،
واجههم بشجاعة، ورفض في إباء هذا المسلك، وحتى لا يتهم
من بقية إخوانه المساجين بالتحسس عليهم أبى أن يطلق
لحيته، أو يكف عن التدخين، هكذا صور له تفكيره البسيط.
وتعرفت على طه في السجن، وبدأت معرفتي به عن
قرب، حينما رحلت من عنبر التجربة في ليمان طرة إلى عنبر
التأديب أنا وناجح إبراهيم بتهمة التحريض على الإضراب في
عنبر التجربة، وحيث أن الزنازين كلها كانت ممتلئة، فلم تكن
هناك زنزانة فيها فراغ إلا زنزانة طه، فسكنا معه، وكان ذلك
في رمضان، وكانت الزنازين مغلقة عقوبة لنا، فكان طه عند
الإفطار يشعل لفافة تبغ، ويضع فمه على الفتحة الصغيرة في
باب الزنزانة، وينفث منها دخان اللفافة، حتى لا يؤدي
مشاعرنا.

ونمت بيني وبينه صداقة وأخوة، لما لمست فيه من رجولة
وصدق وكرم، وكانت زنزانتنا مجلس الشاي لكثير من إخوانه،
وكان يصفني بشيخ العرب، وكان يصارحني في أوقات صفائه،
بأن السجن جاء عقوبة قدرية له على سلوكه قبل السجن،
وأنه عاهد الله سبحانه على التوبة من كل ما سلف منه، وأنه
اكتشف حقيقة الحزب الوطني وحقيقة دجله ونفاقه، وندم
على انتمائه لأمثال هذه الأحزاب.

وفي أول جلسة للمحكمة تسلق طه البوتلي قضبان
القفس الأول للمتهمين التي تمتد للسقف، وصرخ في
القاضي: أنا المظلوم طه محمود حسين حسنين البوتلي، وقد
قاتلت في سيناء دفاعاً عن مصر، وأريد إطلاق سراحني، فلم
أرتكب أي جريمة.

وسمعت أحد الإخوة الذين لا يعرفونه، ينظر إليه مستغرباً،
ويقول لأخ آخر: لماذا يتصرف هذا الأخ هكذا؟ فأجابه الآخر
باسى: أتركه يفعل ما يريد.

الفصل الرابع: طه البوتلي- أصالة من الصعيد
ورغم خلو أوراق القضية من أي شيء يدين طه البوتلي إلا
ذلك المحضر السخيف، فلم يفرج عنه القاضي، وظل في
السجن ثلاث سنوات كاملة، بعيداً عن بلده بمئات
الكيلومترات.
وفي المحكمة طلب طه شهادة اثنين من أبناء عمومته،
فجاء للمحكمة مرتبكين وجلين، ليشهدا أعرب شهادة سمعت
بها، جاء ليشهدا أن هذا المائل أمامهما هو طه البوتلي وليس
له اسم شهرة بل ولا أي اسم آخر.. مضحكات مصر
المبكيات!!

وأفرج عن طه البوتلي، وبقيت بعده في السجن أقل من
شهر ثم أفرج عني، وفي أول زيارة لطفه للقاهرة بعد الإفراج
عني بفترة بسيطة، ذهب لسجن ليमान طرة، وعبر علاقاته
بالحراس طلب منهم توصيل السلام لإخوانه المعتقلين
وخاصة لي، فأخبره الرقباء على بوابة السجن أنني قد أفرج
عني، وفوجئت بأحد الرقباء يتصل بي بالهاتف من دكان مقابل
للسجن، ويخبرني أن طه البوتلي يريد أن يحادثني، وقال لي لا
بد أن ألقاك، وجاء لزيارتي في عيادتي. وكنت في هذه الفترة
مراقباً -كما ذكرت- مراقبتين: أحدهما علنية (المراقبة
الجبرية) وأخرى سرية، وسألته: ألا تخشى يا طه من مغبة
الاتصال بي؟ فقال لي بعفويته: يا عمي.. ضربوا الأعور على
عينه، قال: خرابانة خرابانة. وأعجبت بوفائه وشهامته، وقلت
له: يا طه أنا مراقب مراقبة جبرية ومحدد الحركة، فقال لي:
إن شاء الله ستنتهي هذه الشدة، وستسافر، ولكن إذا سافرت
فلا تنساني، وحاول أن تدبر لي عقد عمل في السعودية،
فأحوالي ضيقة.

ولم أستطع، ولم أُرِد أن أوفر له ذلك، والآن -بعد خمسة
وعشرين عاماً من هذا الطلب- أرجو من طه أن يسامحني،
وأن يدرك أنني لم ألب طلبه إلا حرصاً عليه، حتى لا تتجدد
مأساته.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

وأذكر أنه كان لطفه صديق آخر معتقل في سجن استقبال
طره، لا أذكر إلا أن اسمه عم أحمد، وكان تهمته الاتجار
بالسلاح، وكانا يلتقيان في جلسات المحكمة، وقد انسجما
فكلاهما صعيدي، وكلاهما لا ينتمي لجماعة إسلامية، وكان
ينتحيان جانباً في ممر خلف أقفاص المتهمين، حيث يتجادبان
أطراف الحديث.

وفي مرة بعد عودتنا من المحكمة قال لي طه: أتدري ماذا
قال لي عم أحمد اليوم؟ قلت له: ماذا قال لك؟ قال: لقد
فوجئت بعم أحمد أثناء جلوسه معه، وقد امتلأت عيناه
بالدموع، وقال لي: انظر لهذا الضابط الذي انتدب لحرس
المحكمة اليوم، لقد مزق جسدي بالسياط في التحقيق.
وفي أثناء اعتقال عم أحمد حدث اشتباك بالأيدي بين بعض
الإخوة وأحد الضباط الذين تعدى عليهم، وقررت إدارة سجن
استقبال طره، القيام بحملة عقاب (تكدير) لكل المعتقلين
في سجن استقبال طره، واستدعت مباحث السجن عم
أحمد، وقالوا له نحن الآن سنخضع هؤلاء المعتقلين من
الجماعات الإسلامية لحملة عقاب لمدة شهر، ونريد أن ننقلك
من هنا، لأنك لست منهم، فقال لضابط المباحث ببساطة
الصعيدي وذكائه وأخلاقه: إلى أين ستنقلونني؟ قال له
الضابط: لسجن مزرعة طره، قال له عم أحمد: يعنى
حانتقلني من سجن لسجن، إحنا يا بيه عيب عندنا اللي يفوت
ناسه اللي أكل معاهم عيش وملح.

وتحمل عم أحمد حملة التكدير والعقاب لمدة شهر، حتى لا
يفارق إخوانه في السجن في وقت شدتهم!!
هل يمكن للذين اكتسبهم تيار التفاهات والتراجعات
وحساب المكاسب والخسائر والتماشي مع العولمة الأمريكية
والتصالح مع أكابر المجرمين ومغازلة سفلة الجلادين، أن
يتعلموا من هذه القيم والشمائل شيئاً؟

الفصل الخامس: فتحي رضوان - عرفان في زمن الجحود

الفصل الخامس: فتحي رضوان - عرفان في زمن الجحود

إِذَا أَلْفَيْتَ حَرًّا ذَا وَفَاءٍ وَكَيْفَ بِهِ
قَدُونَكَ فَاغْتَنَّمُهُ⁶¹

الأستاذ فتحي رضوان ~ من قيادات الحزب الوطني الذي أنشأه مصطفى كامل رحمه الله، وهو حزب كان يرى الوطنية بمعنى الانتماء لدولة الإسلام أي الخلافة العثمانية، وخليفة مصطفى كامل هو محمد فريد ~ صاحب كتاب (تاريخ الدولة العلية العثمانية) الذي يقول فيه عن سقوط الدولة العباسية في بغداد:

"ومن ثم لم يكن للإسلام بعدها دولة عظيمة، تحمي بيضته، وتضم أشناته. بل ضاعت وحدته الملكية واستقل كل حاكم بما وكل إليه أمره من العمالات والأقاليم، واستمر الحال على هذا المنوال إلى أن قيض الله للإسلام تأسيس الدولة العلية العثمانية، فجمعت تحت رايتها أغلب البلاد الإسلامية، وفتحت كثيراً من الأقاليم، التي لم

⁶¹ البيت لأمية الداني. الموسوعة الشعرية - أمية الداني.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

يسبق تحليلها بحلية الدين الحنيف، وأعدت للإسلام

قوته، وأعلنت بين الأنام كلمته⁶²

ولذا كان الحزب الوطني دائماً قريباً من التيار الإسلامي.
وقد كان الأستاذ فتحي رضوان من معارضي أنور السادات،
واعتقله في حملة الاعتقالات التي قام بها في سبتمبر عام
1981م، وقال عنه بمبالغاته المثيرة للسخرية: الرجل الذي
ظل يخدمنا لمدة سبعين سنة!!

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يعتقل فيها الأستاذ
فتحي رضوان، ولكنه كان هذه المرة قد تخلى السبعين عاماً.
وأفرج حسني مبارك عن الأستاذ فتحي رضوان ضمن من
أفرج عنهم بعيد مقتل أنور السادات.

وتطوع الأستاذ فتحي رضوان ليرافع عني وعن الدكتور
صلاح ميهوب⁶³ في قضية الجهاد، وكان ثالث محام يترافع عني
بعد الأستاذين محفوظ عزام ومحمد عماد الدين السبكي.
وذلك نظراً لصلته الوثيقة بوكيلي وخالي الأستاذ محفوظ
عزام⁶⁴.

ولازلت أذكر حتى الآن مرافعته المتميزة. جاء الأستاذ
فتحي رضوان لقاعة المحكمة يوم المرافعة، وقد بدت عليه
آثار السنون، ونظرت إليه متعجباً كيف كان حاله بخطواته
البطيئة وعمره المتقدم مع مصاعب الاعتقال؟

⁶² تاريخ الدولة العلية العثمانية ج: 1 ص: 114.

⁶³ الدكتور صلاح ميهوب كان وقتها مدرساً للرياضيات بكلية العلوم بجامعة القاهرة.
وقد اتهمته النيابة بانتماؤه لتنظيم يرأسه الاستاذ عصام العطار؛ المرشد العام الأسبق
للإخوان المسلمين في سوريا، الذي أدرج اسمه أيضاً في قائمة المتهمين في قضية
الجهاد!!

⁶⁴ ادعى منتصر الزيات أنه موكل عني في بعض القضايا، ولم أؤكل عني أبداً - بعد
خروجه من السجن - سوى خالي الأستاذ محفوظ عزام، الذي يحمل توكيلاً عاماً مني.
وللأسف فإن منتصر الزيات لم يكن لي صديقاً، ولا زميلاً في السجن ولا خارجه، ولا
وكيلاً عني. ولم أناقشه بل لم أصادفه في حياتي مرة واحدة. وهذا يدعوني أن أتنبه
القراء الكرام؛ أن كثيراً يكتب عن العبد الفقير، أو يقال عنه، وليس من شأني أن أورد
على كل ما يقال؛ أو أن أجعل من نفسي قضية، وليكني أتنبه بل وأؤكد أن سكوتي عما
يقال لا بعد إقراراً له بحال، □ وأقوِّضُ أُمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ □.

الفصل الخامس: فتحي رضوان - عرفان في زمن الجحود
وما أن بدأ الأستاذ فتحي رضوان في الترافع حتى تحول إلى
خطيب متدفق مفوه، يذكر بالرعيّل الأول من خطباء مصر،
قبل أن تتدهور حالة اللغة العربية، كما تميز كمحام متمكن
ملم بتفاصيل القضية، يتدفق في الدفاع دون النظر لأوراق أو
مذكرات، اللهم فقط إلا للاستشهاد ببعض أقوالي.
وتحدث الأستاذ فتحي رضوان عن الشق الموضوعي في
القضية فأظهر بوضوح التناقضات والتخبط في الأدلة المقدمة
في ملف القضية، ثم انثنى للحديث عني، فقال إنه جاء للدفاع
عني متطوعاً، لأنه لا يترافع إلا في قضايا الرأي التي يؤمن
بعادتها، وأنه لا يعرفني شخصياً، ولكنه يعرف أحوالي من
عائلة عزام، وإن كان النسب لا يعلي من شأن المرء، ولكن
يعلي من شأنه عمله، إلا أن عائلة عزام هي إحدى عائلتين
يعتز بمعرفتهما في مصر، أما الأخرى فهي عائلة علوبة.
ثم تحدث عن التعذيب الذي وقع على المتهمين، فقال: أنا
لن أحدث المحكمة عن التعذيب الذي وقع على هؤلاء
الشباب، ولكني سأحدث عما وقع لي، وأنا شيخ قد تخطيت
السبعين، وحينئذ يمكن للمحكمة أن تدرك ما وقع بهؤلاء
الشباب. وذكر كيف أنه رغم شيخوخته ألقى في زنزانه وحده
دون طعام ولا ماء لمدة يوم كامل، وأنه شاهد على وفاة عبد
العظيم أبو العطا⁶⁵ في مستشفى السجن لحرمانه من الدواء.
ثم انتقل الأستاذ فتحي رضوان -رحمه الله- للحديث عن
الشق العام في المرافعة، فتحدث عن الأحوال السياسية في
المنطقة، ثم انفعّل، وصاح بصوت متهدج وقد أوْشك على
البكاء: لماذا تجري هذه الأحداث هنا وفي لبنان وفي إيران
وفي كل مكان؟ لأن المارد قد استيقظ. إنه الإسلام يتحرك.

⁶⁵ عبد العظيم أبو العطا كان أميناً عاماً لحزب مصر الذي أنشأه السادات، ثم اختلف
مع السادات، لما قرر السادات أن ينشأ حزياً آخر هو الحزب الوطني، وأهمل حزب
مصر، وأصبح من معارضي السادات.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثاني: السادات مقتولاً
ثم مداناً

وسارع القاضي ليهداً من روعه قائلاً: هل ترغب في
الاستراحة يا أستاذ فتحي؟ هل نحضر لك مقعداً؟ ولكنه
شكره، وأنهى المرافعة.

وتأثرت من هذه المرافعة من شخص لا يعرفني، يحمل كل
هذه المشاعر نحو الصحو الإسلامية الجهادية. فطلبت من
أهلي أن يرسلوا إليه بهدية معنوية، واخترت كتاب (الاتجاهات
الوطنية في الأدب العربي المعاصر) للدكتور محمد محمد
حسين رحمه الله⁶⁶.

وبعد أن من الله علي بالإفراج، ذهبت للأستاذ فتحي رضوان
-رحمه الله- في مكتبه لأشكره، فاستقبلني بكرم وحفاوة،
وقال لي: إنه يشكرني على هديتي التي أرسلتها له، وأنه يعتبر
أن مجرد شكري وامتناني له تقدير كبير له، وأنه هو في
الحقيقة المدين لنا بالشكر، فقد أعد السادات سجن
الاستقبال لمعارضيه، وكان ينوي أن يحبسهم فيه، ولا يخرجهم
منه، وأنكم أنتم (يقصد خالد الإسلامبولي ورفاقه -رحمهم
الله- والشباب المجاهد) الذين أخرجتمونا من السجن.
فتأثرت جداً من هذا العرفان من هذا السياسي المناضل المحنك، وقارنته
-بمزيد من الأسف- بقيادة حركات إسلامية أخرجهم خالد الإسلامبولي ورفاقه
الأبرار -رحمهم الله- من السجن، ثم زعموا أن قتل السادات جريمة، وأن
السادات قتل شهيداً. ثم أقرنه الآن بمن يتسول الإفراج من الحكومة بإظهار
تأسفه على قتل السادات.

أَدَلَّ الحَرَصُ أَعْنَاقَ

الرَّجَالِ

أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ

إِلَى زَوَالِ

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمَ

إِبْنَ عَمْرٍ

هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ

عَفْواً

فَمَا تَرْجُو بِشَيْءٍ

لَيْسَ يَبْقَى

⁶⁶ هذا المرجع القيم قرأته مبكراً ربما في المرحلة الثانوية، واستفدت منه، وكان
السبب في تعرفي عليه، أن أحد إخواننا عرض علينا قائمة بكتب كمنهج دراسي اختاره
الأستاذ الشهيد -كما نحسبه- سيد قطب -رحمه الله- للشباب، وكان من ضمنها هذا
الكتاب.

الباب الثالث العودة للميدان

⁶⁷ الشعر لأبي العتاهية مخاطباً سلماً الخاسر. الموسوعة الشعرية- أبو العتاهية، الأغاني- أخبار سلم الخاسر ونسبه ج: 19 ص: 283.

الفصل الأول: أفغانستان- الهجرة والإعداد

الفصل الأول: أفغانستان- الهجرة والإعداد

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا
قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ
بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

جوادك أيها	لك البشري
الرجل	ترجل عن
للميدان قد	فإن الإخوة
وصلوا	الغياب
للتاريخ قد	ومن
دخلوا ⁶⁸	بوابة
	الأفغان

⁶⁸ الأبيات من قصيدة بعنوان (الفارس المصلوب) للدكتور يوسف محيي الدين أبو هلاله في مدح الشيخ عبد الله عزام .~

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
1- بعد أن أنعم الله - سبحانه وتعالى- علي بالخروج من السجن -بقوته وقدرته وحده- كان أول ما فكرت فيه هو الخروج من مصر وتأسيس قاعدة للعمل الجهادي بعيداً عن تناول النظام، بناء على المراحل التي اشتركت مع عصام القمري ~ في رسمها.

وتأكد لي ضرورة ذلك، لما وضعتني الحكومة تحت مراقبتين: أحدهما علنية، وهي المراقبة الجبرية، تقوم بها الشرطة العادية، والأخري سرية، تقوم بها مباحث أمن الدولة. وكان معنى ذلك واضحاً جداً بالنسبة لي؛ أنني على رأس قائمة الاعتقال في كل حملة اعتقالات. وهذه المراقبة هي وسيلتهم لضمان القبض علي فور صدور قرار الاعتقال. وكان الرضوخ لذلك النظام معناه إما أن أهجّر العمل الجهادي تماماً، حتى يتأكد النظام من مراقبته وتحقيقاته أنني قد رجعت عن الجهاد وتوليت عنه، وإما أن يُهدم كل ما أبنيه وإخواني مع كل حملة اعتقالات، قد تتلوها محاكمات ثم أحكام بالسجن.. إلى آخر القصة المعروفة.

أما إذا أبيت الرضوخ لذلك النظام وقررت مواصلة العمل الجهادي فكان أمامي واحد من أمرين: الأول أن أختفي، وأعيش تحت الأرض، وكان هذا التصرف سيثير أجهزة الأمن إثارة شديدة، ويستفزها لشن حملة بحث واسعة، قد تمتد لاعتقال كل من على صلة بي، وتعذيبهم إن استدعى الأمر، حتى يصلوا إلي ليعتقلوني، حتى ولو لم أفعل أي شيء. ناهيك عن عدم توفر وسائل هذا الاختفاء وأنا ما زلت حديث عهد بحرية. وكان الأمر الثاني وهو الحل المنطقي، وهو سنة الأنبياء والمرسلين والصالحين؛ الهجرة في سبيل الله.

لحى الله مجهود
الفؤاد من الأذى
فما أحررَ الأمالَ مثلُ
مُهَاجِرٍ
إذا هو لم يستخلص
العزمَ شافياً
إليها وفات النَّجْحُ من
بَاتِ ثَاوِباً⁶⁹

2- وعزمت على التوجه لباكستان لخبرتي السابقة بها، ولم أستطع مغادرة مصر إلا بعد قرابة ستة أشهر، بعد أن يسر الله

⁶⁹ الشعر للحيص بيص. الموسوعة الشعرية - الحيص بيص.

الفصل الأول: أفغانستان- الهجرة والإعداد

لي الإفلات من الحصار الذي ضربته المباحث حولي لمنعي من السفر، وتوجهت لجدة، حيث اضطررت للبقاء فيها سنة، ريثما أرتب بعض الأوضاع الخاصة بالعمل، ومنها توجهت لباكستان.

3- بدأت صلتي بأفغانستان صيف عام 1980 بترتيب قدرتي، حينما كنت أعمل بصفة مؤقتة مكان أحد زملائي في مستوصف السيدة زينب التابع للجمعية الطبية الإسلامية، وهي أحد أنشطة الإخوان المسلمين. ففي إحدى الليالي كلمني مدير المستوصف -وهو من الإخوان المسلمين- عن رأيي في السفر لباكستان للعمل في المساعدة الجراحية للمهاجرين الأفغان، فوافقت على الفور، إذ وجدت في هذا العرض فرصة ذهبية للتعرف على ميدان من ميادين الجهاد، التي يمكن أن تكون رافداً وقاعدة للجهاد في مصر والعالم العربي؛ قلب العالم الإسلامي، حيث تدور معركة الإسلام الأساسية.

4- وكانت مشكلة إيجاد قاعدة آمنة للعمل الجهادي في مصر تشغلني كثيراً، بالنظر إلى الملاحظات الأمنية التي تتعرض لها الحركة الإسلامية، وطبيعة مصر الجغرافية التي يسهل التحكم فيها، حيث يجري نهر النيل بواديه الضيق بين صحرائين ممتدتين لا زرع فيهما ولا ماء، تلك الطبيعة التي جعلت نشوء حرب عصابات في مصر أمراً غير ممكن، وبالتالي فرضت على سكان هذا الوادي الرضوخ للسلطة المركزية، التي فرضت عليهم نظاماً صارماً بدءاً من تنظيم الري إلى السخرة والتجنيد الإجباري.

وكان المتنفس هو الانفجارات المتباعدة، كالبركان الخامد الذي لا يدري أحد متى سيقذف بحممه، أو كالزلازل الذي لا يعلم أحد متى ترتجف الأرض -بما عليها- من ضربته، لذا لم يكن غريباً أن يكون تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة في مصر هو تاريخ حملات القمع المتعاقبة منذ الأربعينيات حتى اليوم.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
لذلك جاءت هذه الدعوة -للمشاركة في العمل الطبي
للمهاجرين الأفغان- على قدر، ووافقت مني رغبة جادة في
التعرف على الميادين المناسبة لإقامة قاعدة آمنة لاستمرار
العمل الجهادي في مصر، وخاصة في عهد أنور السادات
حينما ظهرت ملامح الحملة الصليبية الجديدة واضحة لكل ذي
رأي، بادية لكل مهتم بشؤون أمته.

5- وبالفعل سافرت إلى مدينة بشاور الباكستانية بصحبة
زميل متخصص في التخدير، ثم ما لبث أن لحق بنا زميل آخر
متخصص في جراحة التجميل، وكنا نحن الثلاثة أول عرب
يصلون للعمل الإغاثي للمهاجرين الأفغان.

وكان قد سبقنا إلى بشاور الأستاذ كمال السناني ~
وكانت بصماته تسبقنا حيث نذهب، فالمستشفى الذي بدأنا
العمل فيه كان هو الرائد في إنشائه، وقادة المجاهدين الذين
قابلناهم كانوا يحدثوننا عن مساعدته لهم وعن مجهوده في
التوحيد بينهم. وكمال السناني رغم أنني لم التق به، إلا أن
أعماله وأنشطته كانت تدل على بذله وعطائه في سبيل الله.

6- ولذلك لم يكن غريباً أن يقتل كمال السناني في حملة
الاعتقالات التي بدأت بقرارات التحفظ في سبتمبر عام
1981. حيث قتل في سجن استقبال طره تحت التعذيب،
الذي كان يمارسه عليه حسن أبو باشا -مدير إدارة مباحث
أمن الدولة ثم وزير الداخلية- بنفسه. وقصة قتل كمال
السناني ~ لا بد لها من وقفة.

اعتقل كمال السناني ~ في سبتمبر عام 1981، وبعد
اغتيال أنور السادات -في أكتوبر عام 1981- أدرك النظام أن
أجهزة مباحث أمن الدولة والمخابرات الحربية والمخابرات
العامة كانت آخر من يعلم عما يدور داخل مصر من غضب
مكتوم.

بل بلغ الأمر بجهل مباحث أمن الدولة بما يدور في مصر
أنها طمأنت السادات بأن حملتها -لاعتقال المعارضين في

الفصل الأول: أفغانستان- الهجرة والإعداد
سبتمبر عام 1981- قد أمنت البلد لصالحه من المعارضة
السياسية عامة والإسلامية خاصة.

لذا سارعت المباحث إلى بدء تحقيق جديد مع الإخوان
المسلمين، رغم قناعتها السابقة أنهم مسالمون، وركز
التحقيق على مجموعة من الصف الثاني والثالث، وكان من
أهمهم الأستاذ كمال السنائيري ~ لعدة اعتبارات، منها أن
المرشد عمر التلمساني كان كهلاً لا يحتمل التعذيب بالإضافة
لوضعه المعنوي كمرشد عام للإخوان المسلمين، الأمر الذي
قد يورط النظام في مشاكل، كما أن النظام كان يعلم أن
مفاتيح الأمور وتفاصيل أنشطة الإخوان لم تكن بيد عمر
التلمساني، ومنها النشاط الكبير الذي كان يقوم به كمال
السنائيري في تحقيق الاتصال بين الإخوان في مصر والتنظيم
الدولي في الخارج، ورحلاته المتكررة في هذا الصدد، ومنها
تنبه لقضية أفغانستان وريادته في دعم الجهاد الأفغاني
والاتصال بقادته، ومنها موقع كمال السنائيري داخل تنظيم
الإخوان المسلمين.

ومن الجدير بالذكر أن تركيبة الإخوان المسلمين تركيبة
عجيبة، فالقيادة الظاهرة كان يمثلها المرشد العام (عمر
التلمساني) أمام الناس والنظام، أما القيادة الحقيقية فقد
كانت في يد مجموعة النظام الخاص من أمثال مصطفى
مشهور والدكتور أحمد الملط والأستاذ كمال السنائيري
رحمهم الله. ومن هنا اقتنعت مباحث أمن الدولة أن الإخوان
المسلمين لو كان لهم تنظيم سري فسيكون سره عند الأستاذ
كمال السنائيري ~.

وبدأ التحقيق مع كمال السنائيري وحشياً، وحكى لي
الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح -وكان زميلاً لي في كلية طب
القاهرة- أثناء حديث بيننا عبر نافذتي زنانتينا في معتقل
القلعة، كيف أن كمال السنائيري أخذ من بين إخوانه -ومنهم
عبد المنعم أبو الفتوح- من إحدى الزنازين في سجن استقبال
طره، وكان يرتدي جلباباً وعباءة، ثم لم يره عبد المنعم أبو

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
الفتوح بعد ذلك إلا في مبنى المدعي العام الاشتراكي، حيث
كان جسمه متورماً، وتبدو عليه آثار التعذيب الشديد، وقال
لهم إنه يتعرض لتعذيب لم يتعرض له إبان عهد عبد الناصر، ثم
ذكر هذا التعذيب للمحقق التابع للمدعي العام الاشتراكي.
وبعد ذلك بفترة أخبر أحد الرقباء في السجن عبد المنعم
أبو الفتوح: أن أحد إخوانهم قد قتل اليوم من التعذيب، وتبين
له بعد ذلك أنه كمال السنائيري.

كما حكى لي الأستاذ حامد العدوي⁷⁰ -وكان موجوداً أثناء
تعذيب الأستاذ كمال السنائيري ~ في آخر ليلة من عمره- أن
حسن أبو باشا كان يعذب السنائيري ~ تعذيباً شديداً، ويسأله
بالحاح من هو المرشد السري؟ وكان السنائيري يجيب بصوت
شديد الإنهاك: ليس هناك مرشد سري.

كما أن الأخ طلعت فؤاد قاسم⁷¹ -وكان يشغل الزنزانة
المجاورة للسنائيري- في سجن استقبال طرة، أخبرني أنه
سمع ضجة ذات ليلة، فتسلق باب الزنزانة لينظر من الفتحة
التي أعلاه، فرأى مأمور سجن استقبال طره العقيد محسن
السرساوي، وهو يقول في هلع: أين زنزانة الشهيد؟ ففتحوا
زنزانة كمال السنائيري المجاورة لزنزانة طلعت فؤاد،
و أدخلوا فيها جثة. وهذه الرواية تدل على أن السنائيري ~ قد
قتل خارج زنزانتة، وليس فيها كما تدعي رواية وزارة الداخلية.
وأعلنت وزارة الداخلية أنه انتحر بشنق نفسه في ماسورة
تصريف حوض المياه في زنزانتة الانفرادية بواسطة حبل
(الروب)!! الذي كان يرتديه، بعد أن كتب على جدار الزنزانة:
"قتلت نفسي لأحمي إخواني".

والعجيب أن الإخوان المسلمين -رغم يقينهم بكل تلك
الحقائق المعروفة- لم يتحركوا للقصاص لدم السنائيري -ولا
أظنهم سيتحركون- رغم علمهم التام بتفاصيل قتله، ولو حتى

⁷⁰ حامد العدوي كان من الناشطين الإسلاميين في العمل الدعوي بكلية الزراعة
بجامعة القاهرة، وبعد تخرجه شملته اعتقالات المباحث بعد مقتل أنور السادات، وكان
حسن أبو باشا يتولى التحقيق معه وتعذيبه.

⁷¹ طلعت فؤاد قاسم اختطفته أميركا من كرواتيا، وسلمته إلى مصر عام 1995.

الفصل الأول: أفغانستان- الهجرة والإعداد

برفع دعوى قضائية ضد المسؤولين عن قتله، وهم معروفون، وإثبات الواقعة عليهم سهل، فقد دخل كمال السنابيري السجن على قدميه وخرج جثة هامدة، فمأمور السجن ومصلحة السجن ووزارة الداخلية مسؤولون عما حدث، والصفة التشريحية للجثة ستدحض بجلاء أي قصة كاذبة، كتلك التي اختلقها وزارة الداخلية. أسأل الله أن يعيننا على الأخذ بثأره وثأر كل شهداء المسلمين من الأمريكان واليهود وحلفائهم وعملائهم.

7- وباحتكاكي بساحة الجهاد الأفغاني تبين لي منذ عام 1980 مدى ثراء هذه الساحة ومدى النفع الذي يمكن أن تقدمه للأمة المسلمة عامة وللحركة الجهادية خاصة، وأدركت ضرورة الاستفادة من هذه الساحة، ولذا بعد أن مكثت فيها -أول مرة- قرابة أربعة أشهر عدت مرة أخرى في مارس عام 1981، ومكثت قرابة شهرين، اضطررت بعدها إلى العودة لمصر نظراً للظروف الضاغطة هناك.

ثم شاء الله سبحانه -وهو المحمود على السراء والضراء- أن أمكث في السجن بمصر ثلاث سنوات، انتهت أواخر عام 1984، ولكن نظراً لظروف خاصة بترتيب أوضاعي لم أتمكن من العودة إلى ساحة الجهاد الأفغاني إلا منتصف عام 1986.

وخلال احتكاكي وتعاملي مع العاملين في هذه الساحة اتضحت لي حقائق في غاية الخطورة لا بد من تسجيلها: أ- إن الحركة الجهادية في حاجة إلى ساحة جهادية، تكون لها بمثابة المحضن الذي تنمو فيه البذرة النابتة، وتكتسب فيها خبراتها العملية والقتالية والسياسية والتنظيمية. وكان الاخ الشهيد -كما نحسبه- أبو عبيدة البنشيري ~

يقول:

"لقد زاد عمري في أفغانستان مائة عام".

ب- خاض الشباب المسلم في أفغانستان معركة تحرير الأرض المسلمة تحت شعارات إسلامية خالصة، وهو أمر في غاية الخطورة، إذ أن كثيراً من معارك التحرير التي جرت على

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان أرض عالمنا الإسلامي اختلطت فيها شعارات القومية الوطنية بالإسلام بل وأحياناً بشعارات اليسار والشيوعية. مما أحدث لدى الشباب المسلم انفصاماً بين عقيدته الجهادية الإسلامية -التي يجب أن تقوم على أساس اخلاص الدين لله- وبين تطبيقها الواقعي.

وقضية فلسطين خير مثال على ذلك حيث اختلطت فيها الشعارات والعقائد تحت شعار التحالف مع الشيطان من أجل تحرير فلسطين، فتحالفوا مع الشيطان ولم يحرروا فلسطين، بل باعوا معظمها لإسرائيل.

ج- الأمر الآخر الهام هو أن هذه المعارك التي تعلوها رايات غير إسلامية أو رايات مختلطة قد أضاعت الحدود الفاصلة بين الأولياء والأعداء في منظور الشباب المسلم، فأصبح العدو مشكوكاً فيه، أهو العدو الخارجي الذي يحتل أرض المسلمين؟ أم هو العدو الداخلي الذي يمنع الحكم بالإسلام؟ ويبطش بالمسلمين، وينشر الفجور والانحلال تحت شعارات التقدم والحرية والقومية والتحرير، سائقاً الأوطان إلى هاوية الدمار الداخلي والاستسلام للعدو الخارجي. كما هو حال معظم بلادنا في ظل النظام العالمي الجديد.

د- أما في أفغانستان فقد كانت الصورة واضحة جداً: شعب مسلم يجاهد تحت راية الإسلام، وعدو خارجي معتد كافر يسانده نظام داخلي مرتد فاسد.

لذا كان انطباق النظرية على الواقع واضحاً وجلياً. وهذا الوضوح أفاد أيضاً في دحض شبهات كثير من المتصدرين للعمل الإسلامي الهارين من ساحة الجهاد بحجة غياب الساحة، التي يتميز فيها المسلمون عن أعدائهم. هـ- كما كانت ساحة أفغانستان -وخاصة بعد انسحاب الروس- نموذجاً عملياً على جهاد الحكام العملاء المتحالفين مع أعداء الإسلام الخارجيين، فقد كان نجيب الله في أفغانستان أحد النماذج المتكررة لحكام البلدان الإسلامية، فهو يصلي ويصوم ويحج، وفي نفس الوقت يمنع الحكم

الفصل الأول: أفغانستان- الهجرة والإعداد
بالإسلام، ويتحالف مع أعداء الإسلام، ويدخلهم لبلاده، ويبطش
بالمسلمين المجاهدين. فإذا كان جهاد نجيب ونظامه متعيناً،
فجهاد كل من على شاكلته متعين كذلك.
و- كما كانت أهمية معارك الجهاد في أفغانستان أنها
حطمت وهم (القوة العظمى) في أذهان الشباب المسلم
المجاهد، فالاتحاد السوفياتي -وهو القوة العظمى صاحبة أكبر
قوة برية في العالم- تحطم، وفرت فلوله هاربة من
أفغانستان أمام أعين الشباب المسلم وبمشاركته.
فكان ذلك الجهاد دورة تدريبية في غاية الخطورة لإعداد
الشباب المسلم المجاهد لخوض معركته المنتظرة مع القوة
العظمى التي تفردت بزعامة العالم الآن؛ أمريكا.
ز- كما وفرت مشاركة الشباب المسلم المجاهد -من
العرب والباكستانيين والأتراك ومسلمي وسط آسيا وشرقها
وغيرهم- فرصة كبيرة لتعارف الشباب المسلم من مختلف
أرجاء العالم الإسلامي في ساحة الجهاد الأفغاني وعبر زمالة
السلاح الموجه ضد أعداء الإسلام.
وهكذا تعارف الشباب المجاهد والحركات الجهادية مع
بعضهم البعض تعارفاً وثيقاً، وتبادلوا الخبرات، وتفهموا
مشاكل بعضهم.
ح- لقد كانت خطورة وجود الشباب المسلم -وخاصة
العربي- في ساحة الجهاد الأفغاني هي في تحويل قضية
أفغانستان من قضية إقليمية محلية إلى قضية إسلامية عالمية
تشارك فيها الأمة كلها.
ط- وكانت أهمية المجاهدين من غير الأفغان أنهم شكلوا
ظاهرة كانت مفتقدة لزمان طويل في واقع الأمة المسلمة،
فهؤلاء الشباب أحيوا فريضة -طالما حرمت منها الأمة-
بالقتال في أفغانستان وكشمير والبوسنة والشيشان.
ي- وفي معسكرات التدريب وجهات القتال ضد الروس
تكون لدى الشباب المسلم وعي واسع وإدراك أعمق

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
بالمؤامرة المحاكاة ضد الإسلام، وفهم شرعي تجاه أعداء
الإسلام الخارجيين وعملائهم الداخليين.

8- وإذا كانت أميركا قد دعمت باكستان وفصائل

المجاهدين بالأموال والعتاد، فإن علاقة الشباب

العربي المجاهد بأميركا كانت على النقيض تماماً.

بل إن وجود هؤلاء الشباب ونموهم وازدياد عددهم مثل
إخفاقاً للسياسة الأميركية ودليلاً متجدداً على الغباء
السياسي الأميركي الشهير. لقد كان تمويل نشاط المجاهدين
العرب في أفغانستان **يأتي عبر الدعم الشعبي**
الإسلامي لأفغانستان، وكان دعماً لا يستهان به.

ولم يتكفل المجاهدون العرب بتمويل أنفسهم من ذلك
الدعم فقط، بل حملوا أيضاً تبرعات المسلمين إلى
المجاهدين والمهاجرين الأفغان.

وقد أخبرني الشيخ أسامة بن لادن -حفظه الله- بأنه يقدر
الدعم الشعبي العربي للمجاهدين الأفغان -الذي نما إلى
علمه- في الجانب العسكري فقط **بمائتي مليون دولار**
على مدى عشر سنوات. فما بالك بالدعم الشعبي في

المجالات غير العسكرية مثل الجانب الطبي والصحي
والتعليمي والحرفي والغذائي والاجتماعي (مثل كفالات الأيتام
والأرامل والمعوقين)، ناهيك عن التبرعات التي كانت تأتي
في المواسم مثل العيدين ورمضان.. الخ.

وعبر هذا الدعم الشعبي غير الرسمي أقام المجاهدون
العرب مراكز التدريب والدعوة، وانشأوا الجبهات التي دربت
وأعدت وجهزت الآلاف من المجاهدين العرب، ووفروا لهم
الإعاشة والسكن والسفر والتنظيم.

وقد حاولت أميركا وأبواقها والمعادين للحركات الإسلامية
أن يبيعوا وهم صناعة أميركا للمجاهدين في أفغانستان، حتى
يقولوا لجماهير الأمة المسلمة إن هؤلاء وإن كانوا اليوم أعداء
لأميركا فقد كانوا عملاء لها من قبل، فلا تثقوا بهم.

الفصل الأول: أفغانستان- الهجرة والإعداد
وبحرص الإعلام العربي والغربي على تشويه صورة
المجاهدين من غير الأفغان بتصويرهم في صورة أنصاف
المجانين المهووسين، الذين تمردوا على أميركا التي دربتهم
ومولتهم من قبل. وزاد ترديد هذه الفرية بعد العودة الثانية
للأفغان العرب إلى أفغانستان في النصف الثاني من
التسعينيات، وخاصة بعد تفجير سفارتي الولايات المتحدة في
نيروبي ودار السلام.

والهدف من حملة التشويه هذه واضح وجلي، وهو أن
تحاول أميركا حرمان الامة المسلمة من شرف البطولة،
وكانها تقول للمسلمين: إن من تعدونهم أبطالاً هم في
الحقيقة صنيعتي ومرتقتي، تمردوا علي عندما أوقفت
دعمهم.

وحاولت أميركا بيع هذا الوهم حتى تهون من مرارة هزيمتها
على يد المجاهدين العرب، التي بلغت ذروتها بغزوتي نيويورك
وواشنطن، كمثل رجل تلقى ضربة على رأسه أفقدته توازنه،
فاستدار للحاضرين وقال لهم: على كل حال هذا الذي ضربني
تلميذي، وأنا الذي دربته. حتى ينسب لنفسه شيئاً من الفخر،
حتى ولو كان هو المصروب. وهو منطلق دعائي ساذج،
يتناسب مع عقلية السينما الأمريكية التي أخرجت أفلام رعاة
البقر ورامبو وغيرها من خرافات آلة الدعاية الأمريكية.
وأشهد الله أن أميركا لم تدفع للمجاهدين العرب دولاراً
واحداً، ولا أمدتهم برصاصة واحدة، ولا دربت منهم أحداً،
وأتحدى أميركا أن تثبت شيئاً من ذلك.

وما تشدق به البعض من أن السعودية كانت تمنح تذاكر
مخفضة للمسافرين لأفغانستان، فهذه التذاكر لم تكن من
أميركا، ولكنها كانت من أموال **التبرعات الشعبية**
لأفغانستان، التي سيطرت عليها الحكومة السعودية عبر
هيئة الإغاثة الإسلامية والهلال الأحمر السعودي والهيئة
الخيرية التابعة لسلمان بن عبد العزيز.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان وأعود وأؤكد أن المجاهدين العرب هم الذين حملوا جزءاً كبيراً من الدعم الشعبي لإخوانهم الأفغان. وعن هذه الكذبة يقول الشيخ أسامة بن لادن في حديثه مع قناة الجزيرة:

"سؤال: ذكر في وسائل الإعلام العالمية عن دعم أمريكا للجهاد الأفغاني ضد الاتحاد السوفيتي الذي شاركتكم أنتم في هذا الجهاد بنفسكم ومالكم وكما ذكر أيضاً في وسائل الإعلام العالمية أنكم كنتم على صلة أو أن الاستخبارات الأمريكية كانت هي التي تمول نشاطكم وتدعمكم في هذا الجهاد ما هي حقيقة هذه الادعاءات وما صحة الصلة بينكم وبين أمريكا في ذلك الوقت؟ أسامة:

"هذه محاولة للتشويه من الأمريكان. الحمد لله الذي رد كيدهم إلى الوساوس، وكل مسلم منذ أن يعي التمييز وفي قلبه بغض الأمريكان، وبغض اليهود والنصارى هو جزء من عقيدتنا وجزء من ديننا، ومنذ أن وعيت على نفسي وأنا في حرب وفي عداة وبغض وكره للأمريكان، وما حصل هذا الذي يقولونه قط. أما أنهم دعموا الجهاد أو دعموا القتال فهذا الدعم عندما تبين لنا، في الحقيقة هو دعم من دول عربية وخاصة الدول الخليجية لباكستان حتى تدعم الجهاد وهو لم يكن لوجه الله سبحانه وتعالى وإنما كان خوفاً على عروشهم من الزحف الروسي، وأمريكا في ذلك الوقت كان كارتر لم يستطع أن يتكلم بكلمة ذات شأن إلا بعد مرور بضع وعشرين يوماً في عام 1399 هجرية الموافق من عشرين يناير 1980 قال إن أي تدخل من روسيا إلى منطقة الخليج فإن أمريكا سوف تعتبره اعتداءً عليها، لأنه محتل لهذه المنطقة محتل

الفصل الأول: أفغانستان- الهجرة والإعداد
للبترول فقال نحن نستخدم القوة العسكرية إذا
حصل هذا التدخل، فالأمريكان يكذبون، إذا زعموا
أنهم تعاونوا معنا في يوم من الأيام ونحن نتحداهم
ليبرزوا أي دليل، وإنما هم كانوا عالية علينا وعلى
المجاهدين في أفغانستان، ولم يكن أي اتفاق،
وإنما كنا نحن نقوم بالواجب لنصرة الإسلام في
أفغانستان وإن كان هذا الواجب يتقاطع بغير رضانا
مع مصلحة أمريكية. عندما قاتل المسلمون الروم،
ومعلوم أن القتال كان شديداً بين الروم والفرس
وكان دائماً، ولا يمكن لعاقل أن يقول إن المسلمين
عندما بدأوا بالروم في غزوة مؤتة كانوا هم عملاء
للفرس، وإنما تقاطعت المصلحة، يعني قتلك الروم
وهو واجب عليك كان يفرح الفرس، لكن بعد أن هم
أنهوا الروم بعد عدة غزوات بدأوا بالفرس، فتقاطع
المصالح لا يعني العمالة، بل نحن نعاديهم من تلك
الأيام ولنا محاضرات بفضل الله سبحانه وتعالى
منذ تلك الأيام في الحجاز ونجد بوجود مقاطعة
البضائع الأمريكية وبوجود ضرب القوات الأمريكية
وبوجود ضرب الاقتصاد الأمريكي منذ أكثر من 12
سنة".

9- وهذه الفرية تحمل في طياتها التناقض، فإذا كان
المجاهدون من غير الأفغان من صنيعه أميركا، فلماذا أصرت
على مدى سنتين على طردهم من باكستان؟
وإذا كان المجاهدون العرب مرتزقة لأميركا -تمردوا عليها
كما تفترى- فلماذا تعجز الآن عن شرائهم مرة أخرى؟ ألا
يعدون الآن -وعلى رأسهم أسامة بن لادن- الخطر الأول الذي
يهدد مصالح أميركا؟ أليس شراؤهم أوفر وأقل كلفة من
ميزانيات الأمن والوقاية الخرافية التي تنفقها أميركا دفاعاً
عن نفسها ضدهم؟

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
إن الأميركيان بطريقتهم المعهودة في التضخيم والمبالغة
والسطحية في تناول يحاولون بيع الوهم للناس، قافزين
فوق أبسط الحقائق. هل يمكن أن يكون أسامة بن لادن الذي
نادى في محاضراته عام 1987 بضرورة مقاطعة البضائع
الأميركية تأييداً للانتفاضة في فلسطين، عميلاً
للأميركان في أفغانستان؟

وأذكر -في حينها- أنه زارنا في مستشفى الهلال الكويتي
في بيشاور، وحدثنا عن هذه المحاضرات، وأذكر أنني قلت له:
منذ الآن يجب أن تغير طريقة حراستك ونظام أمنك، فإن
رأسك منذ الآن أصبح مطلوباً من الأميركيان واليهود، وليس
من الشيوعيين والروس فقط، فانت الآن تضرب الأفعى على
رأسها.

وهل يمكن أن يكون الشهيد -كما نحسبه- عبد الله عزام
عميلاً لأميركا؟ وهو الذي لم يكل عن تحريض الشباب
ضدها ودعم حركة (حماس) بكل ما يملك.

وهل يمكن أن تكون الحركة الجهادية في مصر عميلة
للأميركان؟ وقد قتل خالد الإسلامبولي ورفاقه
-رحمهم الله- أنور السادات -عميل أميركا الأول في
العالم العربي- قبل نشوء ظاهرة المجاهدين العرب
في أفغانستان.

وهل يمكن أن تكون الحركة الجهادية في مصر عميلة
لأميركا؟ وهي تربي أبناءها منذ نشأتها على رفض إسرائيل
وكل اتفاقيات الاستسلام لها، وتعتبر أن الصلح معها
متناقض مع شريعة الإسلام.

إن أميركا فوجئت بأن طبختها في أفغانستان قد أفسدها
عليها المجاهدون العرب وأهل الصدق من المجاهدين الأفغان.
لقد أرادت أميركا حرباً بالوكالة ضد روسيا، فحولها
المجاهدون العرب -بفضل الله- إلى دعوة لآحياء الفريضة
الغائبة؛ الجهاد في سبيل الله.

الفصل الأول: أفغانستان- الهجرة والإعداد
ولذلك تنبها أميركا لهذا الخطر في البوسنة، فكان الشرط
الأول قبل تطبيق اتفاقية دايتون هو طرد المجاهدين العرب
من البوسنة.

ولالأخ أبي مصعب السوري -فرج الله كربه- كلام نفيس في
هذه المسألة يسجل فيه شهادته للتاريخ، أوردها في كتابه
الموسوعي (دعوة المقاومة الإسلامية العالمية)، أرى للفائدة
أن أورد مقتطفات منها:

"من العجيب اليوم . أن البرامج الإعلامية
العالمية والعربية من أفلام ومقابلات وتحليلات
وصحف وكتب وسواها. تمر بهذه (الكذبة) بسرعة
مرور الكرام، وتنتقل لمواضيع أخرى على أنها
شيء مسلم به معروف بديهي!!
فيقدمون للناس كذبة كبرى على أنها حقيقة
مفادها:

أن المخابرات الأمريكية (CIA) هي التي صنعت
(الأفغان العرب) وزعماءهم من أمثال الشيخ
أسامة بن لادن، والشيخ عبد الله عزام، من أجل
تدمير الاتحاد السوفيتي. وأن هذه الصنائع انقلبت
عليها اليوم، ودمر بعضهم أبراجها في نيويورك
وواشنطن، في حين عاد أكثرهم إلى بلادهم لضرب
مصالحها وقتل رعاياها، ومحاربة أوليائها من حكام
بلاد العرب والمسلمين.. وأن ظاهرة الجهاد
المسلح في بلاد العرب هي إفراز للجهاد الأفغاني،
وبالتالي صنعة الاستخبارات الأمريكية، وقد
خرجت عن الطوق. ويقولون أن أمريكا قد وقعت
في حال المثل السائر عندهم: (من يصنع الأشباح
تخرج له).

فما حقيقة هذه الفرية البالغة الخطورة على
سمعة الجهاد والجهاديين في هذا العصر.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
أوضح ذلك من خلال النقاط الموجزة التالية
بعون الله:

• أما أن ظاهرة الجهاد المسلح في بلاد العرب
والمسلمين هي إفراز لتجمع الأفغان العرب في
الجهاد الأفغاني فالحقيقة هي العكس تماماً..
والحقيقة هي أن الجهاد العربي في أفغانستان
هو نتيجة للجهاد العربي قبله، وهو أحد إنجازات
التيار الجهادي العربي في بلاد العرب وأحد إفرازاته
ومراحل تطوره.

فكما مر سابقاً فإن التيار الجهادي المعاصر هو
وليد الصحوة الإسلامية التي نشأت مطلع
الثلاثينات، وقد انفصل عنها مطلع الستينات. وقد
قامت كثير من التجارب الجهادية ما بين مطلع
الستينات ومطلع الثمانينات. أي قبل من الجهاد
الأفغاني بعشرين سنة. بل إن القيادات والكوادر
والرموز وأركان الجهاد العربي في أفغانستان، هم
من بقايا وكواد ورموز وشيوخ التيار الجهادي
العربي. فالشيخ عبد الله عزام من رموز وقدماء
المجاهدين في فلسطين، وقد نفاه النظام الأردني
من عمان لطروحاته الجهادية ومعارضته للنظام.
والشيخ أسامة بن لادن تربي في الصحوة
الإسلامية، ودعم أكثر من حركة للجهاد في بلاد
العرب، وساهم في دعم الجهاد في سوريا مطلع
الثمانينات، قبل أن يتوجه إلى أفغانستان. وكذلك
فإن كثيراً من الكواد-الذين يصعب حصرهم هنا،
من المدربين والقادة الميدانيين الأوائل الذين حملوا
مهمة إنشاء المعسكرات وإقامة البنية الأساسية
للجهاد العربي في أفغانستان- كانوا من كواد
تنظيمات الجهاد العربية ولاسيما من مصر
وفلسطين وسوريا ولبنان واليمن.. وغيرها.. وهم

الفصل الأول: أفغانستان- الهجرة والإعداد
الذين كانوا نواة التجمع العربي الذين تولوا العمل
في مجالات التدريب والإعلام والعمل العسكري
والعمل الإغاثي الميداني وسوى ذلك من الأعمال..
إلى أن تقاطر المجاهدون من البلاد العربية
والإسلامية وتزايد الجمع الذي ابتدأ بكوكبة صغيرة
سنة 1984، فتصاعد منذ (1987) وإلى (1991)
ليبلغ زهاء أربعين ألفاً من المجاهدين العرب مع
مطلع التسعينات.

• أما عن العلاقة المزعومة للجهاد العربي في
أفغانستان بالأمريكان ومنظمتهم البائسة (CIA)،
فإن كان لهؤلاء الأوغاد من دور فهو في الإجازة
والضوء الأخضر الذي أعطوه لأزلامهم من حكام
بلاد العرب والمسلمين، بأن يسمحوا للشباب
المجاهدين بممارستهم حقهم الطبيعي وأوامر
دينهم بأن يتوجهوا إلى أفغانستان، وأن تتركهم
مخابرات تلك البلاد المجرمة في حال سبيلهم، ولا
تعرضهم وهم يذهبون إلى أداء الفريضة الشرعية.
وكذلك في الدور المحدود لأجهزة إعلام تلك البلاد
العربية والإسلامية في الترويج للجهاد الأفغاني.
وفي دور أمريكا بالإيعاز للسعودية في أن تفتي
مؤسستها الدينية المأجورة، بأن الجهاد فرض عين
في أفغانستان، وهي حقيقة، وفي أن تترك المجال
للدعاة الصالحين من أئمة الدعوة والإصلاح في
السعودية أن يجهروا بهذه الحقيقة الشرعية.. وأن
تتيح للشعب في بلاد الحرمين أن يؤدي فريضة
الجهاد بماله لنصرة أخوة العقيدة والدين.. وأن
تشجع من أراد من الشباب الذهاب إلى هناك، حتى
بلغ ذلك أن تخفض شركة الطيران السعودية ثمن
تذكرة الطائرة من السعودية إلى باكستان بنسبة (75%)
لمن يريد الذهاب للجهاد في أفغانستان

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان ليصبح أقل من تكلفة رحلة داخلية. ولاشك أنه كان لآل سعود مصالحهم الدعائية وغير ذلك من هذه التسهيلات. كما ساهمت أمريكا بإيعازها لباكستان بأن تفتح سفاراتها لإعطاء إجازات الدخول (الفيزا) للشباب العربي والمسلم من كل مكان للذهاب عبر أراضيها إلى أفغانستان. وأن تسمح للعرب بحرية الحركة، التي بلغت حد فتح المعسكرات على الأراضي الباكستانية قرب أفغانستان للتدريب وتقديم الخدمات اللوجستية للجهاد الأفغاني. ولاشك أنه كان لباكستان مصالحها الإقليمية و الوطنية في هذا، ولا محل لاستقصاء هذه الجزئيات هنا. بل كان هناك أيضا مصالح شخصية لمليونيرات الحروب من الضباط في الجيش والاستخبارات والشرطة الباكستانية من تحرك هذا الكم من البشر والأموال بين الخارج وأفغانستان عبر أراضيهم.

فإذا كانت الإجازات الأمريكية لعملائهم الصغار، تعتبر مساهمة في صناعة الجهاد العربي في أفغانستان فهو ذلك لأكثر.. وكان لعملائهم الصغار من الحكام في السعودية و الباكستان ومصر وغيرها مصالحهم في ذلك ..

- أما ما يزعم من تدريب الأمريكان للعرب أو ترتيب برامجهم أو معاونتهم على العمل العسكري أو أي علاقة عملية على الأرض، فهذا محض كذب وافتراء.

ولقد عملتُ شخصيا في مجالات التدريب العسكري وكمحاضر في المجالات الفكرية والمنهجية، وكنت على تماس مع قيادات الجهاد العربي في أفغانستان، وأستطيع من خلال ذلك أن أشهد وأؤكد أن هذه الدعوى لا أساس لها من

الفصل الأول: أفغانستان- الهجرة والإعداد
الصحة. ولست هنا في مجال التاريخ للجهاد العربي
في أفغانستان, حتى أسرد وقائع التدريب وآلية
العمل. ولقد كان بالمختصر مجموع جهود فردية
مخلصة, ابتدأت بالكوادر الجهادية القديمة وبعض
الكوادر العسكرية المحترفة من المتقاعدين أو
المبعدين عن الخدمة في جيوش عدد من الدول
العربية والإسلامية, والذين كان لمساهماتهم دور
مفيد جداً, ثم بدأت تتراكم وتتجمع خبرات الكوادر
الناشئة في الساحة.

والمطلع على الوضع الفكري والنفسي
والمنهجي, وعلى المشاعر تجاه الأمريكان والغرب
والكفار عموماً, بل وحتى تجاه حكامنا بل وصغار
أعوانهم, لدى القيادة الجهادية العربية وقواعدها
من الشباب في أفغانستان وسواها, يعلم أن هذه
الدعوى غير واردة وغير ممكنة..

أما حقيقة أن مصالح وأهداف كافة أطراف
الحلف غير المباشر الذي ذكرته, من أجل حرب
الإتحاد السوفيتي, كلاً على حدة عملياً, ومجتمعين
على هدف واحد, فحقيقة واقعة وكثيراً ما تكررت
في دنيا السياسة وتقاطع المصالح عبر التاريخ. وما
تزال تتكرر هنا وهناك وهذا من طبائع الأشياء..

فقد أرادت أمريكا هزيمة الاتحاد السوفيتي
والانتصار في الحرب الباردة, بعد أن كالت لها
الإتحاد السوفيتي وحلف وارسو ضربات موجعة في
أكثر من مجال.. وكانت قضية أفغانستان فرصة
ذهبية للأمريكان, وقد استغلوها بصورة صحيحة, و
حصلوا على ما أسماه نيكسون في كتابه الشهير
(نصر بلا حرب), فحققوه بكل جدارة يحسدون
عليها...

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثالث: العودة للميدان
وأرادت أوروبا الغربية ودول حلف الأطلسي تحقيق مكاسب ووضع موطئ قدم لها هناك، فشاركت في ذلك المولد لمصالحها الخاصة كدول أوروبية، وكلاً لمصالحها منفردة .. وحصل لكل دولة ما أرادت بشكل نسبي .. واليوم تنتشر المؤسسات الأوروبية المختلفة تحت شعار الخدمات الإنسانية، لتتقطع المكاسب المغربية من الملعب الأفغاني، كلاً بحسب حضورها السابق واللاحق..

وأرادت باكستان تحقيق مصالح قومية وإقليمية يضيق المكان عن حصرها هنا، بل إن ذكر ما حققته باكستان يحتاج كتاباً مستقلاً. وقد قدمت أمريكا في الملعب الأفغاني ما أرادت من خدمات؛ ليدعم الجهاد الأفغاني أولاً، ثم لتمزيق مكتسيباته ثانياً، ثم لتدمير أفغانستان في حرب أهلية ثالثة، ثم لمواجهة طالبان وإسقاط دولتهم رابعاً، ثم لقتل المجاهدين العرب وتسليمهم لأعدائهم خامساً.. ثم تشرع الآن لبيع قضية كشمير سادساً.. ولتدمير البنية التحتية للإسلاميين داخل باكستان ذاتها سابعاً... والحبلى على الجرار.. وهكذا نفذت الحكومات الباكستانية ما أرادت أمريكا دائماً... ولعنة الله على الظالمين والمنافقين..

وقل مثل ذلك عن باقي الأدوار في أفغانستان للسعودية.. ومصر.. وسواها.. وعن الهند ودول وسط آسيا وإيران والصين من دول الجوار.. التي لعبت لعبتها أيضاً.. وصولاً إلى حركات الصحوة الإسلامية والجهادية وكل من دخل اللعبة الأفغانية فكسب أو خسر....

ويصح هذا على مختلف التنظيمات العربية والإسلامية التي حضرت أفغانستان..

الفصل الأول: أفغانستان- الهجرة والإعداد
باختصار لقد صارت قضية الجهاد الأفغاني
منطقة تقاطع مصالح عالمية وإقليمية ندر أن
يتكرر مثلها. فاجتمع الجميع على الإتحاد السوفيتي،
وكان لكل نيته وأهدافه.
أما عن مصالح الحركات الإسلامية غير الجهادية
.. فكانت شتى، تتراوح بين النية الحسنة في خدمة
أخوة العقيدة والدين ، وبين المصالح الذاتية لكل
حركة من الحركات، من المكاسب الدعوية
والتنظيمية والمادية، وصولاً إلى المصالح الذاتية
والشخصية لبعض الأفراد.
فماذا كان هدف الجهاديين من الحضور إلى
أفغانستان؟

لقد كان هدفهم منحصراً بعد نية الجهاد وأداء
الفريضة، والبحث عن الشهادة في سبيل الله من
قبل غالب قياداتهم وأفرادهم، كان هدفهم أمرين
استراتيجيين اثنين. أذكرهما بحسب أهميتهما و
بحسب ما لمست شخصياً بسبب تماسي المباشر،
بل عضويتي في التيار الجهادي، ومن ثم هذا الجمع
الذي أطلقوا عليه الاسم (الدراماتيكي) الجميل،
الذي أحبه، وأنتمي إليه، وهو (الأفغان العرب):
1- أما الهدف الأول لمعظم الكيانات
والتنظيمات والكوادر الجهادية، فكان الإعداد
والتدريب وترتيب الصفوف وجمع الكوادر وتجنيد
العناصر وإقامة العلاقات العامة واستقطاب أموال
التبرعات وتدريب أفراد التنظيم من أجل قضيتهم
الذاتية في بلادهم، وهو الهدف الذي سيطر على
تفكير معظم -إن لم يكن كل- التنظيمات الجهادية
العربية وسواها من الأعجمية. وهو: (إسقاط
حكومات الردة القائمة في بلادها، كلاً بحسبه،
 وإقامة حكومات إسلامية تحكم بشرع الله).

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثالث: العودة للميدان
2- العمل على تحرير أفغانستان وإقامة
حكومات إسلامية شرعية فيها، تكون منطلقاً
لإقامة شرع الله في الأرض وملاًذاً آمناً وقاعدة
خلفية للجهاد ضد مختلف أعداء الله وفي كل قضايا
المسلمين، بدءاً من فلسطين و انتهاء في كل
قضية للإسلام فيها نصيب وهوية ..
ولقد تراوح الجميع في نيتهم بين هذين الهدفين
بنسبة تقل أو تكثر، بحسب اختلافهم في
توجهاتهم ..

.....
وأما على صعيد من ينسب الإعلام إليهم تهمة
علاقتهم بـ (CIA) وأنها أنشأتهم من أجل تدمير
الإتحاد السوفيتي.. فكلام باطل أيضاً. وعلى سبيل
المثال فمن أشهر من تناولهم هذه التهمة:
الشيخ عبد الله عزام ~:

.....
والناظر في أشرطة وكتب وخطب وتراث الشيخ
الشهيد عبد الله عزام - أبو محمد - . يرى
المساحة الهائلة التي زرعتها في قلوب أتباعه
وقرائه من الكراهية والحقد المقدس على أمريكا
وأعوانها.. وعلى المرتدين وأزلامهم. كيف لا؛ وهو
من ضحاياهم في فلسطين والأردن ثم باكستان
حيث قتلوه بأوامر أمريكية في عهد (بنزير بوتو)
ووزير داخليتها (بابر)، الذين تنقوا مهمة الاقتصاص
منهم أمانة في أعناق أحيال المجاهدين. قتل الله
المجرمين، وتقبله في الشهداء.
وأما أنه أفتى في كتابه القيم (الدفاع عن أراضي
المسلمين أهم فروض الأعيان) بجواز أخذ
المساعدات من الأمريكان لجهاد الروس المعتدين
أو العكس.. فهو صحيح. وهي حال الضرورة التي

الفصل الأول: أفغانستان- الهجرة والإعداد
 تلجئ إليها المسلمین، إذا دهمهم صائل وأشفوا
 على الهلكة... وهذا أمر معروف، يقدره الفقهاء
 بشروطه. وقد أفتى الشيخ للأفغان أن يأخذوا
 المساعدات من أمريكا ومن المرتدين من حكام
 العرب و من سواهم. وأما الجمع الجهادي العربي
 فقد كان جمعاً معطياً لا أخذاً، فقد انهالت عليه
 التبرعات بمئات الملايين من الدولارات من زكاة
 أموال المسلمين وتبرعاتهم. فأخذ الجمع حاجته
 من مصاريف الجهاد والإعداد و كفالات أسر
 المجاهدين والشهداء العرب، وأنفق أكثر المال
 على الجهاد الأفغاني ذاته. كما أوصل المجاهدون
 العرب بأمانة ما جاء وقفاً على الجهاد الأفغاني ذاته
 لأصحابه من المجاهدين والمهاجرين من أيتام
 وأرامل و محتاجين.. هذا عن دور الشيخ عبد الله
 عزام.

أما الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله:

.....
وأما أن هناك أميركان قد دربوا المجاهدين
العرب من جماعة القاعدة أو غيرها أو قدموا لهم
أي دعم فمجرد كذبة تافهة. إذ لم يكن هذا ليكون
 مقبولاً ولا على سبيل المزاج، فالوسط الجهادي
 العربي-الذي تسيطر عليه أفكار الولاء والبراء
 والمدرسة السلفية الجهادية- كان متوتراً تجاه
 بعض الشخصيات الحكومية السعودية التي تأتي
 لتقديم الدعم، وربما دخلت بعض المضافات أو
 المعسكرات العامة المفتوحة (مثل الملحق
 العسكري في السفارة السعودية: أبي مازن)
 فكيف بمثل هذه الأفكار عن أجنب أو أميركان.
 فزعم من افتري عليه أنه عمل مع الأميركيان
 أثناء جهاد الروس، ثم انقلب عليهم، هو زعم باطل

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثالث: العودة للميدان
مبني على التجني والحقد أو الجهل، بسبب دعاوى
وسائل الإعلام المعادية.
والقصة باختصار أنه قد جمعه -وجميع المسلمين
آنذاك- قاسم مشترك مع الأمريكيان في ضرب
الروس لعدوانهم على أفغانستان، فلما انتهت
المعركة، تنبه الجميع إلى أن العدو المقبل هو
القوة الوحيدة التي انفردت بإدارة العالم وإنشاء
النظام العالمي الجديد، وغزت بلاد الحرمين،
وراحت تجهز الحملات الصليبية على الشرق
الأوسط.

فأكمل ابن لادن الواجب، وأعلن الجهاد بدوره
على القوة التي جاءت للعدوان بدورها. وكذلك
فعل معظم من أراد الجهاد معه أو مستقلين عنه،
كما كان حالي وحال أمثالي⁷².
وفي ختام هذا التناول لشبهة أن أمريكا قد مولت ودربت
المجاهدين العرب، أورد هنا شهادة من الكونجرس الأمريكي،
في تقرير لجنة 11 سبتمبر، الذي يؤكد على عدم مساعدة
أمريكا للمجاهدين العرب فيقول:

"كان المحيط الدولي ممتازاً بالنسبة لجهود بن
لادن، فقد دفعت العربية السعودية والولايات
المتحدة بلايين الدولارات قيمة الدعم السري
لجماعات الثوار في أفغانستان، الذين يقاتلون
الاحتلال السوفيتي. وهذا الدعم -الذي يمر عبر
إدارة استخبارات الخدمات المشتركة الباكستانية
أو (ISID)- ساعد في تدريب الثوار وتوزيع الأسلحة.

⁷² دعوة المقاومة الإسلامية العالمية - الجزء الأول: الجذور والتاريخ والتجارب - الفصل
السادس: مسار التيار الجهادي وتجاربه (1960- 2001م) ص: 770 إلى 782.

الفصل الأول: أفغانستان- الهجرة والإعداد
ولكن بن لادن ورفاقه كانت لهم مصادرهم
الذاتية للدعم والتدريب، وقد تلقوا قليلاً أو لم
يتلقوا أي دعم من الولايات المتحدة"⁷³.

وشهد شاهد من أهلها.

10- ولم يتوقف المكر الإعلامي الغربي على ادعاء عمالة
المجاهدين المسلمين في أفغانستان لأمريكا، بل حتى
التسمية التي أطلقت عليهم -وهي الأفغان العرب- كانت
ماكراً أيضاً، لأنهم لم يكونوا عرباً فقط، بل كانوا من أرجاء
العالم الإسلامي كافة، وإن كان العرب عنصراً متميزاً فيهم.
11- وبالطبع لم يكن النظام العالمي ليقبل بوجود هذه
الظاهرة المتنامية المتمردة عليه المهددة لوجوده من
المجاهدين غير الأفغان، بعد أن بذل الاحتلال الغربي
والشيوعي جهوداً متواصلة -على مدى قرابة قرن من
الزمان- لإخضاع الشعوب المسلمة بالأنظمة والقوانين
العلمانية والانتخابات المزورة وحالات الطوارئ وقوانين
الهجرة والجنسية.
وقد بدأ رد الفعل ضد المجاهدين غير الأفغان بالسعي
لطردهم من باكستان من بداية التسعينيات، وبلغ أوجه عام
1992.

وكان لحكومة باكستان العلمانية العميلة نصيب الأسد في
التنكر لهم، فقد طردت -بكل نذالة- من دافع عن حدودها إلى
المجهول.

⁷³ THE 9/11 COMMISSION REPORT, 2- THE FOUNDATION OF
THE NEW TERRORISM, p: 56.

ثم علق التقرير على تلك الفقرة في التعليقات الختامية علي الفصل الثاني فقال:
"رفض أيمن الظواهري بازدراء- في سيرته الذاتية- الزعم بأن الولايات المتحدة قد
مولت (ولو بسنت واحد) أو دربت المجاهدين العرب [انظر: (فرسان تحت راية النبي)
للظواهري- الشرق الأوسط- 2 ديسمبر 2001].
وقد اعتبر مسؤولو السي أي إيه الضالعين في مساعدة المقاومة الأفغانية بأن بن لادن
(وعربه الأفغان) كانوا بلا قيمة عسكرية، وتذكروا بأنهم لم يكن لهم بينهم وبينه إلا
القليل. [حوار جراي شروين- 3 مارس 2003]". [ص: 467].

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
فعلى الجانب الأفغاني من منفذ طورخم الحدودي بين
باكستان وأفغانستان توجد مقبرة تحوي رفات أكثر من مائة
من المجاهدين العرب في أفغانستان، تقف شاهدة ناطقة
على موقف الحكومة الباكستانية الخسيس ضد من دافع عن
حدودها ضد التهديد الشيوعي. وتسطر في تاريخ المسلمين
فصلاً عن خيانة حكام إسلام آباد للمسلمين ومدى تلهفهم
على إرضاء الأمريكان.

12- وفي ختام هذا الفصل عن أفغانستان لا أستطيع أن
أنسى الجهود الضخمة التي قام بها العديد من إخواني في
جماعة الجهاد في الفترة من عام 1986م إلى عام 1992م.
في القتال والدعوة والتدريب والإعداد والتوعية والإدارة
والتنظيم.

ويؤسفني أنني لا أستطيع أن أذكر هنا كل أسماء المخلصين
الذين بذلوا في صمت، والله حسبيهم. لأن كثيراً منهم في
قبضة الطواغيت، يحاسبونهم على دفاعهم عن كرامة أمتهم،
ويعاقبونهم على تمردهم على الذل الذين يسعون في فرضه
علينا إرضاءً لأمريكا.

الفصل الثاني:

عبد الله عزام- جرح القدس في ذرى الهندكوش

كفرت بكل من عدلوا
ومن لم يحسنوا في العي
ومن بنديهم والنا
ومن بالوهم رغم التيه
وأكبرت الذين مضوا
وعن غاياتهم رغم اع
ومن دمهم أضيئت في
أيا مهراً يجيد العدو
رأيتك صافياً والناس
وزورق عزة رغم اش
وسيفاً مثل ضوء البر
وإعصاراً إذا ما هب
لنا اسمح أن نقبل في
وقول من أخي سفه
تخوض القدس في دمها
ورجلك دون ساحتها
فهل كابول علتها
وهل من ناقة فيها
أجيبهم يا رعاك الله
وقل يا أيها النقاد
أنا ما زال جرح القدس
ووقد مصابها كالنا
أنا ما خنت عهد الله
وفي ساحتها جاهدت
فلما غل كف الفدي
ولم يبق الطغاة لنا

وعن درب الفدى عدلوا
ش إلا النوم والكسل
رتزحف يكثر الجدل
ظنوا أنهم وصلوا
وعما شق ما سألوا
تساف الدهر ما نكلوا
دياجي الحيرة الشعل
لم يشمت به الكلل
مغشوش ومنتحل
تداد الموج ينتقل
ق يسطع حين ينتصل
ربع الحادث الجلل
يديك السيف يا بطل
تواري عنده الخجل¹
وتنهش نحرها الذبل
بها قد ضلت السبل
تهون أمامها العلل
لنا يا شيخ أو جمل
حتى يخرس الجدل
من لاموا ومن عدلوا
في جنبي يعتمل
ر في الأحشاء يشتعل
لما خانت الدول
إذ جل الوري خذلوا
وانقطعت بنا الحيل
طريقاً نحوها يصل

¹ يقصد الشاعر أن هناك جهال يعارضون الشيخ ~ في تركه للقتال في القدس،
وانشغاله عنها بالجهد في كابل، وهو ما ستفصله الأبيات التالية.

الفصل الثاني: عبد الله عزام- جرح القدس في ذرى الهندكوش
ونحن بشرعنا كابل
مضيت مجاهداً مع من
بني الأفغان لا ميل
على نار الأسى شبوا
فتلك ربوعهم بالدا
وتحت صواعق الغارا
وتلك جماجم الأطفأ
وأعراض النساء بها
فما ذل الإباء بهم
ورأس الشعب مرتفع
خوالف أمتى مهلاً
جنود الروم نعرفها
لهيب الشرك لا يطفئ
وما سدت خطى التوحيد

أخت القدس إن جهلوا
بهم يتشرف المثل
إذا احتدمت ولا عزل
وفوق جحيمها اكتهلوا
فق الموارد تغتسل
ت بالنيران تشتعل
ل تسحق وهي تبتهل
يعيث الملحد الثمل
وما بهم احتفى الفشل
وموج البذل متصل
بصيرتكم بها حول
وإن ميدانها نقلوا
إلا الأحمر الهطل
إلا البيض والأسل²

لا يستطيع إنسان أن يذكر الجهاد الأفغاني دون أن يذكر رائد الدعوة والجهاد الشهيد -كما نحسبه ولا نزيهه على الله- العالم العامل الشيخ عبد الله عزام ~. فقد كان عبد الله عزام ~ نموذجاً فريداً في البذل والعطاء والعمل الجاد من أجل خدمة الجهاد والمجاهدين.

وكان ~ يهدف لجعل الجهاد الأفغاني قاعدة لتحرير كافة أراضي المسلمين المحتلة وتطهيرها من الطواغيت العملاء.

وليس بوسعي في هذا الفصل أن أبرز كل معالم فكر الشيخ الراحل الشهيد -كما نحسبه- الشيخ عبد الله عزام، ولكنني أحاول هنا أن أبرز بعض المعاني في فكر الشيخ، التي حاول بعض من ينسبون أنفسهم له أن يطمسوها أو يخفوها، ويصوروا للناس أن الشيخ كان يرى المجاهدين العرب ضيوفاً على الجهاد الأفغاني عليهم أن يرحلوا، وينصرفوا لتدبير أمور معاشهم بعد رحيل الشيوعيين عن أفغانستان. وكأنهم بهذه الدعوى المتهافئة يبررون لأنفسهم ما تورطوا فيه، ولعل في

² الأبيات من قصيدة بعنوان (الفارس المصلوب) للدكتور يوسف محيي الدين أبو هلاله في مدح الشيخ عبد الله عزام ~.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
مجهودي المتواضع هذا بعضاً من الوفاء لسيرة هذا الرائد
العملاق، الذي لم يعط حقه من الدراسة والاستفادة.
1- كان الشيخ ~ حربصاً على التأكيد على أن الجهاد
فريضة عينية منذ سقوط الأندلس، وحتى تحرير كل أراضي
المسلمين، وأن الجهاد لا يتوقف بتحرير أفغانستان.
يقول الشيخ ~:

"وكل المسلمين في الأرض اليوم آثمون ما
دامت أي بقعة كانت إسلامية تحت حكم الكفار،
وكل مسلم يحاسب عن الأندلس، ويحاسب عن
أفغانستان، ويحاسب عن فلسطين، ويحاسب عن
الفلبين، يحاسبون عن هذه الأراضي الضائعة"³.
وقال أيضاً ~:

"وكذلك الجهاد لا يمكن أن يصبح مكروهاً لأن
العالم الفلاني لا يفعله، الجهاد فرض من الله عز
وجل في كل الأزمان، إما فرض عين كما هو الحال
الآن منذ أن سقطت الأندلس 1492م إلى يومنا
هذا، والجهاد فرض عين على كل الأمة المسلمة،
وكل الأمة المسلمة آثمة لأنها لم ترجع الأندلس،
ولم ترجع بخاري، ولم ترجع فلسطين، ولم ترجع
أفغانستان، ويبقى الجهاد فرض عين، حتى ترجع
كل بقعة كانت إسلامية إلى يد المسلمين، ليس
بتحرير أفغانستان ولا بتحرير فلسطين فقط، بل
بتحرير كل جزء في يوم من الأيام خضع تحت راية
الإسلام، فالجهاد ليس اليوم فرض عين، وليس
فرض عين في أفغانستان، بل منذ أن سقطت أول
بقعة من الأراضي الإسلامية في يد الكفار، هذه
قاعدة مسلمة بين العلماء جميعاً"⁴.
وقال أيضاً ~:

³ شريط الجهاد ماض 2.

⁴ في التربية الجهادية والبناء- المجلد الثالث- نصائح جهادية ص: 251.

الفصل الثاني: عبد الله عزام- جرح القدس في ذرى الهندكوش
 "فلا تظن أن فرض العين في الجهاد يسقط
 عنك إذا جاهدت في أفغانستان سنة أو سنتين أو
 خمساً أو.. بعد أفغانستان تتحول إلى فلسطين،
 إذا استطعت أن تقاتلهم.. وإذا ما استطعت؛ على
 بخارى، ما استطعت؛ على الفلبين، ما استطعت،
 تجاهد في أية بقعة تستطيع أن تحمل فيها السلاح،
 لا يسقط عنك فرض العين إلا إذا مات؛ مثل الصلاة،
 كما أن الصلاة لا تسقط عن الإنسان إلا إذا مات؛
 فالجهاد الآن في الوقت الحاضر لا يسقط عن
 الإنسان إلا إذا مات، أو مرض، أو أصبح صاحب
 عاهة؛ أعرج أو أعمى.. ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا
 يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾⁵.

2- وبناء على ذلك كان يرى أن التخلف عن الجهاد فسق.
 يقول ~:

"إن تركت أرض الجهاد فأحمل الشهادة من الله
 وعد، ﴿فَتَرَبُّوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. تحمل شهادة الفسق، وإن
 قمت الليل وصمت النهار، وإن قمت الليل في
 بلدك وصمت النهار فأنت فاسق. كل من لا يجاهد
الآن -فوق الأرض- فهو فاسق، وإن كان من حمائم
المسجد، وإن كان من العباد والزهاد"⁶.

وقال ~:

"ويعلم رسول الله T أن عدو الجهاد الأول هو
 الترف، هو الغرق في الشهوة. كيف لا؟ والقرآن
 ينزل عليهم من فوق السبع الطياق يقول لهم:
﴿وَإِذَا أَنْزَلْنَاهُ سُورَةً أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ
 رَسُولِهِ إِنَّهُ أَدَّبَكُمُ أُولَئِكَ أَطْوَلُ مِنْهُمْ﴾. أصحاب
 الغنى. ﴿أُولَئِكَ أَطْوَلُ مِنْهُمْ وَوَالُوا دَرَزَاتًا تَكُنْ مَعَ

⁵ في الجهاد فقه واجتهاد ص: 4 و 5.
⁶ شريط الجهاد ماض 2.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/الباب الثالث: العودة للميدان
 الْقَاعِيدِينَ {86} رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ
 وَطَبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ. □ اسْتَأْذَنَكَ
 أَوْلُوا الطُّولَ. □ وَمَا أُرْسِلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا
 قَالِ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ. □ إِنَّا بِمَا
 أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ. □ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً
 أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ
 فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا" ⁷.

وقال ~:

"إنني أرى أنه لا يعفي عن مسئولية ترك الجهاد
 شيء سواء كان ذلك دعوة أو تأليفاً أو تربية، إنني
 أرى أن كل مسلم في الأرض اليوم منوط في
 عنقه تبعة ترك الجهاد؛ القتال في سبيل الله، وكل
 مسلم يحمل وزر ترك البندقية، وكل من لقي الله-
 غير أولي الضرر- دون أن تكون البندقية في يده
 فإنه يلقي الله أثماً، لأنه تارك للقتال، والقتال الآن
 فرض عين على كل مسلم في الأرض" ⁸.

3- وكان عداؤه ~ لأمريكا شديداً.

قال ~:

"إذاً: أعداء الله يدركون، من الذين يفهمون لا
 إليه إلا الله ومن الذين لا يفهمون لا إليه إلا الله،
 والذين يفهمون لا إليه إلا الله اسمهم عند أعداء الله
 المتعصبون، والذين لا يفهمون لا إليه إلا الله اسمهم
 عند أعداء الله المعتدلون، وهم يطلقونها صريحة :
 نحن لن نرضى عن الإسلام المتطرف، إنما نرضى
 عن الإسلام المعتدل، نحن لن نرضى عن الإسلام
 الأصولي، إنما نرضى عن الإسلام المرن، إنما نريد
 إسلاماً مرناً على الطريقة الأمريكية، يقال لهم
 الشيوعية فيقاتلونها، ويقال لهم الأمريكان

⁷ من شريط تدمير المدمرة- جزء 4.

⁸ الشهيد عبد الله عزام بين الميلاد والاستشهاد ص: 18.

الفصل الثاني: عبد الله عزيم- جرح القدس في زلزال الهندكوش
فَيَقُولُونَ: ﴿وَلْتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوْدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا تَصَارَى﴾⁹.

وقال أيضاً ~- عن زيارة نيكسون لباكستان:
"رجع إلى أمريكا عمل مؤتمراً صحفياً على
التلفاز الأمريكي، الصحفي الأول قال له: أي شيء
عملتم للمشكلة الفلانية؟ قال هذه مسألة سهلة..
المشكلة الفلانية. قال له: هذه سهلة... سهلة.
قال له: إذن ما هي المشكلة؟ قال: المشكلة هي
الإسلام، يجب على أمريكا أن تتناسى خلافاتها مع
روسيا ليوقفوا الزحف الإسلامي الذي بدأ ينمو
ويمتد"¹⁰.

ويقول ~:

"والحقيقة قد رأيت كما قلت لكم بالأمس؛ أن
معظم أحكام الإسلام يعني الولاية تكوّن عموداً من
أعمدة هذا الدين، وإذا نكس عمود الولاية أو انهار،
انهار معظم الإسلام، أنا رأيت أن ضياع البلاد
وفساد العباد معظمه من الولاية، من ولاية الكفار
يأتي الأمريكيان لواحد مثل ظاهر شاه يقولون له:
إما أن تعمل كذا وكذا وإما أن تخرج المرأة عارية
وسافرة أو يغير حكمك، فيأتي ويضع حجاب المرأة
تحت قدمه، ويقول له: انتهى عهد الظلام، ويبدأ
يفسد المرأة، ويأمر المرأة الأفغانية أن تكشف
حجابها، وعندما رفضت نساء قندهار -معروف أهل
قندهار بشدّتهم والتزامهم وتمسكهم- عندما رفض
أهل قندهار أن يعرّوا نساءهم، أو أن يُسفروا عن
وجوههن، سير الملك إليهم جيشاً وقتلهم، كان
يقوده عمه شاه ولي، وقامت معركة بين جيش

⁹ في التربية الجهادية والبناء- المجلد الثالث ص: 11 و 12.
¹⁰ في التربية الجهادية والبناء- المجلد الثالث ص: 47 و 48.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
الملك وبين أهل قندهار، اسمها معركة الخمار،
وسقط حوالي ألف شهيد من أهل قندهار" ¹¹.
ويقول ~:

"يجب أن نعرف الحكم أن الذي يوالي
الأمريكان كافر، والذي يوالي اليهود يهودي، والذي
يوالي النصراني نصراني [وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ
مِنْهُمْ]. وبعدها يأتيين قال: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ]. وبعدها يأتيين: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ
يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ]. أي أن ولاية اليهود والنصارى كفر يخرج
من الملة وردة عن هذا الدين" ¹².

ويقول ~:

"أمريكا قالت لروسيا خلاص، قالت روسيا:
وافقت على الانسحاب، أنا عندي شرط واحد:
ابحثوا عن واحد ترتضونه أنتم يكون بديلاً عند ما
أنسحب، خلاص يعني إيش واحد، قالوا: إسلام
على الطريقة الأمريكية، إسلام أمريكياني، يعني
مرن دينه مطاط يمط حسب الأهواء الغربية، إيش
على الأهواء الأمريكية؟ يعني الفتاوى جاهزة بجيبه،
كيف جاهزة؟ نريد أن نحدد النسل يحضروا مشايخ
ليقفوا على التلفاز، يقولوا "كنا نعزل والقرآن ينزل
ولو كان شيئاً مما نهانا عنه القرآن لنهانا" ¹³ نريد
الاشتراكية يأتي الشيخ وعلان أن الاشتراكية دين
الله، والاشتراكيون أنت إمامهم، نريد القومية،
يأتي شيخ ويفتي حب الوطن من الإيمان، وهكذا،

¹¹ في التربية الجهادية والبناء- المجلد الثالث ص: 21.

¹² في التربية الجهادية والبناء- المجلد الثالث ص: 29.

¹³ حديث موقوف على جابر رواه البخاري في صحيحه.

الفصل الثاني: عبد الله عزام- جرح القدس في ذرى الهندكوش
أصدرت فتاوى على الجاهز بالجانب، مثل ما
يسمونه في أمريكا، الشباب المسلم يعني آلة
الفتوى إضغط على زر تطلع ببيسى كولا، إضغط
الزر تطلع ميرندا، إضغط على الزر تطلع فتوى
جاهزة (فتوى ماشين)، دينه (فتوى ماشين) والآلة
يجب أن تكون غربية، نعم تشتغل على النظام
الغربي" ¹⁴.

ويقول ~:

"كان -هذا جونجوا¹⁵- (جون إيجو!!) مسروراً
أن أمريكا والغرب والأمم المتحدة وعده بمداوية
اسمها مدالية -نوبل- اليهودية للسلام؛ لأنها جائزة
يهودية ولا تعطى إلا لمن يخدمون اليهود، ولذلك
نجيب محفوظ ما أعطيت له إلا لأنه خدم قضية
تطبيع العلاقات بين اليهود وبين مصر، وأعطوه
على أي فعل جائزة نوبل؟ على قصة مليئة بالطعن
في الدين ومحاربة الإسلام اسمها (أولاد
حارتنا)" ¹⁶.

ويقول ~:

"أعظم قضية في الأرض الآن تشغل ذهن
الأمريكان والروس والغربيين هي قضية
أفغانستان، الكفر متخوف، والمسلمون متأمنون،
المسلمون الصادقون الذين يدركون أبعاد
المؤامرة العالمية على الإسلام، والهزائم التي مني
بها، وتجرعوا مرارة هذا التاريخ وخاصة منذ بداية
هذا القرن؛ أن كل مسئولى -إلا من رحم الله-
عبارة عن العوبة بيد الغرب أو الشرق، لا يستطيع

¹⁴ في التربية الجهادية والبناء- المجلد الثالث ص: 49.

¹⁵ جونجوا كان أحد رؤساء وزراء باكستان في عهد ضياء الحق.

¹⁶ في التربية الجهادية والبناء- المجلد الثالث ص: 52.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
أن ينقل خطوة، ولا أن ينبس بنت شفه إلا
ويستأذن من البيت الأبيض أو البيت الأحمر" ¹⁷.
ويقول ~:

"من خلال الضغوط اليهودية علينا هنا، من خلال
الضغوط اليهودية على الأمريكان والغرب لكي
يخرجونا من داخل باكستان، من خلال الضغوط
اليهودية والغربية لمنع إعطاء التأشيرات للعرب،
وخاصة الفلسطينيين، كانوا يدركون أن الزلزال
الذي حدث في جبال الهندكوش لا بد أن يتردد فوق
المكبر في القدس" ¹⁸.
ويقول ~:

"انظروا يا إخوة حال المسلمين! الشيء عندما
لا يوافق أهواء أمريكا، ليس له وجود شرعي ولا
قانوني في الأرض، وإذا كان على أهواء أمريكا
وبرغبتها ورأيها، فهو الشيء الشرعي والقانوني
والأصولي وكل شيء" ¹⁹.
ويقول ~:

"لا يريدون أهل السنة والجماعة أن يصلوا إلى
الحكم، يريدون (المودوريت)، الذين دينهم مطاط
حسب المطاط الأمريكي، يفتون حسب الأهواء
الأمريكية، طنجرة فتاوى جاهزة على جنبه، كلما
طلبت منه أمريكا أن يفتي، يفتي؛ الصلح مع
إسرائيل جائز! قال الله عز وجل: **وَإِنْ جَنَحُوا
لِلْإِسْلَامِ فَاجْتِنِحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ**" ²⁰.

4- وكان عداؤه ~ لحكام بلاد العرب شديداً.
قال ~:

¹⁷ في التربية الجهادية والبناء- المجلد الثالث ص: 137.

¹⁸ في التربية الجهادية والبناء- المجلد الثالث ص: 143.

¹⁹ في التربية الجهادية والبناء- المجلد الثالث ص: 160.

²⁰ في التربية الجهادية والبناء- المجلد الثالث ص: 160.

الفصل الثاني: عبد الله عزام- جرح القدس في ذرى الهندكوش
" اليهود، كيف أقيمت دولتهم؟ بولاية الكفار،
يأتي الأمريكان، الإنجليز، يقولون للحكام (حكام
العرب): إما أن توافقوا على إقامة حكم لليهود في
فلسطين، أو نبعثكم عن الحكم، وقّعوا. فيوقعوا،
نعم هم مستعدون للتوقيع للأمريكان وللإنجليز
وللروس على أي شيء يريدون" ²¹.
وبشير لملك الأردن فيقول ~:

"ولكن ماذا نفعل وقد وضعت في أيدينا القيود،
وفرضت الحدود، وأقيمت الأصفاد، وأطلق
الرصاص على ظهر كل من حاول أن يمسه اليهود
بسوء، أو يمد إليهم يداً، أو يحرك نحوهم ساكناً.
نعم. لقد حاولنا في فلسطين أن نقاتل وقاتلنا سنة
(1948م)، ولم يشرفني الله -عز وجل-
بالاشتراك معهم، ولكنه شرفني بالقتال مع
الجماعة المسلمة سنة (1969-1970م). ولكن
عندما ضاقت الأرض بالطواغيت قرروا وأبوا إلا أن
يمسحوا وجود المقاومة في أرضهم ولو بالطائرات
والدبابات والقذائف والصواريخ" ²².
وبشير لآل سعود فيقول ~:

"ثورة (1936م) أطول إضراب في التاريخ من
(15) إبريل حتى الثامن من أكتوبر من نفس
العام، وقد كانت بريطانيا تحاول بستين جندي
بريطاني يقاتلون مع اليهود أن تفك الإضراب
ففشلت، وأخيراً وسطت الدول العربية، التي
خدعت الشعب الفلسطيني، فأذيع البيان التالي
من الحكومات العربية يوم الإسراء والمعراج: (لقد
تألّمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين. فنحن
-بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله-

²¹ في التربية الجهادية والبناء- المجلد الثالث ص: 22.
²² في الجهاد فقه واجتهاد ص: 242.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
ندعوكم للإخلاق للسكينة حقناً للدماء معتمدين
على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية" ²³.
ويقول ~ عن القذافي:

"تافه! حقير! ولد دمر البلد، والناس ينظرون
إليه، أين محمد بن مسلمة؟ أين عبدالله بن عتيق؟
أحد يغتاله! ليس أحد؟! كل ينظر إلى الآخر، وإذا
شاب منهم خرج للجهاد تجد مائة واحد يقول له:
أنت محنون، أنت... إلخ" ²⁴.

5- وكان ~ كثير الثناء على الحركات الجهادية التي تعادي
طواغيت العرب.

يقول ~ عن موقف بلال < وهو يعذب في مكة:
"الدعوات لا تنتصر إلا بهذا الوضوح الساطع
أمام الجاهلية، "والله لو وضعوا الشمس في
يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر
ما تركته، حتى يظهره الله، أو أهلك دونه".
بمثل هذه النماذج تنتصر الدعوات، أما أن تنتصر بأناس
يعيشون تحت الأرض، يفتحون كتاباً يقرأونه تحتها،
هذا لا يفيد لنصر الدعوات، الدعوات إنما تنتصر
بالدماء التي تراق، وبالأرواح التي تزهب، وبالأشلاء
التي تتناثر، أما اللف والدوران، أما مخادعة
الجاهلية، هذه لا تنصر الدعوات.
الناس يتأثرون بالنماذج المضحية ولا يتأثرون
بالفلاسفة، الذي يلف من هنا وهنا.

الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - سأله عن
النظام الحاكم، قال: كافر. فسأله بعض تلاميذه:
لماذا أنت كنت واضحاً بهذا الشكل أمام
المحكمة؟ مع أن عنقك بين جلاديك. قال: لسببين،
السبب الأول: أننا نتكلم في عقائد، والعقائد لا

²³ حماس - الجذور التاريخية والميثاق ص: 5.
²⁴ في السيرة عبرة - معركة أحد - 2 ص: 52.

الفصل الثاني: عبد الله عزام- جرح القدس في ذرى الهندكوش
يجوز التورية فيها. لا تجوز التورية! لا يجوز التورية,
التمويه يقول له ما رأيك في هذا الحكم؟ يقول:
والله الحمد لله طيب، ويعني عن نفسه أنه طيب،
أو يعني عن بعض ناس فيه طيب، لا هذه التورية لا
تجوز في العقائد.

فسيد ~ كان يقول: لا يجوز التورية في العقائد.
ثم الذي ينظر إليه الناس ويقلدونه لا يجوز له
النطق بكلمة الكفر، أن يقر الجاهلية والاشتراكية
والقومية على وضعها، هذا يجوز للتابع، إلا مَنْ
أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ، لكن المتبوع لا يجوز
له هذا.

وكانوا يقولون لسيد: يا سيد لو قدمت
استرحاماً. قال: "إن إصبع السبابة التي تشهد لله
بالوحدانية في الصلاة لترفض أن تكتب حرفاً
واحداً تقر به حكم طاغية، فلماذا أسترحم؟ إن
كنت محكوماً بحق فأنا أرتضي حكم الحق، وإن
كنت محكوماً بالباطل فأنا أكبر من أن أسترحم
الباطل".

يمثل هذه النماذج تتأثر الجماهير، وتتبع الأجيال،
ويقلد الشباب، أما واحد لا تعرف رأسه من رجليه،
ولا ظهره من بطنه، ولا تعرف إلى أي شيء يدعو
الناس، كيف تقلده؟ كل يوم بلون، وكل يوم مع
هذا الحاكم ومع هذا الأمير، ومع هذا المسؤول،
كيف يمكن أن يقلده الناس؟ كيف؟ ولو كان عنده
علم الأولين والآخرين، ويحفظ الحواشي والمتون
والشروح والمعلقات والمسانيد، كيف يقلده
الناس؟

يعني بالله عليكم من منكم سمع مرافعة كارم
الأناضولي في المحكمة؟ سمعتموها؟ هذه

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
المرافعة الصغيره تترك آثاراً في الأجيال لمدة
عشرة قرون أو أكثر، أكثر من مؤلفات شيوخ
الأزهر لمدة عشرة قرون.
أنا الحقيقة عندما أسمعتها أهتز، شاب يقف أمام
المحكمة، ويواجهها بهذه المواجهة، إن القضية
ليست قضية الفنية العسكرية، وليست قضية
صالح سرية، ولا كارم الأناضولي، إنها قضية
الإسلام، الذي يذبح في مصر. إنها قضية أحمد بن
حنبل والعزيم عبد السلام وحسن النابوسيد
قطب... إلخ.

مرافعة ما سمعت أقوى منها أبداً، شاب!!
شاب!! وقتل كارم الأناضولي، ولكن بقيت كلماته
تتردد في مسامعنا، أنا أثر في كارم الأناضولي
أكثر من كل شيوخ الأزهر - مع أنني شيخ أزهرى -
أكثر بكثير.

من منكم تأثر أكثر؟ بكل مشايخ الأرض أم بخالد
الإسلامبولي؟ خالد، لأن الإسلام لا ينتصر إلا بهذه
النماذج، يا إخواني لا ينتصر إلا بالتضحيات، لا
ينتصر بالفلسفة واللف والدوران والتضليل
والتورية، وضحكت على المخابرات"²⁵.

وقال ~:

"ثم جاءت أحداث سنة (1981م)، وقتل
السادات، وتلاحقت قضايا تنظيم الجهاد، لا يكاد
يمر عام إلا وعمليات السحق والإبادة تلاحق
رؤوسه وتطحن قاداته"²⁶.

ويقول عن الشيخ مروان حديد K وعن تلاميذه:
"وأنا واقف في الجامعة جاء شاب من تلاميذه،
قال: تريد أن ترى الشيخ مروان؟ قلت: ماذا؟

²⁵ في ظلال سورة التوبة ص: 18 إلى 20.
²⁶ حماس الجذور التاريخية والميثاق ص: 15.

الفصل الثاني: عيد الله عزام- جرح القدس في ذرى الهندكوش
على طول، أنا جئت لأحضر كرتونة!! عليه
مباشرة، فذهبت إليه، ودخلت عنده، نظرت إلى
وجهه، ليس من أهل الدنيا أبداً، صاف صفاءً عجبياً،
النور يشع، أول كلمة قالها لي، هو يعرفني من أيام
فلسطين، كان قد جاء معنا: يا أبا محمد. ألم تشتق
إلى الجنة؟ كانت تلك آخر كلمات سمعتها منه.

.....
وبعد هذا فعلاً حمل الراية شاب من الشباب،
الذين كانوا تدريبوا معنا في فلسطين، اسمه عبد
الستار الزعيم، شاب كما في المثل التركي؛ يده
على رجليه.. صغير، طيب أسنان وزنه خمسون
كغم، فبدأ ينتقى كبار الرؤوس، ويغتالها واحداً تلو
الآخر هو والشباب.

.....
ثم تطورت القضية حتى حصلت حادثة المدفعية،
وصل عدنان عقلة وهو من تلاميذ الشيخ مع
إبراهيم اليوسف في يوم واحد، إبراهيم اليوسف
هذا كان ضابطاً من الضباط في داخل المدفعية،
وفي وقت آخر -إن شاء الله- قد يحصل وقت -في
أثناء سورة التوبة وفي أثناء تفسيرها- نحدثكم
بالتفصيل عن أمثال هذه النماذج، التي تحرك
الأجيال.

إن الدعوات لا تنتصر إلا بأمثال هذه النماذج، ولا
يمكن أن تعيش إلا على محك المحنة، هذه النماذج
التي تصطلي بنار المحنة، هي التي تكون القاعدة
الصلبية، التي ينتصر بها هذا الدين، وتصبح قطب
الرحى في توجيه الأمم الكبيرة²⁷.
6- وكان يرى أنه لا بد من تغيير الواقع القائم بالقوة، وأن
الأمة قد عرفت طريق الذل لما تركت السيف، وأن عدم

²⁷ في ظلال سورة التوبة ص: 21 إلى 25.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
إكراه الناس على الإسلام يأتي بعد إزاحة الأنظمة والأوضاع
الجاهلية بالقوة.
يقول ~:

"إن هذا الدين جاء إعلاناً عاماً للبشرية كافة.
يؤذن أن مجال عمله هو الإنسان -كل إنسان- في
الأرض كل الأرض، ومن ثم فإن الجهاد ضرورة
حتمية تلازمه، كلما أردنا أن نبغاه للناس، أو ننشره
في ربوع العالمين، لأنه سيقف في وجهه العقبات
الكبرى التي يقوم عليها كيان الجاهلية.

سيقف في وجهه عقبات كأداء: سياسية
 واجتماعية واقتصادية وعرقية وجغرافية، ولا يمكن
لدين جاء لينقذ البشرية أن يقف مكتوف اليدين
يبلغ باللسان، وبدع للجاهلية السلاح والسنان، لأن
الجاهلية نفسها ستتحرك، لتحمي كيانها وتجتث
الإسلام من الجذور.. [يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ
بِأَفْوَاهِهِمْ].

وسواء تحركت الجاهلية أم لم تتحرك، فلا بد
للإسلام أن ينطلق بحركته الذاتية، التي لا بد منها
لقانوني التدافع [وَأُولَآءِ دَفَعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ
بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ].

إن قانون التدافع بين الحق والباطل هو الذي
يحفظ الحياة سالحة، وإلا أسنت الحياة وتعفنت،
وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي
الناس [إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ
كَبِيرٌ]، يعني إن لم تحصل الموالاة بين المؤمنين
والجهاد والهجرة في سبيل الله يعم الشرك
الأرض.

وقانون التدافع: هو التفسير الإسلامي للتاريخ
والأحداث، إن الإسلام لم يأت ليكون دين الجزيرة

الفصل الثاني: عبد الله عزام- جرح القدس في ذرى الهندكوش العربية فحسب، أو ليكون دين العرب فقط، ثم بعد ذلك يقبع في أرجاء الجزيرة، يدافع عن حدودها، ويحمي أطرافها، إن رسول الله ﷺ بعث للأحمر والأسود.

إن الجهاد ضرورة لحماية الشعائر وحفظ الفرائض التعبدية وأماكن أدائها ﷻ وَأَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِهَدْمِ صَوَامِعُ وَبِيَعُ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ... ﷻ.

فالتمكن في الأرض ضرورة حتمية وفرض لازم لحماية العبادة ﷻ الَّذِينَ إِنْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ.. ﷻ.

لقد بلغت الجرأة بأعداء الله أن يعلن أتاتورك تحويل مسجد آياصوفيا إلى متحف، ويمنع الأذان بالعربية، ويمنع الصلاة أمام الناس، ويفرض السفور على كل امرأة تتعامل مع الدولة، أو تدرس في مدارسها!!

ولقد وصل الصلف بعبد الحكيم عامر أن يوزع على خطباء المساجد أن يمتنعوا عن الكلام على فرعون سيدنا موسى!!

وبلغ الغرور بالنصيري أن يعلن حكم الإعدام عقوبة على من ثبت أنه من الإخوان المسلمين!!
ووصل الإستهتار والسخرية بالقيم عند أحدهم أن يؤسس نوادي للعراة يسميها (صفر في الأخلاق)!!

ويعلن جمال سالم هزاه بالقرآن الكريم، فيطلب من الأستاذ الهضيبي أن يقرأ الفاتحة معكوسة.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
ويصرح حمزة البسيوني قائلاً لمن استغاثوا بالله
أثناء التعذيب: (لوجاء الله لوضعه في
الزنازة)!!.

إنها مهزلة مضحكة قاتلة أن يقول قائل: إن
وظيفة الإسلام أن يقف واعظاً لأمثال هؤلاء،
ينصحهم باللسان، ولا شأن له باللسان، لأنه لا
إكراه في الدين!!

لا بد للإسلام من البيان باللسان وإزالة الحواجز
أمام دعوته باللسان.

نعم لا إكراه في الدين بعد تحطيم العقبات، التي
تحول دون وصول الإسلام إلى الناس، وتمنع دخول
الناس في هذا الدين، وتعبدتهم لغير رب العلمين،
إن الحق يأبى الحدود الجغرافية، ولا يرضى أن
ينحصر في حدود ضيقة اخترعها علماء الجغرافيا،
فالحق يتحدى العقول البشرية النزيهة، ويقول لها:
ما بالكم تقولون إن القضية الفلانية حق في هذا
الجانب من الجبل أو النهر، وهي باطل إذا تعدت
هذا الشاطئ إلى الشاطئ الآخر؟²⁸

وقال ~:

"فهذا الدين جاء بالسيف، وقام بالسيف، ويبقى
بالسيف، وبضيع إذا ضاع السيف، وهذا الدين دين
هيبة.. دين رهبة، دين قوة، دين صولة، دين عزة،
والضعف فيه جريمة يستحق صاحبها جهنم. [إِنَّ
الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ طَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ
كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ
تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا]"²⁹.

²⁸ عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر ص: 6 و 7.

²⁹ ذكريات فلسطين ص: 17.

الفصل الثاني: عبد الله عزام- جرح القدس في ذرى الهندكوش
7- وكان يرى أنه لا بد من إقامة دولة مسلمة على بقعة
من الأرض عبر جهاد شعبي عام، تتميز فيه القيادات بمقدار
عطائها.
يقول ~:

"إن إقامة المجتمع المسلم فوق بقعة أرض
ضرورية للمسلمين ضرورة الماء والهواء، وهذه
الدار لن تكون إلا بحركة إسلامية منظمة، تلتزم
الجهاد واقعاً وشعاراً، وتتخذ القتال لحمه ودمثاً.
وإن الحركة الإسلامية لن تستطيع إقامة
المجتمع المسلم إلا من خلال جهاد شعبي عام،
تكون الحركة الإسلامية قلبه النابض وعقله
المفكر، وتكون بمثابة الصاعق الصغير الذي يفجر
العبوة النافسة الكبيرة، فالحركة الإسلامية تفجر
طاقات الأمة الكامنة وينابيع الخير المخزونة في
أعماقها.

فالصحابة -رضوان الله عليهم- كان عددهم
قليلاً جداً بالنسبة لمجموع عامة المسلمين، الذين
قوضوا عرش كسرى، وثلثوا مجد قيصر. بل إن
القبائل المرتدة عن الإسلام في أيام الصديق قد
سيرهم عمر بن الخطاب -بعد أن أعلنوا توبتهم-
إلى قتال الفرس، ولقد أصبح طلحة بن خويلد
الأسدي -الذي ادعى النبوة من قبل- أحد أبطال
القادسية البارزين، واختاره سعد لمهمة استكشاف
أخبار الفرس، فأبدى شجاعة فائقة.

أما الحفنة من الضباط التي يمكن أن يتوهم
البعض أن بإمكانهم عمل مجتمع مسلم فهذا
ضرب من الخيال، أو وهم يشبه المحال، لا يعدو³⁰
أن يكون تكراراً لمأساة عبد الناصر مع الحركة
الإسلامية مرة أخرى.

³⁰ لعل الصواب: لا يعدو إلا أن يكون..

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
والحركة الشعبية الجهادية - مع طول الطريق
ومرارة المعاناة وضخامة التضحيات وفداحة
الأرزاء- تصفي النفوس، فتعلو على واقع الأرض
الهابط، وترتفع الاهتمامات عن الخصومات
الصغيرة على دراهم، وعن الأغراض القريبة،
وسفاه المتاع، وتزول الأحقاد، وتصقل الأرواح،
وتسير القافلة صعداً من السفح الهابط إلى القمة
السامقة بعيداً عن تنن الطين وصراع الغايات.
وعلى طول طريق الجهاد تفرز القيادات ،
وتظهر الكفاءات من خلال العطاء والتضحية، ويزر
الرجال شجاعتهم وبذلهم.

.....
فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي { ما برزوا إلا من
خلال الأعمال الحليّة والتضحيات الباهظة، ولذا لم
يكن أبو بكر بحاجة إلى دعاية انتخابية عندما
أجمعت الأمة على انتخابه، فما أن فاضت روح
رسول الله T إلى الرفيق الأعلى في الجنة تطلعت
العيون إلى الساحة، فلم تجد أفضل من أبي بكر
<

والأمة التي تجاهد، تبذل الثمن غالياً، فتجني
الثمرة الناضجة، ليس من السهل أن تفرط فيما
جنته بالعرق والدم، وأما الذين يتربعون على صدور
الناس من خلال البيان الأول في انقلاب عسكري،
صنع وراء الكواليس في السفارات، يسهل عليهم
التفريط بكل شيء.

ومن أخذ البلاد بغير حرب
تسليم البلاد
يهون عليه

والأمة الجهادية -التي يقودها أفذاذ بروزا من
خلال الحركة الجهادية الطويلة- ليس من السهل
أن تفرط بقياداتها، أو تخطط للإطاحة بها، وليس

الفصل الثاني: عبد الله عزام- جرح القدس في ذرى الهندكوش
من اليسير على أعدائها أن يشككوها بمسيرة
أبطالها، والحركة الجهادية الطويلة تشعر الأمة
بأفرادها جميعاً أنهم قد دفعوا الثمن، وشاركوا في
التضحية من أجل قيام المجتمع الإسلامي،
فيكونون حراساً أمناء لهذا المجتمع الوليد، الذي
عانت الأمة جميعها من آلام مخاضه.

لا بد للمجتمع الإسلامي من ميلاد، ولا بد للميلاد

من مخاض، ولا بد للمخاض من أمم³¹.

وقال ~:

" إذا أردنا أن نسير من كابل إلى القدس، فهذا
هو الطريق: دعوة إسلامية، تربي الشباب على
الإسلام، يحملون السلاح، يدخلون المعركة بعقيدة،
وعندئذ ينتصرون، بدون هذا سننقى نحرث في
الماء، ونزرع البذور في الهواء، وسيبقى ضياع في
ضياع، وتبقى القضية إعلانات وشعارات، وجمل
وعبارات، ولو ككلمات، ولا تنتهي إلى نهاية"³².

8- وكان ~ يدعو الشباب لعدم الاستسلام لسلطات الأمن

ولمقاومتهم، حتى لو أدى ذلك لاستشهاد المطلوبين.

يقول ~:

"(من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون
دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد،
ومن قتل دون أهله فهو شهيد).

صحيح رواه أبو داود والترمذي والنسائي
وأحمد عن سعيد بن زيد، وهو في صحيح الجامع
برقم (6321).

³¹ الذخائر العظام ج: 1 ص: 179 إلى 194- نقلتها عن دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ص: 1591 إلى 1592.

³² ذكريات فلسطين ص: 12 و 13.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
وهذا يسمى في الفقه : دفع الصائل، والصائل
هو الذي يسطو بالقوة على الأعراض والنفوس
والأموال.

وقد اتفق الفقهاء الأربعة على وجوب دفع
الصائل على الأعراض، أما الصائل على النفس أو
المال فيجب دفعه عند جمهور العلماء، ويتفق مع
الرأي الراجح في مذهبي مالك والشافعي، ولو أدى
إلى قتل الصائل المسلم.

قال الجصاص: "لا نعلم خلافاً أن رجلاً لو شهر
سيفاً على رجل ليقته بغير حق أن على المسلمين
قتله". وقال ابن تيمية: "فالعُدو الصائل الذي
يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من
دفعه".

وكم كلف جهل هذا الحكم الشرعي المسلمين
من ضحايا، لأن المخبر كان يأخذ زوجته في
منتصف الليل، ولا يقتله خوفاً من سفك دم امرئ
مسلم"³³.

ويقول ~:

"قد يسأل سائل : أو يجوز لنا أن نقتل شرطياً
يصلي ويصوم، من أجل أنه يريد أن يأخذني إلى
قسم البوليس؟

أما رأي الفقهاء بالإجماع على أنه لا يجوز لأحد
أن يستسلم لإنسان يريد أن ينتهك عرضه، فإذا
كان عبد الناصر يأخذ الأخ المسلم مدة عشرين
عاماً في السجن، ويأتي بزوجه، وينتهك الشرطة
عرضها أمامه، فالإجماع منعقد على أنه لا يجوز
أبداً أن يستسلم حتى الموت.

اتفق الفقهاء جميعاً على أن دفع الصائل عن
العرض واجب بالإجماع. فإذا أنت تركت الشرطة

³³ إتخاف العباد بفضائل الجهاد ص: 8.

الفصل الثاني: عبد الله عزام- جرح القدس في ذرى الهندكوش
يقتحمون بيتك في وهن من الليل، وزوجتك عارية
في ثياب النوم، يكشفون عنها غطاءها، ليبحثوا أنك
نائم عندها، فعرضك منتهك، وأنت آثم عند رب
العالمين، فهنا الظلم. والصلاة والصوم من قبل
الشرطي هذه لا تمنع عنه قضية القتل"³⁴.

9- وكان ~ يدعو المسلمين وخاصة العلماء للجهر بالحق
في وجه الطغاة الظالمين، حتى ولو أدى لاستشهاد الأمرين
بالمعروف والناهين عن المنكر.
يقول ~:

"(إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه).
صحيح رواه أحمد والطبراني عن كعب بن مالك
, وهو في صحيح الجامع برقم/1930 .
ومن الجهاد باللسان فتوى العلماء في وجوب
الجهاد خاصة عندما تخالف هوى السلطان، فهنا
تكون الفتوى شديدة على النفس، لأنها قد تكلف
العالم وظيفته أو سجنه أو عنقه، ولذا لا يستفتى
في أمور الجهاد إلا الصادقون العالمون العاملون.
قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى 4/185:
"والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل
الدين الصحيح، الذين لهم خبرة بما عليه أهل
الدنيا، دون الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر
الدين فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا
خبرة لهم في الدنيا".
أي يشترط في الذي يفتي في أمور الجهاد : أن
يكون قادراً على الاستنباط مخلصاً، وأن يعرف
طبيعة المعركة وأحوال أهلها"³⁵.

ويقول ~:

³⁴ في الجهاد فقه واجتهاد ص: 175 و 176.
³⁵ إتخاف العباد بفضائل الجهاد ص: 48.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
" عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:
(سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب , ورجل قام
إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله). رواه الترمذي.
وهذا يدل على منزلة الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر في الإسلام.. وإنكار المنكر والظلم في
المجتمع واجب, ولو في وجه الحاكم المسلم إذا
كان ظالماً أو فاسقاً, أما الحاكم الكافر فلا يجوز
السكوت عليه بحال, ولا تجوز ولايته, والخروج
عليه فرض من قبل الأمة جميعاً"³⁶.

وقال ~:

"أيها المسلمون: حياتكم الجهاد، وعزكم الجهاد،
ووجودكم مرتبط ارتباطاً مصيرياً بالجهاد، أيها
الدعاة: لا قيمة لكم تحت الشمس، إلا إذا امتنشتكم
أسلحتكم، وأبدتم خضراء الطواغيت والكفار
والظالمين.

إن الذين يظنون أن دين الله يمكن أن ينتصر
بدون جهاد وقتال ودماء وأشلاء، هؤلاء واهمون لا
يدركون طبيعة هذا الدين"³⁷.

10- وكان يرى ~ أن الالتزام ببيعة الجماعات لا يمكن أن
تمنع المسلم عن عمل من أعمال الخير، ناهيك عن الجهاد.
يقول ~:

"والبيعة دائماً على البر والتقوى، لأنه عهد على
التعاون على البر والتقوى، ولا يجوز البيعة على
الإثم والعدوان، كمن يتعهدون عهداً خاصاً، ثم
يطلب من المبايع بعد فترة أن يعمل أعمالاً لا
يرضاها الله، ولا تقرها الشريعة كمقاطعة فلان،
والتجسس على فلان، وتتبع عورات الآخرين.

³⁶ إنحاف العباد بفضائل الجهاد ص: 6.

³⁷ الشهيد عزام بين الميلاد والاستشهاد ص: 15.

الفصل الثاني: عبد الله عزام- جرح القدس في ذرى الهندكوش
 ويجوز للمسلم أن يعطي عدة بيعات لعدة
 أشخاص، فيعطي الشيخ بيعة أن يجاهد معه،
 والآخر بيعة أن يتلقى العلم على يديه، ويتربى على
 يديه، ولا معارضة بين هذه البيعات، ولا يجوز لأحد
 أن يفرض طاعته في كل شيء على من عاهد على
 شيء، ولا يجوز لأحد أن يحتج ببيعته ليمنع المباع
 من عمل بر، نص عليه الكتاب والسنة كالجهاد في
 سبيل الله مثلاً. لأن البيعة عندئذ تنقلب إلى بيعة
 على الإثم (وإنما الطاعة بالمعروف) (ولا طاعة
 لمخلوق في معصية الخالق). حديثان صحيحان "38.

11- ونختم هذا الفصل بهذه الكلمات للشيخ الشهيد كما

نحسبه، وكأنه ~ يقرأ فيها الغيب:

"يا أيها الإخوة: نحن مظلومون... ظلمنا... منعنا
 أن ندفع الصائل عن أعراضنا، منعنا أن نمد يداً إلى
 الصائل في داخل بيوتنا، حرماناً أن نمد يداً إلى
 السارق، الذي دخل إلى حجرة نومنا، ماذا بعد ذلك
 إلا أن تسألنا الملائكة: [فِيمَ كُنْتُمْ؟] فماذا يكون
 الجواب، إلا أن يكون جواب تلك الطائفة الأولى:
 [كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ]. فيكون الجواب من
 رب العزة: [فَأُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ
 مَصِيرًا].

إن منهاجنا هو تحرير أفغانستان، نعم لا بد من
 تحرير أفغانستان، لأنه جزء من ديننا وفرض لازم
 في أعناقنا، وأن نحرر بيت المقدس، وأن نعيد
 الأقصى تحت ظل التوحيد وتحت راية لا إله إلا
 الله، نعم.. [قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
 وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً].

ولكن كما قلت لكم غلت الأيدي، وصفدت
 الأيدي مع الأعناق، ووضعت الأصفاد والقيود

38 إنحاف العباد بفضائل الجهاد ص: 26.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
بالأرجل، ومنعت الأنفاس، وعدت علينا، وكتبت
النبضات، وأحصيت دقات القلوب، فماذا بعد ذلك؟
لا بد أن نبحت عن موطئ للجهاد، نعذر به إلى رب
العباد، ونعد أنفسنا لنعود إلى تطهير البلاد.
إن الذين يظنون أن الجهاد في أفغانستان هو
إغفال للقضية الإسلامية في فلسطين، هؤلاء
واهمون غافلون، لا يدركون كيف تعد القيادات؟
وكيف تبنى الحركات؟ وكيف تؤسس النواة؟
ليجتمع حولها الجيش الإسلامي الكبير، الذي يطهر
به الأرض من الفساد الكبير. ونحن والناس
يراجعوننا على أنكم قد تركتم فلسطين، واشتغلتم
بأفغانستان. نحن مشغولون بأفغانستان، ويجب
علينا أن نساعد الشعب المسلم المجاهد في
أفغانستان، ويجب علينا أن نطهر أرض أفغانستان.

.....
إن أفغانستان هي فلسطين وفلسطين هي
أفغانستان والشجى يبعث الشجى، ولكننا لا نريد
أن تموت جذوة الجهاد في أعماقنا، ولا أن يخبو
الحماس لهذا الدين ولإنقاذ المستضعفين ولحماية
بلاد المسلمين في داخل شراييننا ومسارنا
الداخلية، نريد أن تبقى الجذوة حية، فلا بد أن تبقى
نزاول الجهاد، والجهاد فريضة العمر في أفغانستان
وفي فلسطين وفي الفلبين وفي كل مكان طغى
فيه الأباطرة والقيصرة والظالمين.

.....
سيقول قائل: إن تعلن عن قضية سيرميك
العالم كله عن قوس واحدة، ويصمم سهامه إليك
من كل مكان، فنقول لهم: نحن نشعر الآن على
أن اليهودية العالمية والأمريكان وغيرهم من
العملاء في أرجاء العالم الإسلامي نجد منهم
الأمرين، ونذوق منهم كل ويل، حتى في الدخول

الفصل الثاني: عبد الله عزام- جرح القدس في ذرى الهندكوش
إلى أرض الجهاد، حتى في الدخول إلى أرض
باكستان.

.....
قبل السنتين الأخيرتين التي انتبه فيها اليهود إلى
أن هنالك شباب من العالم الإسلامي، أيقظهم هذا
الجهاد المبارك، وهزهم من سباتهم العميق، وحرك
في أعماقهم النخوة لهذا الدين والرجولة لحماية
الأعراض، التي تنتهك، والدماء التي تسفك،
والأموال التي تسلب، والأرواح التي تزهرق،
فانتبهوا، وبدأت التشديدات، وبدأت الضغوط.

.....
نحن مسلمون، نحن مجاهدون إن شاء الله،
وطنا أنفسنا للموت في أي مكان، للاغتيال في
أرض باكستان، للقتل في داخل أفغانستان،
للموت فوق ربوع المسجد الأقصى، لقد نذرنا
أنفسنا لله عز وجل، ونرجو الله أن يعين هذه
النفوس الضعيفة، وأن يقوي هذه الأجساد
والأعصاب الكليية، وأن يثبتنا على الطريق.

.....
ونرجو الله -عز وجل- أن لا نسقط إلا على هذا
الطريق شهداء، ونحن نعتقد كذلك على أننا حيث
قتلنا وأنى سقطنا فنحن شهداء، ما دام في
الأعماق نية استمرار الجهاد، وما دام في داخل
مسارينا عزيمة استمرار القتال والجلاد، وكما قلت
لكم -وأنا أعلن هذا وأنا ضعيف- فقد أخرج غداً عن
هذا الطريق، ولكنه طريق الحق، ونرجو الله
الثبات، فإن سقطنا على الطريق -حيث ما سقطنا
برصاص أمريكي أو برصاص غادر أو ظالم أو
برصاص شيوعي- فنحن بيننا وبين الله نعتقد أننا
شهداء، نعتقد أننا -بإذن الله- ما دامت النية خالصة

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
والعزيمة موجودة أننا قد بلغنا، وأشهدنا، وقدما
الروح" ³⁹.

ولعل في هذا الاستعراض الموجز لتراث الشيخ الشهيد -
كما نحسبه - ~ ما يدحض الصورة السيئة، التي حاول بعض
من ينتسبون إليه أن يلصقوها به. أسأل الله أن يكون هذا
بعضاً من الوفاء لذلك العملاق المجاهد ~، الذي خلف وراءه
تراثاً قيماً، على المسلمين أن يهتموا به الاهتمام الذي
يستحقه.

رحم الله عبد الله عزيم، فقد أكرمه الله بالشهادة، وعافاه
من أن يعيش ليرى كثيراً ممن كان يمدحهم، بل ويُنتقد
للمبالغة في مدحهم، حرصاً منه على الذب عن الجهاد
الأفغاني، أقول: ليرى كثيراً ممن كان يمدحهم، وهم يعودون
لكابل تحت ظل أعلام الصليبية وفي حماية طائراتها ودباباتها!

³⁹ في الجهاد فقه واجتهاد ص: 241 إلى 244.

الفصل الثالث: العمليات

في مصر

□ فَعَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ
وَخَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسَ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا □

إذا لم يكن إلا الأسنهٗ مركبٌ فلا رأي
للمضطرِّ إلا ركوبها⁴⁰

قد لا يكون من المناسب أن أقدم هنا سرداً تفصيلياً
لعمليات المجاهدين ضد الحكومة في مصر بعد مقتل أنور
السادات، ولكنني سأحاول أن أقدم عرضاً مجملًا لأهم
العمليات الجهادية ومعانيها في تلك الفترة، وسأعرض أولاً
لأهم العمليات الجهادية، ثم ثانياً للدروس المستفادة من هذه
العمليات.

⁴⁰ البيت للكُميت بن زيد الأسدي. الإعجاز والإيجاز ص: 163.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
أولاً: أهم العمليات في مصر بعد مقتل أنور السادات.
1- يمكننا أن نبدأ رصد بداية العمليات في مصر بتسجيل
عدوان الحكومة على حي عين شمس بالقاهرة.
أ- حين اقتحمت قوات الشرطة مسجد آدم عقب صلاة
المغرب يوم الجمعة 12 أغسطس سنة 1988، حيث تعقد
الجماعة الإسلامية ندوتها الأسبوعية. ومن الجدير بالذكر أن
مسجد آدم قد سبق اقتحامه عدة مرات من قبل قوات
الشرطة، كما أن اقتحام المساجد أصبح عادة متكررة لقوات
الشرطة، يحطمون كل ما بداخلها، ويمزقون الكتب،
ويطلقون داخلها القنابل المسيلة للدموع وطلقات الرصاص
بلا تمييز.
إن العدوان المتكرر حتى اليوم على المساجد، لا يمكن أن
يمر بدون عقاب بإذن الله، وهذه الجرائم يتحمل مسؤوليتها
النظام المصري والإدارة الأمريكية، التي تتم هذه الجرائم
برضاها وتحت سمعها وبصرها وتنفيذاً لسياساتها في
كبت المقاومة الإسلامية ضد التوسع الإسرائيلي في المنطقة.
وقد بدأ الاقتحام بتحطيم نوافذ المسجد، ثم إلقاء القنابل
المسيلة للدموع والقنابل الحارقة داخله لإجبار الموجودين فيه
على الخروج، وعندما بدأوا بالخروج اقتحمت قوات الشرطة
المسجد، وأطلقت الرصاص بلا تمييز.
وكانت هذه الجريمة كافية لاستفزاز أهالي المنطقة الذين
انضموا تلقائياً إلى أعضاء الجماعة الإسلامية، فاتسع نطاق
الاضطرابات، حتى شمل المنطقة بأسرها.
وجن جنون وزارة الداخلية، فأصدرت الأوامر بإطلاق
الرصاص، وتساقط الضحايا من الأطفال والنساء والشيوخ
والشباب، وامتلت الشوارع والبيوت بالجرحى والقتلى
الغارقين في دمائهم، كما امتلت شاحنات الشرطة بمئات
المعتقلين. وكان من الطبيعي أن يرد الأهالي، وأصيب
ضابطان وأربعة جنود، وتوفي الضابط محمد زكريا متأثراً
بإصابته بحجر في رأسه.

الفصل الثالث: العمليات في مصر
وبالطبع فرضت أجهزة الأمن حظر التجول في جميع
شوارع المنطقة، ودفعت وزارة الداخلية بأعداد هائلة من
القوات إلى المنطقة.

ب- كانت الحملة الثانية على حي عين شمس يوم الأربعاء
7 ديسمبر 1988، حين انتهز وزير الداخلية -زكي بدر- ورود
معلومات عن مسيرة سلمية تنوي الجماعة الإسلامية تنظيمها
إلى القصر الجمهوري بالقبة، للإعراب عن تأييدها للانتفاضة
في فلسطين المحتلة. ولكن الشرطة لم تكن لتسمح
للجماعة الإسلامية بأن تعبر عن وجودها في الشارع
بمظاهرة، مهما كان السبب.

واقترحت الشرطة مسجد آدم قبل صلاة الفجر، واعتقلت
كل من بداخله، وقامت بحملة اعتقال واسعة النطاق لجميع
أعضاء الجماعة الإسلامية في مناطق عين شمس والمطرية
والألف مسكن ومساكن عين شمس، واعتقلت أكثر من 180
شخصاً. وخرجت صحف الحكومة ببيان لوزارة الداخلية
يتضمن اعترافاً بالحملة على عين شمس واعتقال عشرات
من أعضاء الجماعة الإسلامية، وزعم البيان أنه تم ضبط
منشورات وأسلحة بحوزة بعض المعتقلين، كما اعترف البيان
بأن قوات الشرطة أغلقت مسجد آدم، وأنها تواصل تمشيط
المنطقة بحثاً عن أعضاء الجماعة الإسلامية المطلوب
اعتقالهم، ولكن البيان لم يذكر اعتقال النساء من زوجات
وأمهات وأقارب الهاربين وأطفالهم كرهائن، لإجبارهم على
تسليم أنفسهم، ولم يذكر أيضاً ما تعرضوا له من تعذيب
وحشي ليعترفوا بأماكن ذويهم.

ج- وفي تطور سريع للأحداث طعن بائع بسوق عين شمس
ضابط الشرطة المقدم عصام شمس، وتوفي الضابط متأثراً
بإصابته، وفر البائع الذي ثبت من تحقيقات النيابة أن اسمه
شريف محمد أحمد، وكان قد تعرض للضرب المبرح عدة
مرات على أيدي بعض ضباط المباحث، كما سبق اعتقاله في
أحداث أغسطس المذكورة آنفاً، وتعرض للتعذيب في قسم

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان عين شمس. وكانت نهاية الأحداث تمثيلية سيئة الأدوار قتل فيها شريف محمد أحمد وآخرين معه هما خالد إسماعيل وأشرف درويش رمياً بالرصاص، ثم زعمت وزارة الداخلية في بيان أصدرته؛ أن القتل الثلاثة قاموا الشرطة أثناء القبض عليهم لمدة ثلاث ساعات في أحد شوارع شبرا، رغم عدم إصابة ضابط أو جندي واحد بطلقة. كما زعم البيان أنه قد تم العثور على بعض الأسلحة بجوار جثث القتلى الثلاثة، وقتل أيضاً أحد قيادات الجماعة الإسلامية بالمنطقة ويدعى جابر محمد أحمد، وادعت الشرطة كالعادة أنه قاوم السلطات، وحاول قتل أحد الضباط، فاضطرت القوات إلى إطلاق الرصاص عليه. وفور وقوع الحادث فرض حظر التجول في شوارع المنطقة، وشنت حملة اعتقالات واسعة على المشتبه في صلتهم بالحادث، وكان من أسباب ذلك الحادث دور الضابط المذكور في التعذيب الوحشي للمعتقلين في قسم شرطة عين شمس.

وأمر زكي بدر -وزير الداخلية حينئذ- باعتقال 30 سيدة وفتاة من أمهات وزوجات وشقيقات قيادات الجماعة الإسلامية الهاربين، وعقب تعذيب بشع تعرضن له في قسم عين شمس تم نقلهن إلى إدارة مباحث أمن الدولة في لاطوغلي، حيث تم تجريدهن من ملابسهن، وتعرضن للصفع والركل وألوان السباب⁴¹.

وهكذا كانت أحداث عين شمس اعتداءً صارخاً على الجماعة الإسلامية بل وعلى الشعب في كل المنطقة، وكان الهدف منها واضحاً، وهو تدمير النشاط الدعوي السلمي، الذي كانت تقوم به الجماعة الإسلامية في تلك المنطقة، بعد أن حازت تأييد الناس نتيجة للنشاط الاجتماعي والدعوي، الذي بذله أعضاؤها، ولكن الحكومة التي انتهجت سياسة قتل

الفصل الثالث: العمليات في مصر

أفراد الجماعات الإسلامية ومنع أي نشاط لها، لم تكن لتسمح بذلك، تلك السياسة التي عبر عنها زكي بدر بسياسته المعلنة (الضرب في سويداء القلب، والضرب في المليان).

2- وقررت الجماعة الإسلامية الرد على أحداث عين

شمس، وكان الرد هو إعداد كمين لموكب زكي بدر -وزير الداخلية- بواسطة سيارة ملغومة في 26 ديسمبر 1989، ولكن الكمين فشل لخلل في المتفجرات داخل السيارة، وقبض على سائقها.

3- وردت وزارة الداخلية على الجماعة الإسلامية بقتل

الدكتور علاء محيي الدين في الشارع في وضح النهار في 2 سبتمبر 1990.

وكان علاء محيي الدين ~ من قيادات الجماعة الإسلامية

الداعين للحوار مع الحكومة، وعبر عن ذلك في عدة مناسبات رافعاً شعار (مرحباً بالحوار الحر المتكافئ)، وهي سياسة ثبت فشلها تماماً مع حكامنا.

وكان قتل علاء محيي الدين رسالة واضحة إلى الجماعة

الإسلامية؛ أن الدعوة للحوار جزأؤها القتل، وأن النظام لن

يقبل بوجود الجماعات الجهادية، وكان النظام منطقياً مع نفسه، فالجماعات الجهادية هي أخطر معارضة في مواجهته، فهي أقدر الجماعات على تجميع الشباب المسلم والانتشار بينه، وهي أخطر الجماعات على سياسة التطبيع مع إسرائيل، ولن يهنا لإسرائيل مقام فوق أرض مصر طالما كان تهديد الجماعات الإسلامية قائماً.

4- وردت الجماعة الإسلامية على قتل علاء محيي الدين ~

بنصب كمين لوزير الداخلية عبد الحليم موسى، ولكن شاء

الله أن يمر موكب رفعت المحجوب -رئيس مجلس الشعب- بدلاً منه فوقع في الكمين وقتل. وهكذا تحولت الجماعة الإسلامية من خطها الدعوي طويل المدى إلى خط المواجهة بمقاومة عدوان الحكومة عليها بالقتال.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
5- وفي مطلع التسعينيات حدث تطور مهم آخر، وهو القبض على عدد كبير من إخواننا في جماعة الجهاد وتقديم ثمانمائة منهم إلى المحاكم العسكرية فيما عرف بقضايا طلائع الفتح، وحكمت المحكمة على أربعة منهم بالإعدام. وخرجت الصحف الحكومية مزهوة متفاخرة بالقبض على ثمانمائة عضو في جماعة الجهاد بدون إطلاق طلقة واحدة. وقررنا أن ندخل معركة المواجهة مع الحكومة، بعد أن كان خطنا السابق هو الانتشار وتجنيد العناصر استعداداً لمعركة التغيير.

6- وكان ردنا هو الهجوم على موكب وزير الداخلية -حسن الألفي- بعملية استشهادية بدراجة نارية ملغومة، ونجا الوزير من الموت، ولم يصب إلا بكسر مضاعف في ذراعه، وحالت بينه وبين الموت كومة من الملفات كان يضعها إلى جانبه استقرت بها الشظايا.

7- وتلا ذلك هجوم إخوة الجماعة الإسلامية على وزير الإعلام -صفوت الشريف- ونجا وزير الإعلام من الكمين. وتزامن مع ذلك هجوم الجماعة الإسلامية على قائد المنطقة العسكرية المركزية باعتباره القائد المصدق على أحكام المحاكم العسكرية، ولم ينجح الهجوم لأن سيارته كانت مصفحة.

8- وقام إخواننا في جماعة الجهاد بالهجوم على موكب رئيس الوزراء -عاطف صدقي- بسيارة ملغومة، ولكن رئيس الوزراء نجا من الهجوم بخروج سيارته من دائرة الانفجار بأجزاء من الثانية، بعد أن أصابتها شظايا الانفجار. وقد نتج عن الهجوم المذكور مقتل طفلة تدعى شيما، كانت تلميذة في مدرسة مجاورة، وكانت تقف قريباً من موقع الحادث. وقد استغلت الحكومة مقتل الطفلة شيما رحمها الله، وصورت الحادث على أنه هجوم من جماعة الجهاد على الطفلة شيما وليس على رئيس الوزراء عاطف صدقي. وأظهرت الصحف صور والدي شيما وهما ينتحبان على

الفصل الثالث: العمليات في مصر
ابنتهما، وصور شيماء في طفولتها المبكرة. وحاولت تهيج
مشاعر الجمهور بهذه الأساليب، لتبعد أنظار الناس عن
القضية الأساسية في الصراع بين المجاهدين والحكومة.
ووهذه الأساليب تتفق مع التوصيات، التي نصح بها مركز
مكافحة الإرهاب في الجيش الأمريكي، حيث نقلوا
مقتطفات من هذا الكتاب عن مقتل شيماء رحمها الله،
واخترعوا مصطلحاً أسموه (أثر شيماء)، ثم قالوا ما
ترجمته:

"لا بد أن تمول حكومة الولايات المتحدة
حملات الدعاية التي تركز على تحويل الرأي العام
المسلم ضد الجهاديين، ولكن بصورة خفية جداً
وبأسلوب غير مباشر.

ولا بد للولايات المتحدة أن تستثمر قوة (أثر
شيماء) خاصة، في نشر صور الهجمات الجهادية
التي قتلت أطفالاً مسلمين.

وفي ضوء النقاط السالفة التي أوضحت الآثار
الوخيمة لعمل الولايات المتحدة المباشر في
المنطقة، فمن الضروري أن تعمل الولايات
المتحدة من خلف الستار.

ولذلك فإن حملات الدعاية مثل تلك التي أشرنا
إليها سابقاً، لا بد أن تدار بعناية من قبل محترفين
يستخدمون نفس استراتيجيات المعلومات
والمنظمات الممتازة التي استعملتها الولايات
المتحدة بكفاءة في الحرب الباردة".⁴²

وكان إخواننا المنفذون للهجوم -عند استطلاعهم لمكانه-
قد وجدوا مدرسة تحت الإنشاء، فظنوها خالية من التلاميذ،
ولكن تبين -فيما بعد- أن الجزء الخارجي من المدرسة فقط
هو الذي كان تحت التجديد، أما بقية المدرسة فكانت تعمل.

⁴² Stealing Al-Qa'ida's Playbook, P: 18 &19.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان وقد ألمنا جميعاً مقتل هذه الطفلة البريئة بدون قصد. ولكن ما حيلتنا ولا بد لنا من جهاد الحكومة المحاربة لشرع الله والموالية لأعدائه. وقد أذرننا أفراد الشعب من قبل عدة مرات -وخاصة بعد الهجوم على وزير الداخلية حسن الألفي- أن يتعدوا عن مقار أركان النظام ومساكنهم وطرق تحركهم. وأركان النظام لا يتميزون في مساكن ومكاتب ومواكب بعيدة عن الجمهور، ولكنهم يختلطون بهم ويحتمون بزحامهم، فليس لنا بد من ضربهم مع إنذارنا لعامة الناس. وقد لخص أخونا السيد صلاح هذا الموقف -عندما سئل في تحقيق النيابة عن قتل الطفلة شيما- بقوله: أنه يأسف لمقتل هذه الطفلة، ولكن الجهاد لا يجب أن يتوقف.

وقد شرحت هذه المسألة تفصيلاً في رسالتي المسماة (شفاء صدور المؤمنين)⁴³.

وفي ما يتعلق بالآثار المترتبة على إصابة المسلمين -دون قصد- من هذا الرمي فقد اخترنا قول الشافعية والحنابلة -رحمهم الله- بأداء الدية إلى أولياء القتيل أخذاً بأحوط الآراء في المسألة⁴⁴.

⁴³ شفاء صدور المؤمنين- القسم الثاني: الأسس الشرعية لمثل هذه الأعمال عامة- المسألة الثانية: حكم رمي الكفار إذا اختلط بهم مسلمون أو من لا يجوز قتله. ⁴⁴ اختلف العلماء في مسألة رمي الكفار إذا اختلط بهم مسلمون أو من لا يجوز قتله على ثلاثة أقوال:

الأول المنع من الرمي: وهو قول الإمام مالك والإمام الأوزاعي K. [راجع: تفسير القرطبي - سورة الفتح الآية 25- ج: 16 ص: 286 إلى 288، أحكام القرآن للجصاص- تفسير سورة الفتح- باب: رمي المشركين مع العلم بأن فيهم أطفال المسلمين وأسراهم ج: 3 ص: 395، سيل السلام - حديث رقم: 1190- ج: 4 ص: 1345، معني المحتاج ج: 4 ص: 224، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ج: 2 ص: 1332].

القول الثاني: وهو جواز رمي الكفار وإن كان فيهم مسلمين، وإذا قتل مسلم فليس على من رمى دية ولا كفارة، وهو رأي الأحناف وبعض المالكية رحمهم الله. [راجع: أحكام القرآن للجصاص: تفسير سورة الفتح- باب رمي المشركين مع العلم بأن فيهم أطفال المسلمين وأسراهم- ج: 3 ص: 395 و 396، رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين) ج: 4 ص: 129، فتح القدير ج: 5 ص: 448، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ج: 2 ص: 178، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ج: 2 ص: 1135 و 1136، منح الجليل ج: 3 ص: 151].

الفصل الثالث: العمليات في مصر

لذا فنحن نعتبر أن من قتل المسلمين قدراً - بدون قصد- في مثل هذه العمليات فعلينا لأوليائه حق دفع الدية لهم. وكان وكيلي الأستاذ محفوظ عزام المحامي⁴⁵ قد رفع قضية أمام القضاء المصري بموجب التوكيل العام الممنوح مني له، طالب فيها بتعويض عن التعذيب الذي وقع علي في السجن، وحكمت له المحكمة بتعويض قدره 3000 جنيه مصري، وأخبرته وزارة الداخلية أن التعويض موجود في مقر إدارة مباحث أمن الدولة، وإذا كان أيمن الظواهري يريد فليات لاستلامه!!

وما كان لي أن أقبل هذا التعويض لأمرين: الأول أنه قد صدر عن محكمة علمانية تحكم بغير ما أنزل الله، والثاني أنني لا أبيع ما لقيته من هؤلاء المجرمين، فإما أن يتوبوا إلى الله ويعودوا للإسلام، فأنا حينئذ متنازل عن كل حق لي قبلهم، وإما أن يظلوا على إجرامهم فأطالبهم بحقي وحقوق كل المسلمين في الدنيا والآخرة. لأنهم لم يعذبوني لخلاف شخصي بيني وبينهم، ولكنهم عذبوني محاربة للإسلام.

وقد طالبت في كتاب (التبرئة)، وها أنا أكرر

المطالبة هنا من وكيلي الأستاذ محفوظ عزام المحامي أن يطالب إدارة أمن الدولة بتحويل هذا المبلغ لوالد شيماء، كمقدم للدية وبادرة حسن نية مني تجاهه، وأسأل الله أن يعيننا على أداء الباقي.

وإذا أردنا أن نضع قضية شيماء في الميزان الصحيح فعلينا أن نضع في الكفة الأخرى للميزان بناتنا ونساتنا اللاتي تبتعن

القول الثالث في المسألة: جواز رمي الكفار ومن اختلط بهم من المسلمين ومن نهى عن قتلهم من الكفار مع التفصيل، وهو قول الشافعية والحنابلة. [راجع: الأم ج: 4 ص: 244 و 246 و 287، مجموع الفتاوى لابن تيمية ج: 28 ص: 546 و 547، الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج: 4 ص: 607 و 608، المغني لابن قدامة ج: 9 ص: 230 إلى 232، الإنصاف للمرداوي ج: 4 ص: 129، مغني المحتاج ج: 4 ص: 224، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ج: 2 ص 1336 و 1338 و 1339].

⁴⁵ وكيلي الوحيد في مصر هو الأستاذ محفوظ عزام المحامي جزاه الله عني خير الجزاء، وليس لي وكيل سواه، وهناك شخص يزعم أنه كان وكيلي وصديقي وزميلتي ورفيقي في السجن وخارجه، وللأسف كل هذه أقوال لا نصيب لها من الحقيقة.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان وترملن بلا ذنب، بل بسبب قيام آبائهن وأزواجهن بأشرف فريضة؛ فريضة الجهاد في سبيل الله.

لقد اقتادني النظام ومعني 280 أختاً إلى المحاكمة، وطالبت النيابة بإعدامنا جميعاً، أي طالبت بالحكم على ابنتي الصغيرة -التي كانت تبلغ عامين من عمرها- وعلى بنات إخواني بالتيتيم، فمن الذي بكى على بناتنا واهتم بهن؟ ومن الذي بكى على بنت الأخ سيد قرني؟ التي أردتها الشرطة قتيلة لما جرت فزعة من إطلاق الرصاص عند اقتحام الشرطة لمنزله، ومن الذي بكى على آلاف النساء المسلمات العفيفات اللاتي اعتقلن أو أودين أو هددن في مباحث أمن الدولة؟⁴⁶ ومن الذي بكى على عشرات الآلاف من نسائنا وأخواتنا وأمهاتنا اللاتي يقفن على أبواب السجون على أمل زيارة آبائهن وإخوانهن أزواجهن؟ من الذي اهتم لمأساتهن؟

لقد كسرت ذراع سناء عبد الرحمن حين ضربتها الشرطة - بوحشية- هي وابنتها خديجة البالغة من العمر ثلاث سنوات أمام سجن استقبال طرة، لأن الأمهات المنتظرات أخذن في البكاء والعيويل، لما خرج أحد المعتقلين في طريقه إلى المحكمة، وقال لهن: "المعتقلون يموتوا، افعلوا أي شيء، اذهبوا للنائب العام"، ونشرت جريدة الشعب صورة سناء وذراعها في الجبيرة وجانبها ابنتها خديجة⁴⁷.

من الذي يمنع الحجاب في المدارس والنقاب في الجامعات محاربة لآداب الاسلام، وإكراه بناتنا على زي الغرب وتبرجه؟ من الذي ينشر الفاحشة في الإعلام ويشجع الرذيلة؟

لقد قاتلنا هذا النظام المحارب للإسلام حفاظاً على بناتنا وبنات المسلمين وعلى شيماء وكل شيماء.

⁴⁶ التعذيب عامة وتعذيب النساء خاصة أصبح أشهر من ينكر في مصر، واستفاد العلم به بين القاضي والداني. [راجع على سبيل المثال لا الحصر: منظمة العفو الدولية- "مصر: نساء ضحايا بسبب صلات القرابة" (رقم الوثيقة: 12/13/96MDE)، وثيقة الأمم المتحدة رقم: [A/56/38, para.344].

⁴⁷ جريدة الشعب عدد 18/2/1994، ص 7.

الفصل الثالث: العمليات في مصر

- 9- كما قام إخواننا في جماعة الجهاد بقتل مالك معرض السيارات، الذي تعرف على أخينا سيد صلاح أثناء مروره بسيارته من أمام معرضه، وقام بمطاردته، ثم استغل وقوفه أمام محطة بترول، فاستصرخ الناس ليمسكوا به، وسلمه للشرطة، فقتله إخواننا في الليلة السابقة لأدائه الشهادة ضد إخواننا في المحكمة العسكرية، فكانت صدمة للقاضي العسكري، الذي أنهى الجلسة فور بدايتها وسط تكبير إخواننا. وكان أخينا السيد صلاح قد توعدده عند القبض عليه بأنه لن يفلت من عقاب الله، فحقق الله وعيده.
- 10- كما قام إخواننا في جماعة الجهاد بإعداد كمين لموكب حسني مبارك على طريق صلاح سالم، ولكنه لم يمر من هذا الطريق في ذهابه لصلاة العيد. وواكب ذلك محاولة لاغتيال حسني مبارك في مطار سيدي براني قام بها إخوة من الجماعة الإسلامية، ولكنها لم تنجح لاكتشافها قبل التنفيذ.
- 11- وكان رؤوف خيرت من أخطر ضباط مباحث أمن الدولة المحاربين للمجاهدين، وكان يتخذ عدداً من الاحتياطات الأمنية الشديدة، منها تغيير مسكنه كل عدة أشهر، وعدم وضع أي حراسة على منزله، وقيادته لسيارته بنفسه في محاولة للظهور بمظهر الشخص العادي، الذي لا صلة له بالسلطة، ولكن إخوة الجماعة الإسلامية استطاعوا التوصل إليه، وعند خروجه من بيته وركوبه سيارته اقترب منه أحد الإخوة المجاهدين وألقى قبلة يدوية داخل سيارته، فقتل على الفور. ومنح حسني مبارك زوجته في عيد الشرطة وساماً، لا يقيه من نار جهنم.
- 12- وصعدت الجماعة الإسلامية من حملتها، فهاجمت موكب حسني مبارك في أديس أبابا في صيف 1995، ولكن الهجوم لم ينجح ونجا حسني مبارك بسبب تعطل إحدى السيارتين المشاركتين في الهجوم.
- 13- وقام إخواننا في جماعة الجهاد بالتخطيط لعمليتين في وقت متقارب، واحدة في الخارج لتفجير السفارة المصرية

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان في اسلام آباد في خريف 1995⁴⁸، وتمت بفضل الله، وأخرى في الداخل ضد السياح الإسرائيليين، ولكنها اكتشفت قبل التنفيذ، وسمتها الحكومة قضية خان الخليلي.

14- وفي أبريل 1996م ظهر ما يسمى بمبادرة الجماعة الإسلامية لوقف العنف من طرف واحد بنداء وجهه خالد إبراهيم مسؤول الجماعة الإسلامية بأسوان والمتهم في قضية تنظيم الجماعة الإسلامية في أسوان، ثم تكرر النداء في قضية أخرى للجماعة الإسلامية في يوليو 1997م باسم قيادات الجماعة الإسلامية في سجن ليما طره والعقرب. وكان النداء يدعو أعضاء الجماعة الإسلامية في الداخل والخارج إلى وقف العمليات العسكرية والبيانات المحرصة عليها. وطلبت الجماعة من الحكومة أن تتجاوب مع مبادرتها⁴⁹.

15- وفي 18 سبتمبر 1997 قام المجاهدون -صابر فرحات وأخيه وثالث- بالهجوم على حافلة سياحية أمام متحف الآثار بميدان التحرير بالقاهرة، وقد كانت حصيلة هذه العملية هي مقتل عشرة أفراد، تسعة منهم من الألمان. ولقد ذكر الأخ صابر فرحات -أثناء التحقيقات الأولية- أن ما فعله كان انتقاماً لسخرية اليهود من النبي T، ولما يفعلونه بالمسلمين في فلسطين.

وكان صابر فرحات قد قام قبل ذلك بالهجوم على أعضاء المؤتمر القانوني في فندق (سميراميس)، واتهمته الحكومة بالجنون وأودعته مستشفى الأمراض العقلية، ولكنه استطاع الهرب بعد أن رشى العاملين في المستشفى ليقوم مع المجاهدين الآخرين بعملية المتحف المصري. وصرح صابر فرحات -أثناء محاكمته- بأنه قد تأثر بمنشورات جماعة الجهاد.

⁴⁸ يأتي ذكرها في الفصل الرابع من هذا الباب.
⁴⁹ يأتي ذكرها في الجزء الثاني من الكتاب.

الفصل الثالث: العمليات في مصر

- 16- وفي نوفمبر 1997م قام فريق من إخوة الجماعة الإسلامية بعملية الأقصر ضد السياح الغربيين. وطالب المجاهدون بالإفراج عن أسرى الجماعة الإسلامية وعن فضيلة الشيخ عمر عبد الرحمن، وصرحوا بأنهم قد قاموا بهذه العملية انتقاماً لإخوانهم في الجماعة الإسلامية الذين قتلوا تحت التعذيب، ولكن قوات الأمن هاجمت المكان، ولم تتوقف إلا بعد أن قتل جميع من فيه، ثم أعلنت الحكومة أن المهاجمين قتلوا ثمانية وخمسين سائحاً!
- 17- وفي أغسطس 1999م لقي أربعة من الإخوة التابعين للجماعة الإسلامية داخل مصر مصرعهم على أيدي الشرطة في إحدى ضواحي محافظة الجيزة رغم مبادرة الجماعة الإسلامية، وكان من بينهم أمير الجماعة الإسلامية بالمنيا (فريد سالم كدواني)، والذي تبحت عنه الشرطة منذ فترة.
- 18- وفي أغسطس 1999م قام البطل (السيد حسين محمود سليمان) بمحاولة شجاعة لقتل حسني مبارك أثناء زيارته لمحافظة بور سعيد لعمل حملة دعائية لاستفتاء الفترة الرئاسية الرابعة.

ففي أثناء مرور حسني مبارك في شوارع بور سعيد حيث كان جالساً في المقعد الخلفي الأيمن لسيارته، وأثناء تلوّجه للجماهير من نافذة السيارة وبالقرب من أحد المنازل تحت الإنشاء، قفز البطل من فوق أحد الأسوار واندفع نحو سيارة مبارك يجري وراءها محاولاً الإمساك بزجاج نافذة السيارة المجاورة لمبارك، وكان يحمل في إحدى يديه زجاجة بها ماء نار) حمض الكبريتيك المركز، وفي يده الأخرى سكين مطبخ حادة، وعند اتجاهه نحو السيارة بدأ بإلقاء ماء النار في اتجاه مبارك، ثم أهوى البطل بسرعة على مبارك بالسكين فأصابه بجرح في أعلى ذراعه، وفي هذه اللحظة حاول قائد حرس الرئاسة (اللواء إبراهيم الشايب) دفع البطل، فأصابه بجرح قطعي في أصبع يده، ثم أطلق الحرس النار بعد ذلك على الأخ البطل فوقع قتيلاً في الحال، فنسأل الله أن يتقبله في

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان الشهداء.

وانتهز الإخوان المسلمون الفرصة، فأعلنوا استنكارهم لمحاولة الاغتيال! وقالوا: "نحمد الله على نجاه سيادة الرئيس!"

19- تفجيرات طابا

أ- وقع الانفجار مساء الخميس 7 أكتوبر 2004 في فندق هيلتون طابا الذي بناه الإسرائيليون في 1982 قبل الانسحاب من سيناء، تلاه -بمعدل 15 دقيقة لكل انفجار- انفجاران آخران في منتجعي (طرايين) و(رأس السلطان) السياحيين الواقعين إلى الجنوب من طابا¹.

ب- ووفقاً للتقديرات المصرية، فإن الحصيلة النهائية لحوادث التفجيرات، هي 34 قتيلاً²، منهم خمسة مصريين و23 إسرائيلياً، و 135 جريحاً، و 30 مفقوداً³.

ج- وكان ينزل بفندق هيلتون طابا 812 نزياً منهم 108 مصريين، والباقون من الإسرائيليين من أصول روسية وإنجليزية⁴.

وجاء التوقيت مواكباً للأعياد اليهودية (عيد المظلة) الذي يحيون فيه ذكرى خروج العبرانيين إلى سيناء ويفضلون فيه السفر إلى سيناء لأسباب دينية ومادية (انخفاض أسعار الفنادق)، ويرافق ذلك عادة تدفق أعداد ضخمة من اليهود والإسرائيليين على منتجعات سيناء الرخيصة الثمن، حتى إن عددهم بلغ قبل التفجيرات -وفق إحصاءات إسرائيلية- 61 ألف يهودي بينهم 45 ألف إسرائيلي، بقي منهم وقت التفجيرات 15 ألفاً بسبب التحذيرات الأمنية الإسرائيلية من السفر إلى مصر خشية وقوع هجمات ضدهم، وكان أغلبهم في منتجعات طابا القريبة من الحدود المصرية الفلسطينية.

¹ محمد جمال عرفة- إسلام أون لاين نت- 8 / 10 / 2004.

² CNN Arabic.com- 25/ 10/ 2004.

³ المنظمة المصرية لحقوق الإنسان- العريش ... قبض عشوائى واحتجاز تعسفى

وتعذيب.

⁴ إسلام أون لاين.نت- 8- 10- 2004.

الفصل الثالث: العمليات في مصر

وتعتبر الفترة من شهر أكتوبر وحتى فبراير من كل عام هي موسم السياحة الشتوية في مدن سيناء (طابا وشرم الشيخ ونويبع وغيرها)، وأكثر من 80% من السياح يكونون من الإسرائيليين، خاصة أن منطقة طابا معروفة بأنها منتجع سياحي للإسرائيليين لقرىها من الحدود (200 متر فقط)، ولا يرتادها المصريون كثيراً⁵.

وقالت وزارة السياحة الإسرائيلية -في إحصائية نشرتتها صحيفة (يديעות أجرونوت)-: إن السياحة من إسرائيل لسيناء سجلت رقماً قياسياً خلال شهر أغسطس الماضي حيث احتاز 89 ألفاً من الإسرائيليين الحدود للاستحمام بسيناء، وقال وزير السياحة المصري:

إنه "توافد على سيناء سنوياً 300 ألف سائح إسرائيلي"، واعترف بأنهم "يشكلون غالبية سائحي المنطقة"⁶.

د- وانتقدت القيادات المتراجعة للجماعة الإسلامية الحادث وقالت إنه جاء في المكان والزمان الخطأ. كما أصدرت جماعة الإخوان المسلمين بياناً أرجعت فيه تفجيرات طابا إلى:

"صمت الحكومات العربية على المجازر الإسرائيلية في فلسطين، والاعتداءات الأمريكية الهمجية بحق العراقيين". وأشار البيان إلى أن:

"المستفيد الوحيد من هذه التفجيرات هو رئيس الوزراء الإسرائيلي إريل شارون؛ حيث يهدف إلى صرف الأنظار عن جرائمه في الأراضي الفلسطينية المحتلة، والربط بين المقاومة المشروعة بفلسطين وشيخ الإرهاب، داعياً إلى

⁵ محمد جمال عرفة- إذا استبعدنا قيام الموساد بها.. تفجيرات سيناء تحمل بصمات "مؤمنين" بفكر "القاعدة"- إسلام أون لاين نت- 8 / 10 / 2004.

⁶ محمد جمال عرفة- تفجيرات طابا تفتح الملفات المصرية الإسرائيلية- إسلام أون لاين نت/ 11- 10- 2004.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
تقديم الدعم الشعبي والرسمي للمقاومة
الفلسطينية"⁷.

هـ- وشنّت أجهزة الأمن المصرية حملة وحشية على شمال
سيناء، اعتقلت فيها قرابة ثلاثة آلاف شخص من الرجال
والنساء والأطفال، ولم ترع حرمة ولا قيمة ولا خلق، وسقط
منهم قتلى من جراء التعذيب⁸.

وأنا أستمع القارئ عذراً في أن أذكر بعض تفاصيل هذه
الجرائم على لسان بعض ضحاياها:

"يقول المفرج عنهم أن بعضاً ممن حضروا
التحقيق كانوا حمر الوجوه حليقي الرأس، يرتدون
نظارات سوداء، ولا يتكلمون.

.....
بالليل كانوا بياخدوا ناس مننا على لظوغي..
منهم ناس بياخدوهم هم وإخواتهم وأولاد عمهم مع
بعض.. ضربوهم لما موتوهم.. ولفوهم في بطانية،
ورموهم في مخزن الشنط بتاع الأوتوبيسات
عشان يرجعوهم على طره.

.....
140 سيدة تم القبض عليهن كرهائن..

.....
النقاب نزع من على وجوه النساء في
الشوارع.. لم تعد هناك نساء يسرن في الشارع
وحدهن.. الرجال حلقوا لحاهم خوفاً من الاشتباه.

⁷ إسلام أون لاين، نت/ 9- 10- 2004.

⁸ منظمة هيومان رايتس وواتش- مصر: اعتقالات جماعية وتعذيب على أعقاب
تفجيرات طابا- الثلاثاء 22 فبراير 2005، الجزيرة نت- الأربعاء 25/11/1425 هـ -
الموافق 5/1/2005 م- نقابة المحامين تطلب التحقيق في اعتقال الآلاف بسيناء،
المنظمة المصرية لحقوق الإنسان- العريش... قبض عشوائي واحتجاز تعسفي
وتعذيب، الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان- المنظمة المصرية لحقوق
الإنسان- المنظمة تجدد مطالبها بالإفراج عن معتقلي العريش- 2005 / 3 / 7.

الفصل الثالث: العمليات في مصر
أخذوني على أمن الدولة في العريش.. شتمني
بأمي.. قال لي يا ابن القحية.. اتجننت.. صرخت
قلت لهم أمي جزمتهأ أشرف منكم كلكم..
ضربوني بالعصاية عشر ضربات على راسي..
لقيت جوه 200 أو 300 بني آدم.. رجاله بتصرخ
وينات بنوت بتصرخ

.....
في أمن الدولة في العريش كان الصرخ
والصوات من كل مكان.. رجاله وحريم.. شتموني
رديت عليهم.. قعدت هناك 10 دقائق بس شفت
فيهم الويل.. شفت التعذيب على ناس تانيه بس..
شفت بعنيه رجاله بزازهـم سايحه.. كهريهـم في
بزازهـم وفي حتت تانيه من جسمهم.

.....
في الترحيلة كان فيه 15 ست تزلوا في القناطر
غالبا، قرايب الحاج فليفل (من قرية الميدان عند
مدخل العريش متهم في أحداث طابا) أخذوا كل
القرية ستات ورجاله وأطفال (5 أطفال).. مرات
ابن أخويا سلمت نفسها عشان يخرجوا أخوها
الصغير.. كانوا واخدينه بدل أخوه الكبير.. قعدت
هي وهو خميس أيام وبعدين خرجوها. (تم القبض
على سبعة أشخاص من هذه العائلة من بينهم
سدة).

.....
جم وش الصبح.. بالرشاشات والمسدسات..
فنتشوا البيت والدوايب.. سألوا عن (م) ومراته..
قلنا لهم ما شفناهمش من يوم ما فطروا معنا في
أول يوم رمضان.. أخذوا الولد الصغير لحد ما (م)
يسلم نفسه.. وأخذوا أخوه.. الناس خايفه.. البنيت
راحت سلمت نفسها عشان بسبوا أخوها الصغير..

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثالث: العودة للميدان
خلوهم خمس أيام عندهم وبعدين خرجوهم.. كانت
حامل في أربع شهور أو ثلاث شهور.. بعد ما
خرجت رمت حملها.. حنة لحمة صغيرة عمرها
بيجي أربع شهور.. العيال بقت بتصرخ والنسوان
خايفه.. حتى الرجاله حلقوا دقونهم.. كانوا يمسكوا
الراجل من دقنه يشدوها يطلع الشعر في أيديهم
ومعاه الدم عليه.. حسبي الله ونعم الوكيل.

.....
عشرين سنة واحنا تحت احتلال اليهود ما حدش
عمل فينا كده.

.....
احنا نتحمل كل ده ليه من الحكومة؟ .. ده
الاحتلال ما عملش فينا كده.. هو فيه إيه؟

.....
الستات كانوا محوزين في مسجده أمن الدولة
بالعريش، وكانوا يضربوهم بالفلكة في المسجد.

.....
أخدوا بنات عمي ونسوان إخواتي الاتنين.

.....
أخويا راح سلم نفسه لما عرف إنهم هياخدوا
أمه.

.....
البيوت ما بقاش فيها غير النسوان، وحتى
النسوان ياخدوهم.. البنات تتمشي في الشارع
بشدوا النقاب من على وشها، واللي ما ترضاش
ياخدوها.. رعب.. ويقولوا انهم بعد العيد هيكملوا
تاني.

.....

الفصل الثالث: العمليات في مصر
كانوا عاوزين ياخدوا البنت (12 سنة) .. هربت
من البيت .. العريش كلها قعدت يره بيوتها حوالي
13 يوم.

.....
أخدوا مرات حماده كانت حامل، لفوا بيها في
العربة عشان تدل على أصحاب حوزها .. نزلت
من كتر اللف في العريات .. مرات اسماعيل
كهربوها في صواعها .. لما راحت البنت تسأل عن
أخوها قال لها عدي حوه لحسن أطلع ميتين أمك ..
وشتم سمر وقال لها يا بنت المرة الوسخة ..
ومرات اسماعيل شد النقاب من على وشها .. وقت
ما حزنوا مرات (ح) كان فيه 45 ست فوق بعض،
ولما يدخلوا الحمام يفوتوا على الرجال، وكانت
بتسمع صوت رجاله بيصرخوا .. وشافت اسماعيل
متعلق عريان قدامها.

.....
الستات اللي اتعذبوا من البدو في الشيخ زويد
كان معاهم واحدة والدة من ثلاث أيام .. ضربوها
ونزلت، فراحت على المستشفى وعليها حراسة.

.....
فيه واحدة زميلتي في الشغل كانت في
السوق .. قالوا لها اخلعي النقاب .. رفضت،
ضربوها رصاصة في كتفها .. بقوا يقلعوا النسوان
النقاب بالعافية، ويضربوهم بالشلاليت .. أنا شفت
ده بعيني .. إن شغلي قريب من السوق وباشوف
الستات لما ده حصل لهم.

.....
فيه شاب تاني فتشوه وأخدوا من جيبه
المصحف .. سألوه إيه ده؟ قال كلام ربنا .. راحوا
شتموه. قال بلاش عشان حرام في رمضان ..

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثالث: العودة للميدان
راح واض رینه.

.....
كان معايا في سيارة الترحيلات ابن عمي.. وكان فيه واحد تاني مطلوب القبض عليه لما ما لاقوهوش أخذوا بدل منه أيوه، وأخذوا مراته من العريش من عند أهلها واتنين من اخواته.. سلم نفسه فأفرجوا عن الستات.. كانوا 200 سيدة.. أفرجوا عنهم قبلي بيوم.. جسمي تا عيني ونظري تعبان، كانوا راميينا في الرطوبة في الطريقة.. كنا مقرصين.. حوالي 40 واحد.. الستات كمان كانوا الأول في الطريقة.. قعدوا تقريبا من أسبوع لعشر أيام بعدن نقلوهم المسحد.. كان أغلستهم معاهم أطفال من عيال بترضع لحد 6 سنين.

.....
سمعت ان الستات كمان اتكهربوا

.....
كل يوم يهجموا على البيت، وياخدوا ستات ورحاله.

.....
لحد النهارده عندهم.. (ف.س.ح.) راح سلم نفسه عشان كانوا أخذوا أمه واخواته الصغار.. أمه اتكهرت.

.....
شيوخ القبائل بيرهبوا الناس ويضغطوا عليهم يسلموا ولادهم بدل ما العيلة كلها تتعذب. وواحد منهم سلم اتنين من ولاده بنفسه.

.....
بعد مغادرتنا المنزل الثاني اتصلت الأسرة بالمحاميين لتخبرها أن أمن الدولة جاءوا بسيارة نصف نقل، وطلبوا الأخ الوحيد المتبقي. ثار الأب،

الفصل الثالث: العمليات في مصر
وقرر أن يسلم نفسه بدلاً منه، لكنهم أصروا على
أخذ الشاب، الذي قرر أن يذهب معهم، لكي لا
يعرض أمه ونساء المنزل للبهده.

.....
بعد زيارتنا استدعوا الأخ الذي تقابلنا معه لمقابلة
"الباشا" .. قبل أن تغادر قابلنا المواطن الذي
استدعوه لأمن الدولة لمقابلة الباشا بعد أن زرنا
أسرته!! سألتناه إذا كان يمكن أن يهرب.
مش أهرب.. انا هاأقعد في البيت مع أمي
وأخواتي.. عاوزين يبجوا يبجوا.. ما طلبوني قبل
كده ورحت.. عاوزين إيه ثاني.. المرة دي أنا عارف
إيه اللي هيجصل.. انا مش سباب الست إلا مت أنا
واللي فيه.. هو فاضل إيه.. وأسبب النسوان
لمين.. عشان بهدلوهم.. ما بقاش فيه حاجة..
الناس خايقة من بعض.. ما سابوش حاجة.

.....
رجال الشرطة يتوعدون الأهالي بأن ينتظروا
ليشهدوا ما سوف يحدث بعد العيد.. (والله لنحرقها
حرق.. لازم البلد دي تتربى)"⁹.
وقد يتساءل متسائل: وما الجديد في ذلك؟ أليست هذه
هي قصة كل يوم في مصر مبارك؟ تعذيب وصعق وضرب
 واحتجاز رهائن. والجواب: صحيح. ولكن هذه المرة انكشف
وجه النظام كما لم ينكشف من قبل، فمن أجل تجارة الفساد
الإسرائيلية في سيناء ارتكبت هذه الجرائم الجماعية وبهذه
القسوة وبهذه الخسة.

⁹ تقرير زيارة تقصي حقائق قام بها كل من: الجمعية المصرية لمناهضة التعذيب
ومركز النديم للعلاج والتأهيل النفسي لضحايا التعذيب ومركز هشام مبارك للقانون
في الفترة من 15 إلى 17 نوفمبر 2004.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
ويبرز السؤال: وحتى متى سيستمر هؤلاء الأوغاد في
جرائمهم؟ والجواب: حتى نقاومهم، ونوقفهم عند حدهم
بالقوة، ولن يتحقق ذلك إلا بالجهاد.
وتبرز أسئلة أخرى: هل هذا هو النظام الذي كان يتباكى
على شيماء؟ وهل هذا هو النظام الذي يدعونا البعض للتوحد
معه ضد إسرائيل؟! وهل هذا هو النظام الذي اعتبرته
القيادات المتراجعة بالجماعة الإسلامية نظاماً مسلماً،
واعترت مجرمه الأكبر ولي أمر المسلمين؟! وهل هذا هو
النظام الذي يدين ويستنكر الإخوان المسلمون الجهاد والقتال
ضده؟

و- وكان طبعياً أن تنتفض القبائل في سيناء من جراء هذا
الظلم والإجرام، وجردت الحكومة حملة من خمسة آلاف
جندي لمقاتلة رجال القبائل في أوائل فبراير عام 2005
بحجة إيواء المطلوبين، وتكبدت الحكومة خسائر كبيرة في
صفوفها، تكتمت عليها، وأعلنت فقط عن مقتل ثلاثة من
الشرطة¹⁰.

20- وفي مارس 2005 طعن مصري سائحين مجريين
وسط القاهرة ظن أنهما أمريكيان، فيما وصفته الشرطة بأنه
رد فعل على السياسات الغربية تجاه العراقيين
والفلسطينيين¹¹.

21- حادثة الأزهر.

في السابع من أبريل لعام 2005م قام المجاهد حسن
رأفت بشندي بعملية استشهادية في شارع جوهر القائد
بمنطقة الأزهر، وقد قتل فيها أربعة أشخاص بمن فيهم منفذ
العملية وفرنسيان وأمريكي، وأصيب 18 آخرون¹²، نصفهم

¹⁰ إسلام أون لاين.نت/ 2- 2- 2005- قوات الأمن المصرية تحاصر 100 من بدو
سيناء، الجزيرة نت- السبت 26 /12 /1425 هـ- الموافق 5 /2 /2005م.

¹¹ محمد جمال عرفة- انفجار القاهرة.. جيل ثالث من الجماعات يلوح بالأفق- إسلام
أون لاين نت- 11 /4 /2005.

¹² CNN Arabic.com- 12/ 5/ 2005. منفذ عملية الأزهر متشدد عمل منفرداً.

الفصل الثالث: العمليات في مصر
مصريون والبقية أجنب أربعة أمريكيين وثلاثة فرنسيين
وإيطالي وتركى¹³.

وشنت قوات الأمن حملة على حي شبرا الخيمة واعتقلت
المئات بما فيهم البنات الصغيرات والشابات. وقتل بعض
المعتقلين تحت التعذيب. أما أسرة حسن بشندي فبالطبع
اعتقلت جميعها، ومنها أمه وإخوته، حتى أخته الصغيرة
التلميذة بالمرحلة الابتدائية، وكذلك خالته وأبناؤها.

واستنكرت القيادات المتراجعة من الجماعة الإسلامية
كالعادة- العملية. وقالوا إن التفجير مناقض للشرع، ويخدم
مصالح الأعداء¹⁴. ولا أدري من الذي يخدم مصالح الأعداء؟

22- وفي 30 أبريل 2005م قام المجاهد إيهاب يسري
ياسين -وهو أحد المطلوبين في حادث الأزهر- بعملية
استشهادية في ميدان عبد المنعم رياض قرب المتحف
المصري بوسط القاهرة أسفرت عن إصابة أربعة سياح
بجروح: إسرائيليان وسويدي وإيطالية.

وقامت المجاهدتان نجاه يسري ياسين وإيمان إبراهيم
خميس بالهجوم على حافلة سياحية بميدان السيدة عائشة،
واستشهدتا كفي الحادث¹⁵. ورجحت مصادر مطلعة أن تكون
العمليتان رداً على وفاة محمد سليمان يوسف ابن عم أحد
المطلوبين في حادث الأزهر أثناء التحقيقات في السجن¹⁶.
واستنكر الإخوان المسلمون الحادث، وزعموا أنه يصب في
خانة المشروع الأمريكي الصهيوني¹⁷!

23- تفجيرات شرم الشيخ
وفي 23 يوليو 2005م وقعت ثلاثة انفجارات بمدينة شرم
الشيخ بسيناء، حيث انفجرت سيارتان ملغومتان، إحداهما في

¹³ الجزيرة نت- الجمعة 28 / 2 / 1426 هـ - الموافق 8 / 4 / 2005 م- مقتل ثلاثة في
انفجار القاهرة وواشنطن تحذر رعاياها.

¹⁴ أحمد هاشم- بشندي جاني أم مجني عليه؟ جريدة الأسبوع.

¹⁵ 3 - 5 / 2005 - 1 / CNN arabic.com- قتلى و 7 جرحى في عمليتي القاهرة.

¹⁶ موقع نسيج الإخبارية- 1 / 5 / 2005.

¹⁷ مجلة المجتمع- العدد 165- 28 ربيع الأول 1426هـ- 5 / 7 / 2005م ص: 13.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
فندق غزالة جاردنز والثانية في منطقة السوق القديم.
وانفجرت قنبلة في مرآب سيارات بالقرب من الفندق¹⁸.
وزعمت المصادر الرسمية أن الحادث تسبب في قتل 68
شخصاً معظمهم من المصريين¹⁹.
وتختلف جنسيات القتلى الأجانب فمن بينهم بريطانيون
وأترك وتشيكي وهولنديين وروس وأوكرانيين. ويعتقد أن من
بين القتلى أيضاً شخص من عرب إسرائيل²⁰.
ومعظم المصريين في مدينة شرم الشيخ إما من العاملين
في الأمن سواء المتعلق بحسني مبارك أو بالسياح، وإما من
العاملين في خدمة السياح.
ومن المعلوم أن مدينة شرم الشيخ بها كازينوهات القمار،
التي برتادها السياح الإسرائيليون لممارسة المقامرة
الممنوعة في إسرائيل²¹.
وجاء توقيت التفجيرات قبل ساعات من محاكمة المتهمين
في أحداث تفجيرات طابا.
وتعد شرم الشيخ أكثر المنتجعات الأمنية حراسة في
مصر²². فشرم الشيخ أهم مدينة في آخر نقطة يصلها
الصهانية بدون تأشيرة دخول.
بل هي النقطة الأهم في المنطقة كلها باعتبارها المدينة
الأكثر حصانة أمنية والأكثر أهمية في الوزن السياسي الداخلي
بحكم وجود الرئيس المصري حسني مبارك بها لفترة طويلة
من الوقت طوال العام، والأكثر أهمية في الوزن السياسي
الخارجي، باعتبارها المدينة الأكثر شهرة على صعيد
المؤتمرات السياسية، سواء على مستوى المؤتمرات

¹⁸ BBCArabic.com - الأربعاء 27 يوليو 2005.

¹⁹ جريدة الشرق الأوسط - الأربعاء 6 رجب 1426 هـ 10 أغسطس 2005م - العدد 9752.

²⁰ BBCArabic.com - الأربعاء 27 يوليو 2005.

²¹ BBCArabic.com - الأربعاء 27 يوليو 2005.

²² BBCArabic.com - الأربعاء 27 يوليو 2005.

الفصل الثالث: العمليات في مصر
المتعلقة بالقضية الفلسطينية أو على صعيد القضية
العراقية²³.

24- وفي أغسطس 2005م تم تفجير سيارة للقوات
المتعددة الجنسيات في سيناء، وأعلنت تلك القوات عن إصابة
اثنين من أفرادها.

25- تفجيرات منتجع دهب:
وفي 24 أبريل 2006م تم تفجير ثلاث عبوات متزامنة في
منتجع دهب السياحي، الذي يقع على الساحل الشرقي لسيناء
بين طابا وشرم الشيخ، والذي يعج بالسياح الإسرائيليين،
الذين يدخلون إليه بدون تأشيرة، ونتج عن التفجيرات مقتل
30 شخصاً وجرح 120.

ونشرت صحيفة القدس خبراً - عن حركة حماس- جاء فيه:
"وقال رئيس الوزراء الفلسطيني²⁴ في بداية
الاجتماع الأسبوعي للحكومة:

"نود أن نعبر من جديد عن استنكارنا وتنديدنا
بالجريمة النكراء، التي وقعت في منطقة دهب في
شمال سيناء بمصر، ورأينا أن ذلك هو مساس
بالأمن القومي المصري..."

.....
وقال المتحدث الرسمي باسم الحكومة غازي
حمد

.....
إن الحكومة الفلسطينية "تستنكر بشدة هذا
العمل الذي نعتبره منافياً للأخلاق والقيم، ويضر
بالأمن القومي المصري".
وقال مشير المصري المتحدث باسم حماس:

²³ طلعت رميح- الدلالات الأخطر في تفجيرات طابا وشرم الشيخ- موقع مفكرة
الإسلام- الثلاثاء 27 جمادى الآخرة 1427هـ 2 أغسطس 2005م.
²⁴ إسماعيل هنية.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
"مثل هذه العمليات ضد المدنيين مرفوضة، وأي
إرباك في الساحات العربية والإسلامية يمكن أن
يؤثر على الاستقرار والنظام".
وأكد المصري ضرورة "الاستقرار في كل الدول
العربية والإسلامية". مشدداً على أن "الاستقرار
في مصر هو استقرار في ساحتنا الفلسطينية".

.....
وفي باريس اعتبر وزير الخارجية فيليب دوست
بلازي أمس الثلاثاء إدانة الحكومة الفلسطينية
لاعتداءات ذهب تطوراً في سياستها الخارجية.

.....
وقال دوست بلازي:
"إن هذا الاعتداء لم يكن موضع إدانة من محمود
عباس رئيس السلطة الوطنية فحسب، وإنما كذلك
ولأول مرة من حماس"²⁵.
كما نشرت نفس الصحيفة على نفس الصفحة بياناً لحركة
الجهاد الإسلامي الفلسطيني جاء فيه:
"إن حركتنا المجاهدة إذ تنفي جملة وتفصيلاً هذه
الأكاذيب، وهذا التحريض عليها وعلى الجمهورية
الإسلامية الإيرانية، فإنها تستنكر هذا الاعتداء، كما
تستنكر أي اعتداء على أمة دولة عربية، مهما كانت
الشبهات التي تحوم حول تلك الدولة".

26- وفي 26 أبريل 2006م قام مجاهدان بعمليتين
استشهاديتين في شمال سيناء، الأولى ضد قاعدة للقوات
المتعددة الجنسيات قرب مطار الجورة، وأعلنت تلك القوات
عن إصابة جنديين منها، والثانية ضد سيارة للشرطة المصرية
جاءت للإمداد، وزعمت الشرطة إصابة اثنين من أفرادها.

²⁵ القدس العربي- الأربعاء 28 ربيع الأول 1427هـ- 26 أبريل 2006م ص: 4.

الفصل الثالث: العمليات في مصر
كان ما سبق سرداً موجزاً سريعاً لأهم وقائع العمليات
الجهادية في مصر بعد اغتيال السادات متخطياً كثيراً من
التفاصيل. يمكننا بعده أن نقف وقفة نلتفت فيها إلى هذا
الماضي القريب لنرى ما هي الدروس المستفادة من هذه
العمليات؟

وحتى تتضح الفكرة فسأقسم الكلام لقسمين:
الأول: عن الأوضاع القائمة في مصر التي تدفع للمواجهة.
والثاني: عن الدروس المستفادة من هذه المواجهة.

القسم الأول: عن الأوضاع القائمة في مصر التي تدفع
للمواجهة.

1- وحتى لا أطيل على القارئ فسأبدأ حديثي من تولي
حسني مبارك للسلطة، فأقول؛ استولى حسني مبارك على
السلطة بعد السادات عن طريق مجلس الشعب المزور
يحميه الجيش وأجهزة الأمن، وأكمل حسني مبارك السير
في طريق الفساد السابق:

أ- تغييب للشريعة عن الحكم والمجتمع، ومحاربة لقيم
الإسلام وأدابه.

ب- استسلام كامل للأمريكان، وفتح البلاد لقواتهم من
قواعد وخبراء وتسهيلات.

ج- الاستمرار في نفس سياسة التطبيع مع إسرائيل.

د- التعاون مع الأمريكان واليهود في ضرب العراق ثم
حصاره، بل وفي غزو أفغانستان ثم العراق، والقيام بالدور
الأساسي في حصار غزة، وتعذيب أسراها لانتزاع
الاعترافات، التي يمد بها اليهود.

هـ- قهر الشعب واستخدام وسائل القمع والتعذيب

والتعدي على الحرمات ضد أي معارض جاد.

و- الفساد الاقتصادي، واقتصاد الشلل والأصدقاء والطبقة
الفاسدة المنتفعة، التي دمرت القاعدة الصناعية لمصر
وخربت زراعتها.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
ز- سد أي أفق للتغيير السلمي، أو حتى لمعارضة سلمية
فعالة منتجة مؤثرة.

ح- التخطيط للتوريث من يوم أن تولى السلطة، فهو
الرئيس الوحيد في الدنيا الذي ليس له نائب. ولو حتى نائب
صوري، فاخيار نائب مغامرة، فقد كان حسني نائباً ثم أصبح
رئيساً.

ط- السماح ببعض الألعاب السياسية من أحزاب رسمية
وصحف مع بعض الانتخابات المزورة، لا تؤثر في سياسة
النظام ولا تمس منفعه ومكاسبه، ولا تمنعه من استمرار
جرائمه، وأهم من ذلك كله لا تمس المخطط الأمريكي
الصهيوني، بل هي في الحقيقة أحد لوازمه. مثل المجرم
الذي يشجعك على تناول الفيتامينات من أجل الحفاظ على
صحتك وسلامتك، ثم يقدم لك في قارورة الفيتامينات سماً،
فإن تناولته بنفسك فهو ما أراد، وإذا تشككت أو امتنعت،
أحاط بك زبائنته وجرعوه لك كرهاً. لكن في أي من الحالين
لن تكون سليماً معافاً.

هذا هو الواقع الذي كان وما زال أمام كل حر شريف. ثم
كلما اعترض معترض صاح فيه الصائحون: البلد فيها تحول
نحو الحريات والتقدم، ألم تر للصحف الجريئة؟ ألا تنظر
للانتخابات التي كانوا يحصلون فيها على 15 مقعداً، ثم
حصلوا على 80؟ ألا ترى للمفرج عنهم من السجون؟ ألا
تري القنوات الفضائية والضجة الإعلامية؟

كل هذا ومخطط تخريب البلاد والعباد ماض في طريقه؛
عدوان على عقيدة الأمة وحريتها وكرامتها وثرواتها وأرضها
واعتداءات على العراق وأفغانستان وحصار لغزة. مع بعض
العطور المؤقتة لمحاولة تغطية العفن، الذي يزكم الأنوف،
الذي انتهى بمصر من بلد قائد للعالم الإسلامي والعربي،
ومدافع عن الإسلام ضد الصليبيين والتتار إلى ذيل تابع
للأمريكان.

الفصل الثالث: العمليات في مصر

2- المهم أعود للسنوات الأولى من حكم مبارك حتى لا

أطيل فأقول كان واضحاً أنه إزاء هذا الفساد والإفساد المركب المستشري لا حل إلا الرفض، والصورة الشرعية التي تعلمها المسلمون من دينهم وأعزهم الله بها هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذروته الجهاد. فقد كان واضحاً ولا زال لكل منصف ذي عينين أن هذا الواقع الفاسد لن يتغير باللين والمسالمة، ولن يتغير إلا بالقوة.

3- فبدأنا بعد خروجنا من السجن نعد لهذا التغيير الجهادي. كنا موقنين أن الأمر يتطلب إعداداً طويلاً، وحشداً وأعاوناً ووعياً. ولذلك بدأنا في حملة من التوعية العقائدية والفكرية والسياسية، وبدأنا بحشد الأنصار وتنظيمهم، وبدأنا بإعداد نواة عسكرية بذلنا في تدريبها أقصى ما نستطيع. وكان اجتهادنا أن هذه النواة العسكرية أو الجهادية ليست هي وسيلتنا لقلب النظام، ولكنها وسيلتنا لتوعية الأمة وإيقاظها، وهو ما نجحت فيه قاعدة الجهاد اليوم، فعبر العمليات على أعداء الأمة من اليهود والأمريكان أساساً، تستعيد الأمة أملها في العزة وثقتها في نفسها وتبدأ في المشاركة في التصدي للظلم والظالمين، وكنا نتوقع، وهو ما حدث اليوم بالضبط، أننا بتصدنا للأمريكان واليهود ستهد هذه الأنظمة الفاسدة المفسدة لتدافع عنهم، وهنا تنكشف عملياً أمام شعوبها.

4- وفي بداية التسعينيات حدث تطوران هامان:

أ- الأول بدء حملة المطاردة الأمريكية للتيارات الجهادية

عموماً، بدأت بطردهم من أفغانستان ثم بعد ذلك وصلت لكل مكان، دون أي اشتباك منا مع الأمريكان.

ب- الأمر الثاني هو القبض على عدد كبير من إخواننا في

جماعة الجهاد وتقديم ثمانمائة منهم إلى المحاكم العسكرية فيما عرف بقضايا طلائع الفتح، وحكمت المحكمة على أربعة منهم بالإعدام. وخرجت الصحف الحكومية مزهوة

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
متفاخرة بالقبض على ثمانمائة عضو في جماعة الجهاد
بدون إطلاق طلقة واحدة.

5- وقررنا أن ندخل معركة المواجهة مع الحكومة، بعد أن
كان خطنا السابق هو الصبر والتربص والانتشار وتجنيد
العناصر استعداداً لمعركة التغيير.

لماذا قررنا أن ندخل معركة المواجهة مع الحكومة؟
قررنا أن ندخل المعركة حتى نبقى أحياءً، وتبقى الفكرة
الجهادية حية، ولا تنكسر معنوياتنا ومعنويات الأمة من بعدنا.
قررنا أن ندخل المعركة حتى نحافظ على إرادة القتال
ونفشل حملة التأسيس الحكومية، قررنا أن ندخل المواجهة
حتى لا نتحول إلى مطاردين كل أملنا هو اللجوء السياسي
أو المحافظة على أسرنا أو الاستسلام والمراعات، قررنا
المواجهة حتى لا تنطفئ شعلة الجهاد حتى وإن خبت في
مرحلة ما، لكي ننقلها من جيل لجيل، حتى تصل لجيل
النصر عسى الله أن يجعلنا منهم، قررنا المواجهة حتى تبقى
بذورنا في التربة تنتظر موسم الربيع بدلاً من أن نقلعها
بأيدينا، قررنا المواجهة حتى نكون فئة لكل مجاهد ينضم
للمسيرة، وحتى تطور جهادنا مع إخواننا المجاهدين في ديار
الإسلام.

واليوم وأنا أنظر للواقع وللماضي القريب أشعر بفضل
الله علينا، فقد نجحت سياستنا في المقاومة والصمود وعدم
الاستسلام. فقد تحقق لنا -بفضل الله- أكثر مما كنا نتوقع
في هذه السنوات المعدودات.

القسم الثاني: عن الدروس المستفادة من هذه المواجهة:

1- المحافظة على إرادة القتال وإفشال حملة التأسيس

الحكومية.

هدفت حملة البطش منذ اغتيال أنور السادات إلى كسر
إرادة الحركة الإسلامية وخاصة نواتها الصلبة المتمثلة في
الجماعات الجهادية، وقد اتخذت هذه السياسة منحى تصاعدياً

الفصل الثالث: العمليات في مصر

خطيراً منذ تسلم زكي بدر لوزارة الداخلية، حيث بدأ يتبحر علناً بأن علاج الجماعات الإسلامية هو الضرب في سويداء القلب.

وكان هدف حملة البطش واضحاً ألا وهو زرع اليأس في قلوب الشباب المسلم، وإيهامهم بأن أية مقاومة لا جدوى منها، ولن تؤدي بأصحابها إلا إلى الكوارث والنكبات، وأن السبيل الوحيد هو الاستسلام.

وكان السكوت عن الرد على هذه الحملة نتيجته المؤكدة هو فقدان الحركة الإسلامية لثقتها في نفسها، وتراجعها إلى الخلف والانزواء والصمت والعودة إلى عهد الرعب الناصري، وكان هذا التئیس من جدوى أية مقاومة هو حجر الزاوية في سياسة التوسع اليهودي في المنطقة. فقد أدرك اليهود أن قمع المقاومة المضادة لهم لن ينجح إلا إذا زرعو روح اليأس في نفوس المسلمين.

والرد على هذه الحملة الباطشة بالعمليات الجهادية لن يقي الشباب المسلم فقط من اليأس ولكنه أيضاً سيملاً نفوسهم بالأمل والثقة بالنفس بعد الثقة بالله تعالى. فقد اكتشف الشباب المسلم أن عدوه ليس أسطورة لا تقهر، بل هم بشر متكالبون على الدنيا، وأن النيل منهم ليس بالأمر الصعب.

ولا تتوقف ثمرة المقاومة الجهادية على بث الأمل في نفوس الشباب المسلم فقط، بل إنها أيضاً توجه نفس السلاح إلى أعوان النظام، فتتال منهم الحرب النفسية، وتتحطم معنوياتهم، وهم يرون زملاءهم يتساقطون من حولهم. كما أن تصعيد العمل الجهادي للنيل من الأهداف الأمريكية واليهودية يبعث روح المقاومة بين أفراد الشعب الذي يعتبر اليهود والأمريكان رمزاً بشعاً على التكبر والطغيان. من أجل كل هذا كان لا بد من المقاومة، بل ولا بد من استمرار المقاومة.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
إن أي محلل منصف للوضع يستطيع أن يدرك مدى الكوارث التي كان يمكن أن تقع لو لم يقتل أنور السادات، ولو لم تستمر المقاومة ضد الحكومة المصرية. وأستطيع أن أقول بقوة أنه لو لم يقتل أنور السادات ولو لم تقاوم الحركة الإسلامية لكانت مصر الآن مقسمة هي وغيرها من دول المنطقة تحت النفوذ الأمريكي والتوسع الصهيوني.

بل حتى على صعيد الحريات التي يخادع بها المستسلمون والعلمانيون في مصر، فيقولون إن في مصر تحولاً ديمقراطياً، واتجهاً متزايد نحو الحريات، إلى غير ذلك من الخدع، فلولا قتل أنور السادات وتصدي المجاهدين للحكومة العميلة، لما سمحت الحكومة ومن ورائها أمريكا بهذا الهامش المخادع للحريات لمحاولة امتصاص بركان الغضب، ولولا حملة المقاومة لكان العلمانيون والتيارات الإسلامية المهادنة بل حتى رؤساء الأقباط في السجن إلى ما شاء الله، ألم يجمعهم السادات في قرار التحفظ في سجن استقبال طرة؟ ولم يخرجهم إلا خالد الإسلامبولي وصحبه الأبرار رحمة الله عليهم وعلي شهداء المسلمين. ثم خرج الإخوان من السجن، فبدلاً من أن يشكروا من أخرجهم قال التلمساني إن مقتل السادات كمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم لم يستريحوا حتى خرجوا في مظاهرة النفاق التي خرجت من مجلس الشعب للقصر الجمهوري فبايعوا حسني مبارك -قاتل كمال السنائيري رحمه الله- رئيساً لفترة ثانية. ثم يقولون إن جماعات (العنف) قد تراجعت إلى منهج الإخوان، وأظن أن الذين خرج مرشداهم الثاني من لقاء قاتل مرشداهم الأول فقال: مقابلة كريمة لملك كريم، والذين ذهب مكتب إرشادهم الجديد ليوقع في سجل تشريفات قصر عابدين معلنين الولاء لقاتل شيخهم، ليس من حقهم أن يتحدثوا عن تراجعات.

الفصل الثالث: العمليات في مصر

وتحليل الوضع السياسي في مصر يظهر أن مصر تتنازعها قوتان متنازعتان متصارعتان: قوة رسمية وقوة شعبية صاربة الجذور، هي الحركة الإسلامية عامة، ونواتها الجهادية الصلبة خاصة.

والقوة الأولى تدعمها أمريكا والغرب وإسرائيل ومعظم الحكام العرب. أما القوة الثانية فتعتمد على الله وحده، ثم على انتشارها الشعبي الواسع وتحالفها مع الحركات الجهادية على مستوى أمة الاسلام كلها من الشيشان شمالاً حتى الصومال جنوباً ومن تركستان الشرقية شرقاً حتى المغرب غرباً.

وسبب العداء بين القوتين واضح في غاية الوضوح، ألا وهو اصرار القوة الأولى على:

- أ- إقصاء الإسلام عن الحكم وإبعاده عن مناحي الحياة المختلفة بالقوة والبطش والانتخابات المزورة.
 - ب- وعلى إباحة البلاد لأعداء الاسلام -الأمريكان واليهود- باتفاقيات الاستسلام، ومعاهدات تحريم أسلحة الدمار الشامل علينا فقط، وبنزع سلاح سيناء، والاحتلال الأمريكي المباشر لأرضنا، والمناورات المشتركة.
- ولذا فليس لدى الحركة الإسلامية وطليعتها الجهادية من خيار إلا خيار المقاومة والجهاد، إنها معركة عقائد، وصراع وجود، وحرب لا هدنة فيها.

2- الانتشار.

لا شك أن الحركة الإسلامية المجاهدة قد حققت خلال تلك الفترة انتشاراً واسعاً متزايداً متنامياً وخاصة بين صفوف الشباب.

بل كسبت الحركة الجهادية -بضربها لأمريكا وإسرائيل ثم بخوضها لحربين جهاديتين في العراق وأفغانستان- محبة وتأييد وتعاطف جماهير واسعة من الأمة المسلمة. وأصبحت

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
هي رمز المقاومة الشعبية للحملة الصليبية الصهيونية على
الأمة المسلمة²⁶.

3- الطبيعة الهجومية.

اتسمت الحركة الجهادية بطابع الهجوم على أعداء الإسلام
والمقاومة حتى آخر رمق. وما الأحداث الكبار التي وقعت
ابتداء من حادثة الكلية الفنية العسكرية في عام 1974م إلى
تفجيرات دهب عام 2006م إلا دليل على ذلك. بل بلغت هذه
الروح الهجومية ضد أعداء الإسلام ذروتها في غزوات نيويورك
وواشنطن وبنسلفانيا المباركات²⁷.

4- البذل الضخم المتواصل.

قدمت الحركة الإسلامية حتى الآن عشرات الآلاف من
المعتقلين والمعذبين والمصابين وآلاف القتلى في صراعتها
المستمرة مع الحكومة الطاغوتية والقوى المعادية للإسلام
التي تستخدمها، وأثبتت بذلك أمرين:
الأول: أنها قوة ذات جذور عميقة وروافد خصبة، فرغم كل
هذه الضربات والتضحيات -التي لا يمكن أن تصمد لها أية قوة
سياسية أخرى في مصر- ما زالت الحركة الإسلامية المجاهدة
في الميدان تواصل العمل والإعداد في سبيل الله.
الثاني: أنها لا تزال تمثل الخطر الأول على أمن الحكومة،
والدليل على ذلك استمرار قوانين الطوارئ والمحاكم
العسكرية وقوانين مكافحة الإرهاب، دون أن يتوقع انتهاء
العمل بها في المستقبل القريب، ناهيك من السجون الممتلئة
بالآلاف من الشباب المسلم. أمضى الكثير منهم السنين
العديدة دون توجيه تهمة له. بل وفوق كل ذلك دخول النظام
المصري في الحلف الصليبي لمحاربة الإسلام باسم الإرهاب،
وتحول مصر لواحدة من أهم محطات التعذيب والتحقيق،

²⁶ سنعرض لهذا الأمر تفصيلاً لاحقاً إن شاء الله.

²⁷ راجع لمزيد من التفصيل: الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات
المباركات/ المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات والمطلب الثالث:
المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات.

الفصل الثالث: العمليات في مصر

التي يخطف لها المعتقلون من كل أنحاء الدنيا لحساب أمريكا في حربها الصليبية على الإسلام.

5- التحالف الدولي والمطاردة الدولية.

لم يجد النظام بدأً من أن يسعى لتحويل المعركة ضد الحركة الإسلامية المجاهدة إلى معركة دولية، فقد أضحى النظام عاجزاً عن مواجهة المد الجهادي المتصاعد، الذي هدد كيانه، ووجه الضربات المتتالية لرأس نظامه.

والنظام في مصر يتكون من فرعون واحد، وطائفة من المنتفعين المنافقين عباد الراتب والمنافع يدورون في فلكه، وبلغ من أنانية هذا الفرعون وتشبثه بالكرسي، أنه لم يختر نائباً له طوال ثمانية وعشرين عاماً أمضاها في حكم مصر، ويسعى حثيثاً الآن لتوريث الحكم لولده الفائز برضا أمريكا، راعية الحريات والديمقراطية.

وقد استفاد المجاهدون من التجارب السابقة في صراعهم مع هذا الفرعون ونظامه، حيث كان ما سبق من مجموعات مجاهدة توجد بجميع مكوناتها في الداخل، فبمجرد وصول أجهزة الأمن لأحد أطرافها تبدأ في التعذيب الوحشي حتى تصل للقيادة، فإذا وصلت للقيادة عصرتها بالتعذيب الوحشي، حتى تحصل على كل المعلومات. لذا قرر المجاهدون أن تكون القيادة والأفرع المعاونة لها في الخارج، وبهذا يكون رأس التنظيم وعقله ومراكز التحكم فيه بعيدين عن بطش النظام، بينما تنتشر أذرعه في الداخل، فإذا تمكنت أجهزة الأمن من مجموعة، نشأت مجموعة غيرها، وبذلك يتواصل الجهاد. وبسبب هذه السياسة تصاعدت حملات المجاهدين بفضل الله، حتى وصلت لتوجيه ضربات عديدة لرأس النظام، أنجاه منها قدر الله وحده.

ولأن النظام تأكد من عجزه عن مواجهة المد الجهادي المتصاعد فقد استغاث بالقياصرة الجدد في واشنطن وسعى حثيثاً لإقناعهم بأن سقوطه سيعني ضياع مصالحهم في الشرق الأوسط، وتهديدها في سائر العالم الإسلامي.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
وبعد أن اقتنعت أمريكا أن النظام لا يستطيع أن يصمد
وحده أمام هذه الحملة الجهادية، واقتنعت أيضاً أن هذه الروح
الجهادية ستقلب -على الأرجح- الأمور في المنطقة رأساً على
عقب، وتطرد أمريكا منها، وحينئذ سيقع الزلزال الذي يرتجف
الغرب من احتمال حدوثه ألا وهو؛ قيام دولة الخلافة الإسلامية
في مصر، تلك الدولة التي إن قدر لها -إن شاء الله- أن تقوم
فستصبح -بما تمثله مصر من ثقل في قلب العالم الإسلامي-
قادرة على أن تقود العالم الإسلامي جميعه في جهاده ضد
الغرب، ومرشحة لأن يلتف حولها مسلمو العالم كله، وحينئذ
سيدور التاريخ -إن شاء الله- دورة جديدة في الاتجاه
المعاكس ضد إمبراطورية أمريكا وحكومة اليهود العالمية.
وبعد أن اقتنعت أمريكا بهذا بدأت حملة المطاردة
للمجاهدين من مصر في أنحاء العالم، بعد أن عجزت الحكومة
المصرية عن التصدي لهم، وعن إيقاف مدهم المتصاعد.
فبدأ الضغط الأمريكي على معظم الدول لتسليم
المجاهدين أو طردهم، ومرت بالمجاهدين فترة عصيبة،
ولكنها كانت منحة في ثوب محنة، فقد قرر المجاهدون أن
يوجهوا ضرباتهم لرأس الكفر العالمي وللشيطان الأكبر، وبنزغ
فجر جهاد الأمة المسلمة ضد أعدائها الصليبيين واليهود، وكان
فتحاً عظيماً ساق المولى بحكمته المجاهدين له سيقاً. قال
الحق تبارك وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهُ لَكُمْ
وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً
وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾²⁸.

لذا فإن القول بأن النظام المصري قد استطاع قمع الحركة
الجهادية في مصر قول يجافي الحقيقة، أما الواقع فهو أن
النظام المصري قد عانى من ضربات المجاهدين المتصاعدة،
التي كادت أن تصل لرأسه وتهزمه، فاستغاث بالأمريكان
لمطاردة المجاهدين، فتحالف المجاهدون مع إخوانهم، وكونوا
الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين ثم جماعة

²⁸ وهذا ما سنتعرض له لاحقاً بتفصيل إن شاء الله.

الفصل الثالث: العمليات في مصر

قاعدة الجهاد، وشنوا حملة عالمية ضد رأس الكفر أمريكا، ونشروا الجهاد ضدها في أنحاء الدنيا، وخاضوا ضدها حربين جهاديتين في العراق وأفغانستان، ثم عادت العمليات الجهادية مرة أخرى لمصر. هذه هي الحقيقة التي يلتف حولها النظام والأمريكان.

ثم هؤلاء الذين يتفاخرون بمهارة النظام المصري في منع الحركة الجهادية يتناسون ويتغاضون عن الثمن الفادح الذي دفعته مصر من أجل ذلك، يتناسون تلك الحملة الوحشية من التعذيب والاعتداء على الأعراس بل على كل قيمة ومبدأ والمحاكم العسكرية الجاهزة وقراءة مائة وثلاثين حكماً بالإعدام وأحكام السجن الطويلة بل والاعتقال بدون توجيه تهم إلى آخر هذه السلسلة القذرة. هذه الحملة التي تمت وتتم تحت الإشراف الأمريكي المباشر. ويتناسى هؤلاء أيضاً أنهم والأمريكان كانوا يشنعون على الاتحاد السوفيتي ودول حلف وارسو نفس هذه الأساليب في قمع شعوبهم.

وختاماً أؤكد على الدرس الهام الذي يجب أن نتعلمه من هذه الفترة؛ وهو أن المعركة بين الإسلام والكفر لا يمكن أن تنحصر في قطر أو إقليم، لأن أعداء الإسلام يتحالفون ضده من كل مكان وفي كل مكان. وإني هنا لأتعجب من الأفكار التي تصر على أن الجهاد في فلسطين يجب أن يظل محصوراً في حدود فلسطين الجغرافية وضد اليهود فقط²⁹، متناسين الحقائق الشرعية من أن الأمة المسلمة أمة واحدة، وأن ديار الإسلام بمنزلة البلدة

²⁹ من أمثلة ذلك استنكار بعض الحركات في فلسطين لأحداث سيناء (طابا وشرم الشيخ ودهب)، ورد البعض على بيان الشيخ أسامة بن لادن الصادر في 23 أبريل 2006م، الذي اعتبر فيه أن الحصار الاقتصادي لحكومة حماس مثال على الحرب الصليبية على الإسلام، وتصريحهم بأنهم يخالفون بن لادن في اجتهاده، لأنهم يحرصون على علاقة حسنة مع الغرب!!

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
الواحدة³⁰، ومتجاهلين الحقائق الواقعية أن إسرائيل ما أنشأها
إلا تأييد الغرب الصليبي والشرق الشيوعي.

وإني لأذكر أصحاب هذه الأفكار بالكلمات المضيئة لشهيد
الإسلام -كما نحسبه- الشيخ عبد الله عزام ~ حين قال:

"إن الحق يأبى الحدود الجغرافية، ولا يرضى أن
ينحصر في حدود ضيقة اخترعها علماء الجغرافيا،
فالحق يتحدى العقول البشرية النزيهة، ويقول لها:
ما بالكم تقولون إن القضية الفلانية حق في هذا
الجانب من الجبل أو النهر، وهي باطل إذا تعدت
هذا الشاطئ إلى الشاطئ الآخر؟"³¹

"إن أفغانستان هي فلسطين وفلسطين هي
أفغانستان والشجى يبعث الشجى، ولكننا لا نريد
أن تموت جذوة الجهاد في أعماقنا، ولا أن يخبو
الحماس لهذا الدين ولإنقاذ المستضعفين ولحماية
بلاد المسلمين في داخل شراييننا"³².

"من خلال الضغوط اليهودية علينا هنا، من خلال
الضغوط اليهودية على الأمريكان والغرب لكي
يخرجونا من داخل باكستان، من خلال الضغوط
اليهودية والغربية لمنع إعطاء التأشيرات للعرب،
وخاصة الفلسطينيين، كانوا يدركون أن الزلزال
الذي حدث في حبال الهندكوش لا بد أن تتردد فوق
المكبر في القدس"³³.

6- استمرار المعركة.

يلاحظ أي راصد لتطور الحركة الإسلامية أن معركتها مع
النظام، ما زالت مستمرة حتى اليوم، وأن المعركة لم تتوقف
طوال الأربعين عاماً الماضية (1966م- 2006م)، فالحركة
الجهادية إما أنها في هجوم أو في إعداد لهجوم. ويحاول

³⁰ الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج: 4 ص: 609.

³¹ عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر ص: 6 و 7.

³² في الجهاد فقه واجتهاد ص: 241 إلى 244.

³³ في التربية الجهادية والبناء- المجلد الثالث ص: 143.

الفصل الثالث: العمليات في مصر

النظام وإعلامه -عياً- أن يقنعوا الناس في الداخل والخارج أن المعركة قد انتهت، رغم استمرار حالة الطوارئ وميزانيات الأمن الباهظة، التي تثبت أن النظام لا يزال في حالة خوف وترقب وحذر بالغ بسبب استمرار المعركة، وأن الموقف ما زال قابلاً للانفجار في أية لحظة. والنظام متأكد أن الحركة الجهادية تفرخ أجيالاً جديدة، يستعصى على أجهزة الأمن القضاء عليها. وأن حكومة حسني مبارك قد غيرت حتى الآن سبعة وزراء للداخلية يصرح كل منهم بأنه سيقضي على الإرهاب، ثم يعزل، ويأتي من بعده، فيكرر نفس التصريحات. 7- تصاعد قوة الحركة الجهادية.

تظهر المقارنة بين سعي مجموعة الشهيد -كما نحسبه- الأستاذ سيد قطب في الستينيات لإعداد قوة للرد على حملات بطش عبد الناصر وبين ما وصلت إليه الحركة الجهادية اليوم مدى النمو المتصاعد للحركة المجاهدة، ولم تبلغ الحركة المجاهدة هذا المستوى المتفوق، الذي جعلها طلبة الأمة المسلمة في وجه الحملة الصليبية الصهيونية المعاصرة بالتراجع والانحزام وتزلف الحكام والتنكر لأحكام الإسلام وأصول عقائده، والمراجعات ووثائق الترشيد، ولم تبلغ هذا المستوى بالتنكر لحاكمية الشريعة ومحاولة تسول بضع مقاعد في المجالس التشريعية، بل بلغت ذلك بالثبات على أصول التوحيد وأحكام الشريعة والعطاء والبذل المتواصل بالنفس والمال ومئات الشهداء وآلاف الأسرى والجرحى والمعاقين والأرامل والأيتام، بلغت ذلك بالهجرة والمطاردة وترك الأهل والأوطان وحياء الدعة والراحة والمناصب والوظائف والريح والتجارة والمغانم. يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَسَتْهُمْ بُاسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾**.

قال السموأل:

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُدْتَسِ مِنْ جَمِيلٍ
 وَاللُّؤْمُ عَرِضُهُ قَلْبِي إِلَى حُسْنِ
 وَإِنْ هُوَ لَمْ تَحْمِلْ عَلَيَّ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ³⁴
 8- إيضاح الفكر والمنهج.

استطاعت الحركة الإسلامية أن توضح -إلى حد كبير-
 المعالم الأساسية لمنهجها مستندة إلى أصول قوية من أدلة
 القرآن والسنة وإجماعات الفقهاء المعتمدين، مما وفر لها
 قاعدة متينة رفعت فوقها رايتها التي تجذب كل يوم -بفضل
 الله تعالى- أنصاراً جدداً.
 9- الخطاب الشعبي.

يجب ألا يكون خطاب الحركة الجهادية خطاباً للصفوة
 والمتخصصين فقط، بل لابد أن يكون خطاباً مفهوماً للعامة
 والجماهير، وهذه ثغرة لا بد للحركة الجهادية أن تسعى لسدها
 بكل جد. والملاحظ لخطاب الحركة الجهادية بعد الغزوات
 المباركات في نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا يجد أن خطاب
 الحركة قد تحسن تحسناً واضحاً في مخاطبة الجماهير
 المسلمة وحشدها حول قضية مقاومة الحملة الصليبية
 المعاصرة.
 يقول مايكل شور³⁵:

"لقد بذل³⁶ ومعاونوه قدراً طائلاً من المال
 والوقت والفكر حتى بينوا إعلاماً عالمياً وجهازاً
 للدعاية. ويعمل اليوم هذا الجهاز بكامل طاقته،
 ويطل بن لادن والظواهري، ويستحوذان على

³⁴ الشعر للسموأل بن عدياء. الموسوعة الشعرية- السموأل، المستطرف- الباب
 الثامن والعشرون في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت ج: 1 ص: 292.
³⁵ مايكل شور عمل لمدة 22 عاماً في السي آي إيه، قبل أن يستقيل في عام
 2004م. وكان رئيس (وحدة بن لادن) في مركز مكافحة الإرهاب من 1996م حتى
 1999م. وهو المؤلف الذي كان مجهولاً لكتابه: من خلال عيون أعدائنا: أسامة بن
 لادن والإسلام الأصولي ومستقبل أمريكا، وكتاب الغطرسة الاستعمارية: لماذا يخسر
 الغرب الحرب على الإرهاب.
³⁶ يقصد الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله.

الفصل الثالث: العمليات في مصر
الإعلام الدولي وقت ما يشاءان، وبنفس الأهمية
فإن الوجود المتعدد المواقع للقاعدة على الإنترنت
يعرض باستمرار تعليقاتها السياسية والدينية
وتقاريرها الإخبارية أمام أهم أنصارها؛ طبقات
العالم الإسلامي الوسطى والعليا الوسطى الملمة
بالإنترنت"³⁷.

ولا يعني هذا أن تغفل الحركة الجهادية الخطاب الشرعي
المتخصص، بل هو ضرورة لا بد منها، ضرورة لبناء تشكيلاتها
على عقيدة وفهم صحيحين، وضرورة للتخاطب مع العلماء
والدارسين وطلاب العلم، وضرورة للبحث في المسائل
الشرعية الهامة - بل وربما الخطيرة - التي تواجهها الحركة،
وضرورة لبناء الحركة لأجنحتها المتخصصة في الدعوة والإفتاء
والقضاء.

ولكن يبقى الخطاب الشعبي - المنبني على التأصيل
الشرعي المنضبط - هو الذي يجب أن تنفق فيه الحركة
المجاهدة جهدها الأكبر لسببين:
أولهما: أن الخطاب العلمي المتخصص قد سد ثغرتة - إلى
حد كبير - كثير من العلماء والدارسين المخلصين، وغالب ما
ستصدره الحركة المجاهدة من إصدارات متخصصة سيكون
عالة على من سبقها، ويبقى لها فضل العرض والإبراز
والترتيب على حسب الأهمية.

وثانيهما: أن عوام المسلمين بل وكثير من المتعلمين
والمثقفين والمتخصصين منهم، لا يفهمون الخطاب الشرعي
المتخصص، لأن أغلب المتعلمين والمثقفين والمتخصصين إما

³⁷ Can al-Qaeda Endure Beyond bin Laden.

وراجع لمزيد من التفصيل حول الانتصار الإعلامي - بفضل الله - للمجاهدين: الباب
الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/ المطلب الثالث:
المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي
للمجاهدين.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان عامة في العلم الشرعي، أو قد فهموه خطأ، والإنسان بطبعه عدو ما يجهل.

وهذا الجانب قد قصر فيه الدعاة تقصيراً كبيراً، فهم إما قد تركوه، أو بذلوا فيه مجهوداً، ولكن فيما لا يصطدم بأهواء وأطماع الطغاة والغزاة. فبقي القطاع الأكبر من المسلمين مغيباً وجاهلاً لأهم قضايا العقيدة والشريعة، التي يحتاجها المسلم في زمن الهجمة الصليبية الصهيونية.

فعلى الحركة المجاهدة أن تقوم بهذا الدور الضروري لها وللأمة المسلمة، بعرض قضيتها بالأسلوب السهل الممتنع، الذي يصل بأخطر قضايا العقيدة والشريعة لعامة المسلمين، ويربطها بأخطر قضايا الواقع والصراع.

فإذا أضيف إلى ما سبق الحصار الإعلامي المفروض على خطاب الحركة المجاهدة، ثم حملة التضليل التي تقوم بها أجهزة الإعلام الحكومي لاتضح لنا مدي المجهود الذي يجب أن تبذله الحركة المجاهدة لتصل لعامة الأمة؛ الأمي منها أو الحاصل على أعلى الدرجات العلمية.

10- بقيت نقطة خطيرة جداً، وقد تعمدت أن أجعلها في آخر الدروس المستفادة، وهي تتعلق بمدى جدوى العمليات الجهادية التي قامت في الفترة المشار إليها. بداية لا بد أن أوضح باختصار ما هو الهدف من العمليات الجهادية؟

الذي أراه؛ أنه في الدول المستبدة العتيدة مثل مصر، حيث يمسك الفرعون بكل خيوط السلطة، ويضغط بمخالبه على أعناق الأمة، ويقمع بكل قسوة أية محاولة للتمرد، في مثل تلك الدول، فإن العمليات الجهادية لا يقصد بها إسقاط النظام، وإنما يقصد بها أمران: الأول: وهو الأهم، حشد قوى الأمة خلف الطليعة الجهادية، تمهيداً لإسقاط النظام.

الفصل الثالث: العمليات في مصر

والثاني: تحطيم معنويات أفراد الخصم، وتقريبهم من حالة اليأس، الذي سيسارع بانهيار النظام، عند قيام الطليعة المجاهدة بضربتها الحاسمة للإجهاد على النظام. وبناء على هذا الاجتهاد، فعلىنا أن نقوم بكل عمل من شأنه أن يحشد الأمة خلف طليعتها المجاهدة، وأن نتجنب كل عمل ينفرها من ذلك، بل وكل عمل لا تفهمه الأمة ولا يساعد على حشدها تحت راية الجهاد، لأن هذا العمل أهون خسائره هو ضياع الجهد والأنفس والأموال بلا طائل. وبناء على هذا الاجتهاد فإن مراجعة الفترة السابقة يمكن أن تفرز الأعمال الجهادية لعمليات مجدبة وأخرى غير مجدبة وثالثة بين الاثنتين.

فالعمليات المجدبة هي التي تضرب العدو الذي تمقته الأمة، والعمليات غير المجدبة هي التي لا تفهمها الأمة، أو تصيب من لا تمقتهم.

فإذا استحضرنا في الذاكرة أن أعدى أعداء الأمة هم اليهود ثم الأمريكان ثم رموز الفساد المتعاونين معهما، لأمكن أن نعتبر أن أنجح العمليات هي التي وجهت لليهود وللأمريكان ثم ضد حسني مبارك. وأن أقل العمليات جدوى هي التي وجهت للأقباط ولعموم الشرطة وللسياحة غير اليهودية قبل غزو العراق وأفغانستان، أما بعد غزو أفغانستان والعراق فإن ضرب أفراد ومصالح الدول المشاركة في الحملة عليهما تعد من العمليات المجدبة.

وإذا ضرب الأمريكان واليهود فسيسقط القناع عن النظام وينكشف وجهه القبيح، وأدل مثال على ذلك ما قام به النظام من بطش مستشر بعد أحداث طابا حماية لتجارة الفساد الإسرائيلية في سيناء.

ولذا فإن أفضل العمليات من حيث الجدوى الآن في مصر هي بالترتيب:

- أ- العمليات ضد اليهود ومصالحهم.
- ب- العمليات ضد الأمريكان ومصالحهم.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
ج- العمليات ضد بقية الدول المشاركة في الحملة الصليبية
على أفغانستان والعراق ومصالحها.
د- العمليات ضد حسني مبارك وولديه.
هـ- العمليات ضد وزير الداخلية وقيادات الأمن الهامة
الممارسة للتعذيب الحاليين والسابقين.
11- المحصلة.

هل فشلت الحركة الجهادية أم نجحت خلال الأربعين عاماً
الماضية؟

الجواب:

أ- لا بد أن نعترف أن هدف الحركة الجهادية وهو قيام
الحكومة الإسلامية في مصر لم يتحقق حتى الآن.
ب- ولكن هذا الهدف لم تضع له الحركة الجهادية المجاهدة
توقيتاً معيناً للوصول إليه، والأهم من ذلك أنه هدف قد
يستغرق تحقيقه عدة أجيال، فالصليبيون في الشام
وفلسطين خرجوا بعد قرنين من الجهاد المتصل، وكانت الأمة
الإسلامية لها سلاطين مجاهدون وجيوش معدة منظمة،
ويقودها أئمة أعلام متبعون كالعز بن عبد السلام والنووي وابن
تيمية رحمة الله عليهم أجمعين، ومع ذلك لم يخرج الصليبيون
في ثلاثين أو خمسين عاماً. والإنجليز احتلوا مصر سبعين
عاماً، والفرنسيون احتلوا الجزائر مائة وعشرين عاماً.
ج- والذي أراه واضحاً أن الحركة الإسلامية المجاهدة قد
قطعت شوطاً طويلاً في طريق النصر.
(1) فهي تمتلك منهجاً فكرياً واضحاً يستند إلى أسس
شرعية ثابتة وحقائق واقعية ملموسة.
(2) كما أنها استطاعت أن تنشر بين الشباب قضايا كانت
غائبة عن فكر جماهير الأمة المسلمة مثل حاكمية الشريعة
وردة الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله ووجوب الخروج
على الحكام الموالين لأعداء الإسلام.
(3) كما كشفت الحركة الجهادية عن الصلة الوثيقة بين
النظام الدولي والنظام المصري.

الفصل الثالث: العمليات في مصر

(4) ولم تكف الحركة الجهادية بالطرح النظري لهذه القضايا بل طبقتها في أسلوب هجومي هز أركان النظام عدة مرات. واستطاعت قتل رئيس الجمهورية السابق.

(5) ونتيجة لما سبق فقد كان للحركة الجهادية تأثيرها القوي على الشباب المسلم فكراً وعملاً، مما أدى إلى نشر الروح الجهادية بين جماهير غفيرة من شباب مصر. ليس هذا فحسب، بل لقد أثرت الحركة الجهادية على شرائح عريضة من شعب مصر، فعلى سبيل المثال ذكر لي أحد الإخوة المحاكمين في قضية اغتيال السادات أن أحد المحامين اقترب من أقفاص المتهمين وقال لهم بدهشة وحماس: من أنتم ومن أين جئتم؟ فقد أحيا شعب مصر بقتله للسادات الأمل في قلوب الأمة. والمراقب للحركة الإسلامية المجاهدة يستطيع أن يدرك الفرق الواضح في حجم الحركة ووضوح فكرها وازدياد حركتها بين بدايات الحركة وواقعها اليوم.

(6) بل إن الحركة المجاهدة من مصر قد طورت من أدائها بتوحيدها مع إخوانها المجاهدين في جماعة قاعدة الجهاد، وخاضت معهم معركة الإسلام ضد الحملة الصليبية الصهيونية، وأصبحت بذلك جزءاً من الطليعة المجاهدة التي التفت حولها الأمة المسلمة في جهادها للحملة الصليبية المعاصرة.

د- ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن الحركة الجهادية في نماء وتقدم على المستوى العام، وإن أصابها شيء من الفتور أو التراجع على المستوى الخاص نظراً لحمات البطش أو فترات الحصار.

ولذا فعلى الحركة الإسلامية المجاهدة ألا تتوقف عن المقاومة، بل وعليها أن تشرك الأمة كلها معها في تلك المقاومة.

الفصل الرابع: رسالة لعملاء اليهود بإسلام آباد

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ
يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

في حَذِّهِ الحَدُّ بَيْنَ
الجَدِّ وَاللَّعِبِ
وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارِ
الشُّرِكِ فِي صَبَبِ
يَشُلُّهُ وَسطَهَا
صُبْحٌ مِنْ
اللَّهَبِ
وِظْلَمَةٌ مِنْ

دُخَانٍ فِي صُحَى
شَجَبِ
لَهُ الْعَوَاقِبُ بَيْنَ
السُّمْرِ وَالْقُصْبِ
وَلَيْمٌ تُعْرَجُ عَلَيَّ
الأوتادِ وَالطُّنْبِ
يَوْمَ الكَرْبَهَةِ فِي

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنبَاءٍ
مِنَ الكُتُبِ
أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي
الإِسْلَامِ فِي صَعْدِ
غَادَرَتَ فِيهَا بَهِيمَ اللَّيْلِ
وَهُوَ صُحَى

ضوءٌ مِنَ النّارِ
وَالظُّلْمَاءِ عَاكِفَةٌ
لَوْ يَعْلَمُ الكُفْرُ كَمْ مِنْ
أَعْصُرٍ كَمَتَتْ
حَتَّى تَرَكَتْ عَمُودَ
الشُّرِكِ مُنْعَفِرًا
إِنَّ الأَسْوَدَ أَسْوَدَ

الفصل الرابع: رسالة لعملاء اليهود بإسلام آباد
 الْغَيْلِ هَمَّتْهَا الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ
 يَا رَبِّ حَوَاءَ حِينَ طَابَتْ وَلَوْ صُمَّتْ
 اجْتَنَّتْ دَائِرُهُمْ بِالْمَسْكِ لَمْ تَطْبُ³⁸

بدأت مع حلول عام 1995 في الأفق ملامح عاصفة جديدة من عواصف المطاردة، وجاءتنا نصيحة من أحد أفاضل إخواننا في الأسر: إذا اضطررتم لأن تتوقفوا فلتكن نهاية المرحلة عملية كبيرة.

وهكذا قررنا أن نضرب ضربتين في وقت متقارب الأولى في باكستان ضد السفارة الأمريكية والثانية في مصر ضد اليهود.

وكلفت بعملية باكستان الأخ البطل الشهيد -كما نحسبه- أبا خالد طارق أنور، وطارق أنور من أصدق من عاشرت، ومن أشدهم أخذاً دين الله بجد، ومن أكثرهم بذلاً وعطاءً وتفانياً، ومن أصبرهم على الملمات والشدائد والنوب، زاهداً في الدنيا متعففاً عنها، وقد عاشرته عن قرب لسنين، فما وجدته كل يوماً عن خدمة إخوانه، وكان لي كشقيقي الأصغر، وكنت كثيراً ما أئتمنه على رعاية أسرتي في غيابي، وقد استشهد معهم في جارديز بغارتين جويتين استهدفتا بإصرار البيت الذي أووا إليه. فقتل الأمريكان ثمانية عشر مسلماً من الرجال والنساء والأطفال، فرحمهم الله رحمة واسعة.

وكنت أعرف أنبي عند تكليفي له قد كلفت بالأمر من هو أهله، وكان دوري أن أوفر له المدد المالي، أما ترتيب الأمر من بدايته لنهايته فقد كنت واثقاً أني قد وضعته في يد أمينة موثوقة.

وقد انتخب ثلة من أفاضل الإخوة ليشاركوه في تلك الحملة الجهادية، واستغرق الإعداد منه قرابة سنة من الصبر والمثابرة والحفر بأظافره في الصخر، وكاد أن يصل لحافة اليأس، ولما قرر أن يعود فتح الله عليه من حيث لا يدري ولا

³⁸ الأبيات لأبي تمام في فتح عمورية - الموسوعة الشعرية - أبو تمام.

الجزء الأول: التفاتة للملضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
يحتسب. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ
اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

أما الأخوان المنفذان فكانا من خيرة إخواننا الأخفاء
الأتقياء، أما الأخ المنفذ الأول الذي فجر بوابة السفارة
الحديدية بحقيبة متفجرة يحملها فكان يتسم بالتواضع الشديد
والصبر على أشد الظروف ضيقاً، وكان دائماً في خدمة
إخوانه لا يترك أحداً يعد طعاماً أو شراباً، ولا يكاد يغادر
المطبخ أو يترك أحداً يدخله.

أما الأخ الثاني فكان من الصابرين على الظروف الشديدة
التي مرت بنا، تواقاً للشهادة في سبيل الله، وكان يبكي شوقاً
لها، وأذكر يوماً أنه جاءني وقد استبد به الحزن يسألني أن
أرتب له عملاً استشهادياً، فقلت له لماذا تسألني؟ وأنا لا أملك
لك شيئاً، عليك بالله مالك الملك فاسأله يعطك. وفعلاً يسر
له الأمر بعد فترة.

كان هدفنا الأساسي في إسلام آباد ضرب السفارة
الأمريكية، فإن لم يتيسر فلنضرب أحد الأهداف الأمريكية في
باكستان، فإن لم يتيسر فلنضرب سفارة دولة غربية مشهورة
بعداؤها التاريخي للمسلمين، فإن لم يتيسر فلنضرب السفارة
المصرية.

ولذا قررنا أن يكون الرد منصبا على هدف يؤلم هذا
التحالف الخبيث.

ولكن بعد الاستطلاع المكثف والمفصل تبين أن تفجير
السفارة الأمريكية فوق إمكانات المجموعة المكلفة، وتم
استطلاع أحد الأهداف الأمريكية في إسلام آباد، فتبين أن به
عدداً قليلاً جداً من الموظفين الأمريكيان، وأن الإصابات
ستلحق معظمها بالباكستانيين.

كذلك تبين أن ضرب السفارة الغربية الأخرى فوق إمكانات
المجموعة المكلفة. وهكذا استقر الأمر على ضرب السفارة
المصرية في إسلام آباد، التي لم تكن فقط تدير حملة
المطاردة للعرب في باكستان، بل كانت أيضاً تقوم بدور

الفصل الرابع: رسالة لعملاء اليهود بإسلام آباد
تجسسي خطير على المجاهدين العرب، بالإضافة إلى ما
اكتشفته أجهزة الأمن الباكستانية في مباني السفارة المدمرة
من وثائق تكشف عن التعاون الهندي المصري في مجال
التجسس.

فيعد حملة مطاردة المجاهدين العرب في باكستان، بدأت
الحكومة المصرية تستأسد في باكستان، مستندة إلى الدعم
الذي تقدمه لها الولايات المتحدة بنفوذها القوي لدى الحكومة
الباكستانية، وذلك لأن علاقة الحكومة المصرية كانت -منذ
الخمسينيات- سيئة مع الحكومة الباكستانية بسبب موقف
الحكومة المصرية المساند للهند في قضية كشمير، واعتبار
الحكومة المصرية -منذ عهد عبد الناصر- كشمير مشكلة
داخلية هندية.

وبدأت الحكومة المصرية في تعقب من تبقى من العرب
والمصريين خاصة في باكستان، ووصل الأمر إلى ترحيل أحد
الطلاب المقيمين قانونياً من الجامعة الإسلامية في إسلام
آباد، ثم القبض على مصريين يحملان الجنسية الباكستانية
لزواجهما من باكستانيتين، ووصل استسلام الحكومة
الباكستانية أنها سلمت هذين الأخين إلى الحكومة المصرية
أثناء نظر القضاء في تظلمهما، من دون اعتبار للدستور أو
القانون الباكستاني.

كما أن توسيع الحكومة المصرية لحملتها المعادية
للمجاهدين في مصر ونقلها المعركة إلى خارجها كان لا بد له
من رد.

وقبيل التفجير أرسلت المجموعة المنفذة تخبرنا عن
إمكانها القيام بضرب السفارة الأمريكية والمصرية معاً إذا
دبرنا لها مبلغاً إضافياً، ولكن كنا قد قدمنا ما معنا، ولم نكن
نستطيع تدبير المزيد. وهكذا ركزت المجموعة على نفس

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
السفارة المصرية، وتركت خرائب السفارة رسالة بليغة
المعنى واضحة البيان³⁹.

³⁹ لمزيد من التفصيل حول عملية نسف السفارة المصرية في إسلام آباد يمكن
مراجعة رسالة (شفاء صدور المؤمنين؛ رسالة عن بعض معاني الجهاد في عملية إسلام
آباد).

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرغ بعد انقطاع السبب

الفصل الخامس

داغستان- الفرغ بعد انقطاع السبب

- 1- تمهيد.
- 2- المطلب الأول: تأملات في أحوال القفقاز.
- 3- المطلب الثاني: تأملات في أحوال السجن.

D

تمهيد

□ آمَنَ يُحِيْتُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ
السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ □

وَلَرُبَّ نازِلَةٍ
يَضِيقُ بِهَا
دَرَعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا
المَخْرَجُ

الفتى
ضاقَت قَلَمًا
فُرِجَت وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا
تُفْرَجُ⁴⁰
إِسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا

هِيَ الْأَيَّامُ وَالْعِبَرُ وَأَمْرُ اللَّهِ

يُنْتَظَرُ
أَتْيَاسُ أَنْ تَرَى فَرَجًا
فَأَيْنَ اللَّهُ
وَالْقَدَرُ⁴¹

بدأت منذ ربيع عام 1996 موجة جديدة من المطاردات ضد
المجاهدين العرب عامة تديرها أمريكا وتنفذها الأنظمة
المستسلمة لها، أما الشيخ أسامة بن لادن -حفظه الله-

⁴⁰ الأبيات للإمام الشافعي رحمه الله ولإبراهيم بن العباس الصولي. الموسوعة
الشعرية- الشافعي وإبراهيم بن العباس الصولي، المستطرف- الباب السابع
والخمسون ما جاء في العسر بعد اليسر ج: 2 ص: 156.

⁴¹ البيتان لأبي العتاهية. كتب بهما لبكر بن المعتز لما شكاه إليه ضيق اليد والحبس.
الأغاني- ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره ج: 4 ص: 85.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

فقد اضطر للهجرة لأفغانستان عبر رحلة مليئة بالأخطار،
أما نحن فقد اخترنا أن نحاول التنقل في البلاد علنا نجد فرصة
لإيجاد مكان مناسب لإدارة العمل، مستغلين ما من الله به
علينا من خبرة في التخفي والتنقل.
وهكذا بدأت رحلة من التنقل من بلد لبلد.

وَسَائِلَةَ أَيْنَ الرَّحِيلُ وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ
وَسَائِلَ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ
مَذَاهِبُهُ أَنَّ الْفِجَاجَ إِذَا صَنَّ عَنْهُ بِالْفَعَالِ
عَرِيصَتَهُ أَقَارِيهِ
لِيُدْرِكَ تَارًا أَوْ لِيُدْرِكَ جَزِيلًا وَهَذَا الدَّهْرُ جَمٌّ
مَعْتَمًا عَجَائِيهِ
فَلَا أَتْرُكُ الْإِخْوَانَ مَا كَمَا أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ الْمَاءَ
عُشْتُ لِلرَّدى شَارِيهِ
وَدَعَّ عَنكَ مَوْلَى السُّوءِ سَتَكْفِيكَ أَيَّامُهُ
وَالدَّهْرُ إِنَّهُ وَتَّجَارِيهِ⁴²

ومع حلول خريف عام 1996م اتضح لنا أن هذا التنقل
مضاره أكثر من فوائده، وأنا لن نستطيع أن نفيذ الحركة
الجهادية إلا إذا انتقلنا لقاعدة مستقرة للمجاهدين، نستطيع
أن نعمل منها بحرية وأمن، وأن نستفيد ونفيد إخواننا.
ولم يكن أمامنا إلا أفغانستان أو الشيشان. أما أفغانستان
فكانت معلوماتنا عما يدور فيها قليلة، وكنا في قلق منها
بسبب الحرب الأهلية الدائرة فيها، وكان خوفنا من أن نجد
أنفسنا متورطين في تلك الحرب رغماً عنا. أو أن يهاجمنا
طرف متورط مع الأمريكان أو الباكستانيين، خاصة وقد أبدى
برهان الدين رباني رغبته في تسليم من أسماهم بالإرهابيين

⁴² الأبيات أعدت ترتيبها من شعر عروة بن الورد وأبي النشاش النهشلي- الموسوعة
الشعرية- عروة بن الورد والنهشلي، الأغاني ج: 12 ص: 201.

D

عند زيارته لمصر، رغم أنه هو الذي كان يحتاج من يحميه، ولكنها مسابقة عرض الخدمات لاكتساب رضا ومنافع سيد العالم الجديد.

فقررنا أن نشد الرجال للشيشان. وكان الطريق يمر بداغستان التي دخلناها تهريباً، وفي الطريق قبض علينا في مدينة دريند⁴³ بداغستان، لأننا لا نحمل تأشيرة دخول لروسيا التي تعتبر داغستان جزءاً منها. وحولتنا الشرطة لوزارة الاستخبارات، التي حولتنا لحرس الحدود، وهكذا في سويغات وجدنا أنفسنا في معتقل معسكر قيادة حرس الحدود في داغستان في قبضة الجيش الروسي.

وبدأ التحقيق معنا لدخولنا لأراضي روسيا الاتحادية بدون تأشيرة، ولم يجدوا معنا ما يجعلهم يشتبهون في صلتنا بالمجاهدين، وكانت أمامنا مشكلتان: الأولى وهي الجريمة القانونية، وهي دخول البلاد بدون تأشيرة، والثانية وهي الأخطر وهي انكشاف أمرنا، وما قد يتبع ذلك من آثار. فقررنا أن نتحمل أهون الضررين، ونتقمص شخصية التجار الذين غرر بهم البعض، وأدخلوهم البلاد بدون تأشيرة مقابل مبلغ من المال. وأنا نملك شركة تجارية، وقد جئنا لداغستان للبحث عن فرص للتجارة. وفعلاً حكينا للمحققين تفاصيل رحلتنا مع بعض التعديلات، وذكرنا فيها معلومات حقيقية عن الطريق الذي سلكناه، فافتنع المحققون بالقصة، وسجلوا ضدنا قضية جنائية، ثم تطور الأمر بأن قرروا تحويلنا للسجن المركزي في العاصمة محج قلعة، وبدأت الشرطة معنا تحقيقاً قانونياً كررنا فيه نفس القصة، ثم استدعتنا وزارة المخابرات في العاصمة، وحققت مع كل منا على انفراد، فكررنا نفس القصة الواحدة، فافتنع المحققون ببساطة

⁴³ ويقال لها باب الأبواب. [معجم البلدان- باب الباء والألف وما يليهما- باب الأبواب ج: 1 ص: 303]، وقد وجدنا في مقبرتها أربعين قبراً، يقولون أنها لأربعين صحابياً {، ويتبركون بشرب الماء من نقرة عند رأس القبر، وقد زرنا هذه القبور في طريق عودتنا بعد الخروج من السجن.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

قضيتنا، وأنها لا تعدو أن تكون قضية دخول البلاد بدون تأشيرة.
وحولت أوراقنا للقضاء، الذي حكم علينا بستة أشهر حبساً، كنا
قد أمضينا منها حتى صدور الحكم أربعة أشهر ونصف.
وفي خلال هذه الفترة مرت بنا من آيات حفظ الله
ولطفه وستره ما نعجز عن شكره، □ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا
يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ □.

يَدِقُّ حَفَاهُ عَن قَهْمِ الذَّكِيِّ	وَكَمْ لِلَّهِ مِن لِّطْفٍ حَفِيِّ
فَفَرَّحَ كَرْبَهُ الْقَلْبُ الْبَسِيحِي	وَكَمْ يُسِرُّ أَمْرًا بَعِيدٍ غَيْبِي
وَتَأْتِيكَ الْمَسْرَرَةُ بِالْعَشِيِّ	وَكَمْ أَمْرٌ تُسَاءُّ بِهِ صَبَاحًا
فَتُنِقِ بِالْوَاكِدِ الْفَرْدِ الْعَلِيِّ	إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الْأَحْوَالُ يَوْمًا

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

وَضَاقَ بِمَا بِهِ الصِّدْرُ الرَّحِيبُ	إِذَا اشْتَمَلْتَ عَلَى الْبِأْسِ الْقُلُوبِ
وَأرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخَطُوبُ	وَأوْطِنْتَ الْمَكَارِهِ وَأطْمَأْنَنْتِ
وَلَا أَعْنَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ	وَلَمْ تَرِ لَانْكِشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا
يَمُنُّ بِهِ الْقَرِيبُ الْمُسْتَجِيبُ	أَتَاكَ عَلَى قَنُوطِ مَنْكَ غُوثُ
فَمَوْصُولُ بِهَا الْفَرْجِ الْقَرِيبِ ⁴⁴	وَكُلِّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ

وقد كانت فترة الستة أشهر التي قضيتها في السجن في
داغستان كثيراً ما تثير تفكيري وتأملي، حتى لقد نبهني أحد

⁴⁴ البداية والنهاية- سنة أربعين من الهجرة- ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب..- في ذكر شيء من سيرته الفاضلة ومواعظه.. ج: 8 ص: 9 و 10.

D

الإخوة مرة متسائلاً عن كثرة ذكري لأحداثها، فأجبتُه بأن ذلك لكثرة العبر فيها. وإذا سمح لي القارئ بأن أستعرض بعضاً من تأملاتي في هذه الفترة، فأرى أن أبدأ بالحديث عن القوقاز، ثم بالحديث عن السجن في داغستان. لأن صورة تجربتي في سجن داغستان لن تكتمل إلا بإدراك موجز للخلفية التاريخية والجهادية والسياسية للقوقاز المسلم.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثالث: العودة للميدان / الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز المسلم

- 1- الفرع الأول: اقتراحي الشخصي الأول من القوقاز المسلم.
- 2- الفرع الثاني: موجز تاريخ الصراع بين روسيا والقوقاز.
- 3- الفرع الثالث: المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى (ديسمبر 1994م- أغسطس 1996م).
- 4- الفرع الرابع: المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم.

الفرع الأول: اقترابي الشخصي الأول من القوقاز المسلم

كان اقترابي الشخصي الأول بالشيشان المسلم عبر شخص وقور عرفته أسرتي باسم (بكير بك) ~، وقد تعرفت عليه في بيت بعض الأقارب، ثم صار صديقاً لأبي ~، يدعوه في المناسبات كإفطار رمضان، وكان بكير بك من القوقاز المسلم، ولا أدري بالضبط من أين؟ فلم تكن لي فكرة تفصيلية في ذلك الوقت عن القوقاز المسلم، وكان بكير بك ~ من المجاهدين الذين قاتلوا الروس في القوقاز، ثم هرب لتركيا في أثناء الحرب العالمية الأولى، وكان يحكي لنا عن صدمته لما رأى قوات النصارى، وهي تحتل دار الخلافة، ثم هاجر بعد ذلك لمصر، واستوطنها، وتنقل في عدة أعمال، وكان آخرها عمله في تجارة المشغولات الفضية، وكان بكير بك ~ وقوراً مهيباً، قد شاب شعره، ذو شارب ضخم مفتول، معتزلاً بنفسه ضخم الجثة قوي البنية، يتحدث العربية بطلاقة، ولكن بلكنة أشبه بلكنة الأتراك المتمصرين. ورغم أنه كان بين السبعين والثمانين من العمر إلا أنه كان يتحدثنا ونحن شباب بقوته الشديدة.

وكان أحياناً يأتي لزيارة أقاربي بزبه القوقازي المميز، وكان لا يمل من الحديث عن مأساة القوقاز المسلم وجهاد المسلمين ضد الروس القياصرة ثم الشيوعيين، وربما وزع علينا بعض الكتيبات عن اضطهاد المسلمين في القوقاز.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الأول: اقترابي الشخصي الأول من القوقاز المسلم

وأحياناً كان ينشد المدائح النبوية⁴⁵ -على صاحبها أزكى الصلاة والسلام- بعقيرته القوية، ثم ينتصب قائماً بزيه القوقازي المميز، ويستل خنجره، ويأخذ في رقصات قوية، وهو يهتف: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله.

وكان يسكن شقة صغيرة في ميدان العتبة فوق السوق ذي العقود، الذي كان يعرف (ببواكي العتبة)، وأذكر أنني زرته مرة في تلك الشقة، فأشار إلى نافذة تطل على الميدان، وقال: "سيأتي يوم، وينتصر الإسلام، وأنصب رشاشاً على هذه النافذة، وأرش به الكفار، وأنا أهتف: لا إله إلا الله".

وكان سبب تعرف أسرتي على بكير بك ~ صداقتها لأسرة العمروسي بك، وكان العمروسي بك رجلاً وقوراً عمل في السفارة المصرية في السعودية، في الفترة التي كان جدي لأمي -العلامة عبد الوهاب عزام ~- سفيراً لمصر بها، وفي المدينة تزوج العمروسي بك من إحدى حفيدات الإمام شاميل ~، وكانت تدعى زبيدة هانم، ولهذا صارت زبيدة هانم صديقة لجدتي وخالاتي، كانت زبيدة هانم امرأة وقورة شديدة الاعتزاز بتاريخ أجدادها وتراثهم، كثيرة التحدث عنهم، ومن خلال العمروسي بك وزبيدة هانم، تعرفت أسرتي على بكير بك ~، الذي كان على وقاره وهيئته، يتصرف كالتابع المطيع لزبيدة هانم.

وسافر بكير بك ~ في آخر عمره لتركيا حيث التأم شمل أسرته بعد طول فراق، ثم توفي -إلى رحمة الله- قبل أن يشاهد انهيار الاتحاد السوفيتي واستقلال الشيشان.

⁴⁵ وكان مما ينشده أبيات سعدي الشيرازي ~ في مدح حضرة النبي T: كنز الكرم مولى النعم هادي الأمم لشريعته
سعت الشجر نطق الحجر شق القمر بإشارته
جبريل أتاه ليلة إسراه والرب دعاه لحضرتة
فمحمدنا هو سيدنا فالعز لنا بإجابته

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب
وكنت كثيراً ما أتذكر بكبير بك ~ أثناء سجنني في داغستان،
وأتصور أنه كان لا بد أن يأتي للقوقاز، ويشارك في معارك
الشيشان ضد الروس، فرحمة الله على هذا المجاهد المهاجر
وعلى سائر المسلمين⁴⁶.

وأرى أنني لا أتمكن من توضيح صورة تجربتي في سجن
داغستان دون أن أتعرض بإيجاز للخلفيات التاريخية والقتالية
والسياسية والنفسية لصراع روسيا مع القوقاز المسلم عامة
ومع الشيشان خاصة، وبالذات قبيل دخولي للسجن، وهذا ما
سأحاوله في الفروع الثاني والثالث والرابع من هذا المطلب.

⁴⁶ أرجو ممن يستطيع من قراء هذا الكتاب أن يمدني بمعلومات عن بكبير بك ~ أن
يتفضل علي بذلك، ولو على شبكة المعلومات، كما أرجو ممن يعرف أسرته أن
يبلغهم سلامي ودعائي.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

الفرع الثاني:

موجز تاريخ الصراع بين
روسيا والقوقاز المسلم
"لقد انتظرت في القوقاز خمساً وعشرين
سنة لتمتد إلي هذه اليد"⁴⁷.

"لن نبكي، لن نضعف،
لن ننسى"⁴⁸.

⁴⁷ هذه العبارة قالها الإمام شاميل ~ للسلطان العثماني حينما هم بمصافحته، بعد أن نفاه الروس من القوقاز. ثم يعلق عليها الشهيد -كما نحسبه- زليم خان يندربي ~ بقوله: "واليوم يستحق كل العالم الإسلامي تانياً وتوبيخاً مشابهاً". [الشيشان- السياسة والواقع ص: 12]. والشخص الشهيد -كما نحسبه- زليم خان يندربي ~ كان نائباً لجوهر دودايف ~ أول رئيس لجمهورية إتشكيرية الشيشانية، ثم كان الرئيس المؤقت للجمهورية بعد مقتل جوهر دودايف ~، وقد زار قندهار لترتيب اعتراف أفغانستان بجمهورية إتشكيرية الشيشانية، وقد قابلته، وتعارفنا في لقاء عابر، لأن حكومة الإمارة الإسلامية كانت تفرض على زيارته طوقاً من السرية. ثم قتل شهيداً -كما نحسبه- في قطر بأيدي المخابرات الروسية في فبراير من عام 2004م، فرحمه الله رحمة واسعة. ويعتبره أتاتول ليفين أحد أهم الأشخاص، الذين وجهوا جوهر دودايف ~ للاتجاه الإسلامي.

[Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 70]

⁴⁸ هذه العبارة نقشت تحت صورة قرآن مفتوح، وبجانبه قبضة ضخمة، تمسك بسيف مشهر في صدر النصب التذكاري المقام في جروزني عام 1994 للذكرى الخمسين للترحيلات القسرية للشيشانيين، والذي دمر بعد أقل من عام أثناء الهجوم الروسي على جروزني. وقد صنع هذا النصب أساساً من أحجار القبور الشيشانية القديمة، المأخوذة من المقابر التي دمرت بعد عام 1944 على يد السلطات السوفيتية والمستوطنين الروس ليعيدوا بها الطرق، وبينوا بها البيوت!

[Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 319 & 320]

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثاني: موجز تاريخ الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم يمكن تقسيم تاريخ الصراع بين الروس والقوقاز المسلم بإيجاز إلى:

- 1- الصراع بين روسيا القيصرية والقوقاز المسلم.
 - أ- حركة الإمام منصور ~ .
 - ب- الجهاد في القوقاز المسلم بعد الإمام منصور ~ حتى ظهور حركة الإمام شامل ~ .
 - ج- حركة الإمام شامل ~ .
 - د- الجهاد في القوقاز المسلم بعد الإمام شامل ~ .
- 2- الصراع بين الاتحاد السوفيتي والقوقاز المسلم.
- 3- الصراع بين الروس والقوقاز المسلم بعد سقوط الاتحاد السوفيتي.

- 1- الصراع بين روسيا القيصرية والقوقاز المسلم.
 - أ- حركة الإمام منصور ~ (1785م- 1791م): في نهاية القرن السابع عشر (1688م) تولى السلطة في روسيا القيصر (بطرس الأكبر) الذي أدرك بحدة ذكائه مدى العظمة التي يمكن أن ينالها الروس باحتلالهم القوقاز، وقد وضع وصية سياسية لاحتلال مناطق المسلمين، طبقها من جاء من بعده خطوة بخطوة.
- وجاءت القيصرية الروسية كاترين الثانية (1729م) وسارت على مخطط بطرس الأكبر فبدأت عمليات الاستيطان الواسعة تجاه الجنوب حيث بلاد المسلمين. وقاوم المسلمون، ولا زالوا يقاومون حتى اليوم هذا العدوان الروسي على أرضهم.
- وكان أول قائد لجهاد المسلمين في القوقاز صد العدوان الروسي الإمام منصور ~، وهو أول إمام للقوقاز، وهو شيشاني من قرية أدي، وقد تلقى علومه الشرعية في داغستان، ثم عاد إلى بلاده الشيشان داعية إلى الله وإلى التمسك بالشريعة الإسلامية، وصاحب هذه الدعوة أخلاق

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

نبيلة وأمانة في التعامل مع الناس وبساطة في العيش، مما
رفع مكانته عند الناس، وأصبحت له كلمة مسموعة.

وما أن سمع بوصول القوات الروسية القيصرية لشمال
القوقاز حتى خرج من قريته داعياً إلى الجهاد ضد الغزاة
الروس، فلقبت دعوته تجاوباً كبيراً من شعوب القوقاز،
فانضمت إليه.

ونجح في توحيد كل شعوب شمال القوقاز ضد العدوان
الروسي.

ومع أن القوى المتحاربة لم تكن متساوية وامتكافئة، ولم
تتحقق المساعدات المتوقعة من السلطان العثماني في تركيا
فقد استطاع الإمام منصور إلحاق الهزائم المتتالية بالقوات
الروسية القيصرية طوال ست سنوات من عام 1785م حتى
عام 1791م، ولم يمكنها من احتلال أي منطقة في شمال
القوقاز.

استنجد الخليفة العثماني بالإمام منصور لنجدة الأتراك
المحاصرين في بعض القلاع من قبل الروس القيصرية، فقام
بنجدتهم، وفك الحصار عنهم، إلا أن أحد القادة الأتراك (حسين
بطل باشا) استسلم للروس، وفتح أبواب قلعة (أنابا) لهم،
وكان الإمام منصور ~ بداخل القلعة، فقاوم مع رجاله، حتى
سقط جريحاً، وسقط منه سيفه، ووقع في الأسر في عام
1791م، ونقل مقيداً بالسلاسل إلى القيصرية كاترين، حيث
طلبت مشاهدته أسيراً، وهو الذي ألحق بجيوشها الهزائم
المنكرة، وبعد أن نظرت إليه مكبلاً بالسلاسل أمرت بسجنه
في قلعة شليسر بوج في سانكت بيتربورج، حيث تم قتله
عام 1794م، بعد أن هاجم حراسه، وطعن أحدهم بخنجر
خطفه من بعضهم، فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح
جناته.⁴⁹

⁴⁹ الشيشان- السياسة والواقع ص: 10، -Microsoft ® Encarta ® Encyclopedia 2005-، Chechnya

الشيشان- إعداد وترتيب أبي محمد الفلسطيني- Scouba diver@hotmail.com

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثاني: موجز تاريخ الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم
ب- الجهاد في القوقاز المسلم بعد الإمام منصور ~ حتى ظهور حركة الإمام شاميل ~.

استمر نضال الشيشانيين بعد الشيخ منصور تحت قيادة قادة آخرين، وأكثرهم شهرة كان تيمين بيبولات ~، ومع ذلك فشلوا جميعاً في محاولاتهم في توحيد الشعب القوقازي كمقدمة ضرورية للمقاومة الناجحة، وفي نفس الوقت زادت روسيا من وجودها العسكري، وشدت من حملة قسوتها ورعبها قبل التمهيد للإبادة العامة للسكان الآمنين الطبيعيين، وتم تنفيذ هذه الإبادة الجماعية تحت شعار "المدنية" واستئصال قطاع الطرق، أما نية روسيا الاستعمارية الحقيقية فكانت تهدف إلى تفريغ إقليم القوقاز من شعوبه الأصلية. ويمكن إرجاع العداء الروسي للشيشانيين خصوصاً للدور المحوري الذي لعبه الشيشانيون في تاريخ القوقاز، وبالتالي أدرك واضعو السياسات الاستعمارية الروسية أنه لكي يتم التحكم في الإقليم فلا بد أن يقضوا على مقاومة الشيشان، وتعبر كلمات الجنرال يارمولوف المخزية -التي تتمشى تماماً مع قسوته وولعه بسياسة الأرض المحروقة- عن نموذج العقلية التي شكلت أربعمائة وخمسين سنة من السياسة الروسية تجاه شعب الشيشان، حين قال :

"سوف لا أتوقف عن الحرب إلا إذا تم وضع رأس آخر شيشاني في متحف" ⁵⁰.

وبعد مقتل الإمام منصور ~ قامت القيصرية كاترين ببناء خط (القوزاق) العظيم، وهو عبارة عن قلاع ومستوطنات على امتداد نهر ترك ونهر كولان، والذي امتد من بحر قزوين شرقاً إلى البحر الأسود غرباً، وبذلك تم لها إخضاع شمال القوقاز لفترة قصيرة بعد قطع كل خطوط الإمداد عنه.

Chechnya- Tombstone of Russian Power p:305 & 306.

⁵⁰ الشيشان- السياسة والواقع ص: 10 و 11.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

ولما تولى حفيدها القيصر الكسندر الأول السلطة شرع في تحقيق أهدافها باستعادة القدس والقسطنطينية، فكانت أول أعماله عام 1818م محاولة إخضاع الشيشان، لأنها كانت ألد أعداء روسيا القيصرية في شمال القوقاز، واستخدم الروس سياسة الأرض المحروقة، فدكوا القرى الشيشانية، وسيطروا على الأجزاء السهلية، وهرب الشيشانيون إلى الجبال، وشنوا حرب عصابات مدمرة، ولم يستطع الروس إخضاع المنطقة، وتكبدوا الخسائر الفادحة.

وفي عام 1828م استطاع الإمام الغازي الداغستاني ~ توحيد الجهود في جهاد الصليبيين الروس، وأسس الحركة الإسلامية لجهاد الروس المعتدين، وقادها بنفسه، ودعا القوقازيين لنبذ الخلافات وعدم الفرقة، فذاع صيته، والتفت حوله القبائل، وكان نائبه ومساعدته الشيخ محمد شاميل الداغستاني ~.

استمر الإمام الغازي ~ في جهاده يلحق الهزائم تلو الهزائم بالروس إلى أن تمكنت إحدى القبائل القوقازية من خيانتته، وفتح طريق للروس لمحاصرته، واستمر الحصار أياماً، والمدافع الروسية تدك موقعه، حتى تمكن الروس من القضاء عليه ومن معه عدا اثنين، أحدهما الشيخ محمد شاميل ~، الذي أستطاع الإفلات، بعد أن أصيب بجرح بالغ، وأما الإمام الغازي ~ فقد قتل وسيفه بيده عام 1832م، فرحمه الله رحمة واسعة.

حمل الراية بعده القائد حمزة بك ~، واستمر يجاهد الصليبيين لمدة سنتين، إلا أنه لم يسلم من يد الخيانة الخبيثة، حيث اغتاله أحد المنافقين الخونة، وهو قائم يصلي، بتحريض طائفة من أهل قريته، الذين خافوا من الضرر، الذي سيلحقهم من تطبيق قوانين الشريعة⁵¹.

⁵¹ الشيشان- إعداد وترتيب أبي محمد الفلسطيني- Scouba diver@hotmail.com، الشيشان- السياسة والواقع ص: 11.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثاني: موجز تاريخ الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم ج- حركة الإمام شاميل ~ .

الإمام شاميل ~ هو الإمام الثالث من أئمة داغستان الذين قادوا جهاد القوقاز المسلم بعد كل من الإمام الغازي والإمام حمزة بك K، وهو العالم العامل المجاهد الذي دوخ الروس لمدة خمس وعشرين سنة، وأنزل بهم الهزائم البالغة، وصار بفضل ما أنعم الله عليه من ثبات ورباط وجهاد- رمز الجهاد الشيشاني والقوقازي حتى اليوم، بل هو في الحقيقة رمز من رموز جهاد الأمة المسلمة في القرن التاسع عشر الميلادي، والذي اعتبرت حروبه ضد الغزاة الروس رمزاً من رموز المقاومة من أجل الحرية لكثير من الشعوب في الأرض. والإمام شاميل -كشيخه الإمام الغازي K- داغستاني الأصل من قوم (الأور)، وكما ذكرنا فقد كان مساعداً للإمام الغازي ~، وقد جرح في المعركة التي استشهد فيها الإمام الغازي ~، ونجا بأعجوبة، وهرب إلى الشيشان حيث تم استقباله بترحاب حار، وتم تنصيبه إماماً للشيشان وداغستان في عام 1834، وكان هذا بداية أحد فصول تاريخ القوقاز العظيم، وأدت حركة التحرير هذه التي حركها الإمام شاميل إلى ما يسمى في التاريخ (بالحرب القوقازية)⁵².

وفي نفس العام دعا الإمام شاميل ~ جميع رؤساء القبائل وكبار القضاة إلى اجتماع في منطقة وسط جبال القوقاز، وتباحثوا في الأمر، فبادر الإمام شاميل ~ بوضع القواعد اللازمة للارتقاء بالمقاومة الإسلامية ضد الروس، وحول القبائل إلى شعب واحد، وقسم المناطق إلى أقسام عدة، ووضع لكل قسم نائباً، يأخذ على عاتقه الأمور الشرعية والعرفية والعسكرية، وأنشأ ديواناً أعلى للقضاء، كان مقره في الشيشان، مهمته تنفيذ الأحكام الشرعية، وأنشأ المصانع لإنتاج الأسلحة والذخائر.

⁵² الشيشان- السياسة والواقع ص: 11.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب
ووضع الإمام شاميل ~ تنظيمًا لحكم البلاد تحت رئاسته،
والتفت شعوب القوقاز كلها حوله، بعد أن نجح في ترسيخ
أحكام الإسلام في نفوس المسلمين وتربيتهم التربية الروحية
الجهادية في سبيل الله⁵³. بل يعد الإمام شاميل ~ أول من
أدخل التنظيم الحكومي للشيشان⁵⁴.
واستطاع الإمام شاميل ~ خلال ثلاثين سنة إجلاء الروس من
معظم بلاد القوقاز، وأنزل بهم هزائم ساحقة، وانتشرت
أخباره إلى أرجاء أوروبا، وأصبحت بطولاته رمزاً للأمم
المقهورة، مما أثار الروس، فدفعوا بقواتهم وحشدوا له جيشاً
قوامه ثلاثمائة ألف جندي، وبدأوا بالهجوم من جميع الجهات،
حتى تمكنوا من أسره عام 1859م⁵⁵.
وأثناء هذه الفترة من الصراع حاول الإمام شاميل ~ أن
يحصل على مساعدة دولة الخلافة العثمانية باعتبارها تمثل
قيادة الأمة الإسلامية، ولكن لم يتلق الإمام أية مساعدة على
الإطلاق طوال حربه المضنية مع روسيا، التي استمرت خمس
وعشرين سنة، ونتيجة لذلك تمت هزيمة الإمام في النهاية،
وأخذ شاميل العظيم أسيراً.
وبأسر الإمام شاميل ~ أعلنت روسيا هزيمة القوقاز
وانتهاء الحرب القوقازية، التي نتج عنها ضياع جزء هام من
الأرض المسلمة من قبضة الخلافة العثمانية، ونكسة خطيرة
ليست للشيشانيين ولا لشعوب القوقاز فحسب بل لكل الأمة
المسلمة، التي لا زالت تعاني من آثارها حتى اليوم.
ورغم هذا الإعلان من روسيا القيصرية في عام 1859 فلا
زال القوقاز المسلم حتى اليوم يستعصي على السيطرة
الروسية، ولا يمل مجاهدوه وشعوبه من التصدي للغزاة
الروس.

⁵³ الشيشان - إعداد وترتيب أبي محمد الفلسطيني - Scouba diver@hotmail.com

⁵⁴ Chechnya- Tombstone of Russian Power p:308 & 309.

⁵⁵ الشيشان - إعداد وترتيب أبي محمد الفلسطيني - Scouba diver@hotmail.com

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثاني: موجز تاريخ الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم وبعد أن ظل الإمام شاميل أسير القيصر لمدة عشر سنوات سمح له بالسفر قبل موته للحجاز للحج. ومنح السلطان التركي الإمام شاميل ~ شرف مقابلته عند وصوله لاستانبول، وقيل أنه لما ناوله السلطان يده قال الإمام شاميل ~:

"لقد انتظرت في القوقاز 25 سنة لتمتد إلى هذه اليد"⁵⁶.

وتوفي الإمام شاميل إلى رحمة الله في المدينة المنورة عام 1871م⁵⁷، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

د- الجهاد في القوقاز المسلم بعد الإمام شاميل ~. قام العملاء بعد ذلك بتصفية العلماء والقادة الذين كانوا أساس المقاومة ليضيعوا ثمرة جهاد الشيخ شاميل ~. وبدأ الروس بعدها باتباع سياسة الإبادة والطردهم والتهجير لشعوب القوقاز، لينخفض سكان شمال القوقاز من 3,2 مليون نسمة عام 1860م إلى 1,6 مليون نسمة عام 1897م⁵⁸.

وفي نفس فترة حروب الإمام شاميل ~ خاض الشركس والقوقازيون الترك حروباً شرسة ضد الروس في شمال غرب القوقاز، ولكنهم كانوا متفرقين يفتقرون للقيادة الموحدة.

وبانتصار الروس عليهم عام 1860م بدأوا سياسة من البطش والمجازر والتهجير، أدت إلى فرار 1,2 مليون منهم⁵⁹. وعقب الهزيمة في حرب القوقاز هاجر بعض الشيشانيين لعدم رغبتهم في أن يعيشوا في ظل حكم الكفار- إلى تركيا

⁵⁶ الشيشان- السياسة والواقع ص: 12.

⁵⁷ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 308.

⁵⁸ الشيشان- إعداد وترتيب أبي محمد الفلسطيني- Scouba diver@hotmail.com

⁵⁹ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 314 & 315.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

والبعض إلى سوريا والأردن، ومع ذلك فإن الذين بقوا ظلوا
يواصلون بمثابرة وعناد الكفاح لتحرير أرضهم، فقد هبوا في
ثورة سنة 1861 ضد الحكم الروسي بعد سنتين من هزيمة
الإمامة في الحرب القوقازية، وثاروا مرة أخرى في عامي
1878، 1879 تحت قيادة الإمام عليج الدنيي ~، وتم قمع
الثورة بوحشية، وأعدم أحد عشر من قادتها في جروزني⁶⁰،
رحمهم الله رحمة واسعة.

2- الصراع بين الاتحاد السوفيتي والقوقاز المسلم.

أ- انتفاضة القوقاز المسلم في الحرب الأهلية الروسية بين
عامي 1917 و 1919.

نشط المسلمون نشاطاً ملحوظاً خلال الحرب العالمية
الأولى واعتبروها فرصة للاستقلال، ولذلك أيدوا الحركة
الاشتراكية الشيوعية، التي أطاحت بالقيصرية الروسية عام
1917م بزعامة لينين.

وحتى يكسب لينين التأييد العام نادي (بحرية الأقليات)
التي اضطهدها القيصرية، وأصدر وعوداً كاذبة لهذه الأقليات
بالانفصال والاستقلال. وعلى الفور قامت جمهوريات إسلامية
بالاستقلال وأظهرت رغبتها في إنشاء (دولة إسلامية
فدرالية).

ولكن لما تمكن النظام الشيوعي، أصدر لينين أوامره
بالزحف على البلاد الإسلامية، فاجتاح الجيش الروسي هذه
الجمهوريات، وأمعن في حملات الإبادة والتهجير الجماعي
للمسلمين بشكل أبشع وأقذر مما كان عليه في العهد
القيصري.

فقد قتل لينين حوالي ثمانية ملايين مسلم، وقتل خليفته
ستالين أكثر من 20 مليون. كما هدمت معظم المساجد

⁶⁰ الشيشان- السياسة والواقع ص: 12.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثاني: موجز تاريخ الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم والمدارس الإسلامية، وتم تفتيت القوقاز إلى عدة مناطق ودويلات⁶¹.

وعلى النقيض من وعود البلشفيين بالاستقلال الوطني فقد أقاموا في الحقيقة حكماً أكثر ظلماً وإرهاباً، حكم افتخر بماديته وإلحاده⁶².

ب- الانتفاضات التالية لانتفاضة الحرب الأهلية.

وقد واجه الشيخان الاحتلال الشيوعي بقوة من خلال ثورات عدة ضد الظلم والقهر الشيوعي، منها ثورة "إبراهيم قلدقت" عام 1934م، وثورة "حسن إسرائيلوف" عام 1940م وغيرها، وكان الشيوعيون يقمعونها بالحديد والنار⁶³. وخلال الثلاثينيات أجبر القادة السوفيت الكثير من الشيشانيين على العمل في المزارع الجماعية، وبذلوا جهوداً لتقييد شعائرهم الدينية. وقد عانى الشيشانيون من هذه السياسات، وقاتلوا بضراوة من أجل عقائدهم وطريقة حياتهم التقليدية⁶⁴.

وفي نفس الوقت قام البلاشفة بحملة قتل وسجن، كان من أهدافها القضاء على أذكى وأفضل من في الأمة الشيشانية، وكان المستهدف بوجه خاص القادة الدينيين والمؤسسات الدينية. ففي سنة 1937 تم رمي 15000 عالم ديني ومفكر في جرورني بالرصاص، وتم نفي العديد إلى سيبيريا أو سجنهم⁶⁵.

ج- الترحيل القسري للشيشانيين.

أعلنت حكومة (ستالين) -بعد الحرب العالمية الثانية- أن شعوب الشيشان والأنجوش والقرم هي شعوب (خائنة) تعاونت مع الألمان، وعليه بدأت في فبراير عام 1944م

⁶¹ الشيشان - إعداد وترتيب أبي محمد الفلسطيني - Scouba diver@hotmail.com

⁶² الشيشان - السياسة والواقع ص: 12.

⁶³ الشيشان - إعداد وترتيب أبي محمد الفلسطيني - Scouba diver@hotmail.com

⁶⁴ Microsoft ® Encarta ® Encyclopedia 2005- Chechnya.

⁶⁵ الشيشان - السياسة والواقع ص: 12.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

بعملية ترحيل جماعي عبر القاطرات الطويلة لشعوب تلك المناطق إلى كازاخستان وسيبيريا المتجمدة، وخربت كل أراضيهم وممتلكاتهم، وهلك عشرات الآلاف نتيجة الجوع والمرض والمعاناة والتعذيب والقهر⁶⁶. ورغم أن التبرير الرسمي للترحيل القسري كان (التعامل مع النازيين) إلا إن الأرجح أن ستالين -بتوحشه المتأصل وفضاضته الشيوعية وجذوره القوقازية الأصيلة⁶⁷- كان يهدف للانتقام من انتفاضات القوقاز السابقة، وأيضاً للتحرش بتركيا.

وكان ضغط ستالين على تركيا -بما يتضمنه من خطر الحرب- قد بدأ قبل نهاية الحرب العالمية الثانية، مطالباً بتنازلات حدودية (كارز وأردان التي استولت عليها روسيا من تركيا عام 1878، ثم أعادها لينين في عام 1921) وبحقوق سوفيتية على البوسفور. وظل ماضياً في هذه السياسة إلى أن أفهمته أمريكا عام 1946 بوضوح أنها ستساند تركيا ضد أي هجوم روسي.

وكان من الطبيعي جداً لستالين أن يمهد لذلك بطرد كل الشعوب التي قد تتعاون مع تركيا إذا قامت الحرب (الكراتشيين والبلكاريين والتتر والكمك والمسختيين ذوي الأصول التركية بالإضافة للشيشانيين حلفاء الأتراك القدامي)⁶⁸.

وطبقاً لأوثق الإحصائيات فإن قرابة 478 ألف من الشيشان والإنجوش قد عبثوا في القطارات في فبراير من عام 1944، ولكن لما أعلن خروتشوف حقيقة ما جرى أشارت التقارير الرسمية -بعد ذلك- لترحيل قرابة 400 ألف، الأمر الذي يوحى بقوة إلى هلاك 78 ألفاً في الطريق أو عقب إنزالهم بسبب الجوع والتجمد في سهول الكازاخ.

⁶⁶ الشيشان - إعداد وترتيب أبي محمد الفلسطيني - Scouba diver@hotmail.com
⁶⁷ ستالين من أصل جورجي.

⁶⁸ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 316.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثاني: موجز تاريخ الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم ولم يصل الآلاف للقطارات، ففي ست قرى جبلية -حيث يصعب نقل أهلها منها في وسط الشتاء- كدست قوات (إن كي في دي⁶⁹) الأهالي في المساجد والأجران وقتلتهم، كما قتل المرضى في المستشفيات!!

وتحصن بعض المقاتلين الشيشان في الجبال التي شنوا منها الهجمات على القوات الروسية والمستوطنين الروس، مما منعهم من الاستقرار في المناطق الجبلية.

ففي التقرير الذي رفعه الكولونيل جيفشياني ضابط (إن كي في دي) المسؤول عن مذبحه خيباخ لرئيسه الأعلى (بريا) يقرر ببساطة:

" بسبب استحالة الترحيل وضرورة إتمام أهداف عملية الجليين حسب الجدول الزمني كان لا بد من تصفية 700 من سكان قرية خيباخ".

ومكافأة له كتب بريا لجيفشياني يبلغه بتقليده وساماً وترقيته. كما هنا ستالين رسمياً من جانبه (الإن كي في دي) على "إنجازهم الناجح لمهام الدولة في القوقاز"⁷⁰!!

ولم يكتف الروس الشيوعيون بذلك بل قرروا محو كل دليل يدل على أن هناك أرضاً شيشانية، فتم تفريغ المكتبات ودور المحفوظات في الشيشان من كل المخطوطات والمطبوعات الأدبية والعلمية والتاريخية، ودمروا أيضاً المؤلفات والأعمال الإسلامية للشيوخ والأئمة والمفكرين الشيشان.

وأزالوا أي ذكر للشيشان وللشعوب التي رحلت قسراً من الكتب الروسية، فأزيل ذكرهم من كتب التاريخ والأدب والفن، وتم تعديل وتغيير الكتب المدرسية ومؤلفات الشعراء

⁶⁹ مفوضية الشعب للشؤون الداخلية (NKVD).

[Microsoft ® Encarta ® Encyclopedia 2005- KGB]

⁷⁰ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 319.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

والكتاب، ووضعت كلمات أخرى بدلاً منها. وهكذا واكبت
الإبادة الثقافية الإبادة المادية⁷¹.

وفي عام 1957م -أي بعد 13 عاماً من إصدار الحكم
الجائر بنفي هذا الشعب- أعلن الرئيس السوفيتي
"خورتشوف" براءة الشيشان ومسلمي القرم من التهمة
التي وجهت ضدهم، وسمح لهم بالعودة إلى بلادهم، فعاد
الكثير منهم، وكان ممن عاد الرئيس الراحل جوهر دودايف
~ وكان طفلاً صغيراً على أكتاف والديه عندما نفي الشعب
الشيشاني، وقد قضى ثلاث عشرة سنة من عمره في
معسكرات الاعتقال⁷².

3- الصراع بين الروس والقوقاز المسلم بعد سقوط الاتحاد
السوفيتي.

أ- في 25 ديسمبر 1990 أعلن المجلس الوطني لشعب
الشيشان بكامل أعضائه قيام جمهورية الشيشان.
وتم الانتخاب الرسمي لجوهر دودايف ~ كأول رئيس
لجمهورية أشكيرية الشيشانية في 27 أكتوبر 1991⁷³، التي
أعلنت نفسها دولة مستقلة، وتم ذلك قبل انهيار الاتحاد
السوفيتي وقيام الاتحاد الروسي في ديسمبر 1991.
ورفضت روسيا نتائج هذه الانتخابات وما تلاها من استقلال
جمهورية أشكيرية⁷⁴.

فأعلنت موسكو حالة الطوارئ، إلا أن الشيشانيين
استطاعوا تطويق القوات الروسية وأرغموها على الانسحاب
دون إطلاق رصاصة واحدة، واستولى الشيشانيون على
الأسلحة والطائرات الروسية الموجودة في الشيشان، وتم

⁷¹ الشيشان- السياسة والواقع ص: 13 و 14، Chechnya- Tombstone of Russian .Power p: 319

⁷² الشيشان- إعداد وترتيب أبي محمد الفلسطيني- Scouba diver@hotmail.com

⁷³ اغتيل ~ في 21 إبريل 1996، واستحق عن جدارة لقب إمام القوقاز اعترافاً
بجهوده. [الشيشان- السياسة والواقع ص: 14].

⁷⁴ الشيشان- السياسة والواقع ص: 123 إلى 126،

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثاني: موجز تاريخ الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم إعلان استقلال الجمهورية عن روسيا أسوة بالجمهوريات الأخرى، وسعت موسكو للتفاوض مع الرئيس الشيشاني، الذي رفض هذه المفاوضات، إلا بعد أن تعترف روسيا باستقلال بلاده.

ب- الحرب الشيشانية الروسية الأولى (ديسمبر 1994م- أغسطس 1996م).

وفي عام (1994 م) أعلنت الشيشان تحررها عن روسيا، وصرح جوهر دودايف بإقامة دولة إسلامية متحدة مع شعوب الأنجوش وداغستان والتتار، فأصدرت روسيا قرارها باحتلال الشيشان في 11 ديسمبر 1994م⁷⁵.

وقد دمرت جروزني تماماً قبل أن يحتلها الروس في فبراير 1995م⁷⁶، وقتل الآلاف في القتال، ولكن الشيشانيين لم يستسلموا واستمر القتال بين الجانبين، وقتل جوهر دودايف ~ في أبريل 1996.

وفي مايو 1996م اتفق الرئيس الروسي يلتسين والقائم بأعمال الرئاسة زليم خان بندري ~ على وقف لإطلاق النار، ولكن القتال استمر بين الجانبين.

وبحلول يونيو كان أكثر من 40000 قد قتلوا، منهم أعداد كبيرة من المدنيين. ونزح ما يقارب 300000 شيشاني لأماكن أخرى في روسيا.

وعرضت الحكومة الروسية على الشيشان استقلالاً شبه كامل داخل الاتحاد الروسي، ولكن رفضت انفصالها، ولكن المجاهدين رفضوا أن يتوقفوا قبل الاستقلال التام عن روسيا.

وفي أغسطس 1996م نجح هجوم ضخم لاستعادة

جروزني، ألحق هزيمة مهينة بالقوات الروسية.

⁷⁵ الشيشان - إعداد وترتيب أبي محمد الفلسطيني - Scouba diver@hotmail.com.

⁷⁶ سأعرض لملحمة جروزني البطولية - بإذن الله- في (الفرع الثالث: المعاني القتالية التي أبرزها الصراع).

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

وتلا ذلك في نفس الشهر مباحثات بين مستشار الأمن القومي ألكسندر ليبيد وأصلان موسخادوف ~، تم التوصل فيها لاتفاقية سلام وافق فيها الطرفان على تأجيل البت في وضع الشيشان حتى عام 2001م.

وبحلول ديسمبر 1996م كانت كل القوات الروسية قد انسحبت من الشيشان⁷⁷.

ج- الحرب الشيشانية الروسية الثانية (سبتمبر 1999م- ...).

في أواخر سبتمبر 1999م كان الاجتياح الروسي الثاني للشيشان وقد سبق هذا الاجتياح توترات حدودية بين داغستان وروسيا والشيشان⁷⁸.

وكان السبب في هذه التوترات سعي المسلمين في داغستان -وخاصة في نواحي كراماخي وشبانماخي- في إقامة حكم الشريعة الإسلامية في مناطقهم، فحاولت القوات الروسية قمع هذه المحاولة بالقوة، فاستجد المسلمون في تلك المناطق بإخوانهم المجاهدين في الشيشان. وتزامن مع هذه التوترات تفجيرات شديدة شهدتها ثلاث مدن روسية منها العاصمة الروسية موسكو في أغسطس وسبتمبر 1999م، ونفى المجاهدون مسؤوليتهم عنها، بينما حملتهم الحكومة الروسية مسؤوليتها، واعتبرتها من ذرائع حملتها الثانية.

وعن هذه الأحداث يقول الشيخ زليم خان يندربي ~:
"فمن الذي كان مسؤولاً عن تفجير القنابل في موسكو وفولونوسك؟ ذلك الحادث التي استخدم من منطلق الدهاء كمبرر للغزو الروسي الأخير، لقد أجاب الزمن على هذا التساؤل كما يفعل دائماً، ولقد كانت القوات الخاصة الروسية هي المسؤولة

⁷⁷ Microsoft ® Encarta ® Encyclopedia 2005- Chechnya .

⁷⁸ الشيشان- إعداد وترتيب أبي محمد الفلسطيني- Scouba diver@hotmail.com

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثاني: موجز تاريخ الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم عن ذلك، بأوامر ممن كانوا يشغلون أعلى المناصب في السلطة في روسيا. ومع ذلك أقول لكم بصراحة -من منطلق مسؤوليتي- أن الشيشان اليوم لهم الحق المعنوي والقانوني ليس فقط في تفجير القنابل بالمباني في روسيا، بل لهم الحق في محور روسيا من على وجه الأرض هي وشعبها. وهذا الحق واضح وجلي إذا استعرضنا حرب الإبادة الجماعية التي تشنها الدولة الروسية ضد الشيشان على مدى السنين"⁷⁹.

أما عن مشاركة الشيشانيين في نصره إخوانهم الداغستانيين فيقول ~:

" وننتقل إلى مسألة داغستان ومشاركة الشيشان فيها، فداغستان دولة مسلمة وهي أيضاً جزء من إمامة شامل، واحتلتها روسيا، ومن ثم فإنه مما يشكل مسؤوليتنا المباشرة أن نشارك في الجهاد ضد المحتل باسم الله وباسم استعادة العدالة.

والشعب في داغستان يعرف جيداً أن أحداً لم يهاجمهم، حيث كانت أعمال الجهاد توجه فقط ضد الغزاة الروس، الذين راحوا يتذرعون بحجة أنهم يقاتلون الإسلاميين في داغستان، ليرتكبوا من الجرائم ما لا يمكن إقراره أو السكوت عليه. وزيادة على ذلك فإنه بالإضافة إلى داغستان والشيشان فإن منطقة القوقاز ككل جزء لا يتجزأ من دولة الخلافة الإسلامية، وبناء على ذلك فإن الجهاد اليوم -من أجل تحرير الدول من احتلال

⁷⁹ الشيشان- السياسة والواقع- الفصل التاسع: الجهاد في الشيشان ص: 109.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب
الملحدين- إنما هو واجب كل مسلم، وكل واحد منا
عليه أن يؤدي واجبه باسم الله رب العالمين"⁸⁰.
ولا زالت أحداث هذه الحرب جارية حتى اليوم، ترتكب فيها
أبشع الجرائم في حق الشعب الشيشاني المسلم.

⁸⁰ الشيشان- السياسة والواقع- الفصل التاسع: الجهاد في الشيشان ص: 109.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى

الفرع الثالث:

المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى
(ديسمبر 1994م - أغسطس 1996م).

"إن الصراع بين روسيا وشعب الشيشان لا يمكن
تسويته إلا بالجهاد، الذي يأخذ شكل الحرب، لأن
الروس هم الذين اختاروا الحرب كطريقة للتعامل
معنا"⁸¹.

أعرض في هذا الفرع للدروس والمعاني القيمة التي
أبرزها الصراع المسلح بين الروس والمجاهدين الشيشان في
الحرب الروسية الشيشانية الأولى في الفترة من ديسمبر
1994م حتى أغسطس 1996م. وسأقسم الكلام عنها إلى:
1- حقيقة وقيمة الانتصار الشيشاني على الروس في
الحرب الأولى.

2- العصابات المؤمنة مقابل القوة العاشمة المنظمة.
3- المدن التي لا تكل عن المقاومة.

1- حقيقة وقيمة الانتصار الشيشاني على الروس في
الحرب الأولى.

لقد كان انتصار الشيشان على الروس في الحرب الأولى
انتصاراً رائعاً بكل المقاييس، وعن هذا يقول أناتول ليفين:
"إن طبيعة الحرب على الأرض وميزة المقاومة
الشيشانية لهما أهمية ثانوية للسياسة العالمية،
ولكنهما ذاتا منفعة عظيمة -أو هكذا يجب أن تكونا-
لكل من العسكريين وعلماء الإنسان.

⁸¹ الشهيد -كما نحسبه- الشيخ الرئيس زليم خان يندربي ~. [الشيشان بين السياسة
والواقع ص: 100].

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

ويعد الانتصار الشيشاني -بغض النظر عن
الضعف الروسي- ضد مثل هذه العوائق الهائلة
لحظة مبهرة في التاريخ العسكري، بما يحمله من
دروس مستفادة في أمور متنوعة مثل علم
الإنسان العسكري والتعبئة الوطنية والتأثير
المحدود للقوة الجوية وطبيعة القتال الحضري، بل
-وفي الواقع- في طبيعة الحرب ذاتها.
إن انتصار قوات الانفصال الشيشانية على
الروس يعد واحداً من أعظم ملاحم المقاومة
للاستعمار في القرن الفائت.

وسيحدد ما يجري الآن في داخل روسيا؛ هل
سيوازي في آثاره التاريخية (ديان بيان فو) أو
انتصار (جبهة التحرير الوطنية) في الجزائر.
وبمقياس الإنجاز العسكري التام فإن
الشيشانيين قد كافتوا فعلاً (الفيت كونج)،
واكتسب العقيد أصلان مسخاروف الحق في أن
يذكر جنباً إلى جنب مع لوائهم (جياب) كقائد ذي
عبقرية نادرة وأصيلة.

وقد تطرقت لهذه الأسئلة جزئياً، لأنني خلال سنة
أمضيتها في واشنطن العاصمة أدهشتني بشدة
متزايدة؛ قلة أولئك المحللين والمستشارين
العسكريين الأمريكيين اليوم، الذين يمتلكون خبرة
شخصية في القتال، أو حتى الذين كانوا -أو الذين
قادوا- جنوداً. وبالطبع فالأقل من أولئك، من
تعرضوا بأنفسهم للقصف الجوي الثقيل المتواصل.
وبالتحديد فالكثرة لا يملكون القدرة على أن يفهموا
بعمق العوامل التي قد تدفع أحاد الجنود للقتال أو
للفرار، ولا الطبيعة الكلية للمعنويات. وهذا يؤدي

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى
لاضطراب تحاليلهم، بما يحمله ذلك من عواقب
خطيرة على السياسة الغربية.⁸²

.....
وحتى نجد مماثلاً لهذا الانتصار -لما يبدو أنها
قوى (غير منظمة وبدائية) - على جيش أوروبي
حديث فعلى المرء أن يرجع لهزيمة الإيطاليين على
يد الإثيوبيين في أدوا، أو هزيمة الأسبان على يد
المغاربة في أنوال⁸³، أو حتى لانتصارات الهنود
الحمرة على البريطانيين والأمريكان.
وهذا (الانتصار) -من ناحية- له تعلق كبير
بالروس، لأن الجيش الروسي اليوم إذا لم يكن
أفضل من الإيطاليين والأسبان منذ قرن مضى،
فقد انقلب نظام العالم العسكري فعلاً رأساً على
عقب. ولكن -من الناحية الأخرى- يشهد النصر
الشيشاني بالكفاءات العسكرية وروح القتال
الفائقة للميراث الشيشاني، الذي فَعَلته تأثيرات
القرن العشرين والأحداث.
ولإظهار النوعية المبهرة للنصر الشيشاني على
المرء أن يستحضر قلة عدد الشعب الشيشاني
وقوات الانفصاليين المسلحة.
فربما باستثناء الهجوم الروسي على جروزني
في بداية الحرب والهجوم الشيشاني المضاد في

⁸² ألا ينطبق هذا الرأي -الذي كتبه أنا توليفيين في كتابه الصادر في عام 1998م- مع
الهزيمة التي أصابت الأمريكان في غزوهم للعراق بعد ذلك؟
⁸³ معركة أنوال هي المعركة التي انتصر فيها المسلمون بقيادة الأمير محمد بن
عبد الكريم الخطابي ~ على القوات الأسبانية في يوليو من عام 1921م،
فقتل وأسر من الأسبان قرابة ستة عشر ألفاً. [راجع: الخطابي ومعركة أنوال،
الأعلام للزركلي ج: 6 ص: 217، أفغانستان والطالبان ومعركة الإسلام اليوم
ص: 58،

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

أغسطس 1996م حينما وصل عدد القوات الشيشانية في جروزني وغيرها لقرابة 6000 رجل، فإن أكثر التقديرات شيوعاً؛ أن قوات الاستقلال الشيشانية لم يكن لها أبداً -في أي وقت- أكثر من 3000 مقاتل فعلاً في الميدان، في مقابلة ما يقارب خمسة عشر مثلاً لهذا العدد على الجانب الروسي. أما العدد الكلي للشيشان الذين قاتلوا في وقت أو آخر فيتعدى بالطبع هذا الرقم بكثير.

ولكن -في معظم المعارك- تمتع الروس بتفوق في الأعداد أعظم بكثير مما حازه الفرنسيون والأمريكان في الهند الصينية أو الفرنسيون في الجزائر، أو -على سبيل الذكر- السوفيت في أفغانستان.

أضف إلى ذلك؛ أن الشيشان ذات الستة آلاف ميل مربع تقريباً (باستبعاد إنجوشيتيا) هي جزء من مساحة هذه البلاد، أي كأنما الحرب الفيتنامية قد حصرت في مقاطعة هو، ومع ذلك ما زال الأمريكيان يُضربون"⁸⁴.

ويضيف أناتول ليفين:

"لقد كان الصراع الشيشاني في 1994- 6 الأخير في سلسلة من حروب مناهضة الاستعمار عبر العالم، التي شهد منها الجيلان الفائتان سلسلة كاملة من الهند الصينية مروراً بالجزائر وأفريقيا البرتغالية حتى أفغانستان.

ولكن نجاح الشيشانيين وقادتهم في جانب هام يدعو للإعجاب أكثر مما قد توحى به هذه الموازنة، بل يعد غير مألوف بالمرّة -بل ربما عد متميزاً- في

⁸⁴ Chechnya- Tombstone of Russian Power- introduction p: 3 to 5.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى
تاريخ الحرب المعاصر، وهذا (الجانب) هو أن
الشيشان قد فازوا -بدون دعم دولة فعلية، بل حتى
بدون مساعدة أية منظمة عسكرية تقليدية أو حتى
سياسية- على أساس من مقدرات مجتمعهم
وتقاليدهم، حتى ولو دعمتها الأسلحة السوفيتية
والتدريب العسكري"⁸⁵.

وإذا كان أناتول ليفين لا يضع يده على السبب الحقيقي
لانتصار الشيشانيين، فإن الشهيد -كما نحسبه- الشيخ الرئيس
زليم خان يندريبي ~ يشير بوضوح لهذا السبب حين يقول:
"في بداية الحرب لم يكن هناك وجه للمقارنة
بين القوتين، حيث استخدم الروس في الهجوم
على الشيشان نصف مليون من القوات الروسية
المدججة بأحدث أنواع الأسلحة، تدعمها الطائرات
الحربية وطائرات الهليكوبتر والمدفعية ونظم
الصواريخ بكافة أنواعها، وعلى الرغم من ذلك،
ورغم الموارد غير المحدودة المتوفرة لدى
الروس، لم يتمكنوا من كسر مقاومة بضعة آلاف
من المجاهدين الشيشان بأسلحتهم الخفيفة، التي
حصلوا على معظمها من معاركهم مع الروس، لقد
كانت أسلحة المجاهدين الشيشان خفيفة، لكن
إيمانهم بالله كان مطلقاً، من هذا المنطلق يمكننا
أن نفسر تحدي الشيشانيين لهذه القوة الغاشمة
وتمكنهم من دحرها.

وبوسعنا أن نلاحظ وقوف الله إلى جانبنا في
هذه الحرب، التي جهز لها العدو قوات فوق
احتماله، ودخل الحرب من منطلق حقه وكراهيته
للإسلام"⁸⁶.

⁸⁵ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 301.

⁸⁶ الشيشان- السياسة والواقع ص: 102.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب
ويقول أيضاً ~:

"إن الانتصار الذي حققه الشيشان عام 1996،
وكفاحهم البطولي في هذه الأيام في ظل هذه
الفوارق غير المعقولة، لدليل وإشارة واضحة أمام
أعيننا، أن الاعتقاد في الله وعدم التخلي عن
الطريق القويم جعل كل شيء ممكناً، بما في ذلك
دحر أعدائنا مهما بلغت قوتهم، فإن تحلي
المسلمين بروح الإسلام والثقة في فضل الله
وقوته يجعلهم لا يرهبون أحداً، واستعادة الأمة
الإسلامية لأمجادها السابقة أمر يمكن تحقيقه، إذا
قبلنا ما فرضه الله علينا وأقررنا الأمور التي في
استطاعتنا تحقيقها 0 والسؤال الحقيقي هو: هل
نحن كمسلمين مستعدون أن نحذو حذو الشيشان،
وننخرط في صفوف الكفاح باسم الله؟"⁸⁷

2- العصابات المؤمنة في مواجهة القوة الغاشمة المنظمة.
أ- تمهيد:

تعد الحرب الشيشانية الروسية الأولى (ديسمبر 1994م-
أغسطس 1996م) مثلاً نموذجياً للحرب الشعبية الجهادية
الكاملة الناجحة⁸⁸، أو ما يطلق عليه في مصطلح العسكريين
غير الجهاديين بحرب العصابات. فقد تحققت فيها مقومات
حرب العصابات الناجحة التي أدت لنتائج باهرة كما ذكر أناتول
ليفين أنفاً. وسأحاول هنا أن ألقى بعض الضوء على بعض -
وليس على كل- التطبيقات الناجحة للمجاهدين الشيشان

⁸⁷ الشيشان- السياسة والواقع ص: 103.

⁸⁸ لازال المجاهدون الشيشان يخوضون حرباً في غاية القوة والحدة ضد جحافل
الروس الغازية في الحرب الثانية (سبتمبر 1999م-...)، التي لم تضع أوزارها بعد،
ولكن في ظروف دولية أشد بمراحل مما واجهوه في حربهم الأولى، فأمريكا قد
أطلقت يد روسيا في القوقاز، ودعمتها في كل جرائمها هناك باسم الحرب على
الإرهاب.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى

وأنصارهم في هذه الحرب التي مرغت أنف العسكرية
الروسية في التراب.

ب- حرب العصايات هي حرب المستضعفين في مواجهة
الأقوياء، ولذا لا تلجأ للحسم العسكري، بل تلجأ للحسم
السياسي بإجبار العدو على التفاوض وإيقاف القتال من يأسه
من تحمل الخسائر المستمرة.

يقول أبو بكر عقيدة ~:

"لقد توغلت القوات الروسية في أرض الشيشان
وانتشرت فيها بشكل شبه كامل خلال اثنتين وعشرين
شهرًا، إلا إن ذلك كلفهم تسعين ألف قتيل حسب
اعترفاتهم -والحقيقة تزيد عن ذلك بكثير- غير الجرحى
والمعوقين والخسائر المادية الهائلة، الأمر الذي
اضطرهم للبحث عن طريقة مئسرة للخروج من هذا
المأزق، لأن استمرارهم في الشيشان أصبح مهلكة
لهم"⁸⁹

يقول أبو مصعب السوري فك الله أسره:

"أسلوب حروب العصايات فن استراتيجي
مكون من تكتيكات عسكرية أصبحت معروفة
ومدروسة، وصارت علماً له أصوله. حيث يوظف
الضعيف أعماله ضمن إمكانياته القليلة، من أجل
إجهاد الخصم عبر الحرب الطويلة المدى لإدخاله
في أوضاع سياسية تضعه أمام خيار الانسحاب أو
الانهيار من داخله.

ولم تكن حروب العصايات أبداً في تاريخها كله،
حروب تدمير شامل لقوى الخصم وجيوشه من
أجل كسب الحرب. بل لم تعد معظم الحروب في
العصور الحديثة، تنهي الصراع بالدمار المادي
للخصم إلا في حالات نادرة جداً. وإنما صارت

⁸⁹ روايات ساخنة من أرض الشيشان ص: 53.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

الحروب وسيلة لإدخال العدو في أوضاع سياسية
واقصادية واجتماعية تضعه في حال الهزيمة
والاندحار.

.....

والخلاصة محل الشاهد من هذا هنا؛ هي أن
حرب العصابات تقوم على الاستثمار المتقن
بوسائل السياسة والإعلام، للجهود العسكرية التي
تقوم بها العصابات أو المقاومون الضعفاء، تجاه
قوات ضخمة تفوقهم عدداً وقدرة وإمكانيات.
بحيث يؤدي التنسيق في أعمال المقاومة بين
المجهود العسكري والإعلامي والتكتيكات
السياسية -عبر حرب إنهاء طويلة المدى- تؤدي
إلى إدخال العدو في حال الانهيار، نتيجة الضغوط
عليه من الرأي العام الداخلي أو الرأي العام
الخارجي. بحيث يستحيل معه استمراره في
المواجهة والحفاظ على مقومات وجوده وعلاقاته
الداخلية والخارجية.

والخلاصة أن النصر العسكري في أعمال
المقاومة ذو طابع سياسي. ولا يمكن أن يحقق
بدون وسيلة عسكرية فاعلة. ومقاومة تحقق
ضربات وخسائر حقيقية على الأرض⁹⁰.

يقول هاني الدرديري:

"فحرب العصابات هي حرب السياسة في
مواجهة القوة، حرب الالتزام العقائدي في مواجهة
التحنيد الإخباري، أي أنها حرب الأضعف في
مواجهة الأقوى مادياً، ولا سبيل مع هذا الواقع إلا إذا
تحنينا الحسم العسكري، واستبدلناه بالحسم
السياسي على ما سيجيء.

⁹⁰ دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ص: 1080.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى
ولتجنب الحسم العسكري يعمد رجال العصابات
إلى إطالة أمد الحرب بأي ثمن، ولو أدى ذلك إلى
التراجع المكاني، إذ لا يهتم هذا التراجع المكاني
مادامت الرقعة السياسية تزداد يوماً بعد يوم⁹¹.
وإيضاحاً لعدم أهمية تمسك المجاهدين بالأرض يقول
خطاب ~:

"أود أن أبين أمراً يغفل عنه الكثير من المطلعين
على الحرب الآن، وهو أن سقوط المدن الشيشانية
أو حتى العاصمة لا يشكل هزيمة للمجاهدين، ولا
يشكل كذلك انتصاراً للقوات الروسية، بل في
تقديري أن سقوط المدن يشكل عبئاً عليهم، فهم
سيحولون تكتيكاتهم من الهجوم إلى الدفاع
والمحافظة على المناطق التي سقطت.
والمتابع لأحداث الحرب الأولى يعرف أن سقوط
المدن لم يشكل هزيمة للمجاهدين ولا نصراً
لعدوهم، فقد سقطت في الحرب الأولى تقريباً كل
جمهورية الشيشان في أيدي القوات الروسية، ومع
ذلك لم تستطع الصمود أمام قوات المجاهدين أكثر
من عشرين شهراً، لا سيما أن وضع المجاهدين في
هذه الحرب أقوى من وضعهم في السابق، وكذلك
وضع القوات الروسية في هذه الحرب أضعف من
وضعهم في السابق، ونحن نرجو من الله أن يؤيدنا
بنصره، ويهزم عدونا، إنه على ذلك قدير، فمهما
كان فإن التقديرات المادية والعسكرية لا يمكن أن
نعتمد عليها، فنحن نعتمد على تقدير رب العالمين
ولطفه بنا"⁹².

⁹¹ المدخل للثقافة العسكرية ص: 77.

⁹² الثمر المستطاب في سيرة القائد خطاب ص: 40.6.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

ج- و حرب العصابات هي حرب الشعب أو الأمة، أي تقاتل فيها طليعة الشعب دفاعاً عن قضية الشعب أو الأمة، ولذا إذا لم يتوفر التأييد الشعبي للعصابات المقاتلة، فقد حكموا على أنفسهم بالهزيمة.

وقد أكد كلاوزفيتز في كتابه (في الحرب) على أن هناك شروطاً اعتبرها أساسية للمواصلة الناجحة (لحرب الشعب)، فلا بد لهذا التحرك من أن يكون حائزاً على الدعم الشعبي، ولا بد أن يشن في داخل البلاد، وعلى مدى كبير من المناطق الوعرة التي يصعب الوصول إليها. كما زعم أيضاً بأن نتيجته لا تحسمها واقعة واحدة⁹³.

ولذا لا يجب على المجاهدين الذين يخوضون حرب عصابات أن لا ييأسوا إذا اضطروا للتراجع، أو هزموا في معركة. وعن هذا التأييد الشعبي يقول روبرت تابر:

"فعندما تتكلم عن رجال العصابات، يتداعى في أفكارنا معنى النصير السياسي، فهو مدني مسلح، وسلاحه الرئيسي ليس البندقية أو الساطور، بل علاقته مع الجماعة، مع الأمة التي تقاتل ضمنها وفي سبيلها".⁹⁴
ويقول أيضاً:

"ويجب أن نبين منذ الآن، بأن الشعب بشكل مفتاح الصراع كله. وبالواقع، ومهما بدت الفكرة مغیظة للمحللين الغربيين، فإن الشعب هو الذي يقود الصراع. فرجل العصابات ينتمي إلى الشعب، بنفس المقدار الذي لا يستطيع فيه جندي الحكومة أن ينتسب إليه (لو لم يكن النظام قد فقد محبة الشعب لما اندلعت الثورة).

⁹³ MICROSOFT ENCARTA ENCYCLOPEDIA 2005- Guerilla Warfare.

⁹⁴ حرب المستضعفين ص: 9.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى
إن رجل العصابات يقاتل بمعونة الجماهير
الشعبية المدنية، التي تشكل تمويهه، ومنايع
إمداده، ومصدر تطوعه، وشبكة اتصالاته، ومصالحة
استخباراته، الموجودة في كل مكان والشديدة
الفعالية.

فبدون رضا الشعب ومساعدته الفعالة، يتحول
رجل العصابات إلى قاطع طريق، ولا يبقى طويلاً
على قيد الحياة.

ولو استطاع الجندي المضاد للعصيان أن يحصل
على المساعدة نفسها، لما وُجد رجل العصابات
أصلاً، ولما كانت هناك حرب أو ثورة، ولنامت
القضية، وانطفأت الرغبة الشعبية في التغيير
الجندي.

وهكذا نصل إلى المسألة الجوهرية الخاصة
بالأهداف التي يبني المعسكران عليها بالضرورة،
تكتيكيهما واستراتيجيتيهما.

فرجل العصابات، هو قبل كل شيء داعية،
ومحرض، وبازر للأفكار الثورية، وهو يستخدم
الصراع نفسه -القتال المادي- كأداة للتحريض،
وهدفه الأساسي رفع مستوى الاستباق الثوري، ثم
المشاركة الشعبية حتى النقطة الحرجة، حيث
تصبح الثورة عامة في البلاد، وتكمل الجماهير
الشعبية العمل النهائي، أي القضاء على النظام
القائم، والقضاء (غالباً وليس دائماً) على الجيش
الذي يحميه.

وبالمقابل فإن هدف القوات المضادة للثورة
سلبى ودفاعي، ويتضمن تأمين استتباب النظام،
وحماية الملكية، وصيانة الأوضاع والمصالح
الموجودة بقوة السلاح، بعد أن خابت وسيلة

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

الإقناع. وقد تكون الوسائل المستخدمة سياسية عندما تتضمن إقناعاً أشد: كالعود بالإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية وشراء الضمائر والدعاية المضادة بمختلف الأشكال. لكن قبل كل شيء، يجب على القوات المضادة للثورة أن تدمر الثورة عن طريق تدمير وعودها، أي البرهنة عسكرياً بأنها لا يمكن أن تنجح، ولن تنجح^{96 195}.

ويقول أيضاً:

"إن حرب العصابات في جوهرها سياسية واجتماعية، أما وسائلها فهي سياسية بمقدار ما هي عسكرية، أما هدفها فسياسي بالكامل تقريباً.

.....

إن حرب العصابات تعادل حرباً ثورية، إنها امتداد للسياسة باستعمال السلاح. وطالما أن أولئك المكلفين بالصراع ضدها لا يفهمونها، فلن يجدوا أية وسيلة استراتيجية أو تكتيكية لتحقيق النصر، أما إذا فهمها أولئك الذين يقودونها، فإنها لن تخيب مطلقاً، مهما كانت الظروف، لأن الحرب الثورية لن تبدأ إلا عندما تتوافر ظروف نجاحها"⁹⁷.

ويقول أيضاً:

"إن مجرد البقاء على قيد الحياة بالنسبة إلى رجل العصابات هو نصر سياسي، فذلك يشجع

⁹⁵ تأمل أن هذا هو الهدف الذي تسعى إليه الحملة المشتركة للحكومة المصرية -ممثلة أساساً في إدارة مباحث أمن الدولة- وللمتراجعين من الجماعة الإسلامية بمصر وكتاب وثائق الترشيد. وقد كان مقاومة هذا التأسيس هدف من أهم أهداف الحملة الجهادية في الفترة من عام 1988م حتى عام 2006م، التي شاركنا فيها في مصر، فإن إبقاء شعلة الجهاد متقدة -حتى ولو ضعفت- هدف في حد ذاته، كما شرحت ذلك في الفصل الثالث (الفصل الثالث: العمليات في مصر) من الباب الثالث للجزء الأول.

⁹⁶ حرب المستضعفين ص: 10 و 11.

⁹⁷ حرب المستضعفين ص: 13 و 14.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى
المعارضة الشعبية للنظام المعني وبنميتها.
ويستطيع رجل العصابات أن يتنكر بزي فلاح -وقد
يكون فلاحاً بالفعل- متابعاً نشر رسالته الثورية.
أما الجندي المضاد للثورة، فإنه يغدو في الحالة
المماثلة دليلاً للشرطة، ولا يستطيع نشر أية
رسالة"⁹⁸.

وينقل عن ماو قوله:

"ومال حرب العصابات إلى الفشل، إن لم يكن
لها هدف سياسي، أو كان هذا الهدف لا يتطابق مع
تطلعات الشعب، أو لا يستطيع اكتساب تعاطفه
وتعاونيه ومشاركته. فحرب العصابات إذن سياسية
في جوهرها"⁹⁹.

ويقول هانئ الدرديري:

"وبالنسبة للتأييد الشعبي، فلا يمكن لحرب
العصابات أن تقوم ضد إرادة شعبية، أو حتى في
ظل لامبالاة شعبية فالتأييد الشعبي هو الحليف
الطبيعي لقوات العصابات، ولهذا أجمع مفكرو
العصابات على ضرورة الحصول على المساندة
الشعبية حتى تنجح حرب العصابات.

وأساس هذا المبدأ أمران:

أولهما، احتياج العصابات إلى هذا التأييد الشعبي
لتعويض التفوق المادي المعادي، إذ يتيح هذا التأييد
-فضلاً عن إمكانية النماء- الاندساس والتخفي بين
السكان المحليين، والحصول منهم على المؤن
اللازمة للاستمرار.

وثانيهما، أن حرب العصابات -كما أوضحنا في
حينه- تعتبر حرباً سياسية، يسعى بها رجالها لتنفيذ

⁹⁸ حرب المستضعفين ص: 11.

⁹⁹ حرب المستضعفين ص: 39.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

برنامج سياسي معين، وجميع البرامج السياسية
-كما هو معروف- تحتاج بجوار القيادة والحزب
السياسي إلى قاعدة شعبية عريضة ينفذ بها ومن
أجلها البرنامج السياسي الموضوع.
وطريق العصابات للحصول على التأييد الشعبي
معروف، وينجح بأمرين:

1- المعرفة الأفضل بالشعب: طبيعته، قيمه،
حاجاته الأساسية، دواعي سخطه، ثم توظيف كل
ذلك للحصول على تأييده.

2- انتهاج المبدأ السياسي الذي يلقى-في لوحته
العامة على الأقل- قبولاً من القاعدة العريضة
للشعب"¹⁰⁰.

فإذا نظرنا للعصابات المجاهدة في الشيشان فسنجد أن
خلفهم تاريخاً من أربعمئة عام من الصراع مع الروس ورفض
عدوانهم المستمر، ورغبة جارفة في الاستقلال عن الروس
وإقامة حكومة إسلامية مستقلة في الشيشان.
يقول أبو بكر عقيدة ~:

"وكما كان المجاهدون الشيشانيون مثلاً
للشجاعة، فقد كان جُل الشعب الشيشاني مثلاً
للبدل والعطاء... حيث أخذ على عاتقه إطعام
المجاهدين وإيوائهم والترصد لهم على العدو
ومدّهم بالمعلومات عنه، وإنذارهم بما يُحْدق بهم
من أخطار.

إن من فضل الله على الشعب الشيشاني أنه
قومية واحدة، ولغة واحدة، وقيادة واحدة"¹⁰¹.
يقول خطاب ~ عن الحرب الثانية:

¹⁰⁰ المدخل للثقافة العسكرية ص: 83 و 84.
¹⁰¹ روايات ساخنة من أرض الشيشان ص: 3.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى
"الجميع يعرف أن الروس حضروا لهذه الحرب
بعناية فائقة، نحن نعتبر كجماعة من قطاع الطرق
الصغيرة، لكن الروس بدعوا حربهم كما لو كانوا في
حالة حرب مع جيش منضبط، استعملوا كل
الأسلحة الموجودة لديهم، لكن -إن شاء الله- ليس
من الممكن أن يفوزوا بهذه الحرب، منذ سنتين لم
يستطيعوا فعل شيء معنا، اليوم الروس قد فهموا
جيداً أن الحل العسكري للمشكلة لن يساعدهم،
فقد تارت الأمة بالكامل على روسيا" ¹⁰².

ويقول المجاهد محمد السمرقندي في يومياته عن الحرب
الثانية:

"قرية تاورني:
دخلنا إليها الساعة 12 من ليلة الاثنين 1/ ذو
الحجة 1420 هـ الموافق 7/3/2000 م، وكان
الأمرء -جزاهم الله خيراً- قد رتبوا أمر الأكل وغير
ذلك، وبقي المجاهدون في القرية، ولم يدخلوا
البيوت إلا القليل منهم.
وفي فجر أمر القائد العام (خطاب) بالخروج
من القرية، لأن الروس سوف يحاصرونها إذا علموا
بوجود المجاهدين فيها.
وقد كان استقبال أهل القرية للمجاهدين عجباً؛
حيث خرجوا لهم بالطعام والشرب، بل وفتحوا
أبواب بيوتهم للمجاهدين للنوم والاستحمام
والاستراحة، مما كان له الأثر في رفع معنويات
المجاهدين" ¹⁰³.
ويقول أيضاً:

¹⁰² الثمر المستطاب في سيرة القائد خطاب ص: 39.
¹⁰³ أخبار القلم والسيف في رحلة الشتاء والصيف ج: 7 ص: 43.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

"إننا يوم دخلنا قرية تاوزني وارتحنا فيها بعد عناء طويل أمرنا القائد العام بالخروج من القرية.. كل ذلك خشية أن يعلم الروس بنا، فيحاصروا القرية ويؤذوا المدنيين، فكان القادة حريصين على حياة المدنيين العزل أكثر من حرصهم على راحة المجاهدين، فالحفاظ على أرواح المدنيين كانت على قائمة المهتمات التي يراعيها القادة.

فهم على استعداد أن يتحملوا ويحملوا المجاهدين العناء بشرط ألا يتضرر مدني واحد، وكان من أهم الأسباب التي تم تحويل أسلوب حرب المجاهدين من حرب نظامية إلى حرب عصابات هو الحفاظ على أرواح المدنيين، وحتى لا يقصف الروس القرى التي يقطنها المدنيون " ¹⁰⁴.

د- مراحل حرب العصابات.

يقسم منظرو حرب العصابات سيرها لثلاث مراحل:
المرحلة الدفاعية البحتة ومرحلة التوازن ومرحلة الحسم.
وقد قام المجاهدون الشيشان بخوض مراحل هذه الحرب ببسالة في سبيل الله، ويلخص الشيخ الرئيس الشهيد-كما نحسبه- زليم خان يندربي ~ أهم معارك هذه الحرب بقوله:
"ويحق للمجاهدين الشيشان أن يسجلوا أسماءهم بكل فخر في سجل هذا الكفاح المديد، ويكفينا أن نرجع إلى حرب 1994- 96 التي اندلعت للدفاع عن جروزني والتصدي للعدوان، الذي شنه الروس علينا في مطلع العام الجديد، ونستعرض الغارة المشهورة التي شننها فيلق بزعامة شامل باسييف في أعماق الأقاليم الروسية، والمعركة التي دارت بالقرب من بودينوفسك، والمعركة من أجل قرية برفومكس

¹⁰⁴ أخبار القلم والسيف في رحلة الشتاء والصيف ج: 7 ص: 47.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى
عقب غارة سالمان رادوييف على كزير، وأعمال
الأمير حطاب بالقرب من شيرزن أورت وياريش-
ماردي، ومقاومة باموت، أولد أشوي وياندي، حيث
ترد كل هذه المعارك على الخاطر، وهناك غيرها
الكثير.

وكل هذه الأعمال توجت بالطبع بتحرير جروزني
في أغسطس 1996، وعقب تحرير جروزني
اضطر الجيش الروسي البالغ تعدادة نصف مليون
مقاتل إلى الاستسلام، والمهم في هذا أن هذا
الجيش استسلم أمام المحاهدين، وهذه شهادة
تؤكد أن المحاهدين أظهروا صلابة وشجاعة نادرة
في كافة المعارك، التي خاضوها في خضم هذين
الحربين، لأنهم كانوا يقاتلون باسم الله ومن أجل
تحرير الشيشان.

وربما كان من المهم أن نقارن بين معركة بدر
في القرن السابع وبين المعركة الأولى مع الروس
الملحدين التي دارت أحداثها في 26 نوفمبر
1994 في جروزني، ففي فجر ذلك اليوم وتحت
حماية ما يسمون أنفسهم بالمعارضة، تم مهاجمة
المدينة من أربع جهات بوحدات من الجيش
الروسي النظامي ومعهم العديد من خونة
الشيشان، وفي هذه المعركة قام المحاهدون
بتدمير مجموعة الروس التي تتكون من رتل من
الدبابات عن آخرها خلال ست أو سبع ساعات من
بداية الهجوم، ويمكننا أن ندرك من هذا الذي حدث
أن المحاهدين شأنهم شأن أسلافهم في القرن
السابع، حققوا انتصاراً رائعاً في تلك المعركة¹⁰⁵.

¹⁰⁵ الشيشان بين السياسة والواقع ص: 101 و 102.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

وليس المقام هنا مقام تفصيل البحث حول حرب
العصابات، ولكنني أؤكد على أن مرحلة الحسم هي أخطر هذه
المراحل، التي يقول عنها هانيء الدرديري:

"وأما المرحلة الثالثة، مرحلة الهجوم العام
المضاد والحسم السياسي، فهي تلك المرحلة التي
تبدأ بوصول العصابات إلى مرحلة تستطيع فيها
تشكيل قوات نظامية قادرة على خوض حرب
المواقع. فهذه النواة النظامية يعمد رجال
العصابات إلى شن معركة عسكرية ذات تأثير
معنوي فاصل لإجبار العدو على إنهاء الحرب
لصالحهم.

وتعتبر هذه المرحلة الأخيرة من أهم مراحل
حرب العصابات، فبعد أن تنتهي الكباش في مرحلة
التوازن إلى التناطح الواقف المتجمد، لا بد من
حركة سريعة وقوية يقوم بها رجال العصابات
للإيقاع بالعدو الذي أنهكه التعب وأرهقه حتى وصل
إلى مرحلة التجمد"¹⁰⁶.

وقد قام المجاهدون الشيشان بحسم الحرب بمعركة رائعة
أبدوا فيها من ضروب البسالة والشجاعة ما يقل نظيره،
وحسموا معركتهم بقتال رائع يسجل في تاريخ الجهاد
الإسلامي بل في التاريخ العسكري كله بالشرف والفخار.
ففي السادس من أغسطس عام 1996م شن المجاهدون
الشيشان هجوماً متزامناً على مدن جروزني وأرجون
وجوردمس في أكبر عمل تعرضي شيشاني في الحرب.
وفي جروزني استولوا بسرعة على قلب المدينة، واستولوا
على مقار الحكومة، واكتسحوا أو حاصروا العديد من المواقع
العسكرية الروسية، وأجبروا غيرها على إخلائها.

¹⁰⁶ المدخل للثقافة العسكرية ص: 81 و 82.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى
وقد حققوا هذا النصر رغم أن تقريراً سابقاً لمجلس الأمن
القومي الروسي قدر عدد القوات الروسية في جروزني
وحدها بأثني عشر ألف مقاتل، يبلغون قرابة ثلاثة أضعاف
مهاجمهم.

بينما تمركز الآلاف من القوات الروسية في مواقع حول
جروزني، منها مثلاً القاعدة الروسية الرئيسية والمطار في
(خان قلعة) على مسافة سبعة أميال إلى الشمال الغربي من
جروزني.

وكان للروس أيضاً مئتي وسبعة عجلة مدرعة، ولم يكن
لدى الشيشانيين أيّاً منها، وكل الذي ظهر في نهاية المعركة
معهم إنما هو مما غنموه من عدوهم.

وليس للروس أي عذر على فشلهم، فقد سبق هذا الهجوم
الكاسح هجوم أصغر منه، وكان بمثابة تدريب عليه في مارس
السابق، ولكن يبدو أن الروس لم يتعلموا منه شيئاً.

وبحلول ليلة اليوم الثاني كانت معظم القوات الروسية
حول جروزني قد عادت لمواقعها التي كانت تحتلها قبل
الهجوم الروسي الأول في ديسمبر 1994، أي قبل عشرين
شهراً، وكذلك احتل الشيشانيون مركزي جوردمس وأرجون.
وقتل للروس 494 جندياً بالإضافة لـ 1407 جرحى و 182
مفقوداً أو أسيراً. كما دمرت لهم أو غنمت 18 دبابة و 69
حاملة جنود مدرعة.

هذا النصر المؤزر ترك الروس أمام خيارين: إما أن يبدأوا
الحرب كلها من جديد، وبشروعوا بعاصفة دموية جديدة على
جروزني، أو يستسلموا فعلاً في مقابل السلام¹⁰⁷.

هـ- دور الدعاية والنشر في حرب العصابات:
استفاد المجاهدون الشيشان وأنصارهم من تقنيات الإعلام
الحديثة وشبكة المعلومات، ليرزوا حقيقة انتصارهم

¹⁰⁷ ترجمتها بتصرف يسير عن:

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

والخسائر الواقعية للقوات الروسية، ومدى بشاعة الجرائم التي ترتكبها في حق الشعب الشيشاني المسلم. وعن هذا يقول خطاب ~:

"إن الله أمرنا بمجاهدة الكافرين وقتالهم بمثل ما يقاتلوننا به، وهاهم يقاتلوننا بالدعاية والإعلام، لذلك فيجب علينا أيضاً مقاتلتهم بإعلامنا"¹⁰⁸.

و- الروح المعنوية كعامل خطير في تحقيق النصر:
يقول أبو بكر عقيدة ~:

"فقد أبدى المجاهدون الشيشانيون في قتالهم ضد الروس بسالةً سيظل التاريخ يذكرها زمناً طويلاً...! بسالة جعلت روسيا تقتنع بأن القوة مهما بلغت فلن تُخضع الشيشانيين.

لقد ضربوا أروع الأمثلة في الشجاعة فقد كان قتالهم يعتمد في المقام الأول -بعد عون الله تعالى- على المبادرة الشخصية، فلا غرابة في أن يتربص المجاهد الشيشاني بالدباية حتى تمر من أمامه، فيقفز فوقها، ويلقي بقنبلته داخلها فيدمرها!! أو أن يتسلل ليلاً من بين أنقاض المباني المتهدمة في العاصمة " قروزني " مخترقاً جبهة القوات الروسية في مخاطرة ليصعد فوق أحد المباني المهجورة فيرفع العلم الشيشاني فوقها! وفي الصباح عندما يرى جنود القوات الروسية العلم الشيشاني وسطهم، ينهالون على المبنى بالقذائف ظناً منهم أن المجاهدين قد تسللوا وتمركزوا فيه...

¹⁰⁸ الثمر المستطاب في سيرة القائد خطاب ص: 40.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى
لقد كان لتلك الأعمال وغيرها -رغم بساطتها-
تأثير هدام على معنويات القوات الروسية ولله
الحمد" ¹⁰⁹.

أما عن معنويات الجانب الآخر فيقول أناتول ليفين عن حوار له مع رائد في قوات (أمون)، وهي قوات شرطة شبه عسكرية، وتعتبر من أفضل القوات الروسية التي تولى عناية خاصة. يقول أن الضابط قال له أمام جنوده:

"إن الشيء الحسن الوحيد -الذي يمكن أن نقوم به هنا- هو أن نعود لديارنا، وسيكون من الأفضل أن تخرج أيضاً ما تسمى (بالحكومة المؤقتة)" ¹¹⁰.
ويقول أيضاً في حديثه عن الاتفاقيات التي وقعها ليبيد مع مساخادوف في خسايورت:

"ومع كل التقدير الواجب لليبيد، فإن من المهم أن نتذكر أن اتفاق السلام قد تحقق لأن الشيشانيين قد أحرزوا نصراً عظيماً، ولأن الروس أدركوا أنهم لكي يغيروه فسيكلفهم ذلك شيئاً من الحرب وآلاف من الأرواح، وهم ببساطة ليسوا مستعدين لتحملها.

وفي الجيش أدرك القادة أن رجالهم لا يريدون بوضوح أن يواصلوا القتال.

وكما حدث مع المجندين الفرنسيين في الجزائر أو الأميركيين في فيتنام فإن الروس -ولكن بدرجة أكبر- كانوا قد أنهكوا من الحرب.

وانعكست هذه الروح بصورة أكبر في استطلاعات الرأي العام الروسي حول اتفاقيات خاسيورت" ¹¹¹.

¹⁰⁹ روايات ساخنة من أرض الشيشان ص: 3.

¹¹⁰ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 49.

¹¹¹ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 143.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

ز- ابتكارات المجاهدين:

ومن الدروس المستفادة من حرب الشيشان والروس (1994- 1996م) تطويرهم للأسلحة واستخداماتها، ومن أمثلة تلك الابتكارات:

استخدام المجاهدون لصاروخ فاقوت لتدمير الطائرات المروحية، وعن هذا الابتكار يقول أبو بكر عقيدة ~:
"تكتيك جديد

تدمير طائرة مروحية بصواريخ "فاقوت"
(29/5/1996م)

من التكتيكات الجديدة التي ابتكرها المجاهدون في قتالهم ضد القوات الروسية في الشيشان استخدام صواريخ فاقوت-الموجهة سلكيا- ضد الطائرات المروحية أثناء هبوطها في المواقع الجبلية.

بعض المواقع التي اتخذتها القوات الروسية فوق قمم مرتفعة مشرفة على طريق أو تقاطع طرق، هذه المواقع رغم فائدتها الكبيرة لهم في السيطرة على الوضع بحيث يحذر المجاهدون من أن يروا كلما تحركوا على الطرق وفي الغابات، مما يؤثر على تكتيكهم وتحركهم وبالتالي على أدائهم.

إلا أن إمداد بعض هذه المواقع من الصعوبة بمكان، بحيث لا يتم إلا عن طريق الطائرات المروحية، فتأتي الطائرة محملة بالعتاد أو التموين، وتهبط في الموقع في مكان غالباً ما يكون ثابتاً ومحددًا ومعروفًا، لأن قوة الموقع تضع إشارة ضوئية حمراء تومض في منتصف المكان، الذي على قائد الطائرة المروحية أن يهبط فيه.

بدلاً من أن تصبح هذه المواقع نقمة على المجاهدين وحدهم، أصبحت أيضاً نقمة على

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى
أصحابها، لأن خط إمدادها الجوي أصبح -بعد فضل
الله ثم توفر صواريخ فاقوت- هدفاً سائغاً لضربات
المجاهدين" ¹¹².
وبواصل أبو بكر عقيدة قائلاً:

"ولأن العدو لا يستطيع إيقاف الإمدادات لهذه
المواقع أو إلغائها لأهميتها لأمنه وسيطرته، اضطر
إلى إتباع أسلوب جديد في هبوط الطائرات في
تلك المواقع، فبدلاً من أن توقف الطائرة محركها
وتفرغ عند هبوطها، أصبحت لا توقف محركها،
وتظل مروحتها تعمل بسرعة عالية، فتصبح معلقة
أو شبه معلقة في الهواء، كما أصبحت تفرغ
حمولتها بأسرع وقت ممكن -دقائق معدودة- تقيلاً
لزمن الخطر، لأن دفع الهواء الشديد باتجاه الأسفل
كفيل بتغيير مسار أي صاروخ له زعانف خلفية مثل
صواريخ آر. بي. جي وصواريخ الفاقوت. الأمر
الذي يجعله إما أن يرتطم بالأرض، أو ينحرف عن
مساره بعيداً عن الطائرة.

أدى هذا الأسلوب الذي اتبعته القوات الروسية
إلى فشل إحدى عمليات المجاهدين، فقد انحرفت
صواريخهم بعيداً عن الطائرة، عندما اقتربت من
مروحتها فانفجرت أسفلها وبجوارها، مثل الصاروخ
الذي أطلقه حكيم المدني، دفعته مروحة الطائرة
فانحرف جانبياً لينفجر بعيداً عن الطائرة، وكذلك
صاروخ أبي قتادة ياسر السوري، دفعه هواء مروحة
الطائرة بقوة لأسفل، فانفجر في الأرض، قبل أن
يصل إلى الطائرة بأمطار قليلة، فأعطب الطائرة،
وأوقف محركها، وأصابت شظاياها قائد الطائرة،
الذي هبط محاولاً الهرب بسرعة، بعد أن مرّ بجوار

¹¹² روايات ساخنة من أرض الشيشان ص: 67.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

طائرتة صاروخ حكيم المدني، وانفجر على مسافة
ليست بعيدة عنها.

بعد ذلك غيّر المجاهدون من طريقة هجومهم
على الطائرات المروحية عند هبوطها بزيادة عدد
منصات إطلاق الصواريخ المستخدمة في الرماية
عليها، وزيادة عدد الصواريخ المخصصة لكل منصة،
عسى أن تؤثر موجة أحد الصواريخ الانفجارية أو
شظاياها على مروحة الطائرة فتوقفها، أو على
محركها فتعطبه، بعدها تصبح هدفاً سهلاً لبقية
المنصات وصواريخها"¹¹³.

3- المدن التي لا تكل عن المقاومة.

أ- تمهيد

(1) يحرص المقاتلون في حرب العصابات عموماً وفي

حرب المدن خصوصاً على أمرين هامين:

الأول: هو التملص من المواجهة، وعدم الدخول في قتال

ثابت مع العدو.

الثاني: هو عدم التشبث بالأرض.

(2) ولكن قد يقرر المقاتلون الصمود والدفاع عن المدينة

في عدة أحوال، ولكن بشرط أساسي وهو توفر الدعم

والمساندة الشعبية للمقاتلين والمجاهدين، ومن هذه

الأحوال:

(أ) إذا كان المقاتلون يرجون من دفاعهم إنزال خسائر

فادحة بالعدو، تؤثر في مجرى الحرب ولو على المدى البعيد.

(ب) إذا كان سقوط المدينة يمثل هزيمة معنوية، ويرمز

لسقوط البلد كلها. فحينئذ لا بأس من الدفاع عن تلك المدينة،

ولو بهدف تأخير سقوطها، حتى تنهيا الأمة للقتال، وتعتاد عليه

وتتشجع، ولا تصاب بصدمة إحباط قد تؤدي لهزيمة معنوية

طويلة الأمد.

¹¹³ روايات ساخنة من أرض الشيشان ص: 70 و 71.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى

(ج) إذا كان العدو يهدف للاستيلاء على المدينة بسرعة لأنه يهدف لحسم الموقف لصالحه لتجنب ضغوط داخلية لديه.
(د) إذا كان المدافعون يهدفون من تأخير سقوط المدينة ترتيب إجراءاتهم الدفاعية في أماكن أخرى، وترتيب انسحاب مرتب أو بأقل الخسائر. تمهيداً لمعركة حرب عصابات طويلة قادمة.

(هـ) إذا كان العدو لا يستطيع أن يهاجم المدينة لفترة طويلة، ويضطر نظراً لإمكاناته أو ضعف معنوياته، لأن يكف عن القتال إذا طال أمده.

(و) إذا كان الدفاع عن المدينة يحمي جبهات أخرى أو مناطق أو قوات أخرى من السقوط أو الوقوع في حصار العدو. وهنا لا بد أن نذكر المقاومة البطولية بقيادة الشيخ حافظ سلامة في السويس في حرب 1973م، التي منعت اليهود من دخولها، وأمنت إمداداً للجيش الثالث المحاصر في

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب
شرق القناة¹¹⁴، وللأسف فإن هذه التجربة البطولية لم تجد من
يسجلها، ولا من يعترف بفضل هذا المجاهد الزاهد.
(ز) إذا كان المدافعون يتوقعون مدداً يصلهم بعد فترة، قد
يوثر على ميزان المعركة.
(ح) إذا لم يكن للمدافعين خيار آخر.
ب- الهجوم الروسي على جروزني ومقاومة المجاهدين له.

¹¹⁴ يذكر الشيخ حافظ سلامة أن:

"القوات الإسرائيلية" قد استطاعت أن تتسلل إلى الضفة الغربية
لقناة السويس بعد نجاح الجيش المصري في عبور القناة وتحطيم خط
"بارليف"، وأن هذا التسلل "الإسرائيلي" جاء من منطقة الدفرسوار
كمحاولة للقضاء على مكاسب الجيش المصري في تلك المعركة،
واستطاعت القوات "الإسرائيلية" أن تحقق بعض المكاسب على
الأرض".

هذه القوات وصلت بالفعل إلى مشارف مدينة السويس بهدف
احتلالها، ولو استطاعت القوات "الإسرائيلية" احتلال المدينة في ذلك
الوقت، لكان الموقف قد أصبح خطيراً، حيث أن احتلال المدينة كان
يحقق للقوات "الإسرائيلية" استكمال حصار الجيش الثالث الميداني
في سيناء، ويفتح أمامها الطريق إلى القاهرة عبر السويس.

عندما حاول الجيش "الإسرائيلي" اقتحام مدينة السويس، هدد قائد
القوات "أرييل شارون" بذك قناة السويس، إذا لم تستجب القيادات
السياسية والعسكرية بتسليم المدينة، إلا أن المقاومة التي أبدتها أبناء
السويس أجبرت "شارون" وقواته على الانسحاب، بعد وقوع عشرات
القتلى في صفوفها، وعجزها وقتها عن العودة لجمع أشلاء قتلاها.

إن "شارون"، هو نفسه الذي قاد الحملة العسكرية لغزو مدينة
السويس، وأنه أمام غطرسته، كانت شراسة المقاومة الشعبية في
شوارع وأزقة مدينة السويس، بعد أن دمرت هذه المقاومة، على مدى
ثلاث ساعات 23 دبابه ومصفحة، وأوقعت عشرات القتلى في صفوف
"الإسرائيليين"، الذين لم يستطيعوا سحب قتلاهم عند انسحابهم.

قبل الانسحاب وجه "شارون" إنذاراً إلى القيادات السياسية
والعسكرية بالاستسلام، وإلا فإنه سيدك مدينة السويس بالطائرات
خلال نصف ساعة، إلا أننا أكدنا لهم أننا نرفض الإنذار، بل وعلى استعداد
لمواجهتهم مرة ثانية إذا حاولوا دخول السويس، وقلنا لهم إن أرض
السويس لا بد أن تروى بدمائكم القذرة مرة ثانية.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
 المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى
 فإذا انتقلنا من هذا التعميم إلى معركة المجاهدين
 الشيشان دفاعاً عن جروزني في وجه الهجوم الروسي الهائل
 ضدها، فإننا سنجد أن المجاهدين قد ألحقوا بالقوات الروسية
 المهاجمة خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، كما حطموا
 معنويات الروس، وكشفوا للشعب الروسي كذب حكومته،
 كما دبروا بهذه الأعمال الدفاعية انسحاباً مرتباً لخارج
 جروزني.
 ومعركة جروزني كغيرها من وقائع الشيشان مع الروس،
 تعد من الملاحم العظام في تاريخ الجهاد الإسلامي، التي لم
 توف حقاها بالدراسة والتأمل¹¹⁵.
 وسأعرض هنا بإيجاز لبعض الملامح الهامة لتلك المعركة
 العظيمة.

- (1) في الواحد والثلاثين من ديسمبر 1994م شنت القوات
 الروسية المتواجدة شمال وشمال غرب جروزني هجوماً
 أرضياً متكاملًا على المدينة¹¹⁶.
 (2) وقد هاجم الروس من اتجاهين فقط لأن أعدادهم لم
 تكن تكفي لتطويق وعزل المدينة، وبالتالي فإنه طوال
 الحصار -الذي استمر لمدة سبعة أسابيع- كانت المدينة
 مفتوحة من الناحيتين الجنوبية والشرقية، وتمكن المدافعون

الأسلحة التي كانت تستخدمها المقاومة آنذاك، أسلحة أوتوماتيكية
 وقنابل يدوية، وكانت المقاومة تواجه سبعة ألوية مدرعة، يعززها سلاح
 الطيران "الإسرائيلي" في سماء خلت -آنذاك- لهم، وأرض توغلوا بها
 عشرات الأميال، إلى أن نجحت المقاومة في تكييد القوات
 "الإسرائيلية" هزيمة نكراء لأول مرة، وكسر أسطورة الجيش الذي لا
 يقهر، وتم قهره على أرض السويس". [الشرق: الخميس 24 إبريل
 2008].

¹¹⁵ للأسف فإنني لم أجد مصادر جهادية توفى الحرب الشيشانية حقاها، ولعل الكتاب
 الوحيد الذي وقع في يدي، ويتكلم بتفصيل علمي عن بعض أهم المعارك، هو كتاب
 الشهيد -كما نحسبه- أبي بكر عقيدة ~ بعنوان (روايات ساخنة من أرض الشيشان).
¹¹⁶ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 108.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

من تلقي تعزيرات وإمدادات، وفي النهاية تمكنوا من ترتيب
انسحاب جيد التنظيم من المدينة¹¹⁷.

ولم يكن هذا الانسحاب نزهة، بل قدم المجاهدون
الشيشان فيه توضيحات كبيرة، وأبدوا بطولات فائقة، وأحد
أمثلة هذه التوضيحات يرويها الشيخ الرئيس زليم خان يندربي
، فيقول:

"وعند الإنسحاب من مدينة جوهر¹¹⁸، التي كانت
تقع تحت حصار كامل من قبل العدو بعد قتال
عنيف، وجدت طلائع المجاهدين-الذين كانوا
يتلمسون طريقاً لكسر طوق الحصار- أن طريقهم
مسدود بحقل ألغام، لا يمكن تجنبه ولا بد من
عبوره، ولم يكن الوقت في صالح المجاهدين
بالنسبة للهروب بشكل آمن، عندئذ تقدم شامل
باسايف قائد العملية، وانطلق يعبر حقل الألغام
قائلاً لرجاله: (إذا تعرضت لانفجار لغم، أتركوا
جثتي على جانب، وتقدموا، وكرروا هذا كلما تعرض
مقاتل منكم لانفجار لغم).

وتعرض باسايف لانفجار لغم، وجرت جثته،
ووضعت على جانب، ومرت لحظة من الارتباك،
غير أن عمدة المدينة-ويدعى جوهر ليشي
دودايف، وهو ابن أخ أول رئيس لجمهورية
الشيشان- تقدم إلى طليعة المجاهدين، وأخذ
مكان باسايف كقائد لهم، غير أنه هو الآخر تعرض
لانفجار لغم وقتل 0

وقد أسفر عبور حقل الألغام هذا عن قتل سبعة
وعشرين مجاهداً، وجرح الكثير منهم لدى عبور
ذلك الحقل المزروع بالألغام 0 ورغم ذلك كانت

¹¹⁷ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 109.

¹¹⁸ الاسم الذي أطلق بعد استقلال الشيشان على جروزني.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى
شجاعة المجاهدين وتضحيتهم وراء تمكن رفاقهم
من الهروب من ذلك الحصار¹¹⁹.

(3) وكانت معركة اليوم الأول كارثة محققة على الروس،
فقد استطاع الروس اختراق حد الدفاع الخارجي للمدينة،
وانسحب الشيشانيون بحكمة، وترك الشيشانيون طوابير
المدرعات تدفع صوب مركز المدينة، وهناك كانت المفاجأة
تنتظرهم. فقد فوجئ الروس بالشيشانيين يحيطونهم
ويمطرونهم بنيرانهم من كل جانب. وقتل المئات من الروس
في عدة ساعات. واستمر الشيشانيون في تصيد المدرعات
المتقدمة وإيقاعها في الكمائن، ويروي أناتول ليفين عن أحد
المجاهدين الشيشان طريقة قتالهم، حين قال له:

"الجنود الروس يبقون في مدرعاتهم، ونحن
فقط نقف في الشرفات، ونلقي بالقنابل على
مركباتهم عند مرورهم تحتنا. الروس جبناء، ولا
يمكن أن يفكروا في مجرد الخروج من ملاجئهم
لملاقاة رجلًا لرجل، إنهم يعلمون أنهم ليسوا أكفأً
لنا، ولذلك ضربناهم، وسنظل دائماً نضربهم"¹²⁰.

(4) وتحول الوضع في جروزني إلى تقدم بطيء كالخوض
في الوحل تجاه القصر الرئاسي تحت غطاء من قصف من
أشد ما شوهد في العصر الحديث. ونتيجة لذلك فقد تدمر
وسط جروزني بالكامل¹²¹.

(5) وفي التاسع عشر من يناير وصلت القوات الروسية
للـقصر الرئاسي، بعد أن هجره المدافعون عنه تماماً، بعدما
اخرقت إحدى القذائف أقبية التي كانوا يتحصنون فيها¹²².
(6) وكانت خسائر الروس باهظة، فطبقاً لمصادرهم قتل
منهم حتى 24 فبراير 1146 قتيلاً وفقد منهم 374 جندياً،

¹¹⁹ الشيشان- السياسة والواقع ص: 105.

¹²⁰ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 109& 110.

¹²¹ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 111.

¹²² Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 111.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب
معظمهم من القتلى. وقد لجؤوا -بعد الأيام الأولى- للقصف
المدفعي بدلاً من العمليات التعرضية لتحقيق التقدم بأقل
الخسائر¹²³.

ج- القتال في المدن وبخاصة جروزني بعد احتلال الروس
لها.

قتال المجاهدين الشيشان ضد القوات الروسية في المدن
في الحرب الأولى أبرز عدداً من الدروس الهامة المستفادة.
منها:

(1) الغابة الصناعية

حلت المدينة المترامية الأطراف، وخاصة المدمرة، محل
الغابة كبيئة صالحة لتصدي العصابات المؤمنة للقوات الغازية
الضخمة المتقدمة المنظمة.

وهذا النوع من الغابات يتوزع على امتداد الدنيا.
وهكذا انتصر الشيشان لأنهم كما كانوا أساتذة في فن حرب
العصابات في الأدغال في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر،
فقد أتقنوا أيضاً في تسعينيات القرن العشرين قتال حرب
المدن.

وبينما تفقد الغابة قيمتها لدى مقاتلي العصابات إذا قطعت
أشجارها، فإن المدينة بالعكس تحتفظ بخطورتها، بل قد تزداد
خطورتها على القوات الغازية إذا دمرت.

وكان من أعدار القيادة الروسية عن خسائرهم في جروزني
أن الاستخبارات الروسية لم تمدهم بخرائط حديثة لجروزني.
وهذا الأمر يتوفر في معظم مدن العالم الثالث، حيث الخرائط
قديمة أو غير واقعية، وحيث تحيط بالمدن مناطق عشوائية
سريعة النمو، لا وجود لها على الخرائط، بل وفي كثير من
الأحيان لا أسماء لشوارعها. وإذا كان هذا هو الحال في المدن
السليمة، فإن ارتباك القوات الغازية يتضاعف عدة مرات في
المدن المدمرة.

¹²³ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 111.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى
وإذا كانت هذه الغابات الصناعية الحديثة توفر نفس الفرص
التي كانت توفرها الغابات الطبيعية من حيث إمكانية نصب
الكمائن وزرع الألغام والشراك الخداعية والقنص، فإنها أيضاً
تلغي تفوق العدو في المدرعات والمدفعية والقوة الجوية في
مواجهة العصابات المؤمنة¹²⁴.

وقد نقل أناتول ليفين عن الجنرال ميخائيل سركوف نائب
رئيس لجنة الدفاع في مجلس الدوما قوله:

"أما المدفعية فاستخدامها في الحالات المدنية لا
جدوى منه، وهو مثل استخدام مدفع في قتل
العصافير، والدبابات وعربات قتال المشاة أيضاً
عاجزة في الشوارع، وهو الأمر الذي أكده الهجوم
الأول على جروزني في ليلة رأس السنة في أول
بداية الحرب.

وكانت قاذفات الصواريخ تطلق على المركبات
من مسافات قريبة جداً، وتغطي فتحات الرؤية بها
بالمشمع، وتضرم في المركبات النار، وكلها وسائل
أتقنها المتمردون.

كما أن نظام الاتصال الذي كان لدى الوحدات
الروسية يسبب المشاكل في المدن، فيمجرد أن
تكون على الجانب الآخر من المبنى تعجز عن
سماع أي شيء"¹²⁵.

(2) تفتتت القوات الكبيرة:

ومن مشاكل أي جيشٍ اعتاد على الاعتماد على وحدات
ضخمة تعمل معاً طبقاً لنظام صارم من التسلسل القيادي أنه
سيجد نفسه في المدن وقد تقسم لمجموعات صغيرة مما
يلقي بمسؤوليات ضخمة على صغار الضباط وضباط الصف

¹²⁴ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 113 & 114.

¹²⁵ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 114 & 115.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

الذين لم يعتادوا على المبادأة، وإنما على اتباع الأوامر التي يتلقونها من رؤسائهم¹²⁶.

(3) صعوبة محاصرة المدن الكبيرة:

ومن الدروس القتالية المستفادة من قتال الروس في جروزني أن المدن الكبيرة يصعب حصارها بالكامل على القوات المسلحة لمعظم الدول بما فيها أمريكا.

مما جعل من المستحيل على المهاجمين الروس أن يحاصروا ويطوقوا ويعزلوا ويدمروا المدافعين¹²⁷.
(2) دور قاذف الآر بي جي كأحد أهم الأسلحة في حرب

المدن.

كما أظهر القتال داخل جروزني أن القاذف الصاروخي (أر بي جي) هو سيد أسلحة الدفاع في حرب المدن والقرى وكذلك في الكمائن الجبلية، فهذا السلاح الرخيص الذي يحمله شخص واحد، يستطيع أن يدمر دبابة باهظة التكاليف بما تحمله من طاقم.

وهذا السلاح يحتاج فقط إلى تدريب جيد على الرماية به وشجاعة وأعصاب من حديد لراميه، حتى يوقع أفدح الأضرار بالجيش الغازي.

ولقد أبلت مجموعات المجاهدين الصغيرة المكونة من ثلاثة أشخاص (حامل الآر بي جي والقناص وحامل الرشاش البيكا لحماية زميله، وليبقى الجنود الروس قابعين داخل مدرعاتهم) بلاءً حسناً في القتال ضد الجيش الروسي في جروزني وغيرها من مدن الشيشان¹²⁸.

وقبل أن أختتم هذا الفرع يهمني أن أؤكد أن التجربة الجهادية الإسلامية في العراق قد فاقت في تطورها وحجمها التجربة الجهادية الثرية في الشيشان، لاتساع مسرح المعركة وتوفر التواصل الحدودي مع الدول المجاورة، ولتوفر المدد

¹²⁶ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 113 & 114.

¹²⁷ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 116.

¹²⁸ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 117.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الثالث:/
المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى
البشري الغني بالكفاءات، بالإضافة للتغطية الإعلامية الواسعة
التي حركت شباب الأمة، وزرعت اليأس في قلوب المعتدين
وشعوبهم، وحولت الغرور الاستكباري الصليبي في بداية
الغزو إلي حسرة وندم وتقاذف بالاتهامات.
وأثبتت التجربة العراقية أن حرب المدن يمكن أن تقصم
ظهر أقوى قوة في الأرض، حتى ولو مورست في الأرض
المفتوحة المنبسطة التي لا تتوفر فيها الأدغال الكثيفة ولا
الجبال الوعرة، إذا توفر لها عنصران أساسيان:
الأول: إرادة القتال لدى المجاهدين المنبعثة من العقيدة
الجهادية الإسلامية، أقوى عقيدة قتالية وأسمائها وأشرفها.
والثاني: التعاطف الجماهيري المنبعث من أقوى دافع؛ وهو
دافع الدفاع عن الدين والوطن والحرمان.
لقد وفر الإسلام ولا زال يوفر أقوى دافع جهادي للدفاع عن
المبادئ والقيم. والأمة المسلمة إذا اكتشفت نفسها
وإمكاناتها وسمو وقوة عقيدتها قادرة -ياذن الله- أن تمرغ
أنف أكبر القوى الطاغوتية تغطرساً في التراب.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الرابع: المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم

الفرع الرابع:

المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها

الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم

في ليلة مولد الذئب خرجنا إلى الدنيا. تتصدع الأرض وتذوب في الشمس
وفي الصباح عند زئير الأسد سمونا الحارقة قبل أن نظهر للعالم بدون
باسماتنا. شرفنا.

لا إله إلا الله .

وفي أعشاش النسور أروضتنا أمهاتنا. ومنذ طفولتنا علمنا أبائنا فنون
الفروسية، والتنقل بخفة الطير في جبال بلادنا
الوعدة.

لا إله إلا الله .

لهذه الأمة الإسلامية ولهذا الوطن ولدتنا أمهاتنا.

ووقفنا دائماً شجعاناً نلبي نداء الأمة والوطن.

لقد كبرنا أحراراً وبجوارنا الصقور في الجبال.

تتخطى الصعاب والعقبات بكرامة.

لا إله إلا الله .

تنصهر أحجار الجرانيت وتستحيل رصاصاً، قبل أن نفقد نبلنا والكفاح.

تتصدع الأرض وتذوب في الشمس الحارقة قبل أن نظهر للعالم بدون شرفنا.

لن نخضع لأحد أبداً.

فإنما هي إحدى الحسينيين نفوز بها؛ الشهادة أو النصر.

ستداوي أخواتنا جراحنا بأغانيهن. وستحدونا عيون أحبتنا لبطولات القتال.

لا إله إلا الله .

إذا حاولوا تجويعنا سنأكل جذور الأشجار.

وإذا منع عنا الماء سنشرب ندى النبات.

فنحن في ليلة مولد الذئب خرجنا إلى الدنيا.

سنبقى دائماً مطيعين لله ثم الوطن وهذه الأمة.

لا إله إلا الله "129"

¹²⁹ النشيد الوطني الشيشاني: الشيشان- إعداد وترتيب أبي محمد الفلسطيني-

Scouba diver@hotmail.com

. Chechnya- Tombstone of Russian Power: p 358 &359

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

"وهل يحتاج المسلمون لدليل آخر ليثبتوا أن
العدوان الروسي جزء من حملة صليبية شيطانية،
وأن القتال من أجل إحباط هذه الحملة إنما هو
الجهاد بكل تحمله هذه الكلمة من معني؟ إنه هو
الجهاد الحقيقي، لأنه ليس فقط جهاداً من أجل
تحرير الشيشان، بل هو أيضاً جهاد من أجل الدفاع
عن الأمة الإسلامية"¹³⁰.

أبرز الجهاد الشيشاني قديماً وحديثاً عدداً من المعاني
السامية الهامة التي سأحاول أن أشير لبعضها في إيجاز تحت
العناوين التالية:

1- الشيشان كميدان من ميادين الحرب الصليبية على
الإسلام.

أ- الدعم الغربي الصليبي لروسيا في صراعها مع القوقاز
المسلم.

ب- ازدواجية العالم المسيحي في استخدامه لقضية حقوق
الإنسان.

2- شرف الشعب الشيشاني:

أ- تصور الشيشانيين عن دورهم في خدمة الإسلام وفي
خدمة القوقاز المسلم.

(1) فهم الشيشانيين لجهادهم ضد الروس.

(2) إدخال قانون الشريعة الإسلامية.

(3) حركة التحرر الوحيدة التي تم لها السيطرة على

جمهورية روسية ذاتية الحكم.

ب- الإباء والاعتزاز بالنفس.

ج- العناد المفرط في المقاومة.

¹³⁰ الشهيد - كما نحسبه - الشيخ الرئيس زليم خان يندربي ~- الشيشان- السياسة
والواقع ص: 103.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الرابع: المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم

1- الشيشان كميدان من ميادين الحرب الصليبية على

الإسلام

أ- الدعم الغربي الصليبي لروسيا في صراعها مع القوقاز

المسلم:

يبين الشيخ زليم خان يندربي ~ أن الغرب اعتبر أن انتصار العالم الإسلامي في الشيشان عام 1996م أمر يجب عقوبته عليه، ولذلك أطلق يد روسيا في تدمير الشيشان في الحرب الثانية، فيقول:

"فالمشكلة الرئيسية داخل المعسكر المسيحي؛

أن روسيا ترغب دخول النظام الاستعماري الجديد،
بالشروط التي يعرضها الغرب،

.....

فإن شوفينية دولة ترى في نفسها قوة عظمى
ونظامها الفاشستي العاري يجعل منها شريكاً
صعباً للغرب، وفضلاً عن ذلك ولأن نواياها الفعلية
دائماً محل شك فإن من الصعب أن تندمج في
حركة نحو هدف مشترك، ومع ذلك فإن الغرب
ليس في وضع يجعله ينسى ببساطة روسيا.

.....

فإذا لم يسترض الغرب روسيا فإن هناك خطراً
من روسيا إذا حاولت أن تمشي طريقها كما تشاء،
وهذا بدوره يشكل خطراً حقيقياً يتمثل في مواجهة
أخرى عديمة الجدوى داخل المعسكر المسيحي
مسببة ضعفاً له من الداخل.

لهذا ما هو الثمن الذي يضطر الغرب لدفعه
للسماح له بالتصرف في البلقان دون تدخل
روسي حاد؟ الإجابة بالطبع هي شيشنيا، فتم
السماح لروسيا بأن تطلق يدها في القوقاز، في
المقابل تسمح للغرب بمواصلة أهدافه في

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

البلقان، وهذا يخدم أيضاً غرض عقاب العالم الإسلامي الذي ادعى بان انتصار 1996 هو انتصاره، ولقد ارتأت الأيديولوجيات المسيحية على النقيض في هذا الانتصار هزيمة لا تغتفر، ولا يد من أن تنعكس ضد العالم الإسلامي،

.....
وبمعنى آخر كان لديهم الترخيص بالتصرف كما يحلو لهم دون قيد أو تحفظ في البدء في سحق الشيشان وإنزال الهزيمة بالعالم الإسلامي بوجه عام عند الاحتفال بانتهاء الألفية الثانية للديانة المسيحية"¹³¹.

وبوضح ~ كيف تلاعب الغرب بالقانون الدولي ليفرض سيطرته على العالم الإسلامي عامة والشيشان خاصة، فيقول:

"فعلى سبيل المثال وفق هذا القانون الدولي كل شعب له حق تقرير المصير وحرية الإرادة، بمعنى آخر له الحق في أن ينمو ويتقدم خلال لغته وثقافته الخاصة على أرضه. ولكن ماذا نجد عملياً؟ هل تمتلك كل الشعوب بالفعل هذا الحق؟ البعض يمتلك ذلك، وكما يلاحظ بالفعل أن الشعب اليهودي يمارس تماماً هذا الحق، رغم أنه ليس على أرضه، وعلاوة على ذلك فقد تم تسهيل قيام الدولة اليهودية تحت رعاية الأمم المتحدة، وتلى انهيار الكتلة الشيوعية منح حق تقرير المصير -دون مانع- لشعوب كرواتيا وماكدونيا وجمهورية التشيك وسلوفاكيا ولا تيفيا ولتوانيا وإستونيا وأكرانيا وبلاروسيا وملدوفا

¹³¹ الشيشان- السياسة والواقع- الفصل الخامس: المجتمع الدولي والقانون ص: 43

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الرابع: المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم

وجورجيا وأرمينيا، وتم حظره ومنعه بشكل خطير عن شعوب أذربيجان وكازاخستان وكرغزستان وأوزباكستان وتركمانستان وشيشنيا، الذين يمكنهم في أحسن الأحوال فقط ممارسة أشكالاً محدودة من حق تقرير المصير الذاتي، ومن غير الممكن ألا تلاحظ أن المجموعة الأولى تتكون من دول هي بالضرورة مسيحية، بمعنى آخر تاريخها جزء لا يتجزأ من الثقافة والقانون المسيحي، بالإضافة أنه عندما حصلت على استقلالها لم تعان من أية معارضة مترتبة على ذلك، أما الدول في المجموعة الثانية -التي لا يمكن عدم ملاحظة أنها جميعاً دول إسلامية- قد تم إجبارها على أن تبقى تحت القانون المبنى أساساً على قيم مسيحية، فهذا هو الإرث الذين أُجبروا على حمله من الماضي السوفيتي.

وحتى الآن فإن الشعب الطاجيكي والشيشاني فقط هما اللذان حاولا تحقيق حقهما كاملاً في حق تقرير المصير بشكل كامل وتكوين دولتين إسلاميتين، تتمشيان مع تاريخهما وثقافتهما وطريقة حياتهما، ونتيجة لذلك تعرضت طاجكستان إلى هجوم روسي فوري، نتجت عنه حرب أهلية، كان ضحيته أكثر من مليون من أرواح المسلمين، وأتاح هذا فرض أنظمة سياسية وقانونية خارجية على الشعب الطاجيكي المبعثر المتفرق، وهذه تماماً النتيجة التي تسعى الأمم المتحدة لتحقيقها في أفغانستان¹³² وكشمير، وسوف تتجاهل تبريرات ذلك حيث لا توجد حرب قائمة ضد الإرهاب كما يدعى، وعلى النقيض فالأمم المتحدة

¹³² لاحظ أن هذا الكتاب قد صدر قبل الغزو الأمريكي الصليبي لأفغانستان -بتواطؤ الأمم المتحدة- بأكثر من سنة.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

نفسها وهؤلاء الذين يتحكمون فيها هم ممثلون
لأكثر المنظمات الإرهابية خطورة والمرتكبون
لأشكال العمل الإرهابي الأكثر خطراً.
وماذا عن الشيشان؟ فكر ملياً في ألوان الفزع
الذي يعيش فيه الشيشان في صراعهم من أجل
تقرير مصير حقيقي وكامل وفق مبادئ وقواعد
السلوك الحقيقية للتاريخ الإسلامي والثقافة
الإسلامية.

.....
ومما يجب أن يقال أن روسيا لم تخالف أية
قاعدة جديدة بخصوص سلوكها إزاء القانون
الدولي، فنحن على ألفة تماماً باستعمال الإرهاب
والإبادة الجماعية كأدوات حرب، فروسيا لم تفعل
أي شيء على خلاف الوسائل التي يستخدمها
المجتمع الدولي المزعوم، ربما ذلك جزئياً لأنهم
يعرفون أنفسهم بالديمقراطيات الغربية
المزعومة، التي تصمت عن جرائم روسيا، وفي
نفس الوقت يبحثون عن طرق للحفاظ على
علاقات طيبة، ولكي نضع الأمر بشكل الآخر
فالغرب لن يخرج أبداً لينتزع عين غراب آخر
ولكن ينعق كل منهما للآخر دائماً¹³³.
وإذا ما حاولت شعوب إسلامية أخرى من
الجمهوريات السوفيتية السابقة تحقيق حقهم في
تقرير المصير بتصميم وعزم وروح -كما بدا ذلك

¹³³ لمزيد من التفصيل حول التصريحات الرسمية الأمريكية، التي تتحدث باقتضاب عن انتهاكات حقوق الإنسان في الشيشان، ولكنها تؤكد أن الشيشان مشكلة داخلية روسية، وتؤكد على وحدة الأراضي الروسية، وأن روسيا شريكة في الحرب على الإرهاب، وأن المجاهدين في الشيشان إرهابيون، راجع:

Bringing Peace to Chechnya? Assessments and Implications p: 17- 23

راجع أيضاً: الهيمنة أم البقاء ص: 257.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الرابع: المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم

في طاجكستان والشيشان على أثر انهيار الاتحاد السوفيتي- فإنهم سيلقون نفس المصير، فقد تم تدمير البوسنة وكوسفو جزئياً، لأنهما اختاراً تحديد مصالحتها من بين الخيارات التي قدمتها لهم زمرة الدولة المسيحية الاستعمارية من خلال الأمم المتحدة، وقارن هذا مع الهجمات الوحشية، التي لا نهاية لها، والتي تم القيام بها في كشمير وفلسطين، حيث يتم عمل محاولات لتأسيس دول إسلامية مستقلة، وقارن هذا أيضاً بالرعب الذي يشن على السكان المسلمين في أفريقيا وأجزاء أخرى في آسيا، وجريمتهم أيضاً أنهم يبحثون عن تحقيق تقرير مصير حقيقي بشروطهم، وبهذه الأمثلة أصبح النموذج واضحاً.

وعندما انحاز المجتمع الدولي أثناء حرب 1994- 1996 للشيشان كان لا يدري بالمبادئ، التي سوف يستخدمها الشيشان في بناء دولتهم، وكان لدى قادة الدول المسيحية الاستعمارية الأمل في أنهم سينجحون في فرض أيديولوجيتهم وقيمهم وطرق حياتهم على الشيشان، وأنهم سيكونون قادرين على إدخال الشيشان في حظيرة الأمم الديمقراطية المزعومة، وبايجاز كان لديهم الأمل على الوصول في حالة الشيشان إلى ما قد وصلوا إليه حتى اليوم مع معظم الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفيتي السابق، ومع ذلك برهن الشيشان على أنهم مصرون على نضالهم غير متراجعين عنه، فقد اختاروا المضي في طريق الشعب المسلم الحقيقي، الذي بكرس جهده لإحياء الأمة أي المجتمع الديني الإسلامي، كي يحتلوا مكانهم مع المسلمين الآخرين في أمة

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

إسلامية واحدة، ولهذا رفضوا خيار البقاء مجرد سكان يعتقدون العقيدة الإسلامية، وناضلوا لصالح اتباع طريق الإسلام القويم، وأحد نتائج هذا النضال على الطريق الإسلامي القويم أنهم أيضا كرسوا حياتهم لقضية الحرية لإخوتهم المسلمين، الذين يعانون من الظلم في أجزاء أخرى من العالم، وفضلا عن ذلك قد تحدثوا بوضوح عن ضرورة إحياء الخلافة الإسلامية، كي تكون في العالم مرة أخرى قوة تتصرف وفق القوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى.

ويدفع الشيشان اليوم مقابل سمو هذه المثاليات والطموحات إضافة لإصرارهم على تنفيذها، ولكن الأهداف التي يناضلون من أجلها مازالت جديدة بالمزيد من التضحيات، وسنكون قادرين فقط على انتزاع الحرية العالمية من حكم الأصنام المزيفة عندما يدرك العالم الطبيعة الحقيقية للنضال ويتبع نموذج الشعب الشيشاني في النضال.

ومع ذلك وكما بينا من قبل عند إشارتنا للدولة الإسرائيلية أنه يوجد هناك وسائل بديلة للحصول على حق تقرير المصير شريطة ألا تكون مسلما، ويجادل مهندسو ومؤيدو الديمقراطية بالطبع في أن ظروفًا وشروطًا خاصة قد جعلت تكوين دولة إسرائيل ممكناً، ومع ذلك يوجد مثال حديث على تكوين الدولة فلقد رأينا مؤخراً انفصال تيمور الشرقية عن إندونيسيا، وهو انفصال تم على أسس دينية، ففي حالة تيمور الشرقية استخدم المجتمع الدولي القوة والتهديد بالقوة العسكرية ليفصل جزءاً مسيحياً صغيراً من سكان دولة عن

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الرابع: المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم

الجزء الأكبر المسلم، أعلنوها عندئذ دولة وبهذا العمل حققت زمرة الدول المسيحية الدولية الحاكمة عددًا من الأهداف: فقد قسمت هذه الزمرة دولة إسلامية، وبهذا أضعفتها، وجعلت السكان المسيحيين تحت حمايتها المباشرة، ولتظهر على الدول الإسلامية الأخرى نتائج عدم الانقياد والانصياع للأوامر، وإضافة لذلك هناك فائدة إضافية وهي أن ذلك قد يشجع أصحاب الديانات الأخرى ليتحولوا عن دينهم للمسيحية بسبب الفوائد الجمة لذلك.

.....
فكيف يمكن للإنسان أن يفسر بشكل آخر الحروب الروسية في شيشنيا التي استمرت لقرون، فيشمل الصراع شعبين بديانتين وحضارتين ولغتين وعادات معيشية مختلفة تماماً، ويعيشان في أراضي منفصلة تماماً، ومع ذلك يتم وصف الصراع بأنه شأن روسي داخلي، وفي نفس الوقت في تيمور الشرقية فإن انفصال عدد ص غير من السكان المسيحيين، يشتركون بشكل كبير في اللغة والثقافة والعادات مع الأغلبية المسلمة، ويتم تصوير هذا كشأن يتطلب التدخل بل التورط الدولي، وقد نتساءل بالطبع لماذا تعتبر مسألة تيمور الشرقية موضوع اهتمام دولي بينما مسألة الشيشان لا تعتبر كذلك؟ وحتى السؤال سوف يكون سؤالاً متكلفاً تماماً.

دعنا ننظر للمسألة التي ناقشها من منظور أوسع وذلك بالنظر بشكل أكثر عمومية للعلاقة بين المجتمع الدولي المزعوم والدول الإسلامية، فلقد نظرنا بإيجاز لمثال إندونيسيا في علاقاتها بتيمور

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

الشرقية، وسوف تعرف بعض الأمثلة الأخرى
طبيعة العلاقة بين المجتمع الدولي والدول
الإسلامية تعريفاً أوضح، فالحرب الأهلية في
السودان مثل إندونيسيا مثال لتمزيق الدولة على
أسس دينية يؤيدها المجتمع الدولي، وفي الجزائر
وصل الإسلاميون للسلطة بالشكل الشرعي من
خلال الانتخابات، ولكن تم منعهم من ممارسة
السلطة، وتولى نظام حكم ضد الإرهاب الإسلامي
منذ ذلك الوقت!! وفي إيران وصل الإسلاميون
للسلطة، ومارسوها، وخلقوا جمهورية إيران
الإسلامية، ولكن تم وصمهم بأنهم أعداء للمجتمع
الدولي المزعوم من اللحظة التي وصلت فيها
الثورة الإسلامية لهدفها المباشر، وفي أفغانستان
تحكم حكومة طالبان 95% من أراضي الدولة،
وحققت السلام والاستقرار خلال هذه المنطقة
على نقيض الحكومة السابقة، التي كانت غير
قادرة على التحكم في الجريمة وحل الصراعات
الداخلية، ومع ذلك لازالت حكومة طالبان تنتظر
الاعتراف من المجتمع الدولي، لأنها بوضوح
باشرت برنامج بناء الدولة وفق المبادئ الإسلامية.
ويمكننا أن نذكر أمثلة أكثر على هذا، ولكن ما
ذكرناه قد أوضح الأمر بدرجة كافية، فعندما تحاول
الشعوب الإسلامية والدول الإسلامية وضع
برنامجها كشعوب ودول تحد نفسها خاضعة للتمييز
والعداوة والعدوان في صلتها بزمرة الأمم
المسيحية الاستعمارية، التي تترأس المجتمع
الدولي المزعوم، فهذه هي الكيفية التي تبدو عليها
الأمور بالفعل فيما يتعلق بحق الشعوب في تقرير
المصير، فالشعوب الإسلامية التي تعيش في ظل

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الرابع: المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم

نير وظلم روسيا الاستعماري، لا تتوقع مهما كان الأمر كسب تأييد المجتمع الدولي المزعوم أو هيئاته المختلفة لقضيتهم، وبالطبع فإن مسألة التخلص من الاستعمار موجودة في جدول أعمال الأمم المتحدة منذ عقود، ومع ذلك يجب ألا تتوقع تطبيق المبادئ من تلك الزمرة بشكل نزيه، فإزالة الاستعمار يحددها الانتساب الديني والدرجة التي تنحاز بها أمة ما إلى المبادئ الأساسية التي تتضمنها تلك الديمقراطية المزعومة، بمعنى آخر: إن إزالة الاستعمار يعتمد على درجة الولاء التي تظهره أمة ما تجاه النظام العالمي القائم .

وواضح في حالة الشعوب التي تعتنق المسيحية أن الأمم المتحدة تتحرك لتحقيق التخلص الكامل من الاستعمار، ولكن في حالة الشعوب التي تعتنق ديانات أخرى -خاصة الإسلام- تتحرك الأمم المتحدة لوضع شروط ملائمة لخلق وإقامة شكل آخر من الأشكال المنوعة للتحكم الاستعماري الجديد.

ويمكننا وضع هذا ببساطة فالشعوب غير المسيحية يتم التمييز ضدها، ويتم تقويض حقوقها بكل الوسائل التي تعتبر ملائمة من وجهة نظر الزميرة المسيحية الحاكمة، والوسائل التي يغلب كثيراً استخدامها لإنكار الحق في تقرير المصير هو وضع هذه الدول في مواجهة الحقوق الفردية أو في مواجهة مبدأ الحفاظ على سلامة الدولة وعدم تحزبتها.

ولقد تم إدخال مبدأ سلامة أراضي الدولة ووحدتها في القانون الدولي منذ حوالي 30 سنة مضت، والهدف من ذلك بالتحديد هو تبرير الدعم

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

لتلك الدول التي تعتبر أن عملية التخلص من الاستعمار تهدد مصالحها، ومنذ تلك اللحظة فصاعداً قد تم استعمال هذا المبدأ ضد الشعوب الإسلامية، التي تحاول تخلص نفسها من الحكم الاستعماري.

وتعزز استعمال هذا المبدأ محاولات التفاوض على شيء ما أقل من حق تقرير المصير الكامل والمستقل، فيطلب من الشعوب الخانعة التابعة أن تقبل شكلاً ما للحكم الذاتي والاستقلال تحت رعاية الدولة المستعمرة، وتبقى أراضي الشعوب التابعة في ظل هذه الترتيبات في أحسن الأحوال أراض تابعة للقوة الاستعمارية، وبهذه الطريقة يتم احتفاظ الدول المهيمنة "بوحددة الأراضي وسلامتها".

وتستعمل مثل هذه الآليات القانونية الحرفية مع وسائل أخرى عديدة تعتبر ضرورية لمنع الشعوب غير المسيحية من الوصول إلى الاستقلال الحقيقي، ويكون هذا صحيحاً بشكل خاص، إذا كان هدف تقرير المصير المستقل يمس مصالح الدول المسيحية العظمى أو أهدافها الاستراتيجية.

وعلى أي حال وعلى العكس فإذا كانت المسألة موضوع البحث تهتم بحق شعب ينفصل عن دولة غير مسيحية، فيتم حل الموضوع فوراً، ويستعيد مبدأ حق تقرير المصير أولويته بالطبع في القانون الدولي.

لهذا فإن القانون الدولي المزعوم هو في الحقيقة ليس أكثر من أداة يتم استعمالها، لتخدم مصالح الدول المسيحية المهيمنة، وليحافظ على سيطرتها على الشعوب غير المسيحية في العالم.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الرابع: المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم

وتم وضع بنود القانون الدولي تحديداً لهذه الأغراض، ففي كل مصطلح رئيسي يسمح هذا القانون بتفسيرين أو ثلاثة، ويعتمد ذلك على من هي الدولة أو من هو الشعب الذي يطبق عليها أو عليه هذا القانون، فمصالح بناء الإمبراطورية المسيحية هي العوامل الحاسمة في كل الأحوال وهي التي تحدد أي التفاسير تستخدم، حيث تستعمل زمرة الدول المسيحية التفسير الذي يروق لها.

ويمكن حتى للشعوب التي تدين بديانة واحدة أن تجد نفسها وقد تم التمييز ضدها، إذا دخلت طموحاتها في الصراع مع هذه المصالح، فالموجود هنا ليس القانون الدولي المحايد، بل حالة من عدم القانونية تعمل في ظل غطاء من القوانين، تم وضعها وتشكيلها لخدمة مصالح معينة، هي بالطبع مصالح الزمرة المهيمنة¹³⁴.

ب- ازدواجية العالم المسيحي في استخدامه لقضية حقوق الإنسان:

يقول الشيخ زليم خان يندربي ~ عن هذا التناقض:
"لا تتأثر سياسات المجتمع الدولي بشكل كبير بمبادئ الأخلاق العامة أو بأراء الجمعيات تجاه انتهاكات حقوق الإنسان وغيرها من الانتهاكات، وإن نظرة إلى تاريخ تدخل المجتمع الدولي في حالات الانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان أو ارتكاب جرائم الإبادة الجماعية تظهر عدم إمكانية اتخاذ إجراءات ذات مغزى ما لم يكن تدخل المجتمع الدولي مطابقاً للأهداف السياسية، ومن ثم فلا غرابة من عدم اتخاذ إجراءات ذات فعالية

¹³⁴ الشيشان- السياسة والواقع- المجتمع الدولي والقانون ص: 44 إلى 48.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

إزاء تعرض شعب مسلم لانتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان أو حتى إذا تعرض هذا الشعب لمذابح صارخة، فإذا انخرط شعب من الشعوب في صفوف المقاومة والكفاح لبناء دولة إسلامية فلا بد أن يتوقع هذا الشعب مواجهة تواطؤ ما يسمى مجتمع الدول الديمقراطية من أجل تدمير هذا الشعب والقضاء عليه"¹³⁵.

2- شرف الشعب الشيشاني.

للشعب الشيشاني المسلم ميزات شريفة امتاز بها، ولا يعني هذا أن الشيشانيين ليس فيهم خونة ولا مرتدين ولا فجرة، ولكن هناك سمات عامة عزيزة وشريفة مكنت هذا الشعب من أن يصمد للعدوان الروسي عبر أربعة قرون، دون أن يعلن استسلامه، أو يكف عن المقاومة، وسأحاول هنا أن أتعرض لبعض من هذه السمات الكريمة.

أ- تصور الشيشانيين عن دورهم في خدمة الإسلام وفي خدمة القوقاز المسلم:

(1) فهم الشيشانيين لجهادهم ضد الروس: لا يتصور الشيشانيون أنفسهم إلا جزءاً من الأمة المسلمة، يقاتلون معها نفس المعركة ضد الحملة الصليبية، ويسعون لإحياء الخلافة الإسلامية.

يقول الشيخ زليم خان يندربي ~:

"إن الروس عندما تعهدوا بالقضاء على الشيشان حظوا بتأييد ما يطلق عليه مسمى المجتمع الدولي، ومن ثم يمكن أن نرى أن المجاهدين الشيشانيين لا يقفون في مواجهة الروس وحدهم، بل في وجه تحالف أشمل ضد الإسلام، حيث قرروا جميعاً سحق دولة الشيشان، ولكن أمالهم ضاعت إدراج الرياح، ذلك لأن شعب

135 الشيشان- السياسة والواقع- الفصل السادس: الديمقراطية والمسيحية ص: 59.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الرابع: المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم

الشيشان قرر في وضوح أنه لن يرضخ أبداً
تدبيرهم¹³⁶
ويقول أيضاً ~:

"الجهاد هو الشكل الوحيد للحياة القومية للبشر، إن كانوا لا يرغبون في فقد أمل العودة إلى فردوس الله، وهو السبيل الوحيد للحفاظ على عقيدة الفرد والأسرة والشعب، وأنه السبيل الوحيد لتحرير الفرد والشعب والأمة الإسلامية.

إن الصراع بين روسيا وشعب الشيشان لا يمكن تسويته إلا بالجهاد الذي يأخذ شكل الحرب، لأن الروس هم الذين اختاروا الحرب كطريقة للتعامل

معنا¹³⁷

ويقول أيضاً ~:

"وهل يحتاج المسلمون لدليل آخر ليثبتوا أن العدوان الروسي جزء من حملة صليبية شيطانية، وأن القتال من أجل إحباط هذه الحملة إنما هو الجهاد بكل تحمله هذه الكلمة من معنى؟ إنه هو الجهاد الحقيقي، لأنه ليس فقط جهاداً من أجل تحرير الشيشان، بل هو أيضاً جهاد من أجل الدفاع

عن الأمة الإسلامية"¹³⁸.

ويقول أيضاً ~:

"وبالنسبة للسؤال المتعلق بكيفية فهم كلمة الجهاد في القوقاز وفي العالم الإسلامي، يمكن القول بأن الجهاد تم فهمه على أنه جهاد كل المسلمين، وأن الجهاد في الشيشان ينظر إليه

¹³⁶ الشيشان- السياسة والواقع- الفصل التاسع: الجهاد في الشيشان ص: 102.

¹³⁷ الشيشان- السياسة والواقع- الفصل التاسع: الجهاد في الشيشان ص: 100.

¹³⁸ الشيشان- السياسة والواقع- الفصل التاسع: الجهاد في الشيشان ص: 103.

لاحظ أن هذا الكتاب قد صدر قبل الغزو الأمريكي الصليبي لأفغانستان وقبل إعلان بوش لحملة الصليبية بأكثر من سنة.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

على انه جزء من الجهاد الإسلامي العظيم، الذي يرجع تاريخه إلى إلى الخلفاء الراشدين، وإن هذا الجهاد يهدف إلى إحياء الوحدة الإسلامية، ومن ثم فهو الأداة والوسيلة التي ستحرر بها الأمة الإسلامية بل والعالم من أغلال وحبائل الشيطان. والدليل على اهتمام باقي دول العالم بالجهاد في الشيشان هو مشاركة العديد من المسلمين فيه من كافة أنحاء العالم 0 فلقد استشهد أكثر من مائة من المسلمين من دول مختلفة في الحرب الأخيرة وخلال هذه الحرب، ولا يزال رفاقهم يقاتلون من إيمان واعتقاد فيما أمرهم به الله في القرآن الكريم، ومن هؤلاء المجاهدين من أعرفهم، وهم حكيم اليمنى وأبو طلحة المكي وأبو مصعب الطابوقي¹³⁹ وعبد الصبور المصري وأبو أنصور¹⁴⁰ الجنوبي، وعبد الرحمن الكويتي وأبو ثابت الجيشي، وهناك غيرهم الكثير ممن جاءوا من أكثر من مائة دولة مختلفة للانضمام إلى صفوف القتال

” 141

أما عن مشاركة الشيشانيين في نصره إخوانهم
الداغستانيين فيقول ~:

”وننتقل إلى مسألة داغستان ومشاركة الشيشان فيها، فداغستان دولة مسلمة وهي أيضاً جزء من إمامة شامل، واحتلتها روسيا، ومن ثم فإنه مما يشكل مسئوليتنا المباشرة أن نشارك في الجهاد ضد المحتل باسم الله وباسم استعادة العدالة.

¹³⁹ لعله التبوكي.

¹⁴⁰ لعله منصور.

¹⁴¹ الشيشان- السياسة والواقع- الفصل التاسع: الجهاد في الشيشان ص: 107 و

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الرابع: المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم

والشعب في داغستان يعرف جيداً أن أحداً لم يهاجمهم، حيث كانت أعمال الجهاد توجه فقط ضد الغزاة الروس، الذين راحوا يتذرعون بحجة أنهم يقاتلون الإسلاميين في داغستان، ليرتكبوا من الجرائم ما لا يمكن إقراره أو السكوت عليه.

وزيادة على ذلك فإنه بالإضافة إلى داغستان والشيشان فإن منطقة القوقاز ككل جزء لا يتجزأ من دولة الخلافة الإسلامية، وبناءً على ذلك فإن الجهاد اليوم -من أجل تحرير الدول من احتلال الملحدين- إنما هو واجب كل مسلم، وكل واحد منا عليه أن يؤدي واجبه باسم الله رب العالمين" ¹⁴².

(2) إدخال قانون الشريعة الإسلامية:

يقول الشيخ زليم خان يندربي ~:

"ففي 1991 - كنتيجة لنضال شعب الشيشان من أجل التحرير الوطني- تم إقامة وتأسيس جمهورية أشكيرية، وبعد نهاية الحرب مع روسيا -التي استمرت عامين من 1994- 1996- تم إعلان الشيشان رسمياً جمهورية إسلامية، وتم إدخال قانون الشريعة الإسلامية في جمهورية اشكيرية الشيشانية وذلك بقرار رئاسي في 8 من يوليو سنة 1996، وهذا القانون أكد أيضاً تنفيذ قانون الشريعة الجنائي الذي سرى مفعوله في 12 من سبتمبر من نفس السنة، وهذا بالطبع قد ألغى كل القوانين الجنائية والمدنية، التي لا تتماشى مع القوانين الشرعية، وأيضاً صدرت قرارات رئاسية تالية تجعل حكومة الدولة خاضعة لمعايير القوانين الشرعية، وبحلول ديسمبر 1996 تم التحول الكامل لكل النظام القضائي" ¹⁴³.

¹⁴² الشيشان- السياسة والواقع- الفصل التاسع: الجهاد في الشيشان ص: 109.

¹⁴³ الشيشان- السياسة والواقع ص: 14 و 15.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

(3) حركة التحرر الوحيدة التي تم لها السيطرة على

جمهورية روسية ذاتية الحكم:

من ميزات الشيشانيين أنهم الأمة الوحيدة في داخل
روسيا الاتحادية التي تم لها السيطرة على جمهورية روسية
ذاتية الحكم، وإعلان استقلالها، والقتال من أجل ذلك حتى
اليوم.

وهنا يطرأ السؤال لماذا الشيشانيون وحدهم الذين قاوموا
بهذه الحدة والقوة؟

لا شك أن هذا شرف للشعب الشيشاني العزيز، ولكن هذا
الصمود له مبرراته من طبيعة الشعب الشيشاني وتاريخه
وفهمه للإسلام، وعن هذا يقول الشيخ الرئيس زليم خان
يندربي ~:

"ومن الأمور الملفتة للنظر أن الشيشان
بالنسبة لمنطقة القوقاز ككل هم الذين يقاتلون
من أجل تحرير أنفسهم، لذا لا بد لنا أن نتساءل عن
السبب في ذلك وعن التأييد الذي يحظى به
الشيشان في المنطقة.

.....

الناس مختلفون في مشاربهم، ويستجيبون
بصور مختلفة إزاء الأحداث التي تحدث في العالم.
ومع ذلك كان للحربين الأخيرتين بين الشيشان
والروس أثر عميق بالمعنى الشامل على إدراك
الناس للحقيقة، ورغم وجود كثير من الأمور لا تزال
في حاجة إلى التوضيح، فقد أصبح من الواضح
لكثير من الناس أن الحقائق الجديدة بزغت
وترسخت في العالم، كما أصبح من الواضح أن
هذه الحقائق لا يمكن تجاهلها.

وهذه الحقائق الجديدة تركز بصفة أساسية على
إحياء الجهاد، فالجهاد هو الكفاح على الطريق الذي

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الرابع: المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم

رسمه لنا الله لإعلاء كلمة الله، إنه هو الكفاح
لتحرير كلمات الله من الأفكار الخاطئة والأكاذيب
والتحريف، الجهاد هو معركة تحرير شعب من
برائن القمع وقوى الشرأياً كانت صورها، إنه
الكفاح ضد انتهاكات المبادئ الأخلاقية للبشر،
الجهاد سلاح مشهر في وجه من يعارضون الإسلام،
وفي الشيشان يتجلى في أبهى صورة في شكل
حرب ضد الكافرين.

وهذه الحرب يدخلها الشيشان دفاعاً عن
العقيدة وعن الحق ليعيشوا في كنف شريعة
الإسلام التي أنزلها الله، لتكون وحدها هي
الناموس الإلهي الشامل والعاقل لكافة البشر على
وجه الأرض.

.....
وبمعنى آخر يمكن القول بأن الحرب فرضت
علينا، وبأن هذه الحرب يمكن بشتى الطرق
اعتبارها استمراراً لحرب فرضت علينا على مدي
450 سنة مضت مع فترات توقف مؤقتة 0 وفضلاً
عن ذلك فإن هذه الحرب ستستمر، حتى يحرق
شعب الشيشان المسلم نفسه، ويشرع في
مباشرة أسباب الحياة وفقاً لأحكام شرع الله.
وإذا استسلمنا وتخلينا عن عقيدتنا فستكون
عقوبتنا على ذلك عقوبة سرمدية، فضلاً عن أن
إذعاننا لن يكون مقابل تخلي أعداء الله عن
الضعف والامتثال للناموس الإلهي، ومن ثم فإننا
في وضع لا خيار فيه ولا مناص منه، وهذا على وجه
الدقة هو مفهوم الجهاد لدى المجاهدين الذين
ينخرطون في صفوف الجهاد في شيشنيا.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

وقد توصل المجاهدون الشيشانيون إلى هذا المفهوم للجهاد من واقع خبرتهم بالحياة وحقائقها 0 فلقد شاهدوا وعاشوا الجرائم التي ارتكبت ضد شعبهم، وفي حق الله، وكان من شأن ذلك أن تفهموا الوضع الحقيقي للعالم والآثار التي تترتب على التخلي عن الإيمان بالله.

والجهاد في الشيشان ليس أمراً جديداً بل هو مرحلة من مراحل الجهاد، الذي يرجع تاريخه إلى معركة بدر تحت قيادة النبي محمد، أو ربما إلى أبعد من ذلك حيث معركة النبي داود مع حالوت، إن القتال من أجل الشيشان صفحة أخرى من صفحات تاريخ الجهاد الأيدي من أجل تحقيق العدالة الحقيقية باسم الله¹⁴⁴.

بهذا الفهم الراقى للإسلام والجهاد-الذي يؤكد ذلك القائد الفذ زليم خان يندربي ~ نيابة عن شعبه- تمكن الشيشانيون -حتى اليوم- من التصدي للهجمات الروسية الصليبي منها والشيعوي، ورفع راية العزة عالياً فوق قمم القوقاز المسلم. بل وتمكنوا من نشر روح العزة -التي تموج بها نفوسهم- بين الشباب المسلم في أنحاء العالم الإسلامي.

إلا أن هناك عاملاً خطيراً آخر؛ ألا وهو توفر قيادة للشعب الشيشاني على درجة عالية من الصمود والإصرار والتصميم، والاعتزاز بدينها وتاريخها وشعبها. والناظر لقيادات الشعب الشيشاني -في الفترة التي تناولها- يرى رجالاً من أمثال جوهر دواديف وزليم خان يندربي وأصلان موسخادوف وشامل باسييف رحمهم الله جميعاً، فقد اصطفاهم الله سبحانه وتعالى جميعاً شهداء. هذه الزمرة من القيادات الراقية كانت سبباً من أهم الأسباب لتصدي الشعب

¹⁴⁴ الشيشان- السياسة والواقع- الفصل التاسع: الجهاد في الشيشان ص: 99 إلى

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الرابع: المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم

الشيثاني الجهادي البطولي لقوة طاغية باغية ليس بينها وبينه أي تناسب في القوة والعدة والعدد. وبطراً أيضاً سؤال آخر؛ ألا وهو: هل شاركت المناطق القوقازية المسلمة الأخرى الشيثان في صمودهم الجهادي البطولي؟

هنا يجب أن نفرق بوضوح بين مواقف الشعوب والحكومات. فالشعوب القوقازية الأخرى كانت تحكمها حكومات خاضعة لموسكو. ولم تتوفر لها تلك القيادات الراقية التي أفرزها الشعب الشيثاني. ولذلك نجد فرقا واضحا بين المواقف الشعبية والمواقف الرسمية. وعن هذا التعاطف الشعبي يقول الشيخ الرئيس زليم خان يندربي ~:

"وبالنسبة لمشاركة مسلمين آخرين من القوقاز في الحرب، ليس سرا أن نقول أن المسلمين في داغستان ومعهم الكثير من المنطقة يشاركون في الحرب بهمة وبسالة، ففي بداية الحرب كان هناك حوالي ألف من هؤلاء المجاهدين منهم عدد من المسلمين من الاتحاد السوفيتي سابقا، ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أن الأغلبية الساحقة من هؤلاء المقاتلين جاءوا من داغستان، وفي بداية الحرب في صيف عام 1999، كان المجاهدون من غير الشيثانيين يمثلون 10% من قواتنا المقاتلة، الأمر الذي جعل مساهمتهم في الحرب أمرا له مغزاه، وزيادة على ذلك فإن تواجدهم يعتبر مؤشرا على موقف مسلمي المنطقة إزاء الجهاد بصفة عامة وتجاه الجهاد في الشيثان بصفة خاصة 0

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

وبالنظر إلى ما أوردناه في هذا المقام، يكون
من قبيل التزيد في الكلام السؤال عما إذا كانت
شعوب القوقاز يتوقون إلى تحقيق حريتهم؟
والحقيقة أن هذا السؤال لا يمكن أن يطرحه إلا
من ليس له دراية بالقوقاز، وكل فرد يتفحص تاريخ
القوقاز، يعلم أن القوقاز كانت منارة في حقل
الجهاد من أجل الحرية وعلى مدى الأجيال، وبناء
على ذلك فإن جميع شعوب القوقاز تراقب الجهاد
في الشيشان بكل الأمل، وبالطبع ليس من
المستغرب أن نجد خونة ومتملقين في كل مكان
ممن يعملون فقط من أجل مصالحهم، ولكن يجب
ألا يسمح لهؤلاء بتعتيم الصورة الحقيقية"¹⁴⁵.

وأود هنا أن أستطرد للإشارة لموضوع هام، وإن كان قد
وقع بعد الفترة الزمنية التي يتناولها هذا المطلب¹⁴⁶. وهو
لماذا كانت الإمارة الإسلامية في أفغانستان هي الدولة
الوحيدة التي اعترفت بجمهورية اشكيرية الشيشانية؟ إجابة

¹⁴⁵ الشيشان- السياسة والواقع- الفصل التاسع: الجهاد في الشيشان ص: 107 و
108. ذكر أناتول ليفين أن الشعوب القوقازية المسلمة كانت سلبية في مواقفها من
العدوان الروسي على الشيشان في الحرب الأولى، ولم تتعد هذه المواقف
التظاهرات، ومشاركة بعض عشرات من الداغستانيين من أصول شيشانية، وبعض
عشرات من العرب، منهم خطاب ~، وأنه صادف مرة أربعة من العرب، وهذا كل ما
في الأمر!! ثم أسهب بتطويل واضح في شرح أسباب هذه السلبية، مرجعاً إياها
لل فروق العديدة بين الشيشانيين والشعوب القوقازية الأخرى.

[Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 84& 97& 98& 101.]

وواضح أن شهادته غير واقعية ولا صحيحة، ولا ترقى للصدود أمام شهادة رجل
الأحداث ومعاصرها الشيخ الرئيس زليم خان يندربي ~، الذي أطمئن لشهادته،
لصدقه ولمعاينته للأحداث عن قرب ولأنه من نفس القوم والبلاد، ولأن الأحداث
تطابقها. بل إن شهادة أناتول ليفين تناقض أيضاً شهادة العديد من أنصار الجهاد من
العرب وغيرهم، الذين وثقوا وسجلوا مشاركة المئات من أنصار الجهاد للشيشانيين
في جهادهم. وأنا بنفسني شاهد عيان -أثناء وجودي في داغستان- على مشاركة
أعداد كبيرة من الداغستانيين في القتال في الحرب الأولى وفي الدعم الإداري أثناء
الحرب وبعدها.

¹⁴⁶ المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز المسلم.

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الرابع: المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم

على هذا السؤال أورد هنا ما قاله الشيخ الرئيس زليم خان يندربي ~، فقد كان -بالإضافة لمنصبه القيادي الرفيع في جمهورية اشكيرية الشيشانية- رئيس الوفد الشيشاني الذي وقع الاتفاقية في قندهار.

يقول الشيخ الرئيس زليم خان يندربي ~:

"واعتراف أفغانستان بالجمهورية الشيشانية في اشكيرية قد سبب انزعاجاً كبيراً في الغرب، وإن تصرفات روسيا والقوى الغربية المماثلة بالنسبة لإعادة تأسيس علاقات رسمية وودية بين دولتين إسلاميتين مبني على المصالح المشتركة والفهم وهذا فقط يعطي التأييد للفرض هنا، بأن الدول المسيحية تشترك في استراتيجيات مشتركة بخصوص استقلال الشيشان، فحقاً إنها تؤيد وجهة نظرنا القائلة أنها أي القوى الغربية وروسيا تشتركان في استراتيجيات واحدة تجاه العالم الإسلامي بوجه عام، ويمكننا رؤية هذا في العداوة المباشرة التي تظهر تجاه أي علاقة للوحدة الإسلامية في قضية مشتركة، فالتحالفات الحكومية في معارضة الغرب وآلياته، وهو ما حدث نتيجة للمعاهدة بين الشيشان والأفغان وسوف تجلب استجابات خشنة سريعة، وبمجرد أن كونت جمهورية الشيشان وأفغانستان تحالفهما تم اتخاذ الإجراءات ضد هذا التحالف وضد أي شخص يفكر في التصرف بنفس الأسلوب، وأوضحت واشنطنون أن أي دولة تعترف بالجمهورية الشيشانية سوف تتعرض لاستيائها، إضافة لذلك فقد تم إرسال وفود من الولايات المتحدة نفسها والنايو والأمم المتحدة إلى الدول الإسلامية لتوضيح أن الحركة الأفغانية

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس:
داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب

غير مقبولة، ولا يجب أن تعامل على أنها قدوة
سابقة.

فالمثال المذكور عاليه مثال يوضح بشكل
إضافي الطريقة التي تعمل بها الدول المسيحية
الاستعمارية الجديدة التي تقود العالم، فهي
باستمرار تسعى إلى اعتراض طريق وإضعاف أي
شخص يحكمون عليه بأنه خصم لهم ذو مقدرة،
وكما رأينا أن القانون الدولي المزعوم قد تم
وضعه عن قصد ليكون في خدمة هذا النهج،
فوظيفته هي تقديم شرعية باطلة وتبرير مزيف
لكل ما يرغب الأقوياء عمله لصالحهم فقط،
فالهدف المطلق المنشود هو تأسيس نظام عالمي
يخدم هذه المصالح دون اعتراض، وهذا النظام
بالطبع سيكون على حساب الأغلبية العظمى من
الذين يسكنون هذا الكوكب بما في ذلك هؤلاء
الذين أخضعوا أنفسهم وأذعنوا لمبادئ
الديمقراطية الغربية المزعومة وسوف يزداد
انقسام العالم إلى معسكرين مسيحي وغير
مسيحي كلما تقدمت هذه العملية"¹⁴⁷.

ب- الإباء والاعتزاز بالنفس:

من الميزات المعروفة للشعب الشيشاني عزته واعتداده
الشديد بالنفس، ومن الأمثلة على ذلك موقف الرئيس زليم
خان بندربي ~ المشهور مع الرئيس الروسي بوريس يلتسين
أثناء التفاوض معه في مايو 1996 في موسكو، إذ عندما حضر
الوفد الشيشاني أمر يلتسين الشيخ زليم خان بغطرسة أن
يجلس إلى جانبه، فرد عليه بحزم أنه كرئيس وفد لدولة
مستقلة، فإنه لن يجلس إلا في مواجهته، وإلا فلا داعي

¹⁴⁷ الشيشان- السياسة والواقع- الفصل الخامس: المجتمع الدولي والقانون ص: 56

المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الرابع: المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم للمفاوضات، وبعد دقائق من التردد تراجع يلتسين أمام الإعلام وقبل بشرط زليم خان¹⁴⁸.

ج- العناد المفرط في المقاومة.

وعن هذا العناد يقول أناتول ليفين:

"من السمات البارزة في حروب شاميل، والتي تكررت أيضاً في أيامنا¹⁴⁹، ذلك العناد المفرط في المقاومة، وفوق كل شيء، هذه القدرة المدهشة للإفاقة من الهزائم، التي قد تبدو ساحقةً.

.....

فمرتان يظن الروس أنهم قد حازوا النصر النهائي: في 1832 قتل ملا غازي، لما انقض الروس على جيمري في داغستان، ولكن شاميل الذي نجا بمعجزة رغم جرحه البالغ، كان هو نفسه من نُصِبَ إماماً في 1834، ثم في 1839 اقتحم الروس معقله في أخولجو، واكتسحوا العديد من أقرب أتباعه، ولكن شاميل هرب مرة أخرى مجروحاً وعلى ظهره ابنه الأصغر، فقد سُلم الأكبر للروس كرهينة، ومرة أخرى احتشد أتباعه، واستأنفوا القتال¹⁵⁰.

وهذا المثال ما هو إلا حدث من سلسلة طويلة من أمثلة شجاعة هذا الإمام ~ الذي أحسب أنه سيظل في قلوب المسلمين -إلى ما شاء- الله رمزاً للثبات والرباط والجهاد حتى آخر رمق- في سبيل الله.

¹⁴⁸ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 69.

¹⁴⁹ يقصد في الحرب الشيشانية الروسية ما بين عامي 1994م و 1996م.

¹⁵⁰ Chechnya- Tombstone of Russian Power p: 308.

الفصل الخامس: داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب/
المطلب الثاني: تأملات في أحوال السجن

المطلب الثاني: تأملات في أحوال السجن

□ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي
مِنَ السَّجْنِ □
□ رَبِّ يَا نِعْمَتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ
ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ □

كما ذكرت من قبل فقد قبض علينا في مدينة دربند، وحولنا لقيادة حرس الحدود الروسي في داغستان، حيث فتح لنا ملف اتهام رسمي، وبدأ التحقيق معنا قانونياً، ووجهت لنا تهمة دخول أراضي روسيا الاتحادية بدون تأشيرة. وكان هذا أول احتكاك لي بالجيش الروسي من داخله، ولشدة ما كان ألمي وأنا أرى ضباطاً بأسماء إسلامية، وهم يحققون معنا، فإن ترى الحقيقة بأمر عينيك ليس كأن تسمع بها،

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
وقد أكد لي هذا أن أخطر أعدائنا هم العملاء الداخليين
وأعدوان الباطل وجنوده، الذين يتسمون بأسمائنا ويتكلمون
بالسنننا، فهم المخلب والناب والقدم الساعية واليد الباطشة،
التي يقهرنا بها أعداؤنا، سواء كانوا ضباطاً في الجيش
الروسي أو في مباحث أمن الدولة المصرية.
وكنت كثيراً ما أفكر في أحوال الشعوب التي قهرها
الروس، وكيف أفسدوا عليها دينها وديناها وعقائدها ونظامها
الاجتماعي، وخرجت بعدها مسخاً مشوهاً، تحن للإسلام،
وتحنني تحت ثقل القهر الروسي. وكنت أدرك أن المنطقة
برمتها تمر بحالة من الفوضى والبحث عن الذات والمصير
والهوية، ولذا كنت -وما زلت- أدرك عظمة الجهاد الشيشاني،
الذي بعث الحياة في القوقاز المسلم من وسط كل هذا
الركام.

وكان المعتقل بائساً جداً، فقد كان عبارة عن حاوية بضائع
حولت لزنزانتين، وكنا شيئاً عجيباً في المعسكر، وكانوا
ينظرون إلينا كأعداء، ولكن مع بعض التعاطف وخاصة من
الضباط المسلمين، الذين كانوا حريصين على أن يظهر وأنهم
لا يعادون أحداً من أجل دينه، ولكننا في النهاية أعداؤهم. ولم
تخل هذه المرحلة من نسمات من الرحمة الإلهية، فقد كان
معظم المعتقلين معنا متعاطفين جداً، وكانت قضاياهم
معظمها قضايا تهريب بسيطة من سكان المناطق الحدودية.
وقد نصحونا نصائح قانونية مفيدة، وحاول بعضهم أن يتوسط
بيننا وبين الضابط المسؤول عن قسم التحقيق، لحل قضيتنا
بالرشوة، على أساس أن تتنازل له عن المبلغ الذي معنا، وفي
المقابل يكتفي بطردنا من البلاد، وأبدينا قبولنا للعرض، ولكن
قضيتنا كانت قد تضخمت، وذكرها تلفاز العاصمة في أخباره،
وحولت لوزارة الأمن.

وفي تلك الفترة حرصنا على دعوة المعتقلين معنا للصلاة،
وتعليمهم بعض قصار السور، واكتشفنا أن الكثيرين منهم
مسلمون بالاسم فقط، ولا يحسنون حتى قراءة الفاتحة.

الفصل الخامس: داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب/
المطلب الثاني: تأملات في أحوال السجن
وبدأنا التواصل مع ذلك العالم المجهول الذي لا نعرف لغته
ولا عاداته وعملياً لا شيء عنه. وفيما عدا تعاطف المعتقلين
كنا مع إدارة المعسكر -كما قال طارق بن زياد ~ لجنوده-
"كالأيتام في مأدبة اللئام".

واكتشفنا أن سلعاً كثيرة معروضة للبيع، فقد كان الجنود
الروس يسألوننا: هل معكم دولارات، هل تريدون خمرًا؟ هل
تريدون سجائر؟ التي كانوا يبيعونها بكثرة لغيرنا من
المعتقلين، وفي مرة أصيب أحدنا بمغص حاد، فجاءنا الطبيب
الضابط ومعه جندي ممرض، وأعطى المريض حقنة، وفي
أثناء ذلك انشغل المعتقلون بشراء المسكنات والمهدئات من
الممرض بمنتهى البساطة.

المهم حولنا للعاصمة محج قلعة، وأدخلنا السجن المركزي،
وعوملنا كمعتقلين عاديين، وكان هذا -رغم البؤس الذي كنا
فيه- يسعدني ويطمئني، فقد كنت سعيداً بأن القضية تتطور
جنائياً بالإجراءات العادية -حتى ولو كانت بائسة- بعيداً عن
الخط الأمني، وهكذا وجدنا أنفسنا في بحر العالم السفلي
لداغستان مع اللصوص والقتلة والمحتالين وما أدراك!
وأدخلنا لقسم المعتقلين الجدد، ويسمى بالروسي
(كرتين)، وهو يقابل (الإيراد) في السجون المصرية. وكانت
به عدة زنازين، أدخلونا آخرها، فوجدناها غرفة مستطيلة
طولها قرابة عشرة أمتار، وعرضها خمسة. وفيها على يسار
الداخل دكة خشبية ترتفع عن الأرض قرابة متر، وتتكوم تحتها
القمامة، وتمرح أسفلها الفئران، وتمتد بطول الغرفة،
وعرضها قرابة مترين، وهي السرير الجماعي لنزلاتها، الذين
كانوا قرابة خمسة عشر نزيلًا، واستقبلونا استقبالاً ودوداً،
وزاد إكرامهم لنا لما علموا أننا عرب، ولأن الدكة كانت
مملوءة تماماً فقد كان مكاننا في آخرها، وكان مكاناً بيئساً،
فقد كنا قرب نافذة الغرفة الضخمة، وكان زجاجها مكسوراً،
يقذف علينا بزهرير الشتاء في ديسمبر في داغستان. ولم

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
يكن معنا إلا شال من الصوف، اتخذناه كلنا فراشاً، وبطانية
تعطف بها علينا المساجين اتخذناها غطاءً.

وكان في ركن الغرفة صنوبر وحوض، وبجوارهما خلاء له
سور غير كامل ارتفاعه قرابة المتر، وقد أكمل المساجين
تغطيته بالخيوط وأكياس البلاستيك، ولم يكن مرحاضاً في
الحقيقة، ولكنه كان فتحة في ماسورة التصريف الممتدة من
الدور الأعلى، وكان عليك أن تقفز بسرعة خارج الخلاء إذا
سمعت صوت الماء يتدفق من مرحاض الدور الأعلى، وإلا
لغرقت في الماء المنصب عليك بكل ما تكره.
وفيما عدا هذه الأحوال فقد كان الجو ودوداً جداً ومرحاً
جداً، ولم يتوان المساجين في تقديم ما يستطيعون تقديمه
من طعامهم من خبز وشاي وزيد، الذي لا يعرف قيمته إلا من
يضطر لتناول طعام السجن في هذا الصقيع.

ولما جاء وقت الصلاة أذنا وأقمنا الصلاة، وبدأنا في دعوة
المساجين للصلاة، واستجاب بعضهم، واعتذر الباقين بأعذار
مختلفة، ولكنهم كانوا ودودين ومتعاطفين.
واكتشفنا شبكة اتصالات السجن، فقد كان المساجين في
كل السجن مرتبطين بعضهم ببعض، وفوراً تم توزيع خبر
وصول عرب للسجن.

وفي اليوم التالي أخبرني المساجين بلغة -معظمها
بالإشارة- أن في الدور العلوي سجين روسي كان يعمل
موظفاً في بنك، ويعرف الإنجليزية، وبمكنتني أن أرسل له
رسالة أشرح له فيها قصتنا، وبالفعل كتبت له رسالة أننا تجار
دخلنا بدون تأشيرة، فجاءتني منه استشارة قانونية ملخصها:
أن قضيتنا سهلة، ولكن علينا بأمرين الأول أن نتصل بسفارتنا،
والثانية ألا نتكلم في قضيتنا مع أحد، فالسجن مليء بعملاء
المخابرات.

واستمررنا عدة أيام في هذه الزنزانة الثلاثية، في هذا الجو
الودود المتعاطف، وبدأ المساجين يسألوننا أن نكتب لهم

الفصل الخامس: داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب/
المطلب الثاني: تأملات في أحوال السجن
أدعية، فنكتبها لهم بالعربية، وهم يكتبونها -كما تنطق- دون أن
يعرفوا معناها بالروسية.
قال ابن القيم ~:

"القواطع محن يتبين بها الصادق من الكاذب،
فإذا خضتها انقلبت أعواناً لك، توصلك إلى
المقصود"¹⁵¹

ثم أخرجونا في أحد الأيام، وأخذونا لغرفة في السجن،
وصورنا من الأمام والجنب، وأخذوا بصماتنا، ثم أرجعونا،
وأسقط في أيدينا، وقلت للإخوة، إننا أجنب، وفي الغالب
سيرسلون بصورنا وبصماتنا للبوليس الدولي (الإنتربول)،
وسيكتشف أمرى، لأن صوري وبصماتي لدى الشرطة
الدولية، وقلت لإخواني: علينا بالاستغاثة والدعاء، فقد
انقطعت الأسباب، ولم يبق إلا الرب الأسباب. □ أَمَّنْ يُجِيبُ
الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْثِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلِلَّهِ
مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ □.

وقد كان هذا درساً عملياً لنا في التوكل على الله، وكشفاً
لنا عن وهم قوة كلما دونه، فها هي روسيا القوة العظمى،
التي يرتعب الناس من مجرد ذكر اسم مخابراتها، التي تزعم
أنها تحصى على الخلق أنفاسهم، والتي كم قتلت في الغرب
من معاد لها، نيمكت في قعر سجنها ستة أشهر، دون أن تدري
عنا شيئاً. □ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ □.

وبعد أيام أخذونا لإدارة السجن ليوزعونا على زنازين
السكنى، وسلموا كلاً منا بطانية شفاقة من الاهتراء ووسادة
ومرتبة نحيفتان وكوب وملعقة، وأخذونا للزنازة رقم (71)،
التي لا تغيب عن ذاكراتي، فقد أمضينا فيها بقية أشهر السجن
الستة حتى خرجنا برحمة الله وفضله.

¹⁵¹ الفوائد ج: 1 ص: 46.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
ولما فتح الحارس لنا بابها كانت مفاجأة، فقد كانت زنزانه
دافئة أرضيتها من الخشب، جيدة الإضاءة، فيها نافذتان
واسعتان، وفي وسطها منضدة من الخشب على جانبيها
دكتان ضيقتان، مثبتون في الأرض، وفي ركنها صنوبر وحوض
وخلاء له سور غير كامل ارتفاعه قرابة متر، وأهل الزنزانه
ملابسهم نظيفة ووجوههم نظيفة، وواضح أنهم مستقرون
وأموارهم مرتبة، وكان طولها قرابة ثمانية أمتار، وعرضها
قرابة ستة، وبها حوالي عشرين سجيناً، ينامون على أسرة من
دورين أو ثلاثة على جانبي الغرفة.
وفور دخولنا، صحت فيهم مرحاً ملوحاً بيدي: السلام
عليكم، وردوا السلام، وفوراً تقدموا وأجلسونا، وفوجئوا بأننا
عرب، وبدأوا في إعداد الشاي كعادتهم في استقبال كل
سجين جديد.

وعرفنا بعد ذلك السر في نظافة السجناء وملابسهم،
فمعظم المساجين يرسل لهم أهلهم بالملابس والأطعمة
والصابون، والتي بدونها تصبح الحياة في السجن شاقة، فقد
كانوا يقدمون للمساجين خبزاً وشاياً وسكراً ووجبتين
ساخنتين في الصباح والظهر من بقول أو حبوب، لا أعرفها،
تصيب البطن بانتفاخ عجيب، وقد يضيفون إليها في الظهر
بطاطس مهروسة، يسعد بها المساجين، أو حساء يزعمون أنه
لدجاج أو سمك، لا يحتوي منهما إلا على بقايا كبقايا دار أم
أوفى التي قال فيها زهير بن أبي سلمة:

دِيَارُ لَهَا بِالرَّفَمَتَيْنِ كَاتَهَا مَرَا جِئُوعٌ وَسُمٌّ فِي تَوَائِبِرِ

مِعْصَمٍ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً
فَلَأَيَّ عَرَفْتُ الدَّارَ

بَعْدَ تَوَهُّمٍ
فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا:
أَلَا أُنْعِمُ صَبَاحاً أَيُّهَا

الرَّبْعُ وَاسْلَمَ¹⁵²

¹⁵² جمهرة أشعار العرب ص: 157.

الفصل الخامس: داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب/

المطلب الثاني: تأملات في أحوال السجن

ولما حان وقت صلاة المغرب، وقف أحداً في وسط الغرفة، وأذن لصلاة المغرب، وكأنما سرى تيار من الكهرباء مع -صوت الأذان المجلجل- في انتباه سكان الغرفة، ولما هممنا بفرش شيء على الأرض لنصلي عليه سرت حركة غريبة في الغرفة.

وأسرع إلينا بعضهم، وقالوا لنا إن هذه الأرض غير نظيفة، فلا تصلوا عليها، ولكن تعالوا صلوا فوق أسرتنا العلوية، ونحن أيضاً نصلي، وصلينا معهم، وقدموني إماماً، ولم يكونوا يصلون جماعة من قبل.

وسرت حركة غريبة في الغرفة، فقد أعاد المساجين الذين صلينا على أسرتهم -وكانوا يعتبرون زعماء الغرفة- ترتيب الغرفة، بحيث جمعوا من يرغبون في صلاة الجماعة كلهم بجانب بعضهم، وأبعدوا الآخرين لأسرة أخرى.

ومن وقتها واطبنا -بفضل الله- على الصلوات الخمس جماعة في الغرفة. وأخذنا في دعوة الذين لا يصلون، حتى كان كل سكان الغرفة -إلا واحداً أو اثنين- يواظبون على الصلاة معنا بفضل الله ومنته، وهكذا فُتحت لنا قلوبهم بالأذان. واكتشفنا مدى شوق أهل القوقاز للعودة للإسلام، ومدى قدره في قلوبهم. واكتشفنا أيضاً مدى تقديرهم لصفات الكرم والسماحة والشجاعة والمروءة، ومدى ولعهم بالرياضة وخاصة ألعاب القوة وبالأخص المصارعة.

وكانت مرحلة السجن أيضاً مرحلة تربية على أساليب الدعوة، وخاصة على أساليب دعوة عامة الناس، التي قد لا يمارسها المجاهدون إلا قليلاً، ولكنها عنصر هام وأساسي في حشد الجماهير في أي ميدان للقتال الشعبي الجماهيري. وقد مرت بي في هذه الزنزانة عدة أحداث طريفة في مجال الدعوة، فأذكر مثلاً أنني كنت إمام الغرفة، وفي مرة أتاني رجل يعد زعيم الغرفة، وهو متهم بجريمة قتل، وكان رجل أعمال خارج السجن، وسافر لبلاد عديدة، وأدى فريضة

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان الحج، وكان شديد الذكاء، ويكن لنا احتراماً كبيراً، أتاني ذلك الرجل وسألني: لماذا لا تسبح بعد الصلاة؟ فقلت له: إني أسبح ولكن في سري. قال: ولكن إمام المسجد في قرينتنا يسبح جهراً، حتى نسبح وراءه، فعليك أن تسبح جهراً، حتى نسبح وراءك.

ووجدت أنه من العيب أن أشرح له أنها بدعة، لأنني أتفاهم معه بصعوبة، ولأنه لن يفهم ما هي البدعة أصلاً، والأخطر أنه قد يتهمني بأني وهابي، وإذا اتهمك أحد بأنك وهابي، فعليك وعلى علاقتك به وعلى كل توجيه يصدر منك السلام، وبلا نقاش، وإذا اتهمت بأني وهابي، فلن أكون إمام الغرفة، ولن تكون هناك صلاة جماعة، وسينفرط هذا الجمع المبارك، ويضيع مجهودنا. فقلت في نفسي اليوم يصلون الفريضة، وغداً يتعلمون السنة، ولا بأس.

فقلت له: خيراً، أسبح جهراً. ثم استمر في أسئلته، فقال: ولماذا لا تقرأ آية الكرسي جهراً؟ فقلت له: إني أقرأها سراً. فقال: لا، بل تقرأها جهراً، كما يفعل إمام مسجدنا، لأننا لا نستطيع قراءتها. فقلت له: خيراً، أقرأها جهراً. فقال: ولماذا لا تدعو بعد الصلاة جهراً؟ فقلت له: إني أدعو سراً. فقال: لا، بل تدعو جهراً، كما يفعل إمام مسجدنا، حتى نؤمن على دعائك. فقلت له: خيراً، أدعو جهراً. فوافقته على كل ما طلب، ونويت بذلك تأليف قلوبهم، وجمعهم على صلاة الجماعة، وكنت أدعو لنصر الإسلام والمجاهدين، وهم يؤمنون خاشعين على ما لا يفهمون، وأتبرك بتأمينهم الخاشع على دعائي، وأرجو أن يكون سبباً لقبوله.

قال ابن القيم ~:

"من فقد أنسه بالله بين الناس ووجده في الوحدة فهو صادق ضعيف، ومن وجده بين الناس وفقده في الخلوة فهو معلول، ومن فقده بين الناس وفي الخلوة فهو ميت مطرود، ومن وجده

الفصل الخامس: داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب/
المطلب الثاني: تأملات في أحوال السجن
في الخلوة وفي الناس فهو المحب الصادق القوي
في حاله.

ومن كان فتحه في الخلوة لم يكن مزيده إلا
منها، ومن كان فتحه بين الناس ونصحهم
وإرشادهم كان مزيده معهم، ومن كان فتحه في
وقوفه مع مراد الله -حيث أقامه وفي أي شيء
استعمله- كان مزيده في خلوته ومع الناس،
فأشرف الأحوال أن لا تختار لنفسك حالة سوى ما
يختاره لك، ويقمك فيه، فكن مع مراده منك، ولا
تكن مع مرادك منه "153

وأذكر مرة أن أحد المساجين وكان كبيراً في السن، وتهتمته
أنه -وهو سائق سيارة ركاب- كان طرفاً في حادث سير، أدى
لمقتل العديد من الناس، ولا يفقه من الدين إلا ما نشأ عليه.
أقول جاءني ذلك الرجل، وقال لي: إن اليوم هو الذكرى
السنوية لوفاة أمي، وأنا قبل السجن كنت كل سنة أذبح قرباناً
في ذلك اليوم، وأصنع طعاماً، وأدعو المشايخ ليقروا سورة
(يس) وينشدوا المولد، وأهدي ثواب هذا لروح أمي، وأنا الآن
في السجن، فأرجو منك أن تتكرم علي بأن نجتمع اليوم بعد
المغرب، وتقرأ سورة (يس)، وتدعو لأمي.
فتحيرت بماذا أجيبه؟ لو قلت له لن أفعل هذا لأنها بدعة،
فلن يتفهم، ولن يتقبل ما أقوله، وسيظن أنني متعال عليه
ومتكبر، ولا أحترم مشاعره، فلماذا لا أدعو لأمه بالرحمة؟ هذا
إن لم يصمني بأني وهابي.

فاهتديت إلى حيلة لدعوته، فقلت له: خيراً بعد صلاة
المغرب إن شاء الله. وبعد صلاة المغرب، أخذت في ختام
الصلاة، فقال لي: ألا تقول لأهل الغرفة حتى نجتمع؟ فقلت
له: اصبر. وبعد أن أنهيت الأذكار وصلاة النفل قلت له: ادع
من تحب. فجمع حوالي أربعة من أهل الغرفة، فجلست

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان معهم، وقرأت سورة (يس) وسوراً قصاراً، ودعوت لأمه ولنا وللمسلمين. ولما انتهيت كان في غاية السعادة، وشكرني شكراً جزيلاً، وأخبرني بأنني قد أسديت له معروفاً عظيماً، فقلت له: ولكنني أريد أن أوضح لك شيئاً هاماً، وهو أن أمك لها عليك حق عظيم، وتخصيصة ليوم في السنة لتدعو لها تقصير منك في حقها، بل عليك أن تدعو لها كل يوم. فأقر طائعا، فزدته بأن عليك ألا تخصص يوماً في السنة للدعاء لها، فهذا لا يجوز، بل يجب عليك أن تدعو وتستغفر لها كل يوم، فقبل مسروراً راضياً.

وبعد عدة أشهر من مواظبتنا على الأذان وصلاة الجماعة بدأنا نسمع الأذان من زنازين آخر، فتفاءلنا أن هذا قد يكون ببركة إحيائنا لسنة الأذان والجماعة في زنرانتنا، ولكن الأمر زاد عن حده، فبدأنا نسمع من زنزانة في نفس عنبرنا، تبعد بحوالي زنزانة أو زنرانتين منا، أصوات ذكر قوي صادر من حضرة صوفية على طريقة أهل القوقاز. ولما سألنا عن السبب علمنا أن في الزنزانة رجل صوفي يعقد الحضرة دورياً، فحمدنا الله أنه ليس في زنرانتنا، وإلا كنا لن نستطيع مجاراته، ولربما تسبب ذلك في مشاكل.

وكان في السجن نزيل في غاية الذكاء، متهم في جريمة خطف، ولم يكن نزيلاً عادياً، بل كان ذا عقلية قيادية، وكان متعلماً ودرس في كلية طب الأسنان، وأحياناً ينادونه بالدكتور، وكان يبدو أنه زعيم لعصابة، حتى في الزنزانة كانت له مجموعته الخاصة، وكان مصاباً بشلل في ساقه، ويتوكأ على عصا، وكان يقول لي بمكر: أنا عاجز وضعيف. فأقول له: إن قوة المرء في قلبه وعقله، وليست في جسده. فينظر لي ويتنسم بمكر، وكنت أقول له: هل تعرف عمر المختار؟ فيجيب: نعم، لقد رأيت فيلماً مترجماً عنه. فقد كان التلفاز يعرض أفلاماً عربية مترجمة للروسية. فأقول له: لقد ظل يقاتل الإيطاليين، حتى بلغ تسعين عاماً عندما قبضوا عليه وشنقوه. ودعوناه مراراً للصلاة، فكان يتعلل ويسوف، ولكنه

الفصل الخامس: داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب/

المطلب الثاني: تأملات في أحوال السجن

كان ودوداً مرحاً، وفي مرة جلينا للزنزانة عدداً من المصاحف ومعها ترجمة للمعاني بالروسية، ولما هرع لينظر فيها، نهره أحدهم، وقال له: ما شأنك بالمصاحف؟ أنت لا تصلي. فشعر بأن كبريائه قد جرح، وتولى حزينا، وفي يوم سألته: لماذا لا تقرأ في المصحف المترجم؟ فقال: أنا لا أريد. فسألته:

لماذا؟ قال: لأن فلاناً قال: ما شأنك أنت والمصحف؟ فقلت له: إن هذه المصاحف ملك لله، وليست ملكاً لأحد. فسر جداً وقال: حقيقة؟ ليست ملكاً لأحد. قلت: طبعاً. قال: هل أخذ مصحفاً؟ قلت: طبعاً. فأخذه مسروراً. ثم بعد فترة

استدعاني، وقال لي أريدك أن تعلمني الحروف العربية، فأجبت، وكنت أجالسه بالساعة والساعتين حتى يكل، وهو يكتب رسمها العربي ونطقها بالروسية، ولما أتممت تعليمه كل الحروف، ظل ليلة بأكملها ساهراً - وكان لا ينام عادة في الليل- يحفظ الحروف العربية.

ولما أتم حفظها، قال لي: تعال، وانظر إلي وأنا أتوضأ. فوقف معي، فتوضأ وضوءاً صحيحاً، ثم قال لي: أريدك أن تعلمني سورة (يس)، فكنت أجلس معه جلسات عديدة، وهو يردد خلفي حرفاً حرفاً بصعوبة، حتى يكل، فنكتفي، ثم نعاود في يوم آخر، حتى أتم قراءة (يس)، وصار يقرأها وحده، كل هذا وهو لا يصلي معنا، وكنت أقول لعل الله أن يهديه بحبه للقرآن. وفي يوم كان نائماً في الضحى، وجاء ضابط مسؤول عن متابعة قضايا المساجين، فنادى عليه، فقال: قم جاك الأمر بالإفراج. فرد عليه صاحب القصة: اذهب عني، وكف

عن هذا المزاج الثقيل. فقال له الضابط: هل أنت رجل؟ فأجابني: طبعاً رجل. فقال له الضابط: وهل إذا كان ما أقوله صحيحاً فلي عندك جائزة؟ قال: طبعاً. قال فتعال وانظر. هذا أمر الإفراج. فمشى يتوكأ على عصاه لباب الزنزانة، ونظر من فتحتها، وهو لا يكاد يصدق، فقد كان قد تقدم بطلب للإفراج عنه لعجزه الصحي، ومر عليه وقت، ولم يأت رداً. فذهبت إليه،

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان وهنأتة، وعندما حزم أمتعتة، وجاء يودعني، قال لي: أريد منك طلباً، قلت: ماذا؟ قال: أريد أن آخذ هذا المصحف معي، قلت: هو لك. ولم تكن سعادته بأخذه أكثر من سعادتي بإعطائه.

أما عن أحوالنا المعيشية في السجن فكانت في الفترة الأولى صعبة، فلم نكن نملك من ملابس إلا ما نرتديه، وهي الملابس التي ظللنا نلبسها عدة أشهر، ولم يكن لدينا صابون، إلا قطع من الصابون توزعها إدارة السجن لكل نزلاء الغرفة، وكان البرد قارساً، وغطاؤنا قليل، وليس لنا إلا طعام السجن، وكان زملاؤنا في الغرفة يتحفوننا بشيء مما يصل لهم من أهلهم من طعام وأحياناً ملابس، وكان عدد منهم يقاسمنا طعامه، بل إن أحدهم كان يترك ما يأتيه من بيته لنا، لتتصرف فيه كيف نشاء. وبعد هذه الفترة الصعبة بدأت إمدادات الإخوة تصلنا، فوصلتنا الأغذية والملابس الشتوية والأطعمة والأدوية، وكانت هذه بوادر الفرج بفضل الله ونعمته.

ومن الجدير بالذكر أن المجتمع الداغستاني مجتمع متكافل، يربط أفراده روابط الأسرة والعشيرة والقومية، ولذلك يحرص أهالي المساجين على كفالتهم ومعونتهم. وعلى العكس من ذلك كان حال الروس في السجن، فقد كان رافقنا في الزنزانة أربعة من الروس لفترات مختلفة، وكانت حالتهم بائسة، ويعيشون على إعانات زملائهم، وكان أحدهم قد تخلى السبعين، وقد ضعف بصره، ووهنت قوته، وكان متهماً بقتل ابنته، وكنا نعينه مع الآخرين بما يصلنا من طعام. وكان ناقماً على الحكومة الروسية، التي قاتل في جيشها في الحرب العالمية الثانية، ومنحته وساماً، ثم الآن تتركه ضائعاً في شيخوخته.

وداغستان يبلغ تعداد شعبها أكثر من مليونين بقليل، ولكن تنقسم إلى أكثر من ثلاثين قومية، لكل قومية لغتها المستقلة، وأحياناً تتعدد اللهجات داخل القومية الواحدة، وأكثر القوميات هي الأور، وهم قوم الإمام شاميل ~، وهم يفخرون بذلك، وأحياناً ينسبون أنفسهم له، فيقول أحدهم عن نفسه أنه

الفصل الخامس: داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب/
المطلب الثاني: تأملات في أحوال السجن
(شاميلسكي) بالروسية أي شاميلي، ويمثلون حوالي ثلاثين
بالمائة من سكان داغستان، يليهم الدرجين.
وقد أصبح الإمام شاميل ~ بطلاً قومياً لكل أهل داغستان،
بل لكل مسلمي القوقاز، ولكن المعنى القومي لبطولة الإمام
شاميل ~ يختلط مع المعنى الجهادي، والحكومة الموالية
لموسكو تحرص على احترام الإمام شاميل ~ كبطل قومي،
قاد ثورة تحرر ضد القياصرة، وهذا انتقاص من قدر الإمام
شاميل العظيم ~، فالإمام شاميل ~، هاجر من وطنه
داغستان، وقاد الشيشانيين تحت راية الجهاد، وأنشأ إمارة
إسلامية لغتها الرسمية هي اللغة العربية، تدافع عن كل
القوقاز المسلم، فهو أبعد ما يكون عن المعنى القومي،
الذي تسعى حكومة داغستان لحصره فيه، احتواءً للشعور
التحرري للداغستانيين بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، حتى
أنهم غيروا اسم أكبر شارع في محج قلعه من (كارل
ماركس) إلى (الإمام شاميل) ~ .
ومن الطرائف التي رأيتها في هذا الشأن؛ أنني في مرة
استدعيت لوزارة الاستخبارات، ولما أدخلوني المبنى،
وضعوني في غرفة صغيرة للانتظار، وكان يبدو أنها غرفة
لحارس مناوب، إذ كان فيها سرير صغير، ولما أغلقوا علي
الباب، وجدت على الباب من الداخل صورة للإمام شاميل ~،
وهو ممتط جواده، وممتشق لسلاحه، فادركت أن الإمام
شاميل ~ لا يزال يقاتل الروس حتى اليوم وفي عمق أقوى
حصونهم وزارة الاستخبارات. رغم أنني أثناء التحقيق معنا
في الاستخبارات رأيت في أكثر من مكتب صورة للينين،
فقلت لعلهم من الضباط الشيوعيين. ولكن الفارق بين
الصورتين كان واضحاً، فصورة لينين لا تضر من يضعها،
وصورة لينين رمز للعهد البائد المنهزم، أما صورة الإمام
شاميل ~، التي أخفاها واضعها خلف الباب، فهي صورة
المقاومة المتجددة المنتصرة بإذن الله.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان وكنا نلمس الأثر العميق للقومية في الزنزانة، فما أن يدخل سجين جديد حتى ينضم فوراً لأهل قوميته.

والحكومة الروسية تلعب على وتر تفريق القوميات، وعلى وتر قضية الوهابية، فلا تكل الإذاعة الداغستانية عن الترويج عما تزعمه من شنائع الوهابية، وتلصق بهم كل قبيحة، ويردد هذا الكذب علماء الدولة. الذين يستغلون جهل العامة بالإسلام.

ويزعمون أن المجاهدين في الشيشان وأنصارهم من الوهابيين، الذين يعملون كمرتزقة من أجل نشر الإرهاب إلى آخر هذه الأكاذيب.

ومما يساعد على نشر هذه الدعايات سوء تصرف بعض السلفيين، وانشغالهم بمسائل البدع ومحاربة الصوفية، وتركهم للتصدي للاحتلال الروسي لبلادهم، وتركهم للدعوة لتطبيق الشريعة، وعدم انشغالهم بالدعوة وسط الشباب في المدارس والجامعات. وانحصار دعوتهم في أهل مناطقهم، وصراعهم العنيف مع الصوفية، الذي وصل لحد القتال. كما وجدت في بعضهم تهجماً على مذهب الإمام الشافعي ~، حتى أن شاباً متحمساً منهم كان يشير إلى المنكرات التي تحدث في الموالد، ويقول لي هؤلاء هم الشافعية، فنهرته عن ذلك، وقلت له هذا كذب على الشافعية، ومذهب الشافعي من أعظم مذاهب الإسلام، فلم يقبل مني، وقال لي: أنت لا تعرف شيئاً.

ومع انهيار الاتحاد السوفيتي انتشر الانهيار الاجتماعي لكل دوله، ومنها داغستان، فانتشرت فيها تجارة الخمر والجريمة المنظمة وتجارة الفاحشة، وأصبح الناس في صراع بين النهم الاستهلاكي وانهيار الرواتب، فأصبحت الرشوة هي القانون. وامتدت الرشوة للشرطة والاستخبارات والقضاء، وأصبح لكل قضية ثمن، ومن يدفع تدبر له المخارج، ومن لا يدفع تعقد له القضية، وبطال فيها لسنين عديدة، وربما تلصق به تهمة أخرى لمزيد من الضغط عليه أو للنكاية به.

الفصل الخامس: داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب/
المطلب الثاني: تأملات في أحوال السجن
ومن المواقف التي لا أنساها في تلك الزنزاة (71) عن
القومية؛ أننا لما دخلنا الزنزاة فوجئنا بسجين كردي عراقي
فيها، كان شاباً يافعاً في عشرينيات عمره، وقد فرح بقدمنا
فرحاً شديداً، فرغم إتقانه للروسية أفضل منا، إلا أنه معنا
يتكلم العربية بطلاقة، وكان في الزنزاة بلا دعم إلا ما يساعده
به زملاؤه المساجين، فلم يكن يملك إلا ملابسه.

ومن طرائف السجن أن المدخنين في الزنزاة، وكان
صاحبنا الكردي منهم، يتكافلون بالسوية في شرب الدخان،
فإذا أتى لأحدهم لفافات تبغ، سلمها لقيم يختارونه، فيوزعها
بالتساوي على المدخنين الغني منهم والفقير، وذلك أن
المدخن قد ينقطع عنه الدخان فترة، فيجد من يمدّه بالدخان،
وهو بالتالي إذا جاءه من أهله دخان سلمه للقيم ليوزعه، وكان
صاحبنا الكردي مستفيداً من هذا التكافل.

وصارت بيننا وبين هذا الأخ الكردي مودة وأخوة، وصار
كأحدنا، وكنت أعتبره كأخي الأصغر، وانتظم في صلاته معنا،
وكلمته عن ترك الدخان، فكان يعدني ويسوف، وكان يفتح لي
قلبه، ويحكى لي عن الظروف الصعبة التي مر بها، واضطراره
هو وأسرته للهجرة لتركيا هرباً من صدام. واضطراره للمبيت
فوق الجليد وأشقاؤه الصغار ينامون على ساقيه، في انتظار
فتح الطريق لهم.

وكان سبب سجنه في داغستان؛ أنه كان يحاول أن يدخل
لروسيا تهرباً، هو وزميل كردي آخر، لحق بنا في زنزاتنا بعد
فترة، لأن لأول أخاً في أوكرانيا، يريد أن يصل إليه، ومن
أوكرانيا يتسلل لبولندا أو سلوفاكيا - كما أذكر - حتى يصل
متسللاً لألمانيا، فيطلب اللجوء السياسي، ليعيش حياة
أفضل.

وكنت أتعجب، كلانا تسلل عبر الحدود، وانتهى به تسللها
للسجن، وكلانا يعاني، هو في سبيل الدنيا، ونحن في سبيل
الدين، فنسأل الله القبول.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
وفي مرة مازحه سجين ثقيل الظل، فناداه: يا صدام.
فاغتاط صاحبنا الكردي غيظاً شديداً، وقال لي: لا بد أن أقتل
هذا الخبيث، وسأتربص له. فأخذت أهدأ من ثائرتي، وأقول له:
إن هذا سفيه، ولعله لا يدرك الفرق بين صدام والأكراد، فكلهم
عنده عراقيون، ثم إذا قررت أن تقتل كل من يسفه عليك،
فلن تعيش، وستضيع حياتك مع السفهاء، وما زلت أهدأه، حتى
سكن، ولما لحق بنا زميله الكردي الآخر، مدحني أمامه، وقال
له هذا الرجل منعني من ارتكاب جريمة.

ومرت بنا الأيام، ونحن في أخوة المحنة، وذات مرة شاده
أحد الإخوة العرب على أمر تافه، وكان العربي هو المخطئ،
وحاولت أن أصلح بينهما، ولكن العربي تعنت، فغضب أخونا
الكردي غضباً شديداً، وترك صلاة الجماعة، وقال لي: لن
أصلي صلاة فيها هذا الرجل. وحاولت أن أثنيه عن ذلك، فقال
لي: أنتم العرب هكذا أخلاقكم، ألم يصفكم القرآن فقال:
﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَبَغَاءً﴾. فقلت له إن الأعراب هم أهل
البوادي، والعرب أعم منهم، كما أن القرآن الكريم بعد آية من
تلك الآية قال: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ
لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. ولكن
غضبه جعله في حالة إغلاق، وظلت أخوتي به مستمرة، ولكنه
ظل متأثراً، حتى فارقتنا هو وزميله.

وندمت على أن تصرفاً غير مسؤول قد يؤدي لخسارة جهد
من الدعوة، وقد يغلق باباً للخير، وخاصة مع الميراث
المتراكم من العداوات بين الشعوب المسلمة، التي أثارها
الحكام الفاسدون وأعداء الإسلام، فإن الإخوة الأكراد في
قلوبهم جراح لم تندمل، مما صنعه بهم البعثيون في العراق،
والأحزاب الكردية العلمانية تنكي هذه الجراح، وتصور لهم إن
العرب كلهم أشرار، وألا حل إلا بالانفصال عنهم ومعاداتهم،
واللجوء لأمريكا ومد العلاقات مع إسرائيل، وكلما حدث خلاف
بين كردي وعربي فتحت هذه الجراح من جديد، وكما كنت

الفصل الخامس: داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب/
المطلب الثاني: تأملات في أحوال السجن
أتمنى من الإخوة الدعاة من العرب والأكراد أن يؤكدوا لعامة
الإخوة الأكراد على معاني الأخوة في الإسلام، وألا فصل
لعربي على عجمي إلا بالتقوى. وأن أمريكا وإسرائيل أعداء
الإسلام والمسلمين، وإنما يفترسوننا واحداً تلو الآخر. وفي
المقابل فعلى أهل الجهاد والدعوة أن يكونوا بتصرفاتهم
وأخلاقهم قدوة في أخوة الإسلام، التي تغسل درن هذا الإرث
البغيض.

وفي السجن لمست المكانة العظيمة التي يتمتع بها خطاب
~ وسط مسلمي القوقاز، ومدى رعب أجهزة الأمن منه،
حتى حراس السجن كانوا يتكلمون عنه برهبة وتقدير. فكنت
أغبط هذا المجاهد العظيم على تلك المكانة الرفيعة، التي
حازها بفضل الله، وأسأل نفسي ترى أي ذنب أذنبته ألقى
بي في هذا السجن، وحرمني من عزة الجهاد؟ التي يتمتع
بها، أسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة، ويلحقنا به على خير
غير خزايا ولا ندامى ولا مبدلين.

ولم تكن كل أيامنا في السجن كلها سهلة، بلا لا بد في
السجن من الأذى والتنغيص والمشاكل، والاحتجاج لحد
الشجار مع الإدارة، ولله الحمد على كل حال، فمن
المؤذيات في ذلك السجن، أنه لا يسمح للمساجين بالخروج
إلا لساعة واحدة كل يوم، حتى لا ينتشر السل بين
المساجين، في فناء ضيق مخصص لنزلاء الغرفة الواحدة،
ذي أسوار عالية، ومسقف بشبكة من الحديد الغليظ،
ويفتش حراس السجن الغرف يومياً، ناهيك عن التفتيشات
غير الدورية، ويمنع نزلاء أي زنزانة من الاتصال بنزلاء أية
زنزانة أخرى، ولكن السجن كله متصل ببعض كما أسلفت،
ويمنع النزيل من مغادرة فراشه بعد العاشرة مساءً، كما
يمنع من الرقاد تحت الغطاء بعد السادسة أو السابعة
صباحاً، وإذا خرج النزيل من زنزانتة فعليه أن يطأطئ
برأسه للأرض، وبشبك يديه خلف ظهره، ويغلق أزرار

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان
سترته، ويحرم عليه وضع يديه في جيبه، ولكن هذه
الإجراءات كنا نتجاهلها، وكم من مرة يصرخ فينا حراس
السجن، وأحياناً يسبونا، ونحن نتظاهر بأننا لا نفهم ما
يقولونه، ونستمر في رفض تلك الإجراءات، وكان هدفنا هو
تحطيم هذه الإجراءات بسياسة الأمر الواقع.

ورغم تلك المضايقات وذل الأسر والتخوف من التسليم
فقد أعاننا الله سبحانه وتعالى وأسبغ علينا السكينة وحفظنا،
ومن العجيب أنني وجدت في السجن كتابين عربيين سليا
عني، أحدهما (تنبيه الغافلين) للإمام أبي الليث السمرقندي
~، والآخر كتاب مبسط في النحو على صورة أسئلة وأجوبة
من جزئين للشيخ بهاء الدين الداغستاني، وقد قرأته في
السجن عدة مرات، وانتفعت به.

أما (تنبيه الغافلين) فكان مع رجل صالح من النزلاء، كان
جده لأمه من العلماء، الذين قبض عليهم الشيوعيون،
واختفى مع عشرات الألوف من العلماء، الذين اختفوا في
عهد الشيوعيين، ولذلك دفعته أمه لطلب العلم الشرعي
إحياءً لذكرى جده، فقطع شوطاً في طلب العلم، ثم انشغل
بالتجارة، ولذلك كان يفهم العربية، ويتكلمها بصعوبة، وسبب
سجنه أنه تورط في خلاف في قريته، أدى به لقتل أحد
رجالها، وكان كثير الندم على فعلته، نسأل الله أن يغفر لنا
وله وللمسلمين، فقد كان محباً ومكرماً لنا. جزاه الله عنا
خير الجزاء.

ومما أعاننا في السجن بعض الرؤى الصالحة، التي ثبتتنا،
وأذكر هنا رؤيتين. إحداها رؤيا أولناها بفرج آت إن شاء الله،
وكان مما راه الرائي أن نظارته مكسورة وصورة رجل لا
يعرفه، ومرت الأيام، وفي يوم وضع نظارته على سريره،
فجاء أحد النزلاء -غافلاً عنها- فجلس عليها، فكسرها، فقلت
له هذه هي العلامة الأولى، ومرت أيام، وفتح باب الزنزانة
وأدخلوا سجيناً جديداً، فنظر إلي صاحب الرؤيا مندهشاً،

الفصل الخامس: داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب/

المطلب الثاني: تأملات في أحوال السجن

وقال لي هذا هو الرجل الذي رأيت صورته في الرؤيا، فقلت له: هذه العلامة الثانية، فأبشر قد اقترب الفرج.

والرؤيا الثانية رؤيا رأيتها، ورأيت فيها من يقول لي: إن الشيخ أسامة بن لادن أمرنا إذا نزل بنا ضيق أن ندعو الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى، فوجدت الرؤيا موافقة لقول الحق تبارك وتعالى: **﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾**. فجمعت أسماء الله الحسنى في ورقة، وجعلت الدعاء بها ورداً لي في كل ليلة، حتى أكرمنا الله بفرجه ونعمته، فله الحمد أولاً وآخراً.

كانت هذه بعض ذكرياتي في هذا السجن العجيب، الذي تركته وقد ربطت بيني وبين معظم من عاشرتهم فيه رابطة المحبة والمودة والأخوة في الإسلام، حتى لقد قال لي أحدهم مرة: إن كل من في هذه الغرفة يحبك. وكنت أتفكر كثيراً في القدر الذي جاء بنا لهذا السجن دون أن نحتسب، ثم أخرجنا منه بلطفه الخفي، وكنت أقول لعلها دورة تربوية في حسن التوكل على الله، وتخلية القلب عن اعتقاد النفع والضر في سواه، وقلت لعلها دورة لنا في التعامل مع البسطاء ودعوتهم لقواعد الإسلام العامة بعيداً عن الجدل الفقهي والعقدي والسياسي، وأن هذه فريضة كلفنا بها، كما كلفنا بالقتال في سبيل الله، وقلت لعل الله أراد أن ينفعنا أو ينفع بنا، أو لعل هناك حكمة أخرى لم ندرك أبعادها، ولم نحط بها، والعجيب أن هذه الدورة تلقيناها في قعر حصن عدو من أعدى أعدائنا. قال ابن القيم رحمه الله:

"سبق العلم بنبوة موسى وإيمان آسية، فسبق تابوته إلى بيتها، فجاء طفل منفرد عن أم إلى امرأة خالية عن ولد. فيا لله كم في هذه القصة من

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الثالث: العودة للميدان
عبرة؟ كم ذبح فرعون في طلب موسى من ولد؟
ولسان القدر يقول: لا نربيه إلا في حرك¹⁵⁴.

وكنت أتفكر كثيرا فيّ أن هذه هي ثاني مرة أقع فيها في الأسر
دون توقع مني، ثم أكاد أشرف على الحكم علي بالقتل أو
السجن الطويل، ثم أخرج رغم أنف أعدائي، وعلى غير إرادة
منهم، فأعجب من قدر الله معي ونعمته علي، وأتذكر المعاني
التي تستشفها قلوب المؤمنين من قول الحق -تبارك وتعالى-
لنبيه موسى # ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمَمِكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ
وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي
أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾. والتي تستشفها من
قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ
أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ
هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.
فوض الأمر إليه واتكل دوما عليه
لا تعول من سواه كل أمر بيديه

وبعد الخروج من السجن -بفضل الله ورحمته- بدأت رحلة
أخرى صوب أفغانستان للمرة الثانية.
مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

¹⁵⁴ الفوائد ج: 1 ص: 44.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الرابع: العودة
لأفغانستان

الباب الرابع

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الثالث: العودة للميدان

العودة لأفغانستا

ن

الفصل الأول: أفغانستان: عودة لأول مهجر

الفصل الأول: أفغانستان: عودة لأول مهجر

□ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا
كَثِيرًا وَسَعَةً □

ففي الأرضِ منأى للكريمِ عِـنِ
الأذى

وفي الموتِ منأى

عنه إنْ لَزِمَ الأمرُ
فما عاشَ منْ عاشَ الحياةَ بذلةٍ
ولو طالَ ذاكَ العيشُ ما

بقيَ الدهرُ
وكمِ منْ غريبٍ في بلادٍ
غريبةٍ

وفي الملاّ الأعلى له الشأنُ

والذكر¹⁵⁵

¹⁵⁵ الأبيات لمولوي محب الله القندهاري من قصيدته (دموع في مآقي الزمن-
قصيدة رثاء لشهداء الحرب الصليبية في أفغانستان).

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان

الْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ
شَوْقِي وَأَحْزَانِي

فَصَارَ أَمَلَكَ مِنْ
رُوحِي بِجُثْمَانِي
فِي بَلَدِهِ
فَطَهْرُ الْعَيْسِ
أَوْطَانِي

وَأَنَا بِالرَّقَّتَيْنِ
وَبِالْفُسْطَاطِ
إِخْوَانِي
حَتَّى تُطَوِّحَ بِي
أَقْصَى خُرَاسَانَ
قَدْ كَانَ عَيْشِي
بِهِ حُلُوءًا
بِحُلُوانِ¹⁵⁶

مَا الْيَوْمُ أَوْلُ
تَوَدِيْعٍ وَلَا
الثَّانِي

دَعِ الْفِرَاقَ فَإِنَّ
الذَّهْرَ سَاعِدُهُ
خَلِيْقَةُ الْخِضْرِ مَنْ
يَرْبِعُ عَلَى وَطَنِ

بِالشَّامِ أَهْلِي
وَبَغْدَادُ الْهَوَى

وَمَا أَظُنُّ النَّوَى
تَرْضَى بِمَا صَبَّغَتْ
خَلْفَتْ بِالْأَفُقِ
الْعَرَبِيِّ لِي سَكْنًا

بعد الخروج من السجن في داغستان كان أمامنا خياران:
الأول الاستمرار في رحلتنا للشيشان، والثاني هو العودة
لإخواننا وخاصة في أفغانستان. وتشاورنا في الأمر، أما أحدنا
فاختار مواصلة الطريق للشيشان، ومضى لمقصده بسهولة،
والتحق بالمجاهدين، حتى أكرمه الله بالشهادة، نسأل الله أن
يلحقنا به على خير، وأما بالنسبة للبقية فكان القرار هو العودة
للإخوة، خاصة بعد ما وصلنا من أخبار عن أفغانستان

¹⁵⁶ الأبيات لأبي تمام في مدح محمد بن حسان الضبي. [الموسوعة الشعرية- أبو تمام، تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الأول ص: 270. وقد أصابني من تلك الأبيات شيئاً، فإن النوى قد طوحت بي فعلاً لأقصى خراسان، كما أن من أحب الأماكن لي في مصر بيت جدي لأمي بحلوان ومكتبته ومسجده.

الفصل الأول: أفغانستان: عودة لأول مهجر

والطالبان، فقررنا أن نذهب في رحلة استكشافية لأفغانستان.

وفي هذه الفترة كانت لدينا فكرة عامة عن الطالبان، ولكن الذي جعلني أطمأن لهم؛ أن الدنيا كلها تحاربهم، فكنت أقول لنفسي: إن قوى الكفر لا يمكن أن تجتمع عليهم إلا لأنهم على خير، ولكنني كنت أتساءل: حتى لو افترضنا أنهم على خير، فهل سيتحملون الضغط الدولي حينما يطالبهم بطرد ضيوفهم العرب؟ هل سيكررون تجربة السودان السيئة؟ هل سيصمدون؟ أم سينهارون؟ ويكررون تجارب من ادعوا الإسلام، ثم ينحنون ويستسلمون للقوى الكفرية العالمية، وينخرطون في قطع النظام الدولي، ويتقربون لصنم الشرعية الدولية؟

ولكنني كنت أقول لنفسي: على الأقل لن تستطيع قوة أن تصل إلينا في أفغانستان دون قتال، فسلحنا في أيدينا، ومن أرادنا فليقاتلنا. ولا نساق لمسالخ التعذيب كالنعا، التي يجرها القصاب من أذنها، بينما أخواتهن في الحظيرة يتساءلن: متى يحين دورنا؟

وكنت لجوحاً في نقل هذا الأمر لإخواني، وأكدت -ولا زلت أؤكد لهم- أن المجاهد لا يحميه من عدوه المحارب للإسلام إلا توكله على الله ثم سلاحه، أما الاتفاقات والسياسات والإقامات وحق اللجوء السياسي، فهي خدعة الصبي عن اللبن، وهي المخدر الذي يحول المجاهد لثريار عديم الفائدة، وقد يضطر لها المجاهد في حالة الضرورة كأهون الشرين، ولكن عليه أن يهرب منها فور توفر الفرصة له.

لأن حياة المجاهد بل حياة المسلمين بل خير الدنيا كلها في الجهاد، ألم يقل الحق تبارك وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾؟ وألم يقل الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾؟

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

كيف يقبل المجاهد -الذي يحمل عزة الإسلام بين جنبيه
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾- أن يكون متسولاً على
أعدائه، الذين لطالما اعتدوا وقتلوا وقتلوا إخوانه في الإسلام
منذ قرون؟ ينفقون عليه، ويطعمونه، ويؤوونهم، ويدافعون عنه،
ثم ماذا؟ يعلمونه الحضارة والحرية وحقوق الإنسان. وفي
النهاية يفرضون عليه وعلى أهله وأولاده قوانينهم ونظامهم
وفسادهم، وفي النهاية لا بأس -إن أرادوا- أن يعتقلوه، أو
يرحلوه لأعدائه.

وإني أذكر أنني في محنة السجن في داغستان تذكرت
حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فسدت عليهم
الغار، فتوسلوا لله بأعمالهم الصالحة، ففرج الله عنهم¹⁵⁷،
فبحثت عن عمل أرجو أن يكون خالصاً لله حتى أدعوه به،
فسألته أنني لم أجد للكفار، رغم توفر الفرص لذلك، أسأل
الله أن يرزقنا عز الدنيا وفوز الآخرة.
وبعد رحلة ذات أحوال وصلنا لأفغانستان، والتقينا بالشيخ
أسامة بن لادن -حفظه الله- وبالشيخ أبي حفص القائد -رحمه
الله- وببقية الأحاب، الذين فارقناهم منذ زمن، وبعد فترة
قصيرة من التشاور، أدركنا أن أفغانستان -كانت وما زالت-
قلعة الإسلام.

ورأينا بأم أعيننا الإمارة الإسلامية التي أقامتها حركة
الطالبان، وما أنجزته من إنجازات خطيرة وباهرة في مدة
قصيرة، لا يدرك قيمتها حق الإدراك إلا من يعرف طبيعة
أفغانستان. فمن يتصور أن في أفغانستان إمارة تجمع معظم
الأفغان تحت قيادة واحدة، وتنشر الأمن في معظم
أفغانستان، وتنشأ المحاكم الشرعية التي تقيم الحدود، وترد
الحقوق المسلوبة، وتمنع السير بالسلح إلا بترخيص، وتنشر
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتمنع إكراه المرأة على

¹⁵⁷ صحيح البخاري- كتاب: البيوع- باب: إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي-
حديث رقم: 2063.

الفصل الأول: أفغانستان: عودة لأول مهجر
الزواج كفدية في فض الخصومات، أو كبديل في الزواج
للتحايل على غلاء المهور، أو كحيلة لبيع صغار البنات، ومن
يتصور أن هناك حكومة في أفغانستان تستطيع أن تمنع زراعة
المخدرات، وتحرم تناولها، ثم تدير حطام دولة تحت الحصار،
فتمد شبكات الكهرباء، وتعيد الطرق، وأهم من ذلك تنشيط
في نشر التعليم، وتعيد فتح الجامعات.

أذكر أنني والشهيد -كما نحسبه- أبو عبد الرحمن الكندي ~
زرنا جامعة كابل، فقد كان يعد عبر هيئته الإغاثية مشروعاً
لدعم الجامعة، فرأينا عجباً، رأينا حطاماً يسمى كلية الطب
وكلية طب الأسنان، رأينا المعامل وقد انتزعت منها الأحواض
والمناضد نزعاً، وانتزعت ألواح الزجاج من النوافذ على أيدي
عصابات السلب والنهب التي تقاتلت بعد رحيل الروس، والتي
مارست أبشع قتال داخلي باسم الجهاد والمجاهدين، والتي
عارضت حكومة طالبان وتحالفت مع روسيا والهند والاتحاد
الأوروبي وأمريكا -كما سأذكر- ضد الإمارة الإسلامية، وأذكر
أنني دخلت معملاً للكيمياء، فوجدت فيه الأستاذ وحيداً، وليس
لديه في معمل تعليمي فسيح إلا حامل أنابيب واحد، هو الذي
نجا من السلب والنهب. وأذكر أنني دخلت معملاً للأحياء
الدقيقة، فوجدت به مدرساً، لم يتم دراسته العالية بعد، وقد
جمع مواده مع مجهر واحد في غرفة في طرف المعمل، قد
ثبت بنوافذها زجاج، وأخبرني أنه يقترض من المعامل الخاصة
بعض المواد ليعرضها على الطلاب، وفي قسم الأمراض
وجدت أستاذاً وحيداً، وفي قسم التشريح وجدت مدرساً
وحيداً، وقبلنا أستاذان أحدهما للكيمياء والآخر للفيزياء
فاشتكيا إلينا حالهما، وسألنا الإعانة لضعف الرواتب البيئس،
أما مستشفى علي آباد التعليمي الكبير فقد صار خراباً يباباً.
ورغم كل ذلك كانت الكلية تعمل، وتعد في المحاضرات،
وبها قسم للطالبات المنتظمات. وكذلك كلية طب الأسنان،
وبقية الكليات.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

وزرنا كلية الشريعة، فوجدناها تعمل بانتظام، وزرنا معهد المعلمين فوجدناهم يجددونه، وكذلك الحال في جامعات جلال آباد وقندهار ومزار شريف وهيرات، وزرنا المعهد الطبي المتوسط لتخريج الفنيين الصحيين التابع لوزارة الصحة، فوجدناه يعمل بكامل طاقته، رغم ضعف إمكاناته الشديد. وعلى ذكر التعليم أود أن أذكر هنا جانباً غير معروف لنشاط القاعدة والتجمع العربي الجهادي في أفغانستان، وهو جانب نشر التعليم، فقد أنشأت القاعدة في قندهار معهد اللغة العربية، وكان تجربة ناجحة جداً في التواصل بين العرب والأفغان، كما أنشأت مدرسة للبنين في قندهار، واتفقت مع وزارة التعليم على إنشاء كلية للشريعة في قندهار، وبدأت في المشروع، وشرعت أيضاً في إنشاء معهد للغة العربية في كابل، وكذلك أنشأ التجمع العربي المجاهد في كابل عدة مشاريع تعليمية، منها مركز صلاح الدين للدعوة والتعليم بإشراف الشيخ المجاهد المرابط الداعية فضيلة الشيخ عيسى حفظه الله، ومنها مدرسة للبنين وأخرى للبنات، وكان معظم طلاب المدرستين من العرب، ولكن كان بهما عدد من الأفغان.

كل هذا وخط الجبهة حينئذ على بعد حوالي 15 كيلومتراً من كابول، والحكومة كلها تعمل والتجارة نشطة، والطرق مؤمنة، وأذكر أنني سافرت عدة مرات من شرق البلاد لغربها من كابل لقندهار ومن قندهار لهيرات ومن كابل لخوست ولجلال آباد بالليل وبالنهار، فما وجدت مسلحاً إلا شرطة الإمارة، أو من يحمل تصريحاً كحالنا.

كل هذا في أفغانستان التي رأيت حالها غارقة في الفزع والخوف في وقت حكومة المجاهدين، حيث كنت لا تستطيع أن تسير على الطريق لعدة كيلومترات، إلا ويعترضك جبل أو سلك ممدود على الطريق وحوله مجموعة من المسلحين بالبنادق والمدافع، يفرضون عليك ما يشاءون.

الفصل الأول: أفغانستان: عودة لأول مهجر
ثم زد على كل هذا؛ أن هذه الدولة المحاصرة دولياً من
الغرب والأمم المتحدة، والمضيق عليها اقتصادياً من
الباكستان وإيران، تستقبل المطاردين المهاجرين من
مسلمي الدنيا كلها، وتتحدى الدنيا كلها من أمريكا لباكستان
للسعودية، وترفض تسليم أي مسلم لاجئ لها. بل وتعترف
بجمهورية إشكيرية الشيشانية وحدها متحدية العالم كله.
ولما وصلنا لقندهار كان الشيخ أسامة بن لادن قد اتخذ
قراره بالقتال إلى جانب الإمارة الإسلامية، لأنه اقتنع بصدق
الإمارة الإسلامية، وبإخلاصها في الدفاع عن الإسلام
والمسلمين، واقتنع بعلاقة المعارضين لها بالغرب والصليبية
الدولية.

ولا يخفى على من عايش تلك الفترة أن الشيخ أسامة بن
لادن قد طلب منه أمير المؤمنين الانتقال من جلال آباد
لقندهار، تحزراً من خطة تسرب سرها قبل فتح الطالبان
لكابل، مفادها أن أحمد شاه مسعود قرر القيام بعملية
عسكرية للقبض على أسامة بن لادن، فلقد كان مسعود
مستمراً في التخطيط لقتل أو القبض على أسامة بن لادن مع
الأمريكان حتى مقتله، وقد شهد بهذا رسمياً تقرير الكونجرس
عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر¹⁵⁸، حيث يقول في أحد
المواضع العديدة، التي ذكر فيها التعاون بين الأمريكان
ومسعود:

*"وفي الشمال الشرقي كانت هناك قوات
مسعود لتحالف الشمال، التي ربما تعد أفضل خيار
للسي آي إيه، وفي آخر أكتوبر¹⁵⁹ طارت مجموعة
من ضباط مركز مكافحة الإرهاب لوادى بنشير
للقاء مسعود، وهي رحلة خطيرة في حوامات*

¹⁵⁸ راجع لتفاصيل العلاقة السرية بين الاستخبارات الأمريكية وأحمد شاه مسعود،
واستخدامه لقتل أسامة بن لادن أو القبض عليه الشهادة الأمريكية الرسمية، التي
ذكرها تقرير لجنة الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر:

9/11 COMMISSION REPORT, p: 124, 125, 133, 139, 142 & 143.

¹⁵⁹ لعام 1999م.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان

متهاكة، ستتكرر لعدة مرات في المستقبل، وقد
بدا مسعود مصمماً على مساعدة الولايات المتحدة
في جمع المعلومات عن أنشطة وأماكن وجود بن
لادن، كما وافق على أن يحاول القبض عليه إذا
سُحِت الفرصة"¹⁶⁰.

وأكد هذه العلاقة جورج تينيت مدير المخابرات المركزية السابق في شهادته أمام لجنة الكونجرس الخاصة بالتحقيق في هجمات 11 سبتمبر، حيث صرح بأن المخابرات الأمريكية تعاونت مع أحمد شاه مسعود -قبل هجمات 11 سبتمبر- لتتبع أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة، غير أن مقتل شاه مسعود -قبل هجمات سبتمبر- أحبط تلك المخططات¹⁶¹.
واتصال أحمد شاه مسعود بالغرب الصليبي وتحالفه معه ليس سراً، فلقد أعلن ذلك على الملأ. حينما ذهب لبروكسل، واستقبل في مقر البرلمان الأوروبي استقبال رؤساء الدول، رغم مخالفة هذا للعرف الدولي، فاستقبلته رئيسة البرلمان الأوروبي (نيكول فونتان) على باب مقر البرلمان كأى رئيس دولة¹⁶².

¹⁶⁰ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 142.

¹⁶¹ موقع مفكرة الإسلام- الأربعاء 3 صفر 1425هـ- 24 مارس 2004م. وقد أذاعت قناة الجزيرة هذه الشهادة في نفس اليوم.

¹⁶² من اغتال أحمد شاه مسعود؟- ج: 2 الدقيقة: 5,30 حتى الدقيقة: 7,3.

الفصل الأول: أفغانستان: عودة لأول مهجر



رئيسة البرلمان الأوروبي تستقبل أحمد شاه مسعود عند
مدخل البرلمان
وألقى كلمة في البرلمان الأوروبي، ووقف له أعضاؤه
يصفقون لدقائق، وقال في كلمته: إنه في خط الدفاع الأول
ضد الأصولية الإسلامية.
وعقد مؤتمراً صحفياً في مقر البرلمان الأوروبي، طلب فيه
مساعدة الاتحاد الأوروبي من أجل إسقاط نظام طالبان، وضد
القوى الخارجية، مثل أسامة بن لادن، حيث قال فيه:
"أنا متأكد أنه دون تدخل باكستان وجنودها
النظاميين والقوى الخارجية - مثل أسامة بن لادن
والطلاب الباكستانيين - ما كنا لنحتاج لمساعدتكم،
ويقيني أن الأمة الأفغانية بنفسها وأهل قندهار
بأنفسهم والعنصر البشتوني بنفسه قادرون على
إسقاط نظام طالبان".

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان



أحمد شاه مسعود في مؤتمره الصحفي في البرلمان الأوروبي
وطالب أيضاً بالتدخل الأمريكي في أفغانستان حفاظاً على أمن أمريكا وحلفائها، حين قال في نفس المؤتمر:
"رسالتي للسيد يوش أنه إذا لم يتوجه لمسألة تأمين السلام في أفغانستان، وإذا لم يساعد شعب أفغانستان في طريق الوصول للسلام، فإن المشكلة يقيناً لن تؤثر فقط على أفغانستان، بل على أمريكا والدول المتحالفة معها"¹⁶³.
وهكذا أعلن مسعود عن سقوطه في مستنقع العمالة للصليبيين بعد طول تكتم، وأصر على أن يعلن ذلك في عقر دار أوروبا، حتى لا يدع لهم أي مجال للشك في ولاءه لهم. وأعلن انضمامه بوضوح تام للحملة الصليبية الأمريكية ضد الإسلام، أو ما تسميه أمريكا بالإرهاب، وبذلك وقع بنفسه على حكم قتله، وعن هذا يقول أخوه ولي مسعود:
"تلك الرحلة إلى أوروبا، ذلك التحذير لبقية العالم كان فعلاً خطيراً، لقد غامر مسعود بحياته، ودفع من حياته، ليحذر الآخرين؛ (انظروا. لن تكونوا

¹⁶³ من اغتال أحمد شاه مسعود؟- ج: 2 الدقيقة: 7 حتى الدقيقة: 7,48.

الفصل الأول: أفغانستان: عودة لأول مهجر
أمينين إلا إذا فعلتم شيئاً من أجله). لقد ضحى
بحياته، ليس فقط من أجل الأفغان بل من أجل
المجتمع الدولي. لقد كان مستاءً جداً من
الحكومات الغربية، ففما يتعلق برنامجه لمحاربة
الإرهاب اكتشف أن برنامج محاربة الإرهاب في
ذلك الوقت ليس إلا شعاراً، لم يكن برنامجاً عملياً
أو حقيقياً¹⁶⁴.

كان مسعود يتسول الدعم الدولي لمحاولة إنقاذه من
الهزيمة على أيدي الطالبان وأنصارهم، بطرح نفسه كراعٍ
لمصالح القوى المعادية للإسلام والجهاد في أفغانستان، وعن
هذا يقول مايكل شور¹⁶⁵:

"في الأول من سبتمبر لعام 2001 كان
الطالبان بالمساعدة -الهامة ولكن ليست التي لا
غنى عنها- للقاعدة قد هزموا قوات التحالف
الشمالي المتعددة الأعراق. وكان التحالف بقيادة
مسعود يسيطر فقط على 5-10% من
أفغانستان، وقدرها بعضهم بما يصل إلى 5%،
وكان كقوة عسكرية كما كتب المؤرخ فريدرك و.
كاجان: "قد استنفذت طاقتها في مواصلة القتال
[مع الطالبان]".

أما حيوية التحالف فكانت -كما ظلت دائماً-
معتمدة أساساً على التميز -الذي لا يعتريه الشك-
لزعيمه كقائد متمرد، وعلى جاذبيته الراححة
للإعلام، وعلى الأسلحة والتمويل والدعم
الاقتصادي القادمين من روسيا وإيران والهند
وأوزبكستان. والثلاثة الأولى كانت تسد منافذ
أفغانستان لتعزل عدوى الطالبان، أما الهند فكانت
تبحث عن نظام معاد لباكستان في كابل، لتتقي

¹⁶⁴ من اغتيال أحمد شاه مسعود؟- ج: 2 الدقيقة: 8,41 حتى الدقيقة: 9,27.
¹⁶⁵ الرئيس الأسبق لوحدة بن لادن في المخابرات المركزية الأمريكية.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان

القوات العسكرية نشطة قرب حدود باكستان الغربية.

وقفت فرنسا أيضاً بسرعة إلى هذه الصورة،
مقدمةً تأييداً وافراً متحمساً لمسعود، وبعض
المساعدة العسكرية والتمويل الخفين لمقاتليه.
ولم يكن لفرنسا اهتمامات استراتيجية في
أفغانستان، ولا تفهم عنها إلا قليلاً، ولكن تدخلت
أساساً لولعها -الخادع للنفس- بصورة مسعود
كإسلامي معتدل، وكفنان طويل المعاناة تحول
لمحارب، وهي صورة رسمها مسعود بمكر،
واستهلكها بشغف الصحفيون والساسة الأوروبيون
لما يربو على عشرين عاماً.

.....

إن الدعم الخارجي ربما كان قد مكن تحالف
مسعود من العيش لعدة سنوات أكثر، وقد يضيف
لنفوذه بعضاً من فتات المناطق في حرب الكر
والفر بينه وبين طالبان، ولكن بكل الاعتبارات
والمقاييس برز الطالبان منتصرين في الأول من
سبتمبر 2001، وقد بسطوا حكماً صارماً ولكن
مستقراً من الأمن والقانون على معظم البلاد.
والأهم من ذلك أن نظام الملا عمر كان متقبلاً
باطراد بين الأفغان، الذين بدأوا يرون نهاية لتفشي
اللصوصية وسيطرة أمراء الحرب، والعودة
التدرجية للأمان لهم ولأطفالهم وممتلكاتهم
الضئيلة" ¹⁶⁶.

وعودة لحديث قندهار؛ كان الشيخ أسامة -حفظه الله- قد
اتخذ قراره بالقتال تحت راية طالبان، وكان اتخذ قبله قرار
تحريض الأمة على قتال الأمريكان، وأصدر بيانه الشهير

¹⁶⁶ IMPERIAL HUBRIS, P : 33.

الفصل الأول: أفغانستان: عودة لأول مهجر
(إعلان الجهاد على الأمريكيين المحتلين لبلاد الحرمين) في
أغسطس 1996. وعن ذلك يقول:

"وقد أصابنا بعض ذلك الظلم بمنعنا من الحديث
مع المسلمين، ومطاردتنا في باكستان والسودان
وأفغانستان، مما أدى إلى هذا الغياب الطويل،
ولكن -بفضل الله- تيسر وجود قاعدة آمنة في
خراسان، فوق ذرى الهندوكوش، تلك الذرى التي
تحطمت عليها -بفضل الله- أكبر قوة عسكرية
ملحدة في الأرض، وتلاشت عليها أسطورة القوى
الكبرى أمام صيحات المجاهدين (الله أكبر).

واليوم من فوق نفس الذرى من أفغانستان
نعمل على رفع الظلم الذي وقع على الأمة من
التحالف اليهودي الصليبي، وخاصة بعد احتلاله
مسرى النبي -عليه الصلاة والسلام- واستباحته بلاد
الحرمين، ونرجو الله أن يمن علينا بالنصر، إنه ولي
ذلك والقادر عليه" ¹⁶⁷.

واستطاع الشيخ أسامة -حفظه الله- بما أوتي من رؤية
صافية أن يقنعا بالإقامة في أفغانستان، وهكذا تحولت رحلتنا
لأفغانستان من رحلة استكشاف إلى وقفة استقرار بعد طول
ترحال.

وَأَلَقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا التَّوَى
كَمَا قَرَّرَ عَيْنًا بِالْإِيَابِ
المُسَافِرُ ¹⁶⁸

وهياً لنا -حفظه الله- معه في قرية العرب قرب مطار
قندهار منازلًا.

وَلَكِنِّي كُنْتُ إِمْرًا لِي جَانِبٌ
مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ

وَمَذْهَبٌ
مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا أَتَيْتُهُمْ
أَحْكُمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ ¹⁶⁹

¹⁶⁷ كتاب إعلان الجهاد على الأمريكيين المحتلين لبلاد الحرمين.

¹⁶⁸ البيت لمعمر بن حمار البارقي- الموسوعة الشعرية- معمر بن حمار البارقي.

¹⁶⁹ البيتان للنابغة الذبياني- الموسوعة الشعرية- النابغة الذبياني.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة

لأفغانستان

عَلَيْكُمْ بَدَارِي فَاهْدِمُوهَا دَعَائِمًا ففِي الْأَرْضِ بِنَاءٌ وَنَ لِي

وَدَعَائِمُ

لَئِن أَخْرَجْتَنِي عَنْكُمْ شَرُّ عِصْبَةٍ ففِي الْأَرْضِ إِخْوَانٌ عَلَيَّ

أَكَارِمُ¹⁷⁰

وفي هذه القرية الطيبة المباركة اجتمع شمل أسرتي بعد فراقها لها لمدة عام ونصف، منها ستة أشهر انقطعت عنها أخباري تماماً لأنني كنت في سجن داغستان، وكان عبء أمور الأسرة المهاجرة المتخفية المطاردة، التي فقدت عائلها، الذي تركها منذ سنة ونصف للمجهول، أقول كان عبء أمور الأسرة في هذه الظروف النفسية والأمنية القاسية يقع أساساً علي زوجتي أم محمد رحمها الله، وبعينها إخواني الأفاضل، وأم محمد -رحمها الله- إنسانة من النوع الراقي الذي يعز نظيره، جمعت في شخصيتها الفريدة بين التقوى وتعظيم أحكام الشريعة والدعوة لها، مع الخلق الراقي والحس المرهف والعزة المترفعة والتواضع السمج والشفقة والحرص والتعاطف مع كل من تعرفهم ومساندة المظلومين والمحرومين ومساعدتهم والدفاع عنهم والعطاء المتواصل والبذل والتضحية في سبيل الله بكل ما تملك. مع ثقافة وعلم وذوق وأدب ورأي حر واعتزاز بالنفس. وأذكر أنني لما اتصلت بها -رحمها الله- بعد وصولي لقندهار، قالت لي: لا تتركنا، ولو كنت تعيش في حفرة فسنعيش معك.

وفي هذه القرية الطيبة المباركة عشنا في بيت مكون من ثلاث غرف، اثنان لنا وواحدة للضيوف، بلا ماء إلا من بئر في فناءه ولا كهرباء، وأشهد الله أنني ما عشت في حياتي في بيت أفضل من ذلك البيت، ولا في جوار أفضل من ذلك الجوار، كانت قرية من المهاجرين المجاهدين الصالحين، وكان أصلها مساكن مهجورة لمشروع زراعي قديم، احتلها بعد ذلك لواء من حرس الحدود، ثم تركت مهجورة يسكن بعضها البدو، فلما

¹⁷⁰ البيتان لابن شهيد الأندلسي- الموسوعة الشعرية- ابن شهيد الأندلسي.

الفصل الأول: أفغانستان: عودة لأول مهجر

استقدم أمير المؤمنين الملا محمد عمر الشيخ أسامة وأنصاره من جلال آباد أسكنهم تلك القرية، وكانت مكونة من قرابة مائة بيت؛ عشرون في جهة الشرق وقرابة ثمانين في جهة الغرب، وأحاط الشيخ أسامة الثمانين بيتاً الغربية مع بعض المخازن بسور مرتفع، وجعلها للعائلات، أما العشرون الأخرى فخصصت للمكاتب والضيوف.

وفي هذا المكان المبارك بذل الشيخ أسامة بن لادن - حفظه الله - وسعه في حملته للدعوة لتحرير الحرمين ولطرد اليهود والصليبيين من ديار المسلمين. وتقاطرت الوفود والزوار عليه لملاقاته والاستماع لدعوته وتوجيهاته، والشيخ -حفظه الله- لا يدخر وقتاً ولا بياناً ولا مجهوداً ولا مالا في شرح قضية جهاد الأمة ضد أعدائها الصليبيين واليهود وبيان خطرهم والتهوين من قوتهم، وأنهم في الحقيقة جناء لا يملكون عقيدة ولا خلقاً وليس لديهم إلا المال والعتاد، الذي سرعان ما يفرون عنه عند أية مواجهة حقيقية مع جنود الإسلام.

وتوافد على الشيخ وإخوانه الآلاف من أفغانستان والباكستان والخليج ووسط آسيا والقفقاز وأوروبا وشرق آسيا. وكان القبول لدعوته عجباً ومبهراً، وكان إعجاب الناس بشخصية الشيخ غالباً وأخذاً بالقلوب والأفئدة، فذلك الشخص الذي ترك كل هذه الدنيا خلفه، والذي يحيا هذه الحياة البسيطة المتواضعة، ويتعامل مع الناس بهذه السماحة والأخلاق والأريحية والجود والكرم، ثم هو أيضاً الذي يتحدى أقوى قوة طاغية في العالم، ويدعو الناس بقوة ووضوح وجلاء إلى مقارعتها ومنازلتها، والتصدي لها ولعملائها الخونة والمرتدين، بلا مداينة ولا مداراة ولا لف ولا دوران، وهو أيضاً الذي أثبت صدقه في دعوته، فما دعاهم لشيء إلا وقد سبقهم إليه؛ دعاهم للترفع عن الدنيا والهجرة والجهاد، بعد أن طلق الدنيا، وهاجر وجاهد، ودعاهم لدعم الإمارة الإسلامية في أفغانستان، بعد أن قاتل في صفوفها وتحت رايتها، ودعاهم

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

ليبعة أمير المؤمنين بعد أن بايعه، ودعاهم لقتال الكفر الأكبر بعد أن نازله، وأعلن الحرب عليه. وتلاقت دعوة الشيخ مع أشواق وآمال المسلمين في التحرر من طغيان أكابر المجرمين وأذناهم الحاكمين لبلادهم. وكنت أتعجب من هذا القبول الذي ألقاه الله في قلوب الناس للشيخ ودعوته، وكنت أذكره بفضل الله عليه في ذلك، وأذكره بمدوامة الشكر والحمد على هذه النعمة. وكانت خلاصة دعوة الشيخ وجوب التركيز على الأمريكان واليهود، وأن أمريكا إذا أدبرت منهزمة من بلاد الإسلام بعون الله وقوته، فإن المعارك مع أعوانها ستكون أسهل وأيسر بعون الله وقوته، وكانت نصيحة الشيخ لأهل باكستان أمراً واحداً: ادعموا الطالبان، وادخلوا في بيعة أمير المؤمنين، فإذا ثبتت أركان هذه الدولة فسينتشر منها الإسلام في كل المنطقة بعون الله. ولست هنا أحاول أن أرسم صورة خيالية لشخص بلا عيوب، فمن منا بلا عيوب.

ومن ذا الذي ترضى سجايأه كلَّها كفى المرء نبلاً أن تعدّ
معايبه¹⁷¹

ولكني أشهد بما علمت، أنه ليس من عيوبه دناءة الأخلاق، ولا الشخ بالدينيا على الجهاد والإسلام، ولا الخوف من أكابر المجرمين.

مسعر حرب وصاحب وقائع وأخو معارك، إذا ناوشته الحرب استشرّف لها، وأقبل عليها بكلّيته، وأجابها بهمته وعزيمته، يزيده حرها بأساً، وشدتها ثباتاً. يصدق فيه قول القائل:

وإني من قوم كرام يزيدهم
شماساً وصبراً شدة
الحدثان¹⁷²

¹⁷¹ ينسب البيت لعلي بن الجهم ويزيد المهلي. الموسوعة الشعرية- علي بن الجهم ويزيد المهلي.

الفصل الأول: أفغانستان: عودة لأول مهجر
مشكلته أنه وجد في المرحلة الفاصلة بين نهضة الأمة
وهبتها للدفاع عن عزتها، وبين زمن الضعف والضعفة
والاستكانة، ولذلك هاجمه دعاة الخور والصلوق بالأرض، لأنه
كشف عجزهم وخورهم. طعن هبل العصر في عقر داره،
وفي بيت أوثانه وبين سدنته، ودعا أمته لتكرار فعلته، وفي
الأمة من يتساءل: هل حقاً ممكن أن يخرج من بين صفوفنا
نحن الخوارون المستضعفون المنهزمون- تسعة عشر
فارساً يذيقون هبل العصر ما لم يذقه في تاريخه؟

فارس صدقت	فدت نفسي وما
فيهم ظنوني	ملكيت يميني
إذا دارت رحى	فوارس لا يملون
الحرب الزبون	المنايا
ولا يجزون من	ولا يجزون من
غلظ بليين	حسن بسبيئ
صلوا بالحرب حيناً	ولا تبلى بسالتهم
بعد حين	وإن هم
يؤلف بين أشتات	هم منعوا حمى
المنون	الوقبي ¹⁷³ بضرب
وداواوا بالجنون من	فكعب عنهم درء
الجنون ¹⁷⁴	الأعادي

ولما هاجمت القوات الصليبية الأمريكية أفغانستان قامت
طائراتها بقصف بيوت هذه القرية الخاوية عدة مرات، حتى
تركتها قاعاً صفصفاً، ولم يكن بمجمع العائلات بالقرية إلا
بيوت ومدرسة أطفال ومسجد ومخزن، فلماذا كل هذا
القصف؟ أنتقام من الحجارة؟ أم بحث عن نساء وأطفال
ليقتلوهم؟

¹⁷² البيت لعبد الرحمن بن حسان الأنصاري. الموسوعة الشعرية- عبد الرحمن بن حسان الأنصاري.

¹⁷³ الوقبي اسم ماء لبني مازن.

¹⁷⁴ الأبيات لأبي الغول الطهوي- ديوان الحماسة ج: 1 ص: 6 و 7.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان

الفصل الثاني:

الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين

وبطهر وجهك هدمت
أصنام
وولجت باباً أنت
فيه إمام
فاخترت باباً ما
عليه زحام
وقهرت جيش الريب
وهو لهام
فأزحت ما أوحى به
الأوهام
لا يعتربك ونى ولا
إحجام
من فرطه يتردد
الإقدام¹⁷⁵

بجميل فعلك
نكست أعلام
ودعت أشبال
الشرى وأسوده
كثر الزحام على
الثغور وبابها
وركبت عزمك لا
تبالي بالردى
وكسرت سيف الرعب
وهو مجرد
متبسماً للموت
ترشف كأسه
في موقف الهلع
الرهيب وهوله

كان من ثمرات التجمع الجهادي العربي في قندهار تشكيل
(الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين)، وصدر

¹⁷⁵ الأبيات من قصيدة للشيخ أبي سلمان المغربي في رثاء الشهيد - كما نحسبه - عزام
~؛ بطل عملية السفارة الأمريكية في نيروبي.

الفصل الأول: أفغانستان: عودة لأول مهجر
 بيانها الأول في صورة فتوى¹⁷⁶، الذي دعا لقتل الأمريكان
 وقتالهم حتى يكفوا عن جرائمهم ضد المسلمين.
 وكالعادة انتقده البعض، فقالوا:
 - كيف تقاتلون النصارى واليهود في الدنيا كلها؟
 - وكيف تقاتلون المدنيين؟
 - وكيف تبيحون قتل النساء والأطفال؟

176 في 25 شوال 1418هـ الموافق 22 فبراير 1998م. وكان نصها كالتالي:

"فتوى شرعية

الحمد لله منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب والقائل في محكم كتابه:
 ﴿فَإِذَا ابْسَلَجَ الْأشْهُرُ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخِصُّوهُمْ
 وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾. والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله القائل (بعثت
 بالسيف بين يدي الساعة، حتى يعبد الله وحده، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل
 الذل والصغار على من خالف أمري)...أما بعد:

فمنذ أن دحى الله جزيرة العرب وخلق فيها صحراءها وحفها بحارها لم تدهها
 غاشية كهذه الجحافل الصليبية، التي انتشرت فيها كالجراد، تزحُم أرضها، وتأكل ثروتها،
 وتبيد خضراءها. كل ذلك في وقت تداعت فيه على المسلمين الأمم، كما تداعى الأكلة
 إلى قصعتها. ولم تشهد حدثاً يماثل هذه الحرب العالمية الشاملة بين الإسلام وبين
 التحالف الصليبي. ويلزنا حين عظم الخطب وقل الناصر أن نقف وإياكم على مكنون
 الأحداث الجارية، كما يجب أن تتفق جميعاً على فصل القضاء فيها .
 أمتنا المسلمة :

لأحد يجادل اليوم في حقائق ثلاث، تواترت عليها الشواهد، وأطبق عليها
 المنصفون. ونحن نذكرها، ليتذكر من تذكر، وليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي
 عن بينة. وهى:

أولاً: منذ ما يربو على سبع سنين وأمريكا تحتل أراضي الإسلام في أقدس بقاعها؛
 جزيرة العرب، فنتهب خيراتها، وتملي على حكامها، وتذل أهلها، وترعب جيرانها.
 وتجعل من قواعدها في الجزيرة رأس حربية، تقاتل بها شعوب الإسلام المجاورة. وإذا
 كان في الماضي من جادل في حقيقة هذا الاحتلال فقد أطبق على الاعتراف به أهل
 الجزيرة جميعاً. ولا أدل عليه من تمادي الأمريكان في العدوان ضد شعب العراق
 انطلاقاً من الجزيرة، رغم أن حكامها جميعاً يرفضون استخدام أرضهم لذلك، ولكنهم
 مغلوبون.

ثانياً: رغم الدمار الكبير الذي حل بالشعب العراقي على يد التحالف الصليبي ورغم
 العدد الفظيع من القتلى الذي جاوز المليون، رغم كل ذلك يحاول الأمريكان مرة أخرى
 معاودة هذه المجازر المروعة. وكانهم لم يكتفوا بالحصار الطويل بعد الحرب العنيفة
 ولا بالتمزيق والتدمير. فهاهم يأتون اليوم، ليبيدوا بقية هذا الشعب، وليذلوا جيرانه من
 المسلمين.

ثالثاً: وإذا كانت أهداف الأمريكان من هذه الحروب دينية واقتصادية فإنها كذلك
 تأتي لخدمة دويلة اليهود، ولصرف النظر عن احتلالها لبيت المقدس وقتلها للمسلمين
 فيه. ولا أدل على ذلك من حرصهم على تدمير العراق أقوى الدول العربية المجاورة.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

- وبأي وجه ذكرتم اسم رفاعي طه؟
أما كيف نقاتل النصارى واليهود في الدنيا كلها؟ فإن عنوان
الجهة يدعو لقتال الصليبيين واليهود، والصليبيون مصطلح
لمن شن ويشن الحملات الصليبية على المسلمين، أما اليهود
فهم طائفة مشاركة في إنشاء إسرائيل، والتفرقة بين اليهود

وسعيهم لتمزيق دول المنطقة جميعاً كالعراق والسعودية ومصر والسودان إلى
دويلات ورقية، تضمن بفرقتها وضعفها بقاء إسرائيل واستمرار الاحتلال الصليبي
الغاشم لأرض الجزيرة.
أمتنا المسلمة

إن كل تلك الجرائم والبوائق هي من الأمريكان إعلان صريح للحرب على الله
ورسوله وعلى المسلمين. وقد أجمع العلماء سلفاً وخلفاً عبر جميع العصور الإسلامية
على أن الجهاد فرض عين إذا دهم العدو بلاد المسلمين. وممن نقل ذلك الإمام ابن
قدامة في "المغني" والإمام الكاساني في "البدائع" والإمام القرطبي في "تفسيره"
وشيخ الإسلام في "اختياراته"، حيث قال: (أما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل
عن الحرمه والدين واجب إجماعاً. فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لاشئ
أوجب بعد الإيمان من دفعه). ونحن بناء على ذلك وامتنالاً لأمر الله نفتي جميع
المسلمين بالحكم التالي:

إن حكم قتل الأمريكان وحلفائهم مدنيين وعسكريين وقتالهم فرض عين على كل
مسلم أمكنه ذلك في كل بلد تيسر فيه. وذلك حتى يتحرر المسجد الأقصى والمسجد
الحرام من قبضتهم، وحتى تخرج جيوشهم عن كل أرض الإسلام مفلولة الحد كسيرة
الجناح عاجزة عن تهديد أي مسلم. امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾. وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَأَنْ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ
الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنَ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنَ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾.
أمتنا المسلمة

إننا باسم الله ندعو كل مسلم يؤمن بالله ويرغب في ثوابه إلى امتثال أمر الله بقتل
الأمريكان، ونهب أموالهم في أي مكان وجدهم فيه، وفي كل وقت أمكنه ذلك. كما
ندعو علماء المسلمين العاملين وقادتهم المخلصين وشبابهم وجنودهم المؤمنين إلى
شن الغارة على جنود إبليس الأمريكان ومن تحالف معهم من أعوان الشيطان، وأن
يُشردوا بهم من خلفهم لعلهم يذكرون. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ
الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُهُ تُخْشَرُونَ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِينُمْ يَا حَيَّةَ
الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّاعٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ {38} إِلَّا تَتَفَرَّوْا يُعَذِّبُكُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ﴿وَلَا

الفصل الأول: أفغانستان: عودة لأول مهجر
والصهيونيين غير ذات معنى، لأن اليهود في أغلبهم الأعم
يساندون إسرائيل، والنادر لا حكم له.

أما كيف نقاتل المدنيين؟ فإن الشريعة لا تقسم الناس
لمدني وعسكري، ولكن الشريعة تقسم الناس لمقاتل وغير
مقاتل، والمقاتل هو كل من قاتل بيده، أو أعان على القتال
بماله أو برأيه. والحكومات الغربية وشعوبها هي بهذا المعنى
مقاتلة، لأن الحكومات الغربية كلها بكافة أحزابها تؤيد وتدعم
وتحمي وجود إسرائيل، وشعوب هذه الحكومات تنتخب
أحزابها بحرية بناء على برامجها التي تعلن فيها تأييد إسرائيل،
وتدفع الضرائب لتمويل هذه الحكومات، وتخدم في جيوشها
وأجهزة أمنها. وهذه الحكومات المنتخبة بديمقراطية تقتل،
وتعين على قتل نساءنا وأطفالنا ومدنيينا في فلسطين وغيرها
من ديار الإسلام.

أما كيف نبيح قتل النساء والأطفال؟ فالبيان لم يبيح قتل
النساء والأطفال، ولكن البيان دعا لقتل وقتال الأمريكان
وحلفائهم، كما دعا القرآن في الآيات -التي استدلت بها البيان-
لقتال المشركين كافة، ثم حظرت السنة تقصد النساء
والأطفال، أما إن قتلوا -تبعاً لغيرهم دون تقصد لهم- أثناء
الجهاد الواجب أو الضروري لدفع العدوان المتتالي علينا فذلك
أمر لم تحرمه الشريعة¹⁷⁷.

تَهُنُّوْا وَلَا تَحْزَنُوْا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۚ
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

- 1- الشيخ أسامة بن محمد بن لادن
- 2- الدكتور أيمن الطواهري (أمير جماعة الجهاد بمصر)
- 3- الشيخ "أبو ياسر" رفاعي طه (ممثلاً عن الجماعة الإسلامية بمصر)
- 4- مولانا مير حمزة سكرتير جمعية علماء باكستان
- 5- الشيخ فضل الرحمن خليل أمير حركة الأنصار بباكستان
- 6- الشيخ عبد السلام محمد أمير حركة الجهاد بينجلاديش".

¹⁷⁷ لمزيد من التفصيل حول هذه المسألة: راجع فتوى الشيخ حمود العقلاء -رحمه
الله- بعنوان: (بيان من فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعبي عما جرى في أمريكا
من أحداث)، وشفاء صدور المؤمنين- القسم الثاني- المسألة الثانية: حكم رمى الكفار
إذا اختلط بهم مسلمون أو من لا يجوز قتله.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

أما لماذا أدرجنا اسم الشيخ رفاعي طه فك الله أسره؟ مع أن الجماعة الإسلامية في موقعها على الشبكة قد أصدرت بياناً باسمه، ينفي توقيعه على بيان الجبهة. فالحقيقة التي لم يجرؤ علي أن يذكرها أحد من الجماعة الإسلامية هي كالتالي: كان الأخ أبو حفص القائد ~ هو المتولي لجمع التوقعات على البيان المذكور، وكان رفاعي طه هو رئيس مجلس شورى الجماعة الإسلامية في ذلك الوقت، فتباحث أبو حفص مع المسؤول عن إخوة الجماعة الإسلامية في قندهار في ذلك الوقت، في أن يتصل برفاعي طه، ويعرض عليه البيان، ويطلب منه توقيعه، ولكن هذا المسؤول، تحمس للفكرة، وقال لأبي حفص: ضع توقيع رفاعي، وأنا ضامن لك موافقته، وسأتصل به فيما بعد، ولا تعطل البيان من أجل ذلك، وأصر على أبي حفص إصراراً شديداً وأكد الأمر تأكيداً متكرراً، مما دفع أبي حفص -رحمه الله- لإدراج اسم رفاعي طه. ثم بعد ذلك بدأت تظهر على ذلك المسؤول علامات ارتباك، وأصر على مغادرة أفغانستان لليمن، ورتب الإخوة له جواز سفر، وسافر لليمن، وفي اليمن سلم نفسه للسفارة المصرية، ورحل لمصر، وانضم لتراجعات الجماعة الإسلامية، ولم يجرؤ هو ولا الجماعة الإسلامية على ذكر الحقيقة.

وزارنا في قندهار أحد قيادات الجماعة الإسلامية، وتناقشت معه طويلاً في أحوالنا وأحوال الجماعة الإسلامية، وسألني عن السبب في إدراج اسم رفاعي طه، فرددت عليه بأن هذا السؤال يوجه للجماعة الإسلامية وليس لنا، وقصصت عليه القصة.

أما عن رفاعي -فك الله أسره- وعدد من أعيان الجماعة الإسلامية بما فيهم أميرهم الشيخ عمر عبد الرحمن فك الله أسره فقد بينوا موقفهم من قتل وقتال الأمريكان ومن مبادرة التراجع، التي أعلنها بعض قيادات الجماعة الإسلامية. قال الشيخ رفاعي في مقدمة كتابه (إماطة اللثام):

الفصل الأول: أفغانستان: عودة لأول مهجر
"إن الأمريكيين واليهود اليوم هم كفار معتدون
صائلون على أرضنا وأعراضنا، وجب قتلهم في أي
أرض كانوا وبأي طريقة أمكن ذلك، وأن ذلك واجب
على كل مسلم قادر عليه، ولا يحتاج إلى إذن أحد،
فإنه فرض عين لا يسقط عن قدر عليه، وهذا
حكم أجمع عليه العلماء سلفاً وخلفاً"¹⁷⁸.

وبعد إعلان الجبهة رتب الشيخ أسامة بن لادن حملة دعائية
للتعريف بالجبهة، ولتحريرض الأمة على قتال الأمريكان
واليهود، فعقد مؤتمراً صحفياً في خوست حضره عدد من
الصحافيين الباكستانيين وصحفي صيني، وكان مؤتمراً ناجحاً
بفضل الله، وأذكر أنه في أعقاب المؤتمر قال لي أحد كبار
الصحافيين الباكستانيين:
"إن باكستان كلها معكم".

وبعد هذا المؤتمر بأيام التقى الشيخ أسامة بالصحفي
الأمريكي جون ميللر من قناة إيه بي سي الأمريكية.
وكان مستغرباً أن القيادة أصرّت على إحضار شخص
عراقي، زعم أن له مكتباً إعلامياً في أسبانيا، وأنه توسط في
الترتيب للقاء، وأنه له بعض المشاريع الإعلامية، التي يود
طرحها على أسامة بن لادن. ووافق الشيخ على حضوره،
ولكن اعتذر عن مناقشته، ولكنه ألح حتى تكلم مع الشيخ لعدة
دقائق حول مشاريع مزعومة، وكان واضحاً أنه جاء ليترجم
الأحاديث العربية التي يتسمعها، ومن الطرائف أنه لما بدأ
اللقاء وسلطت الأضواء على الشيخ أسامة وجون ميللر تجمع
الذباب والحشرات من الظلام الدامس في الخارج، واستقر
على صورة الخريطة، التي خلف الشيخ، فاستئذنه أحد الإخوة
أن يخرجوا خارج الغرفة لدقائق، حتى يرش مبيداً حشرياً،
حتى لا تظهر الحشرات في الصورة على الخريطة، فطلب
من الجميع الخروج لدقائق، وأخذ أحد الإخوة في رش مبيد
حشري في الغرفة، ووقف ميللر والعراقي في الخارج وهما لا

¹⁷⁸ إمطة اللثام عن بعض أحكام ذروة سنام الإسلام ص: 4.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

يفهمان شيئاً، وكنت أقف خلفهما تماماً، وهما غير متنبهان لي، فسأل ميللر العراقي: ماذا يفعلون؟ فقال العراقي: لا أعرف إنهم يرشون شيئاً ما!! وضحكت في أعماقي على هذا المترجم، الذي أحضروه ليتسمع العربية، وهو لا ينتبه أن المكان ممتلئ بمن يتسمعون الإنجليزية!!

وكان الاتفاق مع ميللر أن يقدم أسئلة مكتوبة، وأن يسأل ما اتفق عليه فقط. فقدم أسئلة كثيرة، أحس الشيخ أسامة في بعضها رائحة تحقيق مباحثي، فرفضها، منها سؤال عن رمزي يوسف، يسأل: هل لرمزي يوسف صلة بك؟ خاصة وأنه ألقى القبض عليه في مضافة خاصة بك. ورفض الشيخ السؤال، فقد أحس فيه برائحة المباحث، كما أن رمزي لم يقبض عليه في مضافة خاصة بالشيخ أسامة. ولكن الصحافي في وسط التصوير قال فجأة: آه. هناك سؤال كنت أريد أن أسأله، ولا أدري كيف نسيت؟ هل لرمزي يوسف علاقة بك؟ خاصة وأنه قد قبض عليه في مضافة خاصة بك، وأجاب الشيخ بالنفي. وعندما غادر ميللر المعسكر، وعبر الحدود لباكستان، توقف في أول مدينة حدودية واتصل بأمريكا، وأخطر من على الطرف الآخر: بأني قد أجريت اللقاء، وقد أنكر صلته برمزي يوسف! لقد بعثوه ليجمع التحريات، وهو غير متنبه أنه مراقب.

وجون ميللر ترك قناة الإيه بي سي، وعمل بعد ذلك في قسم محاربة الإرهاب في شرطة لوس أنجلوس، وهو اليوم مساعد مدير المباحث الفيدرالية للعلاقات العامة. إنه رجلهم. وبعد إعلان الجبهة هاجم المجاهدون سفارتي أمريكا في تنزانيا ودار السلام. وكان منفذ عملية دار السلام هو الأخ أحمد عبد الله ~، وأحمد عيد الله ~ من إخوة الجماعة الإسلامية، وكان مدرباً متخصصاً في المتفجرات، وطلب أن يشارك في عملية ضد الأمريكان، وسمح له مسؤول الجماعة الإسلامية في قندهار بالمشاركة في التجهيز والمشورة الفنية فقط، لأن

الفصل الأول: أفغانستان: عودة لأول مهجر الجماعة الإسلامية قد أوقفت عملها الجهادي في داخل وخارج مصر، ولكن أحمد عبد الله أبلغ أبا حفص K أنه مصر على القيام بعملية استشهادية، وحتى يرفع أبو حفص ~ الحرج عن نفسه أمام الجماعة الإسلامية، طلب من أحمد عبد الله ~ أن يسجل وصية مرئية عن أسباب إقدامه على ذلك، وأنه أحد جنود جيش تحرير المقدسات، وهو الاسم الذي أعلنت به الجبهة عن تبنيها لعمليتي السفارتين، وهكذا شاركت الجماعة الإسلامية بما أعلنه أفاضل قيادتها وبدماء أنائها في قتال الأمريكان، رغم كل محاولات المتراجعين. □ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ □.

وبعد العمليتين المباركتين في نيروبي ودار السلام زادت أمريكا من سعيها في محاولات اغتيال أسامة بن لادن¹⁷⁹، ولكن كعادة الأمريكان كان ينقصهم الشجاعة والحزم، فجاءت ضربتهم للمعسكرات في خوست ضربة فاشلة. وزعم الأمريكان أن جورج تنت¹⁸⁰ أخبر كبار المسؤولين الأمريكان بأن أسامة بن لادن في طريقه لعقد مؤتمر في معسكر قرب خوست لكبار أعوانه وقياداته للتخطيط لهجمات مقبلة، وأن هذا الاجتماع سيحضره المئات. وأنه أفلت بأعجوبة من الهجوم قبل عدة ساعات من وقوعه، وأن بعض الضباط الباكستانيين ربما سربوا له الخبر¹⁸¹، إلى آخر خرافات الأمريكان وتهويلاتهم. وهو كذب محض.

وحقيقة القصة التي عشتها يوماً بيوم؛ أن الشيخ أسامة كان بكامل حراسته وسيارته في كابل، وكان في مضافة

¹⁷⁹ يزعم تقرير لجنة الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر أنه منذ خريف عام 1997 حتى يونيو 1998 أعدت السي أي إيه خطتين لاختطاف بن لادن بواسطة عناصر عميلة في القبائل البشتونية، الأولى بكمين يترصده في حركته من قندهار لمجمعه السكني خارجها، وزعم العملاء القبليون أنهم حاولوا وفشلوا! أما الثانية فكانت عن طريق هجوم ليلي يقوم به عملاء من القبائل على سكن بن لادن. [9/11 COMMISSION REPORT, p: 110 to 115].

¹⁸⁰ مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية آنذاك.

¹⁸¹ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 116 & 117.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

العرب وقت وقوع الهجوم، ومن هذه المضافة اتصلت بهاتف القمر الصناعي بالصحفي الباكستاني المخضرم رحيم الله يوسف زي قبل الهجوم بيوم، وذلك لأن الطالبان طلبوا من الشيخ أسامة نفي صلته بتفجير السفارتين. فاتصلت بيوسف زي، وطلبت منه أن ينشر عن الشيخ أسامة -ما خلاصته- أنه لا صلة له بالحادث، ولكنه يباركه وبارك من قام به، ثم بعد الحادث بيوم اتصلت به من نفس الهاتف، وطلبت منه أن ينشر أن الحرب قد بدأت لتوها، وأن رسالة الأمريكان قد وصلت، وعليهم بانتظار الرد. فأين ما ينشره الأمريكان من أنهم يحصون الأنفاس، ويتابعون كل شيء، نعم يجب أن نحذر منهم، ولكن لا يجب أن نصدق دجلهم. الخلاصة أن الشيخ أسامة بن لادن كان وقت الحادث على بعد 250 كيلومتر تقريباً إلى الشمال الغربي من المعسكر المستهدف.

وخرافة أخرى يخدع بها الأمريكان أنفسهم أنهم رصدوا في فبراير عام 1999 معسكر صيد في الصحراء جنوب قندهار لأحد الأمراء الإماراتيين، وأن الشيخ أسامة بن لادن كان له معسكر صغير مجاور لمعسكر الإماراتيين، وأنه كان معتاداً على زيارة الإماراتيين، وبناء على ذلك قرر الأمريكان ضرب معسكر الإماراتيين صباح يوم الحادي عشر من فبراير، وبعد تجهيز كل شيء تخلوا عن الفكرة خوفاً على الأمير الإماراتي. وهذه القصة من محض أوهام الاستخبارات الأمريكية وأدلة عجزها، وحقيقة القصة؛ أن الإماراتيين المذكورين فعلاً أقاموا هذا المعسكر في صحراء قندهار المتاخمة لقرية العرب قرب مطار قندهار، وأن إحدى دوريات المجاهدين بقيادة الأخ سيف العدل استوقفت مرة عدداً من السيارات قرب القرية، واكتشفت وجود عدد من العرب الخليجيين بها، ولما سألوهم عن سبب سيرهم في هذا المكان، أجابوا بأن لديهم معسكراً للصيد في الصحراء، وأنهم على ارتباط بالطالبان، والمشرف

الفصل الأول: أفغانستان: عودة لأول مهجر
على وجودهم في الصحراء هو الملا منصور وزير الطيران
ومسؤول مطار قندهار، فاحتجزهم الإخوة لحين الاتصال
بالملا منصور، الذي أكد ما قالوه، فتركهم الإخوة، وعرضوا
عليهم من باب الضيافة الدعوة لتناول الطعام، ولكنهم أبوا
وأصروا على الذهاب، وكانت وجوههم تنطق بالرعب، لأنهم
أدركوا أنهم في قبضة المجاهدين التابعين لأسامة بن لادن،
هذه هي حقيقة القصة بدون كل ذلك التهويل، ولو كان
الأمريكان قصفوا ذلك المعسكر لكانوا قد قتلوا حلفاءهم
الأمراء الإماراتيين وحاشيتهم، دون أن يمسوا أسامة بن لادن
بأذى¹⁸².

¹⁸² 9/11 COMMISSION REPORT, p: 137 & 138.

ونفس هذه القصة ذكرها متحسراً مايكل شور؛ رئيس وحدة بن لادن السابق في السي
إي إيه -الذي دُكر في تقرير الكونجرس بالاسم الرمزي (Mike)- في حوار في البي
بي سي الإنجليزية في برنامج (Interview) من الساعة العاشرة للساعة الحادية عشرة
قبل الظهر بتوقيت جرينتش في يوم السبت الموافق 8 يوليو 2006م.

الفصل الثالث:

قاعدة

الجهاد

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا
وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

حَبَّذَا الْعَيْشُ حِينَ قَوْمِي جَمِيعٌ لَمْ تُفَرِّقْ
أُمُورَهَا الْأَهْوَاءُ¹⁸³

كان من نعم الله العظيمة علينا أن وفقنا للوحدة مع القاعدة، فيما أصبح يعرف بقاعدة الجهاد، وهي نعمة أسأل الله أن يعينني على شكرها، ولا بد هنا أن أذكر الفضل لأهله، فقد كان من أهم من سعى في ذلك العمل المبارك الشهيد - كما نحسبه - أبو حفص القائد ~، وآخرون من أفاضل الدعاة

¹⁸³ البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات - الموسوعة الشعرية - عبيد الله بن الرقيات.

الفصل الثالث: قاعدة الجهاد

والمجاهدين قد لا أستطيع أن أذكرهم الآن، ولكن الله يعلمهم، أسأله أن يجزيهم خير الجزاء.

وكنت مع مرور السنوات أدرك الضرورة الخطيرة للوحدة في العمل الإسلامي، وأنه لا بد للمجاهدين الذين اجتمعوا على العقيدة الصافية من الوحدة، ولا بد لهم من التنازل والذلة على المؤمنين، ولا بد لهم من تقديم الأهم على المهم، ولا بد لهم من التحرر من النزعات النفسية وقيود الأهواء الشخصية. وكانت تجربتنا مع الجماعة الإسلامية مريرة، فقد تحطمت محاولات الوحدة بسبب تمسك الجماعة بقيادة الأسرى،

وتجيلهم الزائد لإخوة الصف الأول، أو من كانوا يسمونهم (بالإخوة الكبار)، وابتلع الصف الثاني هذا التبجيل، وسوقه لمن بعدهم، وقامت الجماعة على ذلك، بل لقد أعطوا

لهؤلاء الإخوة الكبار في لائحة الجماعة حق اتخاذ القرارات المصيرية في الجماعة، ولم يبق للذين في الخارج إلا تنفيذ الخطوط العامة التي يرسلها لهم الإخوة الكبار.

وقد كانت هذه مشكلة بيننا وبين إخواننا في الجماعة

الإسلامية، وتحطمت عليها العديد من محاولات الوحدة، فكان علينا أن نعرض كل ما سنتوصل إليه من اتفاق على الإخوة الكبار، فيقروا منه ما يشاءون، وكان علينا أن نقبل بقيادتهم الحقيقية، ولما كان هذا التصور منافياً للعقل فقد

تحطمت على صخرته العديد من محاولات الوحدة. تلك الوحدة التي لو قدر لها أن تقوم، فما يدري أحد كيف كانت ستسير الأمور؟ وسامح الله الإخوة الكبار.

ورغم اقتناع الكثير من القيادات في الخارج بمنطقنا إلا أنهم كانوا يصرحون لنا أن هذا أمر قد بنيت عليه الجماعة، ولا يمكن نقضه، لأن الجماعة قد بنيت على هذا الأساس، ولا نريد أن نهز كيائها، وأن علينا أن نتعامل معه كأمر واقع، وأن نجد من الحلول العملية ما تتكيف به معه، وكان ردنا أن هذا غير جائز وغير ممكن. وكنت أحذرهم من ذلك أيما تحذير،

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

وكانوا يقرون معي بصحة قلبي، ووقع ما حذرتهم منه للأسف الشديد.

وكانت نتيجة تجيل إخوة الجماعة الإسلامية الزائد لقيادة السجن، التي كانت تفرض نفسها على قيادات الخارج، أن دفعوهم مبكراً للمواجهة، حتى يخفوا من ضغط الحكومة عليهم في السجن، ثم كانت الطامة حينما قتلوا الجماعة باستسلامهم في السجن من أجل الإفراج عنهم، حتى وإن أدى بهم ذلك للاعتراف بحسني مبارك رئيساً وبالسادات شهيداً، فخنقوا الجماعة وأزهقوا روحها.

المهم تلاعبت قوى الشر والمباحث بالإخوة الكبار، وبدأوا في إصدار مبادراتهم، وأصيب من في الخارج بالارتباك والاختلاط، ولكنهم كانوا يحرصون -رغم كل ما صدر عن إخوة السجن- على وحدة الجماعة، ولم يدركوا أن هذه الوحدة ستجرهم مع الإخوة الكبار لهوة المباحث.

وكنا إذا طالبناهم بالتصدي لهذه التنازلات يتذرعون بحجج ضعيفة، مثل أننا لا ندري حقيقة ما يجري، وأننا لا نريد أن نصعد المواجهة معهم، حتى لا يوغلوا أكثر في التنازل، وأننا أرسلنا لهم عبر وسطاء، ومنتظر الرد، وأننا نحاول أن نصل معهم لحل وسط... إلى آخر هذه التعلات، وللأسف كان

الوسطاء جزء من مؤامرة المباحث، واستمر المخطط المباحثي في النخر في عظام الجماعة الإسلامية مستغلين تلهف من بالداخل على الخروج من السجن وارتباك من الخارج، واستمرارهم في العيش في وهم (الإخوة الكبار)، الذين يعلمون أكثر مما نعلم، والذين لا يمكن أن يتنازلوا.

وفي محاولة لاحتواء الموقف أصدر من بالخارج بياناً للموافقة على المبادرة باعتبارها هدنة مع الحكومة، وكانت تلك خطوة على طريق تمزيق الجماعة وخنقها. فبينما وافق من بالخارج على وقف العمل العسكري والتحريض عليه،

الفصل الثالث: قاعدة الجهاد

استمر الإخوة الكبار في التنازل حتى وصلوا للاعتراف بشرعية حسني مبارك بل والثناء عليه لحرصه على قضية فلسطين.. (تأمل) واعتبار السادات شهيداً، وأن الطالبان حمقى لأنهم لم يقبلوا عرض أمريكا بتسليم بن لادن، وأنا نحن الذين استفزنا أمريكا، التي لم تكن تسعى لعداء المسلمين، وأنهم سيتطوعون للإبلاغ عن أي شخص يشتبهون في عمله ضد الحكومة.

وهنا صرخ بعض من قيادات الخارج؛ بأننا لم نوافق على ذلك ولم نقر به¹⁸⁴، ولكن كان الوقت قد فات، وتم القضاء على الجماعة.

¹⁸⁴ ومن ذلك البيان الذي أصدره الشيخ محمد الإسلامبولي، وجاء فيه:

"أتابع في زهول واندهاش ما ينشر عبر الصحف من تصريحات لقيادات الجماعة الإسلامية في السجون. وكان آخر تلك التصريحات هي ما نشرته مجلة المصور المصرية على مدار ثلاثة أسابيع.

- فإن صح ما نشر- أجدني قياماً بالواجب، وحتى لا يعد صمتي قبولاً لما يقال، فأني أوضح موقعي اعذاراً إلي الله وصدعاً بالحق الذي تعودنا أن نقوله في الجماعة الإسلامية كما أمرنا الله به.

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وتحذيراً من أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ عَنِ مَنِّكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. فأقول

والله ولي التوفيق:

1- لا يحق لإخوة السجن -مع تقديري لمكاتبهم- أن يتخذوا مثل تلك القرارات الهامة في تاريخ الجماعة الإسلامية -التراجمات الفكرية، وما ينشر من تصريحات تخالف أفكار الجماعة المنفق عليها- دون مشورة من إخوانهم بالخارج ودون موافقة من الدكتور عمر عبد الرحمن أمير الجماعة الإسلامية.

2- وبناءً عليه فأقول وأنا مطمئن أن التصريحات التي أدلي بها قيادة السجن تعبر عن أصحابها، ولا تعبر عن الجماعة الإسلامية ولا عن كامل قيادتها، لأنهم يمثلون جزءاً من القيادة.

3- لقد وافقنا من قبل على المبادرة السلمية تغليبا للمصالح ودرءاً للمفاسد وتهيئة للمناخ الذي كان يفترض أن يساهم في رفع الظلم والإرهاب الذي كان يمارس على المستضعفين في السجون والمعتقلات وعلى سائر أبناء الشعب المصري، أما أن يحاول النظام تحويل هذا الموقف بالاستمرار في ممارسة الضغوط وأساليب الابتزاز والإذلال على أبناء الجماعة فهذا أمر غير مقبول.

4- إنه لم يجر الاتفاق على اختيار بديل للشيخ عمر عبد الرحمن، وما نشر في هذا الصدد لا يعكس رأياً رسمياً للجماعة.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

ولما جاءت أحداث سبتمبر انطلق الإخوة الكبار ضد القاعدة، ليجنوا المكاسب الحقيقية!! كل هذا لأن إخواننا في الجماعة أسلموا قيادهم لإخوتهم الكبار الذين تتحكم بهم المباحث حتى اليوم، ولا زالوا بعد الإفراج عنهم تحت مراقبتها الدقيقة، ولا يسمح لهم بقاء وسائل الإعلام ولا حضور اللقاءات العامة إلا بموافقة الباشوات والبيكوات في أمن الدولة، بل ويعاقبون على أي خروج عن الطاعة أو تمرد عليها، وما حدث لصالح هاشم من تعذيب واعتقال لقرابة عام -رغم أنه أحد آباء التنزلات- دليل صارخ على ذلك.

المهم أن الذي يعنينا في هذا السياق؛ هو الحذر كل الحذر من قيادة الأسرى، وأن ما يصدر عنهم يجب أن يراجع بميزان الشرع، وبميزان الواقع ومصصلحة الجهاد، وأن آراءهم

5- أن ما يحدث من قيادات السجن من تشويه لأبناء الجماعة الإسلامية وإظهارهم على أنهم مجرمون وقتله وأن ما قام به هؤلاء الشباب مخالف للشرع وحرام هو أمر خطير يجب التوبة منه، وهو تشويه للحقائق ومساعدة لهذا النظام المجرم على إخفاء جرائمه وتلميع صورته القبيحة وعمالته المفضوحة.

6- إنني أتشفق أن أكون أحد أبناء الجماعة الإسلامية التي قدمت الشهداء تلو الشهداء في مصر وأفغانستان والشيستان والبوسنة والهرسك.. فداءً لدين الله ودفاعاً عن الحرمات والأعراض وجهاداً لطواغيت العصر وبشرقني أن يكون أخي هو خالد الإسلامبولي قاتل طاغية مصر. وأن القول بأن قتل السادات كان خطأ هو خيانة لله وللرسول وللأمة.

7- إنني أقول وبصراحة لإخواننا الذين أحببناهم ولا زلنا...
[وَإِنْ تَوَلَّوْاْ يَسْتَبِدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ].
وصبراً يا إخواننا في كل مكان فكلما تشدد المحن يقترب الفرج. والصابر الصبر فإنما النصر صبر ساعة والموعود الجنة.
[إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ].
اللهم تقبل شهداءنا عندك والحقنا بهم غير مبدلين ولا مفتونين والسلام عليكم ورحمة الله.

محمد شوقي الإسلامبولي

الخميس 24 من ربيع الآخر. 4 يوليو 2002".

الفصل الثالث: قاعدة الجهاد

وتوجيهاتهم يشوبها ما يشوبها، وأن الانزلاق الأعمى وراءها يؤدي لكوارث وخيمة.

وكم كنا نتمنى أن تكون الجماعة الإسلامية في تلك الوحدة، وأن يتمتعوا بما أنعم الله علينا من نكاية في الصليبيين وشرف جهادهم والتصدي لهم. وعودة لحديث قاعدة الجهاد، فأقول أنه بهجرتنا لأفغانستان واحتكاكنا بالمواجهة العلنية مع قوى الكفر، انتقل عملنا الجهادي لخطوة متقدمة، وأصبحنا نحس بالعداء الصليبي العالمي ضد الإسلام والمسلمين، ونلمسه واقعاً، ونستشعر الحملة القادمة في الأفق. ولعل هذه الظروف مجتمعة كانت من العوامل - بعد توفيق الله ونعمته - التي دفعتنا لهذا العمل المبارك.

وللوحدة بركات عجيبة لا يلمسها إلا من أنعم الله عليه بها، ويكفي هذا الفرح والسرور والنصر المعنوي الكبير، الذي أدخلناه على قلوب المسلمين، وذلك الغم والذي ملأنا به قلوب أعداء الدين. وأذكر أن أحد المجاهدين السابقين انخرط باكياً من التأثر لما سمع بالخبر. وكان يوم إعلان الوحدة يوماً مشهوداً بفضل الله، وأذكر من خطبتي يوم الوحدة - بالمعنى لا بالنص - أنني قلت مخاطباً الشيخ أسامة حفظه الله:

"جننا إليك نباعك ونمد إليك أيدينا، وامتدت معنا أيدي موتى، لا تعرف لهم قبور، وأسرى لا تعرف لهم سجون، وثكالي لا يعرفن أين أبناؤهن، وأرامل لا يعرفون أين أزواجهن، وأيتام لا يعرفون أين أبائهم، جاءوا معنا يباعونك، ولا يسألونك نفعاً ولا مغنماً، ولكن يسألونك أن تثار ممن ظلمهم، وجئنا إليك لا نحمل إلا همنا وأحزاننا، ولا نملك شيئاً، ولا نسألك منصباً أو مغنماً إلا أن نقاتل في سبيل الله، حتى نتصر أو نستشهد".

ثم خاطبت الحشد الحاضر، فقلت لهم:

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان

"فيا شباب الإسلام كونوا كما قال سيدنا عبد
الله بن رواحة >:

لكنني أسأل	وضربة ذات فرغ
الرحمن مغفرة	تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران	بحربة تنفذ الأحشاء
مجهزة	والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا	يا أرشد الله من غاز
على جدثي	وقد رشدا
أو كما قال سيدنا حسان بن ثابت >:	

من سره كرم	في مقنب من
الحياة فلا يزل	صالحي الأنصار
الباذلين نفوسهم	يوم الوغى لتعانق
لنبيهم	وكرار
والزائلين الناس	بالمشرفي وبالقنا
عن أديانهم	الخطار
يتطهرون يرونه	بدماء من علقوا
نسكاً لهم	من الكفار

.....

ثم قلت:

"وفي هذا الحفل فإني لأذكر إخوة كراماً، كان
يسرهم أن يكونوا بيننا اليوم، ليشهدوا هذا الحدث
الكبير، وأحسب منهم أخانا الكبير الشهيد - ولا نزكيه
على الله- أبا عبيدة البنشيري ~، فتم قرير العين يا
أبا عبيدة فقد تحققت الوحدة التي كنت تأملها".
وخطب الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، فقال في كلمته:
"إننا لمن ننسى أسارى المسلمين في سجون
الطواغيت".

وقال:

الفصل الثالث: قاعدة الجهاد

"إنني أشهد أن أخواننا في جماعة الجهاد كانوا أسهل منا في أثناء التحضير لقيام الوحدة".

فجزاه الله خير الجزاء.

وخطب الشيخ سليمان بوغيث حفظه الله، فكان مما قال:

"ريح البيع يا دكتور. ربح البيع يا دكتور".

فنزلت كلماته على صدري برداً وسلاماً.

وفي اليوم التالي قمنا بزيارة الإخوة المتدربين في معسكر

الفاروق بميونند، وألقيت كلمات، منها كلمة جميلة للأخ الحبيب

الشهيد -كما نحسبه ولا نزيهه على الله- أبي حفص القائد ~،

قال فيها:

"نعيش نحن في ظل الشريعة الإسلامية، ونتجمع

من كل أقطار العالم، وتندرب هنا، ونعد أنفسنا هنا،

وتتوحد الجماعات الإسلامية هنا، لماذا؟ لأن الله

سبحانه وتعالى يريد من هنا شيئاً، يريد من هنا

شيئاً. فأبشروا يا عباد الله، واثبتوا.

إن تحرير فلسطين هو من هنا، وتحرير أرض

الجزيرة هو من هنا، وإعادة بلاد الإسلام إلى مظلة

الإسلام وإلى حكم الشريعة هو من هنا.

فاثبتوا يا عباد الله، وأبشروا ووجدوا جهودكم،

والتحقوا بهذه القافلة المباركة، التحقوا بها. حتى

تكون أيها الأخ المجاهد جندياً تجاهد في سبيل الله،

وتعيد مرة أخرى نشر الإسلام في أنحاء العالم كله.

لا بد أن نعود مرة أخرى إلى قيادة البشرية. هذا

هو دورنا. نعم هذا هو دورنا، أن نعود إلى قيادة

البشرية بمنهج الله. نحمد الله سبحانه وتعالى على

هذه الخطوة المباركة، فهي نعمة من عند الله

سبحانه وتعالى".

وبعد هذا اللقاء رأيت العديد من الإخوة المتدربين، يأتون

للشيخ أسامة يبایعونه على العمل الاستشهادي.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة

لأفغانستان

واهتزت وسائل الإعلام للحدث في العالم كله، وأحسب أن إخواننا التسعة عشر قد وقع عليهم الخبر برداً وسلاماً، وزاد من عزيمتهم على النكاية في طاغوت العصر. وحكي لي الشيخ أبو حفص القائد ~؛ أن الأخ الشهيد -كما نحسبه- أبو إسلام المصري ~ اتصل به من الشيشان، واشتكى له من تفرق المجاهدين وأثر ذلك على معنوياتهم، وحذره من مغية الفرقة، فبشره أبو حفص ~ بأننا في أفغانستان قد أنعم الله علينا بالوحدة مع إخواننا في جماعة الجهاد.

وفي هذا الوقت توافد العديد من المجاهدين على الشيخ أسامة بن لادن يبايعونه على الجهاد في سبيل الله، وكأنها كانت إرهابات المعركة الكبرى القادمة.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الرابع: العودة
لأفغانستان / الفصل الرابع: الغزوات المباركات

الفصل الرابع الغزوات المباركات

المطلب الأول: في الطريق للغزوات.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها
الغزوات.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية
التي أبرزتها الغزوات.

المطلب الرابع: الرواية الأمريكية عن
الغزوات.

الجزء الأول: التفاتة للماضي / الباب الرابع: العودة
لأفغانستان / الفصل الرابع: الغزوات المباركات

المطلب الأول في الطريق للغزوات

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع:
الغزوات المباركات/ المطلب الأول: في الطريق للغزوات

الفرع الأول: محاولات أمريكا لضرب

أفغانستان والقاعدة.

الفرع الثاني: المجاهدون والحشد والتحريض.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات

الفرع الأول: محاولات أمريكا لضرب أفغانستان والقاعدة

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكنْ ذا عَزِيْمَةٍ فَإِنَّ قَسَادَ
الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
ولا تُمَهِّلِ الأَعْدَاءَ يَوْمًا لِقُدْرَةٍ وبادِرْهُمْ أَنْ
يَمْلِكُوا مِثْلَهَا عَدَا¹⁸⁵

أستعرض هنا بإيجاز أهم محاولات أمريكا لضرب أفغانستان والقاعدة قبل الغزوات المباركات:

1- منذ صيف عام 1997م بدأت المخابرات المركزية الأمريكية تناقش خططاً للعمل ضد الشيخ أسامة بن لادن¹⁸⁶. ومنذ خريف عام 1997 حتى يونيو 1998 أعدت السي آي إيه خطتين لاختطاف بن لادن بواسطة عناصر عميلة في القبائل البشتونية، الأولى بكمين يترصده في حرته من قندهار لمجمعه السكني خارجها، وزعم العملاء القبليون أنهم حاولوا وفشلوا! أما الثانية فكانت عن طريق هجوم ليلي يقوم به عملاء من القبائل على سكن بن لادن للقبض عليه ونقله

¹⁸⁵ البيتان للخليفة أبي جعفر المنصور: الحماسة البصرية- باب الأدب- الموسوعة الشعرية.

¹⁸⁶ CIA memo, "DCI Talking Points Regarding Operations Against Usama Bin Ladin," Aug. 25, 1997.

نقلتها عن: [COMMISSION REPORT, p: 480 9/11].

المطلب الأول: في الطريق للغزوات/ الفرع الأول: محاولات أمريكا لضرب أفغانستان والقاعدة للمحاكمة في أمريكا أو في بلد عربي. وقد تم التصديق على الخطة الأخيرة والتدرب عليها عدة مرات، وحدد يوم 23 يونيو 1998 لتنفيذها، ولكن الخطة ألغيت في آخر مايو 1998 خوفاً من الخسائر وعدم قدرة القبائل على الحصول على بن لادن حياً¹⁸⁷.

أي أن أمريكا كانت تعد لخطف بن لادن قبل إعلان الهيئة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصلبيين في فبراير 1998م.

2- وفي العشرين من أغسطس 1998 أطلقت أمريكا وإبلاً من الصواريخ على المعسكرات في خوست، فقتلت قرابة ثلاثين شهيداً، في محاولة منها لقتل الشيخ أسامة بن لادن ومعاونه.

3- ما بعد الصواريخ:
أ- بدأ الجنرال شلتون¹⁸⁸ منذ يوم إطلاق الصواريخ في إصدار أمر تخطيط لمتابعة الضربات، وللتفكير فيما هو أكثر من مجرد استخدام صواريخ كروز، وكانت الضربات المبدئية قد أعطيت الاسم الرمزي (الوصول اللامتناهي)، بينما أعطيت خطط المتابعة الاسم الرمزي (العزم اللامتناهي)¹⁸⁹.

ب- بدأ ريتشارد كلارك¹⁹⁰ بعد حملة الصواريخ يفكر في حملة متواصلة ضد بن لادن، فرسم لدائرته المقربة (الخطة السياسية العسكرية؛ دالندا¹⁹¹)، التي كانت تهدف أساساً إلى (إزالة أي خطر مؤثر على الأمريكيين من شبكة بن لادن). وكانت تهدف لمجموعة من الجهود الدبلوماسية لتحرم

¹⁸⁷ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 11 to 115.

¹⁸⁸ رئيس هيئة الأركان المشتركة من عام 1997 إلى عام 2001.

¹⁸⁹ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 134.

¹⁹⁰ المنسق الوطني لمكافحة الإرهاب من 1997 إلى 2001.

¹⁹¹ دالندا كلمة لائينية تعني: لا بد من تحطيم شيء ما.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
القاعدة من المأوى، والأعمال السرية لإفشال الأنشطة
الإرهابية وأهم شيء القبض على بن لادن ومعاونه، وجلبهم
للعادلة، وجهود لتجفيف إمداد بن لادن بالمال، والاستعداد
لمواصلة العمل العسكري. وكان جانب الخطة العسكري هو
أكثرها وضوحاً، وكان يطرح حملة مستمر من الضربات ضد
قواعد بن لادن في أفغانستان وغيرها، حيثما يبدو أي هدف
مستحقاً للضرب. ورغم توقعه بأن من يسميهم بالإرهابيين لن
يجتمعوا مرة أخرى في مكان ظاهرين، فقد زعم أن مواصلة
الضربات قد يقنع الطالبان بتسليم بن لادن. وسوف تظهر
الضربات أن ضربات أغسطس ليست آخر المطاف، وأن
الولايات المتحدة مصممة بلا هوادة على تحطيم شبكة بن
لادن. ولكن كبار المسؤولين لم يقتنعوا بجدوى مواصلة
الضربات ضد أهداف زهيدة، مما قد يزيد من شعبية بن
لادن.¹⁹²

ج- وبدأ المسؤولون الأمريكيون يدرسون في الأسبوع
الأخير من أغسطس 1998 متابعة الضربات، وكان الرئيس
كلينتون مائلاً لتوجيه عدة ضربات عاجلاً وليس آجلاً¹⁹³. ولكن
المشكلة أن وزارة الدفاع كانت تبحث عن أهداف ذات قيمة.
د- وفي محاولة لتحقيق ذلك فإن عدداً من موظفي وزارة
الدفاع في مكتب مساعد الوزير لشؤون العمليات الخاصة
والصراعات المحدودة قدموا خطة من ثمانية أجزاء، لا تنبني
على مجرد توجيه ضربات، ولكن على القيام بعمليات واسعة
المدى تستفيد من كل الإمكانيات العسكرية. لكي تكون وزارة
الدفاع أكثر مبادرة وعدوانية، وإلا فإن المستقبل قد يجلب
هجمات مروعة¹⁹⁴.

¹⁹² 9/11 COMMISSION REPORT, p: 120.

¹⁹³ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 120.

¹⁹⁴ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 121.

المطلب الأول: في الطريق للغزوات/ الفرع الأول: محاولات أمريكا لضرب أفغانستان والقاعدة

4- في يونيو 1999 اتصل كلينتون بنواز شريف، وحاول إقناعه -بكل طاقته- أن يضغط على طالبان لتطرد بن لادن، وأن يهدد بقطع إمدادات البترول عن أفغانستان أو منع وارتدتها من كراتشي، واقترح نواز بدلاً من ذلك أن تقوم قوة باكستانية خاصة بالقبض على بن لادن، وفي يوليو التالي قابل كلينتون نواز في واشنطن، وأعاد مناقشة المسألة، ووافق الأمريكيان على ما اقترحه نواز؛ بأن يدرب الأمريكان قوة باكستانية خاصة، ويجهزوها بما يلزمها للقبض على بن لادن.¹⁹⁵

5- وكجزء من استجابة كلنتون لتفجير السفارتين أصدر مذكرة تخول السي أي إيه صلاحية القبض على بن لادن ومعاونه باستخدام عملائها القبليين، أو مهاجمته بوسائل أخرى.¹⁹⁶

6- وفي ديسمبر 1998 اجتمعت اللجنة الأمنية المصغرة بمجلس الأمن القومي لمناقشة خطر بن لادن، وطرح الجنرالان شلتون وزيني¹⁹⁷ بدائل عسكرية، وفيما بعد أخطرت القوات الخاصة الأمريكية أنها قد تؤمر بشن غارة على أبي حفص الموريتاني في الخرطوم أو بن لادن في قندهار.¹⁹⁸

7- وفي العشرين من ديسمبر 1998 وصلت معلومات للمخابرات المركزية بأن بن لادن قد يبيت ليلته في منزل حاجي حبش، وهو كما يزعمون جزء من منزل حاكم قندهار، وعقد اجتماع عاجل لرؤساء المؤسسات الأمنية لأخذ قرار بضرب المنزل بالصواريخ، ولكن تراجعوا خشية إصابة مئات السكان والمسجد المجاور، وأن الشيخ أسامة ربما يكون قد غادر المكان.¹⁹⁹ وليس هناك منزل لحاجي حبش، ولكن هناك

¹⁹⁵ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 126.

¹⁹⁶ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 126.

¹⁹⁷ قائد القيادة المركزية للولايات المتحدة من عام 1997 حتى عام 2000.

¹⁹⁸ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 130.

¹⁹⁹ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 130 & 131.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
مسجد حاجي حبش، وكان يقابله وإلى الشمال قليلاً ما كان
يعرف بين الإخوة العرب (بيت الرمان)، وكان مقراً لمعهد
اللغة العربية، وليس مسكناً لحاكم قندهار، ولم يكن الشيخ
أسامة بيت فيه.

8- وفي ديسمبر 1998 أعدت هيئة الأركان المشتركة
ورقة قرار لاستخدام نوع معين من طائرات السي إيه 130
قادر على التحليق السريع والمرتفع ولا يكتشفه الرдар،
ويستخدم قذائف من عيارات 25 و 40 و 105 مم لإصابة
أهدافه بدقة ضد بن لادن²⁰⁰. ولكن القرار لم ينتقل للواقع
العملي لظن المخططين عدم وجود أهداف محددة²⁰¹.
9- وفي 4 ديسمبر 1998 أصدر مدير السي آي إيه؛ جورج
تنت²⁰² مذكرة²⁰³ للعديد من مرؤوسيه ولرؤساء وكالات
الاستخبارات الرئيسية نص فيها على:

"إننا في حرب مع أسامة بن لادن. ولا أريد توفير
إمكانيات ولا رجال في هذا المجهود، سواء داخل
السي آي إيه أو في الوسط (الاستخباري)"²⁰⁴.

10- وفي الرابع والعشرين من ديسمبر 1998 صدق
كلنتون على مذكرة تخول عملاء السي آي إيه القبليين القبض
على بن لادن ومعاونيه، أو قتلهم إذا بدا أن القبض عليهم لن
ينجح²⁰⁵.

²⁰⁰ DOD memo, "Summary of Conclusions: AC-130 Deployment Decision Paper,"
Jan. 12, 1999.

نفلتها عن: [COMMISSION REPORT, p: 486 9/11].

²⁰¹ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 143 to 136.

²⁰² مدير وكالة المخابرات المركزية من عام 1997 إلى عام 2004.

²⁰³ CIA memo, Tenet to Gordon and others, "Usama Bin Ladin," Dec. 4, 1998, p. 2.

نفلتها عن: [COMMISSION REPORT, p:561 9/11].

²⁰⁴ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 357.

²⁰⁵ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 130, 131 & 132.

- المطلب الأول: في الطريق للغزوات/ الفرع الأول: محاولات أمريكا لضرب أفغانستان والقاعدة
- 11- وفي فبراير 1999 أصدر كلنتون بناء على طلب السي آي إيه مذكرة تخول تحالف الشمال صلاحية مشابهة لما خوله للعملاء القبليين، وبذكر ضابط الاستخبارات بشروين أن مسعود لما علم بأن أمريكا تريد منه أساساً أن يقبض على بن لادن لا أن يقتله، أنه قال:
- "أيها الناس إنكم مجانين، ولم تتغيروا قط"²⁰⁶.
- 12- وفي فبراير 1999 أيضاً زعم الأمريكان رصدتهم لمعسكر صيد لأمرأء إماراتيين يزوره أسامة بن لادن، وقد ذكرت القصة من قبل²⁰⁷.
- 13- ويزعم الأمريكان أنهم في مايو 1999 رصدوا بن لادن داخل وحول قندهار لمدة خمسة أيام، وتجهزوا لضربه بالصواريخ، ولكن لم يأتهم الأمر²⁰⁸. هكذا يزعمون!
- 14- وفي الخامس والعشرين من يونيو 1999 دعا ساندي برجر²⁰⁹ المجموعة الأمنية المصغرة، لمناقشة قرار بضرب بن لادن، وكانت قيادة الأركان الأمريكية قد أعدت خطة في مطلع نفس العام لحملة مركزة ضد مراكز بن لادن والمراكز الحكومية للطالبان، ولكن لم يتخذ قرار بالضرب. لخشيتهم كما يزعمون من وجود عائلات في مجمع بن لادن السكني²¹⁰.
- 15- وفي يوليو 1999 حول كلنتون السي آي إيه صلاحية العمل مع حكومات أخرى للقبض على بن لادن أو مساعدته الرئيسيين، كما خولها صلاحية القيام بأعمال سرية -في حالات محددة- قد تؤدي لموت بن لادن²¹¹.

²⁰⁶ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 133 & 139.

²⁰⁷ الفصل الثاني: الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصلبيين.

²⁰⁸ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 140.

²⁰⁹ مستشار الأمن القومي من عام 1997 حتى عام 2001.

²¹⁰ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 141.

²¹¹ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 142.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
16- وفي يوليو 1999 أصدر كلينتون قراراً إدارياً باعتبار
طالبان دولة راعية للإرهاب²¹².
17- وفي سبتمبر 1999 كشف مدير السي آي إيه جورج
تنت عن استراتيجية جديدة لمحاربة بن لادن سميت ببساطة
(بالخطة)، وكانت تهدف لعمليات من التفكيك للخلايا
والترحيل على مستوى العالم، ولتجنيد كفاءات في محاربة
الإرهاب، وأيضاً لزيادة الاتصالات مع تحالف الشمال المقاتل
ضد الطالبان²¹³.

18- وبضغط من الولايات المتحدة أصدر مجلس الأمن
القرار رقم 1267 في أكتوبر 1999 يطالب فيه أفغانستان
بتسليم أسامة بن لادن خلال ثلاثين يوماً، وإلا تعرضت
لعقوبات اقتصادية وضد طيرانها²¹⁴.
19- وفي آخر أكتوبر 1999 طارت مجموعة من ضباط
مركز مكافحة الإرهاب الأمريكيان بطائرات حوامة ليوادي
ينشر للقاء مسعود، وهي رحلة تكررت عدة مرات فيما
بعد²¹⁵، وقد بدا مسعود في اللقاء مصمماً على مساعدة
الولايات المتحدة في جمع المعلومات عن أنشطة وأماكن
وجود بن لادن، كما وافق على أن يحاول القبض عليه إذا
سنتحت الفرصة²¹⁶.

20- وفي نهاية عام 1999 بدأت السي آي إيه في النظر
في احتمال إرسال أمريكيين لأفغانستان، وكانت قد ناقشت
هذا الأمر مع قيادة القوات الخاصة، وكان تقديرها أن القوات

²¹² 9/11 COMMISSION REPORT, p: 125.

²¹³ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 142.

²¹⁴ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 125 & 483.

²¹⁵ تكررت هذه الزيارة بعد ذلك مرتين على الأقل، مرة من 13 إلى 21 مارس
2000، ومرة أخرى من 24 إلى 28 أبريل 2000. [9/11 COMMISSION REPORT, 9/11].
[p: 505 & 506].

²¹⁶ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 142.

المطلب الأول: في الطريق للغزوات/ الفرع الأول: محاولات أمريكا لضرب أفغانستان والقاعدة الخاصة قادرة بنسبة 95% على القبض على بن لادن لو أرسلت لأفغانستان²¹⁷.

21- وفي منتصف ديسمبر 1999 وقع كلنتون (مذكرة توجيه) تخول السي أي إيه صلاحية أوسع في أن تستخدم وكلاءها الخارجيين في القبض على مساعدي بن لادن، يون الحاحة لنقلهم لمعتقلات الولايات المتحدة²¹⁸. وكانت صلاحية في أن يقبضوا لا أن يقتلوا، رغم أن القوة القاتلة ممكن استخدامها عند الضرورة²¹⁹.

22- وفي أواخر ديسمبر 1999 أرسل الجنرال زيني قائد القيادة المركزية كمبعوث خاص للرئيس الأمريكي إلى برويز مشرف ليتخذ أي إجراء يراه ضرورياً لحل مشكلة بن لادن في أسرع وقت ممكن²²⁰.

23- وفي يناير 2000 قابل مساعد وزير الخارجية الأمريكي كارل إيندرفورث²²¹ و منسق قسم مكافحة الإرهاب بالوزارة ميتشل شيهان²²² الجنرال مشرف في إسلام آباد، وقد أخبر مشرف المبعوثين أنه سيقابل الملا عمر ويضغط عليه بشأن بن لادن²²³.

24- وفي مارس 2000 زار كلنتون باكستان، ورجا مشرف أن يساعدهم بشأن بن لادن، وأغراه بمساعدات أمريكية وتطوير العلاقات بين البلدين لو وفى بوعدته، وزار أفغانستان، وضغط على الملا عمر لطرد بن لادن²²⁴.

²¹⁷ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 143.

²¹⁸ أي للسجون السرية.

²¹⁹ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 176.

²²⁰ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 176.

²²¹ مساعد وزير الخارجية لجنوب آسيا من عام 1997 إلى عام 2001.

²²² منسق مكافحة الإرهاب بوزارة الخارجية الأمريكية من عام 1998 إلى عام

2000.

²²³ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 183.

²²⁴ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 183.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات

25- وفي نهاية مارس 2000 زار نائب وزير الخارجية

توماس بيكرينج باكستان لنفس الغرض²²⁵.
26- وفي مايو 2000 زار وفد يمثل مسعود واشنطن،

والتقى بريتشارد كلارك و ميتشل شيهان وكبار المديرين في
السي آي إيه لمناقشة ما اتفق عليه من قبل²²⁶.

27- وفي يونيو 2000 زار جورج تنت مدير السي آي إيه

باكستان بنفس الرسالة، واتفق معه مشرف على إنشاء
مجموعة مكافحة إرهاب لتنسيق الجهود بين الوكالات

الباكستانية والسي آي إيه²²⁷.

28- وفي صيف عام 2000 استمرت الخطط لضرب

القاعدة وأفغانستان في التطور، وكانت السفن الحربية في

بحر العرب على أهبة الاستعداد لضرب أهدافها في
أفغانستان. وفي الصيف دقق العسكريون من قائمة أهدافهم

وإمكانات العمليات الخاصة لمجموعة من ثلاثة عشر اختياراً
ضمن عملية (العزم اللامتناهي)²²⁸.

29- وخلال هذه الفترة كان كلنتون محبطاً من قلة البدائل

العسكرية المتاحة للظفر بين لادن وقيادة القاعدة، وقد عبر
عن ذلك للجنرال هيوج شلتون حين قال له:

"أتعلم؟ سوف نخلع قلوب القاعدة، لوفجأة

قفزت مجموعة من النينجا السوداء من حواماتها
في وسط معسكرهم"²²⁹.

30- وفي السابع من سبتمبر 2000 بدأت طائرة

الاستطلاع بدون طيار (بريديتور) في التحليق فوق أفغانستان
ضمن عملية (عيون أفغانية)، لمحاولة تحديد موقع بن لادن أو

أعوانه أو مخازن أسلحته، حتى يمكن ضربه بالطيران أو

²²⁵ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 183.

²²⁶ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 506.

²²⁷ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 183 & 503.

²²⁸ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 188.

²²⁹ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 189.

المطلب الأول: في الطريق للغزوات/ الفرع الأول: محاولات أمريكا لضرب أفغانستان والقاعدة

صواريخ كروز، وقامت تلك الطائرة بخمس عشرة رحلة، اعتبرت عشرة منها ناجحة. وزعم الأمريكيان أنهم تمكنوا من تصوير بن لادن مرتين²³⁰.

31- وفي سبتمبر 2000 اجتمع تومي فرانكس -القائد العام للقيادة المركزية الأمريكية²³¹- بكبار مديري القيادة المركزية، وقال عن ذلك في مذكراته:

"في صباح الثلاثاء أواخر سبتمبر 2000 جمعت كبار مديري القيادة الوسطى في مكثبي بتامبا لمراجعة موقف القيادة العملياتي تجاه القاعدة.

كانت مجموعة عمليات (الجنرال) ساندي ساندستروم قد حددت سلسلة من خيارات أهداف القاعدة اعتماداً على التصوير والمعلومات الالكترونية. وكان هذا يرتبط بمعسكرات تدريب معروفة أو محتملة، وما نسميه من ناحية متفائلة تسهيلات «الضيافة»، أي بعض البيوت والمكاتب، التي كانت الأوساط الاستخباراتية تعتقد أن أسامة ومساعديه يقومون بعملهم فيها بين حين وآخر. وإذا ما أخذنا بالحسبان نوعية معلوماتنا الاستخباراتية، فإنني لم أكن مقتنعاً بأن بوسعنا أن نقضي على القاعدة في أفغانستان باستخدام صواريخ كروز وال ضربات الجوية فقط. ولكنني وجهت العاملين في مجموعة عمليات ساندي إلى العمل على نحو وثيق مع نائب الأدميرال ويلي مور، قائد بحريتنا لتحسين أوقات استحابة "قاذفات توماهوك" للحملات الضرورية. وإذا ما كان لنا أن نشن هجوماً فعالاً ضد القاعدة فقد كنت أعرف أن ذلك سيتطلب عمليات برية.

²³⁰ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 189 & 190.

²³¹ قائد القيادة المركزية للولايات المتحدة من عام 2001 حتى عام 2003.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
وكان سيتعين علينا أن ندخل، ونحصل على
المعلومات، و نتصرف في ضوء ذلك.
ولكن أبة غارة من جانب القوات الهجومية
الاستراتيجية كان ينبغي أن تكون قوية بما فيه
الكفاية، لإلحاق الهزيمة بحلقة القوات الأمنية، ذات
القدرات والتسليح الثقيل المحيطة بأسامة بن لادن
ومساعديه. وتتطلب مثل هذه العملية وحدات
مهمات خاصة، أي تحليق طائرات على مناطق أكثر
من دولة، والقيام بإجراءات التنظيم والإعداد،
ومعلومات دقيقة كافية تبلغنا عن الموقع، الذي
نستهدفه في ضرباتنا. والأكثر أهمية أن مثل هذه
العملية تتطلب قرارات سياسية خطيرة. وكنت
أعتقد أن بوسعنا أن نعالج موضوع الاستعداد
وتحليق الطائرات، ولكن المصادقة الوطنية على
شن عملية هجومية استراتيجية ذات مخاطر في
أفغانستان، في ظل غياب معلومات دقيقة، لم يكن
محتملاً في عصر ما بعد مقديشو²³².

32- وفي منتصف نوفمبر 2000 طلب برجر من الجنرال
شلتون أن يعيد تقييم الخطط العسكرية للعمل بسرعة ضد
بن لادن. وطلب شلتون بدوره من الجنرال تومي فرانكس أن
يراجع البدائل مرة أخرى. وأوجز شلتون لبرجر بدائل خطة
(العزم اللامتناهي) التي تطورت منذ عام 1998، والتي
دقتها هيئة الأركان والقيادة المركزية إلى قائمة من 13
احتمالاً، كما أضافت القيادة المركزية مبدأً جديداً (للحملة
المتدرجة) لنطاق أوسع للضربات، يشمل ضربات ضد
الطالبان. ولأول مرة كانت هذه الضربات ترمي لحملة جوية
ضد أفغانستان لمدة غير محددة²³³.

²³² الشرق الأوسط 20 أغسطس 2004- جندي أمريكي- الحلقة السادسة.

²³³ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 194.

المطلب الأول: في الطريق للغزوات/ الفرع الأول: محاولات أمريكا لضرب أفغانستان والقاعدة
33- والتقى تومي فرانكس بريتشارد كلارك -مستشار الأمن القومي في عهدي كلينتون وبوش- في عام 2000 لتدارس القيام بعمليات عسكرية ضد القاعدة، وعن ذلك يقول في مذكراته:

"كان موضوع النقاش القاعدة وطالبان. وبدأ كلارك باستعراض المعلومات الاستخبارية المتاحة، ومع أن تلك المعلومات وصلت مؤخراً إلا أنها ربما لا تكون دقيقة.

.....
ثم سألته عن المعلومات الاستخبارية عن القاعدة. قلت: ديك، من أجل أن تتمكن القيادة الوسطى من رسم خطط عملية للحرب، فإننا نحتاج إلى معلومات استخبارية قابلة للاستخدام. فصواريخ توماهوك قادرة على ضرب المواقع، التي تحدد لها بصورة مسبقة. ولكن التقرير الذي يقول إن أسامة بن لادن ربما يكون قد قضى ليلته في ذلك الكهف، لا تمثل أهدافاً محتملة. وربما تساعدنا مثل هذا التقارير على الوصول إلى نمط محدد لتحركاته، ولكننا نحتاج إلى معلومات دقيقة ومحددة زمانياً ومكانياً حتى نستطيع استهدافه. ابتسم كلارك ابتسامة العارفين وقال إنه يملك "تقنيات" يمكن أن تساعد في حل هذه المشكلة. واستنتجت مباشرة أنه يقصد طائرة الاستطلاع "بريديتور"، والتي تستطيع أن تحلق لساعات فوق أرض العدو، وترسل صوراً شديدة الوضوح ليلاً ونهاراً. وكانت "سي أي إيه" تحاول تسليح بريديتور بصواريخ هيلفاير، وقلت لنفسى إن هذا سيكون سلاحاً خطيراً جداً. ولكنني تذكرت في نفس الوقت

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
الحكمة العسكرية التي تقول: "من الخطير عدم
التمييز بين الرغبة والقدرة".

وتساءلت عما إذا كان ديك كلارك قد سمع بهذه
الحكمة.
كنت حريصاً على تدمير القاعدة، ولكن زيارتي
لكلارك لم تقدمني خطوة واحدة تجاه هذا
الهدف²³⁴.

34- وقادت الولايات المتحدة حملة في الأمم
المتحدة لفرض عقوبات جديدة على أفغانستان
أدت لإصدار قرار مجلس الأمن رقم 1333 في
ديسمبر 2000، الذي يكرر الطلب بطرد بن لادن،
وتحظر على أية دولة أن تمد الطالبان بالسلاح أو
المساعدة العسكرية²³⁵.

35- وفي ختام عام 2000 بدأت السي آي إيه
ومجلس الأمن القومي يفكران في السياسة
الجديدة التي سيقدمانها لإدارة بوش الجديدة
بخصوص مقاومة الإرهاب. وبدأ مركز مقاومة
الإرهاب في السي آي إيه يفترض أنه سيقدم أفضل
ما عنده من أفكار، وأنه لن تكون عليه أية قيود
مالية من أية سياسة سابقة، ولذا قدم ورقة أسماها
بمذكرة (السماء الزرقاء) طرحت ما يلي:

- القيام بمجهود ضخم لدعم تحالف الشمال عبر
تبادل الاستخبارات وزيادة التمويل، حتى يمكنه أن
يحطم حيش الطالبان ويقيد القاعدة. ولم يكن هذا
المجهود يهدف لإزالة الطالبان من السلطة، لأن
هذا الهدف اعتبر غير عملي وشديد الكلفة على
السي آي إيه وحدها.

²³⁴ الشرق الأوسط 20 أغسطس 2004- جندي أمريكي- الحلقة السادسة.

²³⁵ 9/11 COMMISSION REPORT, p:183.

المطلب الأول: في الطريق للغزوات/ الفرع الأول: محاولات أمريكا لضرب أفغانستان والقاعدة - زيادة الدعم للأوزبك ليساعدوا أمريكا في مقاومتها للإرهاب.

- دعم المجموعات المناوئة لطالبان²³⁶.
36- ولما أوشكت مدة إدارة كلنتون على الانتهاء أعد كلارك وفريقه ورقة سياسة بعنوان (استراتيجية التخلص من تهديد شبكات جهادي القاعدة- الواقع والتطلعات). وقد راجعت الورقة التهديد حتى كتابتها، وضمت الأفكار التي احتوتها مذكرة السي أي إيه؛ (السماء الزرقاء)، وطرحت عدة بدائل قريبة المدى. وقد توقع كلارك وفريقه أن يعيدوا القاعدة للوراء في خلال ثلاث إلى خمس سنوات، ويحولوها لمجموعة من البقايا، وقد رأت الورقة أن الجهود الحالية ضد القاعدة قد تمنع بعض الهجمات، ولكنها تعجز عن شل قدرة القاعدة على التخطيط وشن الهجمات. وقد أيدت الورقة الدعم السري لتحالف الشمال ولأوزبكستان، وتجديد طلعات البريدتور من مارس 2001. كما طالبت بعمل عسكري لتدمير مراكز القاعدة للتحكم والسيطرة ونيتها التحتية، وكذلك قدرات الطالبان القيادية والعسكرية²³⁷.

37- وقبيل استلام بوش لرئاسته بأسبوع اجتمع به جورج تنت ليوجز له سياسة الوكالة، وسأله بوش: هل تستطيع السي أي إيه أن تقتل بن لادن؟ فرد تنت بأن قتل بن لادن سيكون له أثر، ولكنه لن ينهي التهديد. وقال تنت إن السي أي إيه لديها كل الصلاحيات التي تحتاجها²³⁸.

²³⁶ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 196 & 197.

²³⁷ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 197.

²³⁸ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 198, 199 & 508.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
38- وفي ديسمبر 2000 التقى بوش بـكلنتون
ليتناقشا في تحديات الأمن القومي والسياسة
الخارجية قبيل مغادرة الأخير، وكان مما قاله
كلنتون لبوش:

"أعتقد أنك ستجد أن بن لادن والقاعدة هما أكبر
الأخطار قاطبة. وإن من أشد ما ندمت عليه في
رئاستي أنني لم أظفر لك بين لادن، مع أنني قد
حاولت"²³⁹.

39- ويقول تومي فرانكس عن اتصال كلارك به
في 9 يناير 2001:

"في التاسع من يناير 2001 وفي الأيام الأخيرة
من عهد إدارة كلينتون اتصل بي ديك كلارك من
مجلس الأمن القومي لمناقشة ملاحقة الحكومة
لأسامة بن لادن والقاعدة.

.....
وكانت هناك معلومات حساسة في ما يتعلق
ببرنامج عملية البريداتور. وقال إن العملية تسير
قدماً وقد تحصد النتائج قريباً. كما قال إن أداء
مصادر المعلومات البشرية يتحسن، ولكنه لا يتميز
بالسعة والإتقان.

قلت: «هذا شيء عظيم. نحن مستعدون
لتنسيق الأهداف».

ولم أتلق أبداً أية توصية عملية أو صفحة
معلومات تتعلق بالعمل من ريتشارد كلارك"²⁴⁰.
40- ويقول عن لقائه بمشرف في 19 يناير عام 2001:

²³⁹ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 199.

²⁴⁰ الشرق الأوسط 25 أغسطس 2004- جندي أمريكي- الحلقة الثامنة.

المطلب الأول: في الطريق للغزوات/ الفرع الأول: محاولات أمريكا لضرب أفغانستان والقاعدة
"ثم ركز²⁴¹ بعد ذلك على أفغانستان، وقال:
"ليس أمامنا خيار سوى العمل مع طالبان. أستطيع
أن أؤكد لك أننا نبغض نزعتهم المتطرفة، ولكنهم
جلبوا الاستقرار إلى أفغانستان وأنهوا إراقة الدماء
بعد مغادرة السوفييات. يجب أن نتمتع بالاستقرار
على الأقل في حدود واحدة".

.....
قال²⁴²: "أنت تعرف أيها الجنرال أن طالبان
معزولة. لدينا بعض النفوذ معهم، ولكننا لا نسيطر
عليهم. سأبذل ما في وسعي للمساعدة ولكننا
بحاجة إلى مساعدة من المجتمع الدولي".
والمساعدة التي كان يفكر بها بالطبع هي
المساعدة الاقتصادية والعسكرية الأميركية. ولم
أكن هناك لتقديم امتيازات. ولكنني يمكن أن أنقل
هذه الرسالة إلى واشنطن.
وقال طارحاً قضية مباشرة: "إن باكستان
يمكن أن تساعد في مشكلة أسامة بن لادن
والقاعدة. وإذا ما استطعنا زيادة نفوذنا مع طالبان
فإنه من المحتمل أن يوافقوا على طرده إلى دولة
محايدة لينفى فيها أو لمحاكمته هناك".
قلت: "أنا هنا لأستمع أيها الجنرال مشرف".
وواصل مشرف حديثه، ولكن المعلومات
الحاسمة قد جرى تبادلها. فإذا ما ساعدناه في تلبية
حاجات باكستان، فإنه سيساعدنا في قضية بن
لادن والقاعدة.
وبينما كنا نتحدث لفت انتباهي أنه من المناسب
أننا نتردي بدلتنا العسكرية. فلسنوات كان

²⁴¹ يقصد مشرف.
²⁴² أي مشرف.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
المسؤولون والمبعوثون الدبلوماسيون الأميركيون
يرتدون البدلات المدنية الرسمية ويتحدثون، بلغة
متعالية، مع السياسيين العسكريين مثل برويز
مشرف حول حقوق الإنسان والحكومات
الدستورية. ومن الطبيعي أنني أؤمن بهذه القضايا
بالمستوى ذاته من القناعة، ولكن في هذه المرحلة
من التاريخ كنا بحاجة إلى تحديد الأولويات. إن
إيقاف القاعدة من أهم هذه الأولويات، وكان
مشرف مستعداً لتقديم المساعدة²⁴³.

41- وفي فبراير 2001 كتب بوش لمشرف حول عدة
مواضيع، وأكد على أن بن لادن والقاعدة يشكلان تهديداً
مباشراً -للولايات المتحدة ومصالحها- يجب التصدي له، وحث
مشرف أن يستخدم نفوذه لدى الطالبان بشأن بن لادن
والقاعدة²⁴⁴.

42- وفي 30 أبريل 2001 اجتمعت لجنة مندوبي الأجهزة
الأمنية وتناقشت حول القاعدة. وقدمت السي أي إيه إيجازاً
بالشرائح وصفت فيه القاعدة بأنها:
"أشد المجموعات التي نواجهها خطورة".
مستشهادة "بقيادتها وخبرتها وإمكاناتها وملاذها
الآمن في أفغانستان، وتركيزها على مهاجمة
الولايات المتحدة". وحذرت الشرائح من أنه
"ستكون هناك هجمات أكثر".

وأقرت اللجنة دعماً خفياً لأوزبكستان، أما بشأن التحالف
الشمالي فاتفقوا على ألا يقوموا بأي توجه كبير في الوقت
الحالي، وأن على واشنطن أولاً أن تدرس بدائل دعم
المجموعات الأخرى المناوئة للطالبان. وفي نفس الوقت
فعلى الإدارة أن تشرع في مراجعة شاملة لسياسة الولايات

²⁴³ الشرق الأوسط 25 أغسطس 2004- جندي أمريكي- الحلقة الثامنة.

²⁴⁴ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 207.

المطلب الأول: في الطريق للغزوات/ الفرع الأول: محاولات أمريكا لضرب أفغانستان والقاعدة المتحدة لباكستان. وتستكشف بدائلها السياسية حول أفغانستان، بما في ذلك بديل دعم تغيير النظام²⁴⁵ 43- وفي 29 مايو 2001 عقدت راييس اجتماعاً مع تنت وعددًا من كبار المسؤولين المتصلين بمكافحة القاعدة. وتساءلت راييس: "ألا يمكن أن نبادر بالهجوم؟". وهل من طريق يمكن سلوكه للتأثير على بن لادن أو الطالبان؟ ورد كلارك وبلاك²⁴⁶ بأن إجراءات تمزيق القاعدة "تبادر بالهجوم"، ولكن بن لادن لا يمكن رده. ودار نقاش موسع حول (قصر ظهر منظمة بن لادن)، وأكد تنت على الخطط الطموحة للعمل السري التي طورتها السي آي إيه منذ عام 2000. وقد طلب من كلارك وبلاك أن يطورا بدائل متراوحة من الأقل للأكثر طموحاً. وقد طلبت راييس وهادلي²⁴⁷ من كلارك وفريقه أن يكتبوا مسودة توجيه رئاسي جديد. وفي 7 يونيو وزع هادلي المسودة الأولى التي تهدف إلى: "التخلص من شبكة مجموعات القاعدة كتهديد للولايات المتحدة والحكومات الصديقة". وقد طالبت بمجهود متعدد السنوات يشمل الدبلوماسية والعمل السري والإجراءات الاقتصادية وتطبيق القانون والدبلوماسية الشعبية والمجهودات العسكرية عند اللزوم. وكان على وزارة الخارجية أن تعمل مع الحكومات الأخرى لتقضي على كل ملاذات القاعدة، وأن تعمل مع وزارة الخزانة للقضاء على تمويل الإرهاب. وكان على السي آي إيه أن تطور برنامجاً موسعاً للعمل السري يتضمن تمويلًا إضافياً قيماً ودعمًا للمجموعات المناوئة للطالبان.

²⁴⁵ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 203.

²⁴⁶ كوفر بلاك: مدير مركز مكافحة الإرهاب في إدارة المخابرات المركزية من عام 1999 حتى عام 2002.

²⁴⁷ ستيفن هادلي: نائب مستشار الأمن القومي.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
وكلفت المسودة أيضاً (مكتب الإدارة والميزانية) أن يتأكد
من توفير الاعتمادات اللازمة لهذا البرنامج في ميزانيات
الأعوام المالية من 2002 إلى 2006.

وقد رأت راييس في مسودة هذا التوجيه تجسيداً
لاستراتيجية جديدة شاملة تستخدم كل أدوات القوة الوطنية
للتخلص من تهديد القاعدة²⁴⁸.

44- وفي 18 يونيو 2001 قابلت راييس وزير خارجية
باكستان الزائر عبد الستار، ووبخته بقسوة، ونصح عبد
الستار المسؤولين الأمريكيين بأن يتعاملوا مع الطالبان، وأن
هذا المسار -وإن كان سيستغرق وقتاً- ولكنه قد يثمر²⁴⁹.

45- وفي يونيو 2001 أعادت الحكومة الأمريكية الضغط
على الإمارة الإسلامية لتسليم بن لادن لأية دولة، يمكن أن
يواجه فيها العدالة، وأعادت تهديدها بأن الطالبان سيكونون
مسؤولين عن أية هجمات على مصالح الولايات المتحدة.
وفي أوائل يوليو 2001 قابل السفير الأمريكي ميلام نائب
وزير خارجية الإمارة الإسلامية ملا عبد الجليل في إسلام آباد،
وأكد له أن بن لادن لا بد أن يطرد²⁵⁰.

46- وفي أغسطس 2001 اجتمعت لجنة مندوبي
الأجهزة الأمنية لتبحث مجدداً البريديتور المسلحة، واستنتجت
اللجنة أن من حق أمريكا أن تقتل بن لادن أو أحد نوابه دفاعاً
عن نفسها²⁵¹.

47- وفي 4 أغسطس 2001 كتب بوش لمشراف يسأله
المساعدة في التصدي للإرهاب، وليحث باكستان على أن
تعمل جاهدة ضد القاعدة²⁵².

48- ويقول تومي فرانكس:

²⁴⁸ 9/11 COMMISSION REPORT, p:204 & 205.

²⁴⁹ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 207.

²⁵⁰ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 205 & 511.

²⁵¹ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 212.

²⁵² 9/11 COMMISSION REPORT, p: 207.

المطلب الأول: في الطريق للغزوات/ الفرع الأول: محاولات أمريكا لضرب أفغانستان والقاعدة
"في أول أسبوع من سبتمبر عملت مع جورج تنت ومع مساعدة وزيرة الخارجية كريستيانا روكا لترتيب لقاء مع الجنرال محمود أحمد مدير الاستخبارات الباكستاني خلال رحلة مقرر أن يقوم بها إلى واشنطن. كنت تواقاً للنظر بعمق إلى العلاقات التي تجمع باكستان بطالبان، ولتقييم إمكانية أن تقوم باكستان بمساعدتنا في الوصول إلى أسامة بن لادن والقاعدة عن طريق زيادة التعاون بين وكالاتنا. وتقرر أن يكون اللقاء به يوم 10 سبتمبر 2001"²⁵³.

49- وفي 10 سبتمبر 2001 اجتمع مندوبي الأجهزة الأمنية الأمريكية وقرروا الاتفاق على خطة من ثلاثة مراحل. المرحلة الأولى: يرسل وفد لطالبان لمنحهم الفرصة الأخيرة.

المرحلة الثانية: لو فشلت المرحلة الأولى يضاف للضغط الدبلوماسي المتواصل برنامج عمل سري مخطط، يشجع الأفغان المناوئين لطالبان من كل المجموعات العرقية الأساسية على تضيق الخناق على الطالبان في الحرب الأهلية وعلى مهاجمة قواعد القاعدة، في الوقت الذي تشكل فيه الولايات المتحدة تحالفاً دولياً لتخلع النظام.

المرحلة الثالثة: لو لم تتغير سياسة الطالبان تقوم الولايات المتحدة بعمل سري لقلب نظام الطالبان من داخله.

وقد وافق المجتمعون على مراجعة توجيه القاعدة الرئاسي، الذي كان يجهز لتصديق الرئيس، لكي تضاف له هذه الخطة²⁵⁴.

والآن بعد هذا السرد الذي ربما يكون القارئ قد مل منه، أود أن أبين أنني قد تعمدته، لأوضح للقارئ السعي الأمريكي

²⁵³ الشرق الأوسط 25 أغسطس 2004- جندي أمريكي- الحلقة الثامنة.

²⁵⁴ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 206.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات

الحديث العدواني المتواصل في الهجوم والاعتداء على القاعدة والطالبان. وقد سردت هذه الخطوات والمساعي مما تيسر لي من المصادر، رغم قلة ما يتوفر لي، ورغم أن الأيام قد تكشف أكثر، أقول تعمدت أن أسرد هذه المساعي من المصادر الأمريكية الرسمية ومن مذكرات أحد كبار قادتهم. حتى أستدل بمصادر لا يتطرق لها الشك. وقراءة هذه المساعي تبين الآتي:

أ- أن الحكومة الأمريكية منذ صيف عام 1997 وهي تحاول خطف أو قتل الشيخ أسامة بن لادن، كما بينت مذكرة السي آي إيه، التي استشهدت بها²⁵⁵. أي قبل إعلان (الجهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصلبيين)²⁵⁶، وقبل تفجير السفارتين في نيروبي ودار السلام²⁵⁷.

ب- أي أن أمريكا تسعى لقتل أو خطف كل من تحس منه جدية في مقاومتها، أما الذين يعارضونها بشقشقة اللسان فهي تعرف قدرهم. وفي هذا رد على المنهزمين، الذين اتهموا أسامة بن لادن والقاعدة بأنهم سبب حرب أمريكا على العالم الإسلامي.

ج- وإذا كانت أمريكا لا تتساهل مع كل من تلمس منه جدية في مقاومتها، فليس لنا معها إلا طريقان، الأول هو أن نستسلم لعدوانها المستمر علينا منذ أربعينيات هذا القرن، وقد نخدع أنفسنا بالثرثرة حول جرائمها، أو أن نتصدى لعدوانها، حتى نعيش مسلمين أعزة شرفاء أحرار، وهنا ستندلع الحرب بيننا وبينها بكل ما تحمله هذه الحرب من صعاب ومشاق وتضحيات.

²⁵⁵ CIA memo, "DCI Talking Points Regarding Operations Against Usama Bin Ladin," Aug. 25, 1997.

نفلتها عن: [COMMISSION REPORT, p: 480 9/11].
²⁵⁶ في 25 شوال 1418 هـ الموافق 22 فبراير 1998 م.
²⁵⁷ في 7 أغسطس 1998.

المطلب الأول: في الطريق للغزوات/ الفرع الأول: محاولات أمريكا لضرب أفغانستان والقاعدة
د- أن أمريكا كانت تسعى لقتل أو القبض على أسامة بن لادن وترويض الطالبان حتى تتحول لحكومة خانعة مثل بقية الدول التي تزعم أنها إسلامية، وكانت مستعدة لممارسة كل أنواع العنف والأعمال السرية والقدرة في سبيل ذلك.
هـ - أن أمريكا لم تنفذ كثيراً من خططها بسبب تردد قادتها في تحمل المسؤولية والخسائر، وهذا يظهر ضعف عدونا.
و- أن أمريكا قررت قبل الحادي عشر من سبتمبر أن تخضع الإمارة الإسلامية لمخططاتها وأن تحاول الظفر بأسامة بن لادن بكل ما تملكه من (كل أدوات القوة الوطنية)، وقد بلغت ذروة هذه المخططات بالخطوة التي أقرت يوم 10 سبتمبر 2001.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.
وأود أن ألفت انتباه القارئ إلى أنني لم أذكر المعلومات المتكررة التي كانت تصلنا عن الخطط الأمريكية وعن الحشود على حدود أفغانستان الشمالية، والتحركات الأمريكية في آسيا الوسطى، والدعم الإيراني المتواصل لتحالف الشمال، بل والجهد والضغط الإيراني لتجميع ذلك التحالف المهترئ. وإنما اقتصر على ما نقلته عن مصادر الأمريكان الرسمية وشبه الرسمية.
أمر آخر أود أن ألفت انتباه القارئ له؛ وهو كثرة ما رددته الأمريكان في كتاباتهم وأحاديثهم عن المعلومات التي كانت تصلهم عن استعدادات القاعدة لضربهم. وهذا من باب التهويل من قدراتهم، وأن لديهم استخبارات تراقب وتطلع على دقائق الأمور، وحقيقة الأمر أن الأمر لم يكن يحتاج لأية معلومات أو مصادر، فقد كرر الشيخ أسامة بن لادن، وأكثر من التكرار بأن المجاهدين قد خرجوا لضرب أمريكا، وكانت أحاديثه يتناقلها الناس وتنشرها وسائل الإعلام!!
يقول تومي فرانكس في لهجة دعائية مكشوفة:

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
"خلال ربيع 2001 وحتى المدخول في الصيف
ظلت حماية وحداتنا المنتشرة من هجمات
الإرهابيين هي الهم الأساسي. قضيت أياماً كثيرة
وعطلت نهاية الأسبوع مع قادة القوات الجوية
والبرية والبحرية، حيث بقينا نعمل من أجل التوثق
من عدم تكرار مهاجمة أبراج الخبر ومهاجمة
السفينة الحربية كـ...
وعند حلول الصيف كان الأفراد العاملون في
الاستخبارات يشتغلون مع "سي أي إيه" ووكالة
الاستخبارات العسكرية لجمع وتحليل مؤشرات
متواصلة عن نشاط يخطط له الإرهابيون في
الشرق الأوسط، لكنها مؤشرات غير محددة.
ومصادر هذه المعلومات كانت مزيجاً من
استخبارات بشرية وتقنية"²⁵⁸.

ويقول متظاهراً العلم ببواطن الأمور، مستعرضاً
معلومات تضحك الثكلى، لا تساوى ثمن الخبر الذي
كتبت به:

"ولم تعد ملاحقة القاعدة عبر التنصت على
الاتصالات مهمة سهلة. ففي السابق كان أسامة بن
لادن يستخدم هاتفاً عبر الأقمار الصناعية لكل
شيء من تحديد مواقع قواته إلى الحديث مع والدته
في السعودية!! ولكن أسامة تخلى عن الممارسة،
بعد أن كشفت تسريبات الصحافة عن أن ضربات
أغسطس من عام 1998 الجوية بصواريخ
توماهوك، بعد تفجيرات السفارتين في شرق
أفريقيا، قد استهدفت آخر موقع معروف لهاتفه!!
وتستخدم القاعدة في الوقت الحالي مجموعة من
الهواتف السوفيتية المدنية، التي تعمل على

258 الشرق الأوسط 25 أغسطس 2004- جندي أمريكي- الحلقة الثامنة.

المطلب الأول: في الطريق للغزوات/ الفرع الأول: محاولات أمريكا لضرب أفغانستان والقاعدة
الموجات القصيرة المدى، وطائفة من هواتف
موتورولا اللاسلكية، والرسائل الإلكترونية التي
ترسل من مقاهي الانترنت في دول العالم الثالث،
إضافة إلى وسائل الملاحظات القديمة²⁵⁹.
ثم قارن هذه الطريقة الاستعراضية والتهويلية لدى
الأمريكان بكلام الشيخ أسامة بن لادن الواضح الصريح
المتحدي المستعلي بالإيمان:

يقول الشيخ أسامة بن لادن -حفظه الله- في لقائه
بالمجاهدين في معسكر الفاروق بميوند قبيل الغزوتين:
"بشركم بفضل الله سبحانه وتعالى، منذ
أسابيع بأن إخواناً لكم قد خرجوا يحملون رؤوسهم
على أكفهم يتغنون الموت مظانه من أجل رضوان
الله سبحانه وتعالى، فأرجو الله سبحانه وتعالى أن
يفتح عليهم وأن يسدد رميهم، إنه ولي ذلك والقادر
عليه.

فاتصل الإخوة من هنا إلى إخوانهم هناك-أهل
المعسكرات والمضافات- يبشرون إخوانهم هناك:
أن هلموا إلينا قبل الضربات. خشية من أن تقفل
الطرق. والكفر العالمي وأمريكا قد فرغت شعبة
كاملة في جهاز الاستخبارات الأمريكي السي آي
إيه تعمل على مدار الساعة يتناوب عليها ثلاثة
فرق، كل ثمانية ساعات يبدأ دوام فرقة، شعبة
خاصة بالمجاهدين في أفغانستان، بالمجاهدين
هؤلاء الذين يجاهدون، وفرغوا لهم قمراً اصطناعياً
لتصوير مواقعهم ولالتقاط الرسائل التي تخرج من
هنا عبر الهواتف إلى بلاد العرب، فزاد هذا من
خوفهم ومن رعبهم بفضل الله سبحانه وتعالى".

259 الشرق الأوسط 20 أغسطس 2004- جندي أمريكي- الحلقة السادسة.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
ورداً على سؤال من أحد المتدربين عن خطورة الإعلان عن
الضربات على سير الخطة أجاب الشيخ حفظه الله:
"طيب هذا نحن لما نتكلم هنا نعلم أنه يصل
بالضرورة، فنحن نبشركم، ونطلب منكم الدعاء
من جهة، ونقوم بحرب نفسية على الخصم، نهز
هيبته أمام العالم، ما في حرج إن شاء الله".
وقال أيضاً حفظه الله:

"فنحن على أبواب مقارعة عظيمة جداً، نتهاياً في
هذه الأيام لمقارعة الكفار، إخوانكم خرجوا
ليضربوا، وهم خرجوا ليضربوا، أميركا خرجت
وروسيا، يريدون أن يضربوا الإمارة الإسلامية في
أفغانستان، ويضربوا المجاهدين في أفغانستان.
فأوصي نفسي وإياكم بالصبر والتقوى.

.....
أقسم بالله هذا العدد الذي أراه، أرجو الله أن
يجعل فيه البركة، إن تصبروا وتتقوا، والله الذي لا
إله إلا هو لنا كلن بكم الأخضر واليابس والعرب
والعجم بإذن الله.

نحن اليوم -بفضل الله سبحانه وتعالى- نعيد
رسم خريطة العالم الإسلامي لتصبح دولة واحدة
تحت راية الخلافة بإذن الله سبحانه وتعالى، ونحن
اليوم -بفضله سبحانه وتعالى- نكتب تاريخاً ناصعاً
لأهل الإيمان في هذا الزمن، الذي ادلهمت فيه
الظلم، وانتشر فيه الجور والفساد والكفر في
مشارك الأرض ومغاربها. فالسعيد من يثبتته الله
-سبحانه وتعالى- بجوار راية التوحيد".

المطلب الأول: في الطريق للغزوات/ الفرع الثاني:
المجاهدون والحشد والتحريض

الفرع الثاني: المجاهدون والحشد والتحريض

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسِكَ وَحَرِّضِ
الْمُؤْمِنِينَ عَيْبَى اللَّهِ إِنْ يَكُفَّ بِأَسَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾

تعرضت -فيما سبق- لجهود الشيخ أسامة في الدعوة
والتحريض ضد الأمريكان، وما كان يقوم به من تحريض متصل
ضد الأمريكان والصليبيين. وأود أن أركز هنا على الجانب
المباشر في الإعداد، وهو الجانب التدريبي والتجهيزي
والتخطيطي للمجاهدين في أفغانستان، وما ذكره هنا أذكره
لسببين، أولهما أن هذه الأمور لم تكن سرا، وإن زعم
الأمريكان أنهم يحصلون على فتات منها في تقاريرهم
الاستخبارتية، تضخيما لقدراتهم. ثم إن ما كان منها سرا لم
يعد الآن سرا. وثانيهما أن أرجع الفضل لأهله، حتى تعلم الأمة
مدى الجهد الذي بذله أبناؤها المجاهدون المهاجرون في
أفغانستان، ويدركوا فضل الإمارة الإسلامية التي أوت
المجاهدين ووفرت لهم فرصة الإعداد والتدريب والتجهيز ضد
أعداء الإسلام والمسلمين، وحتى تدرك الأمة الفرق بين هذه
الجهود الحثيثة -التي لازالت مستمرة بفضل الله حتى اليوم-
وبين المقبورين وهم أحياء في قبور العجز والجدل والتنظير

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
والتحقير للمجاهدين، تلك القبور التي ما أظنهم خارجين منها
لقرون، إلا أن ينعم الله عليهم بهداية تغير من أحوالهم.
لم تخل أفغانستان حتى بعد سقوط الحكومة الشيوعية في
كابل من نشاط تدريبي لبقايا المهاجرين ومعظمهم من
العرب، فقد كان هناك معسكر خلدن قرب خوست، وهو
مركز العمل الدؤوب الصامت الذي قامت عليه فئة من خيار
المهاجرين العرب وإخوانهم من بلاد أخرى، الذين بذلوا
وقدموا في إخلاص وعطاء وصمت، والذي لم يتوقف منذ أن
أنشأ في وقت السيطرة الشيوعية لأفغانستان حتى توحد مع
معسكرات القاعدة قبيل الغزوتين المباركتين. ومن هذا
المركز الذي لم يكل ولم يمل تخرج المئات الذين حضروا
مختلف الدورات العسكرية، وكذلك الشرعية في المركز الذي
أنشأه الشيخ أبو عبد الله المهاجر في داخل معسكر خلدن.
وإذا كنت لا أستطيع أن أذكر كل من شاركوا في هذا العمل
المخلص الجبار، فلا بد أن أذكر الأخوين ابن الشيخ الليبي
-رحمه الله- وأبا زبيدة الفلسطيني فك الله أسرهم. اللذين
عملا في دأب وإخلاص -والله حسيهما- وصمت في إعداد
الشياب المسلم للجهاد في سبيل الله، إذ تكفل أبو زبيدة -فك
الله أسرهم- بالجانب المالي والإداري والترحيلي، وتكفل ابن
الشيخ بالعمل العسكري التدريبي التجهيزي.
وكانت هناك أيضاً معسكرات القاعدة في جاور قرب
خوست، التي استمرت بعد رحيل معظم العرب في تقديم
التدريب والخبرة الجهادية للتاجيك والأوزبك ومجاهدي
القفقاز، ثم نشطت بعد رجوع الشيخ أسامة وصحبه
لأفغانستان، وكان يتولاها في تلك الفترة الشيخ المجاهد
المرابط الشهيد -كما نحسبه- أبو العطاء التونسي.
وبعد عودة الشيخ أسامة وتوافد أفواج المهاجرين
والمجاهدين العرب على الإمارة الإسلامية نشطت الحركة
التدريبية التجهيزية الجهادية.

المطلب الأول: في الطريق للغزوات/ الفرع الثاني:

المجاهدون والحشد والتحريض

فكان للقاعدة معسكر تشارسياب في لوجر، وكان يجاوره

معسكر للإخوة التركستانيين، ثم انتقل معسكر القاعدة

لمنجم عينك في لوجر، ثم أنشأ معسكر الفاروق في جرمه

واك بميوند بهلمند، وقد ذكر الطالبان لإخوة القاعدة أنهم

يتفاءلون بمنح القاعدة معسكراً في ميوند، لأن ميوند منها

انطلق الجهاد ضد الانجليز.

والذي يتعامل مع الأفغان يعجب بهذا الاعتزاز الشديد

بتاريخهم في الجهاد ضد الإنجليز ثم الروس ثم الأمريكان.

والأفغان كمنجم الذهب لا تكتشف مكارمهم إلا بالمعاشرة،

فمظهرهم البسيط المتواضع يخفي من ورائه تعظيماً شديداً

للإسلام ومنظومة ثقافية وخلقية وسلوكية شديدة التمسك

بقيم العزة والكرم والسخاء وحماية المستجير والثأر من

الظالم، وجلد-تزول جبالهم الراسيات ولا يزول- في مقارعة

المعتدي عليهم وقتاله، ثم فوق كل هذا حب لا يوصف للعرب

بوصفهم قوم النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبناء الصحابة

رضوان الله عليهم. ولا يعني هذا أن الأفغان قوم بلا عيوب، بل

لهم عيوب ومثالب وجاهليات، ولكن لا بد أن نعترف بفضلهم

ومزاياهم التي يتفردون بها عن كثير من غيرهم.

أذكر أنني كنت أستاذ بيتاً في قندهار قبل غزوتي نيويورك

وواشنطن بأشهر، فاكتشفت أن مالك البيت يتكلم الإنجليزية،

فسألته أين تعلمتها؟ فقال: تعلمتها في أمريكا، حيث كان أخي

مصاباً في قتال الشيوعيين، واستطاع أن يحصل على منحة

للعلاج في أمريكا، وسافرت معه كمرافق. وقال لي: إن

الشيوعيين قد قصفوا بيتنا، وقتل فيه أبي وكثير من أقاربي.

ثم نظر إلي وقال: لقد استشهد جدي في قتال الإنجليز،

واستشهد أبي في قتال الروس، ونحن سنقاتل معكم

الأمريكان.

وعودة لحديث الإعداد فأقول؛ كان معسكر الفاروق في

جرمه واك بميوند هو أكبر معسكر للقاعدة، وكان في الحقيقة

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
عدة معسكرات، تدرس العديد من الدورات. ثم أنشأت
القاعدة معسكرها في الجزء الخارجي من قرية العرب
بقندهار، بعد أن هجرها سكانها نظراً للاعتبارات الأمنية.
وبالإضافة لمعسكرات القاعدة كانت هناك العديد من
المعسكرات، وقد ذكرنا من قبل معسكر خلدن، الذي انضم
بكامله لمعسكرات القاعدة، وكان هناك معسكر للإخوة
التركستانيين قرب كابل ثم انتقل لتلال توره بوره قرب جلال
آباد، وكان هناك معسكر للأوزبك قرب كابل، كما أنشأ الشيخ
أبو مصعب السوري معسكراً استمر لفترة من الزمن قرب
كابل، وكذلك كان للشيخ أبي خياب معسكراً للسموم
والتحضير الكيماوي قرب جلال آباد، ثم نقله لقرب كابل،
وكذلك كان للجماعة الإسلامية المقاتلة الليبية معسكر في
جبهة القتال شمال كابل، وكذلك كان للإخوة الأتراك معسكر،
ثم لجماعة الجهاد معسكر آخر في نفس المنطقة، وكان
للإخوة المغاربة معسكر قرب جلال آباد، وكان لأبي مصعب
الزرقاوي -رحمه الله- معسكر قرب هيرات.
وبالإضافة لتلك المعسكرات كانت هناك الجماعات
الباكستانية المجاهدة تنشأ معسكراتها في كابل وقرب
خوست وقندهار.
وكل هذه المعسكرات كانت في نشاط مستمر وعمل
دؤوب، لا يكاد يتوقف. تسابق الزمن في إعداد المجاهدين
للقتال في سبيل الله، وبالإضافة لتلك المعسكرات كانت
هناك دورات أخرى متعددة في الأمن والاستخبارات
والإلكترونيات والتزوير إلى غيرها من الفنون الجهادية،
بالإضافة للدورات الشرعية والسياسية المتعددة.
كانت أفغانستان وما زالت تمثل محضناً لروح الأمة
المسلمة المتوثبة للنصر والرافضة للهزيمة والخنوع،
والمصممة على الانتقام من أعداء الإسلام الذين طالما
أجرموا في حقنا لقرون.

المطلب الأول: في الطريق للغزوات/ الفرع الثاني:

المجاهدون والحشد والتحريض

وهذه الروح الحية الفعالة المتعالية بإيمانها والمعتزة بإسلامها زادت في تناميها وتضاعفها بعد الغزوات المباركات بفضل الله، ولم تردها الهجمة الصليبية على أفغانستان إلا نشاطاً وتوقداً.

وكان الشيخ أسامة بن لادن لا يكاد يتترك فرصة إلا ويحرص فيها الشباب والمجاهدين على اللحاق بأرض الإعداد والرباط وعلى الإقدام على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله.

كان يحاضر في المعسكرات، ويعقد الاجتماعات والولائم في أيام الجمع وفي حفلات الزواج وفي الأعياد، وفي كل مناسبة يستطيع أن يبلغ فيها رسالة الجهاد والإسلام.

وأنشأ الشيخ أسامة لجنة إعلامية بدأت بإنتاج المواد الإعلامية، وكان من أهمها شريط (تدمير المدمرة الأمريكية كول) التحريضي، الذي هز الدنيا هزاً عند صدوره، وكان تحدياً صريحاً جريئاً للطغيان الأمريكي، ودعوة للمسلمين لنهضة جهادية ضد السيطرة الصليبية اليهودية، ثم فوق كل ذلك وسيلة عملية لتحقيق ذلك عبر الالتحاق بمراكز ومعسكرات القاعدة التي أظهر الشريط صوراً مؤثرة من عملها. واضطر تقرير الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر لأن يعترف بقوة هذا الشريط واتساع توزيعه وقوة تأثيره على المسلمين.²⁶⁰

كل هذا وهم غلاظ القلوب لا يفقهون العربية، فما بالهم إذا كانت لهم قلوب يفقهون بها، ويعرفون العربية، واستمعوا لأسامة بن لادن وهو يلقي رائعة أبي حفص الموريتاني حفظهما الله:

وفي عدن هبوا وثاروا
ودمروا
تزيدك رعباً حين ترسو

ونجدُ بها هبَّ الشبابُ
مجاهداً
مدمرةً يخشى أولو

²⁶⁰ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 191.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة	
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات	
وَتُبْحِرُ	البأس بِأَسْهَا
بوهم كبير كاذبٍ	إلى حتفها تَسْعَى حثيئاً
تَدْتَرُ	بِطَلْفِهَا
مع الموج حيناً ثم يَبْدُو	إلى زورقٍ يَلْهُو به الموجُ
ويظَهْرُ	يختفي
شهيدينِ باسمِ الله هَبُّوا	فلما التقى الجمعانِ
وكَبَّرُوا	جمعُ محمدٍ
بحقدِ صليبيِّ المَنَاعِ	وجمعُ من الكفارِ جيشُ
قِصْرُ	يَقُودُهُمْ
تَوَانِي رُغْبٍ بل أقلُّ	ودارت رحى الحربِ التي
وأَقْصَرُ	لم تكن سِوَى
قَلَمٍ يتقدمُ لا ولمْ	وكانَ مَعَ النصرِ المحقِّقِ
يَتَأَخَّرُ	موعِذُ
وأشلاؤها من حولها	فطارت رؤوسُ الكفرِ
تَبَعَّرُ ²⁶¹	في كلِّ وَجْهَةٍ

²⁶¹ نقلتها بتصرف عن شريط (تدمير المدمرة الأمريكية كول).

المطلب

الثاني

المعاني القتالية التي
أبرزتها الغزوات

الفرع الأول: كيف يقاتل المجاهدون؟
الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات

الفرع الأول: كيف يقاتل المجاهدون؟

وما فاقَ حتى الآنَ منْ
هولها الكفرُ
تبخرَ منه الشَّطْرُ
واشتعلَ الشَّطْرُ
وكان حمىً حَظراً وما
نفعَ الحَظْرُ
بثأرِ كهذا الثَّأْرِ
فكيدركُ الثَّأْرُ
فقدَ نهضتْ حطينُ،
واستيقظتْ بدرٌ²⁶²

ففتكئُكم في الكفرِ
لم يُرَ مثلها
فخرتْ قِلاعُ الكفرِ
للأرضِ بعدما
وأضحى جَمى الأعداءِ
للنارِ مرتعاً
فأدرَكُتُم ثأراً منْ
الكفرِ ضائعاً
وأيقظتُم التارِيحَ
بعدَ سُبَاتِهِ

"في 11 سبتمبر فقدت الأمة
أكبر خسارة في الأرواح (2973)

²⁶² الأبيات لمولوي محب الله القندهاري من قصيدته (دموع في مآقي الزمن-
قصيدة رثاء لشهداء الحرب الصليبية في أفغانستان).

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الأول: كيف يقا تل المجاهدون؟

في تاريخها على أرضها نتيجة لهجوم معاد²⁶³.

أبرزت الغزوات المباركات عدداً من المعاني القتالية أشير فيما يلي لبعضها:

1- نقل المعركة لأرض العدو.

استطاع المجاهدون في غزوات نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا أن ينقلوا المعركة لعقر دار العدو بهجوم ضخم جبار لم تشهد له أمريكا في تاريخها مثيلاً، ويفوق في قوته وأثاره هجوم بيرل هاربر بمراحل متضاعفة.

يقول تقرير الكونجرس عن الحادي عشر من سبتمبر:

"لقد كان هجوم الحادي عشر من سبتمبر حدثاً ذا تفرد لا يقارن، فأمریکا قد تعرضت لهجمات مباغتة من قبل، فيبرل هاربر حالة معلومة جيداً، وهجوم 1950 الصيني في كوريا حالة أخرى. ولكن هذه كانت هجمات من قوى كبرى.

وبينما لم يكن هجوم 11/9 بحال مهدداً كما كان شن اليابان للحرب، إلا أنه كان بطريقة ما أكثر تدميراً.

لقد قامت به مجموعة ضئيلة من الأشخاص لا تكفي لتشكّل فصيلاً كاملاً. وإذا قسناه على مستوى الحكومات فقد كانت الموارد خلفه تافهة. والمجموعة ذاتها أرسلت من منظمة تتمركز في واحدة من أفقر الدول وأقصاها وأقلها تصنيعاً²⁶⁴.

ففي بيرل هاربر أصيبت أمريكا بقتل وجرح 3000 شخص وإغراق أو إعطاب 8 سفن حربية و 13 سفينة بحرية أخرى

²⁶³ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 311.

²⁶⁴ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 339& 340.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
وتدمير 200 طائرة²⁶⁵، أما في غزوات نيويورك وواشنطن
وبنسلفانيا فاعترفت أمريكا بقرابة 3000 قتيل، وكانت بيرل
هاربر ميناءً في المحيط الهادي خارج قارة أمريكا، أما غزوات
نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا فكانتا في قلب أمريكا؛ في
عاصمتها السياسية وعاصمتها الاقتصادية، ولم تدمر الغزوات
المباركات قاعدة حربية بل دمرت قيادة أمريكا العسكرية؛
البنجاجون، ودمرت رمز اقتصاد أمريكا؛ مركز التجارة العالمية.
وكانت خسارة أمريكا في بيرل هاربر خسارة عسكرية، أما
في غزوات نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا المباركات فكانت
وما زالت- خسارة أمريكا عسكرية واقتصادية وسياسية
 واجتماعية ونفسية، بل خسارة للتسلط الإمبراطوري الذي
 فرضته أمريكا على العالم بزعمها أنها القوة الأقوي في تاريخ
البشرية، بل وفوق كل ذلك خسارة في سمعتها الأخلاقية،
التي انكشف مدى انحطاطها في دعواها الكاذبة بحمايتها
للحرية والعدالة وحقوق الإنسان.
وفي بيرل هاربر استطاعت أمريكا أن تنتقم وترد هيبته بعد
هزيمة اليابان واستسلامها التام بعد أربع سنوات، أما أمريكا
اليوم فما زالت بعد ثمان سنوات من الغزوات المباركات وهي
تتورط من ورطة لأخرى أشد منها، ويستمر نزيها العسكري
والاقتصادي في التدفق، وبدت هزيمتها في أفغانستان
والعراق مؤكدة ووشيقة بإذن الله.
وفي بيرل هاربر تلقت أمريكا الضربة من إمبراطورية تعد
إحدى القوى العظمى في وقتها، أما في الغزوات المباركات
فممن تلقت أمريكا الضربة؟
وليسمح لي القارئ أن أتوقف هنا، لأفصل في إجابة هذا
السؤال؛ ممن تلقت أمريكا الضربة؟ أو ما هو العدو الذي

²⁶⁵ Microsoft Encarta Premium 2006- Pearl Harbor.

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الأول: كيف يقاتل المجاهدون؟
واجهته أمريكا في الحادي عشر من سبتمبر، ولا زالت تواجهه حتى اليوم؟

يزعم الأمريكيان -في تضليل متعمد- أن عدوهم مجموعة من الإرهابيين القتلة المجرمين المتعطشين للدماء أنصاف المجانين²⁶⁶ المتطرفين التكفيريين القطبيين الوهابيين المنغلقيين المتعصبين... إلخ، يقدر عددهم بكذا ألف رجل، وميزانيتهم بكذا مليون دولار، ويؤيدهم كذا مليون شخص في العالمين العربي والإسلامي. وهؤلاء المتطرفون وجدوا مأوى في أفغانستان، فاستطاعوا أن يخططوا ويرتبوا لتلك العمليات في نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا. وأن أمريكا بحملتها على أفغانستان قد أسقطت نظام طالبان الحاضن للقاعدة، ومزقت شبكة القاعدة ومراكز قيادتها ومعسكراتها وعقد اتصالاتها، وقتلت وقبضت على كذا من أعضائها... إلخ، ولم يبق إلا إحضار مجرمي القاعدة في القيود لأمريكا، ليواجهوا العدالة الأمريكية، ويتم النصر الأمريكي على الإرهاب الإسلامي.

وهذا التضليل والتمويه والتجهيل المتراكم المركب المتكبر، يحرم الأمريكيان من معرفة حقيقة عدوهم، بل ويحرمهم من النصر، ويقودهم للكوارث، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

إن الحقيقة الكبرى الواضحة الجلية، التي تهرب أمريكا من مواجهتها والاعتراف بها، هي أن عدوها ليس ما تصوره القيادة الأمريكية وزعمائها ورسموه لشعبهم، ولكن الحقيقة أنهم

²⁶⁶ يزعم فريد زكريا الهندي الأصل في النيوزويك أن:
"الإرهاب الإسلامي اليوم لا تدفعه سياسة معينة، وإنما حقد عدمي ضد العالم المعاصر".

ويعلق مايكل شور عليه بأنه:
"يثبت مرة أخرى أن الباحثين المسلمين المتعربين من أسوأ من يعتمد عليهم كإدلاء في الحرب على القاعدة". [IMPERIAL HUBRIS, p: 127].

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
 لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
 يواجهون خطراً، هم أنفسهم وصفوه بأنه أشد خطر واجههم
 في تاريخهم، خطر أقوى من اليابان ودول المحور وألمانيا
 النازية، التي استطاعوا الانتصار عليها.
 إن عدوهم هو الأمة المسلمة بطليعتها الجهادية، التي
 قررت أن تتصدى لجرائم أمريكا.
 وأمريكا لا تستطيع أن تواجه هذه القوى، لأن أمريكا بمنتهى
 البساطة قوة مجرمة، تواجه أمة تلتزم بالحق، وتطالب به،
 وتقاتل عليه، وتموت من أجله. والمجرم ضعيف لأنه على
 الباطل، **وَ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ
 رَهُوقًا**.

وهاتان الحقيقتان؛ حقيقة قوة الأمة المسلمة وطليعتها
 المجاهدة لأنها على الحق، وحقيقة الضعف الكامن في البنيان
 الأمريكي للجرائم المتتابة، التي ارتكبتها أمريكا في حق
 المسلمين وكافة بني البشر، أقول: هاتان الحقيقتان إن لم
 تدفعا أمريكا لتتكفأ على نفسها لتدرس، وتراجع ذاتها وتاريخها
 وجرائمها، فلن تعرف -باذن الله- إلى النصر سبيلاً، وستظل
 تنزف، حتى تنهار، كما انهارت الأمم الظالمة من قبلها.
 وأشك شكاً شديداً أن أمريكا بتركيتها المجرمة المتعجرفة
 المتكبرة تملك القدرة والشجاعة على تلك المراجعة. **أَقَلَمُ
 يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
 كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَتَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَّا
 كَانُوا يَكْسِبُونَ {82}** فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَرَحُوا بِمَا
 عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ {83} فَلَمَّا
 رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ {
 84} فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ
 خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ.

ورغم أن هناك أصواتاً تعالت في أمريكا تدعوها -ليس
 لمراجعة جرائمها- ولكن لفهم طبيعة عدوها، حتى تستطيع أن

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الأول: كيف يقاتل المجاهدون؟

تقاومه كما يجب، إلا أن هذه الأصوات لازالت خافتة، ووسط حملة الدجل الإعلامي والفكري المتواصلين.

يقول مايكل شور وهو يتحدث عن وفرة المواد العلنية المتاحة التي تظهر خطر بن لادن والقاعدة، وعن أنه سيورد في كتابه مصادر علنية غير سرية تدل على ذلك.

"وهذا لا يعوق تحليل الكتاب لموضوعنا المطروح، ولكنه يلقي الضوء على المأساة، لأنه يثبت أن تشكل وأبعاد وخطر مشكلة بن لادن - المختزلة لمواجهة أوسع بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي- ممكن أن يدركها أي شخص يبذل وقتاً ليقرأ ويتأمل عينة معبرة من المصادر العلنية المعتمدة.

والخلاصات التي سيخرج بها أي شخص محايد من هذا المسعى ستتضمن -كما أعتقد- ما يأتي:
- أن زعماء الولايات المتحدة يرفضون أن يقبلوا ما هو واضح: إننا نقاتل تمرداً إسلامياً عالمياً وليس إجراماً ولا إرهاباً، وسياستنا وإجراءاتنا قد فشلت في أن تحدث إلا أثراً ضئيلاً في قوى العدو.
- أن القوة العسكرية هي الآن أداة أمريكا الوحيدة، وستظل كذلك ما دامت سياساتنا الحالية سارية. ولن يخرج أمريكا من هذه الحرب أية دبلوماسية شعبية ولا إطراء رئاسي للإسلام ولا نقاش سياسي متقن، يحجب واقع؛ أن الكثيرين من الـ(1,3) مليار مسلم يكرهوننا لأفعالنا لا لقيمنا²⁶⁷.

²⁶⁷ هذا كلام مايكل شور، وهو يحتاج لتحرير، فإن المسلمين يكرهون كلاً من عقائد الكفار وجرائمهم. ولكن الحرب الدائرة الآن بين أمريكا والمسلمين هي بسبب جرائم أمريكا، وهي حرب دفاعية من المسلمين لكف جرائم الأمريكان عنهم. والسياسة الغربيةون بغالطون شعوبهم فيقولون لهم: إن المجاهدين يقاتلونهم بسبب قيمهم لا بسبب جرائمهم، حتى يبرروا لهم الاستمرار في جرائمهم. وإلا فلماذا ضرب المجاهدون أمريكا؟ ولم يضربوا فنلندا أو فيتنام مثلاً. والله أعلم.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
- لقد كان بن لادن دقيقاً وهو يخبر أمريكا عن
الأسباب التي يشن من أجلها الحرب علينا. وليس
من هذه الأسباب ما له صلة بحريتنا وتحررنا
وديمقراطيتنا، ولكنها ذات علاقة وطيدة بسياسات
الولايات المتحدة وأفعالها في العالم الإسلامي.

.....
ولم يكن لبن لادن أن يحرز هذا المستوى من
النجاح الحاصل والمتزايد لو لم تكن عقيدة
المسلمين وإخوانهم وثرواتهم وأرضهم تواجه
عدوان الولايات المتحدة والغرب عامة.
وفي الحقيقة فإن سياسات الولايات المتحدة
وأفعالها هن فقط حليقات بن لادن اللاتي لا غنى
عنهن.

- ويمثل بترول الخليج الفارسي وعجز الولايات
المتحدة عن تطوير بدائل حقيقية للطاقة لب قضية
بن لادن. فأمريكا والغرب من أجل الحصول على
بتترول رخيص سهل المنال دعموا الطغاة
المسلمين، الذين يسعى بن لادن وغيره من
الإسلاميين للقضاء عليهم.

.....
- وهذه الحرب لها إمكانية الاستمرار لما بعد
حياة أطفالنا، وأن تخاض غالباً على التراب
الأمريكي.

وإذا كانت هذه الاستنتاجات سهلة الإدراك، يمكن
تحصيلها من المواد الموجودة في المكتبات العامة
وعلى الإنترنت، فعلى الأمريكي أن يتعجبوا؛ لماذا

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الأول: كيف يقاتل المجاهدون؟

لم يطرحها زعماءهم السياسيون والاستخباراتيون والعسكريون والإعلاميون؟²⁶⁸
ويقول أيضاً عن غطرسة القيادات الأمريكية:
"أما أنا -عن نفسي- فلست متفائلاً. يقول رالف بيتر في كتابه الماتع (القتال للمستقبل: هل ستنتصر أمريكا؟):

"كل ديانة كبرى حذرت معتنقيها من خطر الغرور، مستنكرة خطيئة الكبرياء، أو مشددة على أن التواضع قد يؤدي للتنبؤ. وفي اندفاعنا بعيداً عن الدين -سواء كان هذا حقاً أو باطلاً- فإننا قد فقدنا بالتأكيد هذه البصيرة الجوهرية".

والمحزن أن الله لو لم يخلص عيوننا من الغطرسة فإننا ضائعون. ولا أرى ما يدل على أننا نستطيع إزالتها، وأخشى أن القاعدة ترى العالم أوضح منا. يقول أيمن الظواهري في أواخر 2003:

"ونحمد الله إليكم أن أقرأ عيننا بورطة الأمريكان في العراق من بعد أفغانستان، فالأمريكان في كلا البلدين بين نارين؛ إذا انسحبوا خسروا كل شيء، وإذا بقوا استمر نزيهم حتى الموت"²⁶⁹

إذن أعود فأوجز ما فصلته من أن أمريكا نالت في الحادي عشر من سبتمبر 2001 ما لم ينلها في بيرل هاربر بل في تاريخها كله.

وهذا الانتصار الكبير للمجاهدين تميز بنقل المعركة إلى عقر دار العدو، بعد أن ظل لقرون يخوض حروبه على أرضنا. وقد وفق الله المجاهدين بهذه النقلة لإصابة العدو في

²⁶⁸ IMPERIAL HUBRIS, p: IX & X.

²⁶⁹ IMPERIAL HUBRIS, p: 19 & 20.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
 لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
 مقتلين: الأول أن خسائر المعركة ستكون علي أرضه وفي
 مدنه ومنشأته واقتصاده وبين قومه، والثاني: أن أمريكا لم
 تعد القارة الآمنة التي يفصلها عن الدنيا محيطان شاسعان، بل
 صارت هدفاً لضربات المجاهدين. وصار الأمن والرعب قسمة
 مشتركة، أو كما قال الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله:
 "فإلى متى يبقى الخوف والقتل والدمار
 والتشريد واليتم والترميل حكراً علينا؟ ويبقى الأمن
 والاستقرار والسرور حكراً عليكم؟ هذه قسمة
 ضيزى، لقد أن الأوان لنستوي في البضاعة، فكما
 تقتلون تُقتلون، وكما تقصفون تُقصفون"²⁷⁰.

2- تنفيذ مبدأ المباغته.

استطاع المجاهدون أن يأخذوا أمريكا على غرة، فسقطت
 ضحية العديد من المفاجآت:

- مفاجأة أن الضربة في عقر دارها، بل في أهم مدينتين
 من مدنها.

- ومفاجأة أن الضربة بهذا الحجم الهائل.

- ومفاجأة أن الضربة بهذا التخطيط المتقن.

- ومفاجأة أن الضربة بهذه الجرأة والشجاعة.

- ومفاجأة أن الضربة وجهت لعدة أماكن في وقت واحد
 تقريباً.

- ومفاجأة أن الضربة اختارت أهدافاً ذات قيمة رمزية
 هائلة.

- ومفاجأة أن الضربة جاءت من عدو يراها ولا تراه.

وهكذا اكتشفت أمريكا أنها مكشوفة أمام عدوها، فأصابها
 سعار حاد مرتبك، ساقها لمنحدر الهزيمة الوشيكة -ياذن الله-
 في أفغانستان والعراق.

3- قدرة المجاهدين على إدارة عمل أمني جهادي عملاق.

²⁷⁰ بيان للشعوب المتحالفة مع الحكومة الأمريكية- 7 رمضان 1423هـ الموافق 12
 نوفمبر 2002م.

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الأول: كيف يقاتل المجاهدون؟

أثبتت الغزوتان أن المجاهدين المهاجرين، الذين يعتبرهم أكابر مجرمي الدنيا -ومعهم للأسف دعاة العجز والتراجع- لا يحسنون تخصصاً، ولا يتعمقون في فن ولا علم، قد استطاعوا أن يقوموا بهذا العمل الجبار الذي غير مجرى تاريخ البشرية. ولم يصل المجاهدون للنجاح بسهولة ويسر، ولا مضوا إليه على طريق مفروش بالورود، بل مروا بمراحل كثيرة من التدريب والإعداد وتجهيز الوثائق وتمويه الرحلات والصبر والترقب والقلق، ثم كل هذا المجهود الجبار كان لا بد له من قاعدة دعوية تدريبية تحريضية، تجمع كفاءات الأمة، وتدريبها، وتوعيتها، وترفع من قدراتها، وتغرس في نفسها الثقة بدينها وأمتها، ثم تختار منها العناصر الصالحة لكل مهمة.

وهذه القاعدة التدريبية الدعوية التحريضية استغرقت سنيماً طويلة من الإعداد والدعوة والاتصالات والعلاقات وتنمية الثقة المتبادلة بين الحلفاء وبين القيادة والقاعدة، وهي أيضاً ثقة تنبني على رصيد ضخم من المشاركة في الجهاد وحمل هموم الأمة، والمبادرة للصف الأول عند كل ملمة تلم بالأمة. بل استغرقت سنيماً من المشاركة الفاعلة في ميادين القتال، فقد حرص الشيخ أسامة بن لادن دائماً على أن يشارك جنوده في المعارك دفاعاً عن الإسلام، وكان يعتبر أن هذا بالإضافة لكونه واجباً شرعياً لنصرة المسلمين، إلا أنه أيضاً وسيلة من أفضل الوسائل لصقل العناصر وتنمية قدراتها واكتشاف حقيقتها.

وهذه الثقة التي أشرت إليها، لا يمكن أن تمنحها الأمة لجماعة لم تخض غبار المعارك، ولم تدفع ثمن مقاومة الباطل من شبابها ودماؤها وأبتامها وأراميلها وهجرتها، ولا يمكن أن يمنحها الجنود لقائد، يجلس بعيداً في ركن هادئ في وظيفة رتيبة في توائم وتعايش مع قوى الباطل والفساد والإفساد، يؤلف وينظر ويتخيل، بل ويفتش وينتقد ويجرح.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
ولذلك فإن الإعداد لغزوتي نيويورك وواشنطن لم يقتصر
فقط على اختيار جنودها التسعة عشر شهيداً كما نحسبهم،
ولكنه انبنى على عمل دؤوب مثابر لسنين طويلة منذ بداية
الغزو الشيوعي لأفغانستان مروراً بالعديد من الهجرات
والتنقلات والمطاردات والطرده والحصار، عمل صمد للكثير
من العوائق والموانع، بل وللأسف للكثير من التشكيك
والتخذيل والتهوين.

عمل حملت عباه مجموعة قيادية أحسبها من المخلصين،
ولا أزيكها على الله، بدءاً من الشيخ أسامة بن لادن -حفظه
الله- إمام هذا العصر في جهاد الأمة المسلمة ضد الحملة
الصليبية، ثم ساعده الأيمن القائد البطل أستاذ الجيل أبي
حفص القائد ~، ثم خالد شيخ محمد -فك الله أسره- ذلك
العطاء المتواصل بلا كلل ولا ملل، في خدمة الصغير والكبير،
والحرص على انتصار المجاهدين وأمنهم وسلامتهم. ذلك
الرجل الذي ما كان ملك نفسه ولا أسرته ولا أهله، بل
سخرهم جميعاً في خدمة الجهاد، ذلك الرجل المتعدد
المواهب، الذي لا يهدأ طموحه في تعلم كل ما ينفعه، كان
يتقن العربية والإنجليزية والأردو والفارسية والبشتو
والبلوشية، ويملك قدرة عجيبة على التنظيم والإدارة
والاستفادة من إخوانه، وكان كما يقال: حيثما وقع نفع، له
جاذبية عجيبة وقدرة على اكتساب ود وصدقة من يلقاه من
أول لقاء.

ثم أبو تراب الأردني ~، الجندي المعطاء الصامت، تراه في
نحافته وخفة جسمه فيذكرك بقول الشاعر:
تري الرجل النحيف فتزدريه وفي أثوابه أسد هصور²⁷¹
طالب للشهادة لا يمل، تعددت في جسمه الإصابات،
وكسرت ساقه مرتين كسراً مضاعفاً، وفقد إحدى عينيه،

²⁷¹ البيت لربيعة الرقي. الموسوعة الشعرية - ربيعة الرقي.

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الأول: كيف يقاتل المجاهدون؟

وأصيب في الأخرى. وما زال يطلب الشهادة، حتى نالها مع رفيق دربه وقائده أبي حفص القائد K. صاحب كرم وشهامة وخلق راق. تشرفت بمصاهرته، فزوجته كبرى بناتي، فأنجب منها عبد الله ومريم، وترك وصية يطلب فيها من إخوانه أن يعتنوا بتربية ولده تربية جهادية، وألا ينشئوه على الترف والتدليل، ولكن يعودوه حياة الجد والقوة، حتى يشب مجاهداً جلدأً قوياً. رحمه الله رحمة واسعة.

ثم رمزي بن الشيبية وخلاد (توفيق بن عتاش) -فك الله أسرهما- ، وغيرهم ممن قد لا أستطيع ذكرهم، ولكن الله يعلمهم.

أخرج ابن أبي شيبية عن أبي عثمان النهدي -لما جاء لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب < بالبشارة بانتصار المسلمين في نهاوند- أنه قال: "ذهبت بالبشارة إلى عمر، فقال: ما فعل النعمان²⁷²؟ قلت: قتل. قال: ما فعل فلان؟ قلت: قتل. قال: ما فعل فلان؟ قلت: قتل. فاسترجع. قلت: وآخرون لا نعلمهم. قال: لا نعلمهم، لكن الله يعلمهم"²⁷³.

وعمل انبنى أيضاً على قادة ميدانيين متفانين، أمثال قادة أسراب الشهادة؛ محمد عطا أمير النسور الاستشهادية ومروان الشحي وهاني حنجور وزياد الجراح، ومن أمثال الداعية أحمد الحزنوي والعالم العامل عبد العزيز العمري رحمهم الله أجمعين.

4- استبسال المجاهدين وشجاعتهم وجرأتهم وإقدامهم:
أ- كل المجموعات حققت هدفها الأول فوراً، وبحسم.

²⁷² يقصد النعمان بن مقرن < أمير الجيش.

²⁷³ مصنف ابن أبي شيبية- كتاب التاريخ- في توجيه النعمان بن مقرن إلى نهاوند- حديث رقم: 33793 ج: 6 ص: 560.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات

(1) فالمجموعة الأولى بإمارة الشهيد -كما نحسبه- محمد عطا ~ أقلعت طائرتها في الساعة 7,59 صباحاً، وتم الاستيلاء عليها في الساعة 8,14 صباحاً²⁷⁴.

(2) والمجموعة الثانية بإمارة الشهيد -كما نحسبه- مروان الشحي ~ أقلعت طائرتها في الساعة 8,14 صباحاً، وتم الاستيلاء عليها ما بين الساعة 8,42 إلى الساعة 8,46 صباحاً، وأفاد شهود عيان -كانوا يتصلون بهواتفهم من على متن الطائرة- أن المهاجمين استخدموا السكاكين ورذاذ (الميس²⁷⁵) والتهديد بوجود قنبلة، وأنهم قتلوا الطيارين، وطعنوا عدداً من طاقم الطائرة²⁷⁶.

(3) أما المجموعة الثالثة بإمارة الشهيد -كما نحسبه- هاني حنجور ~ فأقلعت طائرتها الساعة 8,20 صباحاً، وتم الاستيلاء عليها ما بين الساعة 8,51 إلى الساعة 8,54 صباحاً، وأفاد شهود عيان -كانوا يتصلون بهواتفهم من على متن الطائرة- أن المهاجمين استخدموا السكاكين وقواطع الكرتون، وأزاحوا جميع الركاب -بما فيهم الطاقم- لمؤخرة الطائرة²⁷⁷.

(4) أما المجموعة الرابعة بإمارة الشهيد -كما نحسبه- زياد الجراح فأقلعت طائرتها الساعة 8,42 صباحاً، وتم الاستيلاء عليها الساعة 9,28 صباحاً. وكان المفترض أن تقلع في حدود الساعة 8,15 صباحاً، ولكن تأخرت بسبب زحام حركة الطيران، وكان تخطيط الإخوة أن يختاروا طائرات تقلع في وقت متقارب، حتى لا يمكن تحذير بقية الطائرات عند اكتشاف اختطاف طائرة أو أكثر، وقد تم فعلاً تحذير طائرة المجموعة الرابعة الساعة 9,24 صباحاً بالحذر من أي تدخل

²⁷⁴ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 4.

²⁷⁵ تابل مهيج يستخرج من قشرة جوزة الطيب.

²⁷⁶ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 7.

²⁷⁷ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 8.

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الأول: كيف يقا تل المجاهدون؟

في قمر ة القيادة، لأن هناك طائرتين ارتطمتا بمركز التجارة العالمية في نيويورك، ولكن لم يفدها التحذير بشيء²⁷⁸.
ب- وكان أمير النصور الاستشهادية محمد عطا ~ متأكداً أنه لن يجد صعوبة في اقتحام قمر ة القيادة، فقد أورد تقرير الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر أن رمزي بن الشبية -فك الله أسره- ذكر في التحقيق معه أن محمد عطا ~ أخبره أنه والشحي والجراح -رحمهم الله- لم يجدوا أية مشكلة في حملهم لقواطع الكرتون في رحلاتهم الاستكشافية بعرض أمريكا، وأن أفضل وقت لاقتحام قمر ة القيادة سيكون ما بين 10 إلى 15 دقيقة من إقلاع الطائرة، حينما تفتح أبواب قمر ة القيادة لأول مرة²⁷⁹.
ج- قتل ضابط يهودي.

وبينما كان محمد عطا ~ يتحرك نحو قمر ة القيادة هم راكب يهودي يدعى دانيال لوين بمهاجمته، حيث كان يجلس خلف محمد عطا وعبد العزيز العمري K، ولكنه طعن من الخلف غالباً بيد سظام السقامي ~، الذي كان يجلس خلفه لحماية ظهر عطا والعمري، وقد خدم دانيال لوين من قبل في الجيش الإسرائيلي كضابط لمدة أربع سنوات²⁸⁰.
5- استغلال نقاط ضعف الخصم:

استطاع المجاهدون أن يتفوقوا أمنياً على نظام الخصم، بل استطاعوا أن يضربوا الخصم من داخل نظامه.
أ- لم يعد الغرب لغزاً بالنسبة للمجاهدين، بل لقد فهم المجاهدون من نقاط الضعف في دفاعات الغرب ما لم تفهمه أجهزة أمن الغرب، التي تستهلك مئات المليارات من الدولارات سنوياً. ومن أمثلة ذلك:

²⁷⁸ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 10 & 11.

²⁷⁹ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 245.

²⁸⁰ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 5.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة

لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات

(1) في ألمانيا تم تجنيد ثلاثة من أمراء الأسراب الاستشهادية، بل وسافروا لأفغانستان ثم عادوا للغرب دون أن ينتبه لهم أحد.

(2) واستغل المجاهدون التسهيلات، التي تقدمها أمريكا للشباب الخليجي للسفر إليها والدراسة فيها، لتغرس فيهم الإعجاب والانبهار بالغرب، فقبلوا عليها سياسيتها، وإستطاعوا أن يحصلوا على تأشيرات لستة عشر مجاهداً دون أن تنتبه لهم أجهزة الأمن الأمريكية. بل لم تنتبه أجهزة الأمن الأمريكية للتغييرات التي أحدثها المجاهدون في جوازات سفرهم²⁸¹.

(3) واستغل المجاهدون أمريكا نفسها لدراسة الطيران، فأمرء الأسراب الأربعة درسوا الطيران في أمريكا، واستطاعوا أن يتحركوا بحرية في أمريكا للتخطيط لضربتهم، واستطلاع نظم الخصم ودفاعاته.

كل هذا لأن المجاهدين تخلصوا من عقدة التدني أمام الغرب، وعقدة الرعب من الغرب، بينما لا يزال من يزعم -من يُحسب من الكتاب والمفكرين- أن أمريكا تملك 99% من أوراق اللعبة، وأن أية مواجهة مع أمريكا محكوم علينا فيها بالفشل، وأن هجمات الحادي عشر من سبتمبر فلتة لن تتكرر إلى آخر معزوفة الخنوع والدونية.

وفي معركة اليرموك لما أقبل خالد < من العراق، قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد <: "ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! !".

فقال خالد:

"ويلك، أتخوفني بالروم؟ إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر برأ من توجعه، وأنهم أضعفوا في العدد".

²⁸¹ راجع ندم تقرير الكونجرس على عدم اكتشاف ذلك في:

[COMMISSION REPORT, p: 563 & 564 9/11]

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الأول: كيف يقا تل المجاهدون؟

وكان فرسه قد حفا واشتكى في مجيئه من العراق²⁸².
ب- درس المجاهدون النظام الأمني الأمريكي جيداً، فقد استفادوا مثلاً من أن أنظمة الأمن في الطيران الأمريكي لا تمنع حمل المدى الأقل من أربع بوصات. تلك المدى التي كانوا قد تدريبوا على استخدامها، بل وعلى ذبح الخراف ونحر الجمال بها على يد الشهيد -كما نحسبه- أبو تراب الأردني ~. يقول تقرير الكونجرس عن الحادي عشر من سبتمبر: "لقد استغل الإرهابيون الإخفاقات المؤسسية العميقة في حكومتنا"²⁸³.

ويقول أيضاً:
"لقد أظهرت خبرة 11/9 أن الإرهابيين

درسوا واستغلوا نقاط ضعف أمريكا"²⁸⁴.
6- ابتكار أساليب جديدة في التصدي للحملة الصليبية الصهيونية.

إننا لن نلحق بالغرب في تقدمه التقني في هذه المرحلة، فقد تقدم عنا بمسافات ومراحل لأسباب عديدة منها ضعفنا وفسادنا السياسي، الذي أهملنا به النظر في العلوم الطبيعية، وانصرفنا لعلم الكلام والتصوف المنحرف والخرافات²⁸⁵، ومنها

²⁸² البداية والنهاية ج: 7 ص: 13.

²⁸³ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 265.

²⁸⁴ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 388.

²⁸⁵ من المضحكات المبكيات في هذا الشأن، ما ذكره الجبرتي -رحمه الله- أن الشيخ أحمد الدمنهوري تحدى علماء عصره عند علي بك الكبير بأسئلة خمسة عويصة هي: "الأول: في إبطال الجزء الذي لا يتجزأ. الثاني: في قول ابن سينا: ذات الله نفس الوجود المطلق. ما معناه؟ الثالث: في قول أبي منصور الماتريدي: معرفة الله واجبة بالعقل، مع أن المجهول من كل وجه يستحيل طلبه. الرابع: في قول البرجلي: أن من مات من المسلمين لسنا نتحقق موته على الإسلام. الخامس: في الاستثناء في الكلمة المشرفة هل هو متصل أو منفصل؟" [عجائب الآثار- سنة خمس وثمانين ومائة والف ج: 1 ص: 412].

ثم هؤلاء العلماء أنفسهم، الذين يسلم كل أحد برجاجة عقلهم وسعة علمهم وقوة فهمهم، هؤلاء العلماء وقفوا حائرين أمام الحملة الفرنسية التي دهمتهم بعد هذا

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
سيطرته علينا وجرماننا من أي تقدم. فالخلاصة؛ أننا في هذه
المرحلة لا يمكن أن ننتج أسلحة تكافئ أسلحته، ولكننا
نستطيع أن نخرب له نظامه الاقتصادي والصناعي المعقد،
وأن نستنزف قواته، التي تقاتل بلا عقيدة، حتى تفر هاربة.
ولذلك كان على المجاهدين أن يتكروا أساليب جديدة، لا

التحدي -بهذه الأسئلة التي تحوي الأغلوطات المتقعرة- بسنوات فلائيل، فيحكي
الجبرتي -رحمه الله- عن هزيمة المماليك أمام الفرنسيين على مشارف القاهرة في
صفر سنة 1213هـ:

"ثم إن الطابور الذي تقدم لقتال مراد بك انقسم على كيفية معلومة
عندهم في الحرب، وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطاً بالعسكر
من خلفه وأمامه، ودق طبوله وأرسل بنادقه المتتالية والمدافع، واشتد
هبوب الريح، وانعقد الغبار، وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار
الرياح، وضمت الأسماع من توالي الضرب، بحيث خيل للناس أن الأرض
تزلزلت، والسماء عليها سقطت، واستمر الحرب والقتال نحو ثلاث
أرباع ساعة، ثم كانت هذه الهزيمة على العسكر الغربي". [عجائب
الأثار- سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف ج: 2 ص: 189].

ثم هؤلاء العلماء الفطاحل -الذين أنهكوا عقولهم الجبارة في أغلوطات الكلام
والتصوف- بهرهم الفرنسيون ببعض الأعيب الكيمياء والفيزياء، التي يدركها اليوم
طالب في المرحلة الإعدادية أو الثانوية، فيقول الجبرتي -رحمه الله- عن زيارة نفر من
أولئك العلماء لمعمل من معامل الفرنسيين بعد احتلالهم لمصر:

"وأفردوا مكاناً في بيت حسن كاشف حركس لصناعة الحكمة
والطب الكيماوي وبنوا فيه تنانير مهندمة وآلات تقاطير عجبية الوضع
وآلات تصاعيد الأرواح وتقاطير المياه وخلصات المفردات وأملاح
الارمدة المستخرجة من الاعشاب والنباتات واستخراج المياه الجلاءة
والحلالة، وحول المكان الداخل قوارير وأوان من الزجاج البلوري
المختلف الاشكال والهينات على الرفوف والسدلات وبدخلها أنواع
المستخرجات، ومن أغرب ما رأيته في ذلك المكان أن بعض المتقيدين
لذلك أخذ زجاجة من الزجاجات الموضوع فيها بعض المياه المستخرجة
فصب منها شيئاً في كأس، ثم صب عليها شيئاً من زجاجة أخرى فعلا
المان، وصعد منه دخان ملون، حتى انقطع وجف ما في الكأس وصار
حجراً أصفر، فقلبه على البرجات حجراً يابساً أخذناه بأيدينا ونظرناه، ثم
فعل كذلك بمياه أخرى فجمد حجراً أزرق، وباخرى فجمد حجراً أحمر
ياقوتياً، وأخذ مرة شيئاً قليلاً جداً من غبار أبيض، ووضعه على السندال
وضربه بالمطرقة بلطف فخرج له صوت هائل كصوت القربانة، انزعجنا
منه فضحكوا منا، وأخذ مرة زجاجة فارغة مستطيلة في مقدار الشبر
ضيقة القسم، فغمسها في ماء قراح موضوع في صندوق من الخشب

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الأول: كيف يقاتل المجاهدون؟
تخطر على بال الغرب، ومن أمثلة هذا التفكير الجريء الشجاع؛ استخدام الطائرة كسلاح جبار.

يقول تقرير الكونجرس عن الحادي عشر من سبتمبر: "كان الرجال التسعة عشر على متن أربع رحلات عابرة للقارة، وكانوا يخططون لخطف هذه الطائرات، وتحويلها لصواريخ ضخمة موجهة، معبأة بما يصل إلى 11400 جالون من وقود النفاثات. وبحلول الساعة الثامنة من صباح الثلاثاء 11 سبتمبر 2001 كانوا قد هزموا كل طبقات الأمن، التي كانت لدى نظام أمن طيران أمريكا المدني لمنع الاختطاف"²⁸⁶.

مصفتح الداخل بالرصاص وأدخل معها اخرى على غير هيئتها وأنزلهما في الماء، وأصعدهما بحركة انحبس بها الهواء في أحدهما، وأتى آخر بفتيلة مشتعلة، وأبرز ذلك فم الزجاجة من الماء، وقرب الآخر الشعلة اليها في الحال، فخرج ما فيها من الهواء المحبوس وفرقع بصوت هائل ايضاً، وغير ذلك أمور كثيرة وبراهين حكمية تتولد من اجتماع العناصر وملاقة الطبائع، ومثل الفلكة المستديرة التي يديرون بها الزجاج فيتولد من حركتها شرر يطير بملافة أدنى شيء كثيف، ويظهر له صوت وطقطقة، وإذا مسك علاقتها شخص ولو خيطاً لطيفا متصلاً بها ولمس آخر الزجاجة الدائرة أو ما قرب منها بيده الأخرى ارتج بدنه، وارتعد جسمه، وطقطقت عظام أكتافه وسواعده في الحال برجة سريعة، ومن لمس هذا اللامس أو شيئاً من ثيابه أو شيئاً متصلاً به حصل له ذلك ولو كانوا ألفاً أو أكثر، ولهم فيه أمور وأحوال وتراكيب غريبة ينتج منها نتائج لا تسعها عقول أمثالنا". [عجائب الآثار- سنة ثلاثة عشرة ومائتين وألف ج: 2 ص: 235 و 236].

لا تسعها عقول هؤلاء الجهابذة، لأنهم أنهكوا في الجزء الذي لا يتجزأ وأغلوطات الكلام وشطحات التصوف، وهو الجدال الذي نهينا عنه، وتركوا علوم الطبيعة، التي أمرنا بالنظر فيها، وتركوا الإعداد للقتال والجهاد، ولو انشغلوا بما أمروا به، وأعدوا للجهاد عدته، لصرفوا عقولهم في النافع من العلوم، الذي به عمران الأرض، وحفظ الملة والبيضة. وتلك قصة أخرى عسى الله أن يعين على تأملها وتدبرها.

²⁸⁶ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 4.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
كذلك اختار الإخوة الطائرات البوينج 767 العابرة لقارة
أمريكا، لأنها تحمل مخزوناً أكبر من الوقود، ولم يختاروا الأير
باس، لأن بها طياراً آلياً، يمنعها من الارتطام بالأرض²⁸⁷.
ومن أمثلة هذا التفكير الجريء الشجاع إلهام الشيخ أسامة
بن لادن -حفظه الله- على خالد شيخ محمد -فك الله أسرته-
أن يحاول تقديم موعد الهجمات إلى يونيو، ليتمكن من ضرب
البيت الأبيض في أثناء زيارة شارون لبوش، وكان الاسم
الرمزي لشارون (مشمش)!

7- الحرب الجديدة على جبهتين:

أظهرت هجمات الحادي عشر من سبتمبر وما قبلها وما
بعدها من أحداث أن الطليعة المجاهدة للأمة المسلمة قد
أداها اجتهادها لأن تخوض ضد الغرب الصليبي نوعين من
القتال:

النوع الأول: عصابات في كل مكان:
وهي ضربات المجموعات الصغيرة، التي تتصيد مصالح
العدو حيثما وجدت، وتبتكر في ذلك الوسائل الجديدة،
وتهاجمه حيث لا يتوقع. وقد مثلت غزوتي الحادي عشر من
سبتمبر ذروة هذا النوع من القتال. يقول أبو عبيد القرشي:
"عسكرياً شكلت غزوة 11 سبتمبر أكبر تهديد
للوضع العسكري الأمريكي القائم. فالاستراتيجية
غير المتوازية (Asymmetric) التي ينتهجها تنظيم
القاعدة، والتي تقضي بأن يستخدم الخصم وسائل
وأساليب يستحيل على المدافع عن نفسه أن
يستخدمها أو يتعرف عليها أو يتفادها، جعلت
التفوق العسكري الهائل لأمريكا دون فائدة، مما
قلل من فاعلية الردع العسكري الأمريكي دولياً.
كما أن انتشار سلاح القنبلة الاستشهادية، وكونها

²⁸⁷ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 245.

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الأول: كيف يقا تل المجاهدون؟

لم تعد قاصرة على فلسطين، بل انتقلت إلى أهداف أمريكية أربك الحسابات الأمريكية، وجعل الإحساس الأمريكي بالأمن يتبخر.²⁸⁸

أما النوع الثاني: فهو حروب العصابات التقليدية في مساح محددة كما يحدث في الشيشان وأفغانستان والعراق وفلسطين والصومال والجزائر. وقد أنهكت أمريكا إنهاكاً شديداً في مسرحي أفغانستان والعراق، بل قد لا أكون مبالغاً إذا قلت إن مسرح العراق يعد اليوم الميدان الأساسي في المواجهة بين الأمة المسلمة والحملة الصليبية الصهيونية. وفي كلا من أفغانستان والعراق استطاعت الطليعة المسلمة المجاهدة مدعومة بتأييد الجماهير المسلمة أن تحقق انتصارات ضخمة، بل وتقترب حثيثاً من النصر الحاسم بإذن الله، ذلك النصر الذي سيكون له - بإذن الله - أكبر الأثر على وسط وشرق العالم الإسلامي، بل وعلى مسار الأحداث الدولية بآجمعها. يقول أبو عبيد القرشي:

"استراتيجياً دمر تنظيم القاعدة بغزوة 11 سبتمبر ركائز الاستراتيجية الدفاعية الأمريكية، والتي لم يستطع الاتحاد السوفيتي السابق ولا أية دولة معادية النيل منها. وهذه الركائز هي: الإنذار المبكر، الهجوم الوقائي، ومبدأ الردع. كما سببت هذه الغزوة تمططاً كبيراً لقدرات أمريكا، التي اضطرت لنشر قواتها في مساح كثيرة، دون أن تحرز النصر في أي منها."²⁸⁹

7- ومما سبق يتضح الدور الخطير الذي تمثله أفغانستان والشيشان والصومال وما شابهها من المناطق كمراكز للمقاومة ضد السيطرة الصليبية على العالم، مما يؤكد على

²⁸⁸ غزوة 11 سبتمبر: المستحيل إذا صار ممكناً ص: 30.

غزوة 11 سبتمبر: المستحيل إذا صار ممكناً ص: 30.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
وجوب دعم الأمة لها، حتى تستمر قلاعاً صامدة في وجه
موجات الغزو والسيطرة الصليبية الصهيونية.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات

الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟

□ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى
مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ
تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا
يَعْقِلُونَ □.

أَعْرَكُمُ طَوْلُ الْجِيوشِ وَعَرَضُهَا عِرَاقُ شَرُوبٍ
لِلْجِيوشِ أَكُولٌ²⁹⁰

خَمِيسٌ²⁹¹ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْعَرَبِ رَحْفُهُ

²⁹⁰ البيت للمتنبي بعد استبدال كلمة (عراق) بـ(علي) . الموسوعة الشعرية- المتنبي.
والمتنبي يسخر من اغترار الروم بكثرة جيوشهم، وعلي هو سيف الدولة، الذي يمدحه
المتنبي.

²⁹¹ الخميس: الجيش.

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟

وَفِي أُذُنِ الْجَزَاءِ

مِنْهُ زَمِزَمٌ
تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ
لِسَانٍ وَأُمَّةٍ

فَمَا تُفْهِمُ

²⁹²

الْحُدَّاتِ إِلَّا التَّرَاجِمُ

فَلِلَّهِ وَقْتُ ذَوِّبِ

الْغَيْشِ نَارُهُ

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا

²⁹³

صَارِمٌ أَوْ صُبَارِمٌ

تَقَطَّعَ مَا لَا يَقَطُّعُ

الدِّرْعَ وَالْقَنَا

وَقَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ

مَنْ لَا يُصَارِمُ

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا

²⁹⁴

الدُّمُسْتَقِ مُقَدِّمٌ

قَفَاهُ عَلَى

الإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لِائِمِّ

²⁹² في هذا البيت والذي قبله يصف المتنبي ضخامة جيش الروم وتعدد أجناسه، وهو وصف ينطبق على روم اليوم؛ قوات التحالف الصليبي.

²⁹³ الصارم: السيف، والضبّارم: الأسد الشديد الخلق، ويقصد به المقاتل الشجاع.

²⁹⁴ الدُّمُسْتَق: اسم ملك الروم. ولو رفعت (ذا الدمستق) ووضعت في محلها (بوش الصليبي) لكان المعنى معبراً عما يجري اليوم.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات

وَلَسْتَ مَلِيكاً²⁹⁵
هَازِماً لِنَظِيرِهِ
وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ
لِلشِّرْكِ هَازِماً²⁹⁶

كشفت الغزوات المباركات وما تلتهما من أحداث عن
سمات لقتال العدو الصليبي، أوجز بعضها هنا.
1- القصف والنصر الرخيص.
"الإرهابي هو الشخص الذي لديه قبلة، وليس الذي لديه
قوة جوية!!"²⁹⁷.

يلجأ العدو الصليبي الصهيوني عامة والأمريكي خاصة إلى
استغلال تميزه الجوي بكل قذارة، فيصب من طائراته
وصواريخه ناراً مدمرة على مدن وقرى أعدائه، مدمرة كل ما
يمكنها أن تدمره، ويستمر في الضغط المتصاعد بالقصف
لأحداث أكبر خسائر في السكان غير المحاربين من أجل
الضغط على قيادة خصمه لكي تستسلم. كل هذا وهو أكثر
المحتجين صراحاً بأن أعداءه قتلوا مدنيه ببعض العمليات
الجهادية. وهذه النزعة في الفتك بالسكان غير المحاربين
أصيلة وقديمة في تفكير وتخطيط الغرب الصليبي.
يقول الصحافي البريطاني روبرت فيسك في صحيفة
الإنديبنت عن الحملة الإسرائيلية على غزة في نهاية عام
2008 وبداية عام 2009 أن:

²⁹⁵ لو رفعت كلمة (مليكاً) ووضعت في محلها (فريقاً) أو (كتيباً) لكان المعنى معبراً
عما يجري اليوم.

²⁹⁶ الأبيات للمتنبى. الموسوعة الشعرية- المتنبى.

²⁹⁷ Rogue State, p: 93.

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟

"إسرائيل فتحت أبواب جهنم على الفلسطينيين بقتلها أربعين لاجئاً مدنياً في مدرسة تابعة للأمم المتحدة وثلاثة آخرين في مدرسة أخرى".

.....
إن ما حدث لا ينبغي أن يصينا بالدهشة. فهل نسينا مقتل 17 ألفاً و 500 شخص -جلهم من المدنيين وأكثرهم من الأطفال والنساء- في الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982، ومقتل 1700 فلسطيني في مذبحة صابرا وشاتيلا، ومذبحة قانا عام 1996 التي راح ضحيتها 106 لاجئين لبنانيين مدنيين -أكثر من نصفهم كانوا أطفالاً- في قاعدة تابعة للأمم المتحدة، ومذبحة لاجئي مروحين الذين أمرتهم إسرائيل بإخلال منازلهم عام 2006، ثم ذبحهم طاقم طائرة مروحية إسرائيلية، ولا ننسى أيضاً موت ألف آخرين في نفس القصف عام 2006 جراء غزو الجنوب اللبناني، وكان معظمهم من المدنيين.

.....
إن المدهش بحق هو أن كثيراً من زعماء الغرب والرؤساء ورؤساء الوزراء والمحجرين والصحفيين انطلت عليهم الكذبة القديمة بأن (إسرائيل تبذل كل جهد ممكن لتجنب الخسائر المدنية

.....
إن ترديد الجميع لهذه الكذبة كتبرير لتفادي وقف إطلاق النار يجعل أيديهم ملطخة بالدماء من مجزرة أمس. ولو كانت لدى يوش الشجاعة للمطالبة بوقف فوري لإطلاق النار قبل 48 ساعة، لكان هؤلاء المدنيون الأربعين، من الشيوخ والنساء والأطفال، أحياء الآن".

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
وعبر فيسك عما حدث بأنه: "لم يكن مشيناً
فقط بل خزيًا وعارًا، وأن أقل وصف لذلك هو أنه
جريمة حرب، وهذا ما كنا سنقوله لو أن حماس
كانت هي التي ارتكبت هذه الشناعة

.....
إن زعم إسرائيل أنها تخوض حربنا على
"الإرهاب الدولي" بقتالها نيابة عنا في غزة ودفاعاً
عن قيمنا الغربية وأمننا وسلامتنا ومقاييسنا يجعل
منا أيضاً شركاء لها في الوحشية التي تصب على
غزة صباحاً

.....
إن ما يحدث ليس إراقة دم عادية في الشرق
الأوسط، ولكنها وحشية على مستوى حروب
البلقان في تسعينيات القرن الماضي. وبالطبع
عندما يستتار عربي غاضباً وينفث غضبه الأعمى
والملتهب على الغرب، سنقول إن هذا الأمر ليس
له علاقة بنا. وتتساءل عندها لماذا يكرهوننا؟ لكن
دعونا لا نقل إننا لا نعرف الجواب"²⁹⁸.

وليس هذا الكتاب هو مجال سرد الجرائم الأمريكية
كإبادة الهنود الحمر، وكالقنابل النارية ضد المدن اليابانية²⁹⁹،
و ضد المدن الألمانية مثل هامبورج ودرسدن³⁰⁰، والقصف

²⁹⁸ ليس غريباً أن يكره العرب الغرب.

²⁹⁹ يقدر عدد قتلاها بأربعمئة ألف نسمة. لمزيد من التفاصيل حول بشاعة قصف
القنابل النارية على اليابان في الحرب العالمية الثانية راجع [فصل: بوش الدجال من
كتاب: بل هي حرب على الإسلام ص: 55].

³⁰⁰ في هامبورج قتلت القنابل النارية في ليلة واحدة 60000 قتيل في عام 1943،
وفي درسدن قتلت القنابل النارية في ليلة واحدة 135000 قتيل عام 1945. [Microsoft- Encarta Encyclopedia 2005- World war II
التفصيل حول قصف القنابل النارية على اليابان وألمانيا وقتل أمريكا للمدنيين: [حوار
مع الدكتور محمد المسعري في محاضرة: استهداف أمريكا].

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟

الذري لهيروشيما ونجازاكي³⁰¹، واستخدام العنصر البرتقالي³⁰² والقصف المساحي في فيتنام، وقتل مليون طفل من الحصار في العراق³⁰³، ومئات الآلاف من المدنيين العزل غير المحاربين في العراق وأفغانستان، واستخدام اليورانيوم المنضب³⁰⁴، ناهيك عن الدعم الأمريكي المتواصل للجرائم الإسرائيلية. ولكني سأروي للقارئ المنصف الشريف تجربتي

³⁰¹ قتلت أمريكا فيها أكثر من 150000 ياباني من أجل الإسراع بإنهاء حرب كانت هزيمة اليابان فيها مؤكدة. راجع تقرير التايمز عن قصف هيروشيما في 7 أغسطس 1945.

[Microsoft Encarta Premium Suite 2003- Atomic Bomb]

³⁰² العامل البرتقالي مادة قاتلة للأعشاب ومسقطة للأوراق استخدمتها القوات الأمريكية في فيتنام لإسقاط أوراق الغابات وتدمير المحاصيل لحرمان مقاتلي الفيت كونج من الغطاء النباتي الطبيعي، وقد ألقت الطائرات الأمريكية في الفترة ما بين عامي 1960 إلى 1970 ما يزيد على 86 مليون لتر من مبيدات الأعشاب، على مساحة ستة ملايين أكر من فيتنام بالإضافة لأجزاء من لاوس وكمبوديا. وكان العامل البرتقالي أكثرها فاعلية في إتلاف الغابات، وقد اكتسب اسمه من لون البراميل التي كان يعابا فيها. ويحتوي هذا العامل على مادة الديوكسين، التي تعد من أكثر المواد سمية في العالم، وتكفي منها ثلاث أوقيات في مصدر مياه نيويورك لتسميم سكانها بأكملهم. وقد ألقى على فيتنام ما يقارب 500 رطل من الديوكسين، الذي تعرض له ما يقارب مليوني فيتنامي، ومن آثاره الخطيرة تشوهات المواليد، التي قد تمتد للجيل الثالث، وأنواع نادرة من السرطانات. وقدرت الحكومة الفيتنامية أن تلك الكيماويات تسببت في تشوه نصف مليون مولود. ولم تكبد الولايات المتحدة نفسها دفع أي تعويض للفيتناميين.

[Essential Histories, The Vietnam War 1956-1975, p: 70; Rogue State, p: 105 & 106; Microsoft Encarta 2006- Agent Orange].

³⁰³ لما سئلت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين أولبرايت عن موت نصف مليون طفل بسبب العقوبات علفت بتعليقها الشهير: "كان الأمر يستحق ذلك". [القاعدة: التنظيم السري ص: 224، نقله عن: برنامج 60 دقيقة- محطة 5 CBS-TV- ديسمبر 1996].

³⁰⁴ فذائف اليورانيوم المنضب أطلقت منها قوات أمريكا وحلفائها 320 طناً على العراق في حرب الخليج الأولى، أما في أفغانستان وفي حرب الخليج الثانية فلا يعلم أحد كم ألقوا منه؟ ولكنه بالقطع أكثر مما أطلقوه في حرب الخليج الأولى باعتراف الأمريكيين، وخاصة عند قصفهم لبغداد. واليورانيوم المنضب يضر الإنسان والبيئة بسبب إشعاعه وبسبب سميته الكيماوية إذا دخل الجسم، وخاصة من عبارة المتصاعد من انفجار القذائف أو ارتطامها بأهدافها، ويسبب اليورانيوم المنضب عدداً من الأمراض الخطيرة مثل سرطان الدم وسرطانات

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
الشخصية مع القصف الأمريكي، وهي قصة تلخص الأسلوب
الأمريكي المتعمد في استهداف وتقصد النساء والأطفال. في
الساعة 11 ليلاً تقريباً يوم 29 شعبان 1422هـ الموافق 15
نوفمبر 2001م سقط أول صاروخ على بيت الشيخ جلال
الدين حقاني في جرديز، فتهدم المنزل، واستطاعت اثنتان
من بناتي واثنتان من ربات أخى نصر فهمي نصر (محمد
صلاح) ~ أن تخرجن من فتحة في سقف غرفتهن المتهدمة،
وصعدن فوق سطح البيت، وأكبرهن لا يزيد عمرها عن اثنتي
عشر عاماً، فلما شاهدتهن الطائرات الأمريكية -كما نقلت
جريدة الحياة- كرت طائرة بغارة أخرى على البيت بعد حوالي
خمس إلى عشر دقائق، لتتأكد أمريكا من القضاء على كل من
في البيت، فقتلت سبعة عشر شهيداً كما نحسبهم، منهم ثلاث
نساء وإحدى عشر طفلاً. حالة قتل متعمد أخرى للنساء
والأطفال تضاف لسجل جرائم أمريكا الرهيبة ضد المسلمين
بل والبشرية جمعاء.

وكما ذكرت في عنوان هذه الفقرة فإن النصر المتحصل
بهذه الطريقة نصر رخيص، رخيص أخلاقياً، ورخيص عسكرياً
لأنه لا يدوم، وما يحدث في أفغانستان والعراق دليل على
فشل أساليب أمريكا الرخيصة في الحرب.

2- استخدام الوكلاء والخونة:

السمة الثانية من سمات قتال العدو الصليبي وخاصة
الأمريكي منه هي استخدام العملاء والخونة وحتى المرتزقة
في القتال، ودفعهم للصفوف الأمامية بينما يقاثل الأمريكان

الرثة والجهاز الهضمي والتلف الكلوي والتشوهات الخلقية والإجهاض. وفي عام
1995 رفع المسؤولون في وزارة الصحة العراقية تقريراً للأمم المتحدة عن زيادة
الأمراض المشار إليها بنسب عالية في أطفال العراق.

[Rogue State, CHAPTER 12, Depleted Uranium, p: 96- 99; Microsoft Encarta
2006- Depleted Uranium; and THE ECONOMIC COSTS OF THE IRAQ WAR, P:
10].

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟

من خلفهم، ولا يتدخلون إلا عند عجز عملائهم أو فقدان الثقة فيهم. ومن أمثلة ذلك:

أ- استخدام أمريكا لتحالف الشمال كقوة عميلة لها في أفغانستان:

أشرت من قبل لاستخدام أمريكا لأحمد شاه مسعود وتحالفه الشمالي ضد القاعدة وطالبان قبل الغزوات المباركات.

وعندما همت أمريكا بعدهما بغزو أفغانستان بحثت عن عميل أفغاني فلم تجد إلا تحالف الشمال، الذي كان في قتال مع الطالبان، وكانت له قوات في الميدان، فهرعت أمريكا لاستخدامه على يرفع بعض العبء عن قواتها، ويقلل من عدد القتلى فيها، رغم الحالة المزرية التي وصل لها ذلك التحالف بعد قتل زعيمه؛ أحمد شاه مسعود، وعن ذلك يقول مايكل شور في عام 2004:

”أنهى موت مسعود فرص التحالف الشمالي في البقاء كقوة سياسية عسكرية قابلة للحياة، ناهيك عن أن يشكل إطاراً لحكومة وطنية.

.....

كان مسعود هو التحالف الشمالي، ولم يُعد خليفة من بعده، وكان واضحاً -في حياته- أن زعماء التحالف الآخرين -محمد فهيم وعبد الله عبد الله ورشيد دوستم ويونس قانوني.. إلخ- كانوا على أفضل الأحوال في المرتبة الثانية، وربما كانوا قادرين على العمل بكفاءة تحت توجيه الرجل الكبير، ولكنهم لا يستطيعون أن يحلوا محله. وكانوا يحظون باحترام قليل في التحالف، رغم أن قانوني كان مرهوباً كمسؤول أمن مسعود، وكان أيضاً منهم مجهولاً دولياً.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
 لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
 وفي مواجهة التشرزم التنظيمي والهزيمة
 العسكرية النهائية أمام الطالبان وجد زعماء
 التحالف الشمالي -في آخر لحظة- نظاماً لإنقاذ
 الحياة اسمه الولايات المتحدة الأمريكية، حينما
 هوجمت نيويورك وواشنطن العاصمة بواسطة
 القاعدة بعد 48 ساعة من موت مسعود، ووسط
 مفاجأتها بالهجوم وعدم استعدادها الكامل
 للاستجابة بقواتها العسكرية أعادت واشنطن
 إنعاش علاقاتها طويلة الأمد مع التحالف الشمالي
 مؤخرة انهياره الحتمي.

وفي الحقيقة فإن إدارة بوش باستعمالها له
 كتمويه محلي لفرض قوتها الجوية، قد أبقت على
 التحالف الشمالي حياً لدرجة أن قادته بدوا
 مقتنعين أنهم قد هزموا طالبان وكسبوا الحرب³⁰⁵.

.....
 وهكذا فإن معظم الحرب لازالت لم تُخَص، إنها
 حرب لا يستطيع التحالف أن يكسبها إلا إذا وفرت
 أمريكا قوة مشاة أكبر بكثير، وهزمت تمرد القاعدة
 وطالبان، وقبلت باحتلال أفغانستان للأبد. وهذا
 السيناريو -حتى لرجال محظوظين كخلفاء مسعود-
 يبدو بعيد المنال³⁰⁶.

كتب شور هذا الكلام في عام 2004، فماذا عساه يكتب الآن؟
 يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ

³⁰⁵ من المضحكيات المبكيات أني شاهدت برهان الدين رباني في قناة (العربية) في برنامج (نقطة نظام)، ينفي أن يكون قد دخل هو وتحالفه الشمالي كابل على ظهور الدبابات الأمريكية، وينجح بأنهم قد دخلوها بقوتهم. وصدق النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ قَافِعَلٌ مَا نَبِئَتْ" [أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد]، وألمتنبي يقول:
 وَإِذَا مَا حَلَا الْجَبَانُ يَارِضٍ طَلَبَ الطَّعْنَ وَحَدَّةَ وَالْإِزَالَ.

³⁰⁶ IMPERIAL HUBRIS, P: 34 &35.

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟

بِهَسَارِ عُوْنَ فِيهِمْ يَقُولُونَ تَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَادِمِينَ ۝

والشيء المثير للانتباه أن حركة الإخوان المسلمين بفروعها المختلفة لم يبد منها أي اعتراض أو انتقاد أو توبيخ أو حتى عتاب لأمثال برهان الدين رباني وسياف على دخولهم كابل على ظهور الدبابات الأمريكية وفي حماية قاذفاتها وتحت راياتها، وهم شركاؤهم في التنظيم الدولي، وكانوا من قبل يفتخرون بهم.

ومن المضحكات المبكيات أن تحالف الشمال وأشباهه من عملاء أمريكا لا يكلون ولا يملون عن الحديث عن تبعية الطالبان لباكستان، وأنهم حاربوها دفاعاً عن استقلال أفغانستان، بينما ترفرف في كابل أعلام أكثر من أربعين دولة أرسلت قواتها المسلحة لاحتلال أفغانستان، وأوصلت هؤلاء العملاء لكرسي الحكم.

ولو كانت طالبان تابعة لباكستان لسلمت أسامة بن لادن لأمريكا منذ زمن طويل.

ب- استخدام أمريكا للنظام الباكستاني:

عبر الاستسلام التام لحكومة باكستان، استطاعت أمريكا أن تحولها لمؤسسة خدمات تابعة لها، فقد قدمت باكستان كل ما تستطيع من أجل إرضاء رغبات أمريكا إلى درجة قتل أبناء باكستان وتدمير قراهم والسماح للقوات الأمريكية بقصف أهدافها داخل باكستان. ناهيك عن المعتقلين الذين لا يعلم عددهم الحقيقي، وبسبب إصرار قادة باكستان على التضحية بها من أجل رشاوى أمريكا، وصلت باكستان لحالة تهدد كيانها ووجودها، فعلى مستوى الأمن القومي أصبح العدو الرئيسي الهند متواجداً شرقها وغربها، وحرمت باكستان نفسها من وجود أفغانستان الصديقة كعمق استراتيجي وظهير لها، وقدمت باكستان أسرار السلاح النووي لأمريكا، واستنزفت

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
قادة باكستان جيشهم في معارك خاسرة ضد شعبهم. حيث
تشهد مناطق القبائل حرباً أهلية ممتدة بين القبائل والجيش
والقوات المساندة له، وكلما شن الجيش حملة تنتهي
بالفشل، فيلجأ لعقد اتفاقية مع القبائل، ثم ينكث بها تحت
الضغط الأمريكي، وتبدأ دورة جديدة من القتال ثم الهزيمة ثم
المعاهدة ثم نكثها، وهكذا دواليك. وتدهورت الحالة المعنوية
للجيش، الذي استفحل الهرب بين جنوده، فشاعت بين
وحداته ظاهرة التسليم للقبائل بعد اشتباكات قليلة.
أما فكرة باكستان التي تدور حول إنشاء وطن للمسلمين
في شبه القارة الهندية، فقد تدمرت، بعد أن شاهد
الباكستانيون كيف تحولت باكستان لحكومة تقتل المسلمين
في أفغانستان وباكستان بل وفي داخل المساجد كما حدث
في المسجد الأحمر بأوامر مباشرة من أمريكا.
ومثال باكستان كغيره من الأمثلة في عالمنا الإسلامي يبرز
الدور الخطير الذي يقوم به الحكام الخونة في إذلال
المسلمين واستعبادهم واستباحة دمائهم وحرمااتهم لصالح
أعداء الإسلام. ولولا خيانة الحكومة الباكستانية لما استطاعت
أمريكا أن تحتل أفغانستان، ناهيك عن أن تستمر فيها.

3- الغدر.

يعد الغدر ونقض العهود من المعالم البارزة في قتال
الصليبيين وسياستهم. وجيلي وما قبله درس في التاريخ ما
فعله الإنجليز بالشريف حسين، فبعد أن وعدوه بإنشاء
المملكة العربية، وعدوا اليهود في (وعد بلفور) بفلسطين،
وعدوا فرنسا في اتفاقية (سايكس بيكو) بالشام.
وفي الحملة الصليبية المعاصرة مارسوا نفس غدرهم،
ومن أشهر أمثله مأساة (قلعي جنكي³⁰⁷) وسجن (شبرغان).

³⁰⁷ جنكي أصلها بالفارسية جنكي، وتكتب بحرف (ج)، وهو ينطق كالجيم العامة
المصرية، ولا مقابل له في العربية. ومعنى قلعي جنكي: الفلعة الدرية.

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟
وأنا أقتطف هنا أجزاء من رواية الشيخ الفاضل عبد الهادي العراقي -فك الله أسره- قائد المجاهدين العرب في جبهة كابل ثم بعد ذلك نائب أمير لواء الأنصار قبل الغزوات المباركات، ثم القائد العسكري الميداني للقاعدة في أفغانستان بعدهما. وهي وثيقة منشورة على شبكة المعلومات.

" ملحمة قلعة جنك "

.. الملحمة المنسية .. ملحمة الشهداء..
ملحمة الشهداء المنسيين.. شهداء قلعة جنك
المجهولين.. أبطال رفضوا الهوان..
حقيقة احترت في اختيار عنوان لهم، يعبر عما
قاموا به من بطولة ورفض للهوان والذل، الذي
يمكن أن يتعرضوا له لو بقوا أحياء. فهم ليسوا
كباقي القطعان الحية، يسوقهم أعداء الله بالعصا،
وهم راضخين أذلاء مقابل البقاء أحياء متمتعين
بزيف الدنيا.
كنت أميرهم، ولكن أقدار الله شاءت أن أبتعد
عنهم في اللحظات الحاسمة الصعبة، وهي ليست
المررة الأولى، التي أراها بعيني، فالشهادة اختيار
واصطفاء من الله.
عدة شهور مضت على اتخاذ قرار المشاركة
في جبهات شمال أفغانستان، فاخترت المجموعة
الأولى من المجتهدين، الذين أمضوا فترات طويلة
في جبهة شمال كابل، فشكلت منهم مجموعة
طيبة صابرة، لا توصف بعطائها وبذلها³⁰⁸.

.....

³⁰⁸ لعله يقصد: لا توصف إلا بعطائها وبذلها.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
أسود جميعهم، لا تكاد تفاضل أحدهم على الآخر،
وحسبنا أنهم ذهبوا إلى جوار رحمن رحيم كريم في
أشرف ساحات الوعى وميادين الرجال ضد أعداء
الله من الأمريكان والمنافقين.

كانت الحملة الصليبية الأمريكية قد بدأت على
أفغانستان بعد عمليات مركز التجارة والبتاغون
البطولية، التي رد فيها المجاهدون بقوة على
الاستعلاء الأمريكي واحتلالهم للمقدسات الإسلامية
وإعانتهم لليهود ضد إخواننا الفلسطينيين.

وكان القصف قد اشتد على مزار شريف
خصوصاً، لفسح المجال أمام قوات دوستم وحلفائه
الهازرة (الشيعة) وغيرهم، للسيطرة على المدينة
والمطار لعمل موطئ قدم ينزل فيه الأمريكان،
لتوسيع عملياتهم لاكتساح مواقع الطلبة الصامدة
إلى تلك الأيام أمام القصف العنيف والهجمات
الشرسة، حتى أنهم -الأمريكان- تحيروا، وكادت
خططهم تفشل، وأصيبوا بالإحباط، ولولا التطورات
اللاحقة التي حصلت وحيرت المراقبين بل والغالبية
في الطلبة أنفسهم، ومن كانوا يشاركونهم الدفاع
عن دولة الشريعة والقرآن.

وكانت أوامر أمير المؤمنين لازالت واضحة قوية:
(اصمدوا واجتهدوا في الدفاع عن مواقعكم إلى
آخر رجل. وأن الحياة ليست ملكاً لبوش، الذي
يهدد بسلبها، ممن سيبقى وبصمد).

بدأ القصف يزداد عنفاً لحظة بعد لحظة، وبدأت
المعنويات تنهار شيئاً فشيئاً، فالقصف العنيف أخذ
يتضاعف، وبدأ ينتشر على كل جبهات مزار شريف،
ويمتد إلى خارج مركز قندهار إلى القرى المحيطة
بعاصمة أمير المؤمنين ومخزن قواته، بحجة أن

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟

هناك مواقع مشبوهة ممكن أن يتواجد فيها أمير المؤمنين والشيخ أسامة بن لادن. وبدأت أعداد الضحايا المدنيين في ازدياد على العكس من الضحايا في الجبهات³⁰⁹، والتي كانت نسبتهم قليلة جداً، لوقورنت مع شدة القصف، ودخلت أخيراً قنابل زنة 7 طن و 8 طن، والتي تأتي على سقف الأسلحة التقليدية وقبل مرحلة القنبلة النووية، أصيبت نفسيات الطلبة بالضعف الشديد، وهم يرون الأهوال من تلك القنابل، وتم الانسحاب من مزار شريف بدون ترتيب وبلا سابق إنذار، وبعدها صدرت الأوامر بالانسحاب من جبهات تخار، والتي كان الإخوة العرب موجودين فيها وهم محور قصتنا هذه.

كانت مواقع لواء المجاهدين³¹⁰ (وهم يزيدون عن 1200 مجاهد شكلهم أمير المؤمنين من المجاهدين غير الأفغان قبل عدة شهور) تمتد من ضفاف نهر جيحون على مركز مديرية خوجة غار (وخط الجبهة يمتد من هناك وإلى تخار وفيه الإخوة الطلبة)، وعلى حسب اجتهاد القائد العسكري لشمال أفغانستان -الملا فضل- صدر أمر الانسحاب من مقدمة جبهة تخار والعودة إلى قندز (التي تبعد حوالي 70 كم عن طلقان مركز ولاية تخار) لتقليل الخسائر وتنظيم الصفوف. خصوصاً أن الشمال قد انفصل عن القيادة المركزية للطلبة في جنوب أفغانستان بعد سقوط مدن مزار شريف وسمنجان وبول خمري وبعدها باميان بأيدي قوات

³⁰⁹ لاحظ هنا اعتماد الأمريكان والصليبيين عموماً على إحداث الخسائر الكبرى في المدنيين للضغط على المقاتلين.

³¹⁰ هو نفسه لواء الأنصار.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
التحالف الشمالي الموالي للأمريكان والصليبيين،
وحدوث فوضى واضطراب شديدين في صفوف
الطلبة على الرغم من نداءات أمير المؤمنين
المتكررة بالصمود والدفاع، وكلمته المشهورة التي
يرردها [إما الحياة بعزة وغيره على دين ومحارم
الله أو الموت والشهادة، زندي به غيرت يا مرگ به
شهادت].

في البداية رفض الإخوة في اللواء الانسحاب في
ضوء المعنويات المرتفعة، فهم وعلى مدى يومين
سابقين كانوا قد صدوا عدة هجمات للعدو، آخرها
استمر 12 ساعة متواصلة، لم يستطع العدو
التقدم شبراً واحداً، على الرغم من القصف
المدفعي الثقيل الشديد والدعم الجوي الكبير
للطيران الأمريكي الصليبي، وإلى أن أقنع قادة
الطلبة الإخوة بالانسحاب كان قد مر على انسحاب
بقية قطعات الطلبة أكثر من نهار كامل، ومع هذا
تأخرت مجموعة يتراوح عددها بـ 25 أخاً عربياً،
رفضت الانسحاب إلي ما بعد يومين من استكمال
انسحاب الجميع، طبعاً حاصرهم العدو، ولكن لم
يسطيع اقتحام مواقعهم.

وكان خط الانسحاب من خوجة غار إلى دشت
أرجي وإلى قندز مكشوفاً، يمر بمنطقة تلال صعبة
قاحلة من أي أشجار، وطوال الطريق كان الطيران
يقصف الآليات، ولكن لم تحدث أية خسارة على
الإطلاق بتوفيق الله وحفظه.

وحين استقرت هذه القوات كلها حول مدينة
قندز كانت قوات التحالف الشمالي قد أطبقت
الحصار على المدينة، فمن ناحية كانت قوات جلام

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟

جم (دوستم والهزاره) قد وصلت من مزار شريف وقوات شورى نظار (والذي كان اغتيل قائدها المشهور مسعود قبل أسابيع) من الناحية الأخرى، وكانت المنافسة شديدة بينهم على من يدخل المدينة أولاً سينال الحظوة والأموال والمكافأة، فقوات دوستم محسوبة على الأمريكان، وقوات شورى نظار تتلقى دعمها الكامل من روسيا وإيران، على الرغم من أن الطرفين يتمتعان بالدعم الجوي الأمريكي المباشر.

رمى دستم (الجنرال الشيوعي السابق) ثقله كاملاً لإجراء مفاوضات لدخول قندز سلماً، وعرض على الطلبة الاستسلام مقابل العفو وإيصال المقاتلين إلى أماكن سكنهم

.....

وضغوط أهالي المنطقة تزداد لسحب الطلبة أو استسلامهم لتجنب مناطقهم الدمار من جراء القصف الجوي الذي لا يميز بين قطعة عسكرية وبين قرية أو تجمع سكاني مدني، ويزداد مع صمود الطلبة إلحاح دوستم على الطلبة للتسليم مقابل ضمانات كثيرة، ليسبق خصمه محمد فهم قائد شورى نظار، ويدخل قندز ويضيفها إلى مناطق نفوذه ليقوي بها موقعه ومكانته عند أسياده الأمريكان.

لا ندري ما جرى حقيقة في المفاوضات فقد حصل الاتفاق فجأة على خروج غير الأفغان من هناك والتوجه إلى مزار شريف للحفاظ عليهم ابتداءً، وعند وصولهم إلى هناك يستكمل تسليم بقية قوات الطلبة لقوات دستم، انطلقت السيارات الشاحنة تقل 350 مجاهد، كل العرب

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
وعدددهم 154 أخ مع 100 من الأوزبك والطاجيك
وبقية من المجاهدين الباكستانيين وقليل من
الطلبة، ومعهم 4 سيارات صغيرة من قوات
دوستم ومن أفراد القومندان ناصر خروي
البشتوني، بالتحديد كأمان لهم ودليل خلال
الطريق، لم يعترض طريقهم أحد، وحين اقتربوا
من مدينة مزار شريف كان الليل قد اقترب على
نهايته، وبدأ الدليل يخفض من سرعة السيارة، إلى
أن توقف قائلاً إن وجهتنا إلى بلخ الواقعة خلف
مدينة مزار شريف، وهناك طريقان، أحدهما طويل
يلف حول مزار، والآخر قصير يخترق المدينة، ولكنه
خطر لأن هناك قوات من الهزاره، وهم لا يطيعون
لنا، ونخاف أن يتعرضوا لكم، وتكون هناك مشاكل،
ولكن الطريق الطويل خطر أيضاً، لأننا نريد أن
نوصلكم إلى بلخ بدون علم دوستم، وإذا طلع النهار
ممكن استخبارات دوستم تكشف الموضوع،
ويعرقل الأمر، فلهذا سنرسل سيارة لتأمين طريق
المدينة، ثم تعود لتسير بالقافلة، المهم تحركت
السيارة باتجاه المدينة بسرعة، وبعد ساعة تحركت
السيارة الثانية بحجة أن الأولى تأخرت، وعند بزوغ
ضوء النهار تحركت الثالثة، وبعدها بقليل الرابعة
لاستكشاف الأمر.

بدأ الشك يزداد عند الإخوة، نظروا حولهم فإذا
هم في منطقة سهلة ليست فيها أي تضاريس أو
وادي أو مرتفع، وفجأة سمعوا صوت مدرعات تتجه
صوبهم، أمعن ناس المقدمة فإذا هي فعلاً
مدرعات، ولكنها لا تسير باتجاههم مباشرة، بل
قسم منها ينحرف بعيداً إلى اليمين والأخر بعيداً
إلى اليسار.

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟

تشاور المسئولون بسرعة، وقرروا تشكيل خط دفاعي دائري، يكون العرب في المقدمة والأوزبك على الجناحين والباكستانيين يحمون المؤخرة، وفعلاً وبسرعة تتم عن خبرة قتالية توزعت الأعداد وأخذ المجاهدون أماكنهم، وكانت الأسلحة لحد الآن لم تسحب من عندهم، عندها كانت قوات العدو قد استكملت حصار المنطقة كاملاً، تخندق الإخوة وسحبوا أقسام الأسلحة استعداداً لأي طارئ. بدأت إحدى السيارات التي كانت قد غادرت لترتيب أمر عبور المدينة تتجه بسرعة إلى مركز تواجد الإخوة، تركها الإخوة تقترب، نزل مسؤولها، هرب إلى مسؤول المجموعات وكان الخوف يملأه.

.....
المهم أن الأفغاني بدأ مهتماً بتهدئة الإخوة قائلاً أن الأمور بخير ولكن هناك مشكلة بسيطة وهي أن الجنرال دوستم قد عرف الأمر، وهو يصر على أن يذهب الجميع مراكزه ليحافظ عليهم، فقط عليهم الآن تسليم أسلحتهم، طبعاً انتفض الإخوة، فكيف يكون ذلك ولحد هذه اللحظة لم يستطع المنافقون الاقتراب منهم؟ ولقد صدوا العديد من هجماتهم المدعمة بالقصف الأمريكي الصليبي العنيف، وعندما رأى الدليل الأفغاني إصرار الإخوة على عدم تسليم الأسلحة اقترح عليهم أن يتصلوا بالملا فضل في قنذر، ليأخذوا منه التعليمات، وكان الإخوة قد نصبوا المخابرة هناك في الميدان

.....
المهم بعد انتهاء اتصالهم بنا تكلموا مع ملا فضل، حيث طلب منهم الرضوخ لمطالبهم وتسليم

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
الأسلحة للحفاظ على بقية الطلبة الموجودين في
قنذر، قائلاً إننا لحد الآن لم نسلم أسلحتنا، ولكن إذا
عملتم مشاكل فربما يبدأون بقصفنا والتعرض
علينا، خصوصاً أن قواتهم بدأت تدخل المدينة،
وقال لهم عليكم بالسمع والطاعة وأن عملي هذا
الغرض منه لإنقاذ حياة أكبر عدد ممكن من الطلبة
بأمر أمير المؤمنين؟! تردد الإخوة بتسليم
الأسلحة، فنادى ملا فضل الملا ذاكر عبد القيوم
ليكلّمهم على المخابرة، وكان ملا ذاكر هو أمير
قطاع عملياتنا في خوجة غار ودشت أرجي.

بعدها رضخ الإخوة للطلب وتشاوروا على تسليم
الأسلحة الكبيرة الظاهرة وإخفاء القنابل اليدوية
والمسدسات والسكاكين للطوارئ، وبدأ وضع
السلاح على الأرض والأغلبية غير مقتنعة تماماً،
ومدهوشة بما يحصل.

بعد استكمال تسليم الأسلحة طلب الدليل من
قسم من قوات العدو بالاقتراب واستلام الأسلحة،
وطالب الإخوة بتسليم كل ما لديهم من سلاح،
فأجابوه بأنه لم يبق شيء آخر، وإزاء هذا العناد
طلب إليهم التوجه إلى السيارات للتحرك إلى مزار
شريف.

انطلقت أمام القافلة سيارة الجرحى مع دليل
واحد، وكان هناك أربعة من الجرحى، منهم أبو
ناصر الأيبيني وأسامة الحضرمي، وكانوا قد جرحوا
في القصف سابقاً، أسرعت السيارة وسبقت
القافلة، عند وصولها إلى داخل المدينة أوقفها
حاجز لحزب وحدت الشيعي، وحينما عرفوا أن فيها
عرباً أنزلوا الأفغاني الدليل، وعلى رغم توسله لهم
قائلاً إنه منهم ومن أفراد قومندان ناصر، وهؤلاء

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟

مستسلمون، وسأخذهم إلى السجن. ولكن بدون فائدة. بدأوا بضربه وبسبه بشتى الألفاظ القاذرة، وانهاالوا بالضرب على الجرحى غير آبهين بحالتهم، واقتادوا الجميع للسجن عندهم، وبدأوا بالتحقيق معهم، وندع أختاً طالبياً أفغانياً -كان مجروحاً وركب معهم السيارة- يحكي القصة، حيث يقول: بدأوا بالضرب الشديد للجميع، ثم أوقفوا السيارة في الخارج، واستدعوني للتحقيق، فقلت لهم إنني لست معهم، بل أنا جريح وأتيت معهم فقط بالسيارة. فقالوا لي لا نعرف ذلك، وإذا أردت الخروج فكم ستعطينا؟ حينها تذكرت بأن الإخوة أخفوا مسدساً وبعض الأموال، التي جمعوها من بينهم خوفاً من السرقة، وأخفوها في محرك السيارة، ففكرت أنهم سيأخذون السيارة كلها، فلأفدي نفسي بالمسدس، ففاوضتهم على إعطائهم مقابل خروجي، فوافقوا فأرشدتهم إلى مكانه، فذهبوا وأخرجوه، ولكن عندما عادوا قالوا هذا لا يكفي نريد ورق أخضر (يقصدون الدولار). فأرشدتهم على مكان الأموال، وعندما رأوها قالوا لي اخرج، وأترك لنا هؤلاء العرب نبيعهم بالدولار. فخرجت من عندهم، وأنا أسمع صيحات وتأوهات الإخوة الجرحى، حيث بدأ المناقون بضربهم، ثم نقلوهم إلى المستشفى، ثم سلموهم للأمريكان. ثم نعود للقافلة الكبيرة، حيث أخذوهم إلى قلعة جنكي، وهي قلعة كبيرة على أطراف مزار شريف، ترتفع عن الأرض كثيراً، يحيطها سور عريض، يمكن للدبابة أن تسير عليه، وخلفه قناة ماء، ومن داخلها

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
كبيرة جداً، مكون³¹¹ من عدة طبقات وفي الأسفل
سراديب وغرف، وهي قلعة عسكرية مجهزة
للقتال والصمود أمام الحصار، ومخزن فيها أسلحة
وذخائر كثيرة.

وعند وصولهم للقلعة دخلت السيارات إلى داخل
القلعة، وكان قد سبقهم إليها أكابر قومندانات حزب
وحدت الشيعي وأكابر قومندانات دوستم ورئيس
استخباراته وكذلك قوات كبيرة تقدر بعدة مئات،
كذلك مندوبين عن القوات الأجنبية الأمريكية وال
CIA ، وعند وصولهم تم تقسيمهم على الغرف، ثم
بعد ذلك بدأت قوات العدو بفتح غرفة غرفة وإخراج
الإخوة لتفتيشهم وتسجيل الأسماء والمعلومات،
كان يشرف على التسجيل ضباط أمريكيان وكبار
ضباط دوستم والهزارة، وكان أفراد العدو
والمحققين يتعمدون إساءة المعاملة والتلفظ
بالكلمات القذرة على الإخوة والجهاد والدين،
ويستهزؤون بالجميع، وحين رأى الإخوة ذلك، وقبل
أن يستكمل الغرفة الأولى، تبادل عدد من الشباب
الإشارات، وتقدم الأول للتفتيش واضعاً يده في
جيبه، وانتبه لذلك المحقق فصاح عليه أن أخرج
يدك يا ابن .. فشد الأول قبضة يده من جيبه، وفجأة
دوى انفجار كبير أعقبه آخر، قتل الأخ مباشرة،
وقتل على أثر انفجار القبيلتين اليدويتين أيضاً
المحقق الأمريكي ورئيس استخبارات مزار وأكبر
قومندانات لحزب وحدت وعدد من كبار قادة
دوستم، وساد الهلع قوات العدو، وبدأوا يتناثرون
كذر الغبار، اشتدت به الريح، سارع عدد من الإخوة

311 لعلها: مكونة.

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟

إلى أسلحة المقتولين ليأخذوها، وسارع آخرون إلى بوابات القلعة، ليغلقوها لمنع العدو وبقية الأمريكان من الفرار، وذهب البقية لفتح أبواب الغرف لإخراج إخوانهم، وسادت فترة قصيرة من الصمت، ولكنها كانت رهيبة.

وانفتح بعدها باب جهنم على الأمريكان والأعداء، الذين فوجئوا بما حدث، فهم لم يروا ذلك من قبل، ناس في الأسر لا يصبرون على إهانات، هي عندهم في أعرفهم أمور عادية، يمكن يتبادلونها بينهم فرحاً. ولكن أنى يكون ذلك لحر عزيز ذاق طعم الجهاد، وما أنزل السلاح من على كتفه إلا قبل لحظات سمعاً وطاعة لأميره، ولكن على غير اقتناع وثقة في الطرف المقابل، الذي وضع يده بأيدي الكفرة والصليبيين لهدم صرح دولة الشريعة. ودارت معركة رهيبة، كان العدو فيها كالجرذان المرعوبة، لا تدري أين الفرار؟ وبدأ قسم منهم يقفز من الجدران العالية، لا أحد منهم يجرؤ على المواجهة، فهم لم يأتوا للموت بل لجمع الأموال والتمتع بشهوة التسلط، وما سينعم به الأمريكان عليهم. وما هو إلا وقت قصير صفى فيها الإخوة أغلب الذين كانوا موجودين من العدو والأمريكان.

وبدأ الجد مرة أخرى، فالساعة ساعة حزم وأمر، تقسمت المجموعات، وتوزعت المهام بدقة، فالناس أصحاب خبرة قتالية سابقة. توجهت مجموعة لكسر المخازن واستخراج الأسلحة، وأخرى لجلب الذخيرة وتوزيعها، وأخرى لاستخراج ونصب الرشاشات الثقيلة والهاونات وهكذا، وبعد فترة عادت المجموعة المكلفة بإحصاء وجرّد إصابات العدو وإصابات الإخوة، والنتيجة المذهلة]

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
15 قتيل أمريكي- تقريباً 200 قتيل من
المنافقين]. لم يبق منهم أحد حي، لا خسائر ولا
إصابات بين المجاهدين، عدا الأخ الذي ألقى
القبيلتين اليدويتين في البداية.

ثم تشاوروا، وقرروا الصمود داخل القلعة، لأن
العدو بدأ يتجمع في الخارج، والمدرعات والمدبابات
بدأت تحاصر القلعة، وصوت الطيران يستكشف
المنطقة.

بدأ الشباب المجاهد توزيع المهام الدفاعية على
الجميع، متوقعين أن العدو سيبدأ عملية اقتحام
القلعة، بعدما رأوا كثافة نيران الرشاشات
والمدفعية الموجهة عليهم ونداءات طلب
الاستسلام. ولكن استسلام من أسود لفئران
مرعوبة!

وإلى صباح اليوم التالي لم يحاول أي فأر
الاقترب من عرين الأسود. ولكن مع إشراف
الصباح بدأ قصف جوي شديد، وكذلك قصف
مدفعي من الأرض، واستمر الأمر إلى المغرب، ما
استطاع الإخوة عمل شيء أكثر من إخلاء الجرحى
للطابق السفلي، وكذلك تقليل الأعداد الموجودة
في محيط القلعة للدفاع ضد أي معتدي، واستمر
ذلك طوال الليل، ولم يكن هناك من الطعام إلا
القليل جداً مع الماء، هدا القصف ليلاً، ليعود مرة
أخرى في الصباح بشدة أكبر مع محاولات لاقترب
دبابات، إلا أن الإخوة ردها على أعقابها، ومع
اشتداد القصف بدأ الدخان يتصاعد، والذخائر
تنفجر، والدمار يتجاوز الطابق العلوي إلى الطوابق
السفلية، ومع نهاية اليوم الثالث من القصف
العنيف المستمر كان أغلب الموجودين قد دفن

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟

تحت الأنقاض، أو جرح جروحاً بليغة، ولم ينج من الجرحى إلا من لجأ إلى الخنادق العميقة تحت الأرض.

دخل عدد من أفراد العدو القلعة خفية، ليتأكدوا من مقتل الجميع وأعطوا إشارة للبقية بانتهاء المقاومة ومقتل الجميع، وعند اكتشافهم وجود عدد من الجرحى في الأنفاق، دخل اثنان من العدو لإخراجهم فأخرج الأخ مسدسه، وقتل الاثنين، ورفض الجميع نداءات العدو للخروج من الأنفاق، ففتح عليهم الماء لإجبارهم على الخروج، فلم يفلحوا، فبدأوا بإغراق هذه الأنفاق والملاجئ بالديزل والبنزين وأشعلوا النار، عندها اضطر من بقي على قيد الحياة ونجا من الحرق والاختناق إلى الخروج، وكان عدد من تبقى من هذه المذبحة 80 أخاً، أغلبهم من الباكستان، ومن بين الجرحى الأخ الأمريكي، الذي أخرج يوش، الغير مصدق لوجود أمريكي في صفوف الطلبة.

وبهذا انتهت هذه الملحمة التي سطرها الشباب المجاهد الراض للهدا الهوان الذي تعيشه الأمة، فضّل لقاء ربه الكريم على حياة ملؤها الذل والخنوع، وما خاب وما خسر في اختياره، بل هو خروج من هذا السجن الكبير إلى جنات الرضوان مع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وصحبه الكرام في أعلى عليين.

وبعد

فهذه أحداث عايشناها ورأيناها، حفرت أخايد عميقة في عقولنا وقلوبنا، أبطالها إخوة أفاضل سبقونا إلى ما كنا قد وضعنا أعيننا وتعاهدنا عليه، رضا الرحمن وجات الرضوان، فنحن على طريقهم

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
لن نكل ولن نمل، وقسما نيره؛ فقد بعنا، وقد
اشتري الرحمن. صفقة لن نندم عليها أبداً، نرويها
لمن كان له قلب، وما زال به ذرة من إيمان أو
رجولة أو نخوة لعل الله ينفعه بها.
نسأل الله القبول .. ولأمتنا الاستيقاظ والنهوض
ولشبابنا العودة إلى الطريق التي ارتضاها الله لنا.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
عبد الهادي العراقي
آخر ذو الحجة 1422 هـ
14 مارس 2002م"

يقول روبرت فيسك في مقال له بعنوان (مجزرة
سجن جانغي.. شاهدة على الإرهاب الغربي):
"لقد أصبحنا نحن معشر الغربيين مجرمي حرب
في أفغانستان فالقوات الجوية الأميركية تقصف
مزار الشريف نيابة عن قوات التحالف الشمالي،
وحلفاؤها الأفغان الأبطال -الذين ذبحوا 50 ألف
إنسان في كابول ما بين عام 1992 و 1996-
تحركوا إلى داخل المدينة وأعدموا 300 مقاتل
من طالبان.

.....
وعليه فإن جريمة حرب ارتكبت بمساعدة من
سلاح الجو الأميركي. والآن لدينا "تمرد" سجن
مزار الشريف، الذي فتح فيه الأسرى الطالبانيون
النار على سجانهم من التحالف الشمالي، ولكن
تبين أن القوات الخاصة الأميركية والقوات
الخاصة البريطانية ساعدت قوات التحالف
الشمالي على إخماد "التمرد".

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟

.....
وعليه فإن القوات الخاصة البريطانية متهمة بارتكاب جريمة حرب.

.....
وليس هناك عذر كاف للأميركيين لإخلاء مسؤوليتهم عن تلك المذبحة، فقد صرح وزير الدفاع الأميركي دونالد رامسفيلد خلال حصار المدينة بأن الغارات الجوية الأميركية على المدافعين الطالبان عن المدينة المحاصرة سوف تتوقف "إذا طلب التحالف الشمالي وقفها". وتجاهل الحقيقة، التي كشفت أن سلاح الجو الأميركي متحالف مع مجرمين وسفاحين يسعون للانتقام من طالبان، فتصريحات رامسفيلد تجرم الدور الأميركي وتضع واشنطن في قفص الشهادة في أية محاكمة على جرائم الحرب، التي ارتكبت في قندوز، فقد كانت الولايات المتحدة تتصرف بتعاون عسكري كامل مع ميليشيات التحالف الشمالي.

.....
فما الذي جرى للبوصلة الأخلاقية منذ 11 سبتمبر؟ ربما أستطيع الإجابة: بعد كل من الحرب العالمية الأولى والثانية، طورنا نحن الغرب، غابة من التشريعات لمنع وقوع المزيد من جرائم الحرب.

.....
وعلى مدى الخمسين عاما الماضية جلسنا على عرشنا الأخلاقي تلقي محاضرات على الصينيين والسوفييات والعرب والإفريقيين حول حقوق الإنسان، كما أصدرنا أحكامنا بخصوص الجرائم

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
التي ارتكبت ضد حقوق الإنسان من قبل
البوسنيين والكروات والصرب، ووضعنا الكثيرين
منهم في قفص الاتهام، بالضبط مثلما فعلنا
بالبنازيين في نورمبيرغ.

.....
ولكن فجأة، بعد 11 سبتمبر، أصبحنا مجانيين ..
فقصفتنا القرى الأفغانية وحولناها وسكانها إلى
هباء منشور، وألقينا اللوم على طالبان وأسامة بن
لادن على المذبحة التي ارتكبتها، والآن سمحنا
للميليشيات التي تحالفنا معها بأن تنفذ عمليات
الإعدام دون محاكمة للأسرى.

وقد صادق الرئيس الأميركي جورج بوش على
مجموعة من المحاكم العسكرية السرية لمحاكمة
وتصفية أي شخص يعتقد بأنه مجرم إرهابي في
نظر المخابرات الأميركية المعروفة بقدم كفاءتها،
ويجب ألا نخطئ الفهم بأن هذه المحاكم عبارة
عن فرق إعدام حكومية أميركية رسمية مشرعة
قانوناً، وقد أوجدت بالطبع خصيصاً لتصفية أسامة
بن لادن ورجاله في حالة وقوعهم في الأسر بدلاً
من تعرضهم للقتل، ومن أجل ألا يكون لهم أي
دفاع علني، بل مجرد محاكمة زائفة وفرقة إعدام
بإطلاق الرصاص.

من الواضح تماماً ما الذي جرى، فعندما يقوم
شعب ممن بشرتهم صفراء أو سوداء أو بنية لهم
مؤهلات شيوعية أو قومية أو إسلامية، يقتل
أسراهم أو قصف شامل ومدمر للقرى من أجل
قتل أعدائهم أو إنشاء محاكم إعدامات يجب أن
يدانوا من قبل الولايات المتحدة والعالم
"المتحضر"، فنحن أسياذ حقوق الإنسان

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟

والليبراليون والعظماء والأخيار الذين يستطيعون أن يلقوا مواعظ للجماهير الفقيرة والمعدمة، ولكن عندما يتعرض شعبنا إلى القتل وعندما تتعرض مبانينا للتدمير نقوم بتمزيق كل تشريع مكتوب ومتفق عليه بخصوص حقوق الإنسان، وترسل طائرات بي - 52 إلى الجماهير الفقيرة والمعدمة ونبدأ في قتل أعدائنا.

.....
ولكن ليست صدمة قوية حقاً، هو أن توني بليز وجاك شيراك وغيرهارد شرويدر وجميع صبيان التليفزيون ظلوا جميعاً صامتين في وجه الجرائم، التي ارتكبت في أفغانستان، والتشريعات التي اتخذتها واشنطن على الطريقة الأوروبية الشرقية منذ 11 سبتمبر. لكن هناك أشباحاً حولنا تذكرنا بعواقب جرائم الدولة، ففي فرنسا لا يذهب الجنرال إلى المحاكمة حتى بعد أن يعترف بارتكاب التعذيب الجرائم¹ في الحرب الجزائرية 1954/1962، لأنه أشار إلى أعماله بأنها "واجبات مبررة قام بها بدون سرور أو ندم". وفي بروكسل سيقوم أحد القضاة باتخاذ قرار حول ما إذا كان رئيس الوزراء الإسرائيلي ارييل شارون سيخضع للمحاكمة على مسؤوليته الشخصية، عن مذبحه صبرا وشاتيلا عام 1982".

ثم تلت هذه المذبحة الغادرة مقتلة أخرى خارجة عن كل ضمير وشرف، وهي مقتل أكثر من ألف أسير أثناء رحلتهم في الحاويات خنقاً وعطشاً أثناء ترحيلهم لسجن شبرغان. بالإضافة لمن قتلوا في ذلك السجن البغيض.

¹ لعل المقصود: جرائم التعذيب.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
ولم تحرك الأمم المتحدة ولا الدول المتحضرة ساكناً، بل
صرح الأخضر الإبراهيمي -مندوب الأمم المتحدة لأفغانستان-
بأن موضوع قلعي جنكي موضوع حساس لا داعي لفتحه الآن.

المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟

المطلب الثالث:

المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

"أقسم بالله العظيم، الذي رفع السماء بلا عمد، لن تحلم أمريكا ولا من يعيش في أمريكا بالأمن، قبل أن نعيشه واقعاً في فلسطين، وقبل أن تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض محمد صلى الله عليه وسلم"².

أحدثت الغزوات المباركات في نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا ولا زالت تحدث آثاراً عظيمة متوالية، ولا زالت تفاعلاتها تتسع وتتزايد، وأنا هنا أورد بعض التأملات الموجزة في ذلك الشأن، وأوردها تحت الأفرع الآتية:

الفرع الأول: رسالة الغزوات.

الفرع الثاني: نقل المعركة لأرض العدو.

الفرع الثالث: آثار الغزوات.

الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين سياسياً وفكرياً.

² أسامة بن لادن مساء السابع من أكتوبر 2001، بدء العدوان الأمريكي على أفغانستان.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها
الغزوات/ الفرع الأول: رسالة الغزوات

الفرع الأول: رسالة الغزوات

وأقسم الكلام هنا إلى العناوين التالية:

- 1- رسالة الغزوات للأمة المسلمة.
- 2- رسالة الغزوات لأعداء الإسلام.
- 3- رسالة الغزوات للمظلومين ضحايا أمريكا.

- 1- رسالة الغزوات للأمة المسلمة.
أ- الرد على ثقافة العجز والتراجع.
ردت الغزوات -بصورة لا نظير لها- على ثقافة العجز ومنهج التراجع، الذي ظل ولا يزال حتى اليوم يرضع أبناءه سم أن (العنف لا يؤدي إلا للفشل)، أو قد (ثبت يقيناً أن كل محاولات العنف فاشلة). فتركت الغزوات الصليبيين الأمريكان ليخبروا

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
العاجزين المتراجعين أن الطليعة المجاهدة قد أنزلت بهم
أكبر ضربة في تاريخهم.
وشمائلٌ شَهِدَ العَدُوُّ بِفَضْلِهَا وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ
الأعداء³

لقد أثبتت الغزوات المباركات أن القوة العظمى ليست
إلهة، وأنها لا تخلق ولا ترزق، ولا تعلم الغيب □ وَلَا يَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ □.
ب- القدوة الصالحة.

ضرب الأبطال التسعة عشر -رحمهم الله- أمثلة راقية من
القدوة الصالحة للشباب المسلم، وأشير هنا لبعض صفاتهم
النبيلة رحمهم الله.
(1) الشهداء التسعة عشر لم يكونوا جيشاً جراراً ولكنهم
كانوا رجالاً أحراراً⁴.

يقول الشهيد -كما نحسبه- أحمد الحزنوي ~ في وصيته:
"أما أنا فما رضيت -والله- حياة الذل، كما رضيتها
غيري، وأبت نفسي إلا أن تعيش عزيزة بدين ربها،
وإن كلفها ذلك الهجرة والبعث عن أحبابها. فهذه
ميادين الأسود قامت، والجنة هيئت لطلابها،
فخرجت لقتال أعداء الله تعالى من الأمريكان في
أي قطر يتسنى لي ذلك، بل وقتلهم وقتالهم في
عقر دارهم، فأنا أطلب الشهادة، وأسعى لها، بعد
إعزاز ديني وقتل أعدائه، فنفرت باحثاً عن أراضٍ
الإعداد لقتل الأمريكان وأعداء الدين نصره لدين
ربي وثأراً لدماء إخواني، فنفرت أنا وإخواني،
ولسان حالنا يقول:

خرجنا إلى الموت شم
كما تخرج الأسد من

³ البيت للسري الرفاء- الموسوعة الشعرية- السري الرفاء.

⁴ هذا التعبير استعرته من الأستاذ سيف الدين الأنصاري [غزوة نيويورك وواشنطن:
قراءة تأصيلية- ضمن كتاب: غزوة 11 سبتمبر- رؤية متكاملة للحدث الذي هز العالم].

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها
 الغزوات/ الفرع الأول: رسالة الغزوات
 الأنوف
 غابها
 نمر على شفرات
 ونأتي المنية من
 السيوف
 بابها
 ركبنا الخطوب حناناً
 ستعلم أمتنا أننا
 بها"5

(2) حرص المقاتلين على الشهادة:

يقول الشهيد -كما نحسبه- معتر الغامدي ~:
 "اللهم اجعل دولة الكفر تسقط على أيدينا،
 واجعل دولة الإسلام تقوم على جماجمنا، واجعل
 في دمائنا حياة لأمتنا، اللهم إني أحتسب نفسي
 عندك. جار العدو علينا فما هنا ولا جينا. اللهم
 اقبلني عندك شهيداً، اللهم إني أحببت لقاءك
 فاحب لقاءي"6.

ويقول الشهيد -كما نحسبه- أحمد الحزنوي ~
 في وصيته:

"اللهم خذ من دمائنا اليوم حتى ترضى. اللهم لا
 تجعل لأجسادنا قبراً يضمها، ولا تراباً يوارئها، ولا
 لحداً يغطيها"7.

وأربعة من التسعة عشر شهيداً -كما نحسبهم- استشهد
 كل منهم مع شقيقه. وليد الشهري ووائل الشهري K من سرية
 أمير النسور الاستشهادية محمد عطا ~، ونواف الحازمي
 وسالم الحازمي K من سرية هاني حنجر ~.

وخمسة منهم متزوجون أو مقترنون، ومنهم من رزق
 بأطفال. ومع ذلك لم تؤخرهم رابطة الأخوة ولا الزوجية ولا
 الأبوة من التسابق للشهادة رحمهم الله.

5 شريط (الوصية الأولى لشهداء الغزوتين- البطل الغازي أحمد الحزنوي).

6 شريط (الوصية الثالثة لشهداء الغزوتين- الغازي البطل سعيد الغامدي).

7 شريط (الوصية الأولى لشهداء الغزوتين- البطل الغازي أحمد الحزنوي).

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
(3) التوكل على الله وتفرغ القلب ممن سواه وتفويض
الأمر إليه، والحرص على متابعة السنة.
جاء في ورقة النصائح التي وزعت على الإخوة
الاستشهاديين ليلة العملية:

"[أ] التبايع على الموت وتجديد البيعة.
[ب] معرفة الخطة جيداً من كل النواحي، وتوقع
ردة الفعل أو المقاومة من العدو.

[ج] قراءة سورة التوبة والأنفال وتدبر معانيه⁸،
وما أعده الله للمؤمنين من النعيم المقيم للشهداء.
[د] تذكير النفس بالسمع والطاعة تلك الليلة،
وأنت ستعرض لمواقف حاسمة لا بد فيها من
السمع والطاعة (100%)، فروض نفسك، وفهمها
وأقنعها وحرصها على ذلك.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَآرَعُوا
فَنَفْسُكُمُ وَاللَّهُ يَخْتَصِرُ لَكُمُ الْوَجْهَ الْغَائِبَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ﴾.

[هـ] قيام الليل والإلحاح في الدعاء بالنصر
والتمكن والفتح المبين وتيسير الأمور والستر
علينا.

[و] كثرة الذكر. واعلموا أن خير الذكر قراءة
القرآن الكريم، وذلك بإجماع العلماء فيما أعلم،
ويكفي لنا أنه كلام فاطر السموات والأرض، الذي
أنت مقبل عليه.

[ز] صف قلبك، ونقه من الشوائب، وانس
وتناس شيئاً اسمه دنيا، فقد مضى زمن اللعب،
وجاء الموعد الحق، كم ضيعنا من أعمارنا من

⁸ لعل المقصود: معانيها.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها
الغزوات/ الفرع الأول: رسالة الغزوات
أوقات، أفلا نستغل تلك الساعات لتقديم القربات
والطاعات؟

[ح] ليكن صدرك منشراحاً، فإنه ما بينك وبين
زواجك إلا لحظات يسيرة، بها تبدأ الحياة السعيدة
المرضية والنعيم الخالد مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. نسأل
الله من فضله. وكن متفائلاً، فإن عليه الصلاة
والسلام (كان يحب الفأل في أمره كله).

[ط] ثم ضع نصب عينيك أنك إذا وقعت في ابتلاء
كيف تتصرف؟ وكيف تثبت وتسترجع؟ وتعلم أن ما
أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن
ليصيبك، وأن هذا الابتلاء من الله جل وعلا، ليرفع
درجتك، ويكفر من ذنوبك. ثم اعلم أن لحظات ثم
ينجلي بإذن الله. فهنيئاً لمن فاز بالأجر العظيم من
الله. قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾.

[ي] ثم تذكروا قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ
تَمَيُّونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ... الآية﴾، وبعد ذلك تذكروا ﴿كَمْ مِّن فِتْنَةٍ
قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ.. الآية﴾، وقوله
تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ
يَجْذُلِكُمْ فَمِن دَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ
قَلْبَتُوكُلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[ك] ذكر نفسك بالأدعية وإخوانك، وتدبر معانيها
(أذكار الصباح والمساء- أذكار البلدة- أذكار
المكان- أذكار لقاء العدو- إلخ).

[ل] النفث [على النفس- والشنطة- والملابس-
والسكين- أدواتك- بطاقتك- (تذ)- جوازك- أوراقك
كلها].

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
[م] تفقد سلاحك قبل الرحيل.... (وليحد أحدكم
شفرته وليرح ذبيحته).

[ن] شد عليك ملابسك جيداً، وهذا هو نهج
السلف الصالح رضوان الله عليهم، فكانوا يشدون
ملابسهم عليهم قبل المعركة....

[س] صل الصبح في جماعة، وتدبر أجرها، وائت
بالأذكار بعدها، ولا تخرج من شقتك إلا متوضئاً.

.....

بعد ذلك المرحلة الثانية:

إذا نقلك التكسي إلى (م) فاذكر الله في
السيارة ذكراً كثيراً (ذكر الركوب- ذكر البلدة- ذكر
المكان- الأذكار الأخرى).

إذا وصلت ورأيت (م) ونزلت من التاكسي فقل
دعاء المكان، وكل مكان تذهبه قل فيه دعاء
المكان.

وابتسم واطمئن فإن الله مع المؤمنين،
والملائكة تحرسك وأنت لا تشعر.

ثم قل دعاء (الله أعز من خلقه جميعاً...)، وقل
(اللهم اكفينهم بما شئت)، وقل (اللهم إنا ندرأ بك
في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم)، وقل (اللهم
اجعل لنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً،
وأغشهم فهم لا يبصرون)، وقل (حسبنا الله ونعم
الوكيل) مستحضراً قوله تعالى: **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ
النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ
إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** □.

فإنك بعدما تقوله سوف تجد أموراً تتيسر بدون
حول منك ولا قوة، فإن الله قد وعد عباده الذين
يقولون هذا الدعاء بما يلي:

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها
الغزوات/ الفرع الأول: رسالة الغزوات
1- الانقلاب بنعمة من الله

وفضله.

2- لم يمسخهم سوء.

3- اتباع رضوان الله.

قال تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَمَّا
يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ
عَظِيمٍ﴾.

فإن أجهزتهم وأبوابهم وتكنولوجيتهم كلها لا تنفع
ولا تضر إلا بإذن الله.

ولا يخاف منها المؤمنون، وإنما يخاف منها أولياء
الشیطان الذين هم في الأصل يخافون الشيطان،
وأصبحوا من أوليائه، والعياذ بالله. فإن الخوف
عبادة عظيمة، لا تصرف إلا لله سبحانه وتعالى،
وهو أحق بها. قال تعالى معقباً على تلك الآيات:
﴿إِنَّمَا دَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ المعجبين
بحضارة الغرب، الذين شربوا حبههم وتقديسهم مع
الماء البارد، وخافوا من معداتهم الضعيفة الواهية
﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. فإن
الخوف عبادة عظيمة، أولياء الله والمؤمنون لا
يصرفونها إلا لله الواحد الأحد، الذي بيده كل شيء،
وموقنين أشد اليقين أن الله يسيطر كيد الكافرين،
فقد قال تعالى: ﴿دَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ
الْكَافِرِينَ﴾.

ثم عليكم بذكر أظنه من أعظم الذكر، وخاصة
يجب ألا يلاحظ عليك أنك تذكر قول (لا إله إلا
الله).....

ومن عظمها قوله عليه الصلاة والسلام: (من
قال لا إله إلا الله موقن بها قلبه دخل الجنة) أو كما
قال عليه الصلاة والسلام.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات

.....
يكفي أنها كلمة التوحيد، الذي أنت أتيت لرفعها
والقتال تحت رايتها، كما فعل الرسول -صلى الله
عليه وسلم- وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم
القيامة.

وأيضاً لا تظهر عليك مظاهر الارتباك وشد
الأعصاب، وكن فرحاً سعيداً منشح الصدر
ومطمئناً، لأنك تقوم بعمل يحبه الله ويرضاه، ومن
ثم سوف يكون يوم -ياذن الله- تقضيه مع الحور
العين في الجنة.

تبسم بوجه الردى يا فتى فإنك ماض لجنة خلد

.....
المرحلة الثالثة:

عندما تركب (ط) أول ما تضع رجلك وقبل ما
تدخلها فأت بالدعاء والأدعية واستحضر أنها غزوة
في سبيل الله. وكما قال عليه الصلاة والسلام:
(لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما
فيها) أو كما قال عليه الصلاة والسلام.
وعندما تضع رجلك في (ط) وتجلس على
كرسيك فقل الأذكار، وأت بالأدعية المعروفة، التي
ذكرناها سابقاً.

.....
ثم إذا تحركت (ط) حركتها البسيطة وأصبحت
تتوجه إلى (ق) فقل دعاء السفر، فإنك مسافر إلى
الله تعالى، وأنعم بهذا السفر.
ثم ستجدها تقف، ثم تنطلق، وهذه هي ساعة
التقاء الصفيين، فادع الله تعالى كما ذكر تعالى في
كتابه: ﴿رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها

الغزوات/ الفرع الأول: رسالة الغزوات
قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَاقَنَا فِي
أَمْرِنَا وَتَبِّتْ أقدامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ،
وقول نبيه عليه الصلاة والسلام: (اللهم منزل
الكتاب مجري السحاب هازم الأحزاب اهزمهم
وانصرنا عليهم. اللهم اهزمهم وزلزلهم).

ادع لنفسك وإخوانك كلهم بالفتح والنصر
والتمكن وإصابة الهدف والإثخان، واطلب من الله
أن يرزقك الشهادة مقبلاً غير مدبر صابراً محتسباً.
ثم ليستعد كل واحد منكم للقيام بدوره على
الوجه الذي يرضى الله عنه، وليشد على أسنانه،
كما كان يفعل السلف رحمهم الله قبل الاشتباك
في المعركة.

وعند الاشتباك فاضرب ضرب الأبطال، الذين لا
يريدون الرجوع إلى الدنيا، وكبر فإن التكبير يدخل
الرعب في قلوب الكافرين. قال تعالى: فَاصْرُبُوا
قَوْقُ الْأَعْتاقِ وَاصْرُبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَتانٍ.
وإذا ذبحتهم فاسلبوا من تقتلوه، لأن ذلك سنة من
سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولكن
بشرط ألا ينشغل بالسلب، ويترك الانتباه للعدو
وخيانته أو هجومه.

ولا تنتقم لنفسك، ولكن اجعل ضريك وكل شيء
لله تعالى.

ثم طبقوا سنة الأسر، وأسروا منهم واقتلوا
منهم، كما قال تعالى: مَا كَانَ لِئَبِي أَنْ يَكُونَ لَهُ
أَسِيرٌ حَتَّى يُبَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا
وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
ولا تنسوا الأخذ من الغنيمة ولو فنجان أو كأس
من الماء تسقي نفسك وإخوانك إن تيسر.
ثم إذا اقترب الوعد الحق وجاءت ساعة الصفر
فشق بدلتك وافتح صدرك مرحباً بالموت في سبيل
الله، وكن دائماً ذاكراً، وإن أن تختم بالصلاة إن
تيسر أن تشرع فيها قبل الهدف بثوان، أو يكون آخر
كلامك؛ لا إله إلا الله محمد رسول الله.
وبعدها -إن شاء الله- اللقاء في الفردوس
الأعلى برحمة الله".

(4) الزهد في الدنيا:

كان الإخوة الاستشهاديون حريصين على الاقتصاد قدر
الإمكان، فكانوا لا ينزلون إلا في الفنادق الرخيصة، ولا
يستخدمون إلا الرحلات المخفضة، إلا إذا تطلب العمل غير
ذلك.

وفي نهاية مهمتهم أرجعوا ما تبقى معهم من أموال
لإخوانهم، وقد قدره تقرير الكونجرس بحوالي 26000
دولار¹⁰.

(5) تألم المنفذين -رحمهم الله- لحال الأمة المسلمة
واعتقادهم ألا مخرج لها إلا بالجهاد.

يقول الشهيد -كما نحسبه- سعيد الغامدي ~ في وصيته:
"إن المتأمل في حال الأمة اليوم ليجدها في
وضع لا تحسد عليه؛ غاية الضعف وغاية الذل وفتنة
وخلاف وتجاهل ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا تكاد
تجف دموعنا من ألم فاجعة حتى تتبعها أختها، كل
ذلك يشرحه الحال بأبلغ من كل مقال، سفك للدماء
وقتل للأبرياء وهتك للأعراض وتدنيس للمقدسات.
والعالم كله ينظر إلى هذه المجازر، التي أظهرت

⁹ أطنها: وإن استطعت أن....

¹⁰ 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 252.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها
الغزوات/ الفرع الأول: رسالة الغزوات

أبشع صور الحقد الصليبي اليهودي على الإسلام
وأهله، ونعلم والله أنه لا سبيل لتخرج الأمة مما هي
فيه إلا بإقامة الجهاد تلك الفريضة الغائبة"¹¹.

وفي قندهار قبل غزوات نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا
بقرابة عام كان أبو حفص القائد ~ يلقي محاضرة في
مجموعة من المتدربين حول فلسطين وأحوال المسلمين،
وفي نهاية المحاضرة وقف البطل محمد عطا ~ وسأل أبا
حفص القائد بجدية وحرقة: وكيف السبيل لدفع العدوان عن
فلسطين؟

(6) بغض المنفذين -رحمهم الله- لأمريكا.

يقول البطل الشهيد -كما نحسبه- عبد العزيز العمري ~

في وصيته:

"إن أمريكا سرقتنا وأهانت كرامتنا وسخرت من

ديننا"¹².

ويقول الشهيد -كما نحسبه- سعيد الغامدي ~ في وصيته:

"وإن أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم
نجدهم كأطراف لأخطبوط رأسه أمريكا، ونجدهم
كأغصان لجذع هو أمريكا، فأمریکا -قاتلها الله-
التي يسوسها أبناء القردة والخنازير، وهي التي
تدعم وتناصر بالمال والسلاح والعتاد والجند وكل ما
يوسعها للكفر وأهله لاستئصال الإسلام وإبادة أهله.
فأولئك اليهود في فلسطين أبناء القردة والخنازير
وما يفعلونه بإخواننا هناك.

.....

¹¹ شريط (الوصية الثالثة لشهداء الغزوتين- الغازي البطل سعيد الغامدي).
¹² شريط (الوصية الثانية لشهداء الغزوتين- البطل الغازي عبد العزيز العمري).

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
فأمريكا والله هي العدو الصائل، الذي يفسد
الدين والمدنيا، والذي يتعين قتاله على كل
مسلم"¹³.

(7) تألم المنفذين -رحمهم الله- لاحتلال بلاد الحرمين.
يقول الشهيد -كما نحسبه- سعيد الغامدي ~ في وصيته:

" وإن من المصائب العظام التي أصيبت بها الأمة
الإسلامية هي احتلال بلاد الحرمين من قبل جيوش
اليهودية الصليبية وعلى رأسها أمريكا، وإن هذا
الاحتلال أكبر خيانة وكارثة في تاريخ الإسلام، فلم
تغز جزيرة العرب بمثل هذه الجيوش الأمريكية
الجرارة، التي تمخر أساطيلها بحار الجزيرة،
وتظل طائراتها سماء المنطقة، وتدب فيآلقها فوق
ترابها، ويعيث جنودها الفساد في البلاد، ويشربون
الخمور، ويأكلون الخنزير، ويمارسون شعائهم
الدينية في كنائس بنيت على أظهر بلاد الله؛ على
أرض ولد عليها محمد صلى الله عليه وسلم، وهي
مهبط الوحي ومنبع الرسالة وفيها الكعبة المشرفة
قبلة المسلمين أجمعين.

وقد أمرنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
بإخراجهم حيث قال: (أخرجوا المشركين من
جزيرة العرب) وقال: (أخرجوا اليهود والنصارى
من جزيرة العرب) وقال: (لا يبقى في جزيرة
العرب دينان)"¹⁴.

ويقول ~:

" فيجب على كل مسلم قتال هؤلاء الأنجاس
المحتلين من اليهود والصليبيين وخاصة من
الأمريكان، الذين قال الله فيهم وفي أمثالهم:

¹³ شريط (الوصية الثالثة لشهداء الغزوتين- الغازي البطل سعيد الغامدي).

¹⁴ شريط (الوصية الثالثة لشهداء الغزوتين- الغازي البطل سعيد الغامدي).

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الأول: رسالة الغزوات

﴿وَإِنْ تَرَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ
مِلَّتَهُمْ﴾ البقرة 120، وقال: ﴿لَا يَرْفُقُونَ فِي مُؤْمِنٍ
إِلَّا وَلَا زِمَّةً﴾ التوبة 10¹⁵.

(8) رأي المنفذين -رحمهم الله- في حكام العرب:
يقول الشهيد -كما نحسبه- سعيد الغامدي ~ عن الملك
فهد، الذي يسميه بأبي رغال في وصيته:

"ولكن أبا رغال وإخوانه -قاتلهم الله- أبوا إلا أن
يظهروا مدى عمالتهم وخضوعهم لأمريكا، وإن
نظرة عابرة إلى واقع وجوده في المنطقة عموماً
وفي جزيرة العرب خصوصاً، تدل بوضوح أن البلاد
ترزح تحت احتلالهم".

ويقول ~ عن حكم آل سعود:

"إن هذا العداء الصريح¹⁶ من الحكم المرتد في
جزيرة العرب، والذي يتزعمه فهد بن عبد العزيز
 وإخوانه عبد الله وسلطان وسلمان ونايف قاتلهم
الله، تحت الرعاية الغربية الكافرة ليس إلا حرباً لله
ولرسوله صلى الله عليه وسلم، كما ثبت في
الحديث الذي يرويه عن ربه عز وجل قال: (من
عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

وإن هذا العداء الواضح لأولياء الله والولاء التام
لأعدائه من الأمريكان وغيرهم هو أحد نواقض
الإسلام كما قرر ذلك أهل العلم، وإن هؤلاء
الطواغيت المرتدين من حكام المنطقة والذين
يظهر كفرهم بجلاء للإنسان العادي دون الباحث
المدقق، وأوجه خروجهم وخروج نظام حكمهم عن
مقتضيات لا إله إلا الله ولوازمها عديدة"¹⁷.

¹⁵ شريط (الوصية الثالثة لشهداء الغزوتين- الغازي البطل سعيد الغامدي).

¹⁶ يقصد ~ عداؤهم للعلماء الصادقين.

¹⁷ شريط (الوصية الثالثة لشهداء الغزوتين- الغازي البطل سعيد الغامدي).

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
(9) رأي الشيخ أسامة بن لادن -حفظه الله- في أبطال
الغزوات المباركات رحمهم الله:

"إِنَّ هَؤُلاءِ الأبطال شامة في وجه أمتنا، وإن
كثيراً من أمم الأرض وشعوبها سرها ضرب
الطغيان الأمريكي، وكان يشرفها لو أن في أبنائها
أمثال هؤلاء الرجال، ليكونوا قدوة لأجيالها في
الشجاعة والرفعة والإباء لزمن طويل، ولكن الله
أدخر هذا الفضل العظيم كله لهذه الأمة وأبنائها
لأولئك الرجال العظام أتباع نبينا محمد عليه
الصلاة والسلام.

وإن أمم الأرض وشعوبها مدينة لهؤلاء الرجال،
الذين كسروا حاجز الخوف من طاغية العصر،
عندما أصابوا غيره ونفيره في المقاتل العظام،
وداسوا هيئته وكبريائه على الملأ، فأغرقه الله في
بحر متلاطم من المصائب، والناس كلهم ينظرون
في أحداث هائلة مهيبة مدوية كحال فرعون من
قبلي، قال الله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ﴾¹⁸.

2- رسالة الغزوات لأعداء الإسلام.

أ- لا للذل.

يقول الشهيد -كما نحسبه- أحمد الحزنوي ~ عن رسالته
لأمريكا في وصيته:

"رسالة مفادها؛ قد انتهى وقت الذل والاستعباد،
وقد حان الوقت لنقتل الأمريكان في عقور دارهم
وبين أبنائهم وبجوار قواتهم واستخباراتهم.

.....

¹⁸ شريط (الوصية الثالثة لشهداء الغزوتين- الغازي البطل سعيد الغامدي).

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها
الغزوات/ الفرع الأول: رسالة الغزوات
رسالة مفادها؛ إن أرادت القيادة الأمريكية
سلامة شعبها وقواتها فلتخرج من الأراضي
الإسلامية كلها ومن قلة المسلمين"¹⁹.

ب- الجرائم لا تمر بلا عقاب.
الرسالة الثانية الهامة التي حملتها الغزوات لأعداء الإسلام؛
أن الجرائم لن تمر بلا عقاب كما اعتادوا منذ قرابة قرنين.
والم تأمل في تاريخ الأمم والممالك، يدرك أن القوى
العظمى حينما يحجب الكبر والغطرسة عن بصيرتها رؤية
الحق وضياء العقل لا بد أن تنتكس لنهايتها، وأن تلك القوى
تمر بفترة من المكابرة والمعاندة، تكون سبباً في استمرارها
في الحروب الخاسرة والمعارك الفاشلة، التي تنتهي بها
للانهيار، وأقرب مثال لنا انهيار الاتحاد السوفيتي. يقول الحق
تبارك وتعالى: **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
فَقَسَبُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا {16} وَكَمْ
أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا
بَصِيرًا**□.

ولذلك رفضت أمريكا فهم الرسالة، بل واندفعت لحرب
العراق، وهذه هي مرحلة الغطرسة والكبرياء التي تسبق
الانهيار بإذن الله.

3- رسالة الغزوات للمظلومين ضحايا أمريكا.
الرسالة الأولى للمظلومين؛ أن عصر الطغيان الغربي
الصهيوصليبي على البشرية قد لاحت بوادر انقشاعه، وأن
المسلمين هم طليعة البشرية في تحطيم هذا الطغيان، وأن
هذا هو دورهم عبر التاريخ، الذي أمرهم به المولى سبحانه
وتعالى؛ وهو أن يحطموا الكيانات الجاهلية الطاغية الفاسدة،
يقول عز من قائل: **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**□.

¹⁹ شريط (الوصية الأولى لشهداء الغزوتين- البطل الغازي أحمد الحزنوي).

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
الرسالة الثانية أن الإسلام هو سبيل الخلاص للبشرية من
الظلم والبيغي والفحشاء. □ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ □، وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا
وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ {28} قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ
عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ
تَعُودُونَ □.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها
الغزوات/ الفرع الثاني: نقل المعركة لأرض العدو

الفرع الثاني: نقل المعركة لأرض العدو

تعد الغزوات المباركات أول معركة -في جهاد الأمة المسلمة للرد على الغزو الصليبي المعاصر- تضرب بقوة في أرض العدو، نعم سبقتها بعض المحاولات البسيطة مثل قتل كاهانا على يد البطل سيد نصير فك الله أسره، ومثل قتل إميل كانسي -رحمه الله- لعميل المخابرات الأمريكية، ومثل الهجوم الأول على مركز التجارة بقيادة البطل رمزي يوسف فك الله أسره، ولكن الغزوات المباركات هي أول معركة في العصر الحديث تقوم بقتال الكفار في عقر دارهم، بل في عقر دار زعيمهم أمريكا.

لقد كانت أمريكا تظن أنها القارة العظيمة التي يحميها محيطان عظيمان، وأنها بوضعها الجغرافي الحصين وقوتها العسكرية المتفردة محمية من أي غزو خارجي، وأنها هي التي تلحق الأذى بأراضي غيرها، بينما لا يستطيع أحد أن ينال أرضها بسوء، وقد أكدت خبرة الحربين العالميتين هذا الظن، ففيما عدا الهجوم على بيرل هاربر فقد تمت كل المعارك الحربية بعيداً عن الأراضي الأمريكية. أما في الغزوات المباركات فقد تبدد هذا الوهم، وأصبحت أمريكا في بؤرة الخطر، وأضحت كما تدين تدان.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
يذكر تقرير الكونجرس عن الحادي عشر من سبتمبر:
"لقد كان معهوداً أن يقدر الأمن القومي بدراسة
الجهات الخارجية، ووزن المجموعات المخالفة من
الدول، وقياس القوة الصناعية.
ولكي يكون العدو خطيراً كان يجب أن يحشد
جيوشاً جارية. وكانت الأخطار تبرز ببطء، وكثيراً
بجلاء، لأن الأسلحة كانت تصنع، والجيوش تجند،
والوحدات تدرب، وتحرك لمواضعها. ولأن الدول
العظمى كانت أكثر قوة، فقد كان لديها ما تخسره،
ويمكن أن تردع.
أما الآن فإن الأخطار يمكن أن تبرز بسرعة. فإن
منظمة مثل القاعدة -تتمركز قيادتها في بلد على
الجانب الآخر من الأرض، وفي منطقة فقيرة
-لدرجة أن الكهرياء والهواتف ندرت بها-
استطاعت -رغم كل هذا- أن تخطط لاستخدام
أسلحة ذات قوة تدميرية غير مسبوقه في أكبر
مدن الولايات المتحدة.
ومن هذا المنظور فإن 11/9 قد علمنا أن
الإرهاب ضد المصالح الأمريكية (بعيداً هناك) لا بد
أن ينظر إليه كما ننظر للإرهاب ضد أمريكا (قريباً
هنا)، وبهذا المعنى فإن الداخل الأمريكي هو كل
الكوكب"²⁰.

²⁰ 9/ 11 COMMISSION REPORT P: 362.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها
الغزوات/ الفرع الثالث: آثار الغزوات المباركات

الفرع الثالث: آثار الغزوات المباركات

كان للغزوات المباركات على نيويورك وواشنطن
وبنسلفانيا آثار عظيمة منها:

- 1- آثار على الأمة المسلمة.
- 2- آثار على الغرب الصليبي.

1- آثار على الأمة المسلمة:

أ- إعادة ثقة الأمة بنفسها.

(1) حتى تتخلص الأمة من عقدة العجز والضعف، التي

تؤدي لدورة الخوف والعجز ثم الفشل ثم الخوف والعجز.

(2) ولكن بعض أسرى العجز لم يتخلصوا من إيمانهم عليه

حتى اليوم. ولا زالوا يصرون على أن المسلمين أعجز من

القيام ذلك. وهؤلاء ولدوا في العجز، وعاشوا فيه، وتربوا

عليه، وتعاطوه حتى آدمونه، واختلط بدمائهم، فعلى الأمة أن

تخطي هؤلاء المساكين وتدعو لهم بالشفاء.

وبدأت حملة لمخاطبة أسرى العجز هؤلاء من جهات

إعلامية عربية وغربية وشرقية عديدة، كان من أبرزها إيران²¹،

²¹ الغرب أن إيران التي تصور نفسها على أنها قاهرة الأمريكان، وأن من سيقترب من
تراها ستمدمره قبل أن يضغط على الزناد، وتصور حزب الله التابع لها على أنه قد حقق
نصراً، لم تحققه الحكومات العربية ضد التحالف الأمريكي الصليبي، وأن ثورة الخميني

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
وخلاصة هذه الحملة أن مجاهدي القاعدة لم يضربوا أمريكا
في الحادي عشر من سبتمبر، ولكن أمريكا هي التي ضربت
نفسها!! فتأمل مقدار العجز الذي أدمنوه، أمريكا هي القادرة
القاهرة المالكة العالمة الجبارة، التي لا يمكن لأحد أن يمسها
بسوء، وحتى إذا مست بسوء، فهي التي مست نفسها به!!

قد تحدث وانتصرت علي قوى الاستكبار العالمي، تنكر على غيرها ذلك. بل وتذهب إلى
ما هو أبعد منه، فتزعم أن هجمات الحادي عشر من سبتمبر خطة أمريكية يهودية
لإيجاد ذريعة لضرب إيران!! والعجيب الغريب أن إيران لم تضرب بعد ثمان سنوات من
هجمات الحادي عشر من سبتمبر، التي زعمت أنها اصطنعت ذريعة لضربها، بل هي
التي أعانت وتعاونت مع الأمريكان على احتلال أفغانستان والعراق، ولم تصدر من أي
مرجع شعبي داخل إيران أو أفغانستان أو العراق أو خارجها فتوى واحدة بوجوب جهاد
المحتل الصليبي الغازي لديار المسلمين وحمل السلاح في وجهه.
ونظرية المؤامرة الطفولية هذه تفتح الباب أمام استخدام نظرية المؤامرة في تفسير
الثورة الإيرانية، فإن الخميني كان ضيفاً على فرنسا، وعاد لإيران على طائفة من
فرنسا، وبضوء أخضر من أمريكا وموافقة منها. فإيران أولى بنظريات المؤامرة من
غيرها.

بل يلاحظ الملاحظ المدقق أن الإيرانيين لا يستعملون لفظ الصليبية أو الصليبيين أبداً.
وهو أمر يستدعي بحثاً مستقلاً.

وقد أدرك هذا الفارق بين موقف بن لادن من الغرب وموقف الخميني منه عدد من
الكتاب الغربيين، وبلخص مايكل شور هذا الإدراك بقوله:

"كتب الصحفي والمؤلف حنيف عيدو:

"لقد نجح بن لادن إلى هذا الحد حيث أخفق الخميني، فقد صدّر
أفكاره الثورية عبر العالم الإسلامي. وبينما كان هذا حلم الخميني، فإن
قراءته الأصولية للإيمان لم تتعد أبداً أكثر من جنوب لبنان والمناطق
الأخرى التي يغلب عليها إخوانه من طائفة الأقلية الشيعية".

وإن كنت أظن أن برنارد لويس مخطئ في تسويته بين تحريض بن
لادن وجاذبيته بتلك التي للخميني، التي حاول أن يعبر عنها في مقاله
الجيد (مستهدف بتاريخ من الكراهية)، إلا أن لويس قد قدم وصفاً
حقيقياً للفرق -الذي أراه- بين الزعيمين الإسلاميين. والذي يعود له لحد
كبير نجاح بن لادن وإخفاق الخميني.

كتب لويس في الـوول ستريت جورنال في سبتمبر 2002:

"السؤال الأكثر أهمية، والذي قليلاً ما يُسأل هو: عن سبب الاحتقار

الذي ينظر به إلينا الإسلاميون.

السبب الأساسي لهذا الاحتقار هو ما يتصورونه: أن تحلل ولا أخلاقية
طريقة الحياة الأمريكية تستحق الأزدراء ولكنها خطيرة أيضاً، لتأثيرها
على المجتمعات المسلمة.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثالث: آثار الغزوات المباركات وتناسى أسرى العجز هؤلاء أن أمريكا قد ضُربت في فيتنام والصومال ولبنان وشرق أفريقيا واليمن، وأنها تهزم اليوم في العراق وأفغانستان والصومال. وأن الكثيرين الذين تطاردتهم أمريكا لم تستطع القبض على أغلبهم، رغم أنهم يحتمون وسط إخوانهم المسلمين البسطاء، الذين يهزمون تقدم أمريكا وتفوقها وتقنيتها بسلاح العقيدة والإيمان.

ماذا كان يعني آية الله الخميني حينما لقب أمريكا مراراً (بالشيطان الأكبر)؟

الإجابة واضحة. الشيطان ليس غازياً ولا استعمارياً ولا مستغلاً. إنه مغو ومغر، وهو حسب تعبير القرآن [يُؤَسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ]". ولأن بن لادن يعتقد أن الولايات المتحدة (غازية واستعمارية ومستغلة)، ولأنه نجح في أن يصورها هكذا، فقد كان لحماسته أثر معاد لأمريكا أكبر من تلك التي للخميني.

فأولاً: بن لادن من أكثرية العالم الإسلامي السنية -وهو أيضاً سلفي، وهي أكثر طوائفها نمواً وأشدها محافظة وأكثرها ميلاً للقتال- وليس من الأقلية الشيعية كالخميني.

ثانياً: إنه ازدرى إدانة الخميني المعممة للغرب، وركز على سته مسائل حياتية محددة، عليها اتفاق واسع بين المسلمين، حيثما وقعوا على مدى الطيف من التحرريين حتى المقاتلين:

- فمعظم المسلمين يودون رؤية أرض النبي وقد أخلت من غير المسلمين الكفار، كما قال محمد وهو على فراش موته: إنهم لا مكان لهم في جزيرة العرب.

- وبالمثل؛ فإن الكثيرين سيسعدون بإزالة إسرائيل وإقامة دولة فلسطينية مسلمة.

- والأغلبية العظمى ستؤيد أيضاً تحقيق فوائد أكثر من بيع إنتاج المسلمين من البترول والغاز الطبيعي لسائر العالم، واستخدام أمواله لتحسين مستوى معيشة المسلمين.

- أضف أيضاً: أن قلة من المسلمين ستعارض تحطيم مجموعة من الأنظمة المترددة، التي تعتبر من أشد أنظمة عائلات الأرض الحاكمة قسوة وكتناً وفساداً ونفاقاً، والتي تحوز فوائد بيع البترول لتنفق على فجورها، وتشتري ولاء رجال بنوكها ومستثمريها وأكاديميها.

- وأخيراً: فإن قهر المسلمين خارج الوطن العربي -في كشمير والشيشان والهند وسنكيانج- قد أصبح أمراً متداولاً بين المسلمين بفضل حماسيات بن لادن، وكذلك للوجود المستشري للفضائيات المواكبة للأحداث المملوكة للمسلمين.

أهداف السياسة الخارجية الستة هذه تعد حلوى شهية لمعظم المسلمين، وقد ربطها بن لادن بالرسالة الإيجابية: أن الله قد وعد

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
 لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
 ولكن المصيبة أن بعض هؤلاء -مع هذا العجز- يصرون على
 أن يتولوا قيادة الأمة وحركاتها الإسلامية.
 وقسم منهم اضطر مكرهاً لقبول الحقيقة، فانتقل من
 الإنكار للشجب واللعن والاستنكار، وفي المقابل استجداء
 الغرب ألا يعاملهم كما يعامل المجاهدين، لأنهم مستأنسون
 عاشوا في كنفه واتسقوا في منظومته.
 وكان من أسوأ الأمثلة على ذلك تلك الفتوى التي أطلقها
 الشيخ القرضاوي²²، ووقع معه عليها كل من طارق البشري
 وهيثم الخياط ومحمد سليم العوا وفهمي هويدي وطه جابر
 العلواني²³، وهي الفتوى التي جاءت جواباً على سؤال من
 محمد عبد الرشيد كسر الوعاظ في القوات المسلحة
الأمريكية، والذي تساءل عن جواز مشاركة الأفراد المسلمين
 العسكريين في القوات المسلحة الأمريكية في العمليات
 الحربية في أفغانستان وغيرها من البلاد الإسلامية، وفي
 سؤاله بين أن أهداف تلك العمليات الحربية هي:
 1- الانتقام من أولئك الذين (يُظن أنهم قد شاركوا) في
 تخطيط وتمويل العمليات الانتحارية في 11 سبتمبر.
 2- التخلص من العناصر التي استخدمت أفغانستان وغيرها
 كملجأ آمن، وردع الحكومات التي أوتهم وساندتهم.

المسلمين بالنصر إذا سلكوا طريق الجهاد الذي أمر به، ووضحه رسوله
 ودعا إليه".

[IMPERIAL HUBRIS, P: 211 & 212].

http://www.unc.edu/~kurzman/Qaradawi_et_al.htm²²

وأيضاً: جريدة "الشرق الأوسط" بتاريخ 8 أكتوبر عام 2001.
²³ ويذكر الأستاذ جمال الشرقاوي أن كبير وعاظ القوات المسلحة الأمريكية محمد عبد
 الرشيد أرسل بالفتوى في رسالة للدكتور طه جابر العلواني، وهو متعاقد مع الجيش
 الأمريكي لتقديم خدمات تعليمية وتثقيفية، وقد أحالها العلواني بدوره إلى الدكتور
 محمد سليم العوا. [عن الفتوى الأمريكية لجمال الشرقاوي- مجلة السنة- عدد
 110]. نقلتها عن موقع منبر التوحيد والجهاد.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها
الغزوات/ الفرع الثالث: آثار الغزوات المباركات
3- استعادة هسة واحترام الولايات المتحدة باعتبارها
القوة العظمى الوحيدة في العالم²⁴.
وجاء في نص الفتوى:

"السؤال يعرض قضية شديدة التعقيد وموقفاً
بالغ الحساسية، يواجهه إخواننا العسكريون
المسلمون في الجيش الأميركي، وفي غيره من
الجوش التي قد يوضعون فيها، في ظروف
مشابهة".

أي أن هذه الفتوى لا تصلح فقط لإخوانهم العسكريين في
الجيش الأميركي، بل تصلح أيضاً لإخوانهم في الجيش
الفرنسي والإنجليزي بل والإسرائيلي وغيرها من الجوش.
وتضيف الفتوى:

"ولكن الحرج الذي يصب العسكريين
المسلمين في مقاتلة المسلمين الآخرين، مصدره
أن القتال يصعب -أو يستحيل- التمييز فيه بين
الحناة الحقيقيين المستهدفين به، وبين الأبرياء
الذين لا ذنب لهم في ما حدث، وأن الحديث النبوي
الصحيح يقول: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما،
فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار،
قيل هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: قد أراد قتل
صاحبه» (رواه البخاري ومسلم).
والواقع أن الحديث الشريف المذكور يتناول
الحالة التي يملك فيها المسلم أمر نفسه، فيستطيع
أن ينهض للقتال، ويستطيع أن يمتنع عنه، وهو لا
يتناول الحالة، التي يكون المسلم فيها مواطناً
وحندياً في جيش نظامي لدولة، يلتزم بطاعة

²⁴ لاحظ أن هدف الحملة العسكرية المشار إليه يتفق تماماً مع هدف الحملة الإعلامية،
التي تقول: إن أمريكا الجبارة لم يضربها أحد، بل هي التي ضربت نفسها!

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
الأوامر الصادرة إليه، وإلا كان ولاؤه لدولته محل
شك مع ما يترتب على ذلك من أضرار عديدة.

.....
وأما الحرج الذي يسببه كون القتال لا تمييز فيه،
فإن المسلم يجب عليه أن ينوي مساهمته في هذا
القتال، وأن يحق الحق ويبطل الباطل، وأن عمله
يستهدف منع العدوان على الأبرياء أو الوصول إلى
مرتكبيه لتقديمهم للعدالة".

أية عدالة هذه؟ التي سيقدم لها الجندي الأمريكي غيره من
المسلمين؟ إنها العدالة الأمريكية. التي وصفها القرآن بقوله:
﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ﴾، ثم لماذا لم يطالب القرضاوي وصحبه المسلمين
بقتال أكابر المجرمين الأمريكان، ليجلبوهم للعدالة الشرعية
الإسلامية لمحاسبتهم على جرائمهم ضد المسلمين منذ
عقود؟

وتضيف الفتوى:

"وإذا كان العسكريون المسلمون في الجيش
الأميركي يستطيعون طلب الخدمة -مؤقتاً أثناء
هذه المعارك الوشيكة- في الصفوف الخلفية
للعمل في خدمات الإعاشة وما شابهها -كما ورد
في السؤال- من دون أن يسبب لهم ذلك، ولا
غيرهم من المسلمين الأميركيين، حرجاً ولا ضرراً
فإنه لا بأس عليهم من هذا الطلب. أما إذا كان هذا
الطلب يسبب ضرراً أو حرجاً، تتمثل في الشك في
ولائهم، أو تعريضهم لسوء ظن، أو لاتهام باطل، أو
لايذاتهم في مستقبلهم الوظيفي، أو للتشكيك في
وطنتهم، وأشباه ذلك، فإنه لا يجوز عندئذ هذا
الطلب".

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثالث: آثار الغزوات المباركات أي أن مجرد الشك في الإيذاء في المستقبل الوظيفي، مثل تأخر الترقى مثلاً، يمنع المسلم من طلب الخدمة في الصفوف الخلفية، وعليه أن يقاتل إخوانه المسلمين ويقتلهم، حرصاً على مستقبله الوظيفي!!
وتضيف الفتوى الأمريكية:

"والخلاصة أنه لا بأس -إن شاء الله- على العسكريين المسلمين من المشاركة في القتال في المعارك المتوقعة ضد من "يظن" أنهم ممارسون الإرهاب، أو يؤوون الممارسين له، ويتحون لهم فرص التدريب والانطلاق من بلادهم".

أي أن القرضاوي وصحبه لا يبيحون القتال ضد المسلمين الممارسين لما يزعمونهم إرهاباً حسب مذهبهم الأمريكي، بل أيضاً ضد من يظن ممارسته لذلك، أو يظن فيهم مسيعة لهم عليه. كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً. هذه الفتوى لو خرجت في دولة مسلمة أو كافرة تحترم نفسها لقدم أصحابها للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى. وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصدق المتنبي:

وَسِوَى الرُّومِ خَلَفَ ظَهْرَكَ رُومٌ فَعَلَى أَيِّ جَانِبِكَ تَمِيلُ²⁵
بل زاد الأمر ببعض أولئك العجزة أنهم يعرضون خدماتهم على الغرب الصليبي، بأنهم يمثلون إسلاماً آخر غير إسلام المجاهدين، وأنهم يستطيعون تسويقه وسط الأمة المسلمة للحد من خطر المجاهدين على الغرب.
ب- توحيد الأمة حول هدف عملي.

استطاعت الطليعة المجاهدة -بفضل الله- أن تجمع شمل معظم الأمة على عداء الحملة الصهيونية بصورة عملية، بتقديمها نموذجاً فعلياً بضرب أمريكا في عقر دارها. وبذلك قدمت هدفاً في متناول طاقة الأمة، ولا يمكن الاختلاف حوله، وهو الأمر الذي عجز عنه الكثير من الدعاة والعلماء.

²⁵ البيت للمتنبي- الموسوعة الشعرية- المتنبي.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
وأذكر أن الشيخ أسامة -حفظه الله- بعد أحد دروسه -عن
تحريض الأمة للتصدي للأمريكان واليهود في معسكرات
الإعداد - جاءه أحد طلاب العلم من الجزيرة العربية، وقال
للشيخ إنه لم يسمع هذا الكلام من علماء الجزيرة مع طول
معاشرته لهم، وأن هذا كلام لا بد أن ينشر ويوزع بين الناس.
ج- تفعيل دور الأمة في جهاد الدفع بعد أن خانت الحكومات
واستسلمت الهيئات.

فقد أثبتت الطليعة المجاهدة قدرتها على تحويل طاقة
الرفض والتحدي والصمود لدى الأمة لعمل فعال مؤثر مؤلم
للعُدو، وهو الأمر الذي تنكرت له الحكومات، وهربت منه
الهيئات والحركات الإسلامية المسالمة، التي تعترف بالواقع
السياسي الفاسد، وتحاول أن تصلح من خلاله، كمن يبذر
الحب التالف في الأرض المتعفنة، بل بدأت تساوم على أهم
قضية للأمة المسلمة؛ قضية فلسطين، وبلغ ذلك ذروته
باتفاقية مكة، التي وقعتها قيادة حماس، وتعهدت فيها باحترام
القرارات الدولية الخاصة بفلسطين.

د- ترسيخ وتقوية وإنضاج الطليعة المجاهدة للأمة
المسلمة.

يقول الدكتور عبد الله النفيسي:

"بات واضحاً -بعد عملية البرجين 11/9/2001
في مانهاتن- أن المشروع الأمريكي العالمي
يستهدف -في العالم الإسلامي ما بين جاكرتا
ونواكشوط- تحقيق أعلى درجة من علمنة النظم
السياسية وعولمة القمع فيها أي في هذه النظم.
إذن نستطيع أن نقول بأن حركة الولايات المتحدة
في العالم الإسلامي بعد 11/9/2001 سوف
تتمحور في مجالين:

- علمنة النظم السياسية في العالم الإسلامي،
أي الفصل -ما أمكن- بين هذه النظم والإسلام،

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثالث: آثار الغزوات المباركات بحيث يتجلى هذا الفصل ليس فقط في الاتجاه العام للنخبة الحاكمة بل يغوص إلى قاع العملية التعليمية والتشريعية والاقتصادية وتبعاً لذلك السياسية. نتيجة تلك العلمنة ستكون في تحويل الإسلام إلى كنيسة وكهنوت، أي إلى مسجد سيتحول بالممارسة إلى معتقل أليف للإسلام، يرفد العمل فيه فئة من الناس منفكين تماماً عن نبض الحياة اليومية لعموم الأمة الإسلامية، التي تعاني من الثالث التاريخي المدمر: الطغيان السياسي وسوء توزيع الثروة والتحلل الاجتماعي.

- أما المجال الثاني الذي ستتشط فيه حركة الولايات المتحدة فهو دعم المقدررة القمعية للنظم السياسية في العالم الإسلامي، وتزويدها بثقافة القمع ومبتكراته، لكي تقوم بتصفية الحركة الأصولية الإسلامية بشتى راياتها ومسمياتها، وتشجيع كل الأطياف السياسية الأخرى المناوئة للأصولية الإسلامية، تماماً كما حصل في مرحلة السبعينيات عندما أدركت الولايات المتحدة أن الحركة الأصولية الإسلامية هي خير سلاح تشهره ضد الاحتلال السوفياتي للأفغان.

وتتوقع أن تولد هذه الحركة الأمريكية في هذين المجالين: علمنة النظم السياسية وعولمة القمع، نقول، نتوقع أن تولد -كنتيجة لذلك- المخاض الداخلي ضمن الأقطار الإسلامية بين الذين يؤيدون المسعى الأمريكي والذين يعارضونه. وسوف يساهم ذلك المخاض في إنضاج الإطارات الحركية للأصولية الإسلامية، وانتكار آليات جديدة للعمل المضاد للولايات المتحدة على رقعة شاسعة جدا من هذا العالم (ما بين جاكرتا ونواكشوط)، وستجد

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات الولايات المتحدة من الصعوبة بمكان السيطرة على تطوراتها ووتائره²⁶، مهما أبدت النظم السياسية في العالم الإسلامي استعدادها للتعاون مع المجهود الأمريكي.

لقد أصبح واضحاً أن الضغط الاستراتيجي الذي تمارسه الولايات المتحدة على الحركة الأصولية الإسلامية سوف يساهم -مستقبلاً- في بلورة مقاومة إسلامية عالمية، لم تكن قد توقعتها من قبل. إن توغل إدارة بوش في المجالين المذكورين ينم عن ضيق أفق سياسي، وتحركه عوامل أمريكية داخلية محضة مرتبطة باعتباريات انتخابية أمريكية، لكنه سوف يفرز وضعاً شعبياً -خاصة في آسيا- مناصراً ومؤيداً للأصولية الإسلامية ومناهضاً للهيمنة الأمريكية"²⁷.

2- آثار على الغرب الصليبي.
أما آثار الغزوات على الغرب الصليبي فعديدة وخطيرة، فمنها:

أ- النزيف الاقتصادي.
فقد تورطت أمريكا وحلفاؤها في حرب لا تعلم متى نهايتها ضد ما أسمته الإرهاب، تزعم أنها قد أنفقت فيها حتى الآن ما يزيد على 700 مليار دولار، وتسببت في عديد من الأزمات الاقتصادية بالإضافة لتدهور الدولار.
يقول الشيخ أسامة بن لادن -حفظه الله- في خطابه للشعب الأمريكي:

"فعلى سبيل المثال؛ إن القاعدة أنفقت 500 ألف دولار في الحدث، بينما خسرت أميركا على أقل تقدير في الحدث وتداعياته أكثر من 500

²⁶ كلمة لم أفهماها.
²⁷ العالم ما بعد غزوة مانهاتن (39) للدكتور عبد الله النفيسي.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثالث: آثار الغزوات المباركات مليار دولار، أي أن كل دولار من القاعدة هزم مليون دولار بفضل الله تعالى. علاوة على فقدتها عدداً هائلاً من الوظائف، وأما عن حجم العجوزات المالية؛ فقد بلغت أرقاماً قياسية وفلكية تقدر بأكثر من تريليون دولار.

والأخطر والأمر على أميركا؛

أن المجاهدين اضطروا بوش -أخيراً- إلى أن يلجأ لميزانية الطوارئ لمواصلة القتال في أفغانستان وفي العراق، مما يدل على نجاح خطة الاستنزاف إلى درجة الإفلاس بإذن الله.

وصحيح أن هذا يوضح أن القاعدة كسبت، لكنه في المقابل يوضح أن إدارة بوش كسبت أيضاً، لأن الناظر إلى ضخامة العقود التي نالتها الشركات الكبرى المشبوهة كـ "هالبرتون" ومثيلاتها ذات الصلة ببوش وإدارته يتأكد له ذلك، وإن الخاسر في الحقيقة إنها هو أُنتم؛ هو الشعب الأمريكي واقتصاده"²⁸.

ويذكر تقرير الكونجرس عن الحادي عشر من سبتمبر: "إن الأمة قد رصدت إمكانات هائلة للأمن القومي ولمواجهة الإرهاب. ففيما بين العام المالي 2001 -وهي آخر ميزانية أقرت قبل 11/9- والعام المالي الحالي 2004، فإن جملة الإنفاق الاتحادي على الدفاع (متضمناً النفقات على كل من العراق وأفغانستان) والأمن الداخلي والشؤون الدولية قد ارتفع بما يزيد عن 50% من 354 بليوناً لقرابة 547 بليوناً، ولم تعهد الولايات المتحدة هذه الفورة

²⁸ رسالة إلى الشعب الأمريكي (السيبلُ لإنهاء الحرب) 15 رمضان 1425 هـ 29 أكتوبر/ تشرين الأول 2004 م.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
في الإنفاق على الأمن الداخلي منذ الحرب
الكورية²⁹

ويقول عبد الباري عطوان:

"هذ وقد خلفت الهجمات تداعيات اقتصادية
أخرى. فالمستثمرون العرب سحبوا مليارات
الدولارات من المؤسسات المالية الغربية خشية
تجميد أصولهم، واستثمروها عوضاً عن ذلك في
العالم الإسلامي. فضلاً عن ذلك تستثمر اليوم
إيرادات النفط الهائلة الناجمة عن تضخم أسعار
النفط حالياً في دول الخليج نفسها، الأمر الذي
يسبب فورة اقتصادية.

أضف أن هجمات المتمردين المنتظمة على
أنابيب ومنشآت النفط في العراق قد أثرت في
أسعار النفط.

.....
ولا بد من الإشارة أيضاً إلى أن للولايات المتحدة
التزامات مهمة في أجزاء من أوروبا وفي شمال
شرقي آسيا وشرق آسيا والشرق الأوسط وجنوبي
غربي آسيا. فضلاً عن تورطها في النزاعات
المحلية في أفغانستان وعلى وجه الخصوص في
العراق. كذلك تتبنى الولايات المتحدة موقفاً
مشاكساً من إيران، التي اغتتمت فرصة انهماك
الولايات المتحدة في العراق لتعيد إحياء برنامجها
النووي.

إضافة إلى ذلك يبدو أن الحرب في العراق قد
بدأت تتحول بسرعة إلى حرب استنزاف، لا سيما
بالنسبة إلى الاقتصاد الأمريكي. ففي أواخر شهر

²⁹ 9/ 11 COMMISSION REPORT P: 361.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثالث: آثار الغزوات المباركات حزينان/ يونيو العام 2005 بلغت كلفة الحرب 250 مليون دولار أمريكي بمعدل شهري يوازي 5 مليارات شهرياً بحسب معظم التخمينات. بل إن بعض المعلقين يفترض أن الكلفة قد تزيد في النهاية على 700 مليار دولار³⁰.

بينما أظهرت دراسة قام بها اثنان من الاقتصاديين³¹ أن التكلفة الإجمالية لحرب العراق -بافتراض مسارين أحدهما متحفظ والآخر معتدل- ربما تصل لما بين 1 إلى 2 تريليون دولار، كما بينها في الجدول التالي³²:

التكاليف الاقتصادية الإجمالية لحرب العراق (ببليون دولار).

معتدل	متحفظ	
1189	839	التكاليف المباشرة
1050	187	الآثار الاقتصادية الضخمة
2239	1026	المجموع

رغم أنهما قررا؛ أنهما لم يدرجا في هذه التكاليف تكلفة الحرب على أفغانستان، التي قررا أنها قد كلفت أمريكا

³⁰ التنظيم السري للقاعدة ص: 318 و 319.

³¹ جوزيف ستيلينز الحائز على جائزة نوبل والأستاذ بجامعة كولومبيا وليندا بلمز خبيرة الميزانية بجامعة هارفارد.

³² THE ECONOMIC COSTS OF THE IRAQ WAR, P: 30, Microsoft Encarta 2008-U.S.-Iraq War.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
-حتى تاريخ دراستهما في فبراير 2006- 82 بليون دولار
بمعدل بليون دولار شهرياً³³.

وهذه الدراسة الهامة -التي نالت اهتماماً كبيراً من الرأي العام الأمريكي والدولي- لم تكتف بحساب التكاليف المتوقعة لحرب العراق فقط، ولكنها أيضاً ناقشت أسلوب إدارة بوش في دفع الأمة الأمريكية للحرب، وفي التهوين من تبعاتها. فذكرت الدراسة أن لاري ليندسي -مستشار بوش الاقتصادي- عندما قال؛ إن تكلفة الحرب قد تصل لمائتي مليار دولار، استجاب البيت الأبيض بسرعة؛ بأن هذا الرقم سوء تقدير فادح، أما ميتش دانييل -مدير مكتب الإدارة والميزانية- فقد اعتبر تقدير ليندسي (مرتفع جداً جداً)، وقدر هو ووزير الدفاع رامسفيلد أن تكلفة الحرب قد تصل إلى 50- 60 بليوناً، بعضها قد تموله دول أخرى. أما مساعد وزير الدفاع وولفتز فقد زعم أن العراق في الواقع قد تمول إعمارها، وذهب ليندسي للقول بأن الإدارة الناجحة للحرب ستكون مفيدة للاقتصاد.

وأضافت الدراسة أن العديد من جوانب مغامرة العراق قد تبين مخالفتها لما كان يتوقع منها، فلم تكتشف أية أسلحة للدمار الشامل، ولا أية علاقة واضحة مع القاعدة، ولم يثبت وجود خطر محقق يبرر الحرب الاستباقية. أما الأمريكيان فلم يعدوا محررين بل محتلين، ولم يتحقق الاستقرار، وظهر بوضوح أن فوائد الحرب اختلفت تماماً عما زعم عنها، وأن ليندسي قد أخطأ بتقليله الشديد لتكلفة الحرب³⁴.

وفي خاتمة الدراسة ذكر الباحثان أنهما لم يتطرقا لإجابة التساؤل حول ما إذا كان التباين بين الأرقام المتوقعة والأرقام الحقيقية؛ كان ناتجاً عن محاولة متعمدة من الإدارة

³³ THE ECONOMIC COSTS OF THE IRAQ WAR, P: 6.

³⁴ THE ECONOMIC COSTS OF THE IRAQ WAR, P: 1.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثالث: آثار الغزوات المباركات لخداع الشعب الأمريكي عن تكلفة الحرب، أم أنه كان ناتجاً من نقص كفاءة الإدارة، لكونها اعتمدت على معلومات غير موثوقة.

وذكرت الدراسة أن الإدارة فضلت -في مواجهة الاتهامات عن وجود أسلحة الدمار الشامل، أو صلة العراق بالقاعدة- أن تزعم أنها لم تتعمد خداع الشعب الأمريكي، وفضلت الاتهام بالقصور عن الاتهام بسوء القصد³⁵. وقد اعتمد الكونجرس خلال عام 2007 مبلغ 500 بليون دولار لنفقات الحرب في العراق³⁶.

ويذكر بيتر أورسنج مدير مكتب الكونجرس للميزانية في تقريره المقدم للجنة الميزانية بالكونجرس في أكتوبر 2007؛ أن عمليات أمريكا في العراق وأفغانستان وحربها الأوسع ضد الإرهاب لها آثار وتبعات تتعدى الميزانية الاتحادية، ولكنه سيركز على جانبها الأضيق المتعلق بالاعتمادات والالتزامات المالية. وذكر أن تقدير التكاليف الكلية لعمليات أمريكا في العراق وأفغانستان والأنشطة الأخرى المتعلقة بالحرب على الإرهاب قد تصل لمبلغ 1,2 إلى 1,7 تريليون دولار من السنة المالية 2001 حتى 2017³⁷.

وبالمثل فإن تقرير (مجموعة دراسة العراق) قدر قيمة الرعاية الصحية للجرحى وإحلال المعدات المعطوبة بمئات الملايين. وأوردت المجموعة تقديراً يصل إلى 2 تريليون دولار للتكلفة النهائية للتدخل الأمريكي في العراق³⁸. وفي يوليو 2008 صدر تقرير من مركز خدمات أبحاث الكونجرس الأمريكي، وورد فيه أن كلفة حرب العراق تقترب

³⁵ THE ECONOMIC COSTS OF THE IRAQ WAR, P: 33.

³⁶ Microsoft Encarta 2008- U.S.-Iraq War.

³⁷ Estimated Costs of U.S. Operations in Iraq and Afghanistan and of Other Activities Related to the War on Terrorism, p: 1.

³⁸ The Iraq Study Group Report, p: 32. and Microsoft Encarta 2008- U.S.-Iraq War.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
(حوالي 94%) من كلفة حرب فيتنام، التي بلغت 686 مليار
دولار، والتي تعد ثاني أعلى الحروب تكلفة في التاريخ بعد
الحرب العالمية الثانية.

أما إذا أضيف لحرب العراق تكاليف الحرب على الإرهاب
فإن الكلفة تتجاوز كلفة حرب فيتنام.

وذكر الدكتور منذر سليمان -تعليقاً على ذلك التقرير- أن
تقديرات بعض المحللين تتوقع أن تزيد تكاليف الحرب على
الإرهاب على 3000 مليار دولار، وخاصة إذا أخذ في الاعتبار
النفقات المرافقة لتكلفة الأعمال العسكرية مثل نفقات
الرعاية الصحية وتعويضات أسر القتلى³⁹.

وما الأزمة الاقتصادية العالمية العنيفة التي تعصف بأمريكا
والغرب وسائر العالم منذ خريف 2008 إلا أثر من آثار
ضربات نيويورك وواشنطن ونزيف (الحرب على الإرهاب)
الاقتصادي المتدفق.

فقد بدأت أسباب الأزمة بحالة الركود التي أصابت الاقتصاد
الأمريكي، وفقدان ثقة المستثمرين في السوق، بعد أحداث
الحادي عشر من سبتمبر، فضخت الحكومة الاتحادية أموالاً
ضخمةً من أموال دافعي الضرائب، وخفض البنك المركزي
الفائدة على الديون إلى واحد بالمائة، فتوفرت لدى البنوك
سيولة ضخمة، فشجعت الإقراض بأبسط الشروط، وكان
شراء البيوت من أهم المجالات، التي تم تشجيعها، فاندفع
الناس يقترضون لشراء البيوت وللمشتريات الاستهلاكية.
فارتفعت أسعار العقارات، وكانت البنوك تقرض المقترضين،
وهي تعلم عجزهم عن السداد طمعاً في الاستيلاء على
بيوتهم، وإعادة بيعها بسعر أكبر، ظناً منها أن الارتفاع في
سعر العقارات سيستمر، ثم عجز المقترضون عن سداد
الديون، وبدأت البنوك تستولي على البيوت، وتتحايل على

³⁹ إذاعة البي بي سي العربية- 27 يوليو 2008.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثالث: آثار الغزوات المباركات المقترضين ببيع ديونهم لبنوك أخرى بفوائد أكبر، ولكن المشكلة تفاقمت، وانخفضت أسعار العقارات، وصارت البيوت المرهونة تعرض للبيع بسعر أقل من سعر شرائها، وبدأت شركات الرهن العقاري في الإفلاس، ومعها البنوك التي لم تسترد أموالها، ثم انتشر الذعر بين البنوك، فلم تعد تقرض بعضها بعضاً، وأخيراً لجأت الحكومة الأمريكية وبعض الحكومات الغربية الأخرى، إلى ضخ الأموال في البنوك بمئات المليارات، وتحمل العبء دافعو الضرائب، الذين دفعت أموالهم لإنقاذ كبار الرأسماليين لحفظ النظام الربوي التحليلي من الانهيار.

ومن هذا يتبين أن المشكلة لها ثلاثة أسباب، اثنان كامنان في النظام الرأسمالي، وهما الربا والغش، والثالث كامن في الطبيعية الصليبية العدوانية، وهو السياسة الظالمة التي تتبعها أمريكا وحليفاتها ضد المسلمين، والتي كانت من نتائجها أحداث الحادي عشر من سبتمبر ثم الحروب الصليبية الخاسرة التي تخوضها أمريكا وحليفاتها.

وعن هذا يقول أمجد شلتوني:

"هل استطاعت القاعدة اختراق أكبر البنوك الأمريكية من أمثال ليمان برذرز والتسلل لصناع القرار فيها؟ وهل التقت مصالح أخطر شبكة مصنفة باعتبارها العدو الأول لأمريكا مع سدنة الرأسمالية لتشكّل أكبر أزمة مالية في التاريخ الحديث؟

لم يكن الأمر يستدعي هذا أو ذاك على ما يبدو فحسب النظرية التي قدمها البرنامج الوثائقي (نزيف الرهن العقاري)، وبثته قناة الجزيرة، فإن هذه الأزمة التي ربما دفعت أكبر الضرر بأمريكا وسمعتها ليست سوى واحدة من تداعيات هجمات الحادي عشر من سبتمبر!

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
وإذا كان الأثر المادي بخسائر تلك الهجمات⁴⁰
فإنها بأثرها الجديد تترك أسامة بن لادن في كهفه
مسترخياً، وهو ينظر إلى ضرر لم يحلم يوماً أن
يراه ينخر في جسد أمريكا وتأثيرها في العالم!
تقول النظرية إن تلك الهجمات أطاحت على
نحو قصير المدى بأسعار الأسهم والسندات
وشككت في أهليتها كضمان للاستثمارات وأدت
إلى حالة من العزوف عن الاستهلاك، وهو ما دفع
البنوك آنذاك لإغراء العملاء بالقروض الشخصية
على شكل رهون عقارية ميسرة، وتولى الرئيس
الأمريكي جورج بوش بنفسه حث مواطنيه على
الإنفاق ببذخ لتجنب ركود اقتصادي بدا وشيكاً
حينذاك.

تلك التوصيات والنصائح ضخمت من سوق
العقار على نحو مبالغ فيه، ولم يكن ينتظر سوى
الإبرة المتربصة به لتنفجر الفقاعة وتظهر معها
القيمة الحقيقية لتلك العقارات"⁴¹.

ب- ولكنني أظن أن أقوى آثار تلك الحرب هي في انكشاف
تهاافت منظومة القيم الغربية.

فقد استطاعت الغزوات المباركات كشف وتعرية الزيف
الفكري للحضارة الغربية. وهذا الزيف وإن كان بادياً لأهل
البصيرة منذ زمن بعيد، إلا أنه بعد الغزوتين أصبح حقيقة لا
ينكرها إلا جاحد. لقد قال بلير قولته المشهورة:
"لقد تغيرت قواعد اللعبة".

ولو كان صادقاً تماماً لقال: "لقد انكشفت قواعد اللعبة".
يقول جوزيف ستيليتز وليندا بلمز:

⁴⁰ لعل صوابها: وإذا كان الأثر المادي السابق لخسائر تلك الهجمات كبيراً.
⁴¹ القاعدة تسببت في الأزمة المالية- أمجد شلتوني- الجزيرة توك- 2008 / 15/10.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها
الغزوات/ الفرع الثالث: آثار الغزوات المباركات
"لقد كانت أمريكا دائماً تفاخر بحربها من أجل
حقوق الإنسان، ولكن وجهة أمريكا قد تلطخت بعد
أبو غريب وجوانتانامو"⁴².

فبسبب الاهتمام الإعلامي بمتابعة الغزوات المباركات وما
تبعها من حرب أمريكا على الإسلام، التي تسميها الحرب على
الإرهاب، لم يعد في إمكان التحالف الغربي الصليبي بقيادة
أمريكا إخفاء جرائمه في قلعة جنكي وسجن شبرغان
وصحراء دشت ليلي وجوانتانامو وأبو غريب والسجون السرية
للمخابرات الأمريكية⁴³.

يقول الدكتور عبد الله النفيسي:

"لا تعاني الإدارات الأمريكية المتعاقبة على
البيت الأبيض من خلل هيكلية في (نظام القيم)
فقط، بل هي تعاني كذلك من خلل كالمنخل في
(نظام المفاهيم) أيضاً. على صعيد الخلل في
(نظام القيم) لديها فهي تكذب يومياً -وقبل طلوع
الشمس- على جميع العالم: تتحدث عن (السلام
والاستقرار في العالم) وفي نفس الوقت تحتكر
خمسين بالمائة من تجارة السلاح عالمياً، وتبيعه
لجميع الأطراف المشتركين في نزاعات مسلحة
على مستوى العالم، وتعاقب أي طرف ينافسها في
هذه التجارة.

وتتحدث عن (الديمقراطية وحقوق الإنسان)
وفي نفس الوقت -واستجابة لمصالحها- تدعم
وتؤازر نظاماً سياسية في أنحاء متفرقة من هذا
العالم بينها والديمقراطية وحقوق الإنسان عداوة
تاريخية.

⁴² THE ECONOMIC COSTS OF THE IRAQ WAR, P: 4.

⁴³ راجع ما قاله نعيم تشومسكي عن المقاتلين الأعداء وجوانتانامو والإرهابيين المشبوهين [الهمينة أم البقاء ص: 36].

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
وتحدث عن إرادة (المجتمع الدولي والشرعية
الدولية) وهي أكثر من لجأ إلى حق النقص (الفيثو)
في مجلس الأمن لإعاقة إرادة المجتمع الدولي
والشرعية الدولية.

البعض -تلفظاً- يسمي هذا الخلل لدى الإدارة
الأمريكية (ازدواج معايير double standard)، بينما
هو في واقع الحال: كذب في كذب ودجل في دجل.
بعد عملية البرجين 11/9/2001 في مناهاتن
انسحب هذا الخلل إلى (نظام المفاهيم) لدى
الإدارة الأمريكية فلم تعد تتصرف -عالمياً- وفق
مقاييس معقولة، بل تتصرف وكأن هذا العالم فراغ
vacuum خال تماماً من الدول والشعوب والثقافات
والمصالح والحضارات غير الأمريكية. ومن يتابع
تصريحات بوش ورامسفيلد وتشيني ومايرز وياول
ومن يتابع صحافة الولايات المتحدة ومحطات
التلفاز فيها ويستمع إلى إذاعة (صوت أمريكا VoA)
لا يحتاج إلى كثير ذكاء لكي يكتشف أن الأمريكان
عموماً -وبالأخص إدارتهم- قد تحولوا فعلاً إلى أمة:
(تنظر في المرأة إلى نفسها دائماً، دون أن تطل
من النافذة إلا لالمالماً). كما قال السناتور الأمريكي
جوزيف بايدن. لقد وقع هذا الأخير في نفس
الحفرة، عندما ذكر في مقالة له نشرها مؤخراً
يقول فيها: إنه بعد عملية البرجين في مناهاتن
(تستطيع الولايات المتحدة أن تحدد مستقبل العالم
للسنوات الخمسين المقبلة وفق مصالحها
الاستراتيجية). هكذا بكل بساطة ألغى هذا
السناتور الأمريكي إيرادات الدول والشعوب في

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها
الغزوات/ الفرع الثالث: آثار الغزوات المباركات
كل أنحاء العالم ووضعها في جيبه لمدة نصف
قرن!!⁴⁴.

⁴⁴ العالم ما بعد غزوة مانهاتن (37) للدكتور عبد الله النفيسي.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/
الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين

الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين

يذكر تقرير الكونجرس عن الحادي عشر من سبتمبر:
"على الولايات المتحدة أن تقوم بالمزيد
لتتواصل برسالتها. وقد تساءل ريتشارد هولبروك
وهو يشير لنجاح بن لادن في الوصول للجمهور
المسلم: "كيف يمكن لرجل في كهف أن يكون
أكثر تواصلًا من مجتمع اتصالات العالم المتقدم؟".
وقد توجس لنا نائب وزير الخارجية ريتشارد أرميتاج
من أن الأمريكان أصبحوا: "يصدرون مخاوفنا
وغضبنا"، وليس نظرنا للفرصة والأمل"⁴⁵.
وقال بوش في خطابه الإذاعي الأسبوعي:
"الإرهابيون يحاولون التأثير على الرأي العام
الأمريكي هنا. لديهم استراتيجية دعائية متطورة
لتقسيم أمريكا وكسر إرادتنا"⁴⁶.
وقال دونالد رامسفيلد:
"إن أعداءنا قد تكيفوا بمهارة لخوض الحروب
في عصر اليوم الإعلامي... ولكننا لم نفعل"⁴⁷.

⁴⁵ 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 377.

⁴⁶ الشرق الأوسط الأثنين 21 جمادى الأولى 1426 هـ 27 يونيو 2005 العدد 9708.

⁴⁷ BBC News, "U.S. Losing Media War to al-Qaeda," February 17, 2006,
<<http://news.bbc.co.uk/2/hi/americas/4725992.stm>>

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
في هذا الفرع سأتناول -بمشيئة الله- الانتصار الإعلامي
للمجاهدين تحت العناوين التالية:

- 1- انتشار الإعلام الجهادي على شبكة المعلومات
والوسائط الإعلامية التقليدية.
- 2- أثر الإعلام الجهادي على أنصاره والرأي العام.
- 3- التحرر من حصار الإعلام التقليدي.
- 4- الحرب الدعائية على الجهاد.
- 5- انكشاف زيف حرية التعبير الغربية.

1- انتشار الإعلام الجهادي على شبكة المعلومات
والوسائط الإعلامية التقليدية.
لقد صار النشاط الإعلامي لجماعة قاعدة الجهاد وسائر
الحركات الجهادية الآن أقوى وأوسع انتشاراً مما كان عليه
قبل غزوات نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا حين كانت القاعدة
في أفغانستان.

فبسبب الحسابات السياسية للإمارة الإسلامية في محاولة
لتخفيف الضغوط عليها، بالإضافة لتهاكك شبكة الاتصالات في
أفغانستان كان التوزيع والحضور الإعلامي أقل بكثير، أما
اليوم فالإعلام الجهادي يصول ويجول على شبكة المعلومات،
وتتلقف انتاجه الفضائيات، رغم تحويرها وتحريفها للكثير من
محتوياته، ويصل لملايين المهتمين والمتعاطفين.
فقد اعترف إريك كلارك -المتحدث باسم القيادة المركزية
لل قوات الأميركية- بأن تنظيم القاعدة ينتصر في الحرب
الإعلامية مع الولايات المتحدة -في إطار الحرب على
الإرهاب- إلا أن ذلك يبقى انتصاراً مؤقتاً، وأن المعركة
مستمرة، ولم تنته بعد.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/
الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين
وقال كلارك إن القاعدة ومناصريها يستعملون في الوقت
الراهن نحو 4 آلاف موقع إلكتروني متطّرف عبر الكرة
الأرضية.

وخلص كلارك الى أن الحدّ الأدنى من المهمة الذي فعلته
القاعدة -في حملة الاتصالات الإستراتيجية- هو أفضل بكثير
من التنسيق القائم بين الولايات المتحدة وقوّات التحالف،
لكن "أؤكد لك أيضاً، بأنّ المعركة برمتها لم تنته بعد"⁴⁸.
أما اللجنة التي شكلها مجلس الأمن لمتابعة القاعدة
وطالبان فتقول في تقريرها في مايو 2008:

"نجحت قيادة القاعدة في الحفاظ على حضور
إعلامي كبير بفضل شبكة معقدة من الأشخاص
العاملين إنتاج موادها الدعائية وترجمتها وتوزيعها
عبر شبكة الإنترنت"⁴⁹.

وتذكر إنجل راباسا وزملاؤها في الجزء الأول من كتابهم عن
(ما بعد القاعدة)، الذي قامت به مؤسسة راند لحساب
القوات الجوية الأمريكية أن فضاء الإنترنت يحوي قرابة
4000 موقع يدعم الجهاد، وأن القاعدة بدعايتها المتنوعة
تشن حرباً نفسية معقدة، وأنها لم تتميز فقط في
استخدامها للإنترنت، ولكن أيضاً في تعدد الطرق التي تعمل
بها في هذا الوسط، لتقوي تنظيمها بجعل عقيدتها
واستراتيجياتها وتكتيكاتها متوفرة لأكثر عدد من المجندين
المتوقعين.⁵⁰

وأن القاعدة تستفيد أيضاً من وسائط الإعلام الدولي،
فالقنوات العربية كالجزيرة والعربية، والغربية مثل السي إن
إن والبي بي سي والإيه بي سي والإم إس إن بي سي تنشر
أشرطة القاعدة، وخاصة تلك التي لبن لادن، وموادها الأخرى

⁴⁸ المتحدث باسم القيادة المركزية الأميركية يقر بانتصار القاعدة إعلامياً- كلارك
لـ"العربية.نت": 4 آلاف موقع إلكتروني "إرهابي" يناصر بن لادن.

⁴⁹ الأمم المتحدة (S/2008/324)- مجلس الأمن- 14 مايو 2008 ص: 12.

⁵⁰ Beyond al-Qaeda. Part 1. The global jihadist movement, p: 18 & 19.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
كأشرطة فيديو التدريبات، ولذا لم يكن غريباً أن بيتر أرنت
مذيع السي إن إن عندما سأل بن لادن عام 1977 عن خططه
المستقبلية، أجابه: "ستراها وتسمع عنها في الإعلام إن شاء
الله"⁵¹.

ويذكر عبد الباري عطوان في كتابه عن القاعدة الصادر في
2007 أنه يوجد قرابة 4500 موقع إلكتروني جهادي علني
يتعاطفون مع القاعدة كحركة عقائدية عالمية تضم أشخاصاً
من جميع أنحاء العالم متشابهين في الأفكار والأمزجة⁵².
ويذكر عمر العقاد أن الإف بي أي قد أحصت قرابة 6000
موقع على الإنترنت تدعم الإرهاب⁵³.

2- أثر الإعلام الجهادي على أنصاره والرأي العام.
يقر بيتر بيرجن⁵⁴:

"بأن الجهاديين أكثر فعالية منا في الجبهة
الدعائية"⁵⁵.

ويقول أيضاً: إن تنظيم «القاعدة» فقد مقره الرئيسي
وأرضه في أفغانستان، وفقد معسكراته التدريبية، كما فقد
الحكومة، التي كانت تسمح له بفعل ما يرغب فيه داخل الدولة
(طالبان). والآن ينهض نشطاء «القاعدة» بشكل كبير على
الإنترنت الذي يعد حقاً مقرهم الجديد لتبادل المعلومات
وتجنيد عناصر جديدة. مضيفاً: لا شك أن نشر الفكر

⁵¹ Beyond al-Qaeda. Part 1. The global jihadist movement, p: 19 & 20.

⁵² القاعدة التنظيم السري ص: 153.

⁵³ Terror goes digital.

⁵⁴ زميل «مؤسسة أميركا الجديدة» وخبير شؤون الإرهاب بشبكة (سي إن إن) الأميركية، ومخرج أول لقاء لشبكة السي إن إن مع الشيخ أسامة بن لادن في توره بوره، ومؤلف كتاب مؤسسة الحرب المقدسة: داخل عالم أسامة بن لادن السري (Holy War, Inc. Inside the Secret World of Osama bin Laden) الذي أعرفه (The Osama bin Laden I Know).

⁵⁵ خصوم الولايات المتحدة يحركون حملة إعلامية ضمن ما يسمى بحرب الأفكار.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/
الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين
المتطرف كان دائماً هدفاً مركزياً للقاعدة، ولذا فإن الإنترنت
ساهم في تقديم حركة "جهادية" بشكل أوسع.⁵⁶
ويقول جاريت براشمان⁵⁷ أنه:

"رغم الإمكانيات الضخمة التي خصصتها الولايات
المتحدة لمجابهة الإرهاب الجهادي منذ هجمات 11
سبتمبر 2001 إلا أن عدوها الإرهابي الرئيسي؛
القاعدة، قد تحول وصار أكثر خطورة، والقاعدة
اليوم لا يمكن توصيفها بدقة على أنها منظمة أو
شبكة أو شبكة لشبكات، بل -بالاستفادة من تقنية
المعلومات والاتصالات الجديدة- حولت القاعدة
نفسها لتصبح حركة اجتماعية عضوية، تجعل
عقيدها الضارية في متناول أي شخص معه
حاسوب"⁵⁸.

ويكتب كريستوفر ديكي في النيوزويك:
"يتوجس بعض المحللين الأمريكيين من أن
أمريكا لا تحارب بقوة كافية في حرب الأفكار على
الشبكة العنكبوتية.
ويحذر سيفن أولف -وهو باحث مشارك في
مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت- من "أننا
قد فشلنا أن نواجه الجهاديين بجد وفكرياً وثقافياً،
وكنتيجة ذلك يتقدم تأثيرهم المزعج غير مقاوم"⁵⁹.

⁵⁶ الشرق الأوسط الأثنى 21 جمادى الأولى 1426 هـ 27 يونيو 2005 العدد 9708.
⁵⁷ جارت براشمان يعمل مديراً للأبحاث في مركز مكافحة الإرهاب في الأكاديمية
العسكرية للولايات المتحدة، وهو أيضاً مشارك في تأليف كتابي
(Militant Ideology Atlas- Research Compendium) و(Harmony and Disharmony)
الصادرين عن نفس المركز، وكنت قد أشرت إلى بعض من سقطاتهما العجيبة في
المقدمة.

⁵⁸ High-Tech Terror: Al-Qsaeda's Use of New Technology, p: 149.

59

Internet Imams: Inside the Cyber-Jihad, Are we in danger of losing the war of
ideas on the Web?

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
 لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
 أما إنجل راباسا وزملاؤها من مؤسسة راند فيذكرون أن؛
 الرسائل الأصولية قد تغلغت في المجتمعات الإسلامية عبر
 العالم عن طريق الإنترنت والإعلاميات الجديدة الخارجة عن
 تحكم الحكومات. وأن الجهود الممولة من الولايات المتحدة
 كراديو سوا وتلفاز الحرة يفتقدون حصافة التعامل مع
 المواضيع والاهتمامات المحلية، وفي كل الأحوال لا يعملون
 لتطوير نوافذ الإعلام المحلي المعتدلة.⁶⁰
 وتقول هنا روجان من مؤسسة أبحاث الدفاع النرويجية؛ أنه
 قد يكون من الصعب تقدير تأثير الإعلام الجهادي على مؤيدي
 الجهاد وعلى الرأي العام، ولكن يمكن القول أن حملة
 الجهاديين الإعلامية تحتل مكانة مرموقة بالنظر لغزارة انتاجها
 وتزايد جودتها والثناء الذي تحصل عليه من المؤيدين على
 الشبكة المعلوماتية بالإضافة للاهتمام المتزايد والقلق من
 وكالات مكافحة الإرهاب.⁶¹
 أما ستيفن كورمان وجيل شيفلين فيقرران أن قدرة
 الولايات المتحدة على مواجهة دعاية القاعدة محدودة.⁶² كما
 يقرران أيضاً أن مصداقية الولايات المتحدة في العالم
 الإسلامي كانت دائماً منخفضة. وأن تصريحات بعض
 المسؤولين مثل زعم بوش أن حربه على الإرهاب هي حملة
 صليبية، قد استفادت منها استراتيجية الجهاد الإعلامية، فقد
 استطاعوا أن يصوروا القوات الأمريكية في الخليج على أنهم
 صليبيون محتلون، وأن ما يقومون به هو نسخة معاصرة من
 الحروب الصليبية. ويضيفان أن بعض الحوادث الأخرى مثل
 الأساءة للمعتقلين في أبو غريب وجوانتانامو قد استدل بها
 الجهاديون ليعينوا أن الولايات المتحدة لا تختلف عن النظام
 العراقي المنهزم والأنظمة المرتدة في العالم العربي.

⁶⁰ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 80.

⁶¹ Al-Qaeda's online media strategies: From Abu Reuter to Irhabi 007, P: 116.

⁶² Communication and Media Strategy in the Jihadi War of Ideas, p: 4.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/
الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين
وباستحضار أن مصداقية الولايات المتحدة كانت منخفضة قبل
الحرب على الإرهاب، فإنها الآن ضئيلة أو منعدمة. وهذا يؤثر
سلباً على التخطيط لأية استراتيجية لمواجهة الجهاديين في
حرب الأفكار.⁶³

وتقول إنجل راباسا وزملاؤها:

"إن الذي جعل دعاية القاعدة مميزة هو النزعة
العالمية -التي لا تكل- في التوزيع وجودة إنتاجها.
وكتيجة لهذه الاستراتيجية الإعلامية فإن رسائل
القاعدة قد تخللت بعمق في المجتمعات الإسلامية
حول العالم، وتفترس أولئك المسلمين الذين
يحسون بالعجز في كل من العالم العربي والمهاجر
في الغرب. وتبدو القاعدة وكأن لها أثراً بتوفيرها
شعوراً بالافتقار لأولئك الذين لا دراية لهم
بالنصوص والتاريخ الإسلامي"⁶⁴.

ويضيفون أيضاً بأن القاعدة قد أتقنت استخدام تقنية
المعلومات، وخاصة الإنترنت كأداة إرهابية، واستخدمت
الإعلام الجماهيري لنشر دعايتها.⁶⁵

ويذكرون أن القيمة الرمزية لبن لادن وسط الأصوليين
الإسلاميين كخصم لدود للولايات المتحدة بالإضافة لزعامته
للجهاد العالمي ضد الولايات المتحدة لهما قوة تحريضية
ضخمة وسط قطاعات معينة من المسلمين، وأن الأفكار التي
يروج لها بن لادن والظواهري -والتي يتردد صداها في دوائر
المتطرفين في العالم الإسلامي- قد لعبت الدور الأكبر في
دعم استمرار حملة الجهاد العالمي وتحولها لتمرد دولي
حقيقي.⁶⁶

⁶³ Communication and Media Strategy in the Jihadi War of Ideas, p: 17 & 18.

⁶⁴ Beyond al-Qaeda. Part 1. The global jihadist movement, p: xviii.

⁶⁵ Beyond al-Qaeda. Part 1. The global jihadist movement, p: xxvii.

⁶⁶ Beyond al-Qaeda. Part 1. The global jihadist movement, p: 7 & 8.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
 لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
 وأن دعايات القاعدة تتجاوب أصداؤها وسط ملايين
 المسلمين عبر العالم الإسلامي، الذين يبحثون عن تفسير
 مقنع لمعاناتهم ومعاناة إخوانهم في العقيدة وعن استراتيجية
 للتغيير الشخصي والسياسي⁶⁷.
 وأن أكثر الدول تقدماً فقط هي التي تستطيع أن تجاري
 القاعدة في نشر دعايتها المتفوقة بسرعة عبر العالم⁶⁸.
 وأن عدم اقتصار القاعدة على أسلوب واحد في الدعاية
 مكنها من الوصول لجماهير أوسع، وجعلها تتخطى حواجز
 التقنية والقراءة⁶⁹.
 وأن القاعدة -قبل كل شيء- هي المجموعة الإرهابية التي
 برزت بإحداثها انقلاباً في عملياتها باستخدامها الناجح لتقنية
 المعلومات⁷⁰.
 وأن استمرار دعاية القاعدة خلال التسع سنوات الماضية
 يرجح أنها تؤثر في جمهورها بالطريقة التي يراها زعماءها
 مفيدة⁷¹.
 وأن القاعدة قد أثرت بنجاح على الصحافيين الإيجاب أيضاً،
 الذين يعتمدون على مواقع القاعدة كمصادر جادة لتقاريرهم،
 وبهذا أثرت القاعدة على مفاهيم الإعلام فيما يتعلق بنواياها
 وقدراتها مساراتها⁷².
 ويبدو أن دعاية القاعدة أيضاً تمارس الحرب النفسية ضد
 أعدائها وخاصة الولايات المتحدة، فتهديدات القاعدة منذ 11
 سبتمبر تلاقي اهتماماً فورياً من الإعلام العالمي، وقد رفعت
 هذه التصريحات أحياناً مستويات التأهب ضد الإرهاب، كما
 أنها ترسل موجات متتابعة من الرعب إلى الجمهور الأمريكي.

⁶⁷ Beyond al-Qaeda. Part 1. The global jihadist movement, p: 12.

⁶⁸ Beyond al-Qaeda. Part 1. The global jihadist movement, p: 15.

⁶⁹ Beyond al-Qaeda. Part 1. The global jihadist movement, p: 15 & 16.

⁷⁰ Beyond al-Qaeda. Part 1. The global jihadist movement, p: 17.

⁷¹ Beyond al-Qaeda. Part 1. The global jihadist movement, p: 20.

⁷² Beyond al-Qaeda. Part 1. The global jihadist movement, p: 21.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/
الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين
وبهذا فإن دعاية القاعدة تبدو وقد حققت أهدافها: تحريض
أتباعها، وتغيير الرأي العام، والتأثير في الإعلام العالمي، وبث
الرعب في الإعداء⁷³.

وكما يرى القارئ فإنها شهادة الخصم اللدود في خصمه.
وشمائلُ شَهِدَ العَدُوُّ بِفَضْلِهَا وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ
الأعداء⁷⁴

يقول عبد الباري عطوان:

"الشيخ بن لادن ونائبه أيمن الظواهري نجحا في
كسب عقول وقلوب الكثير من العرب والمسلمين
المحيطين، سواءً بسبب المجازر، التي ترتكب في
فلسطين والعراق، أو بسبب فساد الأنظمة
الحاكمة"⁷⁵.

ويقول جوزيف ستيليتز وليندا بلمز عن حرب العراق:
"في بداية الحرب كان هناك كثير من الحديث حول كسب
قلوب وعقول أولئك الذين في الشرق الأوسط. بينما تظهر
استطلاعات الرأي الحديثة -التي تعكس الرأي العام في
العالم العربي- أن العكس بالضبط هو الذي حدث"⁷⁶.
ويقول روفين باز عن النشاط الجهادي على شبكة
المعلومات وأثره على المسلمين:

"نستطيع أن نلاحظ في بعض المجتمعات
الإسلامية في الغرب -ولكن بالأخص في العالم
العربي- دوراً متعاضداً لهذا التلقين في الرغبة في
مساندة وتبرير والتطوع للحاق بالإرهابيين
الجهاديين. وقد حلت هذه المواقع الجهادية منذ
2001 بالتدريج محل مؤسسة (المدرسة)⁷⁷

⁷³ Beyond al-Qaeda. Part 1. The global jihadist movement, p: 21 & 22.

⁷⁴ البيت للسري الرفاء. الموسوعة الشعرية- السري الرفاء.

⁷⁵ مفاجآت شريط زعيم القاعدة.

⁷⁶ THE ECONOMIC COSTS OF THE IRAQ WAR, P: 4.

⁷⁷ يقصد المدراس الدينية.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
القديمة كأداة لتجديد جيل الجهاديين الأول في
الثمانينيات والتسعينيات. إن الإنترنت -في الواقع-
قد أصبح (مدرسة) عالمية واحدة"⁷⁸.
ويقول أيضاً:

"لا بد أن نفهم دور الجهاد الذي تلعبه المظلة
العقائدية المعاصرة للجهاد العالمي، إنه ليس فقط
إرهاباً، ولكنه -وربما الأكثر أهمية- محور أساسي
في بناء التضامن الحالي ما بين العرب
والمسلمين"⁷⁹.

ويقول كريستوفر بلانتشارد في تقريره المقدم للكونجرس
الأمريكي:

"وعموماً فإن تصريحات بن لادن من منتصف
التسعينيات حتى الآن تبين أنه ما زال يرى نفسه
وأتباعه كطليعة لحركة دولية إسلامية، مصممة
أساساً على إنهاء تدخل الولايات المتحدة في
شؤون البلاد الإسلامية، وداعمة لجهود قلب وإعادة
تشكيل المجتمعات الإسلامية تبعاً لتفسير سلفي
ضيق للإسلام والشريعة الإسلامية. وما زالت
تصريحاته العامة وتلك التي لمعاونيه تلعب -على
الأرجح- دوراً هاماً ومحسوباً في بلوغ أهدافه"⁸⁰.
ونشر موقع إيلاف الخبر التالي من واشنطن:

"من المقرر أن تغلق الولايات المتحدة
الأميركية قنواتها الفضائية الناطقة باللغة العربية
(الحررة)، بعدما أدرك البيت الأبيض أن هذه القناة
لا تستطيع أن تفي بالغرض. وبالتالي فإن 350

⁷⁸ Reading Their Lips: The Credibility of Jihadi Web Sites as 'Soft Power' in the War of the Minds, p: 5.

⁷⁹ Reading Their Lips: The Credibility of Jihadi Web Sites as 'Soft Power' in the War of the Minds, p: 11.

⁸⁰ Al Qaeda: Statements and Evolving Ideology, p: 6.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/
الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين
مليون دولار التي أنفقتها الإدارة الأميركية على
(الحرّة) منذ فبراير 2004 ذهبت أذراج الرياح.
وقال هشام ملحم مدير قناة العربية بواشنطن،
إنه على الرغم من هذه التكلفة فإن القناة
"فشلت حتى في الحياز على المركز الرابع، على
أقل تقدير، بالنسبة لتفضيل مشاهدي القنوات
العربية..". وأضاف ملحم: "إنه نادرًا ما تجد أناس
قد شاهدوا قناة الحرّة. وربما تكون الحرّة هي
القناة رقم عشرة في قائمة ترتيب بحث
المشاهدين عن القنوات المهمة... إذن الحرّة لم
تكن في الترتيب الأول ولا الثاني ولا الثالث... أو
حتى الرابع". وقال ملحم إن مسؤولي القناة
فشلوا في إيجاد مدخل يمكنهم لإقناع المشاهدين
العرب. كما أنهم فشلوا في إيجاد تقديم أي شيء
جديد ومختلف حول أميركا للعالم العربي" وأضاف
ملحم: "لقد كلفت القناة الكثير..ولكن العطاء فيها
أقل مما يتصور المرء".
وكان الهدف أن تنافس قناة "الحرّة" القناتين
الفضائيتين العربيتين "العربية" و"الجزيرة"،
وتتمسك في الوقت نفسه باتجاهاتها الغربية. لكن
سرعان ما أدركت إدارة "الحرّة" أنها لن تستطيع
تحقيق المهمة المطروحة على القناة، لأن
استمالة الجمهور العربي من خلال الترويج للقيم
الغربية أمر مستحيل، ولكنها استمرت في استثمار
الاعتمادات المخصصة للقناة في غياب رؤية
تتوخى تطوير القناة، فيما واصل العاملون في
القناة عملهم من دون أن يعرف الكثيرون منهم ما
هو مطلوب منهم، معتبرين أنهم معذورون لأن لا
أحد يشاهد برامج قناتهم.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات

.....
وخلص الخبراء في بداية هذا العام إلى استنتاج
أن "الحرّة" مشروع فاشل.
وقالت صحيفة واشنطن بوست إن الحرّة
فشلت في أداء مهمتها في العالم العربي. وأجمع
بعض الخبراء الإعلاميين من العرب والأميركيين،
الذين تحدثوا للصحيفة على أن القناة لم يعد لها
أي حظوظ من النجاح في سوق الإعلام العربي.

.....
وكانت استطلاعات الرأي المتعاقبة خلال
السنوات الفائتة قد أظهرت أن الحرّة هي أقل
الفضائيات الناطقة بالعربية مشاهدة. لكن مصادر
أميركية كانت تصر على عدم إقبال الحرّة، رافضة
أن تلقي المحطة مصير مجلة هاي الشهرية، والتي
قررت الخارجية إيقافها عن الصدور. وعلى الرغم
من عمليات المراجعة والتقويم الشامل لأداء
المحطة إلا أنها لم تتمكن من جذب الجمهور
العربي .

.....
ويصل عدد مشاهدي القناة إلى تسعة مليون
أسبوعياً، ويتركزون بشكل أساسي في العراق.

.....
وقالت جهات أميركية متخصصة في
استطلاعات الرأي إن مشاهدي القناة في مصر
يمثلون ثمانية بالمئة من سكان مصر، التي يتجاوز
عدد سكانها الـ 84 مليون فضلاً عن أنها قلب
العالم العربي. وتفيد احصائيات جديدة أن الذين
يشاهدون القناة في 13 قطر عربي لا يتجاوزون
نسبة الـ 28 مليون مشاهد أسبوعياً من جملة عدد

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/
الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين
السكان العرب، الذين يبلغون 200 مليون. غير
أن مصادر أخرى قالت إنه من الصعوبة تأكيد هذه
الأرقام وأن جهات رسمية تابعة للكونغرس،
ومعنية بالمصادقية الإحصائية، شككت في هذه
الأرقام.

وقال البوست إن الحرة تملك قاعدة مشاهدة
ضيقة جداً مقارنة بالجزيرة والعربية، بحيث أظهر
استطلاع لجامعة ميرلاند ومؤسسة "زغبي
انترناشونال" أن 54% من المستطلعين
بشاهدون الجزيرة، مقارنة بـ 9% بشاهدون
العربية و 2% فقط بشاهدون الحرة"⁸¹.

وتذكر إنجل راباسا وزملاؤها أن أهم وسائل الدبلوماسية
العامة هي الإذاعة والقنوات الفضائية، وأساساً إذاعة (سوا)
وفضائية (الحرة). ويقرون بأن فضائية (الحرة) قد فشلت في
كسب مشاهدين، بينما نجحت إذاعة (سوا) -في زعمهم- في
كسب مستمعين، ولكنهم يبادرون بالقول إن كسب مستمعين
لا يعني بالضرورة نشر الأفكار المعتدلة، وبالتالي يتساءلون
هل تكلفتها العالية (700 مليون دولار سنوياً) قد ساهمت
في تغيير المزاج العام في العالم الإسلامي إيجابياً تجاه
سياسات الولايات المتحدة⁸².

وأنهم يرون أنه من الأفضل أن يصرف ما ينفق على قناة
الحرة على وسائل الإعلام المحلية والصحافيين الملتزمين
بقيم الديمقراطية والتعددية⁸³.

3- التحرر من حصار الإعلام التقليدي.

⁸¹ أميركا تعلن فشل مشروعها الإعلامي: إقفال قناة الحرة قريباً.

⁸² BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: xvii & xx.

⁸³ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: xxiii, xxiv, 56 & 144.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
 لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
 استطاع المجاهدون -بفضل الله أولاً وأخراً، وببركة دماء
 الشهداء، وتضحيات الأسرى والجرحى- أن يفرضوا على
 العالم أن يسمع صوتهم، لأنهم أصحاب مصداقية عالية،
 فتواصلوا مع أمتهم، وكسروا طوق الحصار الإعلامي، الذي
 كان مفروضاً عليهم، وهي مصداقية يجب أن تحافظ عليها
 الحركة المجاهدة بكل ما تملك.
 يقول الأستاذ سيف الدين الأنصاري عن الانتصار الإعلامي
 للمجاهدين في الحادي عشر من سبتمبر:

"ولكل واحد منكم أن يسأل: أين الإمبراطورية
 الأمنية؟ لماذا لم تتنبأ بالغزوة؟ لماذا لم تمنعها؟
 لماذا لم تقدر على إيقافها؟ الجواب: إن أمريكا
 بشر، [وخلق الإنسان ضعيفاً] [النساء: 28]، ثم
 إنهم المجاهدون.. وحسبك!! إذن بعد 11 سبتمبر
 كل شيء ممكن!! والمستحيل هو أن تستمر
 أمريكا.

والحقيقة أن المجاهدين قد قدموا -عبر جهادهم
 الطويل- هذه الدروس مرات عديدة.. قدموها في
 أفغانستان ضد "الاتحاد السوفيتي"، وقدموها في
 البوسنة والهرسك ضد الصرب، ولا زالوا يقدمونها
 يومياً في الشيشان ضد الروس، ويتفنون في
 العرض مرة أخرى في أفغانستان مع أمريكا
 وحلفائها، لكن قليل هم الذين سمعوا بتلك
 الدروس، وقليل من هذا القليل الذين استوعبوها،
 لأن السياسة الإعلامية العالمية تتحرك دائماً في
 الاتجاه، الذي يحرم الشريعة الواسعة من الأمة أن
 تذوق لذة النصر، أو تستفيد من الدرس.

أما في الغزوة المباركة فإن الإعلام لم يجد ما
 يخفيه، فقد قرر المجاهدون هذه المرة أن يكون
 الدرس على الهواء مباشرة، لكسر هيبة أمريكا

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/
الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين
أمام الجميع، ولتتحطم مع تحطم كبرياتها تلك
الأغلال المضروبة حول الإرادة الإسلامية، من خلال
جعل ما هو مستحيل في تصور البعض داخلاً تحت
دائرة الممكن، وقد كان لهم -بفضل الله- ما
أرادوا، وعلموا الأمة الإسلامية أنها قادرة حين تريد،
وأن مشكلتها الحقيقية ليست في قلة العدد أو
العدة، ولكنها كما قال صلى الله عليه وسلم: (بل
أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يكثر فيكم
الوهن) [أحمد] ⁸⁴.

وتوفيق من الله ثم بجهد المخلصين من العاملين لنصرة
الإسلام في صمت وإنكار للذات، مع تجاوب الأمة مع
المجاهدين تحرر الإعلام الجهادي من سيطرة الصحف
والقنوات الفضائية على الخبر.
والإعلام الجهادي ينقل اليوم الصورة الحقيقية للمعركة بين
الصليبية والإسلام، وهي الصورة التي كان من المستحيل أن
تنقلها وسائط الإعلام التقليدية.
فألصور الحية من ميادين الجهاد في أفغانستان والعراق
والشيشان والصومال والجزائر وغيرها لم يكن ممكناً أبداً أن
تنقلها وسائل الإعلام المحلية والدولية.
بل على العكس كانت تنقل صورة كاذبة مناقضة للحقيقة
فضحها الإعلام الجهادي،
الذي فضح الإعلام الغربي، وبين أنه إعلام كاذب منحاز
متلاعب بالحقائق، وبذلك انكشفت خدعة الغرب الكبرى في
أنه راعي الحرية والشفافية والعدالة وحقوق الإنسان.
وهذه هزيمة أكبر من كل هزائمه العسكرية.
إنها هزيمة الحضارة الغربية التي ضبطها الإعلام الجهادي
متلبسة بجريمة الكذب والتزوير.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
يقول مايكل شور:

"منذ عام 1969 صارت عمليات القاعدة الإعلامية أكثر تعقيداً وانتشاراً وتأثيراً. فمن عالم إعلامي - كانت القاعدة والزعماء الإسلاميين الآخرون فيه يحرضون المسلمين بتكرار وببساطة لخوض الجهاد في سبيل الله- نشأت تلك الجرائد الإلكترونية المعقدة متعددة المواضيع مثل الأنصار والنداء وصوت الجهاد.

واليوم يقدم ذراع القاعدة الإعلامي إرشادات دينية معمقة للمسلمين حول مبررات الجهاد المذكورة في القرآن وأحاديث النبي محمد [صلى الله عليه وسلم⁸⁵] وسنته والتاريخ الإسلامي. وحتى باستخدام أجزاء منتقاة من النصوص، فإن علماء القاعدة قد شكلوا أساساً دينياً مقنعاً لشن الجهاد الدفاعي، الذي اكتسب التأييد وسط عشرات الملايين من المسلمين وخاصة من الشباب. والمقاتلون الآن مدعمون بحجج دينية يردون بها -وبأسلوب تفكيرهم الخاص- على الحجج المضادة للجهاد من أولئك الذين يعتبرهم الغرب المسلمين (المعتدلين).

ولقد طورت القاعدة أيضاً ما يمكن أن يعد حقاً جامعة ذات نجاح مذهل للاستراتيجية والتكتيكات والتدريب على حروب العصابات والعمليات الإرهابية (<http://www.alsakifah.org>). وفي جرائد مثل المذكورة سابقاً وغيرها طور استراتيجيو ومحللو القاعدة نظرة للعالم توائم تماماً صراع الإسلاميين في سياق العلاقات الدولية المعاصرة، تشرح لماذا توجد أسباب جيوبوليتيكية متينة -مثل

⁸⁵ ما بين العلامتين [] من إضافتي.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/

الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين

واقع السياسة الخارجية للولايات المتحدة في العالم الإسلامي، واعتماد الغرب على بترول المسلمين وحاجته للدفاع عن وصوله له- تجعل أهداف حرب القاعدة في (استنزاف أمريكا حتى الإفلاس) و(تشتيت القوة الأمريكية) أمراً يمكن إحرازه.

(<http://www.yaislah.org>, December 25, 2005).

.....
وقد أظهرت منظمة السحاب الإعلامية -حديثاً جداً- قدرة على عرض -وإعانة الآخرين على عرض- تغطية إخبارية موثوقة المصدر وشبه آية للمسلمين من جهات الجهاد في العراق وأفغانستان. ومن العراق وأفغانستان -التي كان الطالبان فيها لا يعبرون أية أهمية للإعلام- تتدفق يومياً فيديوهات عالية الجودة لنشاط المجاهدين العسكري ضد قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة، وحوارات مع قادة المتمردين الهامين وأشرطة عن عقوبة المسلمين الذين يتعاونون مع (المحتلين).

وهذه الأشرطة مساهمة فعالة لتحقيق هدف القاعدة بتقليل انهماجية العرب والمسلمين، وتقديم اختيار إخباري ثالث للمسلمين حول العالم.

وبالإضافة للمنافذ الغربية مثل سي إن إن وفي أو إيه والبي بي سي، والقنوات الفضائية العربية مثل الجزيرة والعربية، فقد وفرت القاعدة وحليفاتها للمسلمين -عبر الإنترنت- خياراً آخر لمشاهدة الأنباء من مناطق الحروب، وهو وإن

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
كان خياراً صارخاً، ولكنه ذو نزعة جهادية جيدة
الإطلاع.

وبالإضافة لنجاحاتها في ميدان المعركة، فقد
أحرزت القاعدة وحليفاتها إنجازاً إعلامياً مؤثراً،
فقد انتقلت من حالة زعماء الجهاد المهملين، لحالة
العاملين الإعلاميين الأكفاء المعاصرين جداً
وأخصائيي الدعاية، الذين يركزون على التأثير في
جمهور المستمعين المسلمين.

وبالإضافة لقدرة السحاب على السيطرة على
الإعلام العالمي لعدة أيام عندما تقدم شريطاً
صوتياً أو مرئياً جديداً لبن لادن أو أيمن الظواهري،
فإنها ومنظمات الإعلام الأخرى -التي تؤيدها، أو
تتعاون معها- قد شكلوا وجوداً إعلامياً منتشرًا عبر
الإنترنت.

وهذا لا يوفر فقط الإرشادات الدينية والعسكرية
المطلوبة والتغطية الإخبارية شبه الآنية، ولكنه
يحرم أيضاً القوات المسلحة الأمريكية وحلفاءها
الغربيين أحد ركائز عقيدتهم العسكرية؛ السيطرة
على المعلومات. فإن نجاح القاعدة والإسلاميين
في ميدان الإعلام قد حرم المخططين العسكريين
الغربيين كثيراً من قدرتهم السابقة على تصوير
أجواء ميدان المعركة بالتحكم في تدفق
المعلومات. وفي الحقيقة فإنه قد تكون القوات
المسلحة الأمريكية وحلفاؤها في وضع من عليه أن
يبحث عن سبل، يستطيع بها أن يخترق سيطرة
الإسلاميين الإعلامية في ميادين المعارك والمناطق
المتنافس عليها عبر العالم الإسلامي " 86 .

⁸⁶ Al-Qaeda's Media Doctrine: Evolution from Cheerleader to Opinion-Shaper.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/
الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين
4- الحرب الدعائية على الجهاد.

كتب أندرو جريس في أبريل 2007 في صحيفة الإندبندنت أن الحكومة البريطانية أقرت بأنها مهددة بخسارة الحرب الدعائية في مقابل القاعدة، ولذا صرح توني بليز بأن الحكومة ستنشئ وحدة خاصة للبحث والاتصال لمكافحة عقيدة القاعدة⁸⁷.

ولكن هل اتبعت هذه الوحدة الخاصة أساليب نزيهة في التصدي للقاعدة؟ يشكك في هذه النزاهة وفي تواطئ هيئة الإذاعة البريطانية (البي بي سي) معها ما نشرته صحيفة العرب القطرية في أغسطس 2008 عن وكالة يونايتد برس، التي ذكرت أن صحيفة الجارديان كشفت عن أن وحدة حكومية لمكافحة الإرهاب تستهدف هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) وغيرها ومن وسائل الإعلام في المملكة المتحدة في إطار حرب دعائية جديدة ضد تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن.

وقالت الصحيفة إن وثيقة مسربة من وزارة الداخلية البريطانية كشفت أيضاً عن أن خبراء الحكومة في مجال مكافحة الإرهاب يعترمون استغلال المواقع الإعلامية الجديدة وأجهزة الإعلام الأخرى لبث رسائل عن طريق متطوعين في منتديات الإنترنت كجزء من هذه الحملة الدعائية في خطوة ستثير الكثير من التساؤلات حول إدارات أجهزة الإعلام البريطانية.

وأضافت أن هذه الاستراتيجية وضعتها وحدة الاتصال والمعلومات والأبحاث التي أنشأتها وزارة الداخلية البريطانية العام الماضي للتصدي لدعاية تنظيم القاعدة. وبحسب الصحيفة، فإن الحملة الدعائية ستهاجم القاعدة على ثلاث جبهات: تسليط الأضواء على تآكل دعم التنظيم،

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
 لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
 وأن القاعدة تعترم إلحاق الضرر بالناس وأرزاقهم، وإلحاق
 الضرر بجميع الدول بلا استثناء.
 ونقلت الغارديان عن الوثيقة المسرّبة القول نحن ندفع بهذه
المادة إلى القنوات الإعلامية في المملكة المتحدة، وعلى
سبيل المثال يُث برنامج عبر إحدى إذاعات بي بي سي
يفضح التوتر المتزايد بين قادة القاعدة ومؤيدي التنظيم،
 وسنقوم بتكليف مجموعة عمل محدودة لتوجيه مثل هذه
 الرسائل عبر أجهزة الإعلام ووسائل أخرى.
 وأشارت الصحيفة إلى أن الوثيقة ستسلط الأضواء أيضاً
 على إدانة شخصيات دينية مسلمة لتنظيم القاعدة مثل سيد
إمام الشريف المعروف باسم الدكتور فضل الزعيم السابق
 لتنظيم الجهاد الإسلامي في مصر، والداعية الإسلامي
 السعودي سليمان العودة، الذي كان قد وجّه رسالة مفتوحة
 إلى بن لادن وصف فيها أهداف القاعدة بأنها غير مشروعة
 وغير أخلاقية، وستبرز أيضاً تفاصيل عن الفضاعات، التي
 ارتكبتها تنظيم القاعدة.⁸⁸

5- انكشاف زيف حرية التعبير الغربية
 ذكر تقرير لجنة مجلس لمتابعة القاعدة والطلابان في مايو
 2008 أن:

"اللجنة يمكن أن تنظر في إدراج⁸⁹ مثل هذه
 المنافذ الإعلامية⁹⁰ ومن يقف وراءها من أفراد
 رئيسيين وقائمين بالدعاية، على أساس أن

⁸⁸ صحيفة العرب القطرية- العدد 7381- الأربعاء 27 أغسطس 2008م الموافق 26
 شعبان 1429هـ.

⁸⁹ أي في قائمة اللجنة المذكورة للشخصيات والهيئات التي يجب فرض إجراءات
 الحظر والملاحقة القانونية ضدها.

⁹⁰ ذكر التقارير أسماءها في الصفحة السابقة وهي: مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي
 والجهة الإعلامية الإسلامية العالمية ومركز الفجر للإعلام، واللجان الإعلامية لتنظيم
 القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي ودولة العراق الإسلامية وأنصار السنة، ومنتديات
 الإخلاص والحسبة والبوارق.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/
الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين
أنشطتهم على شبكة الإنترنت تثبت ارتباطهم
بالقاعدة.

.....
ويعتقد الفريق⁹¹ أيضاً أن مجلس الأمن يمكن أن
يدعو الدول الأعضاء إلى اتخاذ تدابير قانونية
وعملية مناسبة لمنع استخدام شبكة الإنترنت
بطرق تنتهك تدابير الجزاءات المفروضة ضد
القاعدة والطالبان ومن يرتبط بهما"⁹².
وطالب السناتور اليهودي المستقل جوزيف ليبرمان -وهو
مستقل ينتمي للمحافظين الجدد، ويرأس لجنة الأمن القومي
والشؤون الحكومية في مجلس الشيوخ- بحذف جميع خطاب
قيادات القاعدة، وأفلام الهجمات على قوات الاحتلال
الأمريكي في العراق، ومواد أخرى اعتبرها تسعى إلى تجنيد
المتعاطفين مع القاعدة وتقديم تدريب على السلاح من
موقع اليوتيوب المملوك لشركة جوجل. وذكر في خطاب
الى رئيس مجلس الإدارة والمدير التنفيذي لشركة "جوجل"
إريك شميدت:

"تنفيذ سياستها الخاصة ضد هذا المحتوى
المسيء، وحذف هذه اللقطات من "يوتيوب"،
ومنعها من الظهور مجدداً".
مشيرا الى أن:

"المنظمات الإرهابية الإسلامية تعتمد اليوم
بشكل واسع على الإنترنت في جذب المؤيدين
ودفع قضيتهم".

وقالت الشركة في بيان على موقع "يوتيوب بلوغ" أنها
تطلب من موظفيها بشكل دائم حذف بعض المواد، التي
تحتوي على "خطاب كراهية أو عنف أو تنتهك المعايير

⁹¹ أي الفريق الذي كتب التقرير.

⁹² الأمم المتحدة (S/2008/324) - مجلس الأمن - 14 مايو 2008 ص: 13.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
الاجتماعية"، غير أنها لن تحذف كل المواد التي طالب
ليبرمان بإلغائها.

وأشار الموقع المذكور إلى حذف "عدد من التسجيلات التي
تصور العنف غير المبرر وتروج له، وتلك المستخدم فيها
تصريحات تحض على الكراهية"، بجانب تلك التي تنتهك قواعد
المجتمع الأمريكي.

إلا أن "يوتيوب" رفض الالتزام الكامل بالطلب لأن بعضاً من
تلك الأشرطة "غير عنيفة بالمعنى القانوني أو لا تحض على
الكراهية"⁹³.

وتقول هنا روجان من مؤسسة أبحاث الدفاع النرويجية؛ أن
المسؤولين عن مكافحة الإرهاب يدور بينهم نقاش حول إغلاق
المواقع الجهادية على شبكة المعلومات أو تركها لمتابعتها،
ويتعلق هذا النقاش أيضاً بالتوازن بين الأمن والحريات
المدنية. وقد صدرت عدة قرارات وتصريحات أخيرة تدعو
لمحاربة الدعاية الجهادية على الإنترنت، فمنها مثلاً قرار
مجلس الأمن 1624 (2005) الذي يدعو إلى أن:
"يحرم بالقانون التحريض على ارتكاب فعل أو
أفعال إرهابية".

وكذلك خطة العمل لاستراتيجية الأمم المتحدة العالمية
لمقاومة الإرهاب (A/RES/60/288) - 2006 التي تدعو الدول
الأعضاء إلى:

"جهود منسقة على المستويين العالمي
والإقليمي لمحاربة الإرهاب بكل أشكاله ومظاهره
على الإنترنت".

وكذلك إعلان قمة الثمانية (G-8) في 16 يوليو 2006 الذي
أكد على التعهد:

⁹³ شبكة الإخلاص الإسلامية/ المنتديات العامة/ منتدى الحدث (قضايا الأمة الإسلامية)-
سيناتور أمريكي يطالب "يوتيوب" بإزالة تسجيلات الشيخ أسامة- أحمد هاجر- 05-21-
2008، سلطان الحريري- 2008-05-21.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/
الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين

"بتطوير وتطبيق استراتيجيات فعالة لمقاومة
الدعاية والتجنيد الإرهابيين"⁹⁴.

ولم يتوقف الأمر عند حجب النشر بل تعداه إلى اعتقال
ومحاكمة وسجن كل من يستطيعون إثبات صلته بالإعلام
الجهادي.

فينقل مارك تريفليان أن الجبهة العالمية الإسلامية
الإعلامية ذكرت في بيان لها تخاطب الحكومات الغربية
وأجهزة أمنها:

"بعد القبض على بعض الإخوة والإخوات -فك
الله أسره- وبعد إزالة منتدى ومدونة الجبهة
العالمية الإسلامية الإعلامية، نقول الآتي: إن الجبهة
العالمية الإسلامية الإعلامية لازالت موجودة،
وستواصل عملها، وللكفار الذين يحاولون أن
يحاربونا، نقول: تستطيعون القيام بما تشاءون،
وقوموا بما تشتهون من اعتقالات... لن تبلغوا
أهدافكم. وسنواصل المسير دائماً حتى ننال النصر
أو الشهادة"⁹⁵.

⁹⁴ Al-Qaeda's online media strategies: From Abu Reuter to Irhabi 007, P: 46.

95

Al Qaeda German mouthpiece resurfaces on the Web.

وممن اعتقلوا على ذمة قضية الجبهة العالمية الإسلامية الإعلامية محمد محمود في
النمسا، وكان ق نشر البيان التالي على شبكة المعلومات:
"بيان من أسير إلي من يهمة الأمر

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَقُومُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ﴾.

أنا الأسير محمد محمود، القابع في السجن ظلماً وعدواناً في
النمسا، لا شئ إلا أن أقول ربي الله، وأرفض الظلم الواقع على أمة
الإسلام.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة

لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات

وتقول هنا روجان من مؤسسة أبحاث الدفاع النرويجية؛ أن

مواطناً كندياً قد ألقى القبض عليه بتهمة انتمائه للجبهة

العالمية الإسلامية الإعلامية⁹⁶.

وتضيف بأن الحالات الأخيرة من المقبوض عليهم في أوروبا

تدل على أن هناك عملاً متصاعداً⁹⁷ قد بُدء الشروع فيه، مثل

القبض على يونس تسولي الذي كان يعرف على الشبكة

أعقلت أنا وزوجتي بعد زواجنا بعشرة أيام بتهمة الإرهاب في القضية المعروفة بإسم الجبهة الإسلامية العالمية... تم إعتقالنا بطريقة وحشية، حيث تم تدمير منزل أهلي وضربي وإهانتني .. في يوم 12/9 / 2007 اقتحمت قوة من القوات الخاصة النمساوية "كويرا" مؤلفة من 30-40 جندي المنزل، حيث تم تفجير باب المنزل وتكسير أبواب الغرف وتكسير محتوياته.. انهال علي الجنود بالضرب والسب، اجتمع علي أكثر من 15 جندي، كبلوني ثم انهالوا علي ضراباً بدون سبب، سبوا الإسلام وسخروا منه.. أما زوجتي التي كانت عند أهلها، فقد اقتحم الجنود المنزل، وكسروا محتوياته، ثم اقتحموا غرفتها حيث كانت نائمة.. كشفوا عنها غطاءها.. وأجبروها علي الوقوف أمامهم لأكثر من 20 دقيقة مصوبين أسلحتهم عليها، بدون السماح لها بأن تستر جسدها وتلبس حجابها... منذ الاعتقال تم تعذيبنا بأشيع الأساليب... حيث مُنعنا من النوم في العشرة أيام الأولى إلا نادراً.. حيث كان الجنود يمررون علينا في فترات متفاوتة، كل ساعة أكثر مرة من مرة، ويدخلون زنزانتنا، ويجبرونا علي الوقوف أمامهم، حتى لا ننام... وفي الصباح يتم استدعاؤنا للتحقيق.. طبعاً كل علي حدة.

في إحدى الأيام دخل الحارس ليلاً ، كنت أصلي.. أمرني بقطع صلاتي، فلم أستجيب له.. حيث قام بسحبي بقوة من شعري، ثم نهال علي ضراباً بعصاة، ثم رطمني تجاه الحائط حتى سال الدم من أنفي.. أما زوجتي كانوا يدخلون عليها، ويأمرونها أن تخلع حجابها.. فحينما ترفض يهدوننها، ويسخرون منها ومن الإسلام... أحد الجنود قام بضربها ودفعها أرضاً بدون أي سبب.. حيث كانت حامل في شهرها الثالث، وأسقطت حملها، ولم يتحمل جسدها كل هذا التعذيب، قتلوا طفلنا قبل ولادته... كثيراً ما كانوا يتعمدون سب الله ورسوله، وهم واقفون خلف الزنزانة لاستفزازنا، وعندما يتم إحضارنا للمحاكمي أو الزيارة يتم تفتيشنا بطريقة مهينة للغاية.. حيث نجبر علي الوقوف أمامهم عراة كما ولدتنا أمهاتنا حتى يفتشونها.. أثناء التفتيش نجبر علي إظهار الأعضاء التناسلية، حيث يتعمد الجنود إهانتنا بتفتيشها.. وعندما رفضت زوجتي كل هذه الإهانة، قامت الكومندون بتهديدها، بأنها إذ لم تستجب للتفتيش فإنهم سيحضرون جنوداً رجالاً، ليفتشوها ويخلعوا عنها ثيابها بالعنف.. عوملنا بعنصرية وعداوة لم يسبق لها مثيل.. منعنا من المشاركة في الأعياد

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/
الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين
بلقب (إرهابي 007)، والذين أدين في يوليو 2007⁹⁸
بالتحريض على القيام بأعمال إرهابية، وكذلك خمسة
بريطانيين أدينوا في نفس الشهر لتزليل والمشاركة في مواد
متطرفة تتعلق بالإرهاب.

وكذلك فإن معظم المواقع الجهادية تعمل عبر موفري
خدمة إنترنت (IPSS) غربيين وخاصة من الولايات المتحدة،
الذين كثيراً ما يكونون غير مدركين لطبيعة عملاتهم ولا

مثل باقي المساجين المسلمين، ووضعوني مع معتصبي الأطفال عمداً
حتى يحطوني ويؤذوني... قال لي المحققون بأنهم اعتقلوا زوجتي حتى
أعترف، لأنهم يعرفون أن أهم شيء للمسلم هو عرضه، كما يقولون،
ولذلك إذا أنا أردت أن أوقف إنتهاك عرضي فعلي أن أعترف.. أول يوم
وضعوني في غرفة ودخل علي 7 جنود من ضمنهم أربعة نساء.. كيلوني
وضربوني، ثم عروني من ثيابي وجلسوا يضحكون، وهم يقولون: "نحن
نعرف أكثر شيء يهينكم أيها الملاعين المسلمين".

كتبنا خطابات ورسائل لأكثر من جهة ووزارة، كل ما طلبناه هو
معاملتنا مثل باقي المساجين واحترام ديننا لا أكثر... بل زادوا في
تعذيبهم وأذيتهم.. حيث كانت المأمورة تتفنن في تعذيب زوجتي وإهانتها
وتحطيم معنوياتها.. كانوا يتفننون في أساليب التعذيب والإهانة في
فترة كانت زوجتي مريضة بالحمى.. طبعاً استغلوا هذه الفرصة، أجبرتها
المأمورة على الوقوف في العراء في الثلج في فناء السجن حيث درجة
الحرارة 10 تحت الصفر لأكثر من ساعتين، كانت علي وشك الموت
لأكثر من مرة، كانوا يتفننون في تعذيبنا بعد ستة أشهر بدأت المحاكمة
المزعومة.. ومنذ اليوم الأول قام القاضي بطرد زوجتي من المحكمة،
وحرمها من الدفاع عن نفسها بسبب رفضها نزع النقاب وحجابها.. أما
المحكمة فقد كانت محاكمة الإسلام في شخصنا، حيث زعم المدعي
بأن الجهاد هو الإرهاب، وأن الشهادة معناها قتل الأبرياء وتفجير
الأسواق... جريمتنا أننا نرفض احتلال بلاد المسلمين، ونقول أن من حق
شعب أن يقاوم احتلال بلاده.. جريمتنا أننا نناصر مقاومة الاحتلال
الأمريكي للعراق، ونقف مع المستضعفين في فلسطين والعراق
وأفغانستان... أثناء جلسة المحكمة كان القاضي يقرأ نصوصاً من
القرآن وأحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- ثم يسألني بخصوص
هذه النصوص، وهل أومن بها؟ ويستخدمها إدانة.

في آخر جلسات المحاكمة قام القاضي بسبب الحجاب والنقاب
الشرعي، ووصفه باحتقار بالخرقة.. رفض القاضي السماح لنا بعرض
أدلة إثبات براءتنا، ورفض حضور مختصين الكمبيوتر للشهادة.. باختصار
رفض أي دليل قد يفضي إلي كشف زيف إدعاءاتهم وكذبهم، ومع ذلك
فلقد شهد 9 من الشهود أمام المحكمة بحقنا وبرائتنا، ومن ضمن هؤلاء
الشهود شاهدين أكداً أمام المحكمة بأنهم أجبروا على الشهادة من قبل

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
لمحتوى الموقع، وبملك موفرو خدمة الإنترنت الصلاحية
القانونية لإزالة المواقع التي تخالف القانون، أو تنتهك
تعليماتهم، ولذا فإن السياسة المفضلة لدى بعض من يقاوم
الإرهاب هو بإخطار هؤلاء الموفرين لخدمة الإنترنت عن هذه
المواقع الجهادية التي يستضيفونها. وخلال صيف 2007
قامت بعض المبادرات الخاصة (بحملة إخطار) نتجت عن
إغلاق حفنة من المواقع الجهادية⁹⁹.
ومن الفقرات السابقة يتضح مدى النفاق الغربي
والازدواجية في معاييرها، فنشر صور قصف بغداد
وأفغانستان، ودعوة بوش وبلير لغزو أفغانستان، ثم دعوتها

المخابرات على أقوال ضدنا أثناء التحقيقات وأكدوا براءتنا.. كما شهد
أكثر من شخص بأني لم أكن موجوداً في المنزل يوم نشر الشريط
التهديد، ولكن القاضي ضرب بكل هذا عرض الحائط، وحُكم علينا
بالسجن.. فحُكم علي بأربع سنوات، وعلى زوجتي ب 22 شهراً، هذا
بعد حرماننا من أبسط حقوقنا؛ الدفاع عن أنفسنا. أثناء المحاكمة قام
القاضي بعرض شريط ذبح الرهينة الأمريكي في العراق، وذلك للتأثير
على المحلفين عاطفياً... برغم عدم وجود أي رابط بيننا وبين ذبح
الأمريكي.. فلا نحن من أصدر هذا الشريط، ولا نحن من ذبحناه، ولا نحن
من عرضنا هذا الشريط، بل هم من عرضوا هذا الشريط.. وفي آخر يوم
للمحاكمة انهال علي الحراس بالضرب المبرح أمام القاضي وهيئة
المحكمة وأمام وسائل الإعلام المختلفة بدون أدنى سبب، وقد نقلت
وسائل الإعلام بعض لقطات من هذا الظلم.

محمد محمود

رقم السجين 86023

مدينة يوسف Josefstadt". [من يعرف عن قضية الجبهة الإسلامية
العالمية؟].

⁹⁶ Al-Qaeda's online media strategies: From Abu Reuter to Irhabi 007, p: 57.

⁹⁷ تقصد عملاً ضد ما تسميه: الدعاية الجهادية على الإنترنت.

⁹⁸ حكم على يونس تسولي بست عشرة سنة سجناً، وأدين معه كل من وسيم مغل
وطارق الداور. لمزيد من التفاصيل عن قضيتهم راجع:

- Al-Qaeda's 'British propagandists.

- Al-Qaeda's 007, The extraordinary story of the solitary computer geek in a
Shepherds Bush bedsit who became the world's most wanted cyber-jihadis.

- إرهابي 007 من هو... كتاباته... إنجازاته... ادخل لتعرف.

⁹⁹ Al-Qaeda's online media strategies: From Abu Reuter to Irhabi 007, P: 47.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/

الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين

لغزو العراق بناء على أكاذيب تافهة، وإدلاء وزير خارجية أمريكا في مجلس الأمن ببيان كاذب مفترى عن أسلحة العراق للدمار الشامل وصله القاعدة به، وأفلام الجنود الأمريكيين عن قتالهم في أفغانستان والعراق، وتعذيبهم للمساجين فيه، ونشر صور معتقلي جواتانامو، ونشر صور العدوان الرهيب على غزة في ديسمبر 2008 ويناير 2009، والدفاع عن إسرائيل على لسان بوش وأوباما وقادة الغرب، وأن ما قاموا به في غزة إنما هو للدفاع عن النفس، كل هذا ليس جريمة، ونشره وتوزيعه على أوسع نطاق على وسائل الإعلام الدولية الواسعة الانتشار ليس تآمراً على القتل والإرهاب، ولا تحريضاً عليه. ولكن أن ينشر مسلم أفلاماً أوصوراً أو أخباراً عما يقوم به المجاهدون في أفغانستان والعراق، فهذه جريمة كبرى لا بد من معاقبة فاعلها عقاباً يجعله عبرة لغيره.

وإرسال أمريكا وبريطانيا وحليفتيهما الغربيات لعشرات الألوف من الجنود للعراق وأفغانستان، وإمدادهما لإسرائيل بالمؤن والذخائر والأسلحة والدبابات والقنابل الذرية، كل هذا ليس تحريضاً على القتل ولا شروعاً فيه ولا ممارسة له، ولا يستحق أي تجريم أو تحريم أو عقاب، بل غالباً ما يستدعي الشكر والثناء. أما دعوة أي مسلم لإخوانه لصد العدوان عن إخوانهم المسلمين في العراق وأفغانستان والشيشان وفلسطين وغيرها فهو جريمة الجرائم، التي يجب أن تقمع وتمنع وتُدفع ويعاقب عليها بأشد العقوبات.

إن الغرب الصليبي هنا يكشف عن سوايتين بشعتين:

الأولى: هي فوقيته في النظر لسائر بني البشر، وأن أهل الغرب يرون أنفسهم جنساً آخر، لا يجب أن يتساوى مع بقية الآدميين، فما هو حلال لهم، حرام على غيرهم حتى لو قاموا بجزء من الألف بل من المليون مما يقوم به أهل الغرب. وذلك أنهم يعتبرون أن الحرية هي حريتهم هم في أن يفعلوا

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات
بالآخرين ما يشاؤون، والديمقراطية هي حق أغليبتهم في
تقرير مصائر الآخرين، وأن هذه وأمثالها ممتلكات غربية لا
يسمح لغيرهم بأن يشارك فيها إلا لمصلحتهم أو بالقدر الذي
يسمحون له به.

الثانية: أن حرية النشر والتعبير -التي يتشدد بها الغرب
زوراً- قد انكشفت وافتضحت وتعرت، وأصبحت مسخرة
ومهزلة، وكل ذلك تم -بفضل الله وحده- على أيدي أهل
الجهاد والرباط والتوحيد. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الخامس:
كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً؟

الفرع الخامس:

كيف يخطط الصليبيون لحرب
المجاهدين فكراً؟

□ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ
قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ لِلَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ ابْتِغَاءَ هَوَاءِهِمْ بَعْدَ
الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا
تَصِيرَ □.

□ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ
وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ
عُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا
يَفْتَرُونَ □.

چا ہے تو کرے کعبہ کو آتش کدہ فارس

چا

ہے تو کرے اس میں فرنگی حسر آباد
قرآن بازیچہ تاویل بناکر

چا ہے تو

خود ایک تازہ شریعت کرے ایجاد¹⁰⁰

¹⁰⁰ الشعر لشاعر الإسلام العلامة محمد إقبال رحمه الله. وترجمته:
يريدون أن يجعلوا الكعبة بيت نار فارس
يريدون أن يجعلوها بيت أصنام الإفرنج
يجعلون القرآن لعبة التأويل

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات

أتناول في هذا الفرع أمثلة للحرب الفكرية التي يشنها الصليبيون ومؤسساتهم وباحثوهم على المجاهدين خاصة والمسلمين عامة. والتي زادت وتضاعفت وتيرتها بصورة متعاضمة بعد الغزوات المباركات في نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا.

وتؤكد تشريل بينارد¹⁰¹ على:

"أن فكرة -أن العالم الخارجي لا بد أن يحاول تشجيع تفسير وعرض حدائثي وديمقراطي للإسلام- كانت رائجة لعدة عقود، ولكنها اكتسبت إلحاحاً ضخماً بعد 11 سبتمبر 2001"¹⁰².

وسأقسم الكلام للمباحث الآتية:

- 1- المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية.
- 2- المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب.
- 3- المبحث الثالث: الضحالة الفكرية والعلمية.
- 4- المبحث الرابع: ضرورة المواجهة الفكرية لحملة التضليل الصليبية.
- 5- المبحث الخامس: التنبيه للجانب السياسي والعسكري لحرب الصليبيين الفكرية.

يريدون إيجاد شريعة جديدة

¹⁰¹ تشريل بينارد كانت مديرة للبحث في معهد بولتزمان في النمسا، وهي مستشارة في مؤسسة راند بواشنطن، وهي أيضاً زوجة زلماي خليل زادة الأفغاني المهاجر لأمريكا، والذي التصق بالمحافظين الجدد، وكان يعد أحد رجال بول وولفيتز، وكان عضواً بمجلس الأمن القومي تحت رئاسة كوندليزا رايس، وقد عينه بوش سفيراً لأمريكا في أفغانستان ثم في العراق ثم في الأمم المتحدة. ولمزيد من التفاصيل حول تشريل بينارد وزوجها وكتابها عن الإسلام الديمقراطي المدني وأثره على السياسة الأمريكية يمكن مراجعة الحوار مع الدكتور عبد الله النفيسي في برنامج بلا حدود بقناة الجزيرة يوم 23 / 6 / 2004.

¹⁰² CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 1.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية

المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية

إِذْ يَقُولُ الْمُتَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ
وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِجِوَانِهِمْ إِذْ
صَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا
لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

"لكي نكسب هذا الصراع، فلا بد في
النهاية من إقناع المسلمين-بالبراهين أو
باستخدام القوة- أن الأفكار الإسلامية
الاستبدادية وخيمة العواقب"¹⁰³.

سأحاول في هذا المبحث بعون الله أن أستعرض في إيجاز
بعض الأمثلة للحملة الصليبية الفكرية في محاربة العقيدة
الجهادية. وأقسم الكلام فيه تحت العناوين التالية:

- 1- تمهيد.
- 2- ماذا يقصد الغرب بالمتشددين والسلفيين والأصوليين؟
- 3- ماذا يقصد الغرب بالمعتدلين؟

¹⁰³ الكلام لجيمس فيليبس من محاضرة بعنوان (The Evolving Al-Qaeda Threat, p:). (10)

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

- 4- تشجيع ودعم من يسمون بالمعتدلين.
- 5- الحرب ضد الجهاد يجب أن يقوم بها المنتسبون للإسلام من الزعماء والعلماء.
- 6- إنشاء إسلام لين مهادن أجدى من المواجهة الصريحة مع الإسلام.

- 1- تمهيد.
يدرك الغرب الصليبي أن معركته مع المسلمين معركة عقائدية بالأساس، ولذا فإن الكتاب والمخططين الغربيين يولون أهمية قصوى لحرب العقائد والأفكار، ويدعون إلى محاولة تغيير عقائد المسلمين لتتماشى مع عقائد الغرب وأطماعه ومصالحه.
فقدت أكدت وزارة الدفاع الأمريكية في تقريرها لمراجعة الدفاع الربع سنوي؛ أن الولايات المتحدة ضالعة في " معركة بالأسلحة وأخرى بالأفكار"، وأن النصر النهائي فيها سيحرز فقط " عندما تُنبد العقيدة الجهادية في أعين جماهيرها الداعمة وأنصارها الصامتين"¹⁰⁴.
ويقول تقرير الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر:

"عدونا مزدوج: القاعدة وهي شبكة بلا دولة من الإرهابيين، التي ضربتنا في 11/9، وحركة أصولية عقائدية في العالم الإسلامي، تستلهم جزئياً من القاعدة، التي تفرخ المجموعات الإرهابية والعنف عبر العالم.
أما العدو الأول فقد أضعف، ولكن يستمر مشكلاً تهديداً خطيراً. والعدو الثاني يتجمع، وسيهدد

¹⁰⁴ U.S. Department of Defense, *Quadrennial Defense Review Report*, February 6, 2006, pp. 21-22.

نقلته عن: BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: xv & xvi.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرباً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
الأمريكان والمصالح الأمريكية طويلاً بعد قتل أو
القبض على بن لادن وجماعته.
ولذا فإن استراتيجيتنا لا بد أن تتفق مع وسائلنا
على طرفين: تفكيك شبكة القاعدة، والانتصار - في
المدى الأبعد - على العقيدة التي أنتجت الإرهاب
الإسلامي " 105 .
ويذكر نفس التقرير أيضاً:
" باختصار فإن على الولايات المتحدة أن تساعد
في هزيمة عقيدة، وليس مجموعة من الأشخاص،
كيف يمكن للولايات المتحدة وأصدقائها أن
يساعدوا المسلمين المعتدلين في مواجهة الأفكار
المتطرفة؟
توصية: على الولايات المتحدة أن تحدد ما هي
الرسالة؟ وماذا تؤيد؟
لا بد أن نقدم مثلاً للريادة الأخلاقية في العالم،
بالعزم على معاملة الناس بإنسانية، والالتزام بحكم
القانون وأن نكون كراماً مع جيراننا.
ويمكن لأمريكا وأصدقائها المسلمين أن يتفوقوا
على احترام الكرامة الإنسانية والفرصة.
وبالنسبة للآباء المسلمين فالإرهابيون مثل بن
لادن ليس لديهم ما يقدمونه لأطفالهم إلا رؤى من
العنف والموت. ولكن أمريكا وأصدقائها لديهم
ميزة حاسمة، فنحن نستطيع أن نوفر لهؤلاء الآباء
رؤية قد توفر لأطفالهم مستقبلاً أفضل. لو أننا
انتبهنا لآراء الزعماء عميقي التفكير في العالم
العربي والإسلامي فيمكن أن يتحقق إجماع
معتدل " 106 .

¹⁰⁵ 9/ 11 COMMISSION REPORT P: 363.

¹⁰⁶ 9/ 11 COMMISSION REPORT P: 376.

وألفت نظر القارئ إلى النفاق الظاهر في العبارات الآتية، حيث يصر الأمريكيان على أنهم أهل للريادة الأخلاقية للعالم متناسين مدى الجرائم والإفساد الذين مارسوهم في حق البشرية عامة وفي حق المسلمين خاصة. وكأنهم أحسوا بعدم مصداقية عباراتهم فأشاروا عقب ذلك إلى أن السياسة الخارجية الأمريكية جزء من الرسالة، التي أشاروا إليها من قبل، وأن اختيارات السياسة الأمريكية لها تبعاتها، وبغض النظر عن صحة وصواب تلك السياسة فإن سياسة أمريكا تجاه الصراع العربي الإسرائيلي وأعمالها في العراق هي جزء أساسي من النقاش العام في العالم العربي والإسلامي¹⁰⁷.

أما إنجل راباسا وزملاؤها من مؤسسة راند فيذكرون أن؛ الصراع الجاري الآن في معظم العالم الإسلامي هو أساساً حرب للأفكار، وأن حاصله سيؤثر على مستقبل العالم الإسلامي وعلى استمرار تهديد الإرهاب الإسلامي وكذلك سيؤثر بقوة على أمن الغرب¹⁰⁸.
ويذكر روهان جواناراتنا¹⁰⁹ أن:

"التهديد الإرهابي اليوم قد تعدى الشخص والمجموعة إلى العقيدة. وحتى لو قتل أو قبض على بن لادن أو استراتيجيه الرئيسي أيمن الظواهري فإن التهديد الإرهابي لن يقل. وحتى لو دمرت القاعدة تماماً فإن التهديد الإرهابي سيستمر.

¹⁰⁷ 9/ 11 COMMISSION REPORT P: 376 & 377.

¹⁰⁸ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: iii.

¹⁰⁹ روهان جواناراتنا هو رئيس المركز الدولي لبحث العنف السياسي والإرهاب في معهد الدفاع والدراسات الاستراتيجية في سنغافورة، وزميل أكبر في مركز مكافحة الإرهاب التابع للجيش الأمريكي. وهو صاحب كتاب (داخل القاعدة)، الذي ذكر فيه أن خصوم الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله- المصريين يعتقد أنهم قد قتلوه، ونقل عنه هذه الكذبة تقرير الكونجرس عن الحادي عشر من سبتمبر، كما سيأتي إن شاء الله.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً /

المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية

لقد استطاعت القاعدة بطرق عديدة أن تكمل مهمتها بأن تكون الطليعة أو رأس حربة الحركات الإسلامية، التي تطلع إليها عزام. وقبل أن تموت ستكون قد ألهمت جيلاً من المجموعات الحالية، وأوضحت الطريق لجيل ناشئ منها.

ولذا فإنه من اللازم تطوير استراتيجية حقيقية متعددة المستويات لتواجه الطبيعة المتعددة الأبعاد للإسلاميين العنيفين. وبدلاً من استهداف الخلايا الإرهابية المحددة تكتيكياً فإنه من الضروري منع تكون الإرهابيين استراتيجياً.

إن كتلة الدول ذات النفوذ في الغرب لا بد أن تعمل مع البلاد الإسلامية - بحكوماتها ومنظماتها الغير حكومية - لاستهداف العقيدة، التي تصنع الإرهابي.

لا بد من توجيه رسالة؛ أن القاعدة ومنظماتها المشاركة لها ليست منظمات قرآنية، وأنها تمثل نسخة فاسدة من الإسلام، عن طريق إساءة تفسير وإساءة تمثيل القرآن والنصوص الأخرى. ولا يمكن أن يقل التهديد الإرهابي الحالي والناشئ إلا بمجابهة اعتقاد (أن المسلم الصالح يجب أن يجاهد¹¹⁰).

¹¹⁰ أي أنه يطالب بإسقاط ومحاربة فرضية الجهاد العينية في هذا الزمان ضد الغزاة الكفار المحتلين لديار الإسلام، حتى تنعم هذه القوات الغازية بالأمن والسلامة، وتستمر في سرقة ثروات المسلمين وتقسيم أراضيهم وتوسيع رقعة إسرائيل. ومن هنا يتبين المقصد الخبيث وراء تلك البحوث وأولئك الباحثين. ورغم أن كل أمم الأرض تعتبر أن مقاومة الغازي المعتدي حق طبيعي، إلا إن هذا الحق محرم على المسلمين، لأن البحث المسمى بالعلمي والإعلام والدعاية كلهم يعملون ضمن منظومة الحملة الصليبية ضد الإسلام والمسلمين. ثم يزيد الأمر وضوحاً بذكره أن التهديد الإرهابي الحالي والقادم لن يقل إلا بمحاربة هذه الفرضية العينية. أي باستسلام الأمة المسلمة للغزو الصليبي اليهودي، وحينئذ يصبح المسلمون معتدلين برئين من تهمة الإرهاب، أما إذا قاوموا فهم إرهابيون.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

ولأن القاعدة تتكيف دائماً مع الواقع الأمني المتغير، وتحور من تركيبها، فإن مفتاح هزيمة القاعدة وتقليل التهديد الإرهابي هو تطوير استراتيجيات متعددة الجنسيات والتشريعات والمنظمات لمواجهة هذه العقيدة"¹¹¹.

وتقسم تشربل بينارد المسلمين إلى: أصوليين وتقليديين وحدثيين وعلمانيين، ثم تقول:

"لكي يشجعوا التغيير الإيجابي في العالم الإسلام-تجاه ديمقراطية أكثر وحدانية وتوافق مع نظام العالم الدولي المعاصر"¹¹² فإن الولايات والغرب يحتاجون لأن يحددوا بعناية شديدة أي العناصر والاتجاهات والقوى داخل الإسلام ينوون أن يقووها"¹¹³.

ثم تقدم خطة لجعل العالم الإسلامي أكثر ديمقراطية وحدانية وتوافقاً مع الغرب، تلخصها فيما يلي:

"* شجع الحدثيين أولاً"¹¹⁴.

- انشر ووزع أعمالهم بأثمان مدعومة"¹¹⁵.

¹¹¹ The Post-Madrid Face of Al Qaeda, p: 99 & 100.

¹¹² ألفت انتباه القارئ لما ذكرته الكاتبة من أن أحد أهم أهداف أمريكا في مهاجمة الإسلام هو جعل العالم الإسلامي أكثر توافقاً مع النظام الدولي المعاصر، أي بعبارة أوضح: أكثر استسلاماً للقوى الحاكمة في العالم، وعلى رأسها أمريكا. وساتناول هذا الهدف بشيء من التفصيل في المبحث الخامس -إن شاء الله- بعنوان (التنبه للجانب السياسي والعسكري لحرب الصليبيين الفكرية).

¹¹³ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: x.

وللدكتور عبد الله النفيسي تعليق جيد على هذا الكتاب في برنامج (بلا حدود) بقناة الجزيرة يوم 23 / 6 / 2004.

¹¹⁴ لاحظ أنها زعمت أن هذه الخطة تهدف -من ضمن أهدافها- لجعل العالم الإسلامي أكثر ديمقراطية، رغم أنها اعترفت قبيل ذلك بأسطر بأن الحدثيين والعلمانيين لا شعبية لهم في العالم الإسلامي، رغم أنها تعتبرهم حلفاء الغرب الأقرب له، الذي يجب عليه دعمهم، أي أنها تطالب بدعم الأقلية ضد الأغلبية، وهذا يهدم ويفضح ويناقض دعوتها للديمقراطية، وهذا التناقض في الفكر الغربي المعاصر يتكرر كثيراً، حتى يكاد أن يكون سمة من سماته، وسوف أتعرض بإذن الله لهذه النقطة بتفصيل أكثر إن شاء الله، ولكنني هنا أكتفي بالتنبيه على تناقض دعاة الديمقراطية والحدثانية أولئك.¹¹⁵

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
- شجعهم على أن يكتبوا لجماهير القراء
واللشباب.
- أدخل آرائهم في مناهج التعليم الإسلامي¹¹⁶.
- وفر لهم منصة جماهيرية¹¹⁷.
- اجعل آرائهم وأحكامهم المتعلقة بالأسئلة
الأساسية في التفسير الديني متوفرة لعامة

¹¹⁶ يلاحظ هنا تحريضها للغرب على تغيير مناهج التعليم في العالم الإسلامي، وحشوها
بآراء الحداثيين أولياء الغرب.

وفي هذا الصدد يقول الأستاذ محمد قطب حفظه الله:
"من كل الجوانب إذن كان لا بد للغازي الصليبي أن يبدأ عمله -بعد
استتباب أوضاعه العسكرية- بتنحية الشريعة الإسلامية عن الحكم..
ولكن هذه الخطوة وحدها لم تكن لتكفي..
فما الذي يمنع المسلمين من محاولة العودة إلى الشريعة؟

.....
لا بد من تنفيرهم من الشريعة بحيث لا يفكرون في العودة أبداً

.....
وذلك الذي خطط له الغزو الصليبي عن طريق "الغزو الفكري" بدءاً
بمناهج التعليم، ومروراً بوسائل الإعلام.
وضعت مناهج تعليمية "علمانية" بدلا من المناهج الدينية التي كانت
تعلم الناس أن الإسلام هو الأصل في حياة المسلمين، وأنه من لم يحكم
بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون..
وحقيقة أن "التعليم الديني" الذي كان قائما يومئذ لم يكن هو
الصورة الصحيحة للتعليم الديني كما ينبغي أن يكون، ولم يكن يخترج
المسلم الحق الذي يعرف حقيقة دينه ويمارسه على وعي وبصيرة، كما
أنه كان خلواً من العلوم الكونية التي كانت تشكل جزءاً أساسياً منه يوم
كان المسلمون في الأندلس وغيرها من بلاد الإسلام هم المتعلمين حقا
في الأرض، وهم سادة الأرض..

.....
وفي تلك المناهج العلمانية لم يكن هناك مجال للعلوم الشرعية،
ولكن هناك حصة دين بئسة توضع في آخر الجدول المدرسي، والتلاميذ
يبتاعون من رغبة النعاس وإجهاد الدراسة اليوم بطوله، ويتظنون دق
الجرس لينفلتوا من القيد، ويخرجوا إلى الطريق. ويندب لها من
المدرسين أكبرهم سنا وأعجزهم عن النشاط والحركة وأدناهم إلى
الفناء. والدرس ذاته عبارة عن نصوص تستظهر دون اهتمام بشرح
معانيها وإحيائها في القلوب لتحريك الوجدان الديني في نفوس التلاميذ
وربط قلوبهم بالله سبحانه وتعالى برباط متين.. ولن تكون نتيجة ذلك
الدرس تعلق الصغار بدينهم، بل الأحرى تنفيرهم منه وإبعادهم عنه..

الجمهور، في تنافس مع تلك التي للأصوليين والتقليديين، الذين لديهم مواقع على الشبكة ودور نشر ومداراس ومعاهد ووسائل أخرى كثيرة لنشر أفكارهم.

وفي درس التاريخ الإسلامي بالذات جرعة أخرى من السم تبعد
الدارسين عن الإسلام وتلوي أعناقهم إلى الغرب ثم تستعيدهم له..
فبعد دراسة البعثة المحمدية يختصر التاريخ الإسلامي إلى جانبه
السياسي وحده -وهو الذي وقع فيه أشد الانحراف في حياة المسلمين-
ويطمس على الجانب العقدي، والجانب الحضاري، والجانب العلمي،
والجانب الاجتماعي، وكيف فتح المسلمون البلاد لا للاستغلال الاقتصادي
أو شهوة الغلبة والفتح ولكن لنشر الدعوة وإزالة الجهالة وتحويل البلاد
إلى الأخوة الإيمانية والسماحة الدينية.. وكان تاريخ المسلمين كله لم
يكن إلا صراعات على الحكم وشهوة السلطان! فإذا قُرِعَ التاريخ
الإسلامي من محتواه المشرق الحي، وركز على انحرافات ذلك التاريخ
وحدها، ووجه الطلاب إلى تاريخ أوروبا.. فركز على التقدم العلمي
والحضاري وعلى الديمقراطية وحقوق الإنسان، وطمس على
الاستعمار وجرائمه البشعة، وإذلال الشعوب واستلاب خيراتها، وطمس
على التحلل الخلقي والروح المادية الصلدة والفساد العقدي وتقطع
روابط الأسرة والمجتمع.. فتكون نتيجة تلك الدراسة بذور النفور
من التاريخ الإسلامي، وعدم التعلق بأمجاده، وعدم الاعتزاز به، والتوجه
في الوقت ذاته إلى الغرب والتعلق به ومحاولة اللحاق به، أو بالأحرى
اللهاث وراءه..

.....
بل دُرس في المدارس العلمانية ما هو أسوأ من ذلك!
درس للطلاب في درس الجغرافيا أن بلاد العالم الإسلامي متخلفة
بسبب حرارة الجو التي تدعو إلى الكسل والخمول بينما الجو البارد في
أوروبا يبعث على النشاط والحركة. ومتخلفة لأنها زراعية لا يوجد فيها
فحم ولا حديد، بينما أوروبا متقدمة لوجود الصناعة فيها بسبب وجود
الفحم والحديد! ومؤدى ذلك أن التخلف لعنة أبدية مكتوبة على العالم
الإسلامي، بسبب ظروف القاهرة لا يد للإنسان فيها مهما حاول!

.....
ثم.. لما كبر التلاميذ، وصاروا طلاباً في المدارس الثانوية وفي
التعليم العالي دُرس لهم ما هو أسوأ من ذلك!
درس لهم أن أوروبا كانت تعيش في الظلمات بسبب سيطرة الدين
على حياتها، وأنها لم تتقدم ولم تتحضر إلا بعد أن نبذت دينها.. وأن
الواقع السييء الذي يعيشه المسلمون اليوم هو بسبب الدين الذي

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
 المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
 - ضع العلمانية والحدثة كخيار ثقافي مضاد أمام
 الشباب الساخط¹¹⁸.
 - يسر وشجع الوعي بتاريخهم وثقافتهم قبل
 الإسلام والمخالفة له¹¹⁹ في الإعلام والمناهج
 بالدول المناسبة.

يتمثل فيه الجهل والخرافة، وأنهم لن يتقدموا ويتحذروا إلا حين يفعلون
 كما فعلت أوروبا، فينبذون دينهم، ويتحررون من أغلاله..
 وما أصدق المقولة الأولى، وما أكذب الثانية!

ويجيء في هذا الصدد كلام الأب زويمر في مؤتمر القدس التنصيري
 عام 1935م، حيث كان عدد من المنصرين قد شكوا من الفشل الذريع
 في تنصير المسلمين على الرغم من كل الجهود المبذولة في ذلك، فرد
 عليهم زويمر مبيناً أن الهدف ليس تنصير المسلمين، وإنما هو صرف
 المسلمين عن التمسك بالإسلام، وإن المنصرين نجحوا في ذلك نجاحاً
 باهراً، بفضل المدارس التنصيرية، ومناهج التعليم التي وضعها
 المنصرون للبلاد الإسلامية". [العلمانيون والإسلام ص: 90 إلى 95].

117 مثل الصحف والقنوات الفضائية المدعومة من أمريكا.
 118 وهذا يوضح البعد الأمريكي لكثير من الدعوات العلمانية والحدثة.
 119 يقول العلامة محمود شاكر رحمه الله عن نشأة هذا المخطط المعادي للإسلام في
 مصر:

"ومضت الأيام والسنون، حتى جاء الاحتلال الإنجليزي في ثاني ذي القعدة سنة
 1299هـ (15 سبتمبر 1882م)، وبدأ يرسخ قدميه في البلاد، وبعد قليل رأى الحزب
 الذي أنشأه الاستشراق الفرنسي غالباً على جمهور طلبة المدارس، فبدأ الاستشراق
 الإنجليزي يدمر كل ما أنشأه الفرنسي من مدارس وبهشمتها، فلما استقرت أقدام
 الاحتلال الإنجليزي في مصر، رأى الاستشراق الإنجليزي أن يبدأ في تكوين حزب قوي
 يناصره عن طريق التحكم في التعليم، فأسند أمر التعليم إلى قسيس مبشر عات
 خيبت هو (دنلوب).

وجاء (الاستشراق الإنجليزي) ليحدث في ثقافة الأمة المصرية صدعاً متفاقماً أخبت
 وأعتى من الصدع الذي أحدثه (الاستشراق الفرنسي)، ووضع دنلوب أسس (التفريع)
 الكامل لطلبة المدارس المصرية، أي تفريع الطلبة من ماضيها المتدفق في دمايتها
 مرتبطاً بالعربية والإسلام، ومهد إلى ملئه بماض آخر باند في القدم والغموض، لم يبق
 من ثقافته شيء البتة، ليزاحم هذا الماضي الفارغ بقايا الماضي المتدفق الحي الذي
 يوشك أن يتمزق ويختنق بالتفريع المتواصل، ويجعل أجيال طلبة المدارس في حيرة
 مدمرة بين انتمائين، بين الانتماء إلى الثقافة العربية الإسلامية الواضحة في كتب
 أسلافهم، وبين الانتماء إلى الفرعونية التي بادت وبادت ثقافتها، ولم يبق منها إلا أطلال

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

- ادعم تطور المنظمات المدنية المستقلة، حتى
تدفع الثقافة المدنية، وتوفر مساحة للمواطنين
العاديين ليعلموا أنفسهم حول العملية السياسية،
وبيّنوا آراءهم.
* ساند التقليديين ضد الأصوليين.

- روح نقد التقليديين لعنف وتطرف
الأصوليين¹²⁰.

- ثبط التحالفات بين التقليديين والأصوليين.
- شجع التعاون بين الحداثيين والتقليديين
القريبين منهم.

- علم التقليديين - عندما يكون مناسباً - لترقي
قدرتهم على الجدل مع الأصوليين
- زد من حضور ومكانة الحداثيين في مؤسسات
التقليديين.

- فرق ما بين قطاعات التقليديين المختلفة.
وشجع من لديهم القابلية للحدثة، مثل المذهب
الحنفي¹²¹ في مقابل الآخرين. وشجعهم على

من الحجارة، مهما بلغت في العظمة والجلال، فهي فارغة من ثقافة حية تتدفق في
القلوب والعقول والألسنة، إنما هي آثار، لا تعني شيئاً، ولا تؤتي ثمرة.
وأيضاً فإن هذا التفرغ سوف ينشئ أجيالاً من (تلاميذ المدارس) تنتهك علاقتها التي
تربطها بثقافتها العربية والإسلامية اجتماعياً وثقافياً ولغوياً، حتى يتم تفرغها تفرغاً
كاملاً من ماضيهم كله، ثم يملأ هذا الفراغ علوم وأداب وفنون لا علاقة لها بماضيهم،
وإنما هي علوم الغزاة، وفنون الغزاة، وأداب الغزاة، وتاريخ الغزاة، ولغات الغزاة. ومع
كل ذلك، فإن هذا القدر من العلوم والفنون والآداب إنما هي قشور ومقتطفات توهم
النفوس الطامئة المفرغة بأنها نالت شيئاً يذكر، والحقيقة أنها نالت غذاء تعيش به
موتى في صورة أحياء لا غير". [رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص: 147 إلى 149].
¹²⁰ وهذا يدعو للنظر بتمعن وتحقيق لدعوات التهجم والاستنكار والاتهامات الملققة
ضد المجاهدين، التي تصدر من العلماء الرسميين وشبه الرسميين، الذين وإن لم تكن
لهم وظائف رسمية، ولكنهم يتمتعون برعاية وعطف رسمي من أكثر من دولة، يفوق
ما يتمتع به العلماء الرسميون.

¹²¹ القول بأن المذهب الحنفي أكثر قابلية للحدثة الصليبية من غيره من المذاهب،
قول ناتج عن جهل أو سوء قصد، أو ربما الاثنين معاً. فالمذهب الحنفي هو مذهب
الدولة العثمانية، التي دافعت عن العالم الإسلامي لخمسة قرون ضد المطامع الغربية،
ومدرسة شاه ولي الله الدهلوي -رحمه الله- في الهند هي التي رفعت علم الجهاد ضد

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
إصدار آراء دينية، وعممها لتضعف من سلطة
الأحكام الدينية المتخلفة المتأثرة بالوهابية.

.....

- شجع شعبية وقبول الصوفية.
- * واجه وعارض الأصوليين.
- تحد تفسيرهم للإسلام، واكتشف أخطاءهم.
- وضح علاقاتهم بالمجموعات والأنشطة الغير
قانونية.

البريطانيين، ويذكر التاريخ فتوى ولده شاه عبد العزيز -رحمه الله- الشهيرة بأن الهند قد صارت دار حرب لاحتلال الإنجليز لها، ووجوب الجهاد على مسلمي الهند لطرد الغزاة منها. وهي الفتوى التي قامت عليها حركة السيد أحمد عرفان الشهيد -رحمه الله- الجهادية [الإمام المجدد والمحدث الشاه ولي الله الدهلوي- حياته ودعوته ص: 220]. والأحناف في أفغانستان هم الذين طردوا الروس والشيوعيين، والأحناف من الطالبان هم الذين تحدوا أمريكا، ورفضوا الاستسلام لأوامرها بتسليم أسامة بن لادن لها، وهم الذين يذيقونها الهزائم في أفغانستان. هذه واحدة.

أما الثانية؛ فهي أن ما تطالب به الكاتبة وأمثالها من القائمين بالحرب الفكرية -الفاشلة بحمد الله وعونه- ضد الإسلام والجهاد يتصادم مع أصول عقائد كل المسلمين وليس مع الأحناف أو غيرهم من مذاهب المسلمين، فهم يطالبون المسلمين بإلغاء حاكمية الشريعة، وبإسقاط فرضية الجهاد العيني، ويطالبون باعتبار القرآن وثيقة تاريخية لا واقع لها الآن، وباعتبار الأحاديث مرجعاً لا يمكن الاستناد إليه، ويطالبون المسلمين بالاستسلام للنظام الدولي المعاصر ولما يسمونه بالشرعية الدولية، ويعتبرون العلمانيين الذين يرفضون الإسلام -بل والدين أي دين أصلاً- تياراً إسلامياً، يجب على المسلمين أن يقتدوا بهم في تهريج فكري يثير السخرية والشفقة، إلى آخر ما سأعرض بعضه في الصفحات القادمة إن شاء الله، وهذه قضايا من أصول العقيدة الإسلامية، من خرج عليها لا يمكن أن يكون مسلماً، ولا يختلف في ذلك مسلم حنيفياً كان أو شافعيّاً أو منتصبياً لأي مذهب إسلامي.

أما الثالثة فهي أن الكاتبة لم تدلل على هذا القول الساقط بأي دليل معتبر، وهو دأب كررته كثيراً، بل والأدهى -وهو ما سأعرض له لاحقاً إن شاء الله- أنها لم تدرك في مراجعتها في كتابها هذا عن الإسلام الديمقراطي المدني (CIVIL DEMOCRATIC ISLAM) ولا في كتابها الآخر -الذي شاركت في تأليفه- عن بناء شبكات مسلمة معتدلة (BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS) أي مرجع إسلامي سواء القرآن الكريم أو كتاب من كتب الحديث الأساسية ولا أمهات كتب العقيدة والتفسير والفقه، وهذا يدل على ضحالة القسم الأكبر من هؤلاء الباحثين، الذين يودون أن يرشدوا المسلمين ليعيروا من أصول دينهم، وهم لم يقرأوا عنه شيئاً من مراجعه الأساسية.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

- اظهر عجزهم عن الحكم، أو أن يحققوا تطوراً
إيجابياً لبلادهم ومجتمعاتهم.

- وجه هذه الرسائل خاصة للشباب وجمهور
التقليديين الأتقياء وللأقليات المسلمة في الغرب
والنساء.

- تجنب إظهار الاحترام أو الإعجاب بأعمال
الأصوليين والمتطرفين والإرهابيين العنيفة.
وصمهم بالمنحرفين الجبناء وليس بأبطال الشر.
- شجع الصحفيين على التحقيق في مسائل
الفساد والنفاق واللاأخلاقية في دوائر الأصوليين
والإرهابيين.¹²²

- شجع الفرقة بين الأصوليين.

* ادعم العلمانيين بانتقاء¹²³

- شجع تصور الأصولية كعدو مشترك.

¹²² لاحظ أن هذه الكاتبة وأمثالها يخلطون عن عمد خبيث بين الأسر الحاكمة في
جزيرة العرب والخليج وبين التيارات الإسلامية التي تعلن الجهاد على الغرب الصليبي
وعملائه من أمثال تلك الأسر، ويعتبرون الجميع أصوليين ووهابيين إلى آخر تلك
الأوصاف، ويحملون التيارات الإسلامية المجاهدة أوزار أولئك الفاسدين المنحرفين.
¹²³ ألفت انتباه القارئ هنا لأمرين:

الأول: أن الأمريكيان والصليبيين لا يكتفون من العلمانيين بمعاداتهم وانسلاخهم من
الإسلام فقط، بل لا بد ألا يعادوا المصالح والسياسات الأمريكية.
الثاني: أن الكاتبة -في هذا الكتاب الذي صدر عام 2003- تستبعد من الرعاية
الأمريكية العلمانيين ذوي التوجهات القومية واليسارية والمناوئة للولايات المتحدة. إلا
أنها في الكتاب الذي شاركت في تأليفه (بناء شبكات إسلامية معتدلة) -وصدر عن
مؤسسة راند أيضاً في عام 2007- قد تساهلت في شروط قبول العلمانيين لحضن
الرعاية الأمريكية، فقد قُسم العلمانيون لثلاثة أقسام: العلمانيون المتحرون
والعلمانيون أعداء رجال الدين والعلمانيون الاستبداديون من أمثال البعثيين
والناصريين والشيوعيين الجدد والملتصقين بالأنظمة المستبدة. واستبعد فقط من
أحقية الدعم والرعاية الأمريكية القسم الأخير.

[BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 70 & 71.]

فهل هذا التساهل نتج عن إدراك جديد مفاده أن الأغلبية الساحقة من العلمانيين بما
فيهم من يعادي الولايات المتحدة لا خطر منهم على مصالحها، وأنهم على استعداد بل
يرحبون بقبول الدعم والرعاية الأمريكية؟

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرباً /

المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية

- تبط تحالف العلمانيين مع القوى المناوئة للولايات المتحدة على أسس القومية والعقيدة اليسارية.

- ادعم فكرة أن الدين والدولة يمكن أن ينفصلا في الإسلام أيضاً. وأن هذا لا يهدد الإيمان، بل في الحقيقة قد يقويه ¹²⁴.

وتذكر إنجل راباسا وزملاؤها في كتابهم (ما بعد القاعدة) الصادر عن مؤسسة راند؛ أن صناع السياسة عليهم أولاً أن يتدارسوا السبل الكفيلة بمهاجمة عقيدة القاعدة. لأن العقيدة هي مركز ثقل الظاهرة الجهادية العالمية. ولذا فلا بد من رصد انتشار أو تراجع العقيدة الجهادية العالمية، لأن العقيدة لو أخذت في الانتشار في العالم الإسلامي فسينضم مزيد من الإرهابيين لصفوف القاعدة والجماعات المرتبطة بها. والعكس بالعكس.

ولهذا فلا بد للاستراتيجية الشاملة للولايات المتحدة أن تتخطى حدود نظرية مقاومة التمرد التقليدية لتتعامل مع العوامل العقائدية والسياسية. وعموماً فإن لهذه الاستراتيجية أربع شعب: أولاً: هاجم الأسس العقيدية للجهاد العالمي، ثانياً: اسع في قطع العلائق -العقدية وغيرها- ما بين المجموعات في عناقيد السديم الإرهابي وبين الجهاد العالمي، ثالثاً: احرمهم من الملاذات، رابعاً: قو إمكانات دول المواجهة ومجموعات المجتمع المدني المعتدلة في مواجهة التهديدات الجهادية

¹²⁴ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: xi to xii.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

المحلية¹²⁵، لكي تحرم القاعدة من الملاذات
المحتملة وتقلل عناقيد الحركة الجهادية العالمية¹²⁶.
إذن نحن أمام حرب فكرية تصعد أمريكا والغرب
الصليبي من وتيرتها ضد الإسلام والمسلمين،
ازدادت حدتها بعد الغزوات المباركات في الحادي
عشر من سبتمبر، وتهدف -في زعم أنصارها-
لتحويل المسلمين عن عقائدهم الثابتة لعقائد
أخرى، يرضى عنها الغرب الصليبي، وتجعل
المسلمين منسجمين مع النظام الدولي المعاصر.
ولتوضيح المعالم الأساسية لتلك الحرب الفكرية
بإيجاز أحاول أن أقدم للقارئ المنصف -مسلاً كان
أو غير مسلم- فكرة عن من هم المتشددون؟ ومن
هم المعتدلون؟ في نظر مفكري الغرب الصليبي،
وكيف يمكن دعم الأخيرين؟ في زعمهم.

2- ماذا يقصد الغرب بالمتشددين والسلفيين والأصوليين؟
سوف نرى في الإجابة على هذا السؤال أن مفكري وكتاب
الحملة الصليبية يعتبرون كل مسلم يطالب بتطبيق الشريعة
أو إقامة الدولة الإسلامية متطرفاً، أي أنهم يعتبرون
المسلمين متطرفين. لأن من ينكر وجوب تطبيق الشريعة
ليس مسلماً.

¹²⁵ ترجمة هذا عملياً هو دعم وإعانة مؤسسات القهر والتعذيب في بلادنا، وإرسال
المعتقلين لهم ليتم تعذيبهم وحبسهم في سجون سرية لمدد غير محددة. ولتحيا قيم
الحرية الأمريكية. وقد افترضت هذه السياسة، ولم يعد بالإمكان إخفاؤها، وشهد بها
حتى الرسميين الغربيين، فمنهم مثلاً سفير بريطانيا في أوزبكستان، الذي اتهم أمريكا
بإرسال المشتبه بكونهم إرهابيين لأوزبكستان ليتم التحقيق معهم بالتعذيب.
[Microsoft Encarta 2008, Torture]، وراجع أيضاً في نفس الموسوعة:

[Central Intelligence Agency/ Secret Prisons, Torture, and Renditions]

¹²⁶ Beyond al-Qaeda, p: xxiii & xxiv.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرباً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
تقول إنجل راباسا وزملاؤها من مؤسسة راند؛ أن الكثير
من المنظمات الإسلامية المعترف بها من الحكومات
الأوروبية، والتي تعتبر نفسها معتدلة، هي في الحقيقة سلفية
التفكير أو على علاقة بتنظيمات متطرفة، ويضربون مثلاً
على ذلك بنديم إلياس الرئيس السابق للمركز الرسمي
الألماني الإسلامي في هولندا، فهو في نظرهم ليس معتدلاً،
لأنه لا يؤيد علانية، ولا يستنكر صراحة تطبيق الشريعة وتعدد
الزوجات والعقوبات الإسلامية مثل الرجم¹²⁷.
أي أنهم لا يرضون منه بأقل من الرفض العلني لأحكام
الشريعة الإسلامية حتى يكون معتدلاً.
ويضربون أيضاً مثلاً بالأئمة من الدانمارك، الذين كانوا
يظن بأنهم معتدلون، وكانوا يتلقون لذلك دعماً حكومياً، ولكن
تبين أنهم غير معتدلين على الإطلاق، فقد تسببوا في ضجة
هائلة، بحملتهم ضد الرسوم الكرتونية المسيئة للرسول صلى
الله عليه وسلم، التي انتشرت في أرجاء الدنيا¹²⁸.
وكذلك المجلس الإسلامي ببريطانيا، لا يعتبرونه هيئة
معتدلة، رغم أن المجلس يصف نفسه بذلك، وذلك لأنه على
علاقة بمنظمات باكستانية متطرفة مثل الجماعة الإسلامية،
وجمعية أهل الحديث، التي تزعم أن اليهود يسعون للسيطرة
على العالم، واتحاد المسلمين في بريطانيا، الذي يجيز
العمليات الانتحارية -حسب وصفهم- ضد المدنيين في
إسرائيل. وكذلك فإن للمجلس تاريخاً في الدفاع عن
الأصوليين الإسلاميين، كما حدث عندما أيد حزب التحرير لما
سعى بلير في حضره¹²⁹.

ولا يرحبون بفوز حركة حماس في فلسطين، التي يعتبرونها
من الإسلاميين الأصوليين، ويقولون إن فوزها في الانتخابات

¹²⁷ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 94.

¹²⁸ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: xxiii, 94 & 95 & 144.

¹²⁹ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 101.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

يعطي مثلاً ظاهراً على أن العملية التحريرية قد تؤدي لنتائج غير تحريرية، مما يزيد القلق بشأن الضغط على الأنظمة الاستبدادية لمزيد من الانفتاح السياسي، الذي قد يؤدي لإحلال الأصوليين الإسلاميين محلها¹³⁰.
وأن من أخطاء الولايات المتحدة أنها أحياناً تعمل مع وكلاء أو من خلال برامج لا تتفق مع القيم التحريرية، بل وأحياناً تصادمها، مثل حزب العدالة والتنمية في المغرب وحركة الإخوان المسلمين في الأردن المعروفة باسم جبهة العمل الإسلامي¹³¹.

ويشككون في عمل مركز دراسة الإسلام والديمقراطية، والذي يتلقى دعماً جزئياً من مكتب الديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل في وزارة الخارجية، لأن المركز يرى إنشاء شبكات لمعتدلين، ومن ضمنهم إسلاميون، يرى المركز أنهم يلتزمون بالبرنامج الديمقراطي¹³².
أما تقرير الكونجرس عن الحادي عشر من سبتمبر فيعتبر أن بعض المدارس الإسلامية في باكستان محاضن للتطرف العنيف¹³³.

وينقل نفس التقرير أيضاً عن وزير الدفاع السابق دونالد رمسفلد قوله:

"هل نحن نقبض على أو نقتل أو نردع ونثني -كل يوم- إرهابيين أكثر مما تجندهم المدارس¹³⁴ والعلماء الأصوليين، ويدربونهم ويحركونهم ضدنا؟"¹³⁵.

أما إنجل راباسا وزملاؤها من مؤسسة راند فتري أن المناهج ذات الرؤية الضيقة الرجعية والطائفية التي تنشر في

¹³⁰ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 45.

¹³¹ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 43.

¹³² BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 47.

¹³³ 9/ 11 COMMISSION REPORT P: 367.

¹³⁴ يقصد الدينية.

¹³⁵ 9/ 11 COMMISSION REPORT P: 375.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
المدارس المحافظة والأصولية يجب استبدالها بمناهج تنشر
الديمقراطية والتعددية¹³⁶.

أما تشريل بينارد فترى أن قاضي حسين أحمد -أمير
الجماعة الإسلامية الباكستانية السابق- أصولي يقرن الإسلام
بأهداف الإرهابيين، لأنه يعتبر الولايات المتحدة أسوأ أعداء
الإسلام، وأن الإسلام هو العائق الرئيسي أمام تحقيق أهدافها
الخفية في العالم، وأن التحالف ضد الإرهاب هو -في الحقيقة-
صراع ضد الإسلام، يهدف لإزالة دول إسلامية من العالم¹³⁷.
وترى أيضاً أن المساجد والمراكز والبقالات الإسلامية في
أمريكا تعلن عن كتابات المودودي، وذلك بفضل الأصوليين
الباكستانيين، الذين يغرقون الأسواق العالمية بفيض من
مطبوعاته في صورة نشرات رخيصة¹³⁸.

وهكذا تعتبر تشريل بينارد أن قاضي حسين أحمد والسيد
أبا الأعلى المودودي -رحمه الله- وسائر الجماعة الإسلامية
بباكستان أصوليون متطرفون، رغم أن الجماعة لا ترى
العمل بالقوة، وتلتزم بالقوانين الباكستانية، وتعمل من
خلالها.

بل وترى أن عدداً كبيراً من الحركات الإسلامية المنتشرة
عبر العالم بما فيهم القاعدة وطلابان وحزب التحرير هم من
الأصوليين المتطرفين. الذين يدعو كتابها عن الإسلام
المدني الديمقراطي لمحاربتهم¹³⁹. رغم أن حزب التحرير
والجماعة الإسلامية الباكستانية لا ينهجان العمل المسلح،
ويلتزمان بالعمل السياسي والفكري.

بل وتنتقد الشيخ يوسف القرضاوي -رغم أنها تعتبره من
التقليديين وليس من الأصوليين- لأنه عارض شيخ الأزهر

¹³⁶ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 81.

¹³⁷ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 3.

¹³⁸ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 42.

¹³⁹ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 4.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

سيد طنطاوي في شجبه لقتل المدنيين والأبرياء -في زعمه- في إسرائيل، وتنتقد مطالبة الشيخ يوسف القرضاوي للحركة الإسلامية بأن تكون رهن إشارة المسلمين المضطهدين في أي مكان سواء في إريتريا أو السودان أو الفلبين أو كشمير، وتنتقد كذلك قوله بأن فلسطين هي القضية الإسلامية المركزية، التي تمر بمرحلة حرجة، تحاك فيها خطط لإنشاء إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ثم للحجاز والمدينة وخير¹⁴⁰.

بل وتؤيد خطاب السناتور توم لانتوس لوزير الخارجية، الذي يستنكر فيه إدراج الوزارة -في أحد كتباتها المعنون (بشبكة الإرهاب)- لأقوال يوسف القرضاوي وعبد الرحمن السديس في استنكار أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لأن القرضاوي يؤيد التفجيرات الانتحارية -في زعمهم¹⁴¹- أما السديس فقد صدرت منه أحقر النعوت في معاداة السامية، وأن هؤلاء في (الحرب على الإرهاب) هم خصومنا، وليسوا أصدقاءنا، بغض النظر عما قالوه أو لم يقولوه عن الحادي عشر من سبتمبر، ولا يجب أن ننشر آراءهم بأية حال¹⁴².
وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

وتنتقد تسامح الهيئات الحكومية الأمريكية مع الحجاب، لأن هذا تأييد للأصوليين والتقليديين المحافظين ضد التقليديين الإصلاحيين والحداثيين والعلمانيين¹⁴³.

¹⁴⁰ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 30 & 31.

¹⁴¹ لاحظ أن إذاعات الحملة الصليبية من أمثال البي بي سي تصر على تسمية العمليات الاستشهادية بالعمليات الانتحارية، ولما سئل مدير قسمها العربي حسام السكري مرة في برنامج (نقطة حوار): لماذا تسمونها بهذا الاسم؟ فكان جوابه العاجز: لأننا لا نستطيع أن نسميها بالعمليات الاستشهادية، حتى لا نكون متحيزين. فتأمل. أراد أن يهرب من التحيز للمسلمين فانحاز لليهود والصليبيين، ولو كان صادقاً في عدم تحيزه كما يزعم لأسماها بالعمليات (ذاتية التفجير) مثلاً، وصدق الله العظيم: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صدورُهُمْ أَكْبَرُ﴾.

¹⁴² CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 65.

¹⁴³ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 14.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
وتكتب عن تسميهم بالتقليديين؛ بأن لديهم نزعة عدائية
للغرب والقيم الغربية وبخاصة للولايات المتحدة، وهم في
هذا لا يختلفون عن الأصوليين، بل إن التقليديين في أمريكا
إذا اجتمعوا فإنهم يرددون آراء الأصوليين¹⁴⁴. الذين يجب
على الغرب مقاومتهم والتصدي لهم.
وأن المجتمع المعاصر لا يتفق مع أحكام الشريعة، التي
يطالب التقليديون بها¹⁴⁵.
ومن هذا يتبين أن الأصوليين والمتشددين في نظر الحملة
الفكرية الصليبية الغربية هم كل من يطالب بتطبيق
الشريعة ويعادي الغرب، أي كل المسلمين في الحقيقة.

3- ماذا يقصد الغرب بالمعتدلين؟

والآن بعد أن أخذنا لمحة سريعة عن هم المتشددون في
نظر الحملة الفكرية الصليبية الغربية، فلنذكر بإيجاز: من
هؤلاء الذين يعتبرونهم معتدلين؟ ويمكن للغرب التعاون معهم.
تذكر إنجل راباسا وزملاؤها من مؤسسة راند علامات
مميزة للمعتدلين، الذين يصلحون للتعاون مع الغرب ضد
الجهاد والمجاهدين، وهذه العلامات المميزة هي:
أ- الديمقراطية.

ويقصدون بها التعهد بالديمقراطية كما تفهم في التقليد
الغربي التحرري. والاتفاق على أن الشرعية السياسية تنبع
من إرادة الشعب كما تظهرها انتخابات حرة¹⁴⁶. ولا بد أن
يتضمن ذلك الاعتراف بالتعددية وبحقوق الإنسان المعترف بها
دولياً، ومعارضة قيام الدولة الإسلامية.

ب- القبول بالمصادر غير الطائفية لمصادر القانون.

¹⁴⁴ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 31.

¹⁴⁵ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 33.

¹⁴⁶ أرجو من القارئ أن ينتبه لهذا التعريف للديمقراطية والشرعية السياسية، الذي
سأظهر تناقضهم معه في المبحث الرابع إن شاء الله.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

ويعنون بها رفض وجوب تطبيق الشريعة، لأن الشريعة حسب التفسير المحافظ -في زعمهم- لا تتفق مع الديمقراطية ولا مع حقوق الإنسان المعترف بها دولياً.
ج- احترام حقوق المرأة والأقليات الدينية، كما يفهمها الغرب.

د- معارضة الإرهاب والعنف خارج القانون¹⁴⁷.

أما تشريل بينارد فتري أن الحداثيين هم الذين يؤمنون بتاريخية الإسلام، أي أن الإسلام له جوهر أساسي وظروف تاريخية، جعلت ما كان صالحاً في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- غير صالح اليوم. وهذا الجوهر الأساسي يتضمن أولوية الضمير الشخصي والمجتمع المؤسس على المسؤولية الاجتماعية والمساواة والحرية، وهي قيم تتفق مع الديمقراطية المعاصرة. والحداثيون يختلفون في هذا مع التقليديين والأصوليين¹⁴⁸.

وتضيف بأن الحداثة وليست التقليدية هي التي تفيد الغرب. وهي تقتضي الابتعاد عن أو تحوير أو التجاهل الانتقائي لبعض العناصر في العقيدة الدينية الأصلية. وأن العهد القديم مثل القرآن يتضمن أشياء لا يمكن تصور ممارستها في المجتمع المعاصر، ولكننا (تقصد النصارى واليهود المعاصرين) غلبنا رؤيتنا للرسالة الحقيقية للنصرانية واليهودية على حرفية النصوص، التي اعتبرناها تاريخية ورمزية. وهذا بالضبط ما يريده المسلمون الحداثيون¹⁴⁹.

وأنا هنا أود أن ألفت انتباه القارئ لأمرين:
الأول: أن الذي يرى تاريخية الإسلام لا يكون مسلماً.
فالقرآن والسنة ممتلئان بالآيات والأحاديث التي تلزم كل مسلم بإطاعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كل ما يقول، وتنفي الإيمان عن كل من لم يسلم لحكمه

¹⁴⁷ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 66 to 68 & 70 to 72.

¹⁴⁸ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 5.

¹⁴⁹ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 37.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرباً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية

ويرضى به. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَبَيَّرْتُمْ فِي سَبْيٍ قَدْ رَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وأن ما أنزل إلى الرسول هو من وحى الله ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ {3} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾. وسوف يرى القارئ أن الكاتبة وأمثالها يحشرون وسط المسلمين من ليسوا مسلمين أصلاً، ولا يقبلون الإسلام، وسيوضح هذا التهريج الفكري عند الكلام على من يسمونهم بالعلمانيين الإسلاميين بل والملحدين.

الثاني: مساواتها للقرآن والعهد القديم من حيث عدم إمكانية تطبيق كل ما فيهما، وهذه مساواة تدل على مدى انحراف منهجها، فالقرآن الكريم يختلف تماماً عن العهد القديم الحالي الموجود بأيدي النصارى واليهود من وجوه عديدة لا يمكن إغفالها:

أ- فالقرآن الكريم نصه محفوظ حفظاً تاماً، بل إن حفظ القرآن بين صدق نسبه للمولى سبحانه وتعالى، وذلك أن المولى سبحانه وتعالى قد تعهد بحفظه، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. بينما العهد القديم أو الجديد الحاليان ليست لهما أية مصداقية، لأن ثبوت نسبتهما لموسى أو عيسى عليهما السلام منتفية¹⁵⁰، وبالتالي فإن أي

¹⁵⁰ راجع لمزيد من التفصيل حول عدم ثبوت نسبة العهدين القديم والجديد -الموجودين حالياً بيد اليهود والنصارى- لموسى وعيسى عليهما السلام: التحفة المقدسية لأبي محمد المقدسي حفظه الله ص: 66 و 67 التي نقل فيها كلاماً صريحاً في تحريف العهد الجديد من (المدخل إلى العهد الجديد) للأبوين صبحي حموي وبوسف قوشاقجي، في الطبعة الكاثوليكية للعهد الجديد ص: 1 إلى 7، والجواب الصحيح لابن تيمية رحمه الله ج: 2 ص: 397 إلى 402 و 405 و 406 وج: 3 ص: 21

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

إنسان ذي عقل وضمير، لا يمكن أن يقبلهما كنصوص ثابتة لا تقبل الشك.

بينما المسلمون وغير المسلمين مسلمون بثبوت نسبة القرآن للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- بلا شك ولا تبديل ولا تحريف¹⁵¹.

ب- القول بأن في القرآن أشياء لا يمكن قبولها أو تطبيقها في العصر الحديث، وهم وكذب، فالإسلام ظل حاكماً حتى القرن العشرين عندما سقطت الدولة العثمانية في عام 1924، ولا زالت بلاد كثيرة تحكم بأجزاء منه وخاصة في الأحوال الشخصية والميراث وما أشبهه. ومئات الملايين من المسلمين ترجع في أحكام تعاملاتها الخاصة والعامّة لأحكام الشريعة، وفي الأزمة الاقتصادية الحالية نجت البنوك والمصارف والشركات الإسلامية من الخراب، الذي جره على العالم جشع الرأسمالية وحيلها في أكل أموال الناس بالباطل. حتى أن بابا الكاثوليك بنديكتوس دعا الغرب للاقتداء بالاقتصاد الإسلامي.

الثالث: أنها تريد من المسلمين أن يتعاملوا مع الإسلام كما تعاملوا هم في الغرب مع النصرانية واليهودية، فهي تريد أن تسحب تجربتهم التاريخية المبررة الدامية في الصراع البشع مع الكنيسة على الإسلام والمسلمين، وهذا

و 22 و 26 و 27، وكذلك:

Microsoft Encarta Encyclopedia 2008 – Bible, VII. THE NEW TESTAMENT, A. Text, Canon, and Early Versins, 3. The Canon; and Biblical Scholarship.

وكذلك لتفصيل أوسع في المسألة يمكن مراجعة كتاب (إظهار الحق) للعلامة رحمة الله الهندي رحمه الله- الباب الأول: بيان كتب العهد العتيق والجديد- الفصل الثاني: بيان أن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتب العهد العتيق والجديد ج: 1 ص: 61 إلى 92، وقد أثبت الشيخ -رحمه الله- في كتابه المذكور تسليم القسس له في المناظرة بغياب السند المتصل للكتاب المقدس، وكذلك كتاب (محاضرات في النصرانية) للعلامة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله، وكذلك محاضرات الشيخ أحمد ديدات رحمه الله.

¹⁵¹ من نواذر تشربيل بينارد المضحكة؛ أنها زعمت -في كتابها عن (الإسلام المدني الديمقراطي)- أن في القرآن سورتين ناقصتين، وهو ما سأعرض له -إن شاء الله- في المبحث الثاني عن حملة التشويه والكذب.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
مجافة للمنطق والتاريخ والعقل، فإن الكنيسة في الغرب
كانت تقدم عقيدة لا يقبلها العقل، وكانت عامل تأخر وإعاقة
للتقدم والتطور العلمي، ودكاناً لبيع صكوك الغفران، ومرتعاً
للفساد وأهواء الرهبان والملوك¹⁵² ضد الشعوب المسحوقة

¹⁵² من الأمثلة الواضحة على استمرار تحالف الكنيسة مع الظلمة والظلمة حتى اليوم؛ ما قامت به الكنيسة الأرثوذكسية في مصر بإعلانها تأييد انتخاب حسني مبارك رئيساً لفترة رئاسية جديدة في الانتخابات الرئاسية الأخيرة. إنه نفس التحالف الأثم بين الكهان والسلطين على مر العصور. لقد وقفت الكنيسة بهذا التأييد في صف الفساد والانحراف والظلم. ولا يمكن أن تتذرع الكنيسة بالإكراه، لأن الكثيرين أعلنوا رفضهم لإعادة انتخاب حسني مبارك علانية، ولم يمسه أحد بسوء. وصدق عبد الله بن المبارك -رحمه الله- حين قال:

"وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها"

ويقول توماس جفرسن:
"إن القسيس في كل بلد وفي كل عصر من أعداء الحرية، وهو دائماً حليف الحاكم المستبد، يعينه على سيئاته في نظير حمايته لسيئاته هو الآخر" [العلمانية نشأتها وتطورها ج: 1 ص: 147].

المظلومة¹⁵³. ولذلك تقدم الغرب علمياً ومادياً لما تحرر من
أغلال الكنيسة¹⁵⁴.

أما في العالم الإسلامي فقد كان الإسلام هو الباعث على
التقدم والرقي الأخلاقي والسياسي والاجتماعي، وتدهورت
أحوال المسلمين بقدر انحرافهم عن تعاليم الإسلام، ولم

¹⁵³ هنا نقطة أود أن أشير لها بإيجاز؛ وهي أن القيادة الدينية للأمة المسلمة كانت
مبدئياً ضد الظلم، وتقف في مواجهة طغيان الحكام حتى وإن اعترفت بشرعيتهم
أحياناً، لكنها في الأعم الأغلب كانت تقف ضد فسادهم وطغيانهم وظلمهم. وهذا يتضح
في أمور:

1- أن القيادة الدينية المسلمة لم تكن معينة بقرار ولا لها هيكل كهنوتي ولا مؤسسة
دينية، ولا تختارها طبقة معينة، بل كانت قيادتها وإمامتها بحب الأمة لها، وتعظيمها
لقدرها، واقتدائها بها في زهدها وترفعها عن الدنيا. ويتضح هذا من اقتداء الأمة بالإمامة
الأربعة وأئمة الفقه والحديث ومن سار على أثرهم من أمثال العز بن عبد السلام وابن
تيمية رحمهم الله. بل إن العلماء قد فقدوا هيبتهم بين الناس ومحبة الناس لهم لما
حاولت الأنظمة العلمانية -بعد سايكس بيكو- أن تجعل لهم مناصب ومؤسسات رسمية
تابعة للدولة من أمثال وزارات الأوقاف وهيئات الإفتاء ورابطة العالم الإسلامي
والمجمع الأعلى للبحوث الإسلامية وما أشبه.

2- لم يتكلم أحد باسم الله في عالمنا الإسلامي، فلا الإمامة الدينية كانت معينة بوحى
من الروح القدس، ولا الملوك كانوا يحكمون بالحق الإلهي، ولا كان البابوات يتوجونهم
كما كان يجري في أوروبا، بل كان أئمة الأمة علماء مجتهدون وفقهاء محققون، لا
يدعون لأنفسهم عصمة، ولا ينسبون أنفسهم لوحى، أما الملوك فكانوا في وعي الأمة
الجمعي بشر أغلبيهم من الظلمة، أو على الأقل ممن لا ينالون احترامها.

بل ويروي لنا التاريخ مساندة كبار الأئمة لعدد من الخارجين على الدولتين الأموية
والعباسية، وحتى حينما كان الفقهاء يرون عدم الخروج على الأمراء الظلمة، فإنما
كانوا يرون ذلك من باب المصلحة ودفع المفسدة، لا بسبب وجوب الاستسلام للحكام،
وأنه إذا أمكن إزالة الفاسق بغير فتنة ولا ظلم وجب ذلك [فتح الباري ج: 13 ص: 8]،
وكذلك أجمعوا على أن الحكم لا يورث [مقدمة ابن خلدون ج: 1 ص: 109، الفصل
لابن جزم ج: 4 ص: 129]، والملوك الذين كانوا يتوارثون الحكم، إنما كانوا يحتالون
على أخذ البيعة بأنهم أفضل المرشحين لها، أو باستلابها بجد السيف.

3- القيادة الدينية كانت دائماً تحتفظ لنفسها بمسافة بعيداً عن الحكام، بل إن كثيراً
من القضاة كانوا يعزلون أنفسهم احتجاجاً على الظلم.
صحيح أنه كانت هناك أمثلة للعلماء الذين تواطئوا مع الحكام على تسويغ الظلم، ولكن
هؤلاء العلماء كانوا منبوذين بين الأمة ومحترقين.

وكان أئمة الأمة يتحاشون الحكام أو ينصحونهم أو يعترضون عليهم، بل وكثيراً ما كان
ينالهم أذى الحكام الظلمة، فأبو حنيفة رحمه الله ضرب، ومات في السجن لأنه أبى
ولاية القضاء [سير أعلام النبلاء ج: 6 ص: 401 و 402]، وضرب مالك -رحمه الله-
بالسياط، وحُجِّل كتفه، لأنه كان يرى أن بيعة الناس لبني العباس لا تصح لأنها بيعة عن

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
يكن لدى المسلمين كنيسة ولا كهنوت يتحدثان باسم الله.
بل كان لديهم علماء وفقهاء أقوالهم قابلة للبحث والنظر.
أضف إلى ذلك أن الصحة والنهضة الحالية في العالم
الإسلامي -للتحرر من السيطرة الغربية ومن فساد
الحكومات التابعة لها- تنبع أساساً من الالتزام بالإسلام
والعودة إليه والحرص على تحكيم شريعته، وهذا ما اعترف

إكراه [سير أعلام النبلاء ج: 8 ص: 79 إلى 81]، وحمل الشافعي من اليمن لبغداد
مقيداً في الحديد [سير أعلام النبلاء ج: 10 ص: 86]، أما أحمد بن حنبل فحُضِرَ
بالسياط وهدد بالقتل [سير أعلام النبلاء ج: 11 ص: 251].
4- كان الأعم الأغلب من حركات الخروج ضد الحكام بدءاً من خروج الحسين -رضي
الله عنه- حتى انتفاضة المصريين بقيادة السيد عمر مكرم -رحمه الله- ضد الوالي
العثماني تطالب بمطلب أساسي؛ ألا وهو الكف عن الظلم بالعودة للشرعية، فكان
الضمير الجمعي للأمة المسلمة يرى الشرعية هي العدل، وأن الظلم ينشأ من الخروج
على أحكامها، حتى أن العامة في مصر مثلاً حينما ينتقدون ظالماً يقولون له: "حرام
عليك" فالظلم والحرام في وعيهم وجهان لشيء واحد. بينما في أوروبا كان الدين
المحرف والكنيسة المستبدة هما الظلم عينه، ولذلك كان شعار الثورة الفرنسية
"اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس". بينما يحكي لنا التاريخ الإسلامي عن المواقف
العديدة الكثيرة للعلماء في الاعتراض على الحكام، بل لم يستشر فساد الحكام
وظلمهم إلا بعد أن تخلى العلماء عن هذا الدور العظيم في الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر، وبرصد العلامة محمود شاكر -رحمه الله- هذا التحول في كتابه (رسالة في
الطريق إلى ثقافتنا ص: 126 إلى 130).
فبينما كان العلماء هم ملاذ المظلومين كانت الكنيسة هي الظلم نفسه.
وبينما كان الفقهاء يجتهدون في الشرعية بجهدهم الذي لا يزعمون عصمته كان
البابوات -على جهلهم- يزعمون العصمة.
وبينما كان العلماء والإئمة بناون بأنفسهم عن السلاطين والملوك وينصونهم وأحياناً
يؤبسونهم ويأمرونهم بالمعروف كان البابوات يتوجون الملوك بحيلة الحق الإلهي في
الحكم.
وبينما كانت الشرعية هي أمل المظلومين ومطلبهم لتحقيق العدل كانت الكنيسة هي
الظالم المستبد الذي يستنزف الملايين.
وبينما ترى جماهير الأمة المسلمة أن خلاصها وعودتها لعزتها وسيادتها هو باتباع
الشرعية وتحكيمها ترى جماهير الغرب أن تقدمها وكرامتها بالهروب من الدين أو بعزله
في ركن بعيد عن شؤون الحياة.
¹⁵⁴ راجع لمزيد من التفصيل حول تجربة أوروبا مع الكنيسة: الإسلام والعلمانيون -
فصل: أوروبا وتجربتها مع الدين للأستاذ محمد قطب حفظه الله، العلمانية نشأتها
وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة- الباب الأول: دين أوروبا أو
النصرانية بين التحريف والإبداع.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

به كتاب الحملة الصليبية الغربية، وحذروا من خطر هذه
الصحوة والنهضة على الغرب ومصالحه.

وعودة لمن يعتبرهم مفكري الحملة الصليبية الغربية من
المعتدلين الذين يمكن للغرب أن يتعاون معهم، فتذكر إنجل
راباسا وزملاؤها من مؤسسة راند؛ أن المسلمين في أوروبا
الذين يقبلون بالاندماج في المجتمع الغربي -سواء اكتفوا
بحصر ممارسة تدينهم في البيت والمسجد، أم أظهروا
انتماءهم في المجتمع والعمل- هم الذين يمكن أن يتعاون
الغرب معهم في إنشاء شبكات إسلامية معتدلة، أما الذين
يريدون أن يطبقوا أقصى ما يستطيعون تطبيقه من الإسلام
في أوروبا، والذين يريدون أن يتحاكموا للشريعة، التي يرون
وجوب تطبيقها كنظام مواز للقانون الجنائي الغربي، والذين
يريدون أن يكون للمسلمين في الغرب كيان متميز عن سائر
المجتمع، فهؤلاء سلفيون لا يمكن التعاون معهم¹⁵⁵.

ومن الذين تعتبرهم إنجل راباسا وزملاؤها من مؤسسة راند
من المسلمين المعتدلين -الذين يمكن استخدامهم في بناء
شبكات إسلامية معتدلة- الإيراني مهدي مظفري، الذي كان
رائداً في إصدار بيان (معاً في مواجهة الاستبداد الجديد)،
الذي ورد به؛ أنه في أعقاب الضجة التي أثارها الرسوم
الكرتونية عن النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- لا بد من
مواجهة الإسلامة باعتبارها نزعة استبدادية، تحب محاربتها
ونشر المبادئ العلمانية بدلاً منها. ووقع على البيان معه إيان

¹⁵⁵ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 92 & 93.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
حرثي علي¹⁵⁶ وابن الوراق¹⁵⁷ وسلمان رشدي وتسليمة
نسرين¹⁵⁸.

ومنهم أيضاً مجموعة مشروع الإسلام الأوروبي¹⁵⁹، وهو
مبادرة طلابية يدعمها منتدى (AEGEE). وتصدر مجلة تسمى (Electrochoc)،
وقد أوردت هذه المجلة حديثاً تخليفاً مع النبي صلى الله عليه وسلم، يسأله فيه المحاور عن أسامة بن لادن،
فأجاب النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه لو كان في زمانه
لكان مسلماً جيداً، ولكنه اليوم محرم عادي، لا يفهم الزمن،
الذي يعيش فيه¹⁶⁰.

ومن هؤلاء الذين يرشحونهم أيضاً للتعاون مع الغرب بسام
طبيبي في ألمانيا، وهو عضو في عدة مجموعات تدعم الحوار
الإسلامي اليهودي والحوار الإسلامي المسيحي اليهودي،
ويدعو للاندماج الكامل للمسلمين في الغرب، وأن عليهم أن
يقبلوا قيمه وثقافته، ويعارض بشدة أي توجه لإنشاء نظام
شرعي إسلامي مواز للنظام القانوني الأوروبي، ويرى أن
العلاقة بين حقوق الإنسان والشريعة مثل العلاقة بين الماء
والنار¹⁶¹.

ومنهم أيضاً الهادي الصباح إمام مسجد باسوا في ألمانيا،
الذي يدين الإرهاب والعنف، ويستنكر استخدام العنف لحل
المشاكل الاجتماعية والسياسية¹⁶².

¹⁵⁶ صومالية الأصل لجأت لهولندا زاعمة أنها أجبرت على الزواج، وخرجت من الإسلام،
وأصبحت عضوة في البرلمان، ومعادية للإسلام والشريعة، واشتركت مع فان جوخ في
إصدار فيلم عن المرأة المسلمة أثار استياء المسلمين، واعترفت مؤخراً بأنها قد
زورت في البيانات، التي قدمتها للحصول على اللجوء السياسي.

[Microsoft Encarta 2008- The Netherlands].

¹⁵⁷ اسم رمزي لمرشد، يفخر بخروجه عن الإسلام، كما سيأتي.

¹⁵⁸ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 164 & 165.

¹⁵⁹ Euro Islam Project.

¹⁶⁰ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 95 & 96.

¹⁶¹ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 97.

¹⁶² BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 98.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

ومنهم أيضاً شعيب بن شيخ، الذي يسمونه المفتي الأكبر
بمرسيليا، الذي يرى الفصل بين الدين والدولة¹⁶³. والذي
يقولون عنه؛ أنه يعتمد عليه في ابتكار استجابات يقبلها
المسلمون المتدينون العاديون، دون تصعيد المشاكل الصعبة.
فمثلاً في الجدل الذي دار حول الحجاب في فرنسا، كان يرى
بأن المرأة المسلمة قد تغفَى من الحجاب، إذا جعل المجتمع
المحيط بها ارتداؤه صعباً، بل وأيد منع الحجاب في فرنسا¹⁶⁴،
وفي الخلاف الذي دار حول الرسوم الكرتونية الساخرة من
حضرة النبي -صلى الله عليه وسلم- كان رأيه أن العنف ليس
هو الحل المناسب¹⁶⁵.

ومنهم منصور إسكاردو، وهو رئيس منظمة (FEERI)
العضوة في لجنة أسبانيا الإسلامية، التي تمولها الحكومة
الأسبانية، وتعترف بها كمثل رسمي للمسلمين في أسبانيا،
وقد أصدر فتوى بأن أسامة بن لادن والقاعدة مرتدون،
لقيامهم بأحداث الحادي عشر من سبتمبر¹⁶⁶.
ومنهم أيضاً عبد الهادي بلعزي مدير المعهد الثقافي للجالية
المسلمة في إيطاليا، والذي يحارب الأصولية والتعصب،
ومشارك في الحوار بين الأديان، وخاصة الحوار مع اليهود
والنصارى. ويرى بلعزي -فيما يتعلق بالتوافق بين القانونيين
الإسلامي والعلماني- أن الشريعة تحرم على المسلم القيام
بأي عمل -حتى لو كان جائزاً في القرآن- إذا كان يخالف
قانون الدولة التي يعيش فيها. وفي عام 1996 اشترك بلعزي

¹⁶³ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 132 & 133.

¹⁶⁴ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 133.

¹⁶⁵ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 98.

¹⁶⁶ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 98 & 99.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
مع أستاذ يهودي يدعى أشرف إيدر في إنشاء الزمالة الإسلامية
اليهودية، التي تدعم التعاون بين إسرائيل والدول الإسلامية،
وبين اليهود والمسلمين¹⁶⁷.

وبصل التهريج العلمي مداه بكتاب مؤسسة راند، حينما
يصرون على أن المسلمين فيهم علمانيون بل وملحدون!!
فتذكر إنجل راباسا وزملاؤها أن العلمانية قد تكون موقفاً
خطراً يتخذه أي مسلم! سواء كان ممارساً للشعائر أو غير
ممارس لها، أو حتى انسليخ علانية أو فعلياً من الإسلام¹⁶⁸!!
أما تشريل بينارد فتقسم المسلمين لأربعة أقسام:
أصوليين وتقليديين وحدثيين وعلمانيين، والأخرون يريدون
أن يتقبل العالم الإسلامي فصل الكنيسة¹⁶⁹ عن الدولة مثل
الديمقراطيات الغربية¹⁷⁰.

وإن المرء ليعجب من هذا الإصرار على حشر العلمانيين
بل والملحدين في صفوف المسلمين، وهو إصرار يبين لأي
مدى وصل التهريج الفكري لدى كتاب الحملة الصليبية
الغربية.

وهل يقبلون أن نطبق عليهم نفس التناقضات، فنحدث
مثلاً عن الديمقراطية الاستبدادي، الذي يقول إن
الديمقراطية مسألة شخصية، أما السياسة فلا يصلح فيها إلا
الاستبداد والحكم المطلق بلا حساب، أو نتحدث مثلاً عن
العلماني الإسلامي، الذي يقول إن العلمانية مسألة شخصية
أما الحياة العامة فيجب أن تحكم بالدين؟

إذن لماذا يفرضون على غيرهم ما لا يقبلون به؟
هل هو التعالي الفكري على سائر البشر؛ في أن لهم
الحق في أن يقولوا ما يشاءون، ولكن ليس لأحد أن

¹⁶⁷ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 100 & 101.

¹⁶⁸ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 123.

¹⁶⁹ تأمل هنا استخدامها لكلمة الكنيسة، وقد نهت من قبل على مقارنتها القرآن بالعهد القديم.

¹⁷⁰ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: ix & x.

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

يطالبهم بالمثل؟ بل إن من حقهم أن يحددوا للآخرين هويتهم وعتيدتهم، فيعرفون الإسلام والمسلم كما يشاءون! أم هو اللؤم والتحايل لضرب الإسلام باسم تيارات معادية للإسلام تتسمى بإسلام أي إسلام؟ أم هما الاثنان معاً؟

وتماذياً منهم في ذلك التناقض في حشر العلمانيين بل والملحدين في صفوف المسلمين، يظهرون الإعجاب بشخص يكتب باسم وهمي؛ ابن الوراق. وهو مؤلف كتاب (لماذا لست مسلماً؟) وكتاب (ترك الإسلام: المرتدون يجهرون)، وهو مؤسس معهد علمنة المجتمع الإسلامي¹⁷¹!! فهل هذا يمكن أن يكون مسلماً لنسميه بالعلماني المسلم؟

ومثل إيان علي حرثي، التي ذكرتها من قبل، والتي لا تكف عن نقد الإسلام¹⁷²!! والتي يصفونها بأنها ملحدة علنية، ومنتقدة جهراً لجوانب من حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وللمعاملة السلبية التي تلقاها المرأة في الإسلام، والتي تنبع من أصول العقيدة الإسلامية¹⁷³.
ومثل وفاء سلطان التي انتقدت الإسلام علناً على قناة الجزيرة، والتي صرحت بأنها تشك في كل تعليم من تعاليم القرآن، والتي تحرض على تبني القيم والثقافة الغربية¹⁷⁴.
ومثل السوري محمد شجرور الذي يرى بأن القرآن لم يتضمن أية عقوبة بالقتل، وأن الجهاد لا ينطبق على أوضاعنا المعاصرة، والذي يرفض السنة، ويعتبر النبي -صلى الله عليه وسلم- مجرد شخصية تستحق الاحترام، ولكنه غير كامل¹⁷⁵.

¹⁷¹ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 124.

¹⁷² BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 124.

¹⁷³ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 135.

¹⁷⁴ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 124 & 125.

¹⁷⁵ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 126.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرباً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
وأيضاً أدونيس، الذي لا يكتفي برأيه في إبعاد الدين عن
الحياة، بل يظهر نفوره الشخصي من الدين، وليس من
الإسلام فقط، ويرى أن الدين ما هو إلا نتاج الخوف من الحرية
والمسؤولية¹⁷⁶، فكيف يمكن أن ينسب للإسلام؟
وكذلك نصر حامد أبو زيد، الذي يرى أن القرآن عمل أدبي
يجب أن يخضع للتحليل الأدبي والعقلي، والذي صدر ضده
حكم بالردة في مصر¹⁷⁷، فما صلته بالإسلام؟
وكذلك شاكر النابلسي الأردني المقيم بالولايات المتحدة،
ومؤلف بيان العرب التحرريين الجدد، الذي جاء فيه أن القيم
المقدسة السائدة والتقاليد والتشريعات والقيم الأخلاقية لا بد
أن تفحص بعمق، وكذلك يصر على أن قوانين الشريعة يمكن
فقط أن تفهم من خلال الفترة التاريخية التي تطورت فيها،
ولذا فهي ليست صالحة لكل زمان. كما كان مشاركاً في
الدعوى بمحاسبة الدعاة الأصوليين -الذين يؤيدون العنف-
عن الحوادث الإرهابية¹⁷⁸.

وكذلك يتكلمون عن المنظمات العلمانية الإسلامية،
فيقسمونها لثلاثة أقسام: منظمات منصرفة لنشر الإسلام
العلماني، ومنظمات مهتمة بالعلمانية والعقلانية والإنسانية،
وتفرد قسماً في إعلامها للإسلام، والثالثة منظمات تحررية،
ولكنها تشجع العلمانيين الإسلاميين مادياً أو إعلامياً¹⁷⁹.
ومن أمثلة القسم الأول تحالف المسلمين الأحرار الذي له
اثنا عشر فرعاً في الولايات المتحدة وواحد في كندا واثان
في مصر، ومؤسسه كمال نواش، وهو فلسطيني مهاجر
لأمريكا، وكان مرشح الحزب الجمهوري لمجلس الشيوخ عن
ولاية فرجينيا عام 2003، وعلى موقع هذا التحالف ورد الآتي:

¹⁷⁶ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 127.

¹⁷⁷ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 127.

¹⁷⁸ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 133.

¹⁷⁹ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 128.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

"لا بد من إعادة تعليم المسلمين فوائد العلمانية،

وأن فشل حكوماتهم في أن توفر لهم السلام

والرفاهية ليس بسبب كونها علمانية، ويؤمن

التحالف أيضاً بأن الديمقراطية لا يمكن أن تنجح إلا

إذا هُزم الإرهاب وتُبذ التطرف الإسلامي"¹⁸⁰.

وكذلك الاتحاد الإسلامي التقدمي، الذي أكد بيان مبادئه

على تأييده لفصل الدين عن الدولة في كل مسائل السياسة

العامة، وإدراكه للخطر المتعاظم للتطرف الديني، ورؤيته

لتأسيس الدين وإقحامه في السياسة على أنهما خطران

توأمان على المجتمع المدني والحضارة البشرية¹⁸¹.

وكذلك مركز دراسة المجتمع والعلمانية في بومباي، الذي

يطرح العلمانية كحل وحيد للطائفية المتعاظمة، وأساس وحيد

لمجتمع متماسك¹⁸².

وكذلك الكويتي أحمد البغدادي، الذي يربط بين الدراسات

القرآنية والتخلف الثقافي والإرهاب، والذي يؤكد بشدة على

ضرورة العلمانية¹⁸³.

وكذلك طارق حجي المصري، الذي يرى نفسه ابناً

للحضارة الغربية¹⁸⁴.

ولا أدري إذا كانوا يذكرونه على سبيل الفخر والاعتزاز به،

فلماذا لا يعتبرونه منهم؟ ما دام يزعم أنه ابنهم. ولماذا

يلصقونه بنا نحن المسلمين؟

وكذلك يعتبرون من العلمانيات المسلمات الإيرانية الأصل

هو ما أرجمند الكندية، التي أسست الحملة ضد محاكم

الشريعة في كندا وضد المدارس الإسلامية، والتي تعتبر

الإسلام السياسي حركة رجعية معادية للإنسانية¹⁸⁵.

¹⁸⁰ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 129.

¹⁸¹ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 129.

¹⁸² BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 130.

¹⁸³ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 133 & 134.

¹⁸⁴ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 134 & 135.

¹⁸⁵ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 135.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
وكذلك الممثلة الكوميدية شبانة رحمن الباكستانية الأصل،
التي يعجبها أن تظهر على المسرح بالحجاب ثم تنزعه
لتكشف عن رداء للسهرة، ثم تبدأ في السخرية من
الشريعة¹⁸⁶. وقد جاء في جريدة الوطن السعودية أنها صدمت
الجمهور النرويجي في مهرجان الرواية الذي يقام في مدينة
"ليلهامر" عندما أمسكت القرآن بيد وشعلة نار بيد أخرى
وقالت:

"إنها تمنى كثيراً أن يحرق ذلك الكتاب، لكنه
يملك قوة غريبة وعجيبة من أي كتاب آخر في
زماننا هذا، وإذا أحرقته فربما يملك قوة أكبر، وعلى
ذلك يجب أن يحرق في هذه البلاد، وألا نخاف من
حرقه وأن نخاف من ألا يحرق".

ولم تتجراً الممثلة الباكستانية على حرق القرآن الكريم
أمام الجمهور، الذي كان شبه مصدوم من كلامها¹⁸⁷.
الأمر الهام الآخر الذي أوصى به كتاب راند هو الاهتمام
بالصوفية وتشجيعهم، لأنهم يعتبرونهم من الحدائين،
ويعتبرون أنهم بموسيقاهم وأشعارهم وفلسفتهم يمثلون نقلة
خارج الالتزامات الدينية¹⁸⁸. كما أنهم يعتبرون الصوفية عامة
حلفاء طبيعيين للغرب ضد الوهابية والأصولية¹⁸⁹، ويشنون
على بعض طوائفهم كالأحباش في لبنان، ومجموعة فتح الله
جولن في تركيا، الذي يرى أن الشريعة لا يجب أن تفرضها
الحكومة، والذي يدعو للتسامح مع النصارى واليهود، ولذلك
استقبل حاكماً أكبر من إسرائيل، وكتب عن (الإسلام
الأنضولي)، الذي يختلف مع تفسيرات الآخرين وخاصة
إسلام العرب¹⁹⁰.

¹⁸⁶ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 137.

¹⁸⁷ باكستانية نرويجية مسلمة!!! ندعو الى حرق القرآن.

¹⁸⁸ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 46.

¹⁸⁹ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 73.

¹⁹⁰ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 74.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

فالخلاصة: أن من يعتبرهم كتاب الحملة الصليبية معتدلين يصلحون للتعاون منهم هم من يرفض تطبيق الشريعة، ومن يرى ضرورة فصل الدين عن الدولة، ومن يرى أن القرآن وثيقة تاريخية لا قداسة لها، بل من يرى أن الإسلام كله قصة تاريخية غابرة، ومن يشك بكل ما في القرآن، ومن يرى أن الدراسات القرآنية مرتبطة بالتخلف الثقافي، ومن يرى عدم حجية السنة، ومن يرى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مجرد شخصية تستحق الاحترام فقط، ومن يرى نفسه ابناً للغرب، ومن يسخر من الإسلام، ومن يفخر برده، ومن يعلن إحداه، ومن لا يقبل الدين أصلاً، ومن يرى أن الجهاد اليوم لا مكان له، ومن يرى ردة أسامة بن لادن والقاعدة، ومن يؤيد فرنسا في منعها للحجاب، ومن يرى أن المسلمين عليهم أن يطيعوا قوانين الدول التي يعيشون فيها، ومن يتعاون مع إسرائيل، ثم بيت القصيد؛ ومن يستنكر العنف والإرهاب بمفهوم الغرب. هذه الفئة المنبوذة بين المسلمين هم المسلمون الصالحون، الذين يجب أن يُتعاون معهم ويدعموا، أما عامة الأمة المسلمة فهم إما تقليديون أو إصوليون، يجب على الغرب أن يعاديتهم ويحاربهم فكرياً وثقافياً وعسكرياً. وهنا نقطة هامة أود التنبيه لها، وهي أن دعاوى الأمريكان والغرب -بأنهم يريدون التعامل مع العالم الإسلامي على أساس من تبادل المصالح والمنافع- كلها أكاذيب، فهم لا يريدون أن يتعاملوا مع المسلمين كقوة عالمية موجودة لها عقيدة وثقافة ونظام مخالف لعقيدهم وثقافتهم ونظامهم، كلا إنهم يريدون أن يفرضوا على المسلمين فئة من الخارجين على الإسلام، ويعينوهم بالمال والإعلام في محاولة -يائسة بفضل الله- لكي يغيروا عقيدة المسلمين، ويصرفوهم عن دينهم، كما أنصرفت تلك الفئة المنبوذة الخارجة عن الإسلام، ثم بعد ذلك يتحول المسلمون -كما يتوهمون- للقمّة سائغة لأطماعهم ومقاصدهم.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية

4- تشجيع ودعم من يسمون بالمعتدلين.
أوجزت فيما سبق من هم المتشددون ومن هم المعتدلون
في نظر كتاب الحملة الصليبية الفكرية، وأوجز هنا ما هي
الوسائل التي تقترح لدعم من يرضى عنهم الغرب الصليبي
من المعتدلين والحدائين وأشباههم من عيون وطلائع
الحملات الصليبية.

تذكر إنجل راباسا وزملاؤها من مؤسسة راند أن الولايات
المتحدة لو كانت حريصة حقاً على التأثير في نتيجة حرب
الأفكار الدائرة في العالم الإسلامي، فلا بد لها من أن تعقد
العزم - كما صنعت في الحرب الباردة - على دعم وتنظيم
حلفائها الطبيعيين.¹⁹¹

وأن بعض من يسمونهم بالمتقنين التحررين المصريين
أخبروهم بضرورة أن تساعد الولايات المتحدة في تضخيم
الأصوات التحررية، حتى يُتَعرف عليهم محلياً ودولياً.¹⁹²
ومن أنشطة المعتدلين التي تذكرها في الشرق الأوسط؛
صندوق ابن رشد لحرية الفكر المسجل بألمانيا، والذي
يدعم الأشخاص المستقلين متقدمي التفكير في العالم
العربي. كما أنه يمنح جوائز لأولئك الذين يساهمون في
الحرية والديمقراطية في العالم العربي.

وكذلك مركز دراسة الإسلام والديمقراطية¹⁹³، الذي مر
بنا أنه يتلقى دعماً جزئياً من مكتب الديمقراطية وحقوق
الإنسان والعمل في وزارة الخارجية، والذي يشارك في
مشروع لتطوير مناهج تدريبية في القانون والديمقراطية
وحقوق الإنسان، ويستأجر هذا المشروع مؤلفين محليين
لإعادة كتابة كتب المناهج في أسلوب إسلامي.¹⁹⁴

¹⁹¹ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 139.

¹⁹² BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 113.

¹⁹³ Center for the Study of Islam and Democracy.

¹⁹⁴ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 116.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

كما تذكر إنجل راباسا وزملاؤها من مؤسسة راند أن إنشاء شبكات ومؤسسات مسلمة معتدلة سوف يوفر منصة لتضخيم رسالة المعتدلين، بالإضافة لتوفير نوع من الحماية ضد العنف والابتزاز.

ولأن المعتدلين لا يملكون الإمكانيات لعمل ذلك، فإنهم قد يحتاجون لعامل مساعد خارجي، وأن الولايات المتحدة

-بخبرتها الواسعة في دعم شبكات المعتدلين في الحرب الباردة ضد الكتلة الشيوعية- لها دور محوري في تهيئة المناخ للمعتدلين، وأن ما يحتاج إليه في هذه المرحلة هو الاستفادة من خبرة الحرب الباردة، وتقدير مدى ملائمتها للتطبيق في ظروف العالم الإسلامي اليوم، وتطوير (خريطة طريق) لإنشاء شبكات مسلمة معتدلة ومتحررة¹⁹⁵.

وتضيف إنجل راباسا وزملاؤها أن بناء شبكات معتدلة يمكن أن يمضي على ثلاثة مستويات:

(1) تقوية الشبكات الموجودة، (2) اكتشاف الشبكات

المحتملة، وتسريع ابتدائها ونموها، (3) المشاركة في الظروف الأساسية للتعددية والتسامح¹⁹⁶، التي تحبذ نمو هذه الشبكات.

وكذلك فإن الولايات المتحدة -في دعمها لإنشاء شبكات معتدلة- سوف تتصادم مع كل من الظروف السياسية والاجتماعية القمعية ومع موجة العداة العالية لأمريكا في معظم العالم الإسلامي¹⁹⁷.

وتضيف أيضاً أن مبادرة الشراكة للشرق الأوسط التي أعلنت عنها الولايات المتحدة، تدعم مباشرة المنظمات الأهلية المحلية بطريقة أكثر مرونة. وأن هذه المبادرة لا تعتمد أسلوب التعامل بين الحكومات، ولكنها تتعاقد مع

¹⁹⁵ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: iii.

¹⁹⁶ سوف أتعرض -إن شاء الله- للمعاني السياسية للتسامح وقبول الآخر والتعددية في المبحث الخامس عن الجانب السياسي والعسكري لحرب الصليبيين الفكرية.

¹⁹⁷ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: xvii & xviii.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
منظمات أهلية أمريكية، لتوزيع هبات وإعانات للمنظمات
الأهلية المحلية¹⁹⁸.
وتضيف أيضاً أن تطور المجتمع المدني يرتبط ارتباطاً
وثيقاً ببناء الشبكات المعتدلة. وأن جهود الولايات المتحدة
في المجتمع المدني أوسع من نشر الديمقراطية، فهي
تتضمن كل البرامج المصممة لنشر الديمقراطية¹⁹⁹ بالإضافة
لتلك البرامج التي تعنى بتطوير الفرص الاقتصادية والإعلام

¹⁹⁸ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: xviii.

¹⁹⁹ سوف أتعرض لجهود أمريكا لنشر الديمقراطية -إن شاء الله- في المبحث الرابع
عن ضرورة المواجهة الفكرية لحملة التضليل الصليبية.

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

المستقل المسؤول²⁰⁰ وحماية البيئة وحقوق الجنسين والأقليات والرعاية الصحية والتعليم²⁰¹.

وعندما تكتب إنجل راباسا وزملاؤها من مؤسسة راند عن
شركاء أمريكا المحتملين في حربهم الفكرية الصليبية تذكر أن
الأولوية يجب أن تعطى:

- للأكاديميين التحررين والعلمانيين المسلمين²⁰².
- ولشباب علماء الدين المعتدلين.

²⁰⁰ يقول عبد الباري عطوان:

"الإدارة الأمريكية وخبرائها، والعرب منهم خاصة، نجحوا في
ترويض معظم وسائط الإعلام العربية، واستخدموا العصا والجزرة،
وفرضوا رجالاتهم ومحليلهم على الفضائيات، ورسدوا ملياري دولار
للإنفاق على عملية التضييل التي يتبنونها، مرفوقة بقوائم سوداء تتضمن
أسماء معينة متهمه بالتحريض.

التصنيفات الأمريكية جاهزة، ونجحت في اغتيال العديد من
الشخصيات العربية. فمن يطالب بالمقاومة في فلسطين والعراق
غوغائي، ومن يعارض الهيمنة الأمريكية ظلامي، ومن ينتقد أنظمة
الفساد العربية وديكتاتوريتها إرهابي، أما من يتجرأ على الاختلاف مع
الرئيس بوش ومشروعه والمتعاملين معه في العراق فهو أحد عملاء
الديكتاتور صدام حسين!

الطفرة الإعلامية التي عاشتها المنطقة العربية في السنوات
الخمسة الماضية تتخرب بسرعة، وتواجه خطر الانقراض، لأن كل أحاديث
الإدارة الأمريكية عن الديمقراطية والإصلاح السياسي مجرد أكاذيب،
تماماً مثل أكاذيب أسلحة الدمار الشامل العراقية، والعلاقة الوثيقة بين
النظام العراقي وتنظيم القاعدة.

الإدارة الأمريكية الحالية تريد أن تعيد الإعلام العربي إلى عصر
الظلمات، إلى عصر القنوات الحكومية الرسمية، إلى زمن الاتجاه
الواحد، أي إلى زمن كان مفروضاً على المواطن أن لا يشاهد إلا الزعيم
يخطب لثلاث ساعات، ثم بعد ذلك مطربه المفضل، ومذيعه المفضل،
ومسلسلات إنجازاته العظيمة في كل المجالات.

هذا الإرهاب الإعلامي، من قبل كتائب التضييل الأمريكية وجنراتها،
لن ينجح في حجب الحقائق، وتكميم الأفواه، فالمشكلة لم تكن في
الإعلام العربي، ولا في فضائياته، وإنما في هذا الإذلال والقهر التعسف
الأمريكي والإسرائيلي، فالأصل الأمريكي مححف في ظلمه واستهدافه
للعرب والمسلمين، وحتى لو صممت الفضائيات ورضخت للضغوط،
وجرى لجم الأقلام في الصحف، وخلا الجو للبرلسن العرب الحدد، فإن
المقاومة، مقاومة المشاريع الأمريكية- الإسرائيلية ستستمر" [كتائب
الإرهاب الإعلامية الأمريكية صحيفة القدس العربي 12 رمضان 1425].

²⁰¹ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: xix, 79 & 80.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
- والنشطاء الاجتماعيين.

- وللمجموعات النسوية الداعية للمساواة بين الجنسين.
- وللصحافيين والكتاب المعتدلين.

وأن الولايات المتحدة يجب أن توفر لهم ظهوراً ومنصات،
فمثلاً ترى أنه لا بد من إدراجهم ضمن برامج زيارات
الكونجرس، لكي يتعرفوا على صناعات السياسة في أمريكا.
كذلك يجب دعم وسائل الإعلام المعتدلة في مواجهة وسائل
الإعلام التي يسيطر عليها أعداء الديمقراطية والمحافظون²⁰³.
وترى إنجل راباسا وزملاؤها أن من الدروس المستفادة من
الحرب الباردة؛ أن المنظمات التي كانت حكومة الولايات
المتحدة تمويلها كان يسمح لها بالاختلاف مع سياسات الولايات
المتحدة، وأن الكثيرين في حكومة الولايات المتحدة كانوا
يرون أن مصداقية هذه المنظمات وهؤلاء الأشخاص تزداد
بإظهار اختلافهم الجذري مع سياسة الولايات المتحدة. وقد
صاغ مدير إذاعة الحرية هذه الوسيلة بقوله:

"إن الخطافية السري هي أفضل لكمة توجه

للكرملين"²⁰⁴.

وترى كذلك أن من تلك الدروس؛ النجاح الكبير الذي حققه
ما يسمى بمؤتمر الحرية الثقافية، الذي جمع المجموعات
المتناثرة من الأشخاص المتشابهي التفكير في شبكة دولية
تحظى بدعم تنظيمي ومالي محدود من الولايات المتحدة،
ولذا فقد يكون الهدف في المعركة مع التطرف هو إنشاء
منظمة متعددة الجنسيات تعمل كمنصة ثقافية للإحياء
الديمقراطي في العالم الإسلامي²⁰⁵.

²⁰² أضاف فقهاء الإسلام الأمريكي الجديد فئة جديدة لم يعرفها المسلمون من قبل وهي فئة المسلمين العلمانيين، وقد أشرت من قبل لهذا التناقض.

²⁰³ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: xxii & 3.

²⁰⁴ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 32.

²⁰⁵ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 85, 140 & 141.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

ومن دروس الحرب الباردة أيضاً ما اقترحه (دنيس روس)؛
بأن تتعرف الولايات المتحدة على الإصلاحيين المخلصين،
لكي يبدأوا (دعوة علمانية)، تقدم خلالها القوى المعتدلة
تحسينات ملحوظة في مستوى المعيشة، وهو ما كانت تقوم
به هيئة المعونة الأمريكية وقوات السلام أثناء الحرب
الباردة²⁰⁶.

وفي خط مواز أصدر الكونجرس تعديل براون باك للعام
المالي 2005²⁰⁷، الذي يخول هيئة المعونة الأمريكية²⁰⁸، أن
تتعامل وتدعم المنظمات الأهلية المصرية، بدون الحاجة
لموافقة الحكومة المصرية²⁰⁹.

وتذكر وزملاؤها -في هذا السياق- تصريح سعد الدين
إبراهيم -التي تقر بأن الحكومة الأمريكية قد تدخلت لإخراجه
من السجن- الذي يقول فيه:

"إنني أقدر كل دعم استلمته".

وكذلك نجيب محفوظ الذي تسأل:

"ما المشكلة إذا كان الأمريكيان يريدون أن تكون

لنا ديمقراطية؟ أحياناً قد تتفق مصالحنا"²¹⁰.

وترى وزملاؤها؛ أن من الأفضل أن يتم دعم مؤسسات
المعتدلين بصورة غير مباشرة، ولذا فإن دعم تلك المؤسسات
عبر مقاولين غير حزبيين ولا حكوميين متعاقدين مع حكومة
الولايات المتحدة أفضل من تقديم الدعم مباشرة لها، حتى لا
تظهر الخيوط السياسية التي تربطها²¹¹.

وتذكر أيضاً وزملاؤها أن السؤال ليس هو؛ هل نقدم
المساعدة؟ ولكن كيف نوصلها؟

²⁰⁶ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 53.

²⁰⁷ The Brownback Amendment to the FY 2005 Consolidated Appropriations Act (P.L. 108-447).

²⁰⁸ USAID.

²⁰⁹ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 52.

²¹⁰ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 78.

²¹¹ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 47, 48 140.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
ولأن المساعدة الخارجية موضوع حساس جداً في العالم
الإسلامي، فتوصيل المساعدات يجب أن يكون بطرق متوائمة
مع الظروف المحلية، وأن يتم قدر الإمكان عبر المنظمات
غير الحكومية التي لها علاقات قائمة مع الدول المستقبلة،
وأن مفتاح النجاح هو التعامل مع الشركاء الموثوقين مع إبقاء
الدعم الخارجي خلف الستار²¹².

وتؤكد زملاؤها على أهمية ترجمة كتابات من يسمونهم
بالمثقفين الغربيين والجنوب شرق آسيويين التقدميين إلى
العربية والإنجليزية، وأن مؤسسة ليفورال في أمريكا تقوم
بذلك، وتنشرها في صورة كتب عادية أو على الإنترنت²¹³.
ويذكر كرسنوفر هنزل؛ أن الغرب يريد أن يرى الطبقات
العلمانية المتغربة في العالم الإسلامي ولها اليد العليا، ولكن
هذه الطبقات نخب ضعيفة سياسياً، وتتنظر إليها كل من
الجماهير والأنظمة بارتياب.
وأي محاولة من الولايات المتحدة لدعم هذه النخب لا بد أن
تكون مشروعاً ممتداً لعقود، وتتم بهدوء وبأقصى احتياط. لأن
الولايات المتحدة ستخسر لو اعتبرت الجماهير المسلمة
النخب التحررية عملاء للهيمنة الدولية الساعية لحرمان
الإسلام من مقاومة الثقافة الغربية، التي تعتبرها الأغلبية
منحلة أخلاقياً.

وعلى الولايات المتحدة أن تعمل في شراكة مع الأنظمة
الحالية في العالم السني لمقاومة الثوريين السلفيين. وأن
تتعامل وتدعم هذه الأنظمة الغير ديمقراطية حتى تتمكن من
تحقيق التواصل مع السلطات المحلية، وهو الأمر اللازم في
الحرب على الإرهاب. ولا بد لواشنطن أن تنحي جانباً الآن
طموحاتها في الثورة الديمقراطية في المنطقة، على الأقل
حتى يتم احتواء الثورة السلفية. وأن تتجنب الولايات المتحدة

²¹² BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 78 &79.

²¹³ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 88.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

أن تظهر كخصم للمؤسسات العلمية السننية التقليدية، أو أن تستفزها، فتتعاطف مع خصومها السابقين؛ الثوربين السلفيين. لأن عامة السنة لو تصوروا أن الولايات المتحدة تقوم بحملة لإضعاف أو إعادة صياغة الثقافة السننية التقليدية، فستستنتج فئات أكثر فأكثر من عامة السنة أن السلفيين -الذين لعنوهم من قبل- كان معهم كل الحق. وعند هذه اللحظة فسيرى العالم حقاً صراع الحضارات، الذي يسعى له كل من القاعدة وبعض المفكرين الأمريكيين²¹⁴.

5- الحرب ضد الجهاد يجب أن يقوم بها المنتسبون للإسلام من الزعماء والعلماء.

أشار العديد من كتاب الحملة الفكرية الصليبية إلى ضرورة أن يقوم بالهجوم على الجهاد الزعماء والعلماء المنتسبون للإسلام. حتى يدبر الصليبيون الحرب الفكرية من وراء ستار. يذكر ويليام ماكنيس وزملاؤه من مركز مقاومة الإرهاب في أكاديمية الولايات المتحدة العسكرية التابعة للجيش الأمريكي أن استنكار أعمال الجهاديين يكون ضاراً إذا جاء بالذات من ثلاث طوائف: الزعماء الدينيين المؤثرين، والجهاديين السابقين والجهاديين الحاليين البارزين²¹⁵. ويوصي أيضاً وزملاؤه بإبراز إدانة العلماء السلفيين البارزين في السعودية لما يسميه بالإرهاب الجهادي، وبإقناع المفكرين الجهاديين بشجب بعض أهداف الجهاديين وتكتيكاتهم²¹⁶.

ويضيف وزملاؤه بأن الحكومات الغربية لا مصداقية لها في العالم الإسلامي، ولذا فإن عليها أن تتابع تلك الجهود بطريقة غير مباشرة. وأن العالم الإسلامي لا يوجد به علماء دين كثيرون يمكن وصفهم بالاعتدال على حسب المقاييس

²¹⁴ The Origins of al Qaeda's Ideology, p: 79 & 80.

²¹⁵ Militant Ideology Atlas, Executive Report p: 10.

²¹⁶ Militant Ideology Atlas, Executive Report p: 11.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
الغربية، ولكن حتى يوجدوا فعلى المجتمع الدولي أن يركز
على عزل الجهاديين عن الحركة السلفية الأوسع. ورغم أنه
قد يكون من الكريه العمل مع الزعماء السلفيين اللاعنفين،
وإلا أنهم أفضل من يمكن أن ينزع الشرعية عن الجهاديين،
ويراقب أنشطتهم²¹⁷.

ويذكر براتشمان وماكنتس من مركز مقاومة الإرهاب في
أكاديمية الولايات المتحدة العسكرية التابعة للجيش
الأمريكي:

"تستطيع الولايات المتحدة أن تميز وتمول رموز
التيار السلفي العام مثل (المدخلي)، المؤثر في
اجتذاب التأييد من الجهاديين، والذي لا يشجع
العنف (مثلاً بالإنفاق على المطبوعات
والمحاضرات والمدارس الجديدة)".
إلى قولهما:

"وتستطيع الولايات المتحدة أن تمول أيضاً غير
السلفيين، ولكنها حالياً تعوزها الخبرة اللازمة،
لتحدد من هو الفعال حقيقةً. وربما كانت
الاستراتيجية الأفضل على المدى القريب أن
تضغط على حكومات الشرق الأوسط لتسمح
بمشاركة سياسية أكبر وظهور للجماعات التي تهدد
الجهاديين. وهذا التناول لا يد أن يخلف من قطر
لآخر، فمثلاً في مصر سيكونون الإخوان
المسلمين، وفي العربية السعودية الشيعة،
ومرةً أخرى، فمن الضروري ألا ترى يد الولايات
المتحدة"²¹⁸.

وقال جيمس فيليبس في محاضرتيه التي ألقاها في
مؤسسة التراث أنه لكي تردع شخصاً ما عن اللحاق

²¹⁷ Militant Ideology Atlas, Executive Report p: 11.

²¹⁸ Stealing Al-Qa'ida's Playbook, p 20 & 21.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

بالقاعدة فمن المفيد أن تقنعه مسبقاً بأن القاعدة تخوض حرباً خاسرة، وأنها تؤدي المجتمع الإسلامي بأساليبها الفظة، وأن أهدافها البعيدة غير واقعية، وكثيراً ما تسبب الضرر للمسلمين²¹⁹. وأن على الولايات المتحدة أن تعتمد على الزعماء السياسيين والدينين المسلمين لتحقيق ذلك²²⁰.

وقال أيضاً إن حرب الأفكار بنفس أهمية حرب ميادين القتال إذا أريد هزيمة القاعدة هزيمة حاسمة. والهدف المحوري على المدى البعيد هو انتقاص ونزع الشرعية عن العقيدة التي ينشرها الإرهابيون بين مؤيديهم ليبرروا القتل بالجملة. ولكي تحط من عقيدة بن لادن فعلى المسلمين أن يقتنعوا بأن برنامجهم الثوري غير واقعي، ويعرض المسلمين لتكاليف باهظة، وأن هناك طريقاً أفضل لينظموا حياتهم، ويعولوا أسرهم، ويمارسوا الإسلام الأصلي²²¹. وهذه الحجج لا بد أن يسوقها الزعماء السياسيون والدينون والتربويون والفكريون المسلمون. وعلى غير المسلمين أن يهتموا بمساعدتهم على نشر وإشاعة وحشد التأييد لتلك الأفكار. وعلى الحكومات أن تعمل مع الزعماء الدينين والسياسيين المسلمين لكشف عقيدة القاعدة الدموية التي تنتهك التعاليم الإسلامية. وعلى العلماء المسلمين أخذ المبادرة في تحصين الشباب المسلم ضد فيروس الإرهابيين العقائدي السام. وعلى صناع الأفلام الوثائقية المسلمين أن يبينوا للعالم الإسلامي البؤس الذي كان يعيش فيه الأفغان تحت حكم الطالبان القمعي، الذي كانت تؤيده القاعدة. وبالإضافة لانتقاد عقيدة القاعدة، فلا بد من بذل الجهد في انتقاد تكتيكها المفضل؛ العمليات الانتحارية. كما زعم²²².

²¹⁹ لاحظ التشابه الشديد بين آرائه وكتابات المتراجعين وأصحاب وثائق الترشيد.

²²⁰ The Evolving Al-Qaeda Threat, p: 7 & 8.

²²¹ تبوء مفكرو الحملة الصليبية منصب الإفتاء للتفريق بين الإسلام الأصلي والإسلام المزور. فتأمل.

²²² The Evolving Al-Qaeda Threat, p: 9.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
وترى إنجل راباسا وزملائها أن الولايات المتحدة ودول
الغرب الأخرى لا تملك إلا تأثيراً قليلاً على مصير (حرب
الأفكار)، وأن المسلمين فقط هم الذين يملكون المصداقية
لتحدي إساءة استخدام المتطرفين للإسلام. ولكن المعتدلين
لن يتمكنوا من مواجهة الأصوليين بنجاح ما لم تهبأ لهم
الأرضية، وهو ما يستطيع أن يساعد فيه الغرب بدعم إنشاء
شبكات مسلمة²²³.

ومن أمثلة اهتمام الغرب الصليبي بمهاجمة الجهاد عبر
المسلمين؛ احتفاء العالم الغربي بتصريحات الشيخ عبد
العزیز بن عبد الله آل الشيخ والشيخ سلمان العودة والدكتور
السيد إمام على المستويين الرسمي والفكري الإعلامي.
فمن أمثلة الاهتمام بتصريحاتهم على المستوى الرسمي
ما ذكره تقرير فريق متابعة القاعدة والطلابان المشكل بقرار
مجلس الأمن في رسالته الموجهة لرئيس مجلس الأمن في
مايو 2008، حيث جاء فيها:

"وصدرت عدة بيانات هامة تدین القاعدة، ولا
سيما البيان الصادر في تشرين الأول / أكتوبر
2007 عن أعلى سلطة دينية في المملكة العربية
السعودية؛ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ،
وقبل ذلك بشهر عن الشيخ سلمان العودة، وهو
رجل دين مستقل وبارز معروف بانتقاده المفعم
بالتحدي والتشدد للنظام القائم²²⁴. كذلك أدار
حلفاء سابقون آخرون ظهورهم للقاعدة، وأهمهم
منظر الجهاد الإسلامي ذو النفوذ الواسع²²⁵، وأحد

²²³ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 3.

²²⁴ كان هذا قبل السجن، أما بعد السجن فقد انقلب على عقبيه، نسأل الله أن يعافيه
مما هو فيه، وبثبتنا على الحق حتى نلقاه. وتقرير الفريق يخلط الأمور عن عمد.
²²⁵ ذكرت من قبل في الحلقة الأولى من اللقاء المفتوح الصادرة في ربيع الأول 1429
بأن: "الإعلام الحكومي يستخدم أوصافاً لا حقيقة لها مثل مفتي القاعدة وأمير جماعة
الجهاد بمصر والمستشار العسكري لطالبان".

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

أقدم المرتبطين بأيمن الظواهرى، وأوثقهم صلة به²²⁶. سيد إمام الشريف، المعروف أيضاً بالدكتور فضل، المسجون حالياً في مصر. حيث أكد في (وثيقة الهداية الحققة للنشاط الجهادي في مصر والعالم²²⁷) التي أصدرها في تشرين الثاني/ نوفمبر 2007 أن القاعدة تجاوزت حدود قدراتها، وأن أعمالها تشكل انتهاكاً للشريعة الإسلامية. وبالتالي، فإن التلميح إلى إمكانية محاكمة أسامة بن لادن والظواهرى غائباً في محكمة إسلامية فكرة تستحق الدعم"²²⁸.

وكذلك يذكر تقرير الحكومة البريطانية المقدم للبرلمان في مارس 2009:

"إن القاعدة وأعاونها معرضون لتحد عقائدي فعال. وقد اتضح هذا واضحاً جداً في رفض عقيدة القاعدة بواسطة سيد إمام الشريف، والذي يعرف أيضاً بالدكتور فضل

.....
ولم يكشف فضل منهجياً فقط الأخطاء في تفكير القاعدة، ولكن أيضاً أظهر الأضرار التي تسببها للمسلمين حول العالم"²²⁹.

وهكذا أصبح فقه المباحث وفقهاؤه محل الاهتمام والثناء الرسميين للحملة الصليبية. وكذلك كان هناك احتفال إعلامي وفكري بتلك التصريحات، ومن أمثلة ذلك امتداح كارين هيوز الوكيلة السابقة بوزارة

²²⁶ كان هذا قبل أربعة عشر عاماً من كتابة هذا التقرير، ولكنه الخلط المتعمد.
²²⁷ يقصدون (وثيقة ترشيد الجهاد في مصر والعالم)، ولكنها الترجمة العربية للترجمة الإنجليزية، وهذا يدل على أن لا مترجم التقرير للعربية ولا أحد ممن شارك في مراجعة الترجمة قد أطلع على الوثيقة الأصلية.
²²⁸ الأمم المتحدة (S/2008/324) ص: 8.

²²⁹ Pursue Prevent Protect Prepare, The United Kingdom's Strategy for Countering International Terrorism, p: 47.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
الخارجية الأمريكية للشيخ سلمان العودة في مقال خاص في
صحيفة النيويورك تايمز، واعتبرت براءة سلمان العودة من
الشيخ أسامة بن لادن دليل أن هناك "شجعاناً في العالم
الإسلامي"، يرفعون أصواتهم لرفض الجهاد تحت مسمى
العنف والإرهاب.²³⁰

وكذلك رحب وأشاد ريتشارد بارت²³¹ بتصريحات السيد إمام
وسلمان العودة، ووصفها بأنها شكّلت ضربات قوية لتبريرات
القاعدة العقائدية للعنف.²³²

6- إنشاء إسلام لين مهادن أجدي من المواجهة الصريحة
مع الإسلام.

تذكر تشيريل بينارد أنها في حوار لها مع ابن الوراق -وهو
الملحد الذي ذكرته من قبل، والذي حاولت أن تحشره تشيريل
بينارد في عداد المسلمين تعنتاً وتحكماً- اتفق معها أن النقد
الصريح للإسلام في هذه المرحلة قد لا يكون عملياً، وأن
الأفضل بذل الجهد في تشجيع إسلام الطف وأسلس ومنزوع
الأنياب!²³³

²³⁰ جهاد برس- التقرير التاسع- جمادى الأولى 1429 ص: 4، جريدة الوطن السعودية
يوم السبت 13 ذو الحجة 1428هـ الموافق 22 ديسمبر 2007م العدد (2640)
السنة الثامنة.

²³¹ شغل ريتشارد بارت منذ عام 2004 منصب منسق فريق متابعة القاعدة والطالبان
التابع لمجلس الأمن، كما أنه عضو في قوة مهام الأمين العام لدفع تطبيق استراتيجية
مكافحة الإرهاب التي أقرتها الجمعية العامة عام 2006، وقبل التحاقه بالأمم المتحدة
عمل بالحكومة البريطانية، وكان من مهامه الإشراف على مكافحة الإرهاب عبر البحار
قبل وبعد الغزوات المباركات على نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا عام 2001.

²³² Seven Years After 9/11: Al-Qaida's Strengths and Vulnerabilities, p: 6.

²³³ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 49.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرباً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب

المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب

□ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

وَكَوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ □

□ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ
بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا
أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ □

تَحْرُصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً لَيْسَتْ بِنَبِيٍّ إِذَا
عُدَّتْ وَلَا عَرَبٍ ²³⁴

في المبحث السابق ضربت أمثلة بإيجاز لجهود الحملة
الصليبية الغربية الفكرية المعاصرة ضد الجهاد والمجاهدين،
ومن وسائل هذه الحملة حرب التشويه والكذب، ولكنني أشرت
أن أفردها هنا بمبحث مستقل لأهميتها. وسوف أضرب هنا
أمثلة من سيل الأكاذيب الذي يتدفق ضد المجاهدين:
1- قتل عبد الله عزام.

²³⁴ البيت لأبي تمام في وصف وقعة عمورية. الموسوعة الشعرية- أبو تمام.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

- 2- استخدام كذبة قتل الأبرياء.
- 3- تشويه صورة القاعدة لدى الباكستانيين بتصويرها على أنها عربية فاشية مادية مهووسة بتكفير الحكومات.
- 4- القاعدة تكفيريون، يكفرون كل من خالفهم.
- 5- القاعدة قطبيون.
- 6- القاعدة تتضاءل شعبيتها.
- 7- الطالبان والقاعدة في أفغانستان مارسوا الزواج القسري.

- 1- قتل عبد الله عزام
ذكر تقرير الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر في يوليو 2004 حول -ما زعمه- الخلاف بين الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله- وبين الشيخ أسامة بن لادن -حفظه الله- ما يأتي:

"وسواء كان النزاع حول السلطة أو الخلافات الشخصية أو الاستراتيجية، فقد انتهت في 24 نوفمبر 1989، عندما قتلت سيارة مفخخة بتحكم عن بعد عزام وكلا ولديه. أما القتلة فقد افترض أنهم من المصريين المنافسين"²³⁵.

ثم أشار التقرير لهامش ملحق جاء فيه:
"انظر تقرير الإف بي آي في التحريات-
التحقيق مع جمال الفضل 10 نوفمبر 1996،
وجواناراتنا- داخل القاعدة ص: 23"²³⁶.

ثم ذكر كينيث كاتزمان في أغسطس 2005 في تقرير مقدم للكونجرس:

²³⁵ 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 56.

²³⁶ 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 467.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب

"في نوفمبر 1989 اغتيل عزام، وزعم البعض
أن بن لادن قد يكون مسؤولاً عن القتل، لكي
يحسم ذلك النزاع حول السلطة"²³⁷.

وفي نوفمبر 2006 ذكر ويليام ماكينتس وزملاؤه من مركز
مكافحة الإرهاب في الجيش الأمريكي:

"في 24 نوفمبر 1989 انفجرت ثلاث قنابل
على طريق عبد الله عزام -الذي يعبره بانتظام في
طريقه للمسجد- عند عبوره، فقتل الشيخ مع
ولديه، وقد ربطت شائعات بصورة ثابتة أسامة بن
لادن باغتيال عزام، رغم أنه لا دليل على هذا
الربط"²³⁸.

وهكذا يردد الأمريكيان هذه الأكذوبة الفاجرة بصيغة
التشكيك لتمريرها، وقد ضربت ثلاثة أمثلة لذلك من ثلاث
جهات رسمية، أحدها تقرير الكونجرس الرسمي عن الحادي
عشر من سبتمبر، والآخر تقرير أحد الخبراء المقدم
للكونجرس من خدمة أبحاث الكونجرس التابعة لمكتبة
الكونجرس، والثالث من مركز مكافحة الإرهاب في الجيش
الأمريكي، وكلهم يلقون التهم بلا دليل، في محاولة خبيثة منهم
لنشرها.

ومثال رابع أذكره من كاتب، يزعم أنه خبير في القاعدة،
وفي العبد الضعيف، وهو لورانس رايت، حيث ذكر في
سلسلته، التي نشرها في مجلة (النيويورك) عن شخصي
الضعيف ما ترجمته:

"شوه الطواهري مكانة عزام بنشر إشاعات أنه
كان جاسوساً"

ثم ينقل عن شخص انشق عن الجماعة الإسلامية -أسأل
الله أن يهديه، ويرده للحق رداً جميلاً- أن:

²³⁷ Al Qaeda: Profile and Threat Assessment, P: 6.

²³⁸ Militant Ideology Atlas, RESEARCH COMPENDIUM, p: 288.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

"الظواهري قال إنه يعتقد أن عبد الله عزام كان
يعمل لصالح الأمريكان، وأن الشيخ عبد الله عزام
قتل في تلك الليلة".

وإذا كنت كذوباً فكن ذكوراً، فإن الشيخ عبد الله عزام
-رحمه الله- لم يقتل في الليل، بل قتل قبل الظهر، وهو في
طريقه لصلاة الجمعة.

ثم يضيف لورانس رايت:

"وفي 24 نوفمبر 1989 فجر عزام وولديه
بسيارة مفخخة، وهم يقودون في طريقهم لمسجد
في بشاور، ورغم أن أحداً لم يدعي المسؤولية عن
هذا القتل، إلا أن الكثيرين قد اتهموا، من ضمنهم
الظواهري نفسه، وحتى بن لادن، وفي عزاء عزام
ألقى الظواهري كلمة تآبين"²³⁹.

ولورانس رايت لم يكذب في أصل المسألة فقط، بل حتى
في التفاصيل التي أحاط بها كذبه الكبرى، فالشيخ عبد الله
-رحمه الله- لم يقتل ليلاً، ولم يقتل بسيارة مفخخة، بل بعبوة
وضعت له على جانب الطريق، كما أني لم ألق كلمة تآبين في
عزائه. فالكذب يكتنفه أصلاً وفروعاً.

قال النابغة الذبياني:

لئن كنت قد بلغت عني وشايةً
لمبلغك الواشي أعشُّ
وأكدبُ²⁴⁰

²³⁹ THE MAN BEHIND BIN LADEN, VI—COURTING BIN LADEN.

وللورانس رايت في تلك السلسلة كذبات كثيرة، وليس من وظيفتي أن أصححها له،
فمن الواضح أنه على صلة وثيقة بالمخابرات، ولكن منها على سبيل المثال ما نقله
-بحسن قصد أو بسوءه- عن منتصر الزيات، أني صديقه وزميله، وأنه كان يتحدث
معني في سجن القلعة عبر ثقب في الجدار، وأنه سألني عن سبب فشل العملية (قتل
السادات والانقلاب عليه)، وإني قلت له أني كنت لا أشجع الاغتيال، وإني كنت أفضل
الانتظار حتى نستطيع خلع النظام من جذوره، عبر انقلاب عسكري. وهذا كله اختلاق
من عالم الأوهام والخيالات. وقد أشرت من قبل لمزاعم منتصر الزيات أنه صديقي
وزميلي ووكميلي عند الكلام عن الأستاذ فتحي رضوان رحمه الله، وعند الكلام عن
العمليات في مصر. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

²⁴⁰ البيت للنابغة الذبياني. الموسوعة الشعرية- النابغة الذبياني.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب
وهذه الأكاذيب ليست تصرفاً ينافي فقط البحث العلمي
النزيه، ولكنه ينافي أبسط مبادئ الأخلاق، ولا يجروء أحد من
كتاب تلك الدراسات والكتب، أن يمارس نفس الأسلوب مع
أي شخص في بلده، وإلا لجره للقضاء، وحصل منه على
اعتذار وتعويض باهظ، ولكن ما هو حرام معهم حلال معنا،
وهذا دأب وسمت مطرد في الغرب الصليبي.
وأود هنا أن أتوقف مع الأدلة، أو على التحقيق الشبهات،
التي استند إليها تقرير الكونجرس في إيراده لهذه الفرية، فقد
ذكر التقرير في الهامش مصدرين، أحدهما جمال الفضل،
والآخر كتاب (في داخل القاعدة) للمدعوروهان جواناراتنا،
الذي أشرت إليه في المبحث الأول.

فمن هو جمال الفضل؟ جمال الفضل باعتراف تقرير
الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر هو عضو
القاعدة، الذي اختلس من الشيخ أسامة بن لادن 110 ألف
دولار، ورفض ردها، وأنه بعد ترك الشيخ أسامة للسودان تقدم
بنفسه لسفارة أمريكية في أفريقيا، وأثبت انتماءه للقاعدة،
وانشق للولايات المتحدة، وقدم معلومات شكلت نقلة مفاجئة
ضخمة في الاستخبارات عن القاعدة²⁴¹.

وهذا الذي ذكره التقرير هو جزء من الحقيقة، فجمال
الفضل كان عضواً في القاعدة، ثم عينه الشيخ أسامة بن لادن
في إحدى شركاته في الخرطوم، فاختلس منها أموالاً كثيرة،
وأضاف إليها أموالاً أخرى احتال على أخذها من إخوة آخرين،
ثم عاش حياة من الاحتيال والغش، وكانت إحدى آخر
مغامراته شراكة تجارية مع أحد أصحاب النفوذ في السودان،
ثم لما غش كالعادة، وهرب بالمال، أحس بأن الخناق قد ضيق
عليه في السودان، ففي هذه الفترة سلم نفسه للأمريكان،
ليحاول أن يستثمر ما لديه من حقائق مخلوطة بأكاذيب
للأمريكان، الذين رحبوا به، ووضعوه تحت رعاية برنامج حماية

²⁴¹ 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 62, 109 & 435.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الشهود، ثم إنه حاول استدراج صهره محمد النافع لألمانيا بحجة وجود فرص للعمل، فلما جاءه قبض عليه الأمريكان، وطالبوه بالتعاون معهم مثل جمال الفضل، فلما أبى، حكموا عليه بالسجن عشر سنوات. ثم مارس دوره أكثر من مرة مع المخابرات والمحاكم الأمريكية.

هذا هو جمال الفضل الذي يستند إليه تقرير الكونجرس الأمريكي، الذي يعبر عن إرادة الأمة الأمريكية، ومن هذا يتبين أن ذلك التقرير قد احتوى كذباً أتى من خائن كذاب. أما روهان جواناراتنا فكذاب آخر لا يملك إلا ترويح الإشاعات، في صورة خبير في الإرهاب، وهي الدجاجة التي تبيض ذهباً في هذا الزمان.

2- استخدام كذبة قتل الأبرياء.

يذكر ويليام ماكنيس وزملاؤه من مركز مكافحة الإرهاب في أكاديمية الولايات المتحدة العسكرية بالجيش الأمريكي:

"يفقد الجهاديون المصدقية ضمن عامة المسلمين حينما يهاجمون النساء والأطفال والمسنيين وثروة الأمة".
وأن الدعاية الجهادية يمكن مقاومتها برسائل منها:
"إن الرسالة الجهادية ضعيفة جداً وغير مقبولة، لدرجة أنهم يضطرون لاستخدام العنف لإقناع الناس"²⁴².

²⁴³ وقال جيمس فيليبس في محاضراته أمام مؤسسة التراث إن الولايات المتحدة يجب أن تدفع الإصلاحات الديمقراطية وحرية السوق حتى تقوي المسلمين سياسياً واقتصادياً، وأن تنتهز كل فرصة لمواجهة برنامج القاعدة والمنظمات المماثلة التي لا تقدم إلا قتلاً ودماراً لا ينتهيان. ولا بد من نشر جرائم

²⁴² Militant Ideology Atlas, Executive Report p: 5, 6 & 11.

²⁴³ Heritage Foundation.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب
القاعدة، وخاصة ضد المسلمين، ونشر اعترافات المنشقين
عن القاعدة، وكشف جهود القاعدة وحزب الله والمجموعات
الإرهابية في تهريب المخدرات، التي أدمنتها أعداد غفيرة من
المسلمين وملايين من غير المسلمين.
ولا بد للولايات المتحدة أن تظهر بن لادن على أنه يهدد
العالم الإسلامي، كما يهدد الغرب. ولا بد من أن نبذل أقصى
الجهود لإثبات أن بن لادن قد قتل من المسلمين أكثر مما قتل
من غير المسلمين، ومن الأفغان أكثر مما قتل من
الأمريكان²⁴⁴.

وهذا مثال للكذب الأمريكي الفاجر، فأكبر القتلة في التاريخ
المعاصر، يرمون غيرهم بما وقعوا في الألاف من أضعافه،
وقد تعرضت بإيجاز من قبل لأسلوب الغرب الصليبي في
الحرب²⁴⁵، بما يغني عن إعادته، ولكني هنا أضيف قليلاً من
المعلومات عن أسلوب الأمريكان في الحرب حتى تظهر
الطبيعة الإجرامية المتأصلة في السلوك الأمريكي.
تذكر ديورن نيلسون في كتابها (الحرب من خلفي)، التي
درست فيه مع زميلها المؤرخ العسكري نيكولاس نرس
أرشيف الجيش الأمريكي عن جرائم الحرب في فيتنام:
"إن مجموعة الأرشيف تحتوي على مئات من
الإفادات -تحت القسم- من جنود ومحاربين
قدامى، من الذين ارتكبوا أو شهدوا على حوادث
الاغتصاب والقتل والتعذيب والمذابح والأفعال غير
القانونية.

.....

²⁴⁴ The Evolving Al-Qaeda Threat, p: 10.

²⁴⁵ الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع:
الغزوات المباركات/ المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع
الثاني: كيف يقاتل العدو؟

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

ولما أدخلنا المعلومات يدوياً في قائمة مجدولة تبين بوضوح أن المشكلة أكبر من كونها مشكلة بعض الأشخاص السيئس، فكل فرقة رئيسية خدمت في فيتنام كانت ممثلة. وقد أحصينا أكثر من 300 ادعاء في حالات ثبتت بالدليل بناء على تحقيقات الجيش نفسه. وبعضها لم تُكشف أبداً، وبعضها أنكرت علناً، بينما ظل الجيش صامتاً حول نتائج تحقيقه.

ولم يمكن إثبات 500 ادعاء، أو لم يستكمل التحقيق فيها. وطبقاً للضباط الذين ساعدوا في تجميع تلكم التسجيلات: فإن تلك الأرقام تمثل فقط جزءاً بسيطاً من جرائم الحرب، التي ارتكبت في فيتنام".

وتذكر أيضاً أن جون كيري²⁴⁶، الذي كان زعيماً في منظمة قدامى محاربي فيتنام ضد الحرب²⁴⁷ أدلى بشهادته في الكونجرس في 22 أبريل 1971، والتي قال فيها إن القوات الأمريكية في فيتنام:

"انتهكت الأعراض، وقطعت الآذان، وقطعت الرؤوس، ولفت الأسلاك من الهواتف النقالة حول أعضاء التناسل البشرية، ثم شغلت الكهرباء، وبترت الأعضاء، وفجرت الجثث، وأطلقت النار عشوائياً على المدنيين، ودمرت القرى بأسلوب يذكر بجنكيز خان، وأطلقت النار على الأبقار والكلاب للتسلي، وسممت مخازن الغذاء، وعلى العموم خربت ريف جنوب أفغانستان، بالإضافة لتخريب الحرب المعتاد"²⁴⁸.

وذكرت أيضاً أنها وزميلها:

²⁴⁶ الذي ترشح للرئاسة عام 2004 منافساً لجورج بوش في انتخابات عهده الثانية.

²⁴⁷ Vietnam Veterans Against the War.

²⁴⁸ The War Behind Me, p: 3.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرباً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب
"قد أحصيا سبع مذابح مؤكدة في أرشيف أركان
الجيش، سوى مذبة ماي لاي، وأربعة وثلاثين
تقريراً عن مقتلات جماعية، لم تثبتها تحقيقات
قسم التحقيقات الجنائية"²⁴⁹
أما ما هي مذبة ماي لاي؟

وقعت مذبة ماي لاي في مارس 1968 على يد الجيش
الأمريكي في فيتنام أثناء هجومه على قرية ماي لاي
الصغيرة، وهي جزء من مجمع قرية سونج ماي في مقاطعة
كوانج نجاي في جنوب فيتنام، وقتل فيها قرابة 500 مدني.
ففي صباح 16 مارس أخير الجنود من قوة مهام باركر
من اللواء الحادي عشر من فرقة (أمريكال) أن عليهم أن
يهاجموا مركزاً للأعداء، وأن يتجهزوا لقتل كل من يلاقونه،
ولكن لما بلغوا المكان لم يكن به إلا النساء والأطفال
والرجال المسنون، يمارسون أنشطتهم العادية، فوصلت
فصيلة بقيادة الملازم ويليام كالي، وأخذت في تجميع
السكان في مجموعات لإعدامهم، فقتلوا في ماي لاي 357
شخصاً، وفي قرية صغيرة مجاورة قرابة 150 آخرين، كما
أن كثيراً من القرويين قد انتهكت أعراضهم ومثل بهم.
وطوال كل الهجوم لم تكن هناك أية نيران معادية من
القرية.

وفي البداية قام الجيش بالتغطية على المذبحة، ولكن
فيما بعد صورت المذبحة للجمهور الأمريكي على أنها انتصار
ياهر على مقاتلي عصابات جبهة التحرير الوطنية، ولم
تنكشف الوقائع الحقيقية إلا بعد عام من وقوعها.
ولقد كانت المساعي لحماية المدنيين طوال حرب فيتنام
ضئيلة، وكان كل فيتنامي يشك في دعمه لجبهة التحرير
الوطنية يعد هدفاً لا نزاع فيه، ولكن المذبحة المتعمدة
لسكان القرية غير المقاومين اعتبرت جريمة حرب خطيرة،

²⁴⁹ The War Behind Me, p: 43.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

لدرجة أن كل مستويات القيادة في فرقة (أمريكال)
تواطئت على التغطية عليها.

وقد اقتصر التحقيق المبدئي للجيش على 12 من الضباط
صغار الرتب والمجندين. وفي النهاية أحيل خمسة لمجلس
عسكري. ووجد أحدهم وهو الملازم كالي مذنباً، وحكم عليه
بالسجن مدى الحياة. ولكن تلقى الرئيس نيكسون على
مدى الشهرين التاليين للحكم 15000 رسالة تحتج على
الحكم، وكذلك استقالت كل لجان التجنيد، وشرع تنظيم
(المحاربين القدماء في حروب الولايات المتحدة الخارجية)
حملة بعنوان (أطلقوا كالي). وفي نفس الوقت استهزأ
بالحكم، وزعم أن كالي كان كبش فداء في حرب، كانت هي
ذاتها محرمة.

وعقد التنظيم تحقيقاً جدياً شتوياً، أدلى فيه 100 من
قدامى المحاربين بشهاداتهم أمام عدسات شبكات التلفاز،
قرروا فيها أن الفظائع الشبيهة بفظائع ماي لاي كانت تعد
إجراءات عملياتية عادية طوال فترة الحرب، حتى وإن لم
تكن على نفس الدرجة. وأشاروا إلى أن غارات القصف
كثيراً ما محت قرى بأكملها في دقائق، ولما بدأ مسؤولو
الجيش في تهديد قدامى المحاربين أولئك، انطلقت موجة
اعتراض من محاربين قدامى آخرين في كل أمريكا، بدأوا
في ذكر حوادث مماثلة.

وفي النهاية صار الرأي العام الأمريكي مقتنعاً بأن كالي
إما أنه ما كان يجب أن يدان أصلاً على أدائه لواجبه، أو أنه
ضحى به لتغطية أفعال رؤسائه. وفي النهاية أمضى كالي
أربعة أعوام في اعتقال منزلي، وعفي عنه في 1974. أما
رؤساء كالي فقد برؤوا!!²⁵⁰

²⁵⁰ Microsoft Encarta 2008, My Lai Massacre.

راجع أيضاً لمزيد من التفاصيل عن مذبحه ماي لاي وغيرها:
Encyclopedia of Prisoners of War and Internment, MY LAI MASSACRE, p: 276.
ومقال (أمريكا بدأت هجومها العام والشامل على الإسلام. بن لادن- وليس أبو جهل و
أبو لهب - هو الحل).

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب
وتنقل ديوره نيلسون عن ستيفن شوكالا²⁵¹ أن تناول
الإدارة لتحقيقات ماي لاي قد حطم معنويات قسم
التحقيقات الجنائية، فقد رُشح لاتهام 30 شخصاً، وُجهت
التهم لستة عشر منهم، وحوكم خمسة، وأدين الملازم
ويليام كالي فقط، وفي أبريل 1971 أمر نيكسون بأن
يسمح له بقضاء العقوبة في منزله. فكيف يمكن أن يعاقب
أي شخص آخر بعد هذا؟ لقد أصاب هذا التوجه النظام
القضائي العسكري بالعجز، فالقادة تراجعوا عن متابعة
التهم، والمحامون لم يرغبوا في الادعاء، والمحلفون عزفوا
عن الإدانة²⁵².

وذكرت أيضاً عن قضية أنتوني هربر، أنه رغم أن قسم
التحقيقات الجنائية قد أثبت حفة فقط من ادعاءاته، إلا أن ما
أثبتته يعد حالات بشعة. فأحداها تعلقت بقتل ثمانية أسرى
على يد جنود فيتناميين جنوبيين تحت إشراف مستشار
أمريكي. ويقول هربرت أنه لما وصل كانوا يذبحون امرأة
فيتنامية وطفلها متعلق برجلها. وتضمنت أربع ادعاءات أخرى
حوادث تعذيب للمعتقلين باستخدام الماء والصعق الكهربائي
والعصي. وذكرت مذكرة لرئيس قسم التحقيقات الجنائية أن
المحققين في ادعاءات هربر قد وصلوا لأدلة على استخدام
محققي الاستخبارات العسكرية للتعذيب بواسطة الهواتف
الميدانية والماء والعصي²⁵³.

وتذكر أيضاً نقلاً عن الجندي جامي هنري أنه في يوم 7
فبراير 1968 تلقت سريته أمراً بتمشيط الحقول والقرى
المجاورة، وطلب منهم قتل أي شيء يتحرك. وفيما بعد
اكتشف جنود الفصيلة رجلاً في حفرة بحقل، فأمسك به
اثنان من الجنود، وثبته على الأرض أمام ناقلة جنود

²⁵¹ كان ستيفن شوكالا أعلى مستشار قانوني لهنري تفتس قائد قسم التحقيقات
الجنائية بالجيش خلال حرب فيتنام.

²⁵² The War Behind Me, p: 147.

²⁵³ The War Behind Me, p: 49.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

مدرعة، مرت عليه بحنزيرها الأيمن، ولكنه لم يمت،
فرجعت عليه مرة أخرى.

وفيما بعد سمع هنري ملازماً من السرية يخبر قائده باللاسلكي؛ أن رجاله قد قبضوا على 19 مدنياً، ويسأل عما يتوجب عليهم أن يفعلوه بهم؟ فرد عليه بأن (الأعلى) قد قال بقتل كل شيء يتحرك. ثم جمع الجنود النساء والأطفال فوق بعضهم في كومة، وأخذ الملازم وجنوده يصوبون عليهم أسلحتهم، ثم أتى جنديان بفتاة مراهقة عارية يجربانها، وألقياها فوق كومة النساء والأطفال، التي كان فيها أيضاً رضع، وما أن فعلا ذلك حتى شرعوا بإطلاق النار عليهم²⁵⁴. وقد كشفت قضية هنري حقيقة أخرى في جرائم الحرب الأمريكية، فبعد أن عد هنري كاذباً، أعيد النظر في قضيته مرة أخرى، وأثبت المحققون أن سريته قد قامت بمذبحة ضد 19 مدنياً، ولكن أحداً من المتهمين لم يحل لمحكمة عسكرية²⁵⁵.

وتذكر ديورن نيلسون أنه في السنوات الأربع الأولى من الحرب لم يتتبع الجيش العديد من الادعاءات، ولكن بعد مذبحة ماي لاي ظهرت مئات الادعاءات عن جرائم حرب، ولكن الزيادة جاءت في العدد وليس في الجودة، وكثير من هذه الحالات جرى فيها تحقيق سطحي، ومن هذه الحالات اتهامات بمذبحة للنساء والأطفال في مقاطعة كوانج نجاي في عام 1967 على يد وحدة استطلاع قوة النمر²⁵⁶، وهي الفصيلة التي ارتبطت بفترة من حوادث القتل، استمرت لسبعة أشهر في الأراضي العليا المركزية، أخفاها الجيش الأمريكي، ولكن كشفها مسلسل (النصل الطليطلي)²⁵⁷.

²⁵⁴ The War Behind Me, p: 12& 13.

²⁵⁵ The War Behind Me, p: 141 & 142.

²⁵⁶ Tiger Force.

²⁵⁷ Michael D. Sallah, Mitch Weiss, and Joe Mahr, "Buried Secrets, Brutal Truths," *Toledo Blade*, October 19–22, 2003.

وهو المسلسل الحائز على جائزة بوليتزر.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب
وأنها قد أحصت 53 حالة اعتبرها قسم التحقيقات الجنائية
مؤكدة، ولكنها أُغلقت لأنها اعتبرت غير مثبتة، لأن المحققين
اعتبروا أن كثيراً منها لا تشكل جريمة، والكثير من حالات
تشويه الحث هي من هذا الصنف، لأن المحققين لم
يستطيعوا التأكد من أن الجندي الذي يحوز أذناً أو حممةً،
هو نفسه الذي قطعها من الجسد. وتذكر بأنه كانت هناك
زيادة في التحقيقات بعد مذبحة ماي لاي، ولكن هذه الزيادة
لم تترجم إلى زيادة في الإدانات، لأن قسم التحقيقات
الجنائية كان قد حقق مع 284 مشتبهاً به في جرائم حرب
غير ماي لاي، أدين منهم فقط 30.

وتذكر أيضاً أنها قد بحثت في أرسيف الجيش عن
التحقيقات التي اعتبرها قسم التحقيقات الجنائية ثابتة،
وفصلت منها أشد الجرائم، وهي الجرائم ضد النفس،
فأحصت 191 مشتبهاً به، فوجدت أن 52 منهم قد
حوكموا، وأدين منهم 23. وكل هذه الـ 23 حالة كانت
جرائم بشعة من القتل والاعتصاب والتعذيب، ولكن
عوقب منهم 14 فقط بالسجن، ورغم أن أحكام السجن
تراوحت من ستة أشهر لعشرين سنة، إلا أن نصفهم
-على الأقل- أمضوا أقل من سنة في الحبس. وكانت
أشد الأحكام في الأرسيف بحق محقق في الاستخبارات
العسكرية أدين بانتهاك عرض فتاة في الثالثة عشر من
عمرها في مجمع للأسرى، وقد صدر بحقه حكم بعشرين
سنة مع الأشغال الشاقة، وغرامة كاملة، وطرده غير
مشرف. ولكن عند الاستئناف خفض الحكم لسنة مع
الأشغال الشاقة وغرامة جزئية، ولكنه أمضى فعلياً سبعة
أشهر وستة عشر يوماً محبوساً²⁵⁸.

وتذكر قصة أخرى يروها بيتر ن. مَرْتِنْسِن الذي كان يعمل
في الوحدة 541 من المخابرات الحربية، حيث شهد بأنه قد

²⁵⁸ The War Behind Me, p: 140 to 143.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

أتى له بأسير، لا يعرف من أين جاء؟ ولا ماذا كان يفعل؟
وبدأ يسأله عن الفيت كونج، فأنكر معرفته بشيء، فانهال
عليه ضرباً، وظل الأسير ينكر، ثم جاء ضابط، وكرر الضرب،
ثم أوصله بسلكي هاتف ميداني، أوصلهما أولاً بيديه، ثم
بأعضائه التناسلية، وهذا الهاتف إذ شغلته يحدث صدمة
كهربائية مزعجة ومؤلمة جداً.

ثم أخذت الأمور منحى أظلم حين التحق بالوحدة 172
من المخابرات الحربية، حيث شاهد تعذيباً، لم يشاهده من
قبل في أية عملية خاصة في فيتنام. وأنهم في مرة
استقبلوا مجموعة كبيرة من الأسرى، وكان مع الاستخبارات
منشق عن الفيت كونج، يرشدهم عن زملائه السابقين. وقد
أشار هذا المرشد لأحد الأسرى، بأنه يظن أنه قيادة محلية
في الفيت كونج في المثلث الحديدي، وبدأ التحقيق معه بعد
الظهر، وفي الليل جاء النقيب الذي كان يحقق معه،
وأخبرهم بأنه كان يصعقه بالكهرباء، ولكن الأسير مات بعد
أن كان قد وصل لحافة الانهيار، وأوشك على الاعتراف²⁵⁹.
وتذكر قصة أخرى يروها روبرت ستمي، الذي كان يعمل
في الاستخبارات الحربية الملحقة بالفرقة 173 المحمولة
جواً. فيذكر ستمي أن أحد مخبريه أخبره عن مستوصف
يديره الفيت كونج، وأبلغ ستمي قيادته عنه، وأنه كان
محروساً حراسة خفيفة، وظن ستمي أن القوات الأمريكية
أو الفيتنامية، ستقبض على الحراس، وتخلي المرضى
والجرحي لمستشفى.

ولكن بعد عدة أيام نهبه أحد محدثيه لقمة أحد الجبال،
وقال له: انظر. فشاهد منظراً رهيباً، حيث رأى طائرات
السي 130 تلقي بالفوسفور الأبيض فوق المستوصف، وما
لبث الفوسفور الأبيض أن اشتعل، فخنق وأحرق
المرضى²⁶⁰.

²⁵⁹ The War Behind Me, p: 50 & 51.

²⁶⁰ The War Behind Me, p: 54 & 55.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرباً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب
وتضيف ناقلة عن ستمي أيضاً؛ أن الضرب والصعق كانا
من الوسائل المعتادة، وأن المحققين كان يستخدمون أيضاً
(خرقة الماء)، وهي وسيلة شبيهة بالأغراق بالماء الذي
يستخدم الآن، حيث كانت توضع خرقة من قماش على وجه
الأسير، ثم يصب عليها الماء حتى يوشك على الغرق، وإذا
حدث ومات الأسير أثناء العملية، فإن التقارير الرسمية
تشير لحالة مرضية كسبب للوفاة²⁶¹.

وتذكر أنها وزميلها المؤرخ العسكري نيكولاس نرس عثرا
على أرشيف العقيد هنري تفتس قائد قسم التحقيقات
الجنائية بالجيش الأمريكي في مكتبة جامعة متشجان، وأن
هذا الأرشيف يحوي كومة ملفات يبلغ ارتفاعها ستة أقدام،
اختلفها تفتس من قسم التحقيقات الجنائية قبل عزله عن
قيادته. ويحوي هذا الأرشيف قضايا هامة عن جرائم الحرب
الأمريكية في فيتنام، مثل موجة المذابح التي قامت بها
فصيلة القوات الخاصة من قوة النمر لمدة سبعة أشهر في
الأراضي العليا المركزية. وأنها وزميلها أحصيا في ذلك
الأرشيف أكثر من مائة ادعاء بالتعذيب وتغطية الحقائق في
الفترة ما بين مارس 1968 وأكتوبر 1969. وتؤكد أن
المشكلة بالتأكيد كانت أكبر من ذلك. وأنها جمعا من ذلك
الأرشيف أسماء عشرين مشتبه به، اعترف ثمانية منهم
-على الأقل- بالجرم، وأقروا بأن استخدام الهواتف الميدانية
في الصعق، و(خرقة الماء) لكتم الأنفاس، واللكم والضرب
بالعصي كانوا من الوسائل المعتادة. ولم يثبت أن أيّاً من
هؤلاء المشتبه بهم -حتى الذين اعترفوا- قد واجهوا أية
محاكمة عسكرية.

وتضيف أن أكثر المشتبه بهم ذكراً كان الرقيب دافيد
كامرون، وأن زميلها نيكولاس نرس استطاع التواصل معه

²⁶¹ The War Behind Me, p: 56.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

عبر البريد الإلكتروني، وأنه أرسل له أسئلة، وتلقى منه أجوبتها، وكان منها:

"- أين تعلمت طرق الهاتف الميداني وخرقة الماء؟

- من المترجمين (المحققين) الفيتناميين، ومن الشرطة الوطنية الفيتنامية.

- وهل كانت تلك الوسائل مقصورة على الوحدة 172 استخبارات حربية؟
- لا".

ثم ختم كامرون أجوبته بقوله:
"أنا لست نادماً على أي شيء فعلته، وسأتصرف غالباً بنفس الطريقة، لو وضعت في موقف من نوع فيتنام مرة أخرى.

.....
لقد خدمت بلادي بأقصى طاقتي، وأنا فخور للغاية بخدمتي".

وفي رسالة تالية بالبريد الإلكتروني أجاب عندما سئل:
هل تلك الوسائل في التعذيب كانت تستخدمها وحدات الاستخبارات العسكرية الأخرى:

"هذه الوسائل استخدمت بواسطة كل الوحدات... الضباط، المقدمون، وما دونهم شهدوا تحقيقات عديدة، والكثيرون شجعوا إساءة معاملة أسرى الحرب... لقد كانت حرباً وحشية. وليس في ذهني أي شك أن كل شخص كان لديه علم".

ثم أخبرهما أنه غير راغب في استمرار التواصل معهما، وأجابهما بإجابة جامعة، جاء فيها:

"أنتم تصنعون المشاكل لي ولكل الجنود الآخرين، الذين عزموا على القتال والموت من أجل ما اعتقدوه قضية عادلة".

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرباً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب
ولما سألته أن يوضح، أجاب بجواب جاء فيه:
"ركزا على تحريض الجمهور ليدعم الرئيس
في حرب العراق".

وفي آخر تواصل معه رد بإجابة جاء فيها:
"أعتقد أنني واثق من القول بأن كل شخص
تقريباً كان مدركاً لوسائل التحقيق"²⁶².

وتذكر ديوره نيلسون أن مقالاً بمجلة النيوزويك عام
1972 قدر أن آلاف المدنيين الفيتناميين قد قتلوا عن عمد
على يد القوات الأمريكية. وقد أشار المقال لعملية
(الإكسبريس السريع²⁶³)، وهي عملية قتالية لمدة ستة
أشهر في عام 1968 لاستئصال جبهة التحرير الوطنية من
كين هو، وهي مقاطعة رئيسية في دلتا الميكونج. وقد
سجلت فرقة المشاة التاسعة أن 10899 عدواً قد قتلوا،
ولكن جمعت 748 سلاحاً فقط! وقد حاور المراسل
المحقق²⁶⁴ كيفن ب. بكلي السكان، وراجع سجلات
المستشفيات المدنية، واستشار مصادر عسكرية، وقدر أنه
في حدود خمسة آلاف مدني قد هلكوا في العملية، وقد
دفعه هذا الرقم المذهل لأن يستخلص أن:
"مذبحة ماي لاي تعد تافهة بالمقارنة".

وقد رفض الجنرال إبرامز²⁶⁵ التحدث لبكلي²⁶⁶.
وتذكر ديوره نيلسون أنه في فبراير 1970 قتلت دوربة
أمريكية خمس نساء غير مسلحات وإحدى عشر طفلاً في
سون تانج في مقاطعة كوانج نام. وقد حظيت القضية بتغطية

²⁶² The War Behind Me, p: 61 to 66.

²⁶³ Speedy Express.

²⁶⁴ بمجلة النيوزويك.

²⁶⁵ الجنرال جريتون ديليو إبرامز تولى قيادة العمليات العسكرية في فيتنام من عام
1968.

²⁶⁶ The War Behind Me, p: 89 & 90.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

إعلامية، وألف عنها جاري د. سوليس كتابه (سون ثانج: جريمة الحرب الأمريكية). وقد حوكم في هذه الحادثة أربع رجال أمام محكمة عسكرية، أدانت اثنين منهما، حكمت على أحدهما بالسجن المؤبد والآخر بخمس سنوات، ولكن كلا الحكيمين تم تخفيضه إلى سنة واحدة بواسطة قائدهما²⁶⁷. وقد اتصلت ديوره نيلسون بسوليس الذي خدم في فيتنام، وكان يدرس قانون الحرب في أكاديمية وست بوينت، فقال لها:

"إنني متأكد من وجود حوادث قتل عديدة علي أيدي الأفراد الأمريكيين في جنوب فيتنام، وهي تشكل جرائم حرب".

وقد قال لها إن مراجعته المستفيضة لتلك الحوادث أظهرت له أنه:

"لم يكن هناك تسجيل رسمي لتلك الحوادث، لأن تلك التسجيلات لم تكن مرغوباً بها، كما أنها لم تحفظ بصورة رسمية".

وذكرت أيضاً أن هيونك كُون -المتخصص بعلم الإنسان الاجتماعي بجامعة إندبره، والذي درس المذابح في حرب فيتنام- أخبرها أنه قد وجد أدلة قوية على وقوع الكثير منها في مقاطعة كوانج نام، ولكن أغفل ذكرها، وأن أسوأ موجة وقعت في أواخر الستينات، وأن الضغط على القوات لتحقيق نتائج ملموسة -في صورة أعداد كبيرة من القتلى- حتماً دفعها لقتل المدنيين الأسهل استهدافاً²⁶⁸. وأضاف لها كُون:

"إن ما حدث في ماي لاي لم يكن على بشاعته غير عادي في 1966-1969 في كوانج نام وكوانج نجاي"²⁶⁹.

²⁶⁷ The War Behind Me, p: 134.

²⁶⁸ The War Behind Me, p: 135 & 136.

²⁶⁹ The War Behind Me, p: 136 & 137.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب
وأنا أود أن ألفت انتباه القارئ هنا إلى التوجه العام
للرأي العام في أمريكا، وأن معظم الأميركيين لا يهتمهم إلا
تبرئة مجرميهم، الذين تلقوا في النهاية عقوبات صورية. كما
اتضح جلياً في الغضبة الشعبية العارمة على محاكمة
الملازم كالي. كما أنه القارئ أيضاً إلى أن نفس العقوبات
الصورية قد صدرت بحق بعض مجرمي الولايات المتحدة
في فضيحة أبو غريب²⁷⁰.
فإذا تذكر القارئ أن فيتنام فقدت خمسة ملايين قتيل،
بالإضافة للدمار الرهيب الذي لحق بها، وإذا تذكر أن
الولايات المتحدة لم تتحمل أية مسؤولية عما ارتكبت في
فيتنام لا مادية ولا معنوية، ولم تعوض الفيتناميين بأي
تعويض، إذا تذكر القارئ كل هذا يدرك الطبيعة الإجرامية
للولايات المتحدة.

فإذا قرن القارئ هذا السجل الإجرامي المتواصل
للولايات المتحدة مع ما تمارسه الآن من جرائم في
أفغانستان والعراق وفلسطين والصومال، لأدرك مدى فجور
وغش كتاب الحملة الصليبية في مؤسسة راند ومركز
مكافحة الإرهاب في الجيش الأمريكي ومؤسسة التراث
وغيرها في اتهامهم لغيرهم بالتعرض للمدنيين، وإجرامهم
في حقهم. ولأدرك أن جريمة أولئك الكتاب مضاعفة فهم
يرمون غيرهم بافتراء، بينما هم أكبر المجرمين في هذه
الدنيا.

هذه الوسائل استخدمتها أمريكا ولا زالت تستخدمها في
كل حروبها، ومع ذلك خسرت حروبها في فيتنام، وستخسر
أيضاً معها حروبها على الإسلام (الإرهاب).

²⁷⁰ انتهت كل ضجة أبو غريب إلى إعفاء 17 جندياً من الخدمة، وتوجيه التهم لسبعة، و
أنزلت رتبة قائدة السجن من عميد لعقيد، وفي النهاية حكم على اثنين؛ بعشرة وثلاث
سنوات، ومما سبق يتبين لنا أنه لا تلازم بين الأحكام الصادرة، وفترة السجن التي
يقضها المتهم.

[Encyclopedia of Prisoners of War and Internment, ABU GHRAIB PRISON, p: 2].

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وأمرىكا التي توبخ صديقاتها من الأنظمة القمعية كل عام في تقرير وزارة خارجيتها عن حقوق الإنسان، كانت ولا زالت تستخدم نفس حيل تلك الأنظمة التي تصفها أمرىكا بالاستبدادية وغير الديمقراطية:

أ- إنكار وقوع التعذيب، وما افترض منه إنما هو حالات فردية تم التحقيق فيها ومعاقبة من ثبت عليهم.

ب- التوقيع على اتفاقيات دولية بشأن الأسرى ومنع

التعذيب، ثم إلقاؤها في سلة المهملات.

ج- في حالة الاضطرار للاعتراف بوقوع التعديات على

الأسرى فإن التبرير هو ضرورة الأمن والحفاظ على أمن الدولة والشعب.

وهذا يقدم نموذجاً للنفاق المتأصل في الحضارة الغربية،

فهم يعتبرون:

أ- أن حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية وحسن

معاملة الأسرى إنما تتعلق فقط بإنسانهم وحریتهم

وديمقراطيتهم وأسراهم، ولذا فلا شأن لبقية البشر بها، وهو

ما يكشف النظرة الاستعلائية للآخرين، وأنهم أقل من درجة

البشر، رغم صياحهم الممل عن الاعتراف بالآخر.

ب- أن ما هو حلال لهم حرام على غيرهم. فالمحكمة

الدولية التي تطارد بها أمرىكا البشير، ترفض أصلاً أن تطبق

قوانينها وأحكامها على أي فرد أمريكي، وأسلحة الدمار

الشامل التي تمتلكها وتكدس بها مخازن إسرائيل حرام

على غيرها، فتأمل التناقض بين التفاخر بالعقيدة وبالالتزام

بالقوانين والقيم الأمريكية وبين الدجل الأمريكي في نفس

الوقت.

ولا يفوتني هنا قبل أن أنهى الكلام على الدجل الأمريكي

في مسألة قتل الأبرياء والاعتداء عليهم، أن أذكر القارئ

بالاطلاع على رسالة صغيرة الحجم ولكنها معبرة وموضحة

لحقيقة الأمريكان، صنفها الشيخ أبو يحيى الليبي -حفظه

الله- بعنوان (حقيقة ما يجري وراء قضبان سجون

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب
الأمريكان)، يصف فيها تجربته في سجون الأمريكان في
باكستان وأفغانستان، ومدى خسة الأمريكان في تعاملهم مع
أسراهم.

3- تشويه صورة القاعدة لدى الباكستانيين بتصويرها على
أنها عربية فاشية مادية مهووسة بتكفير الحكومات.
تقول إنجل راباسا وزملاؤها من مؤسسة راند ناصحين
مخططى السياسة والدعاية الصليبية:
"افصم العلاقات ما بين الجهاد العالمي والمحلي.

.....
في الدول الإسلامية غير العربية يمكن التأكيد
على النزعة العربية للنواة الصلبة للقاعدة، وكذلك
على هوس القاعدة بالأنظمة (المرتدة) في الشرق
الأوسط.

وهذا تناول يمكن أن يكمل السياقات السياسية
الموازية، التي تبرز خصائص النواة الصلبة للقاعدة
المادية والفاشية الجديدة وانتماءها للطبقة العليا
والوسطى، أو بعبارة أخرى إبراز الطبيعة الإصولية
الأجنبية لأشخاص مثل بن لادن والظواهري²⁷¹.
وهذا التوجيه من مفكري الحملة الصليبية في مؤسسة
راند، يدعونا للحذر من كل يثير النعرات العصبية للسعي في
التفريق بين الأمة ومجاهديها في الإعلام.
وهو يدل على تخوفهم من التعاطف الكبير الذي بيديه
المسلمون في باكستان وأفغانستان لإخوانهم المهاجرين من
العرب والترك وأهل القوقاز وشرق آسيا وغيرهم من
المسلمين.

4- القاعدة تكفيريون يكفرون كل من خالفهم.

²⁷¹ Beyond al-Qaeda, p: xxvi.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وهي الكذبة التي يرددها علماء السلطان في الجزيرة
والأحزاب الشيوعية في العراق وكتاب مركز مكافحة الإرهاب
بالجيش الأمريكي.

ذكر تقرير الكونجرس الأمريكي عن الحادي عشر من

سبتمبر:

"يفضل معظم المسلمين نظرة مسالمة
وشاملة لإيمانهم، وليست طائفية بن لادن العنيفة،
ويُدعى أتباع بن لادن وسط العرب بالتكفيريين، أو
(هؤلاء الذين يعتبرون غيرهم من المسلمين كفاراً)،
بسبب استعدادهم لوصم وقتل من يختلفون
معهم"²⁷²

وقد ذكرت من قبل في المقدمة، ما ذكره كتاب (التناسق
وعدم التناسق) الصادر عن مركز مكافحة الإرهاب بالجيش
الأمريكي، في تعريفه للردة عند القاعدة بأنها: تضم كل أولئك
الذين يختلفون مع تفسير القاعدة للإسلام!²⁷³

كان ما ذكرته من قبل آراء وكتابات من هيئات رسمية
صليبية تحاول أن تشوه صورة المجاهدين، ولكن المؤسف
والمؤلم أن يشارك في هذه الحملة أيضاً من ينسبون للعمل
الإسلامي، مثل الدكتور عزام التميمي مدير معهد الفكر
الإسلامي بلندن، فقد ذكر في فيلم أعدته البي بي سي، وهي
الهيئة المعروفة بعداؤها للإسلام، فقد أنشأتها المخابرات
البريطانية في العشرينيات لنشر الدعاية البريطانية، والفيلم
بعنوان (قوة الكوابيس)، ويدور حول فكرة أن المجاهدين
وخاصة القاعدة يشتركون مع المحافظين الجدد في أمريكا
في محاولة السيطرة على البشر عن طريق التخويف
والإرهاب.

يقول عزام التميمي في ذلك الفيلم ما ترجمته:

²⁷² 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 54.

²⁷³ Harmony and Disharmony p: 57.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرباً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب
"إن أيمن الظواهري وصل لقناعة؛ أنه لأن لديك
ما يمكن وصفه بالهدف السامي، فإن الوسائل
ممكناً أن تكون كأسوأ ما تكون، تستطيع أن تقتل
ما تشاء من الناس، لأن الغاية نبيلة. وكان المنطق؛
أننا الطليعة، وأنا المسلمون الصحيحون، وكل ما
عدانا خاطئ، وليس فقط خاطئاً، بل كل ما عدانا
غير مسلم، والوسائل الوحيدة المتاحة لنا اليوم هي
أن نشق طريقاً إلى الكمال قتلاً"²⁷⁴.

وإنني لأتعب من هذا الافتراء الصريح، وما قلته وكتبته كثير
منه منشور والحمد لله، ولذا فإني أدعو من يتهمني بهذا
الاتهام أن يورد حرفاً واحداً من كلامي يؤيد ما يقوله، وحسبنا
الله ونعم الوكيل.
5- القاعدة قطبيون.

من حيل الحملة الصليبية الفكرية إلصاق وصف (القطبيين)
بالقاعدة. يذكر تقرير الكونجرس عن الحادي عشر من
سبتمبر:

"بن لادن يعتمد أيضاً بقوة على الكاتب المصري
سيد قطب".
وأن سيد قطب يعتقد أن:
"أن أي مسلم يرفض آراءه هو مجرد كافر،
يستحق التدمير.

ويشارك بن لادن قطب في نظريته الحادة، مما
سمح له وأتباعه بتبرير حتى القتل الجماعي غير
المبرر باعتباره الدفاع الصحيح عن العقيدة
المحاربة"²⁷⁵.

وينصح ويليام ماكننتس وزملاؤه من مركز مكافحة الإرهاب
بالجيش الأمريكي بأن توسم الحركة الجهادية (بالقطبية)،

²⁷⁴ THE POWER OF NIGHTMARES, part one, min.: 46.24- 47.04.

²⁷⁵ 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 51.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

لأنهم يقتبسون من سيد قطب أكثر من أي كاتب معاصر آخر، وأن المعارضين للجهاديين بما فيهم من يسمون أنفسهم بالسلفيين يلصقون هذا الوصف بالجهاديين، لأن هذا يعني أنهم يتبعون بشراً، وأنهم طائفة منحرفة، وينفر الجهاديون من ذلك الوصف، ويفضلون خيراً منه وصف (الجهادي) أو (السلفي)، كما أن استخدام ذلك الوصف سيزيل من كلام السياسيين الرسميين الأوصاف المنفرة مثل (الفاشييين الإسلاميين)، كما أنه سيصنفهم باعتبارهم تيار غير إسلامي²⁷⁶. وهكذا أوضح كتاب مركز مكافحة الإرهاب بالجيش الأمريكي الغرض السيء من هذا الاتهام.

والمجاهدون عامة والقاعدة خاصة -مع احترامهم للأستاذ سيد قطب -رحمه الله- ولجهاده- لا يعتبرون أنفسهم قطبيين ولا وهابيين، بل هم مسلمون على عقيدة أهل السنة والجماعة والسلف الصالح يتبعون الدليل من الكتاب والسنة. وأنا هنا أود أن ألفت نظر القارئ الذكي إلى أن توجيهات مفكري الحملة الصليبية من اتهام المجاهدين بقتل الأبرياء وبتكفير المسلمين وبالقطبية، هي نفسها وعينها دعاوى علماء السلاطين وفقهاء التسول ضد المجاهدين، فتأمل التشابه وابحث عن سر الرابطة بين الفتنتين، والله المستعان على ما تصفون.

6- القاعدة تتضاءل شعبيتها.

تحرص بعض الدراسات -التي تدعي البحث العلمي- التهوين من قدر القاعدة، وأنها في اضمحلال واندثار، وسأضرب مثلاً بدراسة صادرة عن المعهد الملكي للدراسات الدولية أو مركز تشاتم هاوس الشهير بانجلترا للباحثة مها عزام بعنوان (القاعدة بعد خمس سنوات: التهديد والتحدي).

²⁷⁶ Militant Ideology Atlas, Executive Report p: 10.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب
وترغم كاتبة الدراسة أن القاعدة قد ضعفت لحد كبير نظراً
للقیود الأمنية، التي فرصت عليها. وأن القاعدة تتآكل
شرعيتها نظراً لإدانة المؤسسات الإسلامية التقليدية في
العالم الإسلامي لأساليبها. بينما تتزايد شعبية التنظيمات
الإسلامية المعتدلة الغير عنيفة، كما اتضح في فوز الإخوان
المسلمين في الانتخابات بمصر²⁷⁷.
وأن القاعدة قد فشلت في حيازة تأييد الأغلبية، ولكنها
نجحت في زعزعة الوضع الراهن، والاشتباك مع الولايات
المتحدة بطريقة تستثمرها هي²⁷⁸.
وأنه برغم أن الحكومات قد شجعت العلماء على نشر
التفسير الغير العنيف للإسلام، إلا أن العلماء والتجمعات
الإسلامية عليهم دور أصيل في حماية الإسلام من العدوان
على مبادئه، وأنهم قد يشكلون أهم الفاعلين في الحرب على
القاعدة، وأن المعركة العقائدية هي أخطر ما يهددها²⁷⁹.
وأن مواجهة التفسيرات الأصولية للإسلام هي جزء من
عملية طويلة، وأن الهجوم العقائدي المضاد من العلماء هو
أحد جوانبها الإيجابية، وكذلك مراجعة المناهج الدراسية في
السعودية والتصديق على المدارس في باكستان، لكبح الدعوة
الأصولية بين الشباب وإعاقة مراكز تجنيدهم²⁸⁰.
وأن الصراع العربي الإسرائيلي لا يزال يمثل جرحاً نازفاً،
وأن أقل ما يمكن تقديمه لدعم الاعتدال في العالم الإسلامي
هو الإنشاء العاجل لدولة فلسطينية قابلة للحياة، لها بعض
السيادة - على الأقل - على أجزاء من القدس الشرقية، رغم
أن أحداً الآن لا يطالب بتطبيق القرار 242²⁸¹.
وأعلق بإيجاز على تلك الدراسة ببعض الملاحظات:

²⁷⁷ Al-Qaeda Five Years On: The Threat and the Challenge, p: 2, 4 & 5.

²⁷⁸ Al-Qaeda Five Years On: The Threat and the Challenge, p: 4.

²⁷⁹ Al-Qaeda Five Years On: The Threat and the Challenge, p: 5.

²⁸⁰ Al-Qaeda Five Years On: The Threat and the Challenge, p: 6.

²⁸¹ Al-Qaeda Five Years On: The Threat and the Challenge, p: 7.

1- القصور المنهجي:

- أ- لم تكلف كاتبة الدراسة نفسها تقديم أية أدلة على دعاواها العريضة، ولم تسق إلا انطباعاتها الشخصية التي أعطتها صورة الأحكام.
- ب- بمراجعة مصادرها، فإنها لم تكلف نفسها بمراجعة إصدارات القاعدة، ولكنها نقلت عن سمع أو قرأ إصدارات القاعدة، مع أن إصدارات القاعدة مشهورة ومتداولة. فهل هذا هو مجهود الباحثين المنهجين؟ الذين يكتبون عن القاعدة، ولم ينقلوا عن أي من إصداراتها.
- ج- ليس هذا فحسب بل نقلت عن نقل عن مصادر مشبوهة محرقة، فنقلت مثلاً عن كتاب فواز جرجس²⁸²، الذي ينقل عن ما نشرته الشرق الأوسط من كتاب (فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم)²⁸³. فهي لم تنقل حتى عن الشرق الأوسط، التي تصدر عندها من لندن، فما بالك إذا كانت الشرق الأوسط قد أخذت نسخة الكتاب من المخابرات الأمريكية، واخترعت قصة مضحكة عن حصولها عليه، ثم زادت في الكتاب ونقصت.
- ولو كانت هذه النقائص المنهجية في مبحث عن منظمة غربية لكانت كافية في رفضه، ولكن لما كانت في مبحث في الهجوم على القاعدة والمجاهدين، فلا بأس، فلا بواكي لهم. وليقل فيهم من يبشأ ما يبشأ، حتى ولو صدر من ما يدعونه المعهد الملكي وأمثال ذلك من الأسماء الرنانة.
- 2- كان هذا عن قصور البحث من حيث المنهج المحايد وأمانة النقل والاستسهال في الكتابة. أما من حيث النقائص الموضوعية فعديدة، ومنها:
- أ- قولها إن القاعدة قد تضاءلت شعبيتها. وقد رد عليها الأستاذ عبد الباري عطوان في قناة الجزيرة حيث قال:

²⁸² The Far Enemy: Why Jihad went Global?

²⁸³ Al-Qaeda Five Years On: The Threat and the Challenge, p: 7.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرباً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب

"أنا أختلف مع تقييم نشاتم هاوس، معهد الدراسات الاستراتيجية، وأنا عضو فيه، أختلف؛ إن تنظيم القاعدة لم يضعف، بالعكس، يعني إذا شاهدت إن تنظيم القاعدة بعد 11 سبتمبر أقوى منه بكثير مما كان عليه قبل 11 سبتمبر، إحنا قبل 11 سبتمبر كان هناك محصور في جمهورية القاعدة في توره بوره، غير هيك مش موجود تنظيم القاعدة، لم يكن موجوداً في لندن، لم يكن موجوداً في العراق، لم يكن موجوداً في مثلاً الغرب.

.....
الآن أصبح التنظيم أفقي. قيادة معروفة ومختفية. عندنا قيادة القاعدة في السعودية، عندنا قيادة القاعدة في أوروبا، عندنا قيادة القاعدة في العراق.

.....
هنا عبقرية التنظيم، لأول مرة في التاريخ يوجد تنظيم عالمي، يعني كل تنظيم. الفلسطينيين كانوا محصورة في فلسطين، العراقيين محصورين في العراق، اللبنانيين حزب الله محصور في مثلاً في لبنان، لكن لأول مرة هناك تنظيم إسلامي عنده مظلة عالمية، عنده رؤية عالمية.

.....
دليل تطور هذا الفكر أنه استطاع أن يربط المسلمين في بريطانيا في أميركا في أفريقيا في آسيا في الوطن العربي كله خلف تنظيم ال "284".

284 قناة الجزيرة- التغطية الخاصة الخامسة لأحداث 9-11-9 ندوة (تأثير الحرب على الإرهاب على تنظيم القاعدة بعد 5 سنوات على 9-11).

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

ب- قولها إن فوز الإخوان في الانتخابات المصرية دليل

على تحول الناس من تأييد القاعدة إلى منهج الإخوان المسلمين!

ولا أدري هل خاضت القاعدة انتخابات منافسة للإخوان المسلمين ففاز الإخوان عليها؟ حتى تتخذ الكاتبة ما زعمته فوزاً للإخوان في مصر مقياساً لنمو التأييد للإخوان وتضائله للقاعدة!

وهل يسمح للقاعدة بواحد على مئة من الحرية التي تسمح بها أمريكا والنظام المصري للإخوان؟ بل هل يأمن من يظهر تأييداً للقاعدة على نفسه؟

وهل فوز الإخوان في الانتخابات يعد مؤشراً على تأييد الجماهير لنهج الإخوان؟ أم يعد تأييداً من الجماهير المسلمة لكل من يرفع الإسلام شعاراً؟ ولذا يؤيدون الإخوان، الذين يسمح لهم النظام ومن ورائه أمريكا بحرية الحركة، لأسباب يطول شرحها.

وهذا يذكرنا بالقول الطريف للدكتور محمد عباس -حفظه الله- حول تعليق الدكتور عصام العريان على كلامي عن الإخوان²⁸⁵، حيث قال الدكتور محمد عباس حفظه الله:

²⁸⁵ علق الدكتور عصام العريان على كلمة لي نشرتها قناة الجزيرة بتاريخ السادس من ذي الحجة لعام 1426هـ. وقال في تعليقه:

"نحن أمام منهجين في العمل يتصارعان على الإصلاح في العمل الإسلامي منذ عقود. وإذا كان هناك منهج ومدرسة تعتمد على الإخوان المسلمون وهي تقوية الأمة وتغييرها من أسفل وفقاً للآية [إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ]. فقد ارتأى بعض الإسلاميين الآخرين أن الطريق لهذا يتم عبر السلطة ولذلك يركزون على السلطة وعلى الحكم وعلى الحكومات يريدون أن يزعجوها من الطريق لغيرها بعد ذلك كما يشاءون بقوة السلطان وليس بقوة الشعب الذي يريد أن يغير ما بنفسه.

.....
وقد أثبتت التجارب أن المنهج الانقلابي على عكس ما يقوله الدكتور أيمن الظواهري يواجه الفشل بعد الفشل لأنه يعتمد أداة خطيرة جداً وهي التغيير من فوق. أما المنهج الإصلاحى الذي يتبناه الإخوان المسلمون هذا المنهج يثبت كل يوم أنه يزداد ترسخاً ونفوذاً وإيجابية".

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب
"لقد بدأ العريان في الانفصال عن ضمير
الناس.. وقد أجرت الجزيرة استطلاعا اكتشفت
منه أن 58% من الناس يؤيدون كل ما قاله
الظواهري، وأن 16% يؤيدونه جزئياً.. أي أن
النسبة حوالي 75%.. وهو ما يعني أنه في
انتخابات حرة يمكن أن يكون الظواهري رئيساً أو
خليفةً بينما يسقط عصام العريان"²⁸⁶
وطبعاً لا يعد الاستفتاء في قناة فضائية دليلاً على زيادة أو
نقصان الشعبية، وما أظن الدكتور محمد عباس -حفظه الله-
أراد بملاحظته إلا تنبيه عصام العريان، ولكن على الأقل فقد
قدم الدكتور محمد عباس -حفظه الله- شيئاً من دليل، أما
كاتبة الدراسة فلم تقدم أي شيء.
ج- وقولها إن القاعدة قد تآكلت شعبيتها نظراً لإدانة
المؤسسات الإسلامية التقليدية في العالم الإسلامي
لأساليبها.
ويبدو أن الكاتبة منفصلة عن مشاعر الشارع الإسلامي،
فمن تصفهم بالمؤسسات الإسلامية التقليدية ومنهم علماء
السلطين كشيخ الأزهر الذي صافح بيريز في نيويورك، والذي
أنكر معرفته بحصار غزة، أو كمفتي السعودية الذي اعتبر أن
التظاهر من أجل غزة (طعطة) تلهي عن ذكر الله. هذه
المؤسسات لا أثر لها في حس الشارع، بعد أن انكشفت أمام
الغزوة الصليبية الصهيونية على الإسلام والمسلمين.
د- قولها بأن أقل ما يمكن أن يقدمه الغرب لنصرة التيار
المعتدل في العالم الإسلامي؛ هو بإنشاء دولة هامشية في
فلسطين، لها بعض السيادة -على الأقل- على أجزاء من
القدس الشرقية، رغم أن أحداً الآن لا يطالب بتطبيق القرار
.242

²⁸⁶ بلاغ إلى هيئة الأمن القومي: مذبحه السودانيين تخطيط صليبي صهيوني.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

ولا أدري ما هو ذلك التيار المعتدل الذي تشجع الغرب على تأييده؟ أليس هو التيار الذي يرضى بالتنازل عن معظم فلسطين؟ وإنشاء دولة فلسطينية تابعة لإسرائيل على فتات فلسطين؟ لخداع الأمة المسلمة بأن فلسطين قد تحررت، فلماذا الجهاد ضد الغرب وكرهيته إذن؟

هـ- قدمت الكاتبة نفسها -وهي ذات الأصول العربية والإسلامية- مرشدة ومعيّنة للغرب في حربه على الإسلام والمسلمين، بتنبهه أن المعركة يجب أن تركز ليس فقط على تنظيم القاعدة بل على ما هو أوسع من ذلك؛ على عقيدة المسلمين والمناهج الدراسية والمدارس الدينية. وهي معركة مكتوب على الغرب فيها الهزيمة -بلا شك-

بعون الله. فقد تكفل بذلك الحق سبحانه، الذي يقول في كتابه الكريم: ﴿بَلْ يَفْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ رَاهِقٌ﴾، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾. ولكن ما كتبه يذكرني بقول شاعر الإسلام العظيم العلامة محمد إقبال رحمه الله:

شكایت ہے مجھے یا رب خداوندانِ مکتب سے
سبقِ شاہینِ پجور کو دے رہے ہے خاکبازی کا

وترجمته:

²⁸⁷ إن مجمع شكائتي يارب يا إلهي من المکتب

²⁸⁸ الذي يعلم أبناء الصقور اللعب في الطين

²⁸⁷ يقصد الشاعر بالمکتب: المدرسة العصرية، التي يطلق عليها في شبه القارة الهندية وأفغانستان (مکتب)، أما لفظة (مدرسة) فتقصر على المدرسة الإسلامية. ²⁸⁸ ويقصد -رحمه الله- أن مناهج التعليم العصري قد حولت المسلمين أبناء الصحابة الكرام والفاحين العظام، الذين من شأنهم العزة والسيادة والريادة، إلى جموع تافهة ترضى بالسفاسف.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرباً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب
7- الطالبان والقاعدة في أفغانستان مارسوا الزواج
القسري.

تقول تشريل بينارد في كتابها (الإسلام المدني
الديمقراطي) الصادر عن مؤسسة راند: بأن:
"الطالبان والقاعدة المتمركزة في أفغانستان
مارسوا أيضاً الزواج القسري، الذي يبيحه القرآن
في حالة الحرب"²⁸⁹.

أي أن الطالبان والقاعدة قد سبوا نساء مخالفيهم في
أفغانستان!! وأنا لن أرد على هذا الكذب المفصوح، ولكنني
أذكر القراء والكاتبة -التي تناست تاريخها- بتصرفات جنود
أمريكا رائدة الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان في
فيتنام.

تذكر ديوره نيلسون في كتابها (الحرب من خلفي) عن
الجندي جوزي فيكتور دافيلو فالو أنه قال في التحقيق معه؛
أنه لاحظ عند دخوله السكن أنه رأى المرأة والفتاة عاريتين،
وأنه رأى المرأة تمارس اللواط الفمي مع الرقيب من وحدة
(إبه بي سي)، وأنه بعد عدة دقائق -بعد أن عاد لدخول
السكن- سمع ما يشبه الطلقات، وأن الفتاة الصغيرة
صرخت، وبدأت في العدو خارج السكن، وأنهم حاولوا
إيقافها، ولكنها استطاعت أن تخرج هاربة، وأنهم ذهبوا
للمدخل الأمامي للسكن، ووجدوا الفتاة، وقد أقت بنفسها
أمام البنادق، التي كانت تطلق نيرانها على تجمع المدنيين،
وقد قُتلت الفتاة نفسها. وذكر أنه قبل بداية هذه العملية
بالذات فإنهم كانوا قد تلقوا أوامر من الرتب الأعلى بقتل
كل شيء يتنفس²⁹⁰.

وكذلك أذكرها بقصة أخرى شهيرة من العراق، يرويها
الدكتور محمد عباس -حفظه الله- حيث يقول:

²⁸⁹ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 15.

²⁹⁰ The War Behind Me, p: 20.

"هل تعرفون لماذا فعل منتظر الزيدي²⁹¹ ما فعل؟! .."

قال شقيقه أن قصة الفتاة عبير من المحمودية جعلته يبكي، عندما قام خمسة جنود باغتصاب الفتاة عبير الجنابي، التي لم يكن عمرها يتجاوز الرابعة عشرة عام 2006، ولم يعتذر الأمريكيون عن الجريمة.

يقول أحد جيران منزل عبير، إنه في العاشر من شهر آذار (مارس): "داهمت قوة أمريكية مؤلفة من خمسة عشر إلى عشرين عنصراً، منزل السيد قاسم حمزة الجنابي في المحمودية، وهو قريب إلى دارنا"، ويضيف: "كانوا قد جاءوا من أجل عبير، فلم يكن هناك من شيء قد حصل في المنطقة من أجل تلك المداهمة، كانت أمها تخشى عليها من هؤلاء الجنود، سيطرتهم كانت تبعد نحو 15 متراً من منزل عبير، عيونهم كانت تراقبها كلما دخلت أو خرجت من منزلها، كانت الفتاة -رحمها الله- جميلة، وعائلتها عائلة كريمة، ومثل هذه الأشياء كانت أكثر ما يخيفها".

عبير -وبحسب روايات جيرانها في المحمودية- كانت جميلة، وعيون الجنود الأمريكان الشرهة كانت تتابعها، كلما دخلت أو خرجت، وكانت تشكو لأمها تلك المضايقات، وشعرت الأم بالخطر على ابنتها، فطلبت من أحد الجيران، أن يبيتها عندهم كل يوم، من أجل تجنب أي مداهمة ليلية قد تقوم بها تلك القوات.

ويؤكد الجيران، أن الطفلة بدأت تنام بصحبة بنات أحد الجيران، ولكنه وبعد ليلة واحدة، قضتها خارج منزلها فقط، لم يمهلها الجنود الأمريكان أكثر

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب
من ذلك، وبدلاً من أن يداهموا المنزل ليلاً، داهموا
في وضح النهار، واقترفوا جريمتهم.
يقول أحد الجيران:

.....
في الساعة الثانية من بعد ظهر ذلك اليوم،
داهمت تلك القوات منزل الشهيد قاسم، حيث
قاموا باحتجازه وزوجته وابنتهم هديل، في أحد
غرف المنزل، وأطلقوا أربع رصاصات عليهم، مما
أدى إلى وفاتهم على الفور، بعد ذلك قاموا بسحب
عبير إلى غرفة مجاورة، وقاموا بنزع ثيابها بالقوة،
بعد أن ضربوها على رأسها، ثم تناوب أربعة منهم
على اغتصابها، مما أدى إلى إصابتها بحالة إغماء
شديد ونزيف، وهو ما أثبتته الطب الشرعي أثناء
تشريح الجثة، وليقوم بعدها الجنود بحرق الجثة،
من أجل إخفاء آثار الجريمة".

الجيران الذين هرعوا إلى منزل قاسم المجاور،
فوجئوا بالقوات الأمريكية وهي تقص روايتها
المختلفة، بأن مجاميع مسلحة من القاعدة، قامت
بحرق عائلة شيعية، مع علم الجميع أن العائلة
سنية معروفة لأهل المنطقة. وجاءت قوات من
الحرس الوطني العراقي إلى الموقع، واستمعوا
لشرح من القوات الأمريكية حول وجود عناصر من
القاعدة قامت بحرق عائلة شيعية.

وفي المساء قامت تلك القوات، بنقل الجثث
الأربعة إلى إحدى القواعد القريبة، قبل أن يتم
تسليم الجثث إلى مستشفى المحمودية في اليوم
الثاني، ومن ثم إلى أقارب الضحايا، ليدفنوا في
إحدى المقابر القريبة من المحمودية، وكادت أن

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

تدفن معهم واحدة من أشد قصص الإجرام التي ارتكبتها القوات الأمريكية²⁹².

وكذلك أذكرها بالممارسات المعتادة لجنود بلدها في
سجونهم ضد المسلمين. يقول الشيخ أبو يحيى الليبي -حفظه
الله- وهو يعدد أمثلة لأساليب التعذيب في سجون الأمريكان:

"6- انتهاك أعراض بعض المعتقلين بارتكاب
فاحشة قوم لوط بهم، والتهديد بها لبعض آخرين
بالتحرش المستمر، واستخدام الكلام الفاضح
الفاحش البذيء، كما أن بعض الأخوة تم اعتقالهم
في منازلهم حيث كانوا مقيمين مع زوجاتهم
وأولادهم، فانفصلوا عنهم من لحظات الاعتقال
الأولي، فمن حينها لا يعرف الأخ الأسير ما هو
مصير أهله وأبنائه؟ وهل هم معتقلون معه أم لا؟
فيستغل الصليبيون ذلك بإعلامه والتأكيد له أن أهله
وأبنائه عندهم وفي قبضتهم، وأنهم سيتهكون -أو
انتهكوا- أعراضهم، وأنهم سيأخذون أبناءه إلى دول
إباحية وبيئات فاسدة وأماكن مجهولة، ليقوموا
بتربيتهم وتنشئتهم كما يشاؤون، فيصبح الأخ في
عذاب نفسي وصراع داخلي، لا يعلم قدره إلا
الواحد الأحد، ولا ينفك عنه ذلك إلا حينما يعرف
مصير أهله الحقيقي عن طريق بعض السجناء
الجدد ممن يعرفهم.

7- الصعق بالكهرباء العالية في المناطق
الحساسة من الجسم، وترك السجن في غرفة
إنفرادية مقطوعاً عن العالم انقطاعاً تاماً ولمدة
طويلة²⁹³.

أظن أن في ما ذكرته من أمثلة -يعرفها الكثيرون- ذكرى لمن
كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، أما المستكبرون

²⁹² القدس.. وعزة.. وبغداد.. عروس عربيتكم للدكتور محمد عباس.

²⁹³ حقيقة ما يجري وراء قضبان سجون الأمريكان ص: 11.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب
المعانِدون فقد قِيلَ اللهُ سبحانه وتعالى عنهم: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا
إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا
مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

المبحث الثالث: الضحالة الفكرية والعلمية

في هذا المبحث أشير بإيجاز لأمثلة من الضحالة العلمية والفكرية لكتاب الحملة الصليبية الفكرية، وكنت قد أشرت من قبل- في المقدمة لبعض الأخطاء المضحكة من مركز مكافحة الإرهاب في الجيش الأمريكي، الذي يفتخرون به، ويعتبرونه من المراجع في شأن القاعدة والجهاد والسلفية، وأضيف إليها الأمثلة الآتية:

- 1- جهلهم بالقرآن.
- 2- من المسلم به عامة أن القرآن فقدت منه سورتان.
- 3- القرآن أمر الرجال والنساء بالاحتشام فقط ولم يأمر النساء بتغطية أجسادهن.
- 4- الأصوليون يرون ضرورة تقصير شعر الرأس.

- 1- جهلهم بالقرآن.
يتمتع الباحثون الغربيون بسطحية وجهل في التعامل مع القرآن وفهمه.
ومن الأمثلة على ذلك أن ستيفن كورمان وجيل شيفلين لما أرادا أن يستدلا على أن القرآن يعارض- ما يزعمانه-

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

عنف الجهاديين وقتلهم لأطفال المسلمين استدلاً يقول
الحق تبارك وتعالى في سورة الأنعام: ﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا
أَوْلَادَهُمْ سِيفَهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى
اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. فتأمل قوة الاستدلال
ومتانة الاحتجاج²⁹⁴!!

2- من المسلم به عامة أن القرآن فقدت منه سورتان على
الأقل.

تقول تشربل بينارد عن جمع القرآن الكريم:
"من المسلم به عموماً أن القرآن قد فقدت منه سورتان
-على الأقل- في تلك العملية"²⁹⁵.

والملاحظ أن الكاتبة التي تعتبر نفسها حجة ومرجعاً في
الأسلام وأهله لم تذكر في مراجعها القرآن ولا ترجمته ولا
واحداً من أمهات كتب الحديث ولا الفقه ولا العقيدة ولا
التفسير. ولكنها تنقل عن آخرين، وهذه دلالة على الضحالة
العلمية فهي لم تطلع مصادر الإسلام الأساسية ولم ترجع إليها
في كتابتها، ولكنها تصول وتجول طعناً في القرآن والحديث.
وحتى الأحاديث والآيات القرآنية التي نقلتها عن ما زعمته
الخلاف حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نقلتها عن
بحث لباحث يدعي محمد الأسي²⁹⁶، ولم تنقلها من القرآن أو
كتب السنة، وقد فحصت قائمة مراجعها فلم أجد فيها أي
مصدر من القرآن أو الحديث أو أمهات الكتب الإسلامية.
أما في دعواها تلك بأن القرآن قد فقدت منه سورتان،
فلم تذكر أي مرجع، فالأمر عندها واضح لا يحتاج لتدليل
عليه!!

²⁹⁴ Communication and Media Strategy in the Jihadi War of Ideas, p: 6.

²⁹⁵ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 24.

²⁹⁶ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 53.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الثالث: الضحالة الفكرية و العلمية

هذا هو مبلغ جهابذة (راند) من المنهجية العلمية وأمانة
النقل والاطلاع على ما يكتبون فيه!

3- القرآن أمر الرجال والنساء بالاحتشام فقط ولم يأمر
النساء بتغطية أجسادهن.

تذكر تشريل بينارد أيضاً أن القول بأن على المرأة
المسلمة أن تغطي جسدها ما عدا الوجه واليدين قول خاطئ،
وأن ما أمر به القرآن؛ أن على كل من النساء والرجال
الاحتشام²⁹⁷.

وهذا قول لا يصدر إلا ممن لم تقرأ القرآن، وهذا ما أظنه، أو
ممن قرأته، ولكن بلغت بها الجرأة أن تكذب عليه بلا حياء.
فإذا كانت قد قرأت القرآن، ألم تقرأ قوله سبحانه وتعالى:
﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا
يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ
أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي
أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي
الِإِزْتِهَاءِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ
النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؟ وألم تقرأ قوله
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَرْوَاكِ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ
يُذِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدَّتِي أَنْ يُعْرَفَنَّ فَلَا يُوَدِّعَنَّ وَكَانَ
اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾؟

4- الأصوليون يرون ضرورة تقصير شعر الرأس.

وهذه أيضاً من درر تشريل بينارد²⁹⁸.

²⁹⁷ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 43.

²⁹⁸ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 10.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

ضرورة المواجهة الفكرية لحملة
التضليل الصليبية

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ
عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ
مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {23}﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ
عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿

﴿فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ
بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

واضرب بسيف
الوحي كل معطل
واجعل كتاب الله
والسنن التي
ضرب المجاهد
فوق كل بنان
ثبتت سلاحك ثم
صح بجنان

من ذا يبارز
فليقدم نفسه
واصدع بما قال
الرسول ولا تخف
فالله ناصر
دينه
وكتابه
لا تخش من كيد
العدو ومكرهم
فجنود أتباع
الرسول ملائك
واثبت وقاتل تحت
رايات الهدى
لا تخش كثرتهم
فهم همج الورى
وتعر من ثوبين
من يلبسهما
ثوب من

أو من يسابق
يبد في الميدان
من قلة
الأنصار
والأعوان
والله كاف
عبيده
بأمان
فقتالهم
بالكذب
والبهتان
وجنودهم
فعساكر
الشیطان
واصبر
فنصر الله
ربك دان
وذبابه
أتخاف من
ذبان
يلقى الردى
بمذمة وهوان
ثوب التعصب

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

بئست الثوبان	الجهل المركب
زينت بها	فوقه
الأعطاف	وتحل
والكتفان	بالإنصاف
تعجب فهذي	أفخر حلة
سنة الرحمن	والحق
فاتت هنا	منصور
كانت لدى الديان	وممتحن فلا
قد جئتمكم من	لكنما
مطلع الإيمان	العقبى لأهل
بالحق	الحق إن
والبرهان	وأتي فريق ثم
والتبيان	قال ألا اسمعوا
هادي عليه	من أرض طيبة
ومحكم القرآن	من مهاجر أحمد
وصريح عقلي	سافرت في طلب
فاعقلي ببيان	الإله فدلني ال
رحمن	مع فطرة
والمعقول في	الرحمن جل
	جلاله
	فتوافق الوحي
	الصريح وفطرة ال

بعد أن أشرت بإيجاز في المبحث السابق لعدد من أهم توجهات مفكري وكتاب الحملة الصليبية الفكرية، فإنني -مستعيناً بالله- أشير في هذا المبحث بإيجاز لعدد من أهم ثغرات الحملة الصليبية الفكرية، وفي نفس الوقت أستحث كل صاحب قلم غيور من أهل الإسلام أن يتصدى لهذه الحملة الصليبية الفكرية، ويكشف عوارها وضعفها وتهافتها والله المستعان.

ومن المؤسف أن هناك عدة مقولات فاسدة تسربت لأذهان العديد من كثرة تكرارها، وانضوائها في المناهج الدراسية بل وفي الكثير من أنشطة المجتمع، وللأسف إن من هؤلاء الذين تأثروا بهذه الأباطيل بعض من يعملون في حركات تعمل للإسلام. وتمادى الأمر حتى شب عليه الصغير وهرم عليه الكبير.

ولعل من أسباب ذلك الجهل وعدم التثبت، وعدم تفحص ما يقال، ولعل من أسبابه الهزيمة النفسية من البعض، الذين يسرهم أن يرضى عنهم القوى الغربية، وتثني عليهم، ولعل من أسبابها أغراض سياسية أخرى، ولربما اجتمعت كل تلك الأسباب. وسأسعى -بعون الله- لتناول بعض تلك الثغرات الفكرية تحت العناوين التالية:

1- أهم أركان الفكر الغربي المحارب للإسلام

أ- السؤال الأول: الله أم الطاغوت؟

ب- أصنام الطاغوت الأربعة:

(1) اللادينية (العلمانية).

(2) استبداد هوى الأغلبية (الديمقراطية).

(3) حقوق الإنسان (الأبيض).

(4) الدولة القومية.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

2- شبهات العلمانيين وأضرابهم:

أ- الاستبداد السياسي

ب- التخلف بين الدول

ج- اضطهاد الأقليات

د- اضطهاد المرأة

3- الحل: دولة الخلافة.

1- أهم أركان الفكر الغربي المحارب للإسلام

أ- السؤال الأول: الله أم الطاغوت؟

أصل النزاع بين أهل الإسلام وسائر الدعوات المناهضة له خاصة وللأديان عموماً؛ هو هل لهذا الكون خالق مدبر رازق حكم عدل له وحده حق التشريع والطاعة والعبادة؟ أم لا؟ هذه القضية المحورية يجب أن تكون هي بداية ونهاية الجدل مع كل أولئك الذين يعارضون حكم الإسلام، بما فيهم دعاة الحملة الصليبية الفكرية وأعاونهم.

وهذه الحقيقة من الوضوح في كتاب الله بما لا يدع مجالاً لتمييعها أو للالتفاف حولها ناهيك عن الشك بها، وهو كما رأينا أحد أهداف الحملة الصليبية الفكرية.

فقد أكد القرآن الكريم أن كل معبود أو مطاع سوى المولى سبحانه وتعالى يجب الكفر به والتبرؤ منه.

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لِأَنَّ انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ 265﴾ {265} اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نَزَلَ إِلَيْكَ وَمَا نَزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي يبرزها الغزوات

□ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ
كَانَ ضَعِيفًا □

□ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّبْنَا عَلَيْهِ الضَّلَالَةَ
فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَإِنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ □
□ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ
الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ □

يقول ابن القيم رحمه الله:

"والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من
معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم من
يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من
دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو
يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله؛ فهذه
طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس
معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة
الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول
إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة
رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته" ³⁰⁰

يقول الشهيد -كما نحسبه- الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

"والطاغوت صيغة من الطغيان، تفيد كل ما
يطغى على الوعي، ويجور على الحق، ويتجاوز
الحدود التي رسمها الله للعباد، ولا يكون له ضابط
من العقيدة في الله، ومن الشريعة التي يسنها
الله، ومنه كل منهج غير مستمد من الله، وكل
تصور أو وضع أو أدب أو تقليد لا يستمد من الله.
فمن يكفر بهذا كله في كل صورة من صورهِ
ويؤمن بالله وحده ويستمد من الله وحده فقد نجا..

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

وتتمثل نجاته في استمساكه بالعروة الوثقى لا
انفصام لها³⁰¹.

ويقول أيضاً رحمه الله:

"إن الطاغوت لا يقوم في الأرض إلا مدعياً
أخص خصائص الألوهية، وهو الربوبية. أي حق
تعييد الناس لأمره وشرعه، ودينوتهم لفكره
وقانونه. وهو إذ يزاول هذا في عالم الواقع يدعيه
-ولو لم يقله بلسانه- فالعمل دليل أقوى من
القول.

وإن الطاغوت لا يقوم إلا في غيبة الدين القيم
والعقيدة الخالصة عن قلوب الناس، فما يمكن أن
يقوم وقد استقر في اعتقاد الناس فعلاً أن الحكم
لله وحده، لأن العبادة لا تكون إلا لله وحده.
والخضوع للحكم عبادة. بل هي أصلاً مدلول
العبادة"³⁰².

فهذا هو مفترق الطرق بين أهل الإسلام وبينهم، ومن هنا
تستقيم أحوال البشرية، ومن هنا بدأ انحرافها على مر
العصور، وقد بلغت الحضارة الغربية في ذلك الانحراف شأناً
بعيداً، بل -وكما ذكرت- تأثر بها عدد من المنتسبين للعمل
الإسلامي، بل ومن كبار قادتهم. مما يدل على انتشار الخلل
العقدي في الكثير من صفوف وقيادات الحركات المنتسبة
للعمل الإسلامي، فمثلاً يقول عبد المنعم أبو الفتوح وهو
عضو مكتب الإرشاد في جماعة الإخوان المسلمين:
"أيوه يا سيدي، هي دي قضيتنا الأساسية وقضية
المجتمع المصري كله مش الإخوان فقط، قضية
الحریات مع.. قضية الحریات، وحقوق الإنسان،

³⁰¹ في ظلال القرآن- تفسير سورة البقرة- الدرس الرابع: 256 - 257 الإيمان والكفر والمؤمنون والكافرون- تفسير قوله تعالى: [اللهم ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور؛ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت].. الآيات.

³⁰² في ظلال القرآن- سورة يوسف- الآيات من 35 إلى 53 ج: 4 ص: 1991.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

**والعدالة، هي دي قضيتنا- إحنا ليس قضيتنا مع
الحكومة هي قضية الإسلام، الحكومة حكومة
مسلمة، والدولة دولة مسلمة، والناس يحبون
الإسلام، ونحن لسنا أفضل منهم في حبهم لدين
الله، لأننا لا ندعي هذا، ولا نسمح لأحد أن يدعي أنه
وصي على الدين، لا إحنا ولا نطلب من الحكومة،
ولا نقبل منها هذا، فبالتالي إن الأزمة اللي بيننا
وبين الحكومة أزمة على الحريات، وعلى حقوق
الإنسان.. وعلى احترام الدستور"³⁰³.**

الحكومة المصرية -تأمل- حكومة مسلمة، والدولة دولة
مسلمة، وليس بينه -أو بينهم- وبين تلك الحكومة خلاف حول
الإسلام. وليس هو قضيتهم مع الحكومة!
ومع أية حكومة؟ مع حكومة حسني مبارك التي لم يشهد
التاريخ المعاصر لمصر حكومة أكثر منها عداءً للإسلام،
وعمالة لأعدائه.

أليست هذه صورة فجة صلفة من الإرجاء المعاصر؟
لذا يجب على كل غيور على الإسلام أن يتعرض لهذا الخلل
العقائدي الغربي، وأن يظهر تهافته وهشاشته وعوراته، وأنه
ما قام إلا على تعظيم طاغوت الهوى.

ولما كان هذا الكتاب ليس كتاباً متخصصاً في العقيدة
والرد على المنحرفين عنها، فإني سأشير في إيجاز هنا
لإنحرافات الحضارة الغربية الأساسية، والتي تسعى الحملة
الفكرية الصليبية إلى جر المسلمين لمتابعتها.
وإنحرافات الحضارة الغربية الأساسية عن جادة التوحيد
انبثقت من رفضها العبودية لله ورضاها بالعبودية لغيره من
الطواغيت، وأشهر إنحرافاتنا نبعث من طاغوت الهوى، وهي
التي يمكن تسميتها بأصنام الطواغيت الأربعة، التي يجب
على الحملة الفكرية الجهادية الإسلامية أن تحطمها بعون الله

³⁰³ المستقبل السياسي للإخوان المسلمين في مصر، برنامج بلا حدود، قناة الجزيرة
الفضائية.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
وقوته. وهذه الأصنام الأربعة هي: اللادينية واستبداد هوى
الأغلبية وحقوق الإنسان (الأبيض) والدولة القومية، وأنا فيما
يلي أتعرض بإيجاز لكل منها. والله المستعان.
ب- أصنام الطاغوت الأربعة:
(1) اللادينية (العلمانية).
(2) استبداد هوى الأغلبية (الديمقراطية).
(3) حقوق الإنسان (الأبيض).
(4) الدولة القومية.

(1) اللادينية: وسأتناولها بعون الله تحت العناوين التالية:
(أ) اللفظ والمعنى
(ب) هل اللادينية قسمان؟
(ج) ثمار اللادينية:
(د) هل تخلصت اللادينية من نزعها الصليبية المعادية
للإسلام؟

(أ) اللفظ والمعنى:
اللا دينية هي التي شاعت بين الناس بلفظة (العلمانية)،
سواء نطقوها بكسر العين نسبة للعلم، أو بفتح العين نسبة
للعالم، وكلا النطقين خطأ، فلا صلة لها بالعلم ولا بالعالم،
وإنما هي إبعاد الدين عن شؤون الحياة العامة كلها، بل
ورفض الدين³⁰⁴.
فهي ترجمة لكلمة (سكيولاريزم secularism) الإنجليزية.
والكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية (سايكولوم saeculum)
وتعني (العالم) أو (الدنيا) (في مقابل الكنيسة)³⁰⁵.

³⁰⁴ Microsoft Encarta 2008, Encarta Dictionaries, secularism.

³⁰⁵ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الرابع:
العلمانية الشاملة- الباب الثاني: إشكالية اختلاط الحقل الدلالي لمصطلح ومفهوم
"علمانية"- إشكالية اختلاط الحقل الدلالي لمصطلح "علمانية" والمفاهيم الكامنة
وراءه- التعريف المعجمي لمصطلح "علمانية" في العالم الغربي ج: 1 ص: 127.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وينقل الدكتور محمد عمارة عن الدكتور السيد فرج أن أول من ترجمها هو لويس بقطر، الذي خدم في جيش الاحتلال الفرنسي، ثم رحل مع الفرنسيين لباريس لتدريس العامية المصرية، وذلك أنه ترجم كلمة (Lailque) لكلمة العلمانية نسبة إلى (العالم) أي (الدنيا) في مقابل (الدين)، وذلك في المعجم الفرنسي العربي الذي أصدره عام 1828م³⁰⁶. هذا عن ترجمة الكلمة وأصلها ومدلولها اللفظي، ولكن الأمر أوسع من ذلك، فإن الدكتور عبد الوهاب المسيري -رحمه الله- في محاولته لتفسير العلمانية، قام بجمع المصطلحات متقاربة الدلالة التي تصف الرؤية الغربية العلمانية للعالم، ورأى أنها على تنوعها فإنها يمكن اعتبارها مصطلحات تصف نفس العملية من زوايا مختلفة، والتي تتلخص في:

"1- ينتقل مركز الكون من الإنسان (المتجاوز، متعدد الأبعاد، الحر، المسئول أخلاقياً)، إلى الطبيعة/المادة (المُبرمجة، الحتمية، الخاضعة لقانون واحد صارم وأية تنوعات عليها مثل: الشيء- السلعة- السوق/المصنع- الدولة- العقلانية التكنولوجية- الكفاءة البيروقراطية- النماذج الكمية).

"2- تُلغى ثنائية الإنسان والطبيعة (الصلبة)، وتسود الواحدية المادية إذ أن ثمة قوانين عامة (طبيعية/مادية) تسري على الإنسان سريانها على الطبيعة، أي أن الإنسان يتم تفكيكه ورده إلى

³⁰⁶ معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام- العلمانية ص: 27. وكذلك يتساءل الأستاذ محمد قطب رحمه الله:

"لا أدري من الذي بدأ استخدام كلمة (الاستعمار) ترجمة لكلمة (Colonisation) التي تعني الاحتلال ولكني أرجح أنهم ذات المترجمين الأرمن واللبنانيين الذين كان الغزو الصليبي يستخدمهم في البلاد الإسلامية، والذين ترجموا لفظة (Secularism) بالعلمانية للإيهام بأن لها صلة بالعلم!" [العلمانيون والإسلام ص: 92].

- الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوي
عالم الطبيعة/المادة ويتم استيعابه تماماً فيها (أي يتم تطبيعه)، فتختفي المنظومات القيمة والمعرفية الإنسانية المستقلة عن عالم الطبيعة/المادة والمقصورة على الإنسان.
- 3- يفقد الإنسان أي تميّز، ويُزاح عن المركز، وتُنتزع عنه القداسة، ويُجرّد من خصائصه الإنسانية، وتُسقط عنه السمات الشخصية، ويصبح وسيلة لا غاية، ويتم تحييده وترشيده والتوحيد بينه وبين بقية الكائنات الطبيعية/المادية.
- 4- تخضع الأشياء كافة (ومنها الإنسان) لمنطق العلوم الطبيعية، والنماذج الكمية الرياضية (منطق الأشياء) ليصبح عقله ذاته عقلاً أداتياً قادراً على التفكير وغير قادر على التركيب أو الوصول إلى جوهر الطبيعة الإنسانية، فيدخل الإنسان إلى القفص الحديدي، أي إلى عالم الحسابات الرشيّدة، حيث تتم برمجة الأشياء كافة والتحكم فيها، فتسود العلاقات التعاقدية المحسوبة في المجتمع وتختفي العلاقات التكافلية التراحمية، أي يتم (تهويد) المجتمع، حسب تعبير ماركس، ويتم تشيئ وتسلع³⁰⁷ الإنسان.
- 5- الإنسان لا يتسم، حسب تعبير ماركس، بالتركيب أو بالمقدرة على التجاوز؛ فهو كائن بسيط، ذو بُعد واحد، وظيفي، مُنمّط، مُبرمج، جزء لا يتجزأ من المادة، مغترب عن جوهره الإنساني.
- 6- الطبيعة نفسها يتم تحريها من سحرها وجلالها، وتُنتزع السر عن كل الظواهر، فكل الأمور (في نهاية الأمر وفي التحليل الأخير) طبيعية/مادية، كل الأمور نسبية. ولذا يتحول العالم

³⁰⁷ أي تحويله إلى (شيء) و(سلعة).

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

إلى ساحة صراع الإنسان فيها ذئب لأخيه الإنسان
والبقاء فيها للأصلح، عالم يتسم باللامعيارية.

7- العالم (الإنسان والطبيعة) عالم واحد،
متشابهة أجزاؤه، لا فارق فيه بين المقدّس
والزمني، لا غاية له ولا هدف ولا معنى، يمكن
معرفة والتحكم فيه من خلال هذه المعرفة، هو
مادة استعمالية يمكن توظيفها ونقلها (ترانسفير)
وحوسلتها³⁰⁸، والإمبرالي صاحب القوة هو وحده
القادر على غزو العالم وتوظيفه لحسابه.

8- تتلاقى المجتمعات جميعاً (في نهاية الأمر)
لتخضع لنموذج الطبيعة/المادة، وتتزايد معرفة
الإنسان بقوانين الطبيعة حتى تسود الواحدية
المادية والعقلانية التكنولوجية وينتهي التاريخ"³⁰⁹.

هذا هو الوجه البشع للادينية الذي يحرص العلمانيون على
إخفائه وهم يدعون للادينية التي يسمونها العلمانية.
وقد يستغرب الإنسان العاقل كيف يمكن أن يتقبل العقل
الغربي هذه الخرافات، ولكن العقل الغربي ذا الأصول
الإغريقية، الذي كان يؤمن بأساطير الإغريق حول الآلهة
وصراعها مع بعضها ومع الإنسان، والذي أمن بعد ذلك
بالنصرانية بكل ما فيها من مغالطات كالتثليث والخطيئة
الأصلية وعقيدة الفداء وتجسد المسيح والكتب المقدسة
التي لا يعرف لها كاتب ولا سند، والتي اختار رجال الدين
بعضها فقط من كثرة كاثرة، وأسموها بالكتب القانونية، دون

³⁰⁸ الحوسلة: مصطلح نحتة الدكتور المسيري، ويعني به تحويل الشيء لوسيلة، وهو
ترجمة للمصطلح الإنجليزي (instrumentalization). [موسوعة اليهود واليهودية
والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الرابع: العلمانية الشاملة- الباب
الرابع: مصطلحات الواحدية والاستيعاب فيها ج: 1 ص: 148].

³⁰⁹ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الرابع:
العلمانية الشاملة- الباب الثالث: نموذج تفسيري مركب وشامل للعلمانية- نحو نموذج
تفسيري مركب وشامل للعلمانية- العلمانية: التعريف من خلال دراسة مجموعة من
المصطلحات المتقاربة ذات الحقل الدلالي المشترك أو المتداخل ج: 1 ص: 139.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

إبداء سبب أو تعليل³¹⁰، وحق الكنيسة في غفران الذنوب، بل وفي بيع صكوك الغفران، وعصمة الكنيسة والبابوات³¹¹، مع أن فضائحهم تزكم أنف التاريخ.

إن العقل الذي كان يقبل بكل تلك الأغاليط ويرضى بها لأن الأقوياء يفرضونها، لا يستغرب منه أن يؤمن بأغاليط معاصرة طالما أن الأقوياء أيضاً يؤمنون بها، ويحاولون فرضها على الآخرين، وليس بمستغرب بالتالي أن يتابعهم المنهزمون نفسياً - من غيرهم - على أغاليطهم لأنهم الأقوى والأغنى والأكثر تمدناً كما يزعمون.
(ب) هل اللادينية قسمان؟

يزعم اللادينيون - العلمانيون كما يسمون أنفسهم - أنهم ليسوا فئة واحدة، ولكن منهم أصحاب اللادينية الشاملة، وهم من يعرفون بالملحددين، ومنهم أصحاب اللادينية الجزئية، الذين يزعمون أنهم يؤمنون بالله، ويحترمون شعائر الدين، ولا يعادونه، وقد يزعمون أنهم متدينون، ولكنهم يرون - بأي سبب أو حيلة - أن الدين أمر شخصي، لا شأن له بشأن من شؤون الحياة العامة. وسأحاول فيما يلي أن أشير بإيجاز لكل منهما ثم في النهاية ما هو حكم الشرع فيهما تحت العناوين التالية:

[1] اللادينية (العلمانية) الشاملة.

³¹⁰ Microsoft Encarta Encyclopedia 2008 – Bible, VII. THE NEW TESTAMENT, A. Text, Canon, and Early Versins, 3. The Canon.

³¹¹ يزعم النصارى في إنجيلهم أن السيد المسيح - عليه السلام - قال لحواريه بطرس: "أنت بطرس. وعلى هذه الصخرة ابن كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه في الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات!!" [إنجيل متى، الإصحاح السادس عشر، (19 - 20)]. وأن بطرس - في زعمهم - قد فوض بابوات الكنيسة من بعده، فهم معصومون، ويحل فيهم الروح القدس. وكذلك ينسبون للسيد المسيح - عليه السلام - قوله: "أدّ ما لقبصر لقيصر وما لله لله". فبابا الكنيسة المعصوم ما يحله ويربطه في الأرض لا يحل ولا يربط في السماء، ولكنه لا يستطيع أن يتدخل في شأن قيصر، فهل هو تناقض أم صفقة؟

[2] اللادينية (العلمانية) الجزئية.

[3] كلاهما إلحاد.

[1] اللادينية (العلمانية) الشاملة.

[أ] تقوم النظرة الغربية للكون والحياة على الإلحاد، حتى

لو ادعى الكثيرون أنهم مؤمنون بالله، وذلك أنهم إما ينفون وجود المولى سبحانه وتعالى أو يشلون وجوده، فإلههم إما إله غائب أو مشلول، فهم يدورون بين إلحادين إلحاد نفي أو إلحاد تعطيل، وكلاهما إلحاد.

أما الملحدون النفاة الذين ينكرون وجود الباري سبحانه، فيرون أن هذا الوجود بأجرامه ومخلوقاته وأحيائه إنما نشأ صدفة، ويمضى إلى غير غاية، ووصل لما وصل له بسلسلة من الأفعال وردود الأفعال العشوائية. وهؤلاء هم الذين كانوا يسمون بالدهريين عند علماء المسلمين. فيقول جوليان هكسلي:

"لو جلست ستة من القردة على آلات كاتبة، وظلت تضرب على حروفها لملايين السنين فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخيرة التي كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير! فكذلك كان الكون الموجود الآن نتيجة لعمليات عمياء، ظلت تدور في (المادة) لبلايين السنين"³¹².

وبعبر برتراند رسل الفيلسوف الملحده الشهير عن هذه النظرة اللاعقلية الموحشة البغيضة بقوله:

"والإنسان وليد عوامل ليست بذات أهداف، إن بدأه ونشوءه وأمانيه ومخاوفه وحبه وعقائده كلها جاءت نتيجة ترتيب رياضي إتفاقي في نظام الذرة، والقبر ينهي حياة الإنسان. ولا تستطيع أية قوة إحياءه مرة أخرى. إن هذه المجهودات الطويلة

³¹² الإسلام يتحدى ج: 1 ص: 85.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
والتضحيات والأفكار الجميلة والبطولات العبقريّة
كلها سوف تدفن تحت أنقاض الكون، ولو لم تكن
هذه الأفكار قطعياً فإنها أقرب ما تكون إلى
الحقيقة، حتى إن أية فلسفة تحاول إنكارها ستلقى
فنائها تلقائياً".

ويعلق وحيد الدين خان على قول رسل بقوله:
"ويكاد هذا الاقتباس أن يكون خلاصة الفكر
المادي فالكون -في ضوء هذا الفكر المادي- يكاد
يفقد أهدافه ولا يبقى غير الظلام الحال؛ الظلام
الذي تتلاشى فيه معايير الخير والشر حتى إن إبادة
الناس بالقنابل لا تعد ظلماً لأنهم سوف يلقون
حتفهم على أية حال يوماً ما. أما الفكر الديني فهو
فكر الضوء والأمل. الموت والحياة مرتبطان فيه
بأهداف معينة وكل القيم والأفكار الإنسانية
السامية تجد لها مكاناً فيه"³¹³.

كذلك تأثرت الاتجاهات المادية اللادينية أيما تأثر بنظرية
دارون في النشوء والأرتقاء، وإن كان دارون لم ينف وجود
المولى سبحانه، ولكنه زعم أن تطور الإنسان من كائن وحيد
الخلية بسيط إلى الإنسان الحالي لا يحتاج في تفسيره
لافتراض وجود الله، حيث يقول:

"إن تفسير الحياة بتدخل الله يكون بمثابة إدخال
عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت!"
وحيث يقول:

"إن الطبيعة تخلق كل شيء، ولا حد لقدرتها"
! 314

³¹³ الإسلام يتحدى ج: 1 ص: 46 و 47.

³¹⁴ جاهلية القرن العشرين. ص: 40.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وأن هذا التطور تم عشوائياً، وأن البقاء كان للكائنات
الأقوى أو الأقدر تكيفاً على البقاء، التي استطاعت البقاء عبر
الصراع مع غيرها من الكائنات، والتكيف مع عوامل الطبيعة.
يقول الدكتور المسيري:

"ويمكن القول بأن الداروينية هي النموذج
المعرفي الكامن وراء معظم الفلسفات العلمانية
الشاملة، إن لم يكن كله.

ولعله لا توجد فلسفة أثرت في عصرنا الحديث
أكثر من الفلسفة الداروينية، كما لا توجد فلسفة
بلورت الرؤية العلمانية للكون أكثر من الفلسفة
الداروينية"³¹⁵.

[ب] ولذلك فقد عرف الدكتور المسيري -رحمه الله-
العلمانية الشاملة بقوله:

"العلمانية الشاملة (التي يمكن أن نسميها أيضاً
"العلمانية المادية" أو "العلمانية العدمية") هي
رؤية شاملة للعالم، عقلانية مادية، تدور في إطار
المرجعية الكامنة والواحدية المادية، التي ترى أن
مركز الكون كامن فيه، غير مفارق أو متجاوز له،
وأن العالم بأسره مُكَوَّن أساساً من مادة واحدة،
ليست لها أية قداسة ولا تحوي أية أسرار، وفي
حالة حركة دائمة لا غاية لها ولا هدف، ولا تكثرث
بالخصوصيات أو التفرد أو المطلقات أو الثوابت.
هذه المادة تشكل كلا من الإنسان والطبيعة، فهي
رؤية واحدة كونية مادية"³¹⁶.

³¹⁵ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري - الباب
الخامس: مصطلحات تشير إلى تفكيك الإنسان وتقويضه- الداروينية الاجتماعية ج: 1
ص: 155 و 156.

³¹⁶ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الرابع:
العلمانية الشاملة- الباب التاسع: العلمانية الشاملة: تاريخ موجز وتعريف- العلمانية
الشاملة: تعريف ج: 1 ص: 214.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

[ج] وقد يحاول بعض هؤلاء اللادينيين الدهريين أن يتجنب معاداة الدين، ولكنك لو سألتهم عن مرجعياته وعقائده، فلن تجد للباري سبحانه وتعالى أي وجود فيها.

فالإتحاد السوفيتي السابق -وهو تجسيد اللادينية الشاملة- كان يزعم أنه يسمح بحرية الأديان، ويترك بعض المساجد تعمل للدعاية، وللدوران بالسياح عليها، رغم حربه الضروس على الدين عموماً والإسلام خصوصاً عقيدة وعملاً.

ولذلك يؤكد الدكتور عبد الوهاب المسيري -رحمه الله، وهو الماركسي السابق- على أهمية النظر لمرجعية أصحاب العلمانية الشاملة بغض النظر عن أقوالهم وأفعالهم. فيقول:

"وفي تصوُّرنا أن أفضل طريقة لتناول قضية العلمانية والعلمنة هي قضية المرجعية (كأمانة أم متجاوزة). فالعلمانية (الشاملة) قد لا تكون إلحادية أو معادية للإنسان على مستوى القول والنموذج المعلن (فهي قد لا تنكر وجود الخالق أو مركزية الإنسان في الكون أو القيم المطلقة، الإنسانية أو الأخلاقية أو الدينية، بشكل صريح ومباشر). ولكنها على المستوى النماذجي الفعال ومستوى المرجعية النهائية، تستبعد الإله، وأية مطلقات، من عملية الحصول على المعرفة ومن عملية صياغة المنظومات الأخلاقية، كما تستبعد الإنسان من مركز الكون بشراصة وبحدة وتنكر عليه مركزيته وحرية" ³¹⁷.

وقد لاحظت شخصياً أن العديد من الشيوعيين يتجنبون الحديث عن الدين تماماً، بل إن بعضهم قد يظهر احتراماً للدين أو يمارس بعض الشعائر، والبعض إذا أخرجته في النقاش يتهرب بأن النقاش حول الدين له المتخصصون فيه،

³¹⁷ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الرابع: العلمانية الشاملة- الباب التاسع: العلمانية الشاملة: تاريخ موجز وتعريف- العلمانية الشاملة: تعريف ج: 1 ص: 214 و 215.

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

لأنه يعلم أن الناس بطبيعتهم ينفرون من هذه المادية الكئيبة
المنافية للفطرة.

وهذا ما يلفت الانتباه له الدكتور المسيري، حيث يقول عند
كلامه عن أن العلمانية الجزئية ما هي إلا مرحلة في متتالية
تؤدي للعلمانية الشاملة:

"ومع هذا، تجب الإشارة إلى بعض الأفراد ممن
يتبنون نماذج علمانية شاملة ويستخدمون دياحات
جزئية عن وعي ودهاء مقصود، لأن الناس
ينفرون بفطرتهم الإنسانية من العلمانية الشاملة
بسبب وحشتها وعدميتها"³¹⁸.

[د] والرّد على الملاحظة النفاة ربما يخرج عن موضوع هذا
الكتاب.

"1" ولكني أقول للذين يرون أن هذا الكون قد وجد صدفة،
بتفاعل بعض العناصر، التي كانت موجودة في ظروف معينة
ونسب معينة وأزمنة معينة، وكذلك الحياة نشأت بتفاعل
بعض العناصر في ظروف معينة فجاءت صدفة.
أقول له: إذا كان كل هذا قد وجد صدفة، فمن الذي أوجد
الصدفة؟ من الذي أوجد العناصر اللازمة بالنسبة اللازمة في
الأحوال الضرورية اللازمة في الأزمنة اللازمة بالحركات
اللازمة بالشروط اللازمة لتلك الصدفة؟
إن قال: لا أعلم. قلنا له: فلم علمت أن الكون قد وجد
صدفة؟

وإن قال: إنما أوجد الصدفة صدفة قبلها. قلنا له: نحن في
حاجة لعدد ضخم من الصدف، فكل عنصر من العناصر نشأ
صدفة، وكذلك الظروف الضرورية من الحرارة والضغط
والحركة والمكان والزمان والسرعة واتجاه السير... إلخ كل

³¹⁸ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الرابع:
العلمانية الشاملة- الباب الأول: إشكالية تعريف العلمانية- إشكالية العلمانيين:
علمانية جزئية وعلمانية شاملة ج: 1 ص: 126.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

منها أوجده صدفة، ثم جاءت صدفة فجمعت كل هذه
الصدف، ثم جاءت صدفة أخرى فجعلتها تتفاعل مع بعضها؟
ثم لا بد أن تتسلسل الأسئلة: فمن أوجد صدفة الصدفة؟
ومن أوجد صدفة صدفة الصدفة؟ في عبث لا متناهي من
الضلال. تتميز به الحضارة الغربية الصليبية المعاصرة، التي
تزعم تقديس العقل، بينما هي في حقيقة أمرها تلهث
مسعورة وراء أهوائها ورغباتها.

ثم نقول له: نحن لم نسألك -فقط- كيف توفرت ظروف
الصدفة؟ ولكن نسألك -أيضاً وبالبحاح- من أنشأ الصدفة؟ من
هو المتسبب في إيجادها؟ أتلكم العناصر والظروف التي
وفرت الصدفة أوجدت نفسها؟ أم أوجدها موجد غيرها؟؟؟
وصدق الله العظيم: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ
الْخَالِقُونَ﴾.

وبنفس المنطق يقال لأمثال جوليان هكسلي صاحب مثال
القردة الستة والآلة الكاتبة؛ من الذي أوجد القردة الستة؟
ومن الذي أوجد الآلة الكاتبة؟ ومن الذي جمعهم في مكان
واحد؟ ومن الذي مد في عمر القردة لبلايين السنين؟ ومن
الذي منح الآلة الكاتبة الصلابة حتى تستمر في العمل لبلايين
السنين؟ دون أن تتلف أو تحتاج لصيانة أو تبلى أو تنبري من
شدة الطرق عليها؟ ومن الذي أمدها بالورق؟ وأدخله فيها؟
ومن الذي أمدها بالحبر؟ وداوم على إمدادها به؟ ومن الذي
أجبر القردة على البقاء يطرقون على الآلة الكاتبة لملايين
السنين دون أن يملوا ويفروا؟ هل كان معهم مراقب يجبرهم
على العمل المتواصل؟ ومن هو؟

ثم إذا كان العمل لمدة ملايين السنين قد أنتج قصيدة
واحدة أو احتمال قصيدة -في زعمك- لشكسبير، فكم من
الزمن سيحتاج لإنتاج كل قصائده؟ وكم من الزمن يلزم لإنتاج
كل قصائد الشعراء الإنجليز؟ وكم من الزمن يلزم لإنتاج شعر

كل شعراء الدنيا؟ وكم من الزمن يلزم لإنتاج كل الأدب في
الدنيا؟ وكم؟ وكم؟ وكم؟.....؟

ثم إذا كنت تقول إن بلايين النسخ التي لا معنى لها وجدت من
بينها ورقة واحدة فيها قصيدة لشكسبير، فيلزم من كلامك أن
إنتاج عالم واحد بالصدفة لا بد أن يصاحبه بلايين العوالم
وبلايين المخلوقات المعطوبة الفاسدة المحطمة، وأن بلايين
النسخ الفاسدة هذه هي الغالبة الطاغية، فأين هي؟؟ وصدق
الله وكذبت تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
{1} الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْعَفُورُ {2} الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى
فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاقُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ
{3} ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِبًا وَهُوَ
حَسِيرٌ.

ثم يقال لمن قال إن العالم حدث ويجري بالصدفة
وبطريقة آلية: أنت أولى أن يقال لك إن ما تزعمه نظريات
عميقة وأفكاراً رصينة ليس إلا مجرد أصوات صدرت من
فمك، أو حروف على ورق تجمعت بالصدفة فظهرت كما
تنطقها، أو تكتبها، وحقيقتها عبث لا فائدة منه ولا هدف ولا
غاية، ولم تقصدها، بل والأفكار التي في رأسك ما هي إلا
مجموعة من التفاعلات الكيماوية العشوائية الآلية حدثت في
خلايا الدماغ العصبية بطريق الصدفة، أنتجت هذا الهراء.
أفهذا الكون المحكم الصنع المحير المبهر حدث صدفة؟
وأنت ففكرك رصين مقصود، نشأ عن نظر متأن وقواعد
محكمة ومقدمات يقينية ونتائج لازمة، وهو فكر ذو غاية
وهدف يسبر أغوار الحقيقة! لماذا يكون ففكرك استثناءً عن
الكون؟

ثم نقول له: لو افترضنا أنك اكتشفت يد لص، وقد اندست
في جيبك، فأمسكت بها وبه متلبساً بجريمة السرقة، ثم لما
علم اللص أنك من المجادلين بالصدفة، قال لك: إنما دخلت
يدي لجيبك بالصدفة. فماذا أنت قائل له؟ هل تقول له: مرحباً

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

بأخي في العقيدة؟ أم تسوقه للشرطة؟ وإذا سألك سائل:
لماذا تسوقه للشرطة؟ فماذا أنت قائل له؟ أفتقول له: لكي
تأخذ العدالة مجراها من هذا اللص الأثيم، الذي لا يعرف خلقاً
ولا قيماً. فأية عدالة وأي خلق وأية قيم هذه؟

العدالة تتطلب حقاً مسلوباً لتوصله لمستحقه، فما هو
الحق؟ وما هو المستحق؟ في عالم كله صدفة في صدفة
وعبث في عبث.

ثم إن العدالة تتطلب شريعة تنفذها، والشريعة تتطلب
أخلاقاً وقيماً تنتجها، فأى أخلاق وأية قيم إذا كان كل شيء
خيوط عشواء وصدفة، وليس هناك قيمة ولا مرجعية عندك إلا
واقعك الذي حدث بالصدفة.

وقد يماحك عبد الصدفة فيقول: إن الشريعة والأخلاق هي
ما اتفق عليه العقلاء. فهذه إجابة تثير أسئلة أكثر، منها على
سبيل الإيجاز؛ على ماذا اتفق العقلاء؟ هل اتفقوا على خلق
العالم بالصدفة؟ ثم كيف يتفقون؟ بالإجماع أم بأغلبية
الناخبين الديمقراطية؟ لو كان الأمر بالديمقراطية فمعنى هذا
أن ذلك اللص الذي ذكرناه، لو كان معه ثلاثة آخرون وقابلوا
عبد الصدفة في صحراء ليس فيها غيرهم، فمن حقهم أن
يسلبوه ماله، وربما ملابسه أيضاً، وحينئذ سيعدونها من
محاسن الصدق، أو رب صدفة خير من ألف ميعاد!!

ثم إن العدالة تتطلب فصلاً بين الخصومات، وهذا يتطلب
سلطة محايدة لا تتأثر بالأهواء والنزعات ولا الميول لتفصل
بين الموجودات، ولا يتحقق ذلك إلا في المولى سبحانه
وتعالى المنزه عن النقائص.

ثم إن الحكم على الشيء -كما يقولون- فرع عن تصويره،
ولذا لا يمكن للحاكم أن يحكم في قضية إلا إذا صورها، وكلما
كان تصويره أقرب للحقيقة كلما اقترب حكمه من الصواب،
والعكس بالعكس، وحيث أن الإنسان -باتفاق الملحدين
والمؤمنين- يجهل عن نفسه بل وعن سائر الكون -بأضعاف

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

رهيبة- أكثر مما يعلم، لذا فإن القادر الوحيد على الحكم
الصحيح هو المولى سبحانه وتعالى. □ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ³¹⁹.

"2" وكذلك أقول لمن يقول إن هذا الوجود والحياة نشأ بلا هدف ولا غاية، له: أنت أيضاً كلامك هذا -الذي هو جزء من هذا الوجود- يلزمك أن يكون عبثاً بلا غاية ولا قصد، وليس برأي حكيم ولا نظرية متماسكة، بل عبث وهراء بغير قصد ولا هدف؟

ثم لماذا نراك متحمساً تضع عمرك ووقتك في الدفاع عن نظرياتك ونشرها والرد على مخالفيها؟ إن كان الأمر كله عبث في عبث. لم لا تدع مخالفيك يعبثون مع العابثين؟ ولذلك يعلق الدكتور المسيري على فلاسفة العبث وما بعد الحداثة بقوله:

"ولكن كيف تأتي لفلاسفة ما بعد الحداثة أن يدركوا غياب المرجعية والمعيارية وهيمنة القوة وسيطرة الصيرورة دون الاستناد إلى مرجعية ما ومعيارية ما ومعرفة بعالم عادل فيه كليات ثابتة؟ وكيف يكتبون وهم يعرفون أنهم لن يصلوا إلى شيء؟ لم لا يحجمون عن الكتابة والتفكير وكتابة المجلدات الفلسفية المعقدة؟ أليس من الأجدى لهم أن يبقوا في عالم الصيرورة الأكيدة الحسية ويحتسوا أفخر الخمور ويضاجعوا أحمل النساء والغلمان كما فعل الرومان في أواخر أيام الإمبراطورية، وكما يفعل الوثنيون العدميون عندما يشعرون بالعدمية تُطبق عليهم؟ ففي الخمر والنساء صيرورة ويقين الغياب والعدم. لا يُوجد رد على هذا داخل النظام ما بعد الحداثي وإن كان دريدا قد حاول مرة الإجابة بقوله بأنه

³¹⁹ راجع للمزيد من التفصيل في الرد على القول بتكون العالم بالصدفة: الإسلام يتحدى ج: 1 ص: من 84 إلى 93.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

يعترف بأنه يقف داخل النظام الميتافيزيقي
ويدرك هذا، أما الآخرون فيقفون في نظمهم
الميتافيزيقي ولا يدركون هذه الحقيقة. وهذا هراء
إذ تظل المشكلة قائمة: لم الكتابة المضنية إذن،
وسهر الليالي، بدلاً من الصيرورة السهلة
والانزلاق المستمر؟ من أجل مَنْ كل هذا العناء
وكل هذه المعاناة؟³²⁰

وأزيد على قول الدكتور المسيري رحمه الله؛ إن هذا
الانزلاق للملذات الشهوانية هو حالهم، أو هو ما يؤولون له،
وهو ما يتغونه.
ولذلك شهد عليهم الدكتور المسيري شهادة الشاهد الخبير
المعاین حين قال في كتابه (رحلتي الفكرية- الجذور والبذور
والثمر):

"كنت قد بدأت ألاحظ أن السلوك الشخصي
للرفاق كان متناقضاً مع أي نوع من أنواع المثاليات
الدينية أو الإنسانية، وأن كمية النرجسية عند
بعضهم كانت ضخمة للغاية. وأنا لا أمانع في وجود
قدر من النرجسية عند البشر، فهذا أمر أساسي
بالنسبة لهم، وخصوصاً بالنسبة للتائر، فالنرجسية
آلية نفسية يدافع من خلالها عن نفسه ضد مجتمع
يود ابتلاعه. ولكن النرجسية التي لاحظتها في كثير
من الرفاق كانت بالفعل متطرفة، والحريات
الخلقية التي كانوا يسمحون لأنفسهم بها كانت
كاملة، أي أنهم في واقع الأمر كانوا شخصيات
نيتشوية داروينية، لا علاقة لها بالماركسية ولا بأي
منظومة أخلاقية، خاصة أن بعضهم كانت ماركسيته

³²⁰ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء
الرابع: العلمانية الشاملة- الباب السابع: الثنائية الصلبة والسيولة الشاملة وما بعد
الحدثة- ما بعد الحدثة- المقولات الأساسية لرؤية دعاة ما بعد الحدثة ج: 1 ص:
177.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

تتبع من حقد طبقي أعمى وليس من إيمان
بضرورة إقامة العدل في الأرض. بل كثيراً ما كنت
أشعر أن بعضهم كان ماركسياً بحكم وضعه
الطبقي وأنه لو سنحت الفرصة أمامه للفرار من
طبقتة والانضمام للطبقات المستغلة الظالمة
لفعل دون تردد وطلق ماركسيته طلاقاً باتناً. لكل
هذا قدمت استقالتي"³²¹.

"3" وكذلك الذين يقولون إن الإنسان نشأ تبعاً لنظرية
النشوء والارتقاء من كائنات بسيطة تطورت بلا هدف ولا غاية
ولا إرادة حتى وصلت للإنسان الحالي.
أقول لهم ليس من شأن هذا الكتاب التطرق للثغرات
الكثيرة فيما تقولون، ولكني أسألهم:
لو أن هناك كائنات تطورت من بعضها، فهل هي تطورت
نفسها؟ أم هناك من طورها؟ ومن هو؟
ولو أن مصنعاً مشهوراً ينتج كل سنة طرازاً جديداً من
منتج معين (سيارة- حاسوب- مذياع..)، وعادة يكون بين
الطرز المتتالية تشابه، كما أن المصنع يضع شعاره على كل
طراز، فهل يمكن أن يكون التشابه بين الطرز المتتالية دليلاً
على أن كل طراز قد نشأ وتطور من الطراز الذي قبله، أم
يكون دليلاً على أن جهة الإنتاج واحدة؟
ثم لو جاء أفاق محتال لصاحب ذلك المصنع، فخاصمه أمام
المحكمة بالأحق له في احتكار هذه المنتجات والاستئثار
بفوائدها التجارية والقانونية، لأن هذه المنتجات نشأت بفعل
تلاطم وتصادم عوامل عديدة خبط عشواء بلا ترتيب ولا قصد
ولا غاية ولا سعي حثيث ولا إرادة في إنتاجها، وبالتالي فإن
نسبتها لذلك المصنع وصاحبه وعدمها سواء، كما أن عدم
نسبتها للمحتال الأفاق ونسبتها سواء، فهل يمكن أن تقبل
دعوى ذلك المحتال الأفاق أمام أي قاض، حتى لو كان ذلك

³²¹ بل هي حرب على الإسلام ص: 184.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
القاضي ملحداً مادياً متعصباً لنظرية داروين في النشوء
والأرتقاء.

ثم السؤال الأهم؛ أليس المولى -سبحانه وتعالى- بقادر
على أن يخلق آدم في الجنة، ثم ينزله للعالم في أي وقت
يشاء، سواء تطورت الكائنات أم لم تتطور؟
إذن القضية المحورية بيننا وبينكم هي في المولى سبحانه
وتعالى، الذي تنكرون وجوده، أو تعطلون صفاته.
هذه هي القضية، وهي قضية البشرية في صراع الإسلام
والكفر من بدايتها لنهايتها.

المشكلة أن هؤلاء القوم قد تصادمت اكتشافاتهم عن تاريخ
نشوء الحياة على الأرض مع حكايات التوراة المحرفة³²²،
فصدروا لنا مشكلتهم، وتلك عادتهم.
[2] اللادينية (العلمانية) الجزئية.

[أ] النوع الآخر من اللادينية التي يدعيها اللادينيون هي
اللاينية الجزئية. وهي قسم أكثر مخالفة ومخادعة. إذ أن
أصحابها يزعمون أنهم متدينون، ولكنهم يرون أن من
المصلحة فصل الدين عن الشؤون العامة.

يقول الأستاذ الشهيد -كما نحسبه- سيد قطب رحمه الله
في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ
بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ
وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾:

"وهذه حقيقة لها وزنها.. إن الرسول ليس مجرد
"واعظ" بلقي كلمته ويمضي. لتذهب في الهواء
-بلا سلطان- كما يقول المخادعون عن طبيعة
الدين وطبيعة الرسل؛ أو كما يفهم الذين لا يفهمون
مدلول "الدين".

³²² راجع حول التناقض بين النصرانية والعلم مقال (العلمانية ودورها في تشويه العلاقة
بين الدين والعلم).

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

إن الدين منهج حياة. منهج حياة واقعية.
يتشكيلاتها وتنظيماتها، وأوضاعها، وقيمها، وأخلاقها
وأدابها. وعباداتها وشعائرها كذلك.

وهذا كله يقضي أن يكون للرسالة سلطان.
سلطان يحقق المنهج، وتخضع له النفوس خضوع
طاعة وتنفيذ.. والله أرسل رسله ليطاعوا- بإذنه
وفي حدود شرعه- في تحقيق منهج الدين. منهج
الله الذي أراده لتصريف هذه الحياة. وما من
رسول إلا أرسله الله، ليطاع، بإذن الله. فتكون
طاعته طاعة لله.. ولم يرسل الرسل لمجرد التأثير
الوجداني، والشعائر التعبدية.. فهذا وهم في فهم
الدين؛ لا يستقيم مع حكمة الله من إرسال الرسل.
وهي إقامة منهج معين للحياة، في واقع الحياة..
وإلا فما أهون دنيا كل وظيفة الرسول فيها أن يقف
واعظاً. لا يعنيه إلا أن يقول كلمته ويمضي. يستهتر
بها المستهترون، وبيتذللها المبتذلون!!!

ومن هنا كان تاريخ الإسلام كما كان.. كان دعوة
وبلاغاً. ونظاماً وحكماً. وخلافة بعد ذلك عن رسول
الله -صلى الله عليه وسلم- تقوم بقوة الشريعة
والنظام، على تنفيذ الشريعة والنظام. لتحقيق
الطاعة الدائمة للرسول. وتحقيق إرادة الله من
إرسال الرسول. وليست هنالك صورة أخرى يقال
لها: الإسلام. أو يقال لها: الدين. إلا أن تكون طاعة
للرسول، محققة في وضع وفي تنظيم. ثم تختلف
أشكال هذا الوضع ما تختلف؛ ويبقى أصلها الثابت.
وحقيقتها التي لا توجد بغيرها.. استسلام لمنهج
الله، وتحقيق لمنهج رسول الله. وتحاكم إلى
شريعة الله. وطاعة للرسول فيما بلغ عن الله،
وإفراد لله -سبحانه- بالألوهية [شهادة أن لا إله إلا
الله] ومن ثم إفراده بالحاكمية التي تجعل التشريع

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

ابتداءً حقاً لله، لا يشاركه فيه سواه. وعدم احتكام
إلى الطاغوت. في كثير ولا قليل³²³.

[ب] وهذه اللادينية الجزئية غالباً ما تعرف بأنها (فصل
الدين عن الدولة). يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري:
" (فصل الدين عن الدولة) ترجمة للعبارة
الإنجليزية (سيباريشن أوف تشيرش أند ستيت
separation of church and state)، وهي أكثر
تعريفات العلمانية شيوعاً في العالم، سواء في
الغرب أو في الشرق. وهي عبارة تعني حرفياً
(فصل المؤسسات الدينية "الكنيسة" عن
المؤسسات السياسية "الدولة"). والعبارة تحصر
عمليات العلمنة في المجال السياسي وربما
الاقتصادي أيضاً (رقعة الحياة العامة) وتستبعد
شتى النشاطات الإنسانية الأخرى، أي أنها تشير
إلى العلمانية الجزئية وحسب"³²⁴.

[ج] وهذا القسم من اللادينية أكثر قبولاً في عقول عوام
الغربيين، فالمسيحي لا يجد غضاظة في أن يمارس حياته تبعاً
للقوانين والدساتير وقواعد الاقتصاد والمواثيق الدولية، ثم
يذهب يوم الأحد للكنيسة، ويعترف بذنوبه أمام القسيس. ولا
يرى في ذلك أي تناقض، لأن المسيح - كما زعموا - يقول: "أدُّ
ما لقيصر لقيصر وما لله لله"³²⁵. أما في عقيدة الإسلام، فهذا
الخلط غير مقبول بالمرّة، بل هو شرك بالله كما سنبين إن
شاء الله. ولذلك فإن ما يسمونه بالعلمانية الجزئية تعدّ حلاً

³²³ في ظلال القرآن- سورة النساء- الآيات من 58 إلى 70 ج: 2 ص: 695 و 696.

³²⁴ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الرابع:
العلمانية الشاملة- الباب الأول: إشكالية تعريف العلمانية- إشكالية العلمانيين:
علمانية جزئية و علمانية شاملة- إشكالية تعريف العلمانية باعتبارها فصل الدين عن
الدولة ج: 1 ص: 123.

³²⁵ راجع كلاً نيفساً للأستاذ محمد قطب لنقد فهم الكنيسة لهذا القول المنسوب
للسيد المسيح في كتاب [مذاهب فكرية معاصرة ص: 11 إلى 13 و 43 إلى 46].

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

متوافقاً مع عقيدتهم المنحرفة للهروب من تسلط الكنيسة
وجبروتها.

أما في ديار المسلمين فهي حيلة لتمرير العلمانية الكاملة
والانسلاخ التام من الدين. يقول الدكتور عبد الصبور شاهين
عن العلمانيين الذين يزعمون أنهم يؤمنون بالله:

"فهذا صنف من الناس يجتزئ من الدين بما لا
يقتضيه تكلفة؛ أن يقول: أمنت بالله-فحسب، وهو
يستعمل مسألة تسليمه بوجود الله-عز وجل-
ذريعة إلى التحلل والانعتاق من سائر قضايا الدين
والصدود عنها، وهو أمر ينبغي أن يلحظ على أنه
من صميم أزمة الدين في أنفس المثقفين
المعاصرين، لأن الثقافات الإلحادية قد اتخذت
لنفسها خطة لثيمة، فحواها أن دعوة المسلم إلى
الكفر تلقى فوراً في المجتمع الإسلامي، ويكاد
يكون من المحال إحراز تقدم فيه باعتراف هذه
الدعوة، ولذا ينبغي أن تكون الخطة -أولاً- تجريد
شخص المسلم من الالتزام بالتكاليف، وتحطيم
قيم الدين الأساسية في نفسه بدعوى العلمية
والتقدم دون مساس بقضية الإلهية مؤقتاً، لأنها
ذات حساسية خاصة، وبمرور الزمن، ومع إلف
المسلم لهذا التجريد يسهل في نهاية الأمر تحطيم
فكرة الإلهية أساساً في عقله ووجدانه -وإذا بقيت
افتراضاً فلا ضرر منها ولا خطر، لأنها حينئذ لن
تكون إلا بقايا دين كان موجوداً ذات يوم بعيد"³²⁶.

[د] ولكن هل بقيت العلمانية الجزئية جزئية كما بدأت في
مراحلها الأولى أم استشرت وتغولت. يقول الدكتور
المسيري رحمه الله:

³²⁶ الإسلام يتحدى ج: 1 ص: 12.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

"ولكن هذه العلمانية الجزئية (المرتبطة
بالمراحل الأولى لتطور العلمانية الغربية) تراجعت
وهُمّشت إذ تصاعدت معدلات العلمنة بحيث
تجاوزت مجالات الاقتصاد والسياسة والأيدولوجيا
وأصبحت العلمنة ظاهرة اجتماعية كاسحة، وتحولاً
بنوياً عميقاً يتجاوز عملية فصل الدين عن الدولة
وعملية التنظيم الاجتماعي (الرأسمالي
والاشتراكي) ويتجاوز أية تعريفات معجمية وأية
تصورات فكرية قاصرة محدودة، فلم تُعد هناك
رقعة للحياة العامة مستقلة عن الحياة الخاصة.
فالدولة العلمانية والمؤسسات التربوية والترفيهية
والإعلامية وصلت إلى وجدان الإنسان وتغلغلت
في أحلامه ووجهت سلوكه وعلاقته بأعضاء أسرته
النووية، ولم يعد من الممكن الحديث عن فصل
هذا عن ذلك. بل إننا يمكننا أن نتحدث لا عن
(فصل الدين عن الدولة) وإنما عن (هيمنة الدولة
على الدين)"³²⁷.

وبزبد الأمر وضوحاً عن تطور العلمانية الجزئية في الغرب
في العالمين الرأسمالي والاشتراكي فيقول:

"ولكن الأمور تغيرت إذ تابعت حلقات المتتالية
بخطى أخذت تتزايد في السرعة (إلى أن اكتملت
في منتصف الستينيات). فقد ازدادت الدولة
العلمانية قوة، وتغولت وأصبحت الدولة التتين،
التي تنبأ بها هوبز، وأحكمت بمؤسساتها الأمنية
قبضتها على الفرد من الخارج. كما أحكمت
مؤسساتها التربوية قبضتها عليه من الداخل،

³²⁷ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء
الرابع: العلمانية الشاملة- الباب الأول: إشكالية تعريف العلمانية- إشكالية
العلمانيين: علمانية جزئية وعلمانية شاملة- إشكالية تعريف العلمانية باعتبارها فصل
الدين عن الدولة ج: 1 ص: 123 و 124.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

تساعدنا في ذلك وسائل الإعلام وقطاع اللذة اللذان تمدّدا وتغولا بطريقة تفوق تغوّل الدولة وتنينيتها. واتسع نطاق العلمنة وتخطى عالم السياسة والاقتصاد ووصل إلى عالم الفلسفة (فلسفة الاستنارة والعقلانية المادية)، ثم عالم الوجدان. وأخيراً إلى عالم السلوك اليومي، أي أن الإنسان تم ترشيده وتدجينه تماماً من الداخل والخارج، ولم يعد هناك أي أثر للمرجعية المتجاوزة، ولم يعد هناك أي أساس لأية معيارية، إذ أصبح لكل مجال من مجالات الحياة معيارته (غير الإنسانية) المستقلة. فتآكلت بقايا القيم المسيحية والقيم الإنسانية الهيومانية³²⁸، ومات الإله (على حد قول نيتشه)، وظهرت الفلسفات المعادية للإنسان، مثل البنيوية وما بعد الحداثة، التي تُنكر على الإنسان المقدرة على التجاوز. وقد حدث الشيء نفسه للمنظومة الاشتراكية. فبدلاً من التّأرجح بين المرجعية المتجاوزة (الإنسان والقيم الإنسانية المطلقة) والمرجعية الكامنة (وسائل الإنتاج- حركة المادة- إشباع الحاجات والملذات المادية)، تغوّلت الدولة السوفيتية وتغوّل الحزب ووسائل الإعلام وقطاع اللذة وزاد التركيز على الاشتراكية العلمية في صفوف النخب الحاكمة الاشتراكية، وأصبح اللحاق بالغرب الذي يدور في إطار الطبيعة/المادة (وليس تحقيق إمكانات الإنسان المتجاوزة) هو المثل الأعلى. فتم ترشيد الإنسان وتدجينه، وبدأ يختفي تدريجياً أي إحساس بمطلقات متجاوزة

³²⁸ الهيومانية هي النزعة أو الفلسفة الإنسانية، وهي منظومة مادية من الأفكار تقوم على القيم والخصائص والسلوكيات التي تتحقق في أفضل صورها في الكائن البشري، بغض النظر عن أية سلطة فوق الطبيعة.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

(ظلال الإله) إلى أن اختفى الإنسان ومات الإله
وسادت النسبية والنفعية.

ثم تتالت الحلقات، وبعد أن تمت السيطرة على
الإنسان تماماً وأصبح مذعناً لقانون الطبيعة
والأشياء وسقط تماماً في دوامة الصيرورة
والنسبية، اتسع نطاق الصيرورة لبيتلع
الطبيعة/المادة نفسها، كمصدر للمعيارية ومركز
للعالم، ودخل العالم عصر ما بعد الحداثة
والسيولة الشاملة واللامعيارية.

والفرق بين ما نسميه "العلمانية الجزئية" وما
نسميه "العلمانية الشاملة" هو في واقع الأمر
الفرق بين مراحل تاريخية لنفس النموذج؛ حلقات
في نفس المتتالية. ففي المراحل الأولى للمتتالية
تتسم العلمانية بالجزئية حينما يكون مجالها
مقصوراً على المجالين الاقتصادي والسياسي،
حين يكون هناك بقايا مطلقات مسيحية وإنسانية،
وحين تتسم الدولة ووسائل الإعلام وقطاع اللذة
بالضعف والعجز عن اقتحام (أو استعمار) كل
مجالات الحياة، وحين يكون هناك معيارية إنسانية
أو طبيعية/مادية. ولكن، في المراحل الأخيرة، ومع
تزايد قوة الدولة ووسائل الإعلام وقطاع اللذة
وتمكنه من الوصول إلى الفرد وإحكام القبضة
عليه من الداخل والخارج، ومع اتساع مجال
عمليات العلمنة وضمور المطلقات واختفائها
وتهميش الإنسان وسيادة النسبية الأخلاقية ثم
النسبية المعرفية، تظهر العلمانية الشاملة³²⁹.

[3] كلاهما إحد.

³²⁹ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الرابع:
العلمانية الشاملة- الباب الأول: إشكالية تعريف العلمانية- إشكالية العلمانيين:
علمانية جزئية وعلمانية شاملة ج: 1 ص: 126.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

[أ] الإلحاد منه إلحاد النفي وإلحاد التعطيل.

قد يتوارد إلى الأذهان أن كلمة ملحد تنصرف فقط إلى من ينكر وجود الله، ولكن هذا غير صحيح، فمعنى الملحد أعم من ذلك؛ فإن الملحد لغة: هو المائل عن القصد، والملحد في الدين هو من طعن فيه³³⁰.

قال الإمام القرطبي رحمه الله:

"قوله تعالى ﴿وَدَّرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَبِيحًا وَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.
فيه مسألتان:-

الأولى: قوله تعالى: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ الإلحاد: الميل وترك القصد؛ يقال: ألحد الرجل في الدين. وألحد إذا مال. ومنه اللحد في القبر؛ لأنه في ناحيته. وقرئ ﴿يُلْحِدُونَ﴾ لغتان. والإلحاد يكون بثلاثة أوجه:

أحدها: بالتغيير فيها كما فعله المشركون، وذلك أنهم عدلوا بها عما هي عليه فسموا بها أوثانهم؛ فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان قاله ابن عباس وقناة. الثاني: بالزيادة فيها. الثالث: بالنقصان منها؛ كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها الله تعالى بغير أسمائه، ويذكرون بغير ما يذكر من أفعاله؛ إلى غير ذلك مما لا يليق به.

.....
الثانية: معنى الزيادة في الأسماء التشبيه، والنقصان التعطيل. فإن المشبهة وصفوه بما لم يأذن فيه، والمعطلة سلبوه ما اتصف به، ولذلك

³³⁰ جاء في المعجم الوسيط: "لَحَدَّ: مال عن طريق القصد... و- في الدين: طعن... المُلحد: الطاعن في الدين المائل عنه" [باب اللام- مادة: لحد ص: 817].

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
 المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
 قال أهل الحق: إن ديننا طريق بين طريقين، لا
 بتشبيه ولا بتعطيل" ³³¹.

فالإمام القرطبي - رحمه الله - هنا ذكر ثلاثة أنواع من
 الإلحاد في أسماء الله وصفاته، منها إلحاد التعطيل. ولا شك
 أن هؤلاء الملاحدة (العلمانيين الجزئيين) قد عطلوا صفات من
 صفات الله، ومنها صفة الحُكم، فالله هو الحُكم. يقول الحق
 تبارك وتعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ
 ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾. وأخرج النسائي
 وصحه الألباني رحمهما الله: "أَنَّ أَبَا شُرَيْحٍ هَانِيَةَ بْنَ يَزِيدَ
 -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لَمَّا وَقَدَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ- مَعَ قَوْمِهِ، سَمِعَهُمْ يُكْتَوِّبُهُ يَأْبَى الْحَكْمَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكْمُ، وَإِلَيْهِ الْحَكْمُ،
 فَلِمَ تُكْتَبِي أَبَا الْحَكْمِ؟ فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ
 أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِي كِلَا الْقَرِيقَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أَحْسَرَ هَذَا. فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟"
 قَالَ: لِي شُرَيْحٌ، وَمُسَيْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ. قَالَ: "فَمَا أَكْبَرُهُمْ؟"
 قُلْتُ: شُرَيْحٌ. قَالَ: "أَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ". وَدَعَا لَهُ وَلَوْلَدِهِ" ³³².

والله سبحانه وتعالى له وحده الخلق، وله وحده الأمر.
 يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ
 يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ
 مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
 الْعَالَمِينَ﴾. فمن أثبت له الخلق، ونفى عنه الأمر، فقد عطل
 صفة من صفات الله، فهو ملحد في صفات الله سبحانه
 وتعالى.

³³¹ تفسير القرطبي- سورة الأعراف آية 180- تفسير قوله تعالى: ﴿وَدُّرُوا الَّذِينَ
 يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سُبُحْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ج: 7 ص: 328.
³³² إرواء الغليل ج: 8 ص: 355.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

والذي يعطل بعض صفات الله وينسبها لغيره فهو ملحد وهو أيضاً مشرك بالله، سواء كان هذا الإشراك إشراك الوثنيات القديمة أم إشراك الوثنيات المعاصرة. يقول الشهيد -كما نحسبه- الأستاذ سيد قطب -رحمه الله- في كلام طويل نفيس، وأنا أستسمح القارئ أن أنقل في هذا المبحث عدة مواضع من كلام الأستاذ الشهيد -رحمه الله- بشيء من الاستطراد لأهمية الكلام ونفاسته. فليصبر معي القارئ، فلن يجد إلا خيراً بتوفيق الله. يقول الأستاذ الشهيد رحمه الله:

"إن الناس يقيمون لهم اليوم آلهة يسمونها "القوم" ويسمونها "الوطن"، ويسمونها "الشعب". إلى آخر ما يسمون. وهي لا تعدو أن تكون أصناماً غير محسدة كأصنام الساذجة التي كان يقيمها الوثنيون. ولا تعدو أن تكون آلهة تشارك الله - سبحانه - في خلقه، وينذر لها الأبناء كما كانوا ينذرون للآلهة القديمة! ويضحون لها كالذبائح التي كانت تقدم في المعابد على نطاق واسع!

إن الناس يعترفون بالله رباً. ولكنهم ينبذون أوامره وشرائعه من ورائهم ظهرياً، بينما يجعلون أوامر هذه الآلهة ومطالبها "مقدسة". تخالف في سبيلها أوامر الله وشرائعه، بل تنبذ نبدأً. فكيف تكون الآلهة؟ وكيف يكون الشرك؟ وكيف يكون نصيب الشركاء في الأبناء. إن لم يكن هو هذا الذي تزاوله الجاهلية الحديثة!!

ولقد كانت الجاهلية القديمة أكثر أدباً مع الله.. لقد كانت تتخذ من دونه آلهة تقدم لها هذه التقدّمات من الشرك في الأبناء والثمار والذبائح لتقرب الناس من الله زلفى! فكان الله في حسها هو الأعلى. فأما الجاهلية الحديثة فهي تجعل الآلهة

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

الأخرى أعلى من الله عندها. فتقدس ما تأمر به
هذه الآلهة وتنبذ ما يأمر به الله نيداً!

إننا نخدع أنفسنا حين نقف بالوثنية عند الشكل
الساذج للأصنام والآلهة القديمة، والشعائر التي
كان الناس يزاولونها في عبادتها واتخاذها شفعاء
عند الله.. إن شكل الأصنام والوثنية فقط هو الذي
تغير. كما أن الشعائر هي التي تعقدت، واتخذت
لها عنوانات جديدة.. أما طبيعة الشرك وحقيقته
فهي القائمة من وراء الأشكال والشعائر
المتغيرة..

وهذا ما ينبغي ألا يخدعنا عن الحقيقة!

إن الله -سبحانه- يأمر بالعفة والحشمة
والفضيلة. ولكن "الوطن" أو "الإنتاج" يأمر بأن
تخرج المرأة وتتبرج وتغري وتعمل مضيقة في
الفنادق في صورة فتيات الجيشا في اليابان
الوثنية! فمن الإله الذي تتبع أو امره؟ أهو الله
سبحانه؟ أم إنها الآلهة المدعاة؟

إن الله -سبحانه- يأمر أن تكون رابطة التجمع
هي العقيدة.. ولكن "القومية" أو "الوطن" يأمر
باستبعاد العقيدة من قاعدة التجمع؛ وأن يكون
الجنس أو القوم هو القاعدة..! فمن هو الإله الذي
تتبع أو امره؟ أهو الله -سبحانه- أم هي الآلهة
المدعاة؟

إن الله -سبحانه- يأمر أن تكون شريعته هي
الحاكمة. ولكن عبداً من العبيد -أو مجموعة من
"الشعب"- تقول: كلا! إن العبيد هم الذين
يشرعون وشريعتهم هي الحاكمة.. فمن هو الإله
الذي تتبع أو امره؟ أهو الله سبحانه أم هي الآلهة
المدعاة!؟

إنها أمثلة لما يجري في الأرض كلها اليوم; ولما تتعارف عليه البشرية الضالة.. أمثلة تكشف عن حقيقة الوثنية السائدة، وحقيقة الأصنام المعبودة، المقامة اليوم بدلاً من تلك الوثنية الصريحة، ومن تلك الأصنام المنظورة! ويجب ألا نخدعنا الأشكال المتغيرة للوثنية والشرك عن حقيقتها الثابتة!!!
﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (191) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصراً وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (192)﴾.

ولقد كان القرآن يحاور أصحاب تلك الوثنية الساذجة; وتلك الجاهلية الصريحة; ويخاطب عقولهم البشرية لإيقاظها من تلك الغفلة التي لا تليق بالعقل البشري -أيًا كانت طفولته- فيعقب على ذلك المثل الذي ضربه لهم، وصور فيه مدارج الشرك في النفس:

﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يَخْلُقُونَ؟ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصراً وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ؟﴾.
إن الذي يخلق هو الذي يستحق أن يعبد! وآلهتهم المدعاة -كلها- لا تخلق شيئاً بل هي تُخلق! فكيف يشركون بها? كيف يجعلون لها شركاً مع الله في نفوسهم وفي أولادهم?

وإن الذي يملك أن ينصر عباده بقوته ويحميهم هو الذي ينبغي أن يعبد. فالقوة والقهر والسلطان هي خصائص الألوهية وموجبات العبادة والعبودية.. وآلهتهم المدعاة -كلها- لا قوة لها ولا سلطان; فهم لا يستطيعون نصرهم، ولا نصر أنفسهم! فكيف يجعلون لها شركاً مع الله في نفوسهم وفي أولادهم?

ومع أن برهان الخلق والقدرة هذا كان يوجه إلى أصحاب تلك الجاهلية الساذجة، فهو ما يزال هو هو

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

الذي يحاج به أصحاب الجاهلية الحاضرة! إنهم يقيمون لهم أصناماً أخرى يعبدونها ويتبعون ما تأمر به; ويجعلون لها شركاً في أنفسهم وأبنائهم وأموالهم.. فمن منها يخلق من السماوات والأرض شيئاً? ومن منها يملك لهم أو لنفسه نصراً?

إن العقل البشري -لو خلي بينه وبين هذا الواقع- لا يفكره, ولا يرضاه! ولكنها الشهوات والأهواء والتضليل والخداع.. هي التي تجعل البشرية بعد أربعة عشر قرناً من نزول هذا القرآن تريد إلى هذه الجاهلية -في صورتها الجديدة- فتشرك ما لا تخلقون شيئاً وهم يُخلقون, ولا يملكون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون!

إن هذه البشرية لفي حاجة اليوم -كما كانت في حاجة بالأمس- إلى أن تخاطب بهذا القرآن مرة أخرى. في حاجة إلى من يقودها من الجاهلية إلى الإسلام; ومن يخرجها من الظلمات إلى النور; ومن ينقذ عقولها وقلوبها من هذه الوثنية الجديدة; بل من هذا السخف الجديد الذي تلج فيه; كما أنقذها هذا الدين أول مرة!³³³ .

ويقول أيضاً رحمه الله:

"إن الشرك بالله -المخالف لشهادة أن لا إله إلا الله- يتمثل في كل وضع وفي كل حالة لا تكون فيها الدينونة في كل شأن من شؤون الحياة خالصة لله وحده. ويكفي أن يدين العبد لله في جوانب من حياته, بينما هو يدين في جوانب أخرى غير الله, حتى تتحقق صورة الشرك وحقيقته.. وتقديم الشعائر ليس إلا صورة واحدة من صور الدينونة

³³³ في ظلال القرآن- سورة الأعراف- الآيات 172 إلى 198 ج: 3 ص: 1413 و 1414.

الكثيرة.. والأمثلة الحاضرة في حياة البشر اليوم تعطينا المثال الواقعي للشرك في أعماق طبيعته.. إن العبد الذي يتوجه لله بالاعتقاد في ألوهيته وحده; ثم يدين لله في الوضوء والطهارة والصلاة والصوم والحج وسائر الشعائر. بينما هو في الوقت ذاته يدين في حياته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لشرائع من عند غير الله. ويدين في قيمه وموازينه الاجتماعية لتصورات واصطلاحات من صنع غير الله. ويدين في أخلاقه وتقاليده وعاداته وأزيائه لأرباب من البشر تفرض عليه هذه الأخلاق والتقاليد والعادات والأزياء-مخالفة لشرع الله وأمره- إن هذا العبد يزاول الشرك في أخص حقيقته; ويخالف عن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله في أخص حقيقتها.. وهذا ما يغفل عنه الناس اليوم فيزاولونه في ترخص وتميع, وهم لا يحسبون الشرك الذي كان يزاوله المشركون في كل زمان ومكان!

والأصنام.. ليس من الضروري أن تتمثل في تلك الصور الأولية الساذجة.. فالأصنام ليست سوى شعارات للطاغوت, يتخفى وراءها لتعبيد الناس باسمها, وضمان دينوتهم له من خلالها..

إن الصنم لم يكن ينطق أو يسمع أو يبصر.. إنما كان السادن أو الكاهن أو الحاكم يقوم من ورائها; يتمم حولها بالتعاون والرقى.. ثم ينطق باسمها بما يريد هو أن ينطق لتعبيد الجماهير وتذليلها!

فإذا رفعت في أي أرض وفي أي وقت شعارات ينطق باسمها الحكام والكهان, ويقررون باسمها ما لم يأذن به الله من الشرائع والقوانين والقيم والموازن والتصرفات والأعمال... فهذه هي الأصنام في طبيعتها وحقيقتها ووظيفتها!

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

إذا رفعت "القومية" شعاراً، أو رفع "الوطن" شعاراً، أو رفع "الشعب" شعاراً، أو رفعت "الطبقة" شعاراً... ثم أريد الناس على عبادة هذه الشعارات من دون الله؛ وعلى التضحية لها بالنفوس والأموال والأخلاق والأعراض. بحيث كلما تعارضت شريعة الله وقوانينه وتوجيهاته وتعليماته مع مطالب تلك الشعارات ومقتضياتها، نحتت شريعة الله وقوانينه وتوجيهاته وتعاليمه، ونفذت إرادة تلك الشعارات -أو بالتعبير الصحيح الدقيق: إرادة الطواغيت الواقفة وراء هذه الشعارات- كانت هذه هي عبادة الأصنام من دون الله.. فالصنم ليس من الضروري أن يتمثل في حجر أو خشبة؛ ولقد يكون الصنم مذهباً أو شعاراً!

إن الإسلام لم يحىء لمجرد تحطيم الأصنام الحجرية والخشبية؛ ولم تبذل فيه تلك الجهود الموصولة، من موكب الرسل الموصول؛ ولم تقدم من أجله تلك التضحيات الجسام وتلك العذابات والآلام، لمجرد تحطيم الأصنام من الأحجار والأخشاب!

إنما جاء الإسلام ليقيم مفرق الطريق بين الدينونة لله وحده في كل أمر وفي كل شأن، وبين الدينونة لغيره في كل هيئة وفي كل صورة.. ولا بد من تتبع الهيئات والصور في كل وضع وفي كل وقت لإدراك طبيعة الأنظمة والمناهج القائمة، وتقدير ما إذا كانت توحيداً أم شركاً؟ دينونة لله وحده أم دينونة لشتى الطواغيت والأرباب والأصنام!

والذين يظنون أنفسهم في "دين الله" لأنهم يقولون بأفواههم "نشهد أن لا إله إلا الله وأن

محمدًا رسول الله" , ويدينون لله فعلا في شؤون الطهارة والشعائر والزواج والطلاق والميراث.. بينما هم يدينون فيما وراء هذا الركن الضيق لغير الله; ويخضعون لشرائع لم يأذن بها الله -وكثرتها مما يخالف مخالفة صريحة بشريعة الله- ثم هم يبدلون أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وأخلاقهم -أرادوا أم لم يريدوا- ليحققوا ما تتطلبه منهم الأصنام الجديدة. فإذا تعارض دين أو خلق أو عرض مع مطالب هذه الأصنام، نبذت أوامر الله فيها ونفذت مطالب هذه الأصنام...

الذين يظنون أنفسهم "مسلمين" وفي "دين الله" وهذا حالهم.. عليهم أن يستفيقوا لما هم فيه من الشرك العظيم!!!

إن دين الله ليس بهذا الهزال الذي يتصوره من يزعمون أنفسهم "مسلمين" في مشارق الأرض ومغاربها! إن دين الله منهج شامل لجزئيات الحياة اليومية وتفصيلاتها. والدينونة لله وحده في كل تفصيل وكل جزئية من جزئيات الحياة اليومية وتفصيلاتها -فضلاً على أصولها وكلياتها- هي دين الله، وهي الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه.

وإن الشرك بالله لا يتمثل فحسب في الاعتقاد بالوهية غيره معه; ولكنه يتمثل ابتداءً في تحكيم أرباب غيره معه..

وإن عبادة الأصنام لا تتمثل في إقامة أبحار وأخشاب; بقدر ما تتمثل في إقامة شعارات لها كل ما لتلك الأصنام من نفوذ ومقتضيات!

ولينظر الناس في كل بلد لمن المقام الأعلى في حياتهم? ولمن الدينونة الكاملة? ولمن الطاعة والاتباع والامتثال?.. فإن كان هذا كله لله فهم في

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

دين الله. وإن كان لغير الله -معه أو من دونه- فهم
في دين الطواغيت والأصنام.. والعياذ بالله!..
هذا بلاغ للناس، ولينذروا به. وليعلموا أنما هو إله
واحد، وليذكر أولو الألباب" ³³⁴.

[ب] إن مشركي العرب الذين دعاهم النبي -صلى الله
عليه وسلم- للتوحيد، وقاتلهم عليه، كان لهم دين شعائره
أكثر من الشعائر التي يمارسها الملاحدة المعطلون أو من
يسمون أنفسهم بالعلمانيين الجزئيين.

ومشركو العرب الذين نزل عليهم القرآن لم يكونوا ينفون
وجود الباري سبحانه، بل كانوا يؤمنون به، ولكنهم كانوا
يشركون معه آلهة أخرى أقل منه شأنًا، يتخذونها وسائطاً
بينهم وبينه، فهم أحسن حالاً من علمانيي هذا العصر الذين
يصفون أنفسهم بالعلمانيين المعتدلين وهم في حقيقة أمرهم
مشركون أسوأ حالاً من مشركي العرب، فإن مشركي
العرب كانوا يعتبرون المولى سبحانه وتعالى هو الإله الأعظم
الأعلى، أما أولئك فيقولون إن الله لا شأن له بحياتهم، وإن
البرلمانات والانتخابات أعظم منه شأنًا وأنفذ حكماً وأبعد
تأثيراً ³³⁵.

[ج] الملاحدة النفاة في طول التاريخ البشري قلة، وقد
تضعفت أحوالهم في هذا الزمان بعد سقوط الشيعوية.
ولكن الملاحدة المعطلين هم أكثر فئات الضالين، ومعهم
كانت معظم معارك الرسل والموحدين.
يقول الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله:

³³⁴ في ظلال القرآن- سورة إبراهيم- الآيات من 28 إلى 52 ج: 4 ص: 2114 إلى
2116.

³³⁵ لمزيد من التفصيل حول هذه المسألة يمكن مراجعة: العلمانية نشأتها وتطورها
ج: 2 ص: 70 إلى 73، وكذلك رسالة (القواعد الأربع التي تفرق بين دين المسلمين
ودين العلمانيين). وكذلك مقال الأستاذ يحيى هاشم حسن فرغل القيم بعنوان
(العلمانية ودورها في إنشاء ديانة شمعية مية).

"إن هذا الدين شريعته كعقيدته في تقرير صفة
الشرك أو صفة الإسلام. بل إن شريعته من
عقيدته في هذه الدلالة... بل إن شريعته هي
عقيدته.. إذ هي الترجمة الواقعية لها... كما تتجلى
هذه الحقيقة الأساسية من خلال النصوص
القرآنية، وعرضها في المنهج القرآني..
وهذه هي الحقيقة التي زحزح مفهوم "الدين"
في نفوس أهل هذا الدين عنها زحزحة مطردة
خلال قرون طويلة، بشتى الأساليب الجهنمية
الخبثية.. حتى انتهى الأمر بأكثر المتحمسين لهذا
الدين -ودعك من أعدائه والمستتهزئين
والمستهترين الذين لا يحفلون- أن تصيح قضية
الحاكمية في نفوسهم قضية منفصلة عن قضية
العقيدة! لا تجيش لها نفوسهم كما تجيش للعقيدة!
ولا يعدون المروق منها مروقاً من الدين، كالذي
يمرق من عقيدة أو عبادة! وهذا الدين لا يعرف
الفصل بين العقيدة والعبادة والشريعة. إنما هي
الزحزحة التي زاولتها أجهزة مدرية، قروناً طويلة،
حتى انتهت مسألة الحاكمية الى هذه الصورة
الباهتة، حتى في حس أشد المتحمسين لهذا
الدين!

.....
إن الذين يحكمون على عابد الوثن بالشرك، ولا
يحكمون على المتحاكم إلى الطاغوت بالشرك.
ويتخرجون من هذه ولا يتخرجون من تلك.. إن
هؤلاء لا يقرأون القرآن. ولا يعرفون طبيعة هذا
الدين.. فليقرأوا القرآن كما أنزله الله، وليأخذوا
قول الله بجد [] وإن أطعموهم إنكم لمشركون []..

.....

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

إن وجود هذا الدين هو وجود حاكمية الله. فإذا انتفى هذا الأصل انتفى وجود هذا الدين.. وإن مشكلة هذا الدين في الأرض اليوم، لهي قيام الطواغيت التي تعتدي على ألوهية الله، وتغتصب سلطانه، وتجعل لأنفسها حق التشريع بالإباحة والمنع في الأنفس والأموال والأولاد.. وهي هي المشكلة التي كان يواجهها القرآن الكريم بهذا الحشد من المؤثرات والمقررات والبيانات، ويربطها بقضية الألوهية والعبودية، ويجعلها مناط الإيمان أو الكفر، وميزان الجاهلية أو الإسلام.

إن المعركة الحقيقية التي خاضها الإسلام ليقدر "وجوده" لم تكن هي المعركة مع الإلحاد، حتى يكون مجرد "التدين" هو ما يسعى إليه المتحمسون لهذا الدين! ولم تكن هي المعركة مع الفساد الاجتماعي أو الفساد الأخلاقي - فهذه معارك تالية لمعركة "وجود" هذا الدين!.. لقد كانت المعركة الأولى التي خاضها الإسلام ليقدر "وجوده" هي معركة "الحاكمة" وتقدير لمن تكون.. لذلك خاضها وهو في مكة. خاضها وهو ينشئ العقيدة، ولا يتعرض للنظام والشريعة. خاضها ليثبت في الضمير أن الحاكمية لله وحده، لا يدعيها لنفسه مسلم، ولا يقر مدعيها على دعواه مسلم.. فلما أن رسخت هذه العقيدة في نفوس العصابة المسلمة في مكة، يسر الله لهم مزاولتها الواقعية في المدينة"³³⁶.

ويقول أيضاً رحمه الله:

"وما كان الخلاف على مدار التاريخ بين الجاهلية والإسلام؛ ولا كانت المعركة بين الحق والطاغوت،

³³⁶ في ظلال القرآن- سورة الأنعام- الآيات 136 إلى 153 ج: 3 ص: 1216 و 1217.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

على ألوهية الله - سبحانه - للكون; وتصريف أموره
في عالم الأسباب والنواميس الكونية: إنما كان
الخلاف وكانت المعركة على من يكون هورب
الناس, الذي يحكمهم بشرعه, ويصرفهم بأمره,
وبدينهم بطاعته?

لقد كان الطواغيت المجرمون في الأرض
يغتصبون هذا الحق ويزاولونه في حياة الناس,
ويذلونهم بهذا الاغتصاب لسلطان الله, ويجعلونهم
عبداً لهم من دون الله. وكانت الرسائل والرسول
والدعوات الإسلامية تجاهد دائماً لانتزاع هذا
السلطان المغتصب من أيدي الطواغيت ورده إلى
صاحبه الشرعي.. الله سبحانه" ³³⁷

[د] وهذه اللادينية الجزئية أو إلحاد التعطيل أو ما يسمونه

بالعلمانية الجزئية تؤدي بصاحبها إلى تمزق نفسه بين
معبودات متعددة، فتنتهي به إلى التمزق والحيرة والضياغ
والاغتراب وكل الظواهر المرضية التي هوت إليها الحضارة
الغربية، وفي المقابل فإن التوحيد هو مصدر قوة الأمة
المسلمة قديماً وحديثاً، وهو مدخلها الحقيقي الوحيد للحرية
والكرامة والسكينة والريادة.

يقول الأستاذ الشهيد - كما نحسبه - سيد قطب رحمه الله:

"إن هذا التصور إذ يتناول الأمور على هذا النحو
الشامل - بكل معاني الشمول - يخاطب الكينونة
البشرية بكل جوانبها، وبكل أشواقها، وبكل
حاجاتها، وبكل اتجاهاتها، ويردها إلى جهة واحدة
تتعامل معها، جهة تطلب عندها كل شيء، وتتوجه
إليها بكل شيء. جهة واحدة ترجوها وتخشاها،
وتتقي غضبها وتتبعي رضاها جهة واحدة تملك لها

³³⁷ في ظلال القرآن- سورة هود- الآيات من 1 إلى 24 ج: 4 ص: 1852.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
كل شيء، لأنها خالقة كل شيء، ومالكة كل شيء،
ومديرة كل شيء.

كذلك يرد الكينونة الإنسانية إلى مصدر واحد،
تتلقى منه تصوراتها ومفاهيمها، وقيمها وموازينها،
وشرائعها وقوانينها. وتجد عنده إجابة عن كل
سؤال يجيش فيها وهي تواجه الكون والحياة
والإنسان، بكل ما يثيره كل منها من علامات
الاستفهام.

عندئذ تتجمع هذه الكينونة.. تتجمع شعوراً
وسلوفاً، وتصوراً واستجابة. في شأن العقيدة
والمنهج.

وشأن الاستمداد والتلقي. وشأن الحياة
والموت. وشأن السعي والحركة. وشأن الصحة
والرزق. وشأن الدنيا والآخرة. فلا تتفرق مزقاً؛ ولا
تتجه إلى شتى السبل والأفاق، ولا تسلك شتى
الطرق على غير اتفاق!

والكينونة الإنسانية حين تتجمع على هذا النحو،
تصبح في خير حالاتها. لأنها تكون حينئذ في حالة
"الوحدة" التي هي طابع الحقيقة في كل
مجالاتها.. فالوحدة هي حقيقة الخالق -سبحانه-
والوحدة هي حقيقة هذا الكون -على تنوع المظاهر
والأشكال والأحوال- والوحدة هي حقيقة الحياة
والأحياء -على تنوع الأنواع والأجناس- والوحدة هي
حقيقة الإنسان -على تنوع الأفراد والاستعدادات-
والوحدة هي غاية الوجود الإنساني وهي العبادة -
على تنوع مجالات العبادة وهيئاتها- وهكذا حينما
بحث الإنسان عن الحقيقة في هذا الوجود..

وحين تكون الكينونة الإنسانية في الوضع الذي
يطابق "الحقيقة" في كل مجالاتها، تكون في أوج

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

قوتها الذاتية; وفي أوج تناسقها -كذلك- مع
"حقيقة" هذا الكون الذي تعيش فيه, وتتعامل
معه; ومع "حقيقة" كل شيء في هذا الوجود, مما
تأثر به وتؤثر فيه.. وهذا التناسق هو الذي يتيح لها
أن تنشئ أعظم الآثار, وأن تؤدي أعظم الأدوار.

وحينما بلغت هذه الحقيقة أوجها في المجموعة
المختارة من المسلمين الأوائل, صنع الله بها في
الأرض أدوارا عميقة الآثار في كيان الوجود
الإنساني, وفي كيان التاريخ الإنساني..

وحيث توحد هذه الحقيقة مرة أخرى -وهي لا بد
كائنة بإذن الله- سيصنع الله بها الكثير, مهما يكن
في طريقها من العراقيل. ذلك أن وجود هذه
الحقيقة في ذاته ينشئ قوة لا تقاوم; لأنها من
صميم قوة هذا الكون; وفي اتجاه قوة المبدع لهذا
الكون أيضاً.

.. إن هذه الحقيقة ليست أهميتها فقط في
تصحيح التصور الإيماني. وإن كان هذا التصحيح في
ذاته غاية ضخمة يقوم عليها بناء الحياة كله- بل إن
أهميتها كذلك في حسن تذوق الحياة, وبلوغ هذا
التذوق أعلى درجات الكمال والتناسق. فقيمة
الحياة الإنسانية ذاتها ترتفع حين تصبح كلها عبادة
لله; وحين يصبح كل نشاط فيها -صغرام كبير-
جزءاً من هذه العبادة; أو كل العبادة, متى نظرنا
إلى المعنى الكبير الكامن فيه. وهو أفراد الله
-سبحانه- بالألوهية والإقرار له وحده بالعبودية..
هذا المقام الذي لا يرتفع الإنسان إلى ما هو أعلى
منه; ولا يبلغ كماله الإنساني إلا في تحقيقه"³³⁸.

(ج) ثمار اللادينية:

³³⁸ في ظلال القرآن- سورة هود- الآيات من 101 إلى 123 ج: 4 ص: 1938 و
1939.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

كان لانتشار التيارات اللادينية آثار مدمرة على فكر الإنسان وأخلاقه وسلوكه ونظرته للكون ولنفسه وللآخرين، وسأشير إلى بعض تلك المشاكل العملية عند الحديث عن استبداد هوى الأغلبية (الديمقراطية)، ولكنني هنا أشير إلى بعض النزعات الفكرية الخطيرة التي ظهرت كنتيجة لازمة للادينية.

[أ] ظهور وسقوط الشيوعية.

لعل من أهم آثار انتشار العلمانية هو قيام الفلسفة الماركسية ثم تجسدها في الاتحاد السوفيتي والصين ودول أوروبا الشرقية وغيرها. وقد شاهدت البشرية بأم أعينها مدى البشاعة التي يمكن أن تنتجها الفلسفات المادية اللادينية، وبعد قرابة ستين عاماً من قيام الدولة الشيوعية في روسيا، انهار الاتحاد السوفيتي وانتهت الشيوعية من العالم إلا في زوايا نادرة، وكفرت البشرية كلها بهذه الفلسفة المادية الإلحادية التي أذاقت البشرية عموماً والمسلمين خصوصاً الويلات والنكبات. وتمردت عليها كل الشعوب التي وقعت تحت قهرها وظلمها، وإني لأذكر أنني لما كنت في السجن في داغستان كانت كلمة (كميونست: أي شيوعي) سبة تعني الشخص الحقود الشحيح سيئ الطوية.

وسقوط الشيوعية لا يعد انتصاراً للغرب ونظمه الفكرية والسياسية والاقتصادية، كما تصور مفكرو الغرب، الذين اعتبروا سقوط الاتحاد السوفيتي بداية نهاية التاريخ وسيادة القيم الغربية، بل هو -بإذن الله- مقدمة لسقوط الغرب الرأسمالي اللاديني، فكلتا الشيوعية والرأسمالية نشأتا من نفس البذرة الدينية اللادينية. وستنتهيان لنفس النتيجة إن شاء الله. وسأعرض بإيجاز لذلك إن شاء الله.

[ب] النسبية المعرفية والأخلاقية:

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

كان من نتائج اللادينية كما ذكرنا سقوط المرجعيات الدينية والأخلاقية، وتحول العالم والإنسان -في أذهان المجتمعات اللادينية- لأشياء تحركها القوانين الطبيعية المادية، التي لا تعرف خلقاً ولا رحمة، ناهيك أن تعرف إلهاً، ووصل الأمر لعبث ما بعد الحداثة. وكان لهذه النسبية المعرفية والأخلاقية آثار مدمرة على الإنسان يقول عنها الدكتور المسيري رحمه الله:

"قد يكون تزايد معدلات النسبية المعرفية والأخلاقية من أهم آليات تحويل الإنسان الرياني إلى إنسان وظيفي تعاقدية. فمع اختفاء القيم الأخلاقية المتجاوزة لذات الإنسان، يتمركز الإنسان حول ذاته ويصبح هو المعيار الأوحده، وهو ما يؤدي إلى ظهور إرادة القوة وإنسان نيتشه والحرية الكاملة. ولكن تمركزه حول ذاته دون وجود منظومات معرفية وأخلاقية تحظى بقبول المجتمع ككل، ومع ظهور فكرة القانون الطبيعي/المادي العام الذي يتجاوز كل الغائيات الإنسانية ولا يمكن تجاوزه، فإنه ينتهي إلى أن يفقد ذاته ويتمركز حول الموضوع ويقع ضحية لأية منظومة أخلاقية قوية سائدة، فيُذعن لكل ما يصدر إليه من أوامر، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور أخلاقيات التكيف البرجماتية والإنسان البيروقراطي والجبرية الكاملة. وهذا هو الاستقطاب بين التمرركز حول الذات والتمرركز

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

حول الموضوع الذي يسم المنظومات الحلولية
الكمونية³³⁹، وضمن ذلك العلمانية، بميسمه³⁴⁰.

[ج] كذلك كان من الآثار المدمرة للادينية ظهور
اللاعقلانية، التي تعد اللادينية المادية مقدمتها الطبيعية،
وهكذا بدء اللادينيون حربهم على الكنيسة باسم العقل
فانتهوا لتغييب العقل. يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري
-رحمه الله- عن مصطلح (اللامعيارية [اللاعقلانية المادية]):
"وُيَسْتَخْدَم الاصطلاح أحياناً كمرادف لمصطلح
"الاغتراب" حيث يصبح الفرد بلا جذور فيفقد
الاتجاه، ويسبب له هذا اختلالاً نفسياً. وقد عدّ
روبرت مرتون معنى كلمة "أنومي"¹⁸⁴¹ قليلاً. فبدلاً
من الحديث عن غياب المعيارية، تحدّث عن

³³⁹ يقارن السيد أبو الحسن الندوي بين الانحراف العقدي عند أصحاب وحدة الوجود
في الشرق والانحراف العقدي في الغرب عامة والماركسي خاصة، فيقول:
"التصوف المادي الغربي ووحدة الوجود الاقتصادي:

وقد بلغ النظر المادي والفكر المادي في أوروبا درجة الاستغراق
فيه والفناء ونسيان ما سوى القيم المادية، ولنضرب بذلك مثلاً بكارل
ماركس 1818 - 1883 م مؤسس الفلسفة الشيوعية.
يرى كارل ماركس أن النظام الاقتصادي هو روح الاجتماع وأن
الدين والحضارة وفلسفة الحياة والفنون الجميلة كلها عكس لهذا
النظام الاقتصادي.

.....
فهذا هو -كما ترى- التصوف المادي الغربي، وهذه هي فلسفة
وحدة الوجود وحدة الاقتصاد، ولما كان الشرقيون إنما يغلبهم الروح
الديني والتأله نفى المتألهون منهم والمغلوبون وجود كل شيء سوى
الله، وهتفوا في سكرهم وغلبة الحال عليهم: لا موجود إلا الله، ولما
كان المفكرون الأوروبيون إنما تغلبهم المادية نفوا وجود كل شيء
سوى الناحية الاقتصادية وهتفوا: لا موجود إلا البطن والمعدة". [ماذا
خسر العالم بانحطاط المسلمين ص: 202 إلى 204].

³⁴⁰ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء
الخامس: الجماعات الوظيفية- الباب الثاني: الجماعات الوظيفية والحلولية والعلمانية
الشاملة- المجتمعات العلمانية والعلاقات الوظيفية (التعاقدية)- آليات تحويل الإنسان
التراحمي (أو الإنسان الرباني متعدد الأبعاد) إلى إنسان تعاقدى وظيفي ج: 1 ص:
235 و 236.

³⁴¹ الأنومي تعريب كلمة anomie بالفرنسية والإنجليزية، وتعني اللامعيارية.

الصراع بين المعايير، أي أن حالة الأنومي تظهر حينما يواجه المرء أهدافاً غير متسقة في حياته، أو حينما يُطرح عليه حلم مستحيل (هدف نهائي دون توفير الوسائل التي تُمكنه من تحقيق الهدف)، أو حينما تتناقض الأهداف الاجتماعية مع المقاييس السلوكية التي تساعد على تحقيقها. ففي الولايات المتحدة -على سبيل المثال- يؤكد الحلم الأمريكي أن تحقيق الثروة هو الهدف من الحياة، وهو ما عبّر عنه بمقولة "من الأسماك إلى الثروة"، ولكن الوسائل المتاحة لتحقيق هذا محدودة جداً والفرد الأمريكي لا يتمكن من تحقيق حلمه من خلال القنوات الشرعية مهما قمع ذاته وبذل من تضحيات (على عكس ما تزعمه الأسطورة). ولذا، تبدأ حالة الأنومي في الظهور وبلغاً الفرد لوسائل غير مشروعة مثل الانحراف والجريمة وتعاطي المخدرات، إما لتحقيق الهدف المستحيل أو لتحقيق التوازن الذي فقده الإنسان نتيجة الحلم المستحيل.

ويمكن أن نضيف إلى كل هذا اكتشاف الفرد تفاهة الحلم أو المثل الأعلى الذي يسعى إلى تحقيقه. ففي المجتمعات الاستهلاكية، كثيراً ما يقوم الفرد بعملية قمع هائلة لإنسانيته وتلقائيتها ويحقق النجاح المنشود ويصل إلى الفردوس الأرضي ويحقق الثراء ويمتلك كل ما يفترض فيه أنه سيحقق السعادة له (منزلاً كبيراً- منزلاً صيفياً- قارباً- سيارتين- زوجة- طفلين- كلب.. إلخ). ولكنه يكتشف أن ثمة فراغاً في حياته، وأنه لا يمارس أي إشباع روحي رغم النجاح المادي الكامل (فالنجاح لم يحقق جوهره الإنساني المتكامل المركب المتجاوز). وهنا يصاب المرء بحالة

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

الأنومي، فيتمرد على وضعه بأن يقرر أن يجرب
الفشل بدلاً من النجاح، والفقر بدلاً من الثراء،
والحياة البوهيمية بدلاً من الانضباط الشديد الذي
أدى إلى نجاحه.

ويمكن أن نطور المصطلح ليكتسب بُعداً
معرفياً ونقول إن اللامعيارية إمكانية كامنة في
النماذج المادية التي تطمح لأن يولد الإنسان
المعيارية إما من عقله أو من الطبيعة/المادة.
ومن خلال التطور يكتشف الإنسان أن عقله بدون
مرجعية يدور حول ذاته ويُقدس القوة وأن
الطبيعة/المادة هي حركة بلا غاية أو هدف ومن ثم
لا تصلح مصدراً للمعيارية. ومن ثم يتم الانتقال
من العقلانية المادية إلى اللاعقلانية المادية ومن
التحديث والحداثة إلى ما بعد الحداثة، واللامعيارية
هي جوهر ما بعد الحداثة"³⁴².

[د] كذلك كان من الآثار الخطيرة للنزعات والفلسفات
اللا دينية (العلمانية) تأثيرها الشديد بنظرية داروين في النشوء
والارتقاء، ولم يكتفوا بالتسليم بها كحقيقة -كما يزعمون- في
مجال الأحياء، بل نقلوها للعديد من النظريات والفلسفات
الإنسانية والاجتماعية.

يقول الأستاذ محمد قطب حفظه الله:

" إن فكرة التطور لم تنحصر في الدراسة
المعملية التي قام عليها دارون، ولا كان في
الإمكان أن تنحصر في هذا النطاق. وإنما انطلقت
تصيب العلماء والجماهير، فتديرءوسهم حتى لم

³⁴² موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الرابع:
العلمانية الشاملة- الباب الخامس: مصطلحات تشير إلى تفكيك الإنسان وتقويضه-
اللامعيارية (اللاعقلانية المادية) ج: 1 ص: 159.

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

يعودوا يرون شيئاً "ثابتاً" في الوجود كله، حتى
فكرة العقيدة.. حتى فكرة الله!³⁴³
ويقول أيضاً:

"لقد ظل الإنسان -على ضلالاته كلها وجهالاته
كلها- يظن في نفسه أنه إنسان!.. حتى جاءه
دارون يقول له في توكيد "علمي" إنه حيوان!
لقد بعث الله رسله للبشرية منذ مولد الإنسان
حتى خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم.. يؤكدون
"إنسانية" الإنسان، ويجاهدون ليرفعوا الإنسان إلى
أقصى ما ترتفع إليه طاقاته، بموجب هذه
"الإنسانية" التي جاءوا يؤكدونها، وينيرون لها
السبيل لتتهدي بهدى الله، فترتفع وتشف.. وتأتي
بما يشبه المعجزات.

ولكن رسول "العلم" في القرن التاسع عشر،
جاء يؤكد حيوانية الإنسان!
برئاً.. أو غير بريء.. هل كان إلا رسول
الشیطان؟!!

إن هذا العلم المزيف الذي "اهتدى" إليه
دارون [سنيين زيفه بعد لحظة] قد فعل بالبشرية
في جاهليتها الحديثة ما لم تصنعه شياطين الإنس
والجن في الوف من السنيين!

حيوان.. ماذا تنتظر من الحيوان؟!
لقد سرت إحياءات الدارونية المسمومة في
كل مجالات الفكر الغربي.. في السياسة والاقتصاد
والاجتماع وعلم النفس والأخلاق والفن.. لم تترك
مجالاً واحداً لم تلحقه بالتشويه!

فما دام الإنسان قد صار في نظر نفسه
حيواناً، فلا بد أن تتبع ذلك نتائج "حتمية"!

³⁴³ جاهلية القرن العشرين ص: 38.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

والنتائج الحتمية لهذا التصور الجاهل
المنحرف، هي أن تهبط مفاهيم الإنسان وأخلاقه،
ومشاعره وارتباطاته، حتى تصير في مستوى
"الحيوان" الذي صار إليه بفكره، على هدى
التفسير الحيواني للإنسان!³⁴⁴

طبعاً كان هذا في أوروبا والغرب، أما في الشرق
الإسلامي، فإن نظرية داروين كان لها أثر طفيف، وكذلك
سائر التيارات اللادينية واليسارية والماركسية وما أشبه،
وبقي الإسلام والتيار الإسلامي والفكر الإسلامي هو السائد
وسط الجماهير والمثقفين والمتعلمين، على رغم ما قد يعلق
به من شوائب وانحرافات في الفهم، ولكن تبقى الأغلبية من
الجماهير المسلمة بعوامها وخواصها ومتعلميها ومثقفها
محبة للإسلام ومتعلقة به، وذلك -والله أعلم- لسببين:
أولهما: قوة العقيدة الإسلامية، فهي عقيدة توافق العقل،
ويسكن إليها القلب، وقد ثبتت بصحيح النقل.

وثانيهما: إن ما ورد في القرآن من آيات عن الخلق والكون
يتفق أو لا يتعارض مع الاكتشافات العلمية، بل لقد أمر القرآن
في العديد من الآيات بالتفكير والتدبر في خلق الكون وفي
خلق الإنسان بل وفي بدء الحياة ونشأتها وإعادتها. يقول
الحق سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ سَوَادًا وَالنَّجْمَ
نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ
ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ {5} إِنَّ فِي
اٰخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ {19} قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ

³⁴⁴ جاهلية القرن العشرين ص: 89.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

مُخْتَلِفُ الْوَأْنِهَا وَعَبْرَ ابْنِ سُوْدٍ {27} وَمِنْ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ
وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفُ الْوَأْنِ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَحْسَبِي اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ.

وعودة لتأثر اللادينية بالداروينية، فكان من أمثلة هذا التأثير ظهور الداروينية الاجتماعية، التي يقول عنها الدكتور المسيري رحمه الله:

"الداروينية" ترجمة لكلمة "داروينيزم Darwinism" الإنجليزية، ويُقال لها أيضاً "الداروينية الاجتماعية". وهي كلمة منسوبة إلى اسم تشارلز داروين (1731- 1820). وهي فلسفة علمانية شاملة، واحدية عقلانية مادية كمونية تنكر أية مرجعية غير مادية، وتستبعد الخالق من المنظومة المعرفية والأخلاقية وتُرد العالم بأسره إلى مبدأ مادي واحد كامن في المادة وتدور في نطاق الصورة المجازية العضوية والآلية للكون. والآلية الكبرى للحركة في الداروينية هي الصراع والتقدم اللانهائي وهو صفة من صفات الوجود الإنساني. وقد حققت الداروينية الاجتماعية ذيوماً في أواخر القرن التاسع عشر.

ويمكن القول بأن الداروينية هي النموذج المعرفي الكامن وراء معظم الفلسفات العلمانية الشاملة، إن لم يكن كلها.

وهذا هو تصوُّر داروين أو فرضيته، ولكنه كان في واقع الأمر عاجزاً تماماً من الناحية العلمية عن إثبات كثير من فرضياته. ولذا فهناك حديث عن الحلقة المفقودة، وهي تعني وجود مسافة بين

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

القرود والإنسان، ولذا فقد تحدثوا عن الطفرة
بمعنى سد الثغرة في الزمان بدون سبب واضح،
وتم فرض الاستمرارية والواحدية دون وجود
شواهد مادية علمية. ومع هذا، ذهب دعاة
الداروينية الاجتماعية إلى أن فرضية داروين
نظرية وحقيقة علمية، ثم نقلوا هذه الفرضية من
عالم الطبيعة إلى عالم الإنسان، وقرروا أن
العلاقة بين الكائنات الحية في الطبيعة لا تختلف
عن العلاقات بين الأفراد داخل المجتمعات
الإنسانية، ولا عن العلاقات بين المجتمعات
والدول. وعلى هذا، تم استخدام النموذج
الدارويني لا لتفسير الطبيعة/المادة وحسب وإنما
لتفسير حياة الإنسان الفرد في المجتمعات، وفي
تفسير العلاقات بين الدول والمجتمعات على
المستوى الدولي.

.....
ويمكن تلخيص الأطروحات الأساسية في
الداروينية الاجتماعية على النحو التالي:

.....
7- مهما كانت آلية البقاء، لا علاقة لها بأية قيم
مطلقة تتجاوز، مثل الأمانة أو الأخلاق أو
الجمال، فالبقاء هو القيمة المحورية في
المنظومة الداروينية التي تتجاوز الخير والشر
والحزن والفرح.

8- النوع الذي ينتصر يورث الخصائص التي أدت
إلى انتصاره (سر بقائه) إلى بقية أعضاء النوع،
بمعنى أن التفوق يصبح عنصراً وراثياً.

9- هذا يعني استحالة وجود مساواة مدنية بين
الأنواع أو بين أعضاء الجنس البشري.

10- مع تزايد معدلات التطور، تصبح هناك كائنات أكثر رقياً من الكائنات الأخرى بحكم بنيتها البيولوجية، ومن ثم يصبح للتفاوت الثقافي أساس بيولوجي حتمي.

ولعله لا توحد فلسفة أثرت في عصرنا الحديث أكثر من الفلسفة الداروينية، كما لا توحد فلسفة بلورت الرؤية العلمانية للكون أكثر من الفلسفة الداروينية.

.....
والإنسان، شأنه شأن الأميبا، لا يتمتع بأية حرية ولا يحمل أية أعباء أخلاقية، فالقوانين الأخلاقية هي مجرد تطوُّر لأشكال من السلوك الحيواني الأقل تطوراً والحريص الغريزي على البقاء البيولوجي. وهذا يعني أن القانون الأخلاقي، وكل القوانين، هي قوانين مؤقتة نسبية، ترتبط بحلقة التطور التي أفرزتها، ولذا يتم الاحتفاظ بالقوانين طالما أنها تخدم المرحلة. ومن ثم فإن الأخلاق المطلقة تقف ضد التقدم العقلاني المادي، وخصوصاً إذا كانت أخلاقاً دينية تدعو إلى حماية الأضعف والأقل مقدره إلى الإشفاق عليه والعناية به. وهذا يعني أن كل الأمور نسبية تماماً ولا توحد أية مطلقات.

.....
وكما قال أحد الباحثين فإن هذا يعني في واقع الأمر عدم وجود أي فارق أساسي بين مجموعة من الشبان الذين يختطفون فتاة ويغتصونها ثم يقتلوننا وقطيع من الذئاب تهاجم طيباً وتلتهمه. فكلاهما تدفعه غريزة طبيعية مادية قوية. ولعل الفارق الثانوي الوحيد أن الشبان قد هاجموا عضواً من نفس نوعهم، وهو الأمر الذي يعوق

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
عملية البقاء (وهذا هو المنطق الوحيد المقبول
في إطار دارويني عقلاني مادي).

وينطبق الشيء نفسه على نظرية الأخلاق،
فالبقاء هو القيمة الوحيدة، والصراع هو الآلية،
والأنانية وحب الذات هما مصدر الحركة، ولذا فإن
العالم هو ساحة قتال بين الذئاب من البشر
(والإنسان ذئب يفترس أخاه الإنسان) وبين الأمم
التي لا بد أن تصرع بعضها بعضاً لغاية البقاء، فهي
حرب الجميع ضد الجميع"³⁴⁵.

وسوف نرى في المبحث الخامس -إن شاء الله- كيف
وظفت الداروينية الاجتماعية لتبرير استقرار الظلم
والاستبداد والاحتلال والاستغلال.
وقد يجادل بعض اللادنيين بأن الداروينية الاجتماعية
يعارضها الكثير من المفكرين والفلاسفة وعلماء الاجتماع،
ولكنهم لا يستطيعون أن يجادلوا في أن معظم التيارات
اللا دينية قد تأثرت بنظرية داروين.
كانت هذه بعض آثار اللا دينية على الإنسان والبشرية، وهي
الآثار التي يتجنب دعاة اللا دينية الإشارة إليها ويتجاهلونها.
حتى لقد سجل الدكتور المسيري ذلك على من يسمون
(بالمفكرين العلمانيين العرب)، فقال عن تعريفاتهم
للعلمانية:

"لم تتناول أي من التعريفات الحياة اليومية في
المجتمعات العلمانية في الوقت الحاضر، وماذا
حدث للإنسان بعد أربعة قرون من ازدهار
العلمانية وترعرعها في المجتمعات الغربية (ظهور

³⁴⁵ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري - الباب
الخامس: مصطلحات تشير إلى تفكيك الإنسان وتقويضه- الداروينية الاجتماعية ج: 1
ص: 155 و 156. راجع أيضاً:

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

ثقافة شعبية منحطة- انتشار العنف- انتشار المخدرات- أمركة العالم).

وربما كان الأجدى أن ينظروا إلى تاريخ أوروبا
الاستعماري من نهب وسرق وتدمير (لبلادنا وبلاد
غيرنا) ولعلمهم لو فعلوا لعرفوا أن العقل لم يحكم
حضارة العقل كثيراً، ولو نظروا لتاريخ أوروبا
المعاصر، ورأوا هتلر وستالين ومسرح العبث
وسياسات النظام العالمي الجديد والعنصرية
القديمة والنازية القديمة والجديدة ومادونا وأفلام
العنف لأدركوا أن المقدمات العقلية للعلمانية لم
تؤد دائماً إلى ازدهار العقل والمرشد³⁴⁶.

(د) هل تخلصت اللادينية من نزعتها الصليبية المعادية

للإسلام؟

لم تتخل اللادينية الغربية -التي زعمت التحرر من أسر
الدين والكنيسة- عن عدائها الصليبي للإسلام، فيقول كرومر
-المندوب السامي البريطاني في مصر- عن موقف العلماني
العربي اللاهث للحاق بالغرب:

"إنه يجهل أنه لا يستطيع أن يجاري زميله
الغربي ويكون نداً له، فإن المسيحي المتحضر وإن
لم يكن راسخاً في دينه، فإنه إلى حد كبير نتاج
المسيحية، فإن لم تكن المسيحية التي مضى عليها
ألف وتسع مائة سنة رصيده وسنده، لم يكن قط
حيث هو الآن"³⁴⁷.

أما جيمي كارتر -أول رئيس أمريكي يعتز بانتمائه لتيار
المسيحية الصهيونية- فيعبر عن حقيقة الرباط العقدي بين

³⁴⁶ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الرابع:
العلمانية الشاملة- الباب الثاني: إشكالية اختلاط الحقل الدلالي لمصطلح ومفهوم
"علمانية"- تعريف مفهوم "العلمانية" عند بعض المفكرين العلمانيين في العالم
العربي- مشكلات أساسية في التعريفات السابقة ج: 1 ص: 134 و 135.

³⁴⁷ لم كل هذا التحامل على ديادات؟

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

اليهود والمسيحية الأميركية في خطاب له أمام الكنيست الإسرائيلي عام 1979، قال فيه:

"إن علاقة أميركا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة.. لقد كانت ولا تزال علاقة فريدة، وهي علاقة لا يمكن تقويضها، لأنها متأصلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأميركي"³⁴⁸.

ولا يفوتنا في هذا السياق تذكر أداء أوباما صلاة اليهود أمام حائط المبكى وعلى رأسه طاوية اليهود، وخطابه في اللوبي الصهيوني قبيل فوزه في الانتخابات، الذي تعهد فيه بضمان أمن إسرائيل وتفوقها العسكري، والاعتراف بالقدس عاصمة موحدة دائمة لإسرائيل. وأوباما يزعم أنه مسيحي حريص على الصلاة كل أحد في الكنيسة.

وعن هذه الظاهرة البارزة الملموسة الواضحة يقول الأستاذ محمد قطب حفظه الله:

"نعم! لقد نبذت أوروبا دينها، فلم تعد تتحرك به داخل بلادها.. ولكنها لم تنس قط الروح الصليبية الكامنة في دماؤها، والتي تحركها دائماً ضد الإسلام والمسلمين! وهذه الحقيقة -حقيقة نبذ أوروبا لدينها، وبقاء الحقد الصليبي تجاه الإسلام مشتغلاً رغم ذلك- قد أشار إليها المستشرق النمساوي "محمد أسد" في كتابه الشهير "الإسلام على مفترق الطرق" الذي ألفه بعد أن أعلن إسلامه، وحاول فيه تفسير هذه الظاهرة الغريبة التي قال: إنه لم يحدث مثلها في التاريخ، فقال: "إن هذا

³⁴⁸ يعتبرون رضاها من رضا الرب: "المسيحيون الصهاينة" .. في خدمة إسرائيل. من الجدير بالذكر أن كارتر كان مبشراً بروتستانتياً في الستينيات.

[Microsoft Encarta 2008, Jimmy Carter, III. EARLY CAREER, A. Governor of Georgia].

كذلك راجع لدور كارتر في التيار المسيحي الصهيوني: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- الباب الثالث: صهيونية غير اليهود المسيحية- الصهيونية ذات الديباجة المسيحية ج: 6 ص: 113.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الحقد قد ولد في نفوس الأوروبيين في فترة طفولتهم الفكرية والحضارية، فلم تستطع فترة النضج التالية أن تمحوه من نفوسهم، لأن ما ينطبع في الطفولة يتبقى عالماً في النفس!!.

ولسنا نحن في حاجة إلى شهادة محمد أسد ولا تفسيره، وعندنا شهادة الله سبحانه وتعالى وتقريره:

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ
مِلَّتَهُمْ﴾³⁴⁹.

ويقول محمد عبد الحكيم دياب -وهو كاتب قومي- عن المطلوب أمريكياً من المنطقة:

"فبضاعتهم المراد تسويقها للمنطقة هي الديمقراطية، بمعناها الأمريكي، وتقوم علي عدة ركائز، الأولى: القبول بالدولة الصهيونية، كدولة طبيعية في المنطقة، والتخلي بالكامل عن كل طموح عربي أو إسلامي لتفكيك نظام التمييز العنصري (الأبارتايد) الصهيوني وتحرير فلسطين، وهذا المخطط يقوم علي ضرورة تحمل المنطقة مسؤولية حماية الدولة الصهيونية وضمان أمنها. والثاني: هو الحفاظ علي مصالح أمريكا، وتمكينها من مصادر الطاقة، كأحد أدواتها في معركتها المتوقعة مع القوي الدولية الكبرى الصاعدة، مثل الصين والاتحاد الأوربي، والثالث: تصفية الثقافة العربية والإسلامية، باعتبارها ثقافة مفرخة للإرهاب، وهي في حقيقتها معادية لمخطط المحافظين الجدد، واستخدام كل الوسائل الممكنة في ذلك، مثل التطهير العرقي كما هو جار علي الساحة الفلسطينية، وضد جماعات المقاومة المسلحة، وطنية وقومية وإسلامية،

³⁴⁹ هلم نخرج من ظلمات التيه ص: 13.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

والغزو والاحتلال المباشر، كما حدث في أفغانستان والعراق، وكما هو متوقع للسودان وإيران وسورية والسعودية ومصر، وبتزكية النعرات العرقية والمذهبية، وتفتيت المنطقة، وفق خريطة عرقية ومذهبية، وإفقار اقتصادي، وإضعاف عسكري، وتجهيل تاريخي وثقافي، وعودة فرق التنشيط ومدارس الإرساليات، وهيمنة التعليم الأجنبي، وتغيير مناهج التعليم الديني والوطني والقومي، ونشر الانحلال والإباحية والعري في أجهزة الإعلام العامة والخاصة. ..

وبواصل محمد عبد الحكيم دياب قوله:

"وجمال مبارك لا يرفض خدمة هذه التوجهات، ووالده لا يمانع من تبنيتها، وإذا ما نظرنا إلي تفاقم مشكلة الحريات وزيادة مستوى الاستبداد الذي أصبح لا يحتمل.."³⁵⁰

وسأكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة البارزة على هذا التوجه

الصليبي المعادي للإسلام لدى الغرب العلماني:

[1] إعلان نابليون بونابرت دعم فرنسا لسعي اليهود

لإقامة دولتهم في فلسطين.

كانت حكومة الإدارة الفرنسية العلمانية -التي ثارت على

الملكية والإقطاع والكنيسة في الثورة الفرنسية الشهيرة،

التي كان شعارها (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس) - قد

أعدت خطة لإقامة كومونولث يهودي في فلسطين، وذلك

مقابل تقديم الممولين اليهود قروضاً مالية للحكومة

الفرنسية، التي كانت تمر آنذاك بضائقة مالية. وكان

المفروض أن يمول اليهود الحملة المتجهة صوب الشرق،

وأن يتعهدوا بئث الفوضى وإشعال الفتنة وإحلال الأزمات في

³⁵⁰ أمريكا بدأت هجومها العام والشامل على الإسلام، ابن لادن-وليس أبو جهل وأبو لهب- هو الحل. نقلها عن: صحيفة القدس العربي- 19/ 2 / 2005.

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

المناطق التي سبقتها الجيش الفرنسي لتسهيل أمر احتلالها. ويبدو أن نابليون كان مطلعاً على الخطة³⁵¹. ولذا فعندما توجه للشام -بعد غزوه لمصر- ليفتحها، واستعصت عليه عكا في عام 1799م، أصدر نداءه الشهير الذي نص على: "من نابليون القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في أفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين".

أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد، الذين لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبهم اسمهم ووجودهم القومي وإن كانت قد سلبتهم أرض الأجداد فقط.

إن مراقبي مصائر الشعوب الواعين المحايدون -وإن لم تكن لهم مواهب المتنبيين مثل أشعيا ويوئيل- قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بايمانهم الرفيع من دمار وشيك لمملكتهم ووطنهم: أدركوا أن عتقاء الإله سيعودون لصهيون وهم يُعْتَبُونَ، وسيؤكّد الانتهاج بملكهم إرثهم دون إزعاج، فرحاً دائماً في نفوسهم (أشعيا 10 / 35).

انهضوا إذن بسرور أيها المبعدون. إن حرياً لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، تخوضها أمة دفاعاً عن نفسها بعد أن اعتبر أعداؤها أرضها التي توارثوها عن الأجداد غنيمة ينبغي أن تُقسّم بينهم حسب أهوائهم. وبجرة قلم من مجلس الوزراء تقوم للثأر وللعار الذي لحق بها وبالأمم الأخرى البعيدة. ولقد تُسي ذلك العار تحت قيد العبودية والخزي الذي أصابكم منذ ألفي عام. ولئن كان الوقت والظروف غير ملائمة للتصريح بمطالبكم أو

³⁵¹ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الثالث: الجماعات اليهودية: التحديث والثقافة- الباب الثالث: التحديث وأعضاء الجماعات اليهودية- نابليون بونابرت ج: 3 ص: 34.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
التعبير عنها، بل وإرغامكم على التخلي عنها، فإن
فرنسا تقدم لكم إرث إسرائيل في هذا الوقت
بالذات، وعلى عكس جميع التوقعات.
إن الجيش الذي أرسلتني العناية الإلهية به،
والذي يقوده العدل ويواكبه النصر، جعل القدس
مقراً لقيادتي، وخلال بضعة أيام سينتقل إلى
دمشق المجاورة التي لم تُعد تُرهب مدينة داود.
يا ورثة فلسطين الشرعيين:
إن الأمة التي لا تتاجر بالرجال والأوطان³⁵²، كما
فعل أولئك الذين باعوا أجدادهم لجميع الشعوب
(يوئيل 4/6) تدعوكم لا للاستيلاء على إرثكم بل
لأخذ ما تم فتحه والاحتفاظ به بضمانها وتأييدها
ضد كل الدخلاء.
انهضوا وأظهروا أن قوة الطغاة القاهرة لم
تُخمد شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان
تحالفهم الأخوي شرفاً لإسبرطة وروما (مكابيون
12/15) وأن معاملة العبودية التي دامت ألفي
عام لم تُفلح في إخمادها.
سارعوا! إن هذه هي اللحظة المناسبة -التي قد
لا تتكرر لآلاف السنين- للمطالبة باستعادة
حقوقكم ومكاتبكم بين شعوب العالم، تلك
الحقوق التي سُلبت منكم لآلاف السنين، وهي
وجودكم السياسي كأمة بين الأمم، وحقكم
الطبيعي في عبادة يهوه، طبقاً لعقيدتكم، علناً
وإلى الأبد. (يوئيل 4/20).
بونابرت³⁵³.

³⁵² يقصد الأمة الفرنسية.

³⁵³ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد السادس: الصهيونية- الجزء الأول: إشكاليات وموضوعات أساسية- الباب الثالث: العقد الصامت بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية- الوعود البلورية ج: 6 ص: 27، المفاوضات السرية بين العرب

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وبهذا يتبين مدى العداء الأوروبي للإسلام والمسلمين سواء كانت أوروبا تحت سيطرة الكنيسة أو تحت سيطرة الحكومات العلمانية الكافرة بالكنيسة، ويتبين أن إعلان نابليون لم يكن ضربة لازب، وإنما كان جزءاً من سياسة متعمدة تبنتها الحكومة الفرنسية العلمانية. ويعتبر الدكتور المسيري -رحمه الله- أن نابليون بونابرت يعد بهذا:

"أول سياسي يدعو اليهود، من حيث هم يهود، إلى الاستيطان في فلسطين، محاولاً الاستفادة منهم كمادة استيطانية في مشروعه الاستعماري"³⁵⁴.
"أي أن نابليون أصدر أول وعد بلفوري في تاريخ أوروبا.

والنمط الكامن في تفكير نابليون هو أيضاً النمط الكامن في النظرية الاستعمارية الغربية تجاه الشرق وتجاه أعضاء الجماعات اليهودية، وقد تبدى هذا النمط في وعد بلفور في بداية الأمر، ثم وصل ذروته مع توقيع الاتفاق الإستراتيجي بين إسرائيل والولايات المتحدة عام 1982"³⁵⁵.

ومما يجدر الالتفات له أن هذه السياسة الفرنسية استغلت ما يزعمونه وعوداً في العهد القديم، وهو جزء أساسي من التراث المسيحي الصليبي، في تقديم المبرر لها والمحرض عليها.

وإسرائيل- الكتاب الأول: الأسطورة والأمبراطورية والدولة اليهودية ص: 30 إلى 33.
³⁵⁴ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الثاني: الجماعات اليهودية: إشكاليات- الجزء الأول: طبيعة اليهود في كل زمان ومكان- الباب الرابع: إشكالية العزلة والخصوصية اليهودية ج: 2 ص: 64 و 65.

³⁵⁵ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الثالث: الجماعات اليهودية: التحديث والثقافة- الجزء الأول: التحديث- الباب الثالث: التحديث وأعضاء الجماعات اليهودية- نابليون بونابرت ج: 3 ص: 34 و 35.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
ولا يصح أن يقال؛ بأن نابليون علماني لا يحترم أية عقيدة
دينية، وإنما يستغل الدين لمصلحته، فكما وعد اليهود بوطن
في فلسطين، فإنه أيضاً لما وصل لمصر أظهر احتراماً
وتبجيلاً للمسلمين، وزعم نفسه صديقاً للمسلمين وللخليفة
العثماني³⁵⁶.

فالفارق بين الادعائين واضح، يقول عنه محمد حسنين
هيكل:

"وإذا كان نداؤه للمسلمين خدعة فإن ندائه إلى
اليهود كان شيئاً مختلفاً.
لقد كان نداؤه إلى المسلمين في مصر نداءً إلى
كتلة بشرية عددهم في ذلك الوقت يفوق
المليونين، وفي استطاعتهم إذا قاموا أن يجعلوا
مصر مصيدة لجيوشه وليس رأس جسر، وهو لهذا
مستعد لخديعتهم وللكذب عليهم.
أما نداؤه لليهود فهو حالة مختلفة لأن اليهود في
فلسطين في ذلك الوقت لم يزد عددهم على
الفيين"³⁵⁷.

³⁵⁶ يصف العلامة محمود شاكر -رحمه الله- نابليون بأنه: الصليبي المكيفلي المغامر
المفتون الفاجر، والفتى الصليبي المحترق، ويرى -رحمه الله- أن نابليون قدم لمصر
لواد النهضة العلمية، التي بدأت تدب فيها، والتي حذر منها المستشرقون، ولتخريب
القاهرة [رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص: 88 إلى 100]، فيقول رحمه الله:
"رحلت فلؤل جيش الفتى السفاح المغرور "نابليون"، وجلت عن
بلاد واسعة عريضة تركتها بلقياً تصفر فيه الريح، وانكشحت عن عاصمة
عتيقة تركتها خراباً. كان خراباً شاملاً، وتدميراً لمدينة زاهرة من أحمل
مدن العالم يومئذ، بعمارتها وفنونها، وبركاتها ومنتزهاتها، أقدم على
تدميرها تدميراً كاملاً بربري جاهل مُسْتَحْف في زي متحضر! ولكن
صار هذا التدمير، في عين حياتنا الأدبية الفاسدة، هو رسول الحضارة
الذي جاء ليخرجنا من ظلمات الجهل إلى عصر النور والتنوير!! لا
تضحك ولا تبك. ولكن أطرق إطراقة الخزي والمهانة والعار. وكيف لا
تطرق إطراقة الخزي إذا انكشف لك الحجاب عن نية هذا المكيفلي
الخيث" [المصدر السابق ص: 96].

³⁵⁷ المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل - الكتاب الأول: الأسطورة
والإمبراطورية والدولة اليهودية ص: 30 إلى 33.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

فإذا أخذنا في الاعتبار أن ذلك الإعلان يدمر صورة نايليون في مصر، وهي الصورة التي كانت قد انكشفت فعلاً كغاز صليبي معاد للإسلام والمسلمين، لأدركنا أن هذا النداء لليهود ليس من قبيل الحرب الدعائية، بل هو يضر بها، ولكنه أمر آخر، إنه سياسة متعمدة مدبرة ونزعة كامنة في نفوس الفرنسيين العلمانيين عقيدة الصليبيين روحاً!!

ثم إننا يهمننا الأمر الواقع أكثر من الدوافع الخفية، وخاصة إذا كان ذلك الأمر الواقع موجهاً ضدنا، فإذا كانت السياسة والعدوان الموجهان ضدنا تسيران على النمط الصليبي ولو في ظاهرهما، فإننا نعتبرها سياسة صليبية وعدواناً صليبياً بغض النظر عن دافع القائمين عليها.

وكم من منكر للحق وجاهد له من أجل الدنيا والمنافع لا تصديقاً بالباطل ولا إيماناً به، يقول الحق سبحانه وتعالى:
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. وذكر ابن سعد -رحمه الله- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال عن المقوقس عظيم القبط لما أبى الإسلام: "ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه"³⁵⁸.

[2] ترافق التبشير مع قوات الحكومات الغربية العلمانية

الغازية.

يتحدث الدكتور عبد الوهاب المسيري -رحمه الله- عن ارتباط الدين والتبشير بالمشاريع الاستعمارية الأوروبية فيذكر أن:

"من أنجح الأساليب التي تتبعها الدول الاستعمارية الكبرى في تنفيذ مخططاتها ما يُسمّى "حماية الأقليات". إذ تقوم إحدى الدول الكبرى التي لها أطماع في دولة ما بإعلان

³⁵⁸ الطبقات الكبرى- ذكر بعثة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الرسل بكتبه إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام وما كتب به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لناس من العرب وغيرهم ج: 1 ص: 260 و 261، زاد المعاد- فصل في كتبه ورسله -صلى الله عليه وسلم- إلى الملوك ج: 1 ص: 79.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

مسئوليتها عن أقلية تعيش داخل حدود الدولة
المستهدفة فتضعها تحت "حمايتها"، أي تتدخل في
شئون الدولة التي تعيش الأقلية في كنفها بحجة
الدفاع عن مصالح هذه الأقلية. وقد تكون هذه
الأقلية دينية (الكاثوليك في لبنان- الأقباط في
مصر)، أو إثنية (الدروز في لبنان وسوريا) أو
عرقية دينية (الأرمن في الدولة العثمانية).

.....
ولفهم صراع الدول الغربية حول حماية
الأقليات، لابد أن ندرس البُعد الديني في العملية
الاستعمارية الغربية. فالإمبريالية الغربية، شأنها
شأن كل الأنساق العلمانية، وظفت النصوص
الدينية كدساحات لتجنيد حماهريها ولتحجيش
الجوش. وبهذا المعنى، فإننا نتحدث عن البُعد
الديني للاستعمار الغربي كتوظيف علماني غير
ديني للدين "359".

إلا أنه يجب ملاحظة أن الدول الاستعمارية لا تستطيع
استخدام مادة دعائية ليس لها تأثير في قلوب المستهدفين
بها، فلولا أن العداة للإسلام قائم في مشاعر الحكومات
والشعوب والجوش والأحزاب الأوروبية (العلمانية) لما أمكن
تحريضهم بالنصوص الدينية المسيحية واليهودية.
وكما ذكرت من قبل عند مناقشة دوافع نابليون بونابرت
بشأن بيانه لليهود، فإننا لا يجب أن يكون اهتمامنا الأكبر
بدوافع ونوايا البرامج والخطط والحملات المعادية للإسلام،
بل يجب أن يكون اهتمامنا الأكبر بمواجهة تلك البرامج
والخطط والحملات كما تظهر لنا، فإذا أظهرت العداة

³⁵⁹ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الرابع: الجماعات اليهودية: تواريخ-
الجزء الثاني: تواريخ الجماعات اليهودية في العالم الإسلامي- الباب الثالث: الدولة
العثمانية وفارس بعد انتشار الإسلام- حماية اليهود (والأقليات الأخرى) ج: 4 ص: 178
و179.

للإسلام وتظاهرت بالصليبية ونصرة الصهيونية، فهي صليبية
صهيونية معادية للإسلام، حتى وإن كان القائمون عليها لا دين
لهم.

وقد علمنا القرآن الكريم أن أحبار الدين أنفسهم، وليس
فقط الساسة والحكام والقواد، قد يستغلون الدين لأغراضهم
ومطامعهم الشخصية. يقول الحق تبارك وتعالى:
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْيَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ
الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴾.

بل وأن منهم من لم يؤمن إيماناً حقيقياً، وأنهم يأكلون
السحت ويحرفون آيات الله ويتولون الذين كفروا.
﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ
الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا
بِسَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آجِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ
الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ
يُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّر قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ
وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ {41} سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ
لِلسُّخْتِ فَإِن جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ
عَنَّهُمْ فَلِنِ بَصُرُوكَ شَيْئًا وَإِن حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا
أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ
السَّبِيلِ ﴾ {77} لَعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ
دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ {78}
كَانُوا لَا يَتَّاهُونَ عَن مَّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ {79}
بَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ
أَنْفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ {80}

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ
وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝

بل ومنهم من يفضل دين الأوثان والمشركين على
الإسلام.

۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ لَوْ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاتِ
وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
سَبِيلًا ۝

صحيح أننا لا يجب أن نغفل الدوافع وراء العداء، حتى نفهم
طبيعة الأعداء والعداء، ولكن مقصدي هنا أن أبين أن
العلمانية الأوروبية قد استغلت العداء الصليبي الممكنون لديها
لمحاربة الإسلام، حتى وإن ادعت أنها لا تتبع الدين ولا رجاله
ولا كنيسته، وأنها رغم علمانيتها وماديتها ولا دينيتها لا زالت
صليبية معادية للإسلام، وأنها رغم تمردها على الكنيسة، لا
زال تحمل المشاعر الكنسية الصليبية ضد الإسلام.
وعودة للدكتور المسيري حيث يقول:

"وقد بدأ المشروع الاستعماري الغربي
بالاستعمار الكاثوليكي، البرتغالي والإسباني، الذي
حقق الاندفاع الأولى التي تم من خلالها استعمار
أمريكا الجنوبية. ولكن، بعد هذه الاندفاع، توقف
التشكيل الاستعماري الكاثوليكي إذ أن إسبانيا
والبرتغال دخل عليهما الجمود وكانت إيطاليا
مجزأة، ولم تكن هناك قوة استعمارية كاثوليكية
سوى فرنسا. ولكن الثورة الفرنسية وهزيمة
نابليون أدت إلى إبطاء المشروع الاستعماري
الفرنسي، ولم ينشط مرة أخرى إلا في أفريقيا
في ستينيات القرن الماضي، ولكن ظهور ألمانيا
أجهز عليه في السبعينيات وهو ما جعلها ترضى
بدور التابع لإنجلترا إلى حد كبير.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

ومع تراجع المشروع الاستعماري الكاثوليكي،
ظهر المشروع الاستعماري البروتستانتي وانتقل
مركز الثقل من حوض البحر الأبيض المتوسط إلى
المحيط الأطلسي. فظهرت هولندا كقوة
استعمارية وتبعتها إنجلترا التي تزايدت قوتها
وأصبح لها مركز الصدارة في العالم. وقد زاحمتها
ألمانيا بعض الوقت في نهاية القرن التاسع عشر.
ولكن ظهور الولايات المتحدة باعتبارها القوة
الرأسمالية العظمى رجع كفة التشكيل الأنجلو
ساكسوني داخل التشكيل الاستعماري
البروتستانتي.

وفي القرن الثامن عشر ظهرت روسيا
باعتبارها القوة الاستعمارية الأرثوذكسية. ويُلاحظ
أن التقسيم الثلاثي الديني: كاثوليك- بروتستانت-
أرثوذكس، يقابله تقسيم ثلاثي عرقي: لاتين- أنجلو
ساكسون- سلاف، وهذا يدل على أن الدين إن هو
إلا دياجاة وقشرة رقيقة تغطي المصالح
الاقتصادية والرؤى العرقية.

وقد عبّر الصراع بين القوى الاستعمارية
المختلفة بديجاتها الدينية عن نفسه، فكانت كل
دولة تحاول حماية أقلية دينية ما وتحفظ لها
حقوقها، وهذا يعني في واقع الأمر وضعها داخل
مجال نفوذ الدولة الحامية وتحويلها إلى مادة
بشرية تابعة لها. فكانت فرنسا تدعم الكاثوليك
وتحميهم، وقامت روسيا بدعم الأرثوذكس. وقد
كانوا يظنون أنه، مع سقوط الدولة العثمانية،
سيقوم الرعايا الكاثوليك والأرثوذكس بالمطالبة
فلسطين لدولهم الراجعة (ولذا حرص الصهاينة

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

على إقناع الإيطاليين والفرنسيين بأن النشاط
الصهيوني لن يُعزِّض مصالحهم للخطر³⁶⁰.
ويقول محمد حسنين هيكل عن قصة احتلال الفلبين في
سبتمبر 1898م:

"استقبل الرئيس الأمريكي "ماكينلي" وفداً من
قساوسة جمعية الكنائس التبشيرية الذين فوجئوا
به بعد أن انتهت جلسته يقول لهم: "عودوا إلي
مقاعدكم أيها السادة لأنني أريد أن أقص عليكم نبأ
وحي سماوي ألهمني، أريد أن أقول لكم أنني منذ
أيام لم أنم الليل بسبب التفكير فيما عسى أن
نصنعه يتلك الجزيرة البعيدة (الفلبين)، ولم تكن
لدى أدنى فكرة عما يصح عمله ورحت أذرع غرفة
نومي ذهاباً وحيئة أدعو الله أن يلهمني الصواب ثم
وجدت اليقين يحل في قلبي والضوء يسطع على
طريقي، إن الجزيرة جاءتنا من السماء فنحن لم
نطلبها ولكنها وصلت إلى أيدينا منة من خالقنا، ولا
يصح أن نردها وحتى إذا حاولنا ردها فلن نعرف
لمن؟ ولا كيف؟

وقد بدا لي أولاً أنه من زيادة الجبن وقلة
الشرف والتخلي على الواجب أن نعيدها إلى
أسبانيا، ومن ناحية ثانية وجدت من سوء التصرف
والتبديد أن نعهد بها إلى قوة أوروبية متنافسة
على المستعمرات في آسيا مثل فرنسا وألمانيا،
ومن ناحية ثالثة أحسست أنه من غير الملائم أن
نترك هذه الجزيرة لحماقة وجهل سكان محليين لا
يصلحون لتولى المسؤولية، وكذلك فإن الخيارات

³⁶⁰ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الرابع: الجماعات اليهودية: تواريخ-
الجزء الثاني: تواريخ الجماعات اليهودية في العالم الإسلامي- الباب الثالث: الدولة
العثمانية وفارس بعد انتشار الإسلام- حماية اليهود (والأقليات الأخرى) ج: 4 ص:
178 و 179.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

المقترحة أمامنا تركزت في حل واحد هو في الواقع لمصلحة الفلبين قبل أي طرف آخر، وهذا الحل هو ضم الجزر إلى أملاكنا، بحث نستطيع تعليم سكانها ورفع مستواهم وترقية عقائدهم المسيحية ليكونوا حيث تريد لهم مشيئة الرب أخوة لنا فدتهم تضحية المسيح كم فدتنا"³⁶¹.

وكتب كرومر -المعتمد البريطاني في مصر زمان الاحتلال- في مذكراته المسماة "مصر الحديثة Modern Egypt":

"إن مهمة الرجل الأبيض -الذي وضعته العناية الإلهية على رأس هذه البلاد- هي تثبيت دعائم الحضارة المسيحية إلى أقصى حد ممكن، بحيث تصبح هي أساس العلاقات بين الناس، وإن كان من الواجب -منعاً من إثارة الشكوك- ألا يعمل رسمياً على تنصير المسلمين، وأن يرعى من منصبه الرسمي المظاهر الزائفة للدين الإسلامي، كالأحتفالات الدينية وما شابه ذلك"³⁶².

ويتحدث الداعية الشيخ أحمد ديدات -رحمه الله- عن كتاب (إظهار الحق) للشيخ رحمة الله الهندي رحمه الله، فيقول:
"هذا الكتاب يتناول الهجمة التبشيرية المسيحية على وطني الأصلي (الهند)، ذلك أن البريطانيين لما هزموا الهند، كانوا يُوقنون أنهم إذا تعرضوا لأية مشاكل في المستقبل فلن تأتي إلا من المسلمين الهنود، لأن السلطة والحكم والسيادة قد انتزعت غصباً من أيديهم، ولأنهم قد عرفوا السلطة وتدوقوها من قبل، فإنهم لا بد وأن يطمحوا فيها مرة أخرى. ومعروف عن المسلمين أنهم مناضلون أشدّاء، بعكس الهندوس، فإنهم مستسلمون ولا خوف منهم.

³⁶¹ الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق ص: 66 و 67.

³⁶² هلم نخرج من ظلمات التيه ص: 12.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
وعلى هذا الأساس خطط الإنجليز لتنصير
المسلمين ليضمنوا الاستمرار في البقاء في الهند
لألف عام. وبدأوا في استقدام موجات المبشرين
المسحيين إلى الهند، وهدفهم الأساسي هو تنصير
المسلمين³⁶³.

وفي أمريكا قدم القس الأصولي المنصر الأمريكي "بات
روبرتسون" في إحدى الاحتفالات -التي أقيمت داخل البيت
الأبيض- للرئيس الأمريكي جورج بوش الابن قائمة
بالمشروعات "الخيرية" التي تستحق دعماً من الحكومة،
على الرغم من أن الكنائس الأمريكية تعتبر أغنى من
الحكومة الفيدرالية، التي تعاني من الديون الضخمة، في حين
تملك هذه الكنائس موازنات بمئات الآلاف من الملايين، في
صورة استثمارات صناعية وإعانات ضخمة من قبل رجال
الأعمال ذوي الاتجاهات اليمينية، الذين لا يترددون في دعمها
بآلاف الملايين من الدولارات سنوياً، وبالفعل حصل
روبرتسون من الرئيس الأمريكي على شيك بمبلغ عشرة
ملايين دولار كدفعة أولى³⁶⁴.

³⁶³ هذه حياتي سيرتي ومسيرتي ص: 15.

³⁶⁴ القس الأمريكي "بات روبرتسون" يعد من أبرز الشخصيات اليمينية المتطرفة في الولايات المتحدة، وهو من أشد المؤيدين لإسرائيل ولسياساتها العنصرية تجاه الشعب الفلسطيني، وقد سبق لروبرتسون أن حذر الرئيس الأمريكي بوش خلال حملته الانتخابية من أنه سيفقد أصوات المسيحيين الإنجيليين، إذا ما أصر على الحديث عن دولة للفلسطينيين، كما أعلن أكثر من مرة تأييده للحرب الأمريكية في العراق، باعتبارها خطوة على طريق المعركة الكبرى التي تحقق حلم المحافظين الجدد بعودة السيد المسيح.

وكان روبرتسون قد أسس عام 1960 أول شبكة تلفزيون تبشيرية أمريكية وهي وكالة "سي بي إن"، التي تنتج برامج تبشيرية بأكثر من سبعين لغة، منها العربية والروسية والفرنسية والصينية، ويعد برنامج "نادي السبعائة" الذي يقدمه روبرتسون نفسه من خلال هذه الشبكة أحد أكثر البرامج الدينية مشاهدة في الولايات المتحدة. كما قام روبرتسون بتأسيس منظمة سياسية باسم "التحالف المسيحي"، من أجل توحيد أصوات المسيحيين الأصوليين في الانتخابات الأمريكية، وتمكن من ضم نحو مليوني شخص لهذه المنظمة، التي لعبت دوراً كبيراً في منتصف التسعينات في جذب أصوات الناخبين لصالح المرشحين ذوي الاتجاهات الأصولية المتشددة.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

أما في البوسنة فقد اتهم محرّم عمر دتش -المسؤول عن ملف التنصير في المشيخة الإسلامية- القوات الدولية بعد الحرب بالقيام بعمليات تنصير حيث قامت بتوزيع هدايا على إحدى القرى القريبة من توزلا مصحوبة بنسخة من الإنجيل باللغة المحلية³⁶⁵.

أما في أفريقيا فقد ارتبط الاستعمار والتنصير ارتباطاً وثيقاً، تقول سالي هاني الباحثة السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة عن الاستعداد التنصيري في غرب أفريقيا:

"وقد تميزت المحطات التنصيرية منذ البداية بالاستغلال الذي بدأ بالاستعداد التنصيري وذلك منذ إقامتها خاصة في غرب إفريقيا في ضوء مثلث الأطلسي للتجارة الذي مثل العنصر البشري الإفريقي الذي اقتلع من جذوره في ظل تجارة الرقيق لينقل للعالم الحديث أهم أضلاعه بحيث أطلق عليه "المثلث الذهبي". ويتم فيها -المحطات التنصيرية- تجنيد العبيد وبيعهم وتشغيلهم وتقسيم القبائل والممالك، وقصر تعليم الأغلبية على التعليم الابتدائي وتعليمهم الصلاة. ومن هنا كانت تعد وبحق مقاطعات استعمارية، ولم يكن لها دور

وقد شن روبرتسون من خلال برنامجه التليفزيوني الشهير هجوماً عنيفاً على المسلمين خلال السنوات الأخيرة، ووصفهم بالجنون تارة، وبأنهم عدوانيون تارة أخرى. كما زعم أن القرآن يطالب المسلمين بقتل المخالفين لهم في العقيدة أينما وجدوهم، وعدم التعايش السلمي أو إقامة أية صداقات معهم، وانتقد روبرتسون أيضاً سياسات الهجرة في أوروبا وأمريكا، والتي تسببت على حد زعمه، في تشكيل خلايا "إرهابية" لضرب اقتصاديات الدول غير الإسلامية، كما زعم أن المسلمين في أوروبا وأمريكا يحلمون بالهيمنة على هذه المجتمعات وتحولها إلى مجتمعات إسلامية. ويرتبط روبرتسون بعلاقات وثيقة مع الرئيس بوش، الذي يهتم، بصورة لم يسبق لها مثيل من رئيس أمريكي، بدعم المؤسسات الكنسية داخل الولايات المتحدة الأمريكية، والتي يطلق عليها اسم "جيوش الرحمة"، ويعتبر دورها أهم وأجدى بكثير من مؤسسات وجمعيات الضمان الاجتماعي الحكومية. [لماذا لا يعامل "بات روبرتسون" كارهابي].

³⁶⁵ الجمعيات التنصيرية تثير مخاوف مسلمي البوسنة.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

مسيحي له اليد العليا في حياة المواطنين؛ فكان الأهالي في المناسبات الحزينة أو السعيدة يعتمدون على رجال الديانة التقليدية بشكل أساسي، ثم يأتي القس فقط ليقول الكلمات الأخيرة. وعليه فقد استمر الاستغلال في استخدام المحطات للنشاط التجاري وجمع الأموال.

ولعل أهم ما واجه المسيحية في إفريقيا من صعوبات عرقلت نشاطها هو صبغها بالصيغة الاستعمارية؛ حيث نظر إليها على أنها أداة استعمارية وملحقة بالإدارة الاستعمارية عاشت على حذوها أياً كانت تلك الإدارة، ومن ثم فإن رفض الاستعمار تضمن بالطبيعة رفض كل ما ارتبط به من قيم بما فيها المسيحية، والمنصر المسيحي كان رائداً لدخول الرجل الأبيض للقارة؛ فالمنصرون كانوا طليعين للاستعمار الغربي في إفريقيا؛ فقد سبقوا الجيوش الاستعمارية ووطدوا لها، كما جاؤوا في ركابها؛ حيث لم تخل الجيوش الاستعمارية من المنصرين ليعملوا على فتح القلوب. وتضمنت الاتفاقيات التي أبرمت بين النظم الاستعمارية والزعامات الإفريقية حثماً وجدت نبدأ بنص على إطلاق حرية التنصير في طول البلاد وعرضها، كما عاش المنصرون على الحضوة والتفضيل الإمبريالي والسياسي، وارتبطت مصالحهم بمصالح دولهم المستعمرة خاصة، وارتأوا استمرار الوضع القائم الذي يمكنهم من القيام بمهامهم، وبنفس المثل استخدمتهم النظم الاستعمارية على اختلافها لتحقيق أهدافها؛ فالعلاقة بينهم متبادلة وكذلك المصالح. فالعلاقة بينهم تكافل بالدرجة الأولى؛ ومن هنا فقد استخدم

البعض تعبير (إمبريالية الجماعات التنصيرية) أو (الإمبريالية التنصيرية) رمزاً لتسلط الإرساليات في إفريقيا وسياستها في السيطرة على مقدرات الشعوب وتسييرها وفقاً للسياسات الاستعمارية والقضاء على أي تراث ثقافي قائم غير التراث الغربي المسيحي. وكان المدخل الواسع للتنصير ونشاطه هو التعليم الذي كان نحو 95% منه على يد المنصرين في ظل الغارة الاستعمارية، وكان التعميد هو المتطلب السابق للتعليم في معظم الحالات، لكن في بعض الحالات قام الإفريقيون فيما بعد بإحراق المدارس والكنائس على أساس أنها مرتبطة بالسلطة ومن ثم بالإخضاع. وكما يعبر البعض من الإفريقيين أن الشر الأساسي للتنصير في إفريقيا هو تراثها النفساني. فالمسيحية هي دين الأسياد الجائرين الأجانب، وقد ينظر إلى زيادة انتشارها بين شعب يحاول أن ينفذ عنه آثار سيادة الجائرين نظرة ريبة. وليست فكرة إقناع الرجل الأسود برب الرجل الأبيض سوى ترادف لإقناعه بقبول دوره الأدنى.

ومما يلاحظ في هذا المجال أنه في الوقت الذي ربطت فيه الشعوب الإفريقية بين الاستعمار والمسيحية -حيث قدمت المسيحية على أي حال من جانب مواطنين ينتمون على وجه الخصوص لدول مستعمرة- فإن الإسلام على العكس ارتبط في أذهان الكثيرين بالوقوف في وجه الاستعمار لا كمجرد دعاية أو تصور ولكن كحقيقة موضوعية؛ فمن ناحية واجهت محاولة الجيوش الاستعمارية فرض السيطرة من جانب الدول الأوروبية مقاومة شديدة من جانب الزعماء الدينيين المسلمين الذين أطلقوا على الأوروبيين من الغزاة اسم الكفار. وقد

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

شهدت القارة الإفريقية في الواقع هذه الظاهرة التي انتشرت من مكان لآخر مع اختلاف مسمياتها، وجميعها أمثلة حية على ما يمكن أن نطلق عليه الحروب المقدسة تحت راية الإسلام لمقاومة الغزو الأوروبي والتسلط الاستعماري. ويلاحظ أن الإسلام كان بطيء الانتشار في القارة الإفريقية عامة حتى القرن التاسع عشر، حتى فرض الاستعمار سيطرته على القارة، ومن وقتها انتشر بسرعة واضحة؛ حتى أصبح متغلغلاً في كل دول القارة مع الاختلاف بينها في نسبة المسلمين العديدة؛ فما من دولة في القارة اليوم إلا وفيها نسبة من المسلمين بما في ذلك أنجولا معقل الكاثوليكية وركيزة البرتغال بالقارة لقرون. وهم مع قلتهم ظاهرة تدرس في كيفية الصمود والاستمرار رغم الجهود المكثفة للتنصير بالمنطقة ولقرون³⁶⁶.

وإذا كانت سالي هاني قد أشارت للمحطات التنصيرية في غرب أفريقيا، فشرق إفريقيا يحدثنا عنه خلفان خميس إسماعيل حيث يقول:

"أما النصارى فلما دانت لهم بلاد المسلمين في الأندلس، لم يكتفوا بأعمال السيوف في رقاب المسلمين يقتلونهم دون رحمة ولا شفقة فحسب، بل ازدادت قلوبهم عطشاً لدمائهم؛ فكشروا عن أنيابهم وشرعوا يلاحقون المسلمين أينما وجدوا، فنزلت سفنهم تضرب البحار فيما سُميت زورا وبهتاناً بالكشوف الجغرافية بحثاً عن المسلمين، ومحاولة تطويق العالم الإسلامي.

³⁶⁶ إفريقيا بين التنصير والتغريب لسالي هاني.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

فتحركوا نحو الجنوب مروراً برأس الرجاء
الصالح، وكانوا لا يمرون بمدينة إلا وأنزلوا فيها
بأسهم وبطشهم ينشرون الرعب بين المواطنين
قتلاً وتشريداً.

ولما وصلوا إلى (مُباسا) المدينة الإسلامية
على الساحل الكيني قتلوا أهلها المسلمين في
مذابح جماعية، ثم حرقوها خمس مرات!، وفعّلوا
مثل ذلك في مدينة (غيدي) و(لامو) وغيرها،
باستثناء مدينة (ماليندي) حيث صالحهم أميرها،
وقدم لهم المساعدات ليواصلوا رحلتهم
الاستكشافية!! المزورة على التاريخ.. والذي يثير
الأسف: أنه أثناء تواجد البرتغاليين في (مُباسا)
بنوا قلعة يسوع لنشر المسيحية، كما بنى فاسكو
دي جاما منارة في مدينة (ماليندي)، وكل ذلك مما
يدل على أن الكشوف الجغرافية عندهم تعني
تعذيب المسلمين ونشر المسيحية.

هذه الرحلات كانت واضحة الأهداف والوسائل،
ومثلها مثل كل الرحلات التي يقوم بها الصليبيون
في العالم الإسلامي؛ يدرسون مداخله ومخارجه،
ثم يرجعون إلى حكوماتهم ليدلوها على منافذ
التسلل إلى بلاد المسلمين، وإلا.. فهل كانت هذه
البلاد المكتشفة! خالية من السكان؟ أولم يكن
يعرفها أحد على الإطلاق؟!.

من المعروف أن الأوربيين لما وصلوا إلى ما
يسمى (بالعالم الجديد) ولم يكن جديداً أبادوا
السكان الأصليين وهم (الهنود الحمر).

وهذا يعني: أن هذه البلاد كانت أهلة بالسكان
قبل مقدم المكتشفين، وكذلك كان الحال في
إفريقيا شرقها وغربها، إذن: تسمية هذه الرحلات
استكشافية افتراء وتزوير على التاريخ، لقد كانت

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
تلك الرحلات تنصيرية بكل معاني الكلمة، سواء
أكان ذلك من حيث الدافع أو من حيث الهدف
والوسيلة.

وماذا بعد اللعبة الخبيثة؟:

وبهذه اللعبة الخبيثة تعتبر الكاثوليكية هي
الطائفة الأولى وصولاً إلى شرق إفريقيا وذلك في
الموجة الأولى تحت ستار (الكشوف الجغرافية)
التي قام بها فاسكو دي جاما وأعوانه في القرن
الخامس عشر، إلا أن هذه الموجة لم تؤت أكلها
لعدم اعتناق النصرانية إلا من قِبل نفر قليل، وقد
تغلب العُثمانيون عليهم بعد حروب دامت قرنين من
الزمن، وفي القرن التاسع عشر: هبت الموجة
النصرانية الثانية على بلاد شرق إفريقيا، وعادت
الكثرة من جديد، وكانت البروتستانتية هي الرائدة
في هذه الموجة وبأسلوب يختلف عن أسلوب
الموجة الأولى، ولما جاء الاستعمار البريطاني عام
1884م أخذ العمل التنصيري طابعاً رسمياً؛ وذلك
بوقوف الحكومة البريطانية مع رجال التبشير،
وتقديم الدعم السخي في سبيل نشر النصرانية
بمختلف الوسائل. ومما يلاحظ: أن النشاط
التنصيري آنذاك كان قاصراً على المناطق
الساحلية ذات الأغلبية المسلمة في الموجة
الأولى، لكن في بداية الموجة الثانية أي: من
القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين بدأ
التسلل إلى عمق الأراضي الكينية، وبدأت
الإرساليات التنصيرية الأجنبية المتمركزة في
المنطقة الساحلية تنتقل إلى الداخل، عملاً
بنصيحة المؤتمرات التنصيرية بأن يسبقوا
المسلمين إلى الوثنيين.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وفعلاً أسسوا مراكزهم من: مدارس،
ومستشفيات، وكنائس، وغيرها في مختلف
المناطق الداخلية الوسطى والغربية مثل: (فوي)
(وليمورو) و(كيسومو) وغيرها³⁶⁷.
أما جنوب إفريقيا فيقول عنها أبو إسلام أحمد عبد الله:
"مع بداية القرن التاسع عشر توغلت حركة
الكشف الأوروبية في قلب إفريقيا، وكثرت البعث
والإرساليات الدينية التنصيرية، ثم تبعتهما حركات
الاحتلال الأجنبي الذي فتح الطرق المسدودة أمام
التنصير، فكان هذا القرن حقاً هو العصر الذهبي
للتنصير في إفريقيا، ولم يبدأ القرن العشرون إلا
وكان للنصرانية تواجدتها المحسوس والملموس
والمرئي بثنتى مذاهبها ومللها وكنائسها"³⁶⁸.
أما جنوب السودان الجرح النازف فله قصة
دامية لا زالت مستمرة حتى الآن، تظهر التواطؤ
بين الغرب العلماني والتبشير التنصيري.
فقد كتب اللورد كتنشر³⁶⁹ في نهاية القرن التاسع عشر عن
جنوب السودان قائلاً:

"ليس من شك في أن الدين الإسلامي يلقي
ترحيباً حاراً من أهالي هذه البلاد فإذا لم تقبض
القوى النصرانية على ناصية الأمر في إفريقيا
فأعتقد أن العرب سيخطون هذه الخطوة،
وسيصبح لهم مركز في وسط القارة يستطيعون

³⁶⁷ جهود المنصرين في كينيا.. أضواء على الخطط القائمة لاستئصال المسلمين.

³⁶⁸ تاريخ الوجود التنصيري في إفريقيا- أبو إسلام أحمد عبد الله.

³⁶⁹ هوراثيو هيربرت كتنشر: ضابط بريطاني شهير ترقى حتى وصل لمنصب وزير
الدولة للحرب في الحرب العالمية الأولى، وكان سرداراً للجيش المصري بعد الاحتلال
البريطاني لمصر، ثم هزم قوات الدولة المهدية في معركة أم درمان عام 1898.

[Microsoft Encarta 2008, Horatio Herbert Kitchener].

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

منه طرد كافة التأثيرات الحضارية إلى الساحل،
وستقع البلاد في هذه العبودية³⁷⁰،
ويشرح مصعب الطيب بابكر جذور تلك المأساة، التي
تواطئ عليها الحكم الإنجليزي العلماني والكنيسة التنصيرية
في عمل تبعته الروح الصليبية الدفينة المعادية للإسلام
فيقول:

"إن مجمل السياسات الجنوبية المصرية في
عهد الحكم الثنائي (الإنجليزي المصري) كانت
تصنع في الكنيسة؛ إذ أنها تملك الحضور الفاعل
في الميدان، وتملك المعلومات الاستخباراتية من
شبكات كنائسها المنتشرة في كل النواحي، وتملك
أدوات التأثير والضغط على الإدارة الحكومية،
وتملك كذلك التمويل اللازم لتنفيذ سياساتها؛ ولذا
كانت توجهات الإدارة الاستعمارية تسير باتجاه
فصل الجنوب؛ يتحدث عن ذلك السكرتير الإداري
(ماكمايكل) فيقول:

"إنه من المعلوم أن تلجأ البعث النصرانية
خوفاً من التغلغل الإسلامي المتزايد إلى استخدام
نفوذها في اتجاه فصل الجنوب"، وعلى إثر ذلك
أصدرت سياسة الجنوب والمناطق المقفولة، كما
كانت المؤسسات الإدارية الشمالية تقام بمعزل
عن رصيفاتها الجنوبية، وعملت الكنائس على إيجاد
أبعاد أخرى لمسوغات الانفصال بعد تحويل ديانة
الجنوب إلى النصرانية كتعميق العنصرية، وإثارة
الضغائن ضد المسلمين من أهل الشمال، وتقوية
اللهجات المحلية مع جعل الإنجليزية هي لغة
التواصل والثقافة. غير أن الإدارة الاستعمارية لأمر
ما قد عدلت آخر أمرها عن فصل الجنوب، فأصدر

370 الجنوب.. مدخل الصليبية إلى السودان.

السكرتير الإداري (جيمس روبرتسون) في ديسمبر عام 1946م أمراً بإلغاء سياسة الجنوب، وأقام مؤتمر جوبا عام 1947م، ليرفع بعده توصياته للحاكم العام بأن الجنوبيين يفضلون الوحدة مع الشمال، ولم تكن مطالب الحركات الجنوبية أيام الاستقلال تتعدى الحكم الذاتي، وبعض المشاركة في الحكومة المركزية.

لقد سلكت المؤسسات الصليبية كل السبل التي تحقق أطماعها بلا حدود أو حقوق أو تسامح، وتصرفت وكأنها تأخذ ثأراً قديماً لها مع الإسلام، وهذه الأساليب نوجز منها ما يلي:

1- سياسة الجنوب:

بدأ التنفيذ الصارم لما يعرف بسياسة الجنوب في يناير 1930م، إلا أن البدايات العملية لها استؤنفت قبل ذلك التاريخ بكثير؛ ففي عام 1917م استُبدل كل الجنود الشماليين بجنوبيين، وفي 1918م اعتمدت الإنجليزية لغة رسمية وجعل الأحد عطلة أسبوعية، وفي 1922م وما بعدها أصدر قانون المناطق المقفولة الذي مُنع بموجبه الشماليون المسلمون من دخول المناطق الجنوبية، وبموجب تلك السياسة فإن الإدارة الاستعمارية عملت على:

1- محاربة اللغة العربية والأسماء الإسلامية وقصر التعامل على الإنجليزية.

2- محاربة الشعائر والعبادات الإسلامية وكل ما يتعلق بها من زي أو هندام.

3- طرد الشماليين تجاراً وإداريين.

4- إعادة العمل بالأحكام القبلية وإحياء اللهجات المحلية.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

لقد كانت الحكومة تعاقب بشدة كل من يضبط وهو ينطق العربية أو يؤدي شعائر إسلامية؛ كما كانت تفضل أن يظل الجنوبيون عرايا على أن يلبسوا أزياءً إسلامية أو شمالية، وكانت تستعمل أرقاماً معينة لمناداة كل من يرفض تغيير اسمه إلى اسم عربي أو قبلي، لقد أخليت تلك المناطق تماماً إلا من النفوذ الكنسي الذي أسندت إليه شؤون الإدارة والتشريع والتعليم والتوجيه، والافراد الكامل لربع قرن بتشكيل ثقافة ذلك المجتمع وتوجهاته. "إن الحكمة وراء سياسات المناطق المقفولة تكمن في نشر الجهد التمديني التنصيري على كل ميادين جنوب السودان الممتد" كما يقول "روبت هاو" حاكم السودان العام في تلك الفترة. إذن فهو غزو صليبي تقوده الحكومة الإنجليزية، وليست القضية تراتيب إدارية أو أطماعاً اقتصادية أو أي شيء آخر، ولا يمكن لعامل أن يدعي بأن هذا الاضطهاد والتطهير العرقي، هو نوع من الديمقراطية والتسامح الذي يجب على الإسلام وحده أن يتحلى بهما.

2- إثارة الحقد والبغضاء ضد الإسلام:

لقد دُجّن الطلاب الجنوبيون باعتبارهم مسيحيين في المدارس الإرسالية التي كانت وحدها في الساحة، وكانت المسيحية تُمَثَل بأنها ديانة متفوقة، ولم يكن من الصعب بناء أحقاد جنوبية ضد الشمال في مدارس الجنوب التي كانت يدرس في تاريخها دور العرب في شراء وبيع الأفارقة كرقيق.

.....

لقد عملت الكنيسة بخبث على ربط الإسلام بتجارة الرق؛ في حين أن التجار الغربيين هم

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

أصحاب هذه التجارة، وعملت على إذكاء نار التفريق العنصري وإصاقه بالإسلام؛ بينما لا تتحدث مطلقاً عما في كتابهم المحرف (الكتاب المقدس الإصحاح التاسع): عن حام جد الأفارقة: "فلما استيقظ نوح من خمرة علم به ابنه الصغير فقال: عبد العبيد يكون لإخوته، وقال: مبارك إله سام وليكن كنعان عبداً لهم". لقد صورت الكنيسة الدعوة إلى الإسلام على أنها حرب عنصرية ضد الجنوبيين، وأنه لا مناص من الانضمام إلى صف الكنيسة من أجل بقائهم، وأن كل جنوبي هو بالضرورة مضطهد من المستعمرين الشماليين الذين تعمل الكنيسة على محاربتهم من أجله. وهكذا استطاعت الكنيسة أن تضمن تثبيت تلك المجموعات بها بنفس القدر الذي تضمن به شحنها ضد أي نشاط دعوي يمكن أن يبذله المسلمون.

3- رسل الحرب والسلام:

تمارس الكنيسة والمنظمات التنصيرية لعبة الحرب والسلام، كلاعب محترف لا يفرط أو يتهاون في مكاسبه أو مبادئه، ولكنه أيضاً لا يضيّع فرص تكريسها وتأمينها؛ فمنذ عام 1910م، أسس الجنرال "ونجت" الحاكم العام "الفرقة الاستوائية" على أساس ديني وعنصري؛ بحيث تكونت فقط من الجنوبيين المتنصرين من أبناء الإرساليات لتكون أساساً لجيش يمكن استعماله ضد أي انبعاث يحمل توجيهات الإسلام الجهادية في الشمال، كما يقول الكاتب الإنجليزي "وبرت كولنس"، وهي نفس الفرقة التي تمردت في أغسطس 1955م بعد أن اجتمع بهم القس "بلم تري" وبارك مساعيهم لذبح الشماليين. ثم استمرت الكنيسة من بعد في احتضان كل حركات التمرد الجنوبية من رابطة السودان المسيحية (SCA) إلى الاتحاد الوطني للمناطق المقفولة بالسودان الإفريقي (SACDNU) إلى الاتحاد

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

الإفريقي "سانو" (SANU) ومنظمة الأناثا ثم أخيراً الحركة الشعبية لتحرير السودان (SPLM) والفصائل المنشقة عنها. توفر الكنائس لهذه الحركات الدعم المباشر والدعم الحكومي عبر جماعات الضغط التي تمثلها، كما توفر لها الخبراء العسكريين والتغطية الإعلامية، وهناك أكثر من 160 منظمة وهيئة إغاثية تعمل بهذا الاتجاه الذي يشمل أيضاً التسليح والإمداد التقني المساعد. نشرت مجلة (نيوزويك) في 10/4/2001م تقريراً عن جنوب السودان بعنوان "جنود المسيح" قالت فيه: إن الحرب في جنوب السودان أصبحت حرباً صليبية، وذكرت أن منظمة واحدة فقط هي "الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية": "قد وفرت بلا علم الحكومة السودانية طبعاً مبلغ 17 مليون دولار للجهات التي تعمل في السودان، ثم ذكرت أن أكثر تلك المنظمات حظوة هي "برنامج المساعد الشعبي النرويجي" الذي وصفه تقرير طلبته الحكومة النرويجية بأنه "يتجاوز حدود ما يعتبر أعمالاً إنسانية!!" إذن ما تقوم به هذه الإغاثات الموجهة ليس إلا خط إمداد حربي وإدارة تجسس استخباراتية تلعب دورها في الحرب، كما تلعب دورها في السلام. أما السلام فلم يكن يعني أكثر من محاولة الحصول على المزيد من الفرص لتمكين المشروع الصليبي في السودان. إن المجالس الكنسية تكاد لا تغيب عن أي من المفاوضات مع حركات التمرد كراع لها أو مراقب فيها. وحينما أبرمت اتفاقية (أديس أبابا) في فبراير 1972م برعاية الإمبراطور النصراني هيلاسي لاسي كانت قد خرجت تلك المجموعات التي مهدت لهذه الاتفاقية بضمانات كافية بعدم نشر الثقافة العربية والإسلامية في الجنوب، وعلى إثر هذه الاتفاقية أقام السودان لأول مرة علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان في أغسطس عام 1972م، وقد بدا حينها أن الاتفاقية لا تعدو أن تكون (صفقة) تنازل الحكومة بموجبها عن الجنوب

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

للكنائس؛ ومن ثم تتم إعادة إنتاج نسخة أخرى من (سياسة الجنوب) التي نفذت إبان الحكم الثنائي "371.

ولذلك يقول الدكتور المسيري رحمه الله عن سياسة الحكومة البريطانية في جنوب السودان:

"كما يُلاحظ أن الاستعمار الإنجليزي أخذ شكل الاستعمار الاستيطاني الإحلالي في جنوب السودان، حيث قام بنقل (ترانسفير) السودانيين المسلمين، حتى يجعل الجنوب خالياً من العرب (بالألمانية: أراب راين Arabrein)"³⁷².

[3] ومن الأمثلة على تغلغل الروح الصليبية في العلمانية الغربية المعاصرة، تعزية الرؤساء الثلاثة كارتر وكلنتون وبوش في البابا (يوحنا بولس الثاني)، وهو تقليد غير مسبوق في السياسة الأمريكية، كما أنه ليس عليّ مذهبهم، فهم بروتستانت والبابا كاثوليكي. وذلك تقديراً لدوره الكبير في خدمة المصالح الغربية، ولإعفائه اليهود من دم المسيح، ودوره في محاربة الشيوعية، وكذلك دوره في تنشيط التنصير، وكذلك سعياً منهم في إذكاء الروح الصليبية في مواجهة صحوة الأمة المسلمة.

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في مقاله القيم (بابا روما، وصهيئة النصرانية) عن تبرئة البابا يوحنا بولس الثاني لليهود من دم المسيح وعن اعتذاره لهم عن المحرقة النازية: "لقد ارتكب البابا جنائية عظيمة على النصرانية، وجعل الكنيسة الكاثوليكية في خدمة الصهيونية الذين كانوا وما زالوا أشد الناس عداوة للكنيسة. واعتذار البابا لليهود عن الذنب الذي لم ترتكبه

³⁷¹ الجنوب .. مدخل الصليبية إلى السودان.

³⁷² المجلد السابع: إسرائيل.. المستوطن الصهيوني- الجزء الأول: إشكالية التطبيع والدولة الوظيفية- الباب الأول: إشكالية التطبيع- تطبيع المصطلح ج: 7 ص: 3.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

الكنيسة اعتذار في غير موقعه. واستتكافه أن
يعتذر للمسلمين عن الجرائم الكبرى التي
ارتكبتها الكنيسة مع المسلمين في حروبها
الصليبية على مدى ثلاثمائة سنة. وفي إبادتهم
جميع المسلمين في الأندلس في ظل ما عرف
بمحاكم التفتيش. استتكاف البابا أن يعترف بذلك
جرم آخر في حق الكنيسة. لقد أسقط البابا
(بولس الثاني) الكنيسة الغربية إلى الأبد³⁷³.

[4] وكذلك من آثار هذه الروح الصليبية في الغرب
العلماني استقبال كلنتون لسلمان رشدي ومنح ملكة بريطانيا
لقب فارس له.

[5] ومن آثار هذه الروح إعلان بوش حربه الصليبية على
الإرهاب، أو في الحقيقة حربه الصليبية على الإسلام.

[6] ومن آثار هذه الروح منع فرنسا للطالبات اللاتي
يغطين رؤوسهن من الدراسة في المدارس الفرنسية،
وسب رئيسها ساركوزي للبرقع بأنه علامة الاستعباد
والانحطاط، وتعهد به بمحاربه.

وبهذا الاستعراض السريع الموجز للادينية التي يسمونها
خطا العلمانية، يتبين أن تلك الدعوة التي ثارت على
الكنيسة والدين من أجل تمجيد العقل وحرية الإنسان قد
انتهت لمادية لا عقلانية جبرية حتمية حولت الإنسان لحيوان
أو سلعة أو لشيء في هذا الوجود ثم انتهت -كما يتوقع لها

³⁷³ بابا روما وصهينة النصرانية للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق. راجع أيضاً لمزيد من
التفصيل عن أعمال ذلك البابا مقال الأستاذ محمد مصطفى المقرئ (جدير بالشيخ
القرضاوي أن يعود)، الذي طالب فيه الشيخ يوسف القرضاوي أن يعود عن تعزيبه
الكاثوليك في البابا يوحنا بولس الثاني.
راجع أيضاً لتنازلات الكنيسة الكاثوليكية في عهد البابا جون الثالث عشر ثم في عهد
البابا جون بول الثاني أمام اليهود وأمام إسرائيل، وكذلك تنازلات الكنائس
البروتستانتية:

[Microsoft Encarta 2008, HOLOCAUST, XIII. AFTERMATH AND LEGACY OF
THE HOLOCAUST, C. Church Actions].

ولأي عقيدة لا مرجعية لها- إلى العبث والعدم، وتبين لنا أن التفريق بين العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية تفريق لا أثر له في ميزان الإسلام، فكلاهما إحد، والعلمانية الجزئية لا بد منتهية إلى العلمانية الشاملة، وما هي إلا مرحلة في الطريق إليها، وقد بدأ سقوط العلمانية بانهايار الشيوعية وضياع الرأسمالية، وباشتداد عود الصحوة الإسلامية التي ترفض هذا الضلال، وسأتعرض فيما يلي لضلال الرأسمالية الغربية وهي في طريقها للهاوية، كما سأعرض في المبحث القادم -إن شاء الله- لسلوك اللادينية البشع في السياسة والحرب والاقتصاد، ولماذا يحرص الغرب على أن تترك الإسلام ونعتنق اللادينية.

(2) استبداد هوى الأغلبية (الديمقراطية).

تعرضت فيما سبق -بإيجاز واختصار- للادينية كأحد أصنام الطاغوت الأربعة، التي يقوم عليها طاغوت الهوى الغربي المعاصر. وأنا هنا -بعون الله- أتعرض للصنم الثاني من تلك الأصنام وهو استبداد هوى الأغلبية الذي يسمونه الديمقراطية.

وكما ذكرت من قبل عند الحديث عن اللادينية فإن احترام استبداد هوى الأغلبية (الديمقراطية) قد تسرب لعقول الكثيرين، بل منهم قيادات في حركات تنتسب للإسلام، ومنهم عبد المنعم أبو الفتوح عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين الذي استشهدت به من قبل، حيث يقول:

"وننظر إلى هذه النظم جميعها التي جاءت ضد رغبة شعوبها. على أنها نظم غير مشروعة ولن نعترف بمشروعيتها الدستورية إلا إذا جاءت من خلال صندوق الانتخابات. ونحن نحترم أي نظام -حتى لو لم يرفع شعارات الإسلام- جاء من خلال صندوق الانتخابات. وسنظل في صدام مع كل نظام غير دستوري وغير معبر عن إرادة الشعب أو

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

جاء ضد رغبة الشعب، ونظل في صدام معاه. لكن
لن نكون في صداماً مسلحاً معاه³⁷⁴.

والخلط هنا واضح بين المشروعية وبين الحصول على الأغلبية في الانتخابات، دون النظر إلى الدستور والقانون الذي تتم على أساسه هذه الانتخابات، ودون النظر إلى شرعية النظام الذي يمثله ذلك الدستور والقانون.

فإسرائيل دولة غير شرعية، ولكن الحكومة فيها -التي تلتزم بالدستور والقانون الإسرائيلي وتحرض على اغتصاب فلسطين المسلمة وإقامة إسرائيل عليها، وفرض وجودها بالقوة والسلاح والحرب- جاءت بالانتخابات، ولكنها لا يمكن أن تكون محترمة، لأنها حكومة غاصبة معتدية غير شرعية.

والحكومتان اللتان أقامهما الاحتلال الأمريكي في العراق وأفغانستان، لا يمكن أن تكونا حكومتين محترمتين، فهما حكومتان عميلتان سواء صحت نتيجة الانتخابات التي جاءت بهما أو لم تصح.

والحكومة الأمريكية والبريطانية وسائر الحكومات الغربية التي تقوم على اتباع هوى الجماهير -والتي جاءت عبر انتخابات صحيحة، والتي صوتت برلماناتها بأغليتها على العدوان على أفغانستان والعراق، ومن قبلهما على إنشاء إسرائيل على فلسطين المسلمة إلى آخر جرائمهم التي ارتكبتها ضد المسلمين- حكومات ديمقراطية جاءت عبر انتخابات صحيحة، هذه الحكومات حكومات جاهلية معتدية مجرمة ظالمة، لا يمكن أن تكون محترمة.

وأية حكومة تقوم على دستور علماني أو إلحادي أو مخالف للإسلام لا يمكن أن تكون حكومة محترمة لأنها حكومة غير شرعية جاهلية. ولا يمكن أن يقبل أن يعطيها قيادي في الإخوان شهادة احترام، حتى وإن جاءت بانتخابات صحيحة.

³⁷⁴ الأحزاب السياسية العربية وعلاقتها بتحركات الشارع العربي، قناة الجزيرة الفضائية، برنامج حوار مفتوح.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وهذا الخلط قد يتساهل فيه مع من لم يدرك الأسس العقائدية للإسلام، أما من قيادي في حركة تزعم أنها كبرى الحركات الإسلامية، فالأمر يحتاج لوقفه تأمل كبيرة في مدى الانحراف العقائدي في حركة تزعم ذلك الزعم العريض. والمؤسف أيضاً أنه يؤكد -بما لا يسمح بالاعتذار له والتبرير- على احترامه لكل نظام جاء عبر صندوق الانتخابات، حتى ولو لم يرفع شعارات الإسلام!!
فلننظر أيها القارئ الكريم في هذا الذي يحترمه ذلك القيادي، ثم لتساءل هل ما يحترمه يستحق الاحترام أم لا؟
وسأتناول استبداد هوى الأغلبية -إن شاء الله- تحت العناوين التالية:

(أ) استبداد هوى الأغلبية نظرياً.

(ب) استبداد هوى الأغلبية عملياً.

(أ) استبداد هوى الأغلبية نظرياً.

يعرف قاموس وبستر الملحق بالموسوعة البريطانية (الديمقراطية) بأنها:

"1- أ- حكومة الشعب، وخاصة حكم الأغلبية.

ب- حكومة تناط السلطة العليا فيها بالشعب، وتمارس عن طريقه مباشرة أو غير مباشرة، عبر نظام للتمثيل، عادة ما يتضمن انتخابات حرة تجرى دورياً.

2- وحدة ديمقراطية لديها نظام ديمقراطي.

3- بحرف استهلاكي كبير³⁷⁵، مبادئ وسياسات الحزب الديمقراطي بالولايات المتحدة.

4- عامة الناس، وخاصة إذا مثلوا مصدر السلطة السياسية.

³⁷⁵ أي إذا كتبت بحرف استهلاكي كبير.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
5- غياب المزايا والفروق الطبقيّة الوراثية أو
الاستبدادية³⁷⁶.

ومن هذا التعريف يتبين أن الديمقراطية هي سلطة الشعب دون الالتزام بأي قيمة أو مرجعية أخلاقية أو دينية أو قيمية، وليست إلا إرادة الشعب ورغبته وميله وهو³⁷⁷.

وينقل الشيخ سفر الحوالي عن سمول قوله:

"إن رأسمالنا الأخلاقي -إذا تحدثنا بوجه عام- إنما يتكون من مجموعة من الأخلاقيات الإقليمية يعوزها التجانس، وبهذه الأخلاقيات يحتفظ المجتمع بحركته، ولكنه رغم هذا يبعثر مجهوداً هائلاً يبذله في تلك الاحتكاكات التي تعوق حركته، إننا لا نملك مستوى أخلاقياً عاماً تستطيع أن تحتكم إليه طبقة من الناس ضد أخرى، وتستمد منه حكماً تلتزم بقبوله الطبقة التي تخسر القضية.

فلنفترض -على سبيل المثال- أننا وسط صراع من صراعات العمال وأصحاب الأعمال، وقد اقترح أن تحال المشكلة إلى التحكيم، ثم تقابل ممثلو الطرفين المتنازعين؛ فإنه سرعان ما يتبين أن النزاع لا يمكن الفصل فيه على أساس أخلاقية، فإن للأطراف المتنازعة وربما لهيئة التحكيم -أيضاً- مستوى أخلاقياً مختلفاً، فأخلاقيات العاملين تقوم على أساس فكرة حق العمل، أما أخلاقيات المحكمين فإنها قد تتأرجح بين تفسير رجل القانون للقانون المدني، وبين فكرة الفيلسوف

³⁷⁶ ENCYCLOPEDIA BRITANNICA 2005 Delux Edition CD, Dictionary, Merriam Webster's Collegiate Dictionary, democracy.

³⁷⁷ راجع ما نقلته سابقاً عن الدكتور عبد الوهاب المسيري -رحمه الله- وهو يذكر (نسبية كل الأمور، وتحول العالم إلى ساحة صراع الإنسان فيها ذئب لأخيه الإنسان والبقاء فيها للأصلح، وإلى عالم يتسم باللامعيارية) أثناء جمعه للمصطلحات متقاربة الدلالة التي تصف الرؤية الغربية العلمانية للعالم.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

المتأمل عن الحقوق المثالية الإنسانية للإنسان
بوصفه إنساناً، أي أنه لا يوجد أخلاقيات مشتركة
نرجع إليها، فلا المتفاضون ولا المحكمون يستطيع
أيهم أن يقنع الآخرين بضرورة التسليم بقاعدة عليا
من الحق"³⁷⁸.

وتقوم الأصول الفكرية لاستبداد هوى الأغلبية
(الديمقراطية) على أسس ثلاثة: سيادة الأمة ومبدأ
المشروعية وحماية الحقوق والحريات العامة.
أما سيادة الأمة فيقول عنها الدكتور صلاح الصاوي:
"والسيادة هي الحاكمية العليا. أو السلطة العليا
الأمرة التي تستأثر بالحق في توجيه الخطاب
الملزم إلى الكافة، والتي لا تعرف فيما تنظمه من
علاقات سلطة أخرى تساونها أو تسامها.

.....

ومن خصائصها:
- التفرد: فلا يوجد على الأقليم الواحد إلا سيادة
واحدة، إرادتها هي القانون، وتوجيهاتها هي
الشريعة الملزمة.

.....

- السمو: فهي إرادة تعلو جميع الإرادات،
وسلطة تسمو على كافة السلطات.
- الأصالة: فهي قائمة بذاتها لم تتلق هذا العلو
من إرادة سابقة عليها أو إرادة أعلى منها.
- العصمة من الخطأ: فكل ما يصدر عن الإرادة
العامة للأمة فهو مشروع لمجرد صدوره منها، فهي
تنزع إلى تأليه هذه الإرادة واعتبارها السلطة
المطلقة، حتى عبر أحد رواد هذه النظرية عن هذا

³⁷⁸ العلمانية نشأتها وتطورها ج: 2 ص: 110، 111.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

المعنى بقوله: لقد انتقلنا من الحق الإلهي للملوك
إلى الحق الإلهي للبرلمانات³⁷⁹

إذن فنحن أمام إله أو آلهة تعبد من دون الله، تأمر وتنهى
ولا تُسأل عما تفعل. نحن أمام أوثان معنوية لا تقل -بل تزيد-
في سلطانها وجبروتها وتآلهها على الأوثان المادية القديمة،
نحن أمام ارتداد بشري تاريخي من التوحيد للشرك، ومن
عبادة الله الواحد الأحد -الذي وصف نفسه فقال: **لَيْسَ
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** {11} **لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** {
12} **سَرَّعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا
تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي
إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ** - إلى آلهة وضعية مادية
تعبد في معابد الشهوات والأهواء والصراعات. وعن هذا
الشرك العصري في مقابل التوحيد يقول الأستاذ الشهيد -كما
نحسبه- سيد قطب، في تفسيره لفواتح سورة الأعراف،
وأستاذن القارئ مرة أخرى في أن أسهب في النقل عن
الأستاذ الشهيد:

"**كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ
وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**".

كتاب أنزل إليك للإنذار به والتذكير.. كتاب للصدع بما فيه
من الحق ولمواجهة الناس بما لا يحبون؛ ولمجابهة عقائد
وتقاليد وارتباطات؛ ولمعارضة نظم وأوضاع ومجتمعات.
فالحرج في طريقه كثير، والمشقة في الإنذار به قائمة.. لا
يدرك ذلك -كما قلنا في التعريف بالسورة- إلا من يقف بهذا
الكتاب هذا الموقف؛

³⁷⁹ التعددية السياسية في الدولة الإسلامية ص: 8 و 9.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ
وَذِكْرٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (2) اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا
تَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (3)﴾.

وإلا من يعاني من الصدع به هذه المعاناة؛ وإلا من يستهدف من التغيير الكامل الشامل في قواعد الحياة البشرية وجذورها، وفي مظاهرها وفروعها، ما كان يستهدفه حامل هذا الكتاب أول مرة [ص] ليواجه به الجاهلية الطاغية في الجزيرة العربية وفي الأرض كلها..

وهذا الموقف ليس مقصوداً على ما كان في الجزيرة العربية يومذاك، وما كان في الأرض من حولها.. إن الإسلام ليس حادثاً تاريخياً، وقع مرة، ثم مضى التاريخ وخلفه وراءه!.. إن الإسلام مواجهة دائمة لهذه البشرية إلى يوم القيامة.. وهو يواجهها كما واجهها أول مرة، كلما انحرفت هي وارتدت إلى مثل ما كانت فيه أول مرة!.. إن البشرية تنتكس بين فترة وأخرى وترجع إلى جاهليتها - وهذه هي "الرجعية" البائسة المرذولة- وعندئذ يتقدم الإسلام مرة أخرى ليؤدي دوره في انتشالها من هذه "الرجعية" مرة أخرى كذلك؛ والأخذ بيدها في طريق التقدم والحضارة؛ ويتعرض حامل دعوته والمنذر بكتابه للخرج الذي تعرض له الداعية الأول [ص] وهو يواجه البشرية بغير ما استكانت إليه من الارتكاس في وحل الجاهلية؛ والغيبوبة في ظلامها الطاغية! ظلام التصورات. وظلام الشهوات. وظلام الطغيان والذل. وظلام العبودية للهوى الذاتي ولأهواء العبيد أيضاً!

.....

لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاءها هذا الدين، وانتكست البشرية إلى جاهلية كاملة شاملة للأصول والفروع والبواطن والظواهر، والسطوح والأعماق!
انتكست البشرية في تصوراتها الاعتقادية ابتداء -حتى الذين كان آبائهم وأجدادهم من المؤمنين بهذا الدين،

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

المسلمين لله المخلصين له الدين- فإن صورة العقيدة قد مسخت في تصورهم ومفهومهم لها في الأعماق..
لقد جاء هذا الدين ليغير وجه العالم، وليقيم عالماً آخر،
يقر فيه سلطان الله وحده ويبطل سلطان الطواغيت. عالماً
يعبد فيه الله وحده -بمعنى "العبادة" الشامل- ولا يعبد معه
أحد من العبيد. عالماً يخرج الله فيه -من شاء- من عبادة
العباد إلى عبادة الله وحده. عالماً يولد فيه "الإنسان" الحر
الكريم النظيف.. المتحرر من شهوته وهواه، تحرره من
العبودية لغير الله.

جاء هذا الدين ليقيم قاعدة: "أشهد أن لا إله إلا الله" التي
جاء بها كل نبي إلى قومه على مدار التاريخ البشري- كما
تقرر هذه السورة وغيرها من سور القرآن الكريم- وشهادة
أن لا إله إلا الله ليس لها مدلول إلا أن تكون الحاكمية العليا
لله في حياة البشر، كما أن له الحاكمية العليا في نظام
الكون سواء. فهو المتحكم في الكون والعباد بقضائه وقدره،
وهو المتحكم في حياة العباد بمنهجه وشريعته.. وبناء على
هذه القاعدة لا يعتقد المسلم أن لله شريكاً في خلق الكون
وتدبيره وتصريفه؛ ولا يتقدم المسلم بالشعائر التعبدية إلا لله
وحده. ولا يتلقى الشرائع والقوانين، والقيم والموازين،
والعقائد والتصورات إلا من الله، ولا يسمح لطاغوت من
العبيد أن يدعي حق الحاكمية في شيء من هذا كله مع الله.
هذه هي قاعدة هذا الدين من ناحية الاعتقاد.. فأين منها
البشرية كلها اليوم؟

إن البشرية تنقسم شيعاً كلها جاهلية.

شيعه ملحدة تنكر وجود الله أصلاً...

وشيعه وثنية...

وشيعه "أهل كتاب" من اليهود والنصارى. وهؤلاء أشركوا
قديماً بنسبة الولد إلى الله. كما أشركوا باتخاذ أحبارهم
ورهبانهم أرباباً من دون الله

.....
ثم هم اليوم يقصون حاكمية الله بجملتها من حياتهم
ويقومون لأنفسهم أنظمة يسمونها "الرأسمالية" و
"الاشتراكية" .. وما إليها. ويقومون لأنفسهم أوضاعاً للحكم
يسمونها "الديمقراطية" و"الديكتاتورية" ... وما إليها.
ويخرجون بذلك عن قاعدة دين الله كله، إلى مثل جاهلية
الإغريق والرومان وغيرهم، في اصطناع أنظمة وأوضاع
للحياة من عند أنفسهم. وشيعة تسمى نفسها "مسلمة"!
وهي تتبع مناهج أهل الكتاب هذه -حذو النعل بالنعل!- خارجة
من دين الله إلى دين العباد. فدين الله هو منهجه وشرعه
ونظامه الذي يضعه للحياة وقانونه. ودين العباد هو منهجهم
وللحياة وشرعهم ونظامهم الذي يضعونه للحياة وقوانينهم!
لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين للبشرية;
وانتكست البشرية بجملتها إلى الجاهلية.

.....
وعاد حامل هذا الكتاب يواجه الحرج الذي كان يواجهه
رسول الله [ص]

.....
وهو يستهدف ابتداء إنشاء عقيدة وتصور في قلوب الناس
وعقولهم تقوم على قاعدة: أشهد أن لا إله إلا الله. وإنشاء
واقع في الأرض يتحرر فيه الإنسان من عبادة العبيد،
ومن عبادة هواه!
إن الإسلام ليس حادثاً تاريخياً، وقع مرة، ثم مضى التاريخ
وخلفه وراءه.. إنه اليوم مدعو لأداء دوره الذي أداه مرة؛ في
مثل الظروف والملابسات والأوضاع والأنظمة والتصورات
والعقائد والقيم والموازين والتقاليد... التي واجهها أول مرة.
إن الجاهلية حالة ووضع؛ وليست فترة تاريخية زمنية

.....
إنها تقوم ابتداء على قاعدة: "حاكمية العباد للعباد"،
ورفض حاكمية الله المطلقة للعباد. تقوم على أساس أن

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

يكون "هوى الإنسان" في أية صورة من صورهِ هو الإله المتحكم.

.....
إن المجتمعات البشرية اليوم -بجملتها- مجتمعات جاهلية. وهي من ثم مجتمعات "متخلفة" أو "رجعية"! بمعنى أنها "رجعت" إلى الجاهلية.

.....
إنه حين تكون الحاكمية العليا لله وحده في مجتمع -متمثلة في سيادة شريعته الربانية- تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي تحرر فيها البشر تحراً حقيقياً كاملاً من العبودية للهوى البشري، ومن العبودية للعبيد. وتكون هذه هي الصورة الوحيدة للإسلام أو للحضارة -كما هي في ميزان الله- لأن الحضارة التي يريدُها الله للناس تقوم على قاعدة أساسية من الكرامة والتحرر لكل فرد، ولا كرامة ولا تحرر مع العبودية لعبيد.. لا كرامة ولا تحرر في مجتمع بعضه أرباب يشرعون ويزاولون حق الحاكمية العليا؛ وبعضهم عبيد يخضعون ويتبعون هؤلاء الأرباب! والتشريع لا ينحصر في الأحكام القانونية، فالقيم والموازين والأخلاق والتقاليد.. كلها تشريع يخضع الأفراد لضغطه شاعرين أو غير شاعرين!.. ومجتمع هذه صفته هو مجتمع رجعي متخلف.. أو بالاصطلاح الإسلامي: "مجتمع جاهلي مشرك"!

وحيث تكون أصرة التجمع في مجتمع هي العقيدة والتصور والفكر ومنهج الحياة. ويكون هذا كله صادراً من الله، لا من هوى فرد، ولا من إرادة عبيد. فإن هذا المجتمع يكون مجتمعاً متحضراً متقدماً. أو بالاصطلاح الإسلامي: مجتمعاً ربانياً مسلماً.. لأن التجمع حينئذ يكون ممثلاً لأعلى ما في "الإنسان" من خصائص -خصائص الروح والفكر- فأما حين تكون أصرة التجمع هي الجنس واللون والقوم والأرض... وما إلى ذلك من الروابط.. فإنه يكون مجتمعاً رجعياً متخلفاً.. أو

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

بالاصطلاح الإسلامي: مجتمعاً جاهلياً مشركاً.. ذلك أن الجنس واللون والقوم والأرض.... وما إلى ذلك من الروابط لا تمثل الحقيقة العليا في "الإنسان". فالإنسان يبقى إنساناً بعد الجنس واللون والقوم والأرض. ولكنه لا يبقى إنساناً بعد الروح والفكر!

ثم هو يملك بإرادته الإنسانية الحرة -وهي أسمى ما أكرمه الله به- أن يغير عقيدته وتصوره وفكره ومنهج حياته من ضلال إلى هدي عن طريق الإدراك والفهم والاقتناع والاتجاه. ولكنه لا يملك أبداً أن يغير جنسه، ولا لونه، ولا قومه. لا يملك أن يحدد سلفاً مولده في جنس ولا لون؛ كما لا يمكنه أن يحدد سلفاً مولده في قوم أو أرض.. فالمجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمر يتعلق بإرادتهم الحرة هو بدون شك أرقى وأمثل وأقوم من المجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمور خارجة عن إرادتهم ولا يد لهم فيه.

وحين تكون "إنسانية الإنسان" هي القيمة العليا في مجتمع؛ وتكون "الخصائص الإنسانية" فيه موضع التكريم والرعاية، يكون هذا المجتمع متحضراً متقدماً.. أو بالاصطلاح الإسلامي: رانياً مسلماً.. فاما حين تكون "المادة" -في أية صورة من صورها- هي القيمة العليا.. سواء في صورة "النظرية" كما في الماركسية، أو في صورة "الإنتاج المادي" كما في أمريكا وأوروبا وسائر المجتمعات التي تعتبر الإنتاج المادي هو القيمة العليا، التي تهدر في سبيلها كل القيم والخصائص الإنسانية -وفي أولها القيم الأخلاقية- فإن هذا المجتمع يكون مجتمعاً رجعيّاً متخلفاً.. أو بالاصطلاح الإسلامي: مجتمعاً جاهلياً مشركاً³⁸⁰..

.....

³⁸⁰ راجع ما نقلته سابقاً عن الدكتور عبد الوهاب المسيري -رحمه الله- وهو يذكر (تشبيهُ وتسليع) الإنسان أثناء جمعه للمصطلحات متقاربة الدلالة، التي تصف الرؤية الغربية العلمانية للعالم.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

والقيم "الإنسانية" والأخلاق "الإنسانية" ليست مسألة غامضة ولا مائعة; وليست كذلك قيماً وأخلاقاً متغيرة لا تستقر على حال -كما يزعم الذين يريدون أن يشيعوا الفوضى في الموازين, فلا يبقى هنالك أصل ثابت يرجع إليه في وزن ولا تقييم.. إنها القيم والأخلاق التي تنمي في الإنسان "خصائص الإنسان" التي ينفرد بها دون الحيوان. وتُغلب فيه هذا الجانب الذي يميزه ويجعل منه إنساناً. وليست هي القيم والأخلاق التي تنمي فيه الجوانب المشتركة بينه وبين الحيوان.. وحين توضع المسألة هذا الوضع يبرز فيها خط فاصل وحاسم وثابت, لا يقبل عملية التميع المستمرة التي يحاولها "التطوريون"! عندئذ لا تكون هناك أخلاق زراعية وأخرى صناعية. ولا أخلاق رأسمالية وأخرى اشتراكية. ولا أخلاق صعلوكية وأخرى برجوازية! لا تكون هناك أخلاق من صنع البيئة ومن مستوى المعيشة, على اعتبار أن هذه العوامل مستقلة في صنع القيم والأخلاق والاصطلاح عليها, وحتمية في نشأتها وتقريرها.. إنما تكون هناك فقط "قيم وأخلاق إنسانية" يسطح عليها المسلمون في المجتمع المتحضر. "وقيم وأخلاق حيوانية" -إذا صح هذا التعبير- يسطح عليها الناس في المجتمع المتخلف.. أو بالاصطلاح الإسلامي تكون هناك قيم وأخلاق ربانية إسلامية, وقيم وأخلاق رجعية جاهلية!

إن المجتمعات التي تسود فيها القيم والأخلاق والنزعات الحيوانية, لا يمكن أن تكون مجتمعات متحضرة, مهما تبلغ من التقدم الصناعي والاقتصادي والعلمي! إن هذا المقياس لا يخطيء في قياس مدى التقدم في الإنسان ذاته

.....

مثل هذه المجتمعات مجتمعات متخلفة غير متحضرة- من وجهة النظر "الإنسانية". وبمقياس خط التقدم الإنساني.. وهي كذلك غير إسلامية.. لأن خط الإسلام هو خط تحرير

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الإنسان من شهواته، وتنمية خصائصه الإنسانية، وتغلبها على نزعاته الحيوانية..

ولا نملك أن نمضي أكثر من هذا في وصف المجتمعات البشرية الحاضرة، وإغراقها في الجاهلية.. من العقيدة إلى الخلق، ومن التصور إلى أوضاع الحياة.. ونحسب أن هذه الإشارات المجملية تكفي لتقرير ملامح الجاهلية في المجتمعات البشرية الحاضرة. ولتقرير حقيقة ما تستهدفه الدعوة الإسلامية اليوم وما يستهدفه الدعاة إلى دين الله.. إنها دعوة البشرية من جديد إلى الدخول في الإسلام: عقيدة وخلقاً ونظاماً.. إنها ذات المحاولة التي كان يتصدى لها رسول الله [ص] وإنها ذات النقطة التي بدأ منها دعوته أول مرة. وإنه ذات الموقف الذي وقفه بهذا الكتاب الذي أنزل إليه؛ وريم- سبحانه- يخاطبه:

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ
وَذِكْرٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾³⁸¹

ثم أقول: ما الفارق من ناحية العقل والإخلاق بين حاكمية الجماهير وحاكمية الملوك وحاكمية الطبقة -سواء كانت طبقة رجال دين أو نبلاء أو كادحين- وحاكمية الحكماء وحاكمية العلماء وحاكمية الشيوخ والنزعماء وحاكمية الأغنياء وحاكمية الأقوياء ... إلخ؟

ما هو الدليل العقلي الذي يمكن أن يطرح في مقابل رأي أفلاطون؛ أن أفضل حكومة هي التي تقودها أقلية من أكثر الأشخاص أهلية؛ أرستقراطية من (الملوك الفلاسفة)³⁸²؟ وما هو الدليل العقلي الذي يمكن أن يطرح في مقابل الرأي القائل أن حكم الخبراء أفضل من حكم الدهماء، الذين لا يفقهون في المشاكل المعقدة، وأن رأي خبير اقتصادي أو عالم في فرع من فروع العلم أو قائد عسكري محنك أفضل

³⁸¹ في ظلال القرآن- سورة الأعراف- الآيات 1 إلى 9- ج: 3 ص: 1254 إلى 1259.

³⁸² ENCYCLOPEDIA BRITANNICA 2005 Delux Edition CD, democracy,

Fundamental questions.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

من آراء الجماهير التي لا تنظر إلا لمصالحها الآنية، حتى وإن
أضاعت المصالح العامة؟

وما هو الدليل الأخلاقي الذي يمكن أن يطرح في مقابل
الرأي القائل بأن حكم الشرفاء الأمناء أصحاب الأخلاق والقيم
- وإن كانوا أقلية- أفضل من حكم الجماهير، التي تتحكم فيها
الأهواء؟

إذا كان جواب الديمقراطيين أن حاكمية الجماهير هي
أفضلهم، فإن سألنا لماذا؟ سيجيبون لأنها أقلهم شراً وأكثرهم
خيراً وأقربهم للعدالة، وهنا يتناقضون، إذ ما هو الشر وما هو
الخير وما هي العدالة؟ والأمر كله راجع لهوى الجماهير دون
أي قيد أو مرجعية، وقد يجمع الديمقراطيون بين التناقض
والمكابرة فيقولون: قد لا نملك الأساس الأخلاقي والعقلي
لتفضيل حاكمية الجماهير على ما سواها من الحاكميات،
ولكننا باستقراء التاريخ وجدنا أنها أقرب للعدالة والخير
وأبعدها عن الظلم والشر.

وهذا قول متناقض كسابقه، وربما أشد تناقضاً، ويقال
لقائله أخبرنا أولاً عن هذا الخير وذلك الشر وتلك العدالة
المسلم بهم لدى جميع البشر حتى نحاكمك إليها. بل حتى
المسلم بها لدى أمة واحدة أو شعب واحد.

وإذا كانوا يعرفون الخير والشر والعدالة، فلماذا لم
يحكموها بدلاً من هوى الجماهير؟ ولماذا كل هذا العنت في
دخول الانتخابات والصراعات السياسية، أليس من الأوفر
للجهد والمال، وأروح للأعصاب، وأذهب للخصومات أن
تعرض أية قضية على هذا الخير وذلك الشر وتلك العدالة
فيقبل ما يوافقها وينبذ ما يخالفها؟

وإذا كانت كل تلك الإجابات على الأسئلة السابقة بهذا
المستوى من التناقض والتخبط، فماذا تكون إجابتهم إذا
سئلوا: أيهما أفضل وأحق وأوجب وأصلح حكم الخالق العليم
الخبير أم حكم المخلوق الجهول الظلوم؟؟؟

ويكشف الدكتور المسيري -رحمه الله- خبيثة

الديمقراطية، حين يتكلم عن تناقض الحضارة الغربية وهي تحاكم المسؤولين الألمان المتورطين في الإبادة النازية:

"وتتلور هذه النقطة في قضية المسؤولية

الْخُلُقِيَّة لِلتَّنْفِيزِيَّينَ النَّازِيَّيْنَ، فَهَنَّاكَ مِنْ يَنْطَلِقُ مِنْ

المنظور الترشيدي المادي الإجرائي المنفصل عن

القيمة ويذهب إلى أن المواطن النازي الذي

اشترك في عمليات الإبادة لم يكن سوى

بيروقراطي، موظف تنفيذي ("عبد المأمور"، كما

نقول بالعامية المصرية)، يؤدي عمله بكفاءة

عالية، ويُنفذ ما يصدر إليه من أوامر تأتيه من علي،

ولا يتساءل عن مضمونها الأخلاقي ويُنفذها حتى لو

تنافت مع القيم الأخلاقية والإنسانية المطلقة.

فهذا الموظف لا يدين بالولاء الكامل إلا للدولة

والوطن ولا يعيش في ازدواجية الدين والدولة أو

الأخلاق والدولة، فالمطلق الوحيد الذي يؤمن به،

شأنه في هذا شأن أي إنسان علماني شامل، هو

الدولة والوطن، ولذا فعليه أن يذعن لما يصدر له

من أوامر تأتيه من هذه الدولة التي تخدم صالح

الوطن. وهذا ينطبق على الأوامر النازية الخاصة

بالإبادة!

ولكن هناك آخرون، ممن يؤمنون بالمطلقات

الأخلاقية والإنسانية، يذهبون إلى أن الإنسان الفرد

كائن حر مسئول، ولذا فعليه أن يتحمل المسؤولية

الأخلاقية الكاملة لما يأتيه من أفعال، ومن ثم عليه

أن يقف ضد عمليات إبادة الضعفاء (من المسنين

والمعوقين وأعضاء الأقليات)، حتى لو كانت عملية

الإبادة تخدم "الصالح العام" أي صالح الدولة

والوطن! أي أن الإنسان الفرد يدين بالولاء

لمجموعة من القيم الأخلاقية والإنسانية المطلقة

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
تتجاوز ولاءه للدولة والوطن وكفاءة الأداء في
الوظيفة.

وهذه إشكالية فلسفية وأخلاقية وإنسانية عميقة
تواجهها المنظومة العلمانية الشاملة، فهي
منظومة فلسفية تنكر الميثافيزيقا والثنائيات
والمطلقات وتؤكد نسبية المعرفة وكل القيم
الأخلاقية، وهو ما يعني، بطبيعة الحال، غياب
المرجعية المتجاوزة (التي تتجاوز الأفراد) وظهور
المرجعية المادية الكامنة، حين يحدد كل إنسان
قيمه بنفسه دون العودة إلى أية مطلقات أو
ثوابت إنسانية (كما يدعو فكر ما بعد الحداثة).
وإذا كان الألمان، انطلاقاً من المرجعية المادية
الكامنة فيهم، قد حدّدوا قيمهم الأخلاقية على
أسس نفعية مادية داروينية، وسلكوا على هذا
الأساس، فكيف يمكن لنا أن نتجاوز ذاتيتهم
الكامنة فيهم؟ وكيف يمكن لنا أن نهيب بقيم
أخلاقية وإنسانية، عامة مطلقة، تقع خارج نطاق
مُثلهم الذاتية؟ كيف يمكن أن نفعل ذلك إن كنا
نحن أنفسنا نؤمن بالنسبة المطلقة؟ كيف يمكن
اختراق المطلق الذاتي؟ كيف يمكن أن نبين
للشعب المختار، صاحب الحقوق المطلقة،
المسلح بالمدافع الرشاشة والقنابل النووية، أن
ثمة إنسانية عامة وثمة قيم أخلاقية عامة، إن كنا
نحن أنفسنا نسيئ، علمانيين شاملين حركيين
نرفض الثبات ولا نرى إلا حركة المادة وقوانينها
الصماء؟ يقول البعض ممن يحاول اتخاذ موقف
أخلاقي دون الإهابة بأية مرجعية متجاوزة، إن
الإنسان بوسعه أن يأخذ موقفاً ذاتياً وجودياً،
ويرفض إبادة الآخر بإصرار وعناد، أي أن الإنسان

بوسعه أن يتبنى موقفاً أخلاقياً دون السقوط في
المتنافيزيقا ودون الإهابة بأية مرجعية متجاوزة أو
كليات مجردة. ولكن هل يمكن محاكمة الآخر من
هذا المنظور إن كان لا يؤمن به؟ ألا يعني هذا أنني
أفرض ذاتي الأخلاقية الوجودية على ذاته
الداروينية النفعية المادية؟

هذه هي الإشكالية التي نبهنا لها ماكس فيبر
وغيره من علماء الاجتماع والمفكرين الغربيين
حينما بدأوا في إطلاق التحذيرات، منذ أواخر
القرن التاسع عشر، من العلم المنفصل عن
القيمة، وهي إشكالية تثيرها، وبحدة، الإبادة النازية
لل يهود والأطفال والمعوقين والعجزة والفجر، وكل
من لا فائدة له، من المنظور النازي. والحوار
الدائر في الغرب بشأن الإبادة يُركز على تفاصيل
مثل عدد الضحايا وهل هم يهود فقط أو غيرهم
(مما أسماه "لعبة الأرقام") ويهمل قضية إنسانية
جوهرية مثل هذه تتجاوز حدود الإبادة النازية لتصل
إلى مستوى المجتمع الحديث بأسره، ومستقبل
الإنسان على هذه الأرض.

وقد أثرت مؤخراً قضية وثيقة الصلة تماماً
بقضية انفصال العلم عن القيمة ألا وهي قضية
انفصال الإجراءات الديمقراطية عن القيمة.
فالديموقراطية هي في واقع الأمر اتفاق على
مجموعة من الإجراءات تمكن من خلالها معرفة
رأي الأغلبية، وجوهر هذه الإجراءات كمي، أي
حساب عدد الأصوات المؤيدة والمعارضة، فإن
زادت الأصوات المؤيدة عن الأصوات المعارضة
ولو صوتاً واحداً تم تمرير مشروع القانون، وإن
نقصت ولو صوتاً واحداً رُفض المشروع. فالاتفاق
هنا اتفاق بشأن الإجراءات وحسب (وقوانين

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

اللعبة، كما تُسمّى)، وليس متصلاً بمضمونها أو اتجاهها، فهذه أمور تحددها العملية الديمقراطية نفسها، دون الالتزام بأية قيم أو مرجعات مسبقة، أي أن الديمقراطية تدور في إطار النسبية الكاملة ولا تتقيد بأية قيم أخلاقية مطلقة. ومن ثم سُمّيت الأخلاق الحاكمة للديموقراطية بأنها "أخلاقيات الإجراءات والضرورة" (بالإنجليزية: إتيكس أوف بروسييس ethics of process). فالديموقراطية، شأنها شأن الترشيد الإجرائي، معقمة من الميتافيزيقا والكليات والمطلقات والثوابت. فكما أن العلم انفصل عن الغائيات والقيم الإنسانية وأصبح مرجعية نفسه، انفصلت الإجراءات الديمقراطية عن الغائيات والقيم الإنسانية وأصبحت مرجعية ذاتها، ولا يمكن محاكمتها من خلال مرجعية متجاوزة لها.

والقضية التي تثيرها النازية هي أن هتلر وصل إلى الحكم من خلال إجراءات ديموقراطية سليمة، تماماً كما أن المشروع الإمبريالي الغربي قامت به حكومات تم انتخابها بطرق ديموقراطية سليمة. ومن المعروف أن عمليات السخرة والإبادة التي قام بها النظام النازي كانت تحظى بموافقة الأغلبية الساحقة للشعب الألماني. وهذا لا يختلف كثيراً عما حدث في الولايات المتحدة حينما قامت الحكومة الأمريكية بوضع ألوف المواطنين الأمريكيين من أصل ياباني في معسكرات اعتقال إبان الحرب العالمية الثانية كإجراء أمني، وقد حظى القرار العنصري الإرهابي

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

موافقة الأغلبية³⁸³. وتصبح القضية أكثر خطورة حينما تظهر بين جماهير الشعب نزعات عسكرية وإمبريالية تتجاوز طموحات النخبة الحاكمة، الأمر الذي يضطرها إلى القيام بعمليات عسكرية عدوانية لتحظى برضى الجماهير. ويُلاحظ أثناء حملات الرئاسة الأمريكية أن حكومة الولايات المتحدة تأخذ مواقف عسكرية متشددة قد لا تضطر لاتخاذها بعد الانتخاب. وتظهر المشكلة بشكل أكثر حدة حينما يرى أحد الشعوب أن قطاع الاتجار في المخدرات هو عصب اقتصادها الوطني، وتُنتخب حكومة تدافع عن مثل هذه السياسة. ومؤخراً رشحت إحدى نجومات أفلام الإباحية نفسها في انتخابات البرلمان الإيطالي، وكانت حملتها الانتخابية تلخص في خلعتها لملايسها لإقناع وإغواء الناخبين (وقد نجحت في حملتها وتم انتخابها بالفعل بتفوق). وفي الجيوب الاستيطانية، مثل إسرائيل وجنوب أفريقيا، عادةً ما تحكمها حكومات تم انتخابها بطريقة ديموقراطية لا شبيهة فيها، وهذه الجيوب تستند إلى فعل سرقة تاريخي تقبل به أغلبية المستوطنين الساحقة، وتصوت (بل تقاتل) من أجل استمراره. ففعل الاغتصاب الإرهابي يحظى بدعم سياسي وقبول ديموقراطي.

³⁸³ تماماً كما يحدث في جواتانامو والسجون السرية، والدول التي تسلم إليها أمريكا المعتقلين، في حربها على الإسلام باسم الإرهاب، فقد منحت أمريكا نفسها الحق في التنصل من اتفاقيات جنيف، ومن ميثاقهم لحقوق الإنسان (الأبيض)، وأعطت نفسها صلاحية اعتقال من تشاء من حيث ما تشاء، واعتقاله وتعذيبه أينما تشاء، أو تسليمه لمن تشاء، ولأية فترة تشاء، وتحت أية ظروف تشاء، وبموجب أية قوانين تشاء، ثم التصرف بشأنه بعد ذلك بما تشاء، دون رقيب من اتفاقيات الغرب ولا موثيقه. إن الحرب على الإسلام باسم الإرهاب لم تهزم الغرب عسكرياً واقتصادياً فقط، ولكنها قبل كل ذلك هزمته معنوياً وخلقياً، وكشفت عن حقيقة تفوقه المزعوم.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

والسؤال الآن هو: هل علينا أن نقبل بمثل هذه القرارات (ابتداءً من الإبادة النازية وانتهاءً بقبول المخدرات والإباحية واغتصاب الأوطان) باعتبار أنها تعبير عن إرادة الشعب وصوت الجماهير طالما أنها اتبعت الإجراءات الديمقراطية السليمة، أم ينبغي علينا أن نرفض مثل هذه القرارات الديمقراطية، استناداً إلى مرجعية أخلاقية متجاوزة للإجراءات الديمقراطية؟ ولكن هل يحق لنا أن نسأل أي سؤال يقع خارج نطاق أخلاقيات الإجراءات والضرورة؟ ألا يشكل هذا سقوطاً في الميثافيزيقا والماهوية والمطلعية؟³⁸⁴

يقول الأستاذ الشهيد - كما نحسبه - سيد قطب - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾:

"إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص. فالجاهلية - كما يصفها الله ويحدها قرآنه - هي حكم البشر للبشر، لأنها هي عبودية البشر للبشر.

.....
إن الجاهلية - في ضوء هذا النص - ليست فترة من الزمان؛ ولكنها وضع من الأوضاع. هذا الوضع يوحد بالأمس، ويوحد اليوم، ويوحد غداً، فيأخذ صفة الجاهلية، المقابلة للإسلام، والمناقضة للإسلام.

والناس - في أي زمان وفي أي مكان - إما أنهم يحكمون بشريعة الله - دون فتنة عن بعض منها -

³⁸⁴ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية - المجلد الثاني: الجماعات اليهودية: إشكاليات - الجزء الرابع: عداء الأعداء الأزلي لليهود واليهودية - الباب الخامس: بعض إشكاليات الإبادة النازية ليهود أوروبا - إشكالية انفصال القيمة الأخلاقية والغائية الإنسانية عن العلم والتكنولوجيا ج: 2 ص: 218 و 327.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

ويقبلونها ويسلمون بها تسليماً، فهم إذن في دين
الله. وإما إنهم يحكمون بشرعية من صنع البشر
-في أي صورة من الصور- ويقبلونها فهم إذن في
جاهلية؛ وهم في دين من يحكمون بشرعته،
وليسوا بحال في دين الله. والذي لا يتغى حكم الله
يتغى حكم الجاهلية؛ والذي يرفض شرعية الله
يقبل شرعية الجاهلية، ويعيش في الجاهلية.
وهذا مفرق الطريق، يقف الله الناس عليه.
وهم بعد ذلك بالخيار!

ثم يسألهم سؤال استنكار لابتغائهم حكم
الجاهلية؛ وسؤال تقرير لأفضلية حكم الله.
ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟..

.....
إنه مفرق الطريق، الذي لا معدى عنده من
الاختيار؛ ولا فائدة في المماحكة عنده ولا الحدال..
إما إسلام وإما جاهلية. إما إيمان وإما كفر. إما
حكم الله وإما حكم الجاهلية³⁸⁵

(ب) استبداد هوى الأغلبية عملياً.
وبعد أن تعرضت بإيجاز للأساس النظري لاستبداد هوى
الأغلبية أو ما يسمونه بالديمقراطية، أتعرض لها من الناحية
العملية تحت العناوين التالية:

- [1] تساؤلات حول استبداد هوى الأغلبية (الديمقراطية).
 - [أ] هل الديمقراطية تمثل الأمة؟
 - [ب] هل الديمقراطية توفر الحرية؟
 - [ج] هل الديمقراطية توفر المساواة؟
 - [د] هل الديمقراطية توفر العدالة؟
- [2] أمثلة من ثمار الديمقراطية.

[1] تساؤلات حول استبداد هوى الأغلبية (الديمقراطية).

³⁸⁵ في ظلال القرآن- سورة المائدة- الآيات من 41 إلى 50 ج 2: ص: 904 و 905.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

[أ] هل الديمقراطية تمثل الأمة؟

بعد أن أكد دعاة الديمقراطية على سيادة الأمة باعتبارها السلطة العليا التي لا تنازع، تراجعوا بعد أول خطوة، فقالوا: إن الديمقراطية تعطي السلطة لإرادة الأغلبية - وليس كل الأمة - ضد إرادة الأقلية، ثم تراجعوا بعد ثاني خطوة، فقالوا: إن الديمقراطية تمارس عبر نظام تمثيل يبنني على الاقتراع، الذي يعطي السلطة لأغلبية المقترعين، وليس لأغلبية الأمة، ثم تراجعوا بعد ثالث خطوة، فقالوا: إن الديمقراطية تعطي السلطة لأغلبية نواب المقترعين.

وإذا تبين لنا أن الديمقراطية لا تمثل الأمة، وإنما تمثل أغلبية نواب البرلمان، فهل هؤلاء يمثلون أغلبية الأمة؟ إذا استبعدنا العوامل القوية التأثير في آراء الناخبين مثل قوة المال والإعلام والضغط السياسية... إلخ، وركزنا فقط على عملية الانتخاب والتصويت، فإن نسبة المشاركة في الانتخابات تكون أقل من 100%. ففي الولايات المتحدة مثلاً عادة ما تكون نسبة المشاركة في الانتخابات القومية الرئاسية أقل من 50% من الناخبين المسجلين وليس كل من لهم حق التصويت، ومن لهم حق التصويت لا يشكلون كل سكان أمريكا. وأن تلك النسبة لا تزيد عن 30% في انتخابات الكونجرس في غير سنوات الانتخابات الرئاسية، بل وتقل عن ذلك في انتخابات الولايات. بينما تصل في الدول الأوروبية لأكثر من 80%³⁸⁶. إلا أن الدراسات قد سجلت انخفاضاً طويلاً المدى في نسبة المشاركة في الانتخابات منذ السبعينيات³⁸⁷. ففي المملكة المتحدة كانت نسبة المشاركة في الانتخابات عام 1992 78% من المسجلين، بينما انخفضت في عام 1997 إلى 71%، وتدنت النسبة إلى 59%

³⁸⁶ Microsoft Encarta 2008, Election.

³⁸⁷ ENCYCLOPEDIA BRITANNICA 2005 Delux Edition CD, election, Participation in elections

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

في عام 2001، ثم ارتفعت قليلاً في عام 2005 إلى
61%³⁸⁸.

أما في داخل البرلمان فإن النصاب المطلوب لعقد
الجلسات عادة ما يكون النصف زائد واحد. فمثلاً في مجلس
النواب الأمريكي ينعقد النصاب بحضور 218 نائباً من مجموع
435 نائباً، بينما في مجلس الشيوخ ينعقد النصاب بحضور 51
عضواً من مجموع 100 عضو³⁸⁹.

فلو افترضنا صورة خيالية لا وجود لها في الواقع تتكون من
عدد من الممتمتعات المترابكة، وقلنا أن كل البالغين في وطن
ما يحق لهم التصويت، وأن كل من يحق له التصويت سجل
نفسه في قائمة المقترعين، وأن كل المسجلين في قوائم
المقترعين قد شاركوا في الانتخابات، وأن كل من شارك في
الانتخابات كانت أصواتهم صحيحة وليست باطلة مستبعدة،
فمعنى هذا أن الفائزين في الانتخابات يمثلون 100% من
الشعب، فإذا ذهبوا للبرلمان، فإن 51% يمكنهم أن يعقدوا
جلسة قانونية، وفي تلك الجلسة يمكن لـ 26% أن يمرروا
معظم القوانين، أي أن من يمثلون 26% من الشعب يمكنهم
أن يفرضوا إرادتهم، ويتحكموا في أنفسهم وأموال وتصرفات
وحرية 74% من الشعب. أما القرارات الاستثنائية التي
يتطلب إقرارها ثلثي الأعضاء، فإن 33,66% يمكنهم أن
يفرضوا إرادتهم على 67,44% من الشعب.

أما إذا اعتبرنا صورة عملية، واعتبرنا النسبة للقصى
للمشاركة، وفرضنا أن الانتخابات قد شارك فيها 80% من
الناخبين المسجلين، وفاز حزب فيها بالأغلبية بنسبة 60%
(أي أنه يمثل 48% من مجموع من الناخبين المسجلين،
وليس كل الشعب)، فإذا عقدت جلسة البرلمان بنسبة 51%
من النواب (أي بنواب يمثلون 40,8% من الناخبين

³⁸⁸ Microsoft Encarta 2008, United Kingdom.

³⁸⁹ Microsoft Encarta 2008, Congress of the United States, Congressional Glossary,
Quorum.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

(المسجلين)، فإن حزب الأغلبية سيكون له 30,6% من عدد النواب (يمثلون 24,48% من مجموع الناخبين المسجلين). ويكفي لتمرير معظم القوانين الأغلبية المطلقة فقط (أي ما يزيد عن 20,4% من مجموع الناخبين المسجلين)، أي أن معظم القوانين يمكن أن تفرضها أقلية تمثل 20,5% من مجموع الناخبين المسجلين على 79,5% من مجموع الناخبين المسجلين. وحتى في بعض الحالات الاستثنائية التي يتطلب تمريرها ثلثي الأعضاء فإن من يمثلون 26,93% يملكون أن يفرضوا إرادتهم على من يمثلون 73,07% من مجموع الناخبين المسجلين.

والمثال السابق حسبه باعتبار النسبة الأقصى للمشاركة وهي 80% من عدد الناخبين المسجلين، فإذا حسبه باعتبار الحد الأدنى وهو 30% فستكون النتيجة مهزلة مضحكة. فإذا علمت أن مجموع الناخبين المسجلين أقل من عدد الذين يحق لهم التصويت، وأن عدد الذين لهم حق التصويت لا يشكلون كل أفراد الشعب، تبين لك مدى الخداع في أن الديمقراطية هي حكم الشعب أو حتى حكم أغلب الشعب، وهنا يمكن القول -عند التحقيق العملي- أن ما سميته نظرياً (استبداد هوى الأغلبية) هو عملياً (استبداد هوى الأقلية). ولذلك يتكلمون كثيراً عن الأغلبية الصامتة!!

هذا باعتبار خيالي وهو أن الظروف السياسية نزيهة أمينة بعيدة عن تأثير الإعلام وتجارة اللذة ورؤوس الأموال. أما إذا هبطنا للواقع العملي فسيبين لكل ذي عينين أن الديمقراطية الغربية هي في الحقيقة استبداد أصحاب النفوذ والسلطة في المجتمع، ولا يمكن بأي حال أن تمثل أغلبية الشعب. يقول هارولد لاسكي:

"إن الدولة الديمقراطية تبذل الكثير في سبيل تحقيق المساواة بين المواطنين فيما تمنحهم من ضمانات، كما تتجه أوامرها القانونية إلى حماية

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الملكية القائمة للامتيازات أكثر مما تعمل على
توسيع نطاقها، فانقسام المجتمع إلى فقراء
وأغنياء يجعل أوامر الدولة القانونية تعمل لصالح
الأغنياء... إذ أن نفوذهم يرغم نواب الدولة وذوي
السلطة فيها على أن يكون لرغباتهم الاعتبار
الأول.

وتعتبر الدولة عن رغبات أولئك الذين يسيطرون
على النظام الاقتصادي، فالنظام القانوني بمثابة
قناع تختفي وراءه مصلحة اقتصادية مسيطرة
لتضمن الاستفادة من النفوذ السياسي، فالدولة
أثناء ممارستها لسلطتها لا تعتمد إلى تحقيق العدالة
العامة أو المنفعة العامة، وإنما تعمل على تحقيق
المصلحة للطبقة المسيطرة في المجتمع بأوسع
معاني هذه المصلحة.

إن الحرية والمساواة اللتين حصلنا عليهما كانتا
أولاً وقبل كل شيء حرية ومساواة لمالك
الثروة"³⁹⁰.

[ب] هل الديمقراطية توفر الحرية؟

"1" الحرية الحقيقية في العبودية لله. وطالما كانت
مرجعية الإنسان في تصوراتها واعتقاداته وتشريعاته وأحكامه
وأخلاقه وأدابه من إنسان أو أناس مثله، فلن يكون إلا عبداً
لهم، يتحكمون فيه بما تزين لهم أهواؤهم وأراؤهم. يقول
الأستاذ الشهيد -كما نحسبه- سيد قطب -رحمه الله- عن
منهج الإسلام:

"إنه المنهج الوحيد الذي يتحرر فيه الإنسان من
العبودية للإنسان.. ففي كل منهج -غير المنهج
الإسلامي- يتعبد الناس الناس. ويعبد الناس الناس.

³⁹⁰ العلمانية نشأتها وتطورها ج: 1 ص: 205.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

وفي المنهج الإسلامي - وحده - يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده بلا شريك..
إن أخص خصائص الألوهية - كما أسلفنا - هي الحاكمية.. والذي يشرع لمجموعة من الناس يأخذ فيهم مكان الألوهية ويستخدم خصائصها. فهم عبده لا عبد الله، وهم في دينه لا في دين الله.

والإسلام حين يجعل الشريعة لله وحده، يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ويعلن تحرير الإنسان. بل يعلن "ميلاد الإنسان" .. فالإنسان لا يولد، ولا يوجد، إلا حيث تتحرر رقيقته من حكم إنسان مثله وإلا حين تتساوى في هذا الشأن مع الناس جميعاً أمام رب الناس..

إن هذه القضية التي تعالجها نصوص هذا الدرس هي أخطر وأكبر قضايا العقيدة.. إنها قضية الألوهية والعبودية. قضية العدل والصلاح. قضية الحرية والمساواة. قضية تحرير الإنسان - بل ميلاد الإنسان - وهي من أجل هذا كله كانت قضية الكفر أو الإيمان، وقضية الجاهلية أو الإسلام..

والجاهلية ليست فترة تاريخية؛ إنما هي حالة توحد كلما وجدت مقوماتها في وضع أو نظام.. وهي في صميمها الرجوع بالحكم والتشريع إلى أهواء البشر، لا إلى منهج الله وشريعته للحياة. ويستوي أن تكون هذه الأهواء أهواء فرد، أو أهواء طبقة، أو أهواء أمة، أو أهواء جيل كامل من الناس.. فكلها.. ما دامت لا ترجع إلى شريعة الله.. أهواء..

يشرع فرد لجماعة فإذا هي جاهلية. لأن هواه هو القانون.. أو رأيه هو القانون.. لا فرق إلا في العبارات!

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وتشرع طبقه لسائر الطبقات فإذا هي جاهلية.
لأن مصالح تلك الطبقة هي القانون -أو رأي الأغلبية
البرلمانية هو القانون- فلا فرق إلا في العبارات!
ويشرع ممثلو جميع الطبقات وجميع القطاعات
في الأمة لأنفسهم فإذا هي جاهلية.. لأن أهواء
الناس الذين لا يتجردون أبداً من الأهواء، ولأن جهل
الناس الذين لا يتجردون أبداً من الجهل، هو
القانون -أو لأن رأي الشعب هو القانون- فلا فرق
إلا في العبارات!

وتشرع مجموعة من الأمم للبشرية فإذا هي
جاهلية. لأن أهدافها القومية هي القانون -أو رأي
المحامع الدولية هو القانون- فلا فرق إلا في
العبارات!

ويشرع خالق الأفراد، وخالق الجماعات، وخالق
الأمم والأجيال، للجميع، فإذا هي شريعة الله التي لا
محابة فيها لأحد على حساب أحد. لا لفرد ولا
لجماعة ولا لدولة، ولا لجيل من الأجيال. لأن الله
رب الجميع والكل لديه سواء. ولأن الله يعلم
حقيقة الجميع ومصحة الجميع، فلا يفوته -سبحانه-
أن يرعى مصالحهم وحاجاتهم بدون تفريط ولا
إفراط.

ويشرع غير الله للناس.. فإذا هم عبد من بشرع
لهم. كائناً من كان. فرداً أو طبقة أو أمة أو
مجموعة من الأمم..

ويشرع الله للناس.. فإذا هم كلهم أحرار
متساوون، لا يحنون جباههم إلا لله، ولا يعبدون إلا
الله. ومن هنا خطورة هذه القضية في حياة بني
الإنسان، وفي نظام الكون كله " ³⁹¹.
ويقول أيضاً رحمه الله:

³⁹¹ في ظلال القرآن- سورة المائدة- الآيات من 41 إلى 50 ج: 2 ص: 890 و 891.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

"ولقد حدث أن الذين فسقوا عن الدينونة لله وحده، فأتاحوا لنفر منهم أن يحكمهم وهم بغير شريعته، قد وقعوا في النهاية في شقوة العبودية لغيره. العبودية التي تأكل إنسانيتهم وكراماتهم وحریتهم، مهما اختلفت أشكال الأنظمة التي تحكمهم، والتي ظنوا في بعضها أنها تكفل لهم الإنسانية والحرية والكرامة.

لقد هربت أوروبا من الله -في أثناء هروبها من الكنيسة الطاغية الباغية باسم الدين الزائف- وثارَت على الله -سبحانه- في أثناء ثورتها على تلك الكنيسة التي أهدرت كل القيم الإنسانية في عنفوان سطوتها الغاشمة! ثم ظن الناس أنهم يجدون إنسانيتهم وحریتهم وكرامتهم -ومصالحهم كذلك- في ظل الأنظمة الفردية [الديمقراطية] وعلقوا كل آمالهم على الحريات والضمانات التي تكفلها لهم الدساتير الوضعية، والأوضاع النيابية البرلمانية، والحريات الصحفية، والضمانات القضائية والتشريعية، وحكم الأغلبية المنتخبة... إلى آخر هذه الهالات التي أحيطت بها تلك الأنظمة.. ثم ماذا كانت العاقبة؟ كانت العاقبة هي طغيان "الرأسمالية" ذلك الطغيان الذي أحال كل تلك الضمانات، وكل تلك التشكيلات، إلى مجرد لافتات، أو إلى مجرد خيالات! ووقعت الأكثرية الساحقة في عبودية ذليلة للأقلية الطاغية التي تملك رأس المال.

فتملك معه الأغلبية البرلمانية! والدساتير الوضعية! والحريات الصحفية! وسائر الضمانات التي ظنّها الناس هناك كقيلة بضمان إنسانيتهم وكرامتهم وحریتهم، في معزل عن الله سبحانه!!!

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

ثم هرب فريق من الناس هناك من الأنظمة
الفردية التي يطغي فيها " رأس المال " و" الطبقة "
إلى الأنظمة الجماعية! فماذا فعلوا? لقد استبدلوا
بالدينونة لطبقة "الرأسماليين" الدينونة لطبقة
"الصعاليك"! أو استبدلوا بالدينونة لأصحاب رؤوس
الأموال والشركات الدينونة للدولة التي تملك
المال إلى جانب السلطان! فتصبح أخطر من
طبقة الرأسماليين!

وفي كل حالة، وفي كل وضع، وفي كل نظام،
دان البشر فيه للبشر، دفعوا من أموالهم ومن
أرواحهم الضريبة الفادحة، دفعوها للأرباب
المتنوعة في كل حال.

إنه لا يد من عبودية! فإن لا تكن لله وحده تكن
لغير الله.. والعبودية لله وحده تطلق الناس أحراراً
كراماً شرفاءً أعلياء.. والعبودية لغير الله تأكل
إنسانية الناس وكرامتهم وحراباتهم وفضائلهم. ثم
تأكل أموالهم ومصالحهم المادية في النهاية.

من أجل ذلك كله تنال قضية الألوهية والعبودية
كل تلك العناية في رسالات الله - سبحانه - وفي
كتبه.. وهذه السورة³⁹² نموذج من تلك العناية..
فهي قضية لا تتعلق بعبدة الأصنام والأوثان في
الجاهليات الساذجة البعيدة. ولكنها تتعلق بالإنسان
كله، في كل زمان وفي كل مكان; وتتعلق
بالجاهليات كلها.. جاهليات ما قبل التاريخ،
وجاهليات التاريخ، وجاهلية القرن العشرين. وكل
جاهلية تقوم على أساس من عبادة العباد للعباد"³⁹³

³⁹² سورة هود.

³⁹³ في ظلال القرآن- سورة هود- الآيات من 101 إلى 123 ج: 4 ص: 1942 و
1943.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

"2" الديمقراطية أساساً هي استبداد الأغلبية ونزع حرية الأقلية، ولا تقوم إلا على ذلك، فلا بد من نزع حرية فئة من الشعب وقهرها على حكم الأغلبية، أيًا كانت هذه الأغلبية. فالديمقراطية نظرياً هي فرض إرادة الأغلبية على الأقلية، أي أن الأقلية هنا -من الناحية النظرية- لا بد أن تتنازل عن حريتها للأكثرية مهما كان الفارق ضئيلاً بينهما. فلا بد من وجود فئة مقهورة في المجتمع حتى ولو بلغت 49% منه، ومقهورة لمن؟ لأناس عاديين قد يكونون أسوأ منهم أو أفضل أو مثلهم في ميزان الأخلاق والبادئ والقيم، لا فرق. هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فالديمقراطية -كما أسلفت- هي خضوع أكثرية الشعب لأقلية منه، استطاعت أن توصل ممثليها ليشكلوا أغلبية في البرلمان.

"3" أمثلة من تقييد الحرية باسم الديمقراطية. أسوق هنا بإيجاز بعض الأمثلة الواضحة على منع الديمقراطيات الغربية لحرية غيرها ممن يختلفون معها في عقائدها وتوجهاتها. وقد يؤدي ذلك المنع إلى إدانتهم وسجنهم بل وحصارهم وشن الحروب عليهم.

"أ" من أبرز الأمثلة على عدم احترام الديمقراطيات الغربية للحرية بل حتى لكل الديمقراطية موقفها من فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر وحركة حماس في فلسطين بالانتخابات. ففي الحالة الأولى حركت فرنسا أبناءها في الجيش الجزائري فاكتمت صناديق الانتخابات بجنازير الدبابات، وألقت بزعماء الجبهة وأعضائها في السجون، وبارك العالم الغربي كله ما جرى، بل واعترف بالحكومات التي قامت على هذا الانقلاب ونتائج كل الانتخابات التي تلتها، وتمت على أيدي رجالها. أما في الحالة الثانية ففرضت الديمقراطيات الغربية الحصار على غزة،

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وفرضت عليها شروط اللجنة الرباعية الاستسلامية في مقابل رفع الحصار عنها والاعتراف بها.

وقد ذكرت في (المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية)

أن كتاب مؤسسة راند لا يرحبون بفوز حركة حماس في فلسطين، التي يعتبرونها من الإسلاميين الأصوليين، ويقولون إن فوزها في الانتخابات يعطي مثلاً ظاهراً على أن العملية التحررية قد تؤدي لنتائج غير تحررية، مما يزيد القلق بشأن الضغط على الأنظمة الاستبدادية لمزيد من الانفتاح السياسي، الذي قد يؤدي لإحلال الأصوليين الإسلاميين محلها³⁹⁴.

أي أن الضغط على الأنظمة الاستبدادية لمزيد من الانفتاح السياسي ليس مطلوباً لذاته، بل للسماح بنمو وانتشار مجموعات من الليبراليين الديمقراطيين المعادين للإسلام، أما إذا أدى هذا الضغط لانتشار نفوذ الاتجاهات الإسلامية، فهنا يجب الحذر وإعادة النظر في ذلك الانفتاح السياسي، الذي قد يجلب المشاكل، التي تتكفل الأنظمة القمعية الطاغية المحاربة للإسلام بحلها، بطرقها الخاصة التي غالباً ما تكون قذرة وغير ديمقراطية.

ورغم موقفهم غير الديمقراطي من فوز حماس بالانتخابات، فإن كتاب مؤسسة راند لا يخجلون ولا يشعرون بالحرج أن يذكروا -بعد قرابة خمسين صفحة من قلقهم هذا- أن من أهم علامات تمييز المسلمين المعتدلين؛ التزامهم بالديمقراطية كما تفهمها التقاليد التحررية الغربية، واتفاهم على أن الشرعية السياسية تستمد من إرادة الشعب عبر انتخابات ديمقراطية حرة³⁹⁵.

ما معنى هذا التناقض؟

معنى هذا التناقض أمور هامة يجب التنبيه لها:

³⁹⁴ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 45.

³⁹⁵ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 66.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

{1} فالغرب يرى أن الديمقراطية لعبة غربية، لا يستحقها غيرهم من مخلوقات الله البشرية التي تشاركهم الكرة الأرضية، وأن ديمقراطية هؤلاء التابعين الأدنى درجة تُقبل فقط إذا كانت تتفق مع أهواء ومصالح الغرب الأعلى درجة، فإن خالفتها، فيجب إيقاف تلك اللعبة، لأن اللاعبين أفسدوها، أو لم يحسنوا لعبها.

{2} وهذا هو الدرس المتكرر الذي يجب أن تفهمه الحركات المنتسبة للإسلام، التي تخلت عن حاكمية الشريعة، ورضيت بخوض الانتخابات المبنية على الدساتير العلمانية. تلك الحركات التي زعمت أنها تمارس العمل السياسي، وأنها أدري بأحوال الدنيا وغيابها السياسة وتلايف الحكم وغيابها الدول، وزعمت أن من ينتقدها، ويطالبها بالالتزام بعقائد الإسلام، وعدم التخلي عن حاكمية الإسلام، قبل أن تصل للحكم، وأن من بين لها أن حاكمية الشريعة لا يمكن التنازل عنها من أجل بضعة مقاعد في برلمان معلق انتجته انتخابات مزورة، ولا يمكن التخلي عنها من أجل حكومة محاصرة مشلولة غير معترف بها، تحترم القرارات الدولية ولا تكف عن الثناء وكيل المدح لأكابر المجرمين باعة الدين والشرف والأرض والعرض، زعمت أن ذلك الناقد لا يفهم في شؤون الدنيا ما تفهم، وأنه متحجر على مبادئ لا تتفق مع الفكر الوسطي والفهم المتطور، الذي تمرست به تلك الحركات، وأتقنته حتى سار صبغة لها وسمه، وسرى في عروقها فمبع ثوابت، وزحزح رواسي.

كان أخرى بتلك الحركات -بعد تلك الدروس المؤلمة- أن تكف عما تمارسه من تنازلات وترجع عما تزاوله من تفاهم وتناغم وتواد مع أعداء الإسلام وأكابر المجرمين. بعد أن تنازلت عن ثوابت الدين ولم تصل لذي بال من الدنيا، ولكن....

أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوِيِّ قَلَمٌ يَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا
صَحَى الْعَدِ 396

{3} وأن الديمقراطية التي يريدونها الغرب منا ليست الاحتكام لإرادة أغلبية الشعب -إذا اختار الإسلام- كما توهم وطن المتنازلون عن ثوابت الشريعة وحاكمتها، ولكنها الاحتكام لقيم الديمقراطية الغربية ومفاهيم العدالة وحقوق الإنسان (الأبيض) التي ارتضاها العالم الحر، فمن وافقها فهم الديمقراطيون، حتى وإن كانوا أقلية ضئيلة، ومن خالفها فهم المتشددون، حتى وإن كانوا الأكثرية الغالبة.

{4} ثم هذه الديمقراطية الغربية التي يصرون على مطالبتنا بها وإرغامنا عليها، ما هي مرجعيتها؟ إن مرجعيتها هي أغلبية المصوتين -وليست حتى أغلبية الشعب- في الغرب.

إذن ففي عقيدة هؤلاء الغربيين أن أغلبية المصوتين في العالم الغربي ليس من حقهم فقط أن يفرضوا ما يريدونه على العالم الغربي بحكم أغلبية المصوتين وليس أغلبية الشعب، ولكن من حقهم أيضاً أن يفرضوا معتقداتهم ومبادئهم وتصوراتهم للحياة على بقية شعوب الدنيا وخاصة على الأمة المسلمة، وأن من يخالفهم أصولي متشدد يجب محاربه وقتاله ومدافعةه بالقنبلة والكلمة والمال والدعاية.

{5} وهنا يبرز التناقض بين ما يدعون تقديسه من ديمقراطية وبين ما يصرون عليه من ضرورة إبعاد الدين والإسلام والشريعة تحديداً عن الحياة، فإذا اختار الشعب الإسلام في انتخابات حرة، فإنهم يعدون اختياره هذا تصرفاً غير ديمقراطي، لأن ديمقراطيتهم لا تستند على أغلبية شعبية، ولكن تستند على عقيدة فوقية قررها وأقرها الغرب، وعلى بقية البشر أن يقلدوه فيها، حتى وإن كانت الغالبية في العالم الإسلامي تخالفها.

396 البيت لدُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ - الموسوعة الشعرية - دريد بن الصمة.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

تؤكد إنجل راباسا وزملاؤها من مؤسسة راند على علامات
مميزة للمعتدلين -من المسلمين في زعمهم- الذين يمكن
للغرب أن يتفاهم معهم، فتذكر من أولى تلك المميزات
الالتزام بالديمقراطية على أساس من الفهم التحرري
الغربي، وأن ذلك يستلزم معارضة مبدأ إقامة الدولة
الإسلامية³⁹⁷.

إذن القضية ليست قضية مرجعية الأغلبية، وإنما مرجعية
الغرب في أن يفرض على البشرية ما يريد من قيم وتصورات.
"ب" ومن أمثلة احتقار الدول الديمقراطية الغربية لما
يدعون إليه من ديمقراطية -إذا تعارضت مع سيادتهم على
العالم ومصالحهم- ما يمارسونه في الأمم المتحدة، حيث
يعطون لخمسة من الدول الأقوى حق النقض، الذي
يسيطرون به فعلياً على سياسة الأمم المتحدة، بينما يتركون
سائر شعوب البشر يتصايحون كما يحلو لهم في الجمعية
العامة.

"ج" ومن أمثلة محاربة الدول الغربية الديمقراطية لحرية
التعبير، التي يزعمون تقديسها، تجريمهم لأي رأي أو دراسة
تنكر أو تشكك أو تقلل من المحرقة النازية.
يقول الدكتور المسيري رحمه الله:

"(إنكار الإبادة) مصطلح يتواتر الآن في الصحف
الغربية وفي بعض الأدبيات الخاصة بالإبادة النازية
للإهود، وهو يشير إلى أي كتاب أو مؤلف تجرأ
صاحبه وكتب دراسة (علمية أو غير علمية) تطعن
فيما ذهب إليه الكثيرون من أن عدد ضحايا النازية
من اليهود ستة ملايين، أو تشير الشكوك بخصوص
أفران الغاز وغاز زيكلون بي. وقد صدرت في
السنوات الأخيرة عدة كتب ودراسات تدور حول
هذا المحور:

³⁹⁷ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 66.

1- كتب بول راسينيه Paul Rassinier في الخمسينيات دراسة ضخمة بعنوان أسطورة غرف الغاز. وكان المؤلف قد رُحِّل إلى أحد معسكرات الاعتقال. وفند في كتابه وجود مثل هذه الغرف أساساً وبيَّن أنها أكذوبة تاريخية وأورد إحصاءات ديموجرافية (رسمية) عن عدد اليهود في كل أوروبا قبل الحرب وبعدها، وعقب صدور الكتاب جُوكم راسينيه وناشره وُعُوقب بالسجن (مع إيقاف التنفيذ) كما فُرضت عليه غرامة مالية فادحة.

4- قدَّم هنري روكيه Henri Roques برسالة للدكتوراه إلى جامعة نانت يُشكك فيها في وجود عُرف الإعدام بالغاز «زيكلون بي». وقد أجازت الجامعة الرسالة ومنحته الدرجة العلمية بامتياز. ولكن الحكومة الفرنسية ألغت قرار اللجنة وسحبت منه الدرجة. ويُعدُّ هذا التدخل سابقة ليس لها مثل في تاريخ الجامعات الفرنسية الذي يمتد ألف عام.

5 - أصدر ستاجليش Stajlich، أحد قضاة مدينة هامبورج، كتاباً بعنوان أسطورة أوشفيتس. والكتاب هو رسالة للدكتوراه كان القاضي قد قدمها إلى جامعة جوتينجن، وتوصَّل فيها إلى أن كثيراً من النصوص وشهادات الشهود بخصوص معسكر أوشفيتس أو عما كان يجري فيه غير صحيح بالمرّة ومليئة بالتناقضات. وقد أجازت الدكتوراه بالفعل. وما إن صدر الكتاب حتى قررت الجامعة سحب الدكتوراه من الرجل. كما أصدرت السلطات القضائية قراراً بخصم 10% من راتبه.

6- يتعرض المؤرخ البريطاني ديفيد إيرفينج David Irving للمطاردة منذ نهاية الثمانينيات لأنه

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

ينكر الإبادة رغم أن مجلة ذا نيويورك ريفيو أوف بوكس *The New York Review of Books* وصفته بأنه "يعرف عن الاشتراكية الوطنية (أي النازية) أكثر من أي عالم آخر متخصص في هذا الحقل"، وأشارت إلى كتابه عن حرب هتلر بأنه "أحسن دراسة عن الجانب الألماني في الحرب". ورغم كل هذا طرد من كندا وبعد ذلك من أستراليا، ومُنِع من إلقاء محاضراته فيهما. وأصدرت إحدى المحاكم الألمانية حكماً بتغريمه عشرة آلاف مارك لمجرد أنه نفى أن اليهود كانوا يموتون في غرف الغاز في معسكر أوشفيتس³⁹⁸.

في يوم 20 فبراير 2006م حكمت محكمة نمساوية على المؤرخ الإنجليزي دافيد إرفينج بالسجن ثلاث سنوات لإنكاره المحرقة النازية وغرف الغاز ومقتل ستة ملايين يهودي على يد النازيين، وحضر للمحكمة والقيّد في يديه، وهو يحمل كتابه المعنون (بحرب هتلر).

وبضيف الدكتور المسيري:

"وقد وصل هذا الاتجاه إلى ذروته (أو هوته) مع صدور قانون فاييوس³⁹⁹ (رقم 43) في مايو 1990 المسمى "قانون جيسو" (وهو اسم النائب الشيوعي الذي تبني هذا القانون). ويُحرّم هذا القانون أي تشكيك في الجرائم المقترفة ضد الإنسانية بإضافة المادة 24 مكرر إلى قانون حرية الصحافة عام 1881، جاء فيها: "يُعاقب بإحدى العقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة

³⁹⁸ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الثاني: الجماعات اليهودية: إشكاليات- الجزء الرابع: عداة الأعداء الأزلي لليهود واليهودية- الباب الخامس: بعض إشكاليات الإبادة النازية ليهود أوروبا- إنكار الإبادة والخطاب الحضاري الغربي ج: 2 ص: 331.

³⁹⁹ في فرنسا.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

من المادة 24، كل من ينكر وجود أي من الجرائم
المرتكبة ضد الإنسانية كما وردت في المادة 6
من النظام الأساسي للمحكمة العسكرية الدولية
الملحق باتفاق لندن الموقع في 8 أغسطس
1945⁴⁰⁰

وكذلك اعتبرت سويسرا انكار المحرقة النازية لليهود
جريمة عام 1994⁴⁰¹.

ثم يتحدث الدكتور المسيري عن أن المحرقة النازية
أصبحت من المسلمات التي لا يمكن مناقشتها فيقول:
"فالإيادة بهذا المعنى أصبحت من المسلمات،
التي تُشكل فهم الإنسان الغربي المسبق، شأنها
في هذا شأن مقولة "عبد الرجل الأبيض" في
القرن التاسع عشر، وشأن إحساس الغرب
بمركزيته في القرن العشرين أو الإيمان بالتقدم
المادي وتحقيق الذات باعتبارهما الغاية النهائية
لوجود الإنسان في الأرض. والمسلمات هي
الركيزة الأساسية للنموذج، فهي التي تحدد حلاله
وحرامه، وما هو مقدّس وما هو مدّس. ومن ثم
أصبح التساؤل بشأن الإيادة هو تساؤل بشأن
إحدى المسلمات (المقدسات أو المطلقات، إن
شئت) وهو ما لا يمكن لأية حضارة، مهما بلغت
من سعة صدر وليبرالية وتعددية قبوله.
وقد يُقال إنهم في الغرب ينتجون أفلاماً تُعزّض
بالسيد المسيح عليه السلام مثل فيلم
"سكورسيزي Scorsese الإغواء الأخير للمسيح"،
وأعمالاً فنية مثل لوحة الفنان أندريه سيرانو

⁴⁰⁰ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الثاني: الجماعات اليهودية:
إشكاليات- الجزء الرابع: عداء الأعداء الأزلّي لليهود واليهودية- الباب الخامس: بعض
إشكاليات الإبادة النازية لليهود أوروبا- إنكار الإبادة والخطاب الحضاري الغربي ج: 2 ص:
331.

⁴⁰¹ Microsoft Encarta 2008, Switzerland, VI. GOVERNMENT.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

Andre Serrano الشهيرة بعنوان "فلتنبول على المسيح (Piss Christ)" حيث وَّصَع الفنان صورة المسيح على الصليب في البول، وعرضها في معرض قامت الدولة بتمويله، إن كانوا يفعلون ذلك فلم لا يقبلون بفتح ملفات الإيادة؟ والرد على هذا هو أن السيد المسيح لم يعد ضمن المقدسات، أما الإيادة فقد أصبحت كذلك. وقل الشيء نفسه عن الشذوذ الجنسي، فحتى الستينيات كان الخطاب الغربي يرى أن ثمة معيارية ما وثمة انحراف عنها، ولهذا كان هناك مفهوم للشذوذ والانحراف، ولكن مع غياب المعيارية تأكل بالتالي مفهوم الشذوذ تماماً، وبالتدرج أصبح الشذوذ شكلاً من أشكال تأكيد الحرية الفردية المطلقة (التي تتجاوز أية معيارية اجتماعية)، وتعبيراً عن حق الفرد في اختيار الهوية الجنسية التي تعجبه والتي يمكنه من خلالها تحقيق ذاته على أفضل وجه ممكن. وبذلك تحوّل الشذوذ الجنسي من كونه انحرافاً إلى علامة من علامات التفرد وتعبيراً نماذجياً متبلوراً عن المنظومة الحضارية والأخلاقية السائدة في المجتمع في تمركزها حول الذات والمتعة (وفي عدم اكتراثها بالقيم الدينية والاجتماعية أو بأية ثوابت إنسانية). وأصبح تقبل الشذوذ الجنسي علامة من علامات التحضر وسعة الأفق والتعددية، وأصبح رفضها دليلاً قاطعاً على تزمت الشخص وتطرفه بل "أصل وليته".

لكل هذا أصبح من الممكن، داخل الخطاب الحضاري الغربي، ربط الشذوذ بالمقدسات العلمانية (المادية) الجديدة. وهذا بالضبط ما يفعله

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الروائي الأمريكي اليهودي ليف روفائيل، فهو يربط بين الشذوذ الجنسي والهولوكوست، فبطل إحدى رواياته يهودي يخاف من تأكيد الأبعاد الثلاثة لهويته: هويته اليهودية، وهويته كشاذ جنسي، وهويته كأحد ضحايا الهولوكوست. فيقوم صديقه الذي يعيش معه بتشجيعه على تجاوز مخاوفه. ومنذ عدة سنوات أقيم مؤتمر للشواذ والسحاقيات في إسرائيل، وأقام أعضاء المؤتمر صلاة القاديش في نصب ياد فاشيم من أجل الشواذ جنسياً والسحاقيات ممن سقطوا ضحايا للاضطهاد النازي. ولا شك في أن ربط الشذوذ الجنسي بالهوية اليهودية بالهولوكوست تصدمننا، ولكن علينا أن ندرك ما هو مقدس وما هو مدنس في خطاب الآخر قبل أن نشعر بالصدمة، والهولوكوست أبقونة مقدسة والشذوذ أمر عادي، بل أمر محبب، ومن يدري لعله أصبح أمراً له «قداسته» الخاصة، ونحن لا نعرف بعد، إذ أننا لا نتابع ما يجري هناك بكفاءة عالية؟⁴⁰²

وبناء على هذا التفسير يمكن أن نعلم لماذا يستهينون -بل وربما يفرحون- بالاستهزاء بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، ويزعمون أن الاستهزاء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- هو ممارسة لحرية الرأي والتعبير المقدسة لديهم، بينما لا يتقبلون أي تشكيك في الإبادة النازية لليهود ولا أي مساس بالشواذ جنسياً. وذلك لأن الدين والأنبياء لم يعودوا من المقدسات -بل وربما صاروا من المدنسات- لديهم، بينما المحرقة النازية والشذوذ صاروا من المقدسات.

⁴⁰² موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الثاني: الجماعات اليهودية: إشكاليات- الجزء الرابع: عداء الأعداء الأزلي لليهود واليهودية- الباب الخامس: بعض إشكاليات الإبادة النازية لليهود أوروبا- إنكار الإبادة والخطاب الحضاري الغربي ج: 2 ص: 332 و 333.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

"د" ومن الأمثلة الصارخة على تلاعب الغرب بما يزعمونه

من تقديس الحرية الشخصية، منع الحجاب في عديد من الدول الغربية. ففي فرنسا مثلاً يباح للمرأة أن تتعري كما تشاء وأن تعاشر من تشاء، وأن تمنح عرضها لمن تشاء، وأن تتبعه لمن تشاء، ولكن يحرم عليها أن تغطي رأسها، وأخيراً هاجم ساركوزي النقاب، مما يكشف عن حقدهم الدفين ضد الإسلام، وأن الحرية عندهم هي في متابعتهم والخضوع لهم وليست في مخالفتهم ولا المساس بمصالحهم.

"هـ" ومن الأمثلة الصارخة على احتكار الدول الديمقراطية للحرية لتستأثر بها لنفسها، وتحرم غيرها منها؛ موقف بريطانيا المتناقض من سلمان رشدي والشيخ أبي قتادة فك الله أسره. فكلاهما أبدى رأيه ومعتقده، ولكن الموقف من كليهما كان مختلفاً تمام الاختلاف.

فسلمان رشدي سب النبي صلى الله عليه وسلم، فاحتفت به بريطانيا وسائر الغرب أشد احتفاء، واعتبروه مع بذائه، التي لا تشكل رأياً ولا فكراً، ضحية الاضطهاد والتعصب، ورمز حرية الرأي ومثالها، وأعطوه الجوائز، كيف لا وهو رجل من أصل مسلم يسب نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، بل واستقبله كلنتون في البيت الأبيض، كما منحته ملكة بريطانيا رتبة فارس. لقد أهاب سلمان رشدي في تصريح له بالوسط الثقافي في بريطانيا وخارجها أن يسانده، فقال:

"إنني أناشد الوسط الثقافي في هذا البلد وخارجه أن يقفوا مع حرية التفكير، وهو أمر أكبر بكثير من كتابي، أو بالأحرى من حياتي"⁴⁰³.

فبادرته بريطانيا والغرب بالتأييد والحماية بل وبالإكرام والتبجيل قبل أن يطلبه وبعده، لأنه سب للنبي -صلى الله عليه وسلم- من أصل مسلم.

⁴⁰³ Microsoft Encarta 2008, Salman Rushdie, Quotations.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وفي المقابل لم تتسع حرية بريطانية وتقديسها لحرية الرأي -في سب النبي صلى الله عليه وسلم- لرجل مثل الشيخ أبي قتادة، رغم أنه لم يسب ولم يسف، ولم يكتب بذاءات، بل هو صاحب قلم وحامل فكر وداعية عقيدة. فقد اتسع صدر بريطانيا لسلمان رشدي ليكتب مقالاً في التايمز يدعو فيه المسلمين للتوائم مع الحضارة الغربية، ويشكك فيه في الذات الإلهية وفي القرآن، ويدعو فيه المسلمين لقبول قيم الغرب كالشذوذ الجنسي⁴⁰⁴، ولكن صدرها لم يتسع للشيخ أبي قتادة الذي اعتقلته في نفس اليوم مع تسعة آخرين، بعد أن وقعت اتفاقية مع الأردن وباكستان لتسليم المطلوبين لهما، مع يقين الحكومة البريطانية أن من يسلم لهما لن ينجو من التعذيب وربما القتل.

وإذا كان الإنجليز يكرمون سلمان رشدي إكراماً للمدافعين عن الحرية فلماذا لا يكرمون الملايين، الذين قُتلوا في آسيا وأفريقيا دفاعاً عن حريتهم ضد الاحتلال البريطاني؟ ولماذا لا يكرمون مئات الآلاف من الفلسطينيين، الذين قتلوا بسبب تسليم فلسطين لليهود؟ ولماذا لا يكرمون المؤرخ البريطاني ديفيد إرفينج، الذي حكمت عليه محكمة نمساوية بالسجن ثلاث سنوات لإنكاره المحرقة النازية وغرف الغاز ومقتل ستة ملايين يهودي على يد النازيين، قطعاً لا تستطيع ملكة بريطانيا رئيسة كنيسة إنجلترا أن تكرمه، لأنها لا تستطيع أن تتمرد على سادتها اليهود.

ولنترك الشيخ أبا قتادة يروي جزءاً من مأساته مع إنجلترا حامية الحريات، حيث يقول -فك الله أسره- في رسالة له بعنوان (بيان إلى المسلمين):

"كانت الحالة التي عشتها في سجنى الأول

.....

⁴⁰⁴ هيئة الإذاعة البريطانية يوم الخميس 6 رجب 1426هـ الموافق 11 أغسطس 2005م.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

كذا في تلك المرحلة مع إخواني في زنازين
إنفرادية نمكث فيها أكثر من ثلاث وعشرين ساعة
في الليل والنهار حيث لا يرى المرء أحداً بل يكون
خالياً متفرداً.

كان هذا السجن -ثلاث سنوات- بلا تهمة ولا
محاكمة ولا يجوز لك كذلك أن تطلع على الأدلة
التي تزعم الحكومة أنك مسحون بسبها، فقد أقر
"برلمانهم" قانوناً يحز للدولة أن تسجن أي غريب
أحني لا يملك الجنسية البريطانية إلى أمد غير
محدود بأدلة سرية.

هذا القانون يعد فعلاً تجديدياً لأكلة الآلهة
الباطلة كما سميته، إذ أننا نعلم ما كان بعض
المشركين يفعل قديماً في تعبدهم الشركي،
فكانوا يصنعون أصناماً من تمر ثم يعبدونها، فإذا
جاعوا أكلوها، وكذلك فعلت الحكومة الإنجليزية،
فهي التي تزعم أنها تحترم الإنسان بغض النظر
عن دينه ولونه ولغته وحنسته، فها هي الآن تاكل
إلهها، وتأتي بهذا القانون الذي يفرق بين إنسان
وإنسان.

.....
لقد هزمتنا الحكومة البريطانية بفضل الله تعالى،
وكان في سجننا كشف لخبثها وإجرامها وكذب
دعاويها الإنسانية، واستطعنا أن نكشف للمسلمين
في بريطانيا خصوصاً أن الحكومة البريطانية
حكومة تعادي الإسلام والمسلمين، وحصل الشرخ
-بفضل الله- الذي لن تستطيع أن تجبره أبداً بعد
ذلك.

لقد انتهى عهد الأكاذيب، وانتشر بين الناس هنا
أن هناك غواتينامو في بريطانيا هو سجن بلمارش

كما في أمريكا غواتينامو سواء، ونشأ جيل جديد من الشباب المسلم وخاصة من إخواننا القادمين من القارة الهندية لم يعد لديهم الانبهار بالمسؤول الإنجليزي ولا بالقيم الإنجليزية، بل هم يحتقرونه ويعلمون عداه لهم فصاروا له أعداء كذلك.

لم يكن أحد يتصور أن يسجن أحد هذه المدة بلا تهمة ولا محكمة في بريطانيا، لكنها الحقيقة، وهي الوجه الحقيقي للإنسان المتعجرف الذي يرى أن الآخر هو مجرد رقم لا قيمة له.

بعد ثلاث سنوات أصدر مجلس اللوردات البريطاني قراراً بإبطال هذا القانون، وقالوا فيه أقوالاً شديدة فلم يتم التجديد له ولكن تم إقرار قانون آخر بدلاً عنه وهو قانون يفوض الحكومة البريطانية بتقييد أي إنسان يقود وهو خارج السجن، وذلك بمنعه زمناً من الخروج من البيت ومنعه من استخدام التلفون والكمبيوتر أو مقابلة بعض الناس أو الذهاب لبعض الأماكن أو تحديد مكان ذهابه.

خرجنا من سجن بلمارش العنصري "وغواتينامو بريطانيا" تحت هذا القانون أنا وإخواني، ومكثت في الخارج ما يقارب خمسة شهور لعبت الحكومة البريطانية لعبة جديدة، وهي أنها عقدت صفقات شخصية (نعم صفقات شخصية) ليس لها أي وجه قانوني أو تشريعي بحسب دينهم وقوانينهم، مع الأردن وليساً يتم سببها تسليم المسلمين إلى بلادهم.

بعد صلاة الفجر داهمت بيوتنا الشرطة واقتادتنا إلى السجن مرة أخرى، وبلا تهمة ولا محكمة مدنية، بل محكمة خاصة وبأدلة سرية، أي خاصة للأحزاب دون بني حلدتهم، ووضعنا أكثر من سبعة

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

عشر أختاً في قسم مستقل، نعيش معاً، كان فينا
الفلسطيني والأردني والليبي والجزائري، ثم بعد
مدة خرج الليبيون لما أطلقت الحكومة الليبية
سراح الأطباء البلغار المتهمين بنشر الإيدز
بوساطة فرنسية ولم تعط للإنجليز، فانتقمت
الحكومة البريطانية بأن أخرجت الليبيين.
لم تنجح الحكومة البريطانية بعقد صفقة مع
الجزائر فدخلت في دوامة مع الجزائريين، وبقيت
لعبتهم مع من يحملون الجنسية الأردنية.

.....
بعد خروج الليبيين بمدة طويلة استطعنا جميعاً
الحصول على خروج بالكفالة في إنتظار قرار
محكمة اللوردات في قضيتنا وبعد أقل من خمسة
شهور هاجموا بيتي فجراً واقتادوني إلى بلمارش
تحت دعوى أنني كسرت شروط الكفالة، وذلك
أنني فكرت أن أهرب من بريطانيا.
تأمل هذه التهمة ((فكرت أن أهرب))، في
الحقيقة لم تكن كذلك بل هي كما قيلت في
الأوراق: "أنه يمكن له أن يفكر أن يهرب".
هذا هو القضاء البريطاني النزيه كما يقول
زنادقة بلادنا.

رجعت إلى السجن وقد زاد التضيق والإيذاء في
السجن، حيث وضعت في درجة أمنية عالية إذ يتم
تفتيشي عارياً مرتين في كل شهر.

.....
الآن وبعد أن صدر قرار محكمة اللوردات
بموافقة الحكومة على تسليمي للحكومة الأردنية
ماذا يمكن أن يقال:-

لقد قال قضاة هذا البلد، ومن كل طبقاتهم أن الأردن فيها عدالة، وأن المحاكم العسكرية فيها تحقق العدالة اللازمة، وأن التعذيب في السجون وفي دوائر المخابرات أمر يمكن تفهمه.

هذه خلاصة قراراتهم وبلا رتوش أو مزينات، وهذا يعني لذوي الحجي والعقول أن الأردن هي إبنة بريطانيا كياناً ونظاماً وأمناً، ومن لم يفهم هذا فالكلام معه إضاعة وقت.

لقد أكرمني الله تعالى بأن كشف في قضيتي هذه القضاء البريطاني، لأن بعض الناس لغفلتهم يرون القضاء البريطاني من المؤسسة الإجرامية فيها أي التشريعية والتنفيذية، وأقول:- إن قضيتي واحدة- في الحق- من هذه القضايا التي تظهر عنصرية القضاء البريطاني وحقده ضد الإسلام والمسلمين.

لا أستطيع في هذه الورقات- وهي رسالة سريعة- أن أفصل وأشرح، لكن يكفيني أن أقول كلمة قالها أحد القضاة وهو يناقش قضية ترحيل عيد الله السماورة (أبي شيماء) إلى الأردن حين عرضت عليه وصية الشيخ فقال القاضي: هذه الوصية تذكرني بوصايا المسلمين في الحروب الصليبية.

لقد قدّر لي أن التقى لمدة قصيرة هنا في هذا "القسم المنفرد" حيث عزلنا عن العالم وعن بقية المساجين بالدكتور محمد عشا، وهو الذي اتهم مع الدكتور العراقي بلال عبدالله "وهو أخ التقيت به في المسجد حين كنت في الوحدة الانفرادية في بلمارش ويوم الجمعة ثم التقيت به في سيارة النقل التي كانت تحمله إلى المحكمة" وهذا الدكتور بلال عبدالله رجل من رجالات الاسلام بحق

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

علماً وعملاً وثباتاً ورجولة، فهو يحفظ كتاب الله، وعالم فقه وحديث، وقد وقف موقفاً إيمانياً في المحكمة قال فيه كلاماً يُرفع إلى كلام السلف رضوان الله عليهم، لقد استصغرت نفسي وهو يقول: لقد تأثرت من أشرطتك السمعية كثيراً، فالحمد لله رب العالمين"، أقول: لقد قال لي الدكتور محمد عشا -وهو تخصص جراحة أعصاب- أن المدعي العام في المحكمة كان يقول في اثبات التهمة ضده:-

"صحيح أن عشا لا توجد ضده أدلة لكن تذكروا أنه ذكي وهذا يكفي"

"صحيح أن عشا لا توجد ضده أدلة لكن تذكروا أنه فلسطيني الأصل وهذا يكفي"

هذه هي مراسم المحاكم في القضاء البريطاني حين يكون المتهم أمامهم مسلماً.
هل أذكر لكم أخرى؟!
يكفيكم واحدة هنا:-

وزير الداخلية السابق ديفيد بلانكيت هو الذي وقع قانوناً عجيباً بين الحكومة البريطانية وبين أمريكا لتسليم من تطلبهم أمريكا من بريطانيا، وسبب عجبه أن هذا القانون ملزم لبريطانيا وغير ملزم لأمريكا، أي أن بريطانيا ملزمة بتسليم من تطلبه أمريكا، وأمريكا غير ملزمة بتسليم من تطلبه أمريكا، وكما يقولون "ما علينا" لأن المقصود غير هذا.

الذي حصل التالي:-

قامت أمريكا بطلب شخص بريطاني -غير مسلم- متهم عندها بأعمال في الإنترنت مخالفة للقانون الأمريكي، وقررت المحاكم تسليمه، لكن

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

أعضاء البرلمان إعترضوا على هذا القرار، وكان أشد المعترضين هو ديفيد بلانكت نفسه، وقد إستجابت الحكومة لضغوط البرلمان وهي تدرس الآن إمكانية محاكمته هنا وتسليمه لأمريكا. الاتفاقية إذاً هي ضد المسلمين، وضعت خاصة لأبي حمزة المصري وبقية الأخوان. الوقت يتسع لحادثة أخرى:-

حكم على أبي حمزة المصري سنين طويلة تحت تهمة إثارة الكراهية، وبعبارات موهمة غير صريحة ألبسوها ما يريدون من المعاني، وبعد أيام حوكم قائد حزب بريطاني معروف بالتعصب اسمه نيكولاس غريفن بنفس التهمة وبعبارات أقوى من عبارات هتلر النازية وخرج البريطاني بريئاً. لا بأس واحدة أخرى:-

عندما تم القبض على بابر أحمد قامت الشرطة بضربه ضرباً شديداً وهو وزوجته -العروس يومها- وصار وجهه كالقربة من الضرب، وظهرت الكدمات الشديدة على كل جسمه، ولما رفع الأمر إلى القضاء كان جواب القاضي:- شكراً للشرطة البريطانية في محافظتها على الأمن.

إنني أنا أبو قتادة أقر وأعترف أنني مع كوني فلسطينياً، ولدت في فلسطين، ومع معرفتي بتاريخ الحكومة البريطانية في جرائمها عامة وجريمتها الخاصة في فلسطين إلا أنني كنت جاهلاً بهذا الحقد وهذه الكراهية التي تكنها هذه الحكومات البريطانية ضد الإسلام والمسلمين والعرب، ولذلك فأنا في مرات كثيرة أتمنى أن يسجن كل المسلمين هنا في بريطانيا -لمدة لا تقل عن سنة- ليروا بأم أعينهم حقيقة ما أقول،

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
لأن مئات المجلدات لن توصل الحقائق التي
يعيشها صاحبها عن كتب ورؤية وإحساس⁴⁰⁵
تري لو عومل سلمان رشدي كما عومل الشيخ أبو قتادة،
فماذا سيكون رد فعل الدول الديمقراطية؟
لو أطلقنا لخيالنا العنان، فتصورنا أن سلمان رشدي قد
ذهب لبلد تصور أنها ستوفر له الأمن، ثم فوجئ بشرطتها
تقبض عليه، وتحبسه لسنوات عديدة دون توجيه أية تهمة،
ثم تسعى في ترحيله لبلد يتوقع أن يعذب فيه، وربما بعدم.
فلنتخيل بركان الثورة الذي سيشب في الغرب دفاعاً عن
حرية سلمان رشدي!! وسيشعل تلك الثورة باسم الدفاع عن
الحرية نفس الذين يسجنون الشيخ أبا قتادة ورفاقه وأمثاله،
فتأمل وتألم وتعلم؛ ما هي الديمقراطية وما هي حقيقتها؟
"و" ولا يكتفي دعاة الحرية الغربية بسجن الدعاة
المسلمين، بل يطالبون بقطع رؤوسهم، فتطالب إنجل راباسا
وزملاؤها في كتابهم (ما بعد القاعدة) الصادر عن مؤسسة
راندي؛ بتوسيع استراتيجية (قطع الرؤوس) من القادة
العملياتيين إلى المنظرين العقائدين، لأنهم هم الذين يبررون
العمليات الإرهابية، وتشييد في هذا الصدد بسجن أبي حمزة
المصري في لندن، وأبي بكر باعشير في إندونيسيا،
وبالسعي في إجراءات ترحيل أبي قتادة للأردن⁴⁰⁶.
"ز" كما أذكر القارئ الذكي بأن الدول الغربية
الديمقراطية، التي تسعى لتعليمنا الحرية، هي التي احتلت
بلاد المسلمين ومعظم آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية
لقرون وارتكبت فيها من الفظائع ما يندى له الجبين، وهي
التي نقلت -منذ النصف الثاني للقرن الخامس عشر إلى

⁴⁰⁵ بيان إلى المسلمين من أبي قتادة عمر بن محمود أبو عمر تعليقاً على قرار محكمة اللوردات البريطانية بإقرار الحكومة في تسليمه إلى الحكومة الأردنية.
⁴⁰⁶ Beyond al-Qaeda, p: xxiv & xxv

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

القرن التاسع عشر- عبر الأطلنطي للعالم الجديد أكثر من
10 ملايين أفريقي في أكبر تجارة للعبيد في التاريخ⁴⁰⁷.

وهذه الدول المعتدية الغازية المحتلة كانت دولاً
ديمقراطية، وانتخبت حكومات ديمقراطية، احتلت بلادنا،
وأقرت تصرفاتها برلمانات ديمقراطية. والحروب والمجازر
التي تمارس ضدنا في فلسطين والعراق وأفغانستان
والصومال تشنها علينا دول ديمقراطية، بل إسرائيل التي
تحتل فلسطين دولة ديمقراطية.

وبريطانيا العظمى حامية الحريات منعت الشيخ حسن
البنّا -رحمه الله- من الترشيح للبرلمان مرة، وأسقطته
بالتزوير مرة تالية.

وأنا شخصياً لي تجربة مريرة مع ميراث بريطانيا العظمى
حامية الحريات، فقد حكم علي في قضية الجهاد الكبرى
بالسجن لثلاث سنوات، وبعد انقضاء المدة، توأطئت النيابة
العامة مع الشرطة على فرض إجراءات الرقابة الجبرية
علي، مع أن التهمة التي أدنت بسببها وهي حيازة أسلحة
وذخائر، لا تنطبق عليها إجراءات الرقابة الجبرية، وكان علي
بناء على تلك الإجراءات ألا أعادر منزلي من الغروب
للشروق، وأن يتم التحقق من ملازمتي المنزل كل ليلة، وأن
أثبت حضوري في قسم الشرطة كل جمعة، وبحق لضابط
الشرطة أن يحتجزني في القسم طيلة الليل، إن أراد.
فدفعني ذلك لأن أقرأ حول هذه الإجراءات، فاكتشفت أنها
أدخلت في مصر على يد الاحتلال البريطاني لتقييد
المقاومين للاحتلال. فأدركت النسب الخبيث.

والذي يجب أن ندركه وننتبه له أن الديمقراطية لا علاقة
لها بالحرية ولا الأخلاق ولا القيم والمبادئ ولا أية مرجعيات،

⁴⁰⁷ ENCYCLOPEDIA BRITANNICA 2005 Delux Edition CD, slavery, Historical survey, Slave-owning societies; and Microsoft Encarta 2008, Slavery in the United States, II. INTRODUCTION OF SLAVERY, A. Slave Trade.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

الديمقراطية تعني بوضوح سيادة الأغلبية فقط، أو عملياً سيادة أغلبية النواب في جلسة قانونية للبرلمان، فلو قررت تلك الأغلبية أن تفعل ما تشاء، ولو كان تدمير شعب بأكمله، أو استعباده، فما فعلته شرعي وقانوني وديمقراطي. ولا معقب على تلك الأغلبية فيما تشاء وتختار!! ولذا فإن من أهم أسس الديمقراطية هو نسيية المعايير والمبادئ، وليس ثمة أية ثوابت.

يقول الشيخ حامد العلي عن العلمانيين العرب:
"إنهم لا يزيدون على استنساخ التناقض الغربي نفسه الذي صفق لنحيب محفوظ لاكتشافه العظيم!! في رواية "أولاد حارتنا"، وصفق لنصر أبو زيد لاكتشافاته المذهلة في الاستهزاء باليوم الآخر!! وفعل مثل ذلك لسلمان رشدي، وسائر الأذئاب، زاعماً أنهم مفكرون أحرار، ثم هذا الغرب نفسه يقتل 60000 طفل عراقي كل شهر بسبب الحصار، ويسحق بدعمه للكيان الصهيوني شعباً بأكمله، وينفق على التسليح لإرهاب العالم آلاف المليارات، ويلقي بمليارات الأطنان من منتجاته الغذائية في المحيطات حفاظاً على أسعارها، بينما تموت شعوب تحت الفقر والجوع والتخلف، ويدعي مع ذلك أنه العالم الحر المتحضر.
وخلاصة وصفهم أن الغرب أرادهم أحراراً عندما يطعنون في دينهم، وأرادهم عبيداً له في كل ما سوى ذلك، فكانوا كما أرادهم في كلا الأمرين، ثم يتفاخرون علينا متباهين أنهم أبطال الحرية!!"⁴⁰⁸.

[ج] هل الديمقراطية توفر المساواة؟

"1" المساواة الحقيقية هي بين الناس في أصل العبودية لله، ثم يتفاضل الناس بأعمالهم الصالحة. لن يتساوى الناس

⁴⁰⁸ حقيقة العلمانيين العرب لحامد بن عبد الله العلي.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

إلا إذا وقفوا جميعاً أمام خالقهم سواسية يتفاضلون بالتقوى، ولا يدين أحدهم بالحاكمة والتبعية للآخر، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

"2" أما الديمقراطية فتفرق بين الناس بأمرين:

"أ" الأول هو القومية والجنسية، لأن الديمقراطية - كما سنرى - لا تتحقق إلا في الدولة القومية. فصاحب البلد وحامل الجنسية أعلى درجة ممن لا يملك الجنسية. والجنسية أمر لا خيار للإنسان فيه في الأغلب الأعظم.

"ب" ثم تفرق بين الناس ممن يحملون الجنسية بعدد المصوتين، فمن حق المصوتين الأكثر عدداً أن يسلبوا حرية ويقهروا المصوتين الأقل عدداً. وذلك معيار لا محل فيه للأخلاق والقيم والمبادئ.

ومن هنا يتضح الفرق بين دين الله الذي يفرق بين الناس بناء على العمل الصالح، وبين الديمقراطية التي تفرق بين الناس بالموازين الفاسدة. فالديمقراطية تفرق بين الناس على أساس القومية، لأنها تلازم الدولة القومية، ثم تفرق بين الناس في داخل الدولة على أساس الأغلبية، وهذا هو الفرق بين الإسلام الذي يفرق بين الناس بالأعمال الصالحة، وبين الديمقراطية التي تفرق بين الناس بالجنسية وعدد المصوتين.

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع:
"يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ
أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَيَّ أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَيَّ
عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَيَّ أَسْوَدَ وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَيَّ أَحْمَرَ إِلَّا
بِالتَّقْوَىٰ أَتَّبَعْتُ؟" قَالُوا: بَلَّغْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟". قَالُوا: يَوْمٌ
حَرَامٌ. ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ بَيْتٍ هَذَا؟". قَالُوا: بَيْتُ
حَرَامٍ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟". قَالُوا: بَلَدٌ

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

حَرَامٌ. قَالَ: "قَارِنَ اللّٰهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ
وَأَمْوَالَكُمْ". قَالَ: "وَلَا أُدْرِي قَالَ: "أَوْ أَعْرَاصِكُمْ". أَمْ
لَا. "كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ
هَذَا أَبْلَعْتُ؟". قَالُوا: يَلِغُ رَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ. قَالَ: "لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ" ⁴⁰⁹.

"3" ولهذا تدعو الدول الديمقراطية للمساواة ثم تتناقض معها في تصرفات عديدة، فهل مثلاً:

"أ" تتساوى الدول الخمسة القوية في مجلس الأمن مع

سائر حكومات بني البشر؟

"ب" وهل تتساوى المحجة مع العارية في فرنسا؟

"ج" وهل يتساوى العربي مع غير العربي في إسرائيل ⁴¹⁰؟

"د" وهل تتساوى المساجد مع الكنائس في سويسرا، التي

تزعّم الديمقراطية والعلمانية والحرية الدينية؟ سويسرا التي

تم التصويت فيها على منع المآذن في مساجد المسلمين ⁴¹¹.

ترى لو منعت دولة تنتسب للإسلام أبراج الكنائس فيها بناء

على استفتاء، فماذا سيكون رد الغرب اللاديني الديمقراطي؟

ألا يحتمل أن يصل الرد لحملة عسكرية لتحقيق الحرية

الدينية؟

[د] هل الديمقراطية توفر العدالة؟

كما ذكرت أن الديمقراطية وهي استبداد هوى الأغلبية لا

تلتزم بأي قيمة سوى هوى الأغلبية، ولذلك لا تلتزم بالعدالة،

فمثلاً:

⁴⁰⁹ مسند أحمد- حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- حديث رقم: 22391 ج: 47 ص: 478.

⁴¹⁰ لمزيد من التفصيل حول الإجابة على هذا السؤال يمكن الرجوع إلى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد السابع: إسرائيل.. المستوطن الصهيوني- الجزء الثالث: العنصرية والإرهاب الصهيونيان- الباب الأول: العنصرية الصهيونية- المضمون الصهيوني للممارسات الإسرائيلية العنصرية ج: 7 ص: 89 إلى 92.

⁴¹¹ إذاعة البي بي سي العربية- 12 ذو الحجة 1430 هـ الموافق 29 نوفمبر 2009م.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

"1" أميركا راعية الديمقراطية في العالم تمتنع عن
التحاكم للمحكمة الجنائية الدولية، رغم أنها تلزم الآخرين
كالسودان بالتحاكم لها.

"2" وانجلترا حامية الديمقراطية أوقفت التحقيق في
صفقة اليمامة، وتسترت على الرشاوي الضخمة التي
اغتصبها كبار الأمراء السعوديين، حرصاً على المصالح
الاقتصادية، التي يعتبرها القضاء البريطاني أهم من العدالة
ومن النزاهة، وبهذا يصدق عليهم قول النبي صلى الله عليه
وسلم: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا صَلَّيْتُ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ
النَّبِيُّ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ.
وَإِيْمَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ قَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-
سَرَقَتْ لَقَطَعُ مُحَمَّدٌ يَدَهَا"⁴¹².

[2] أمثلة من ثمار الديمقراطية.

قبل أن أختتم هذا العرض الموجز لاستبداد هوى الأغلبية،
أسوق عدداً من الأمثلة على الفساد الذي جره ذلك الاستبداد
على البشر والبشرية. تحت العناوين التالية:

[أ] الحروب والدمار الشامل.

[ب] إفساد البيئة.

[ج] الربا.

[د] موقف الحضارة الغربية من المرأة.

[هـ] الأمراض الرهيبة التي ابتليت بها البشرية بسبب

النظام الغربي الديمقراطي.

[و] تفكك الأسرة.

[ز] تحريم تعدد الزوجات.

[أ] الحروب والدمار الشامل.

⁴¹² صحيح البخاري - كتاب الحدود- باب كَرَاهِيَةِ السُّقَاعَةِ فِي الْحَدِّ إِذَا رُفِعَ إِلَى
السُّلْطَانِ- حديث رقم: 6406 ج: 6 ص: 2491.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم إلهوى
قامت الحكومات الديمقراطية بأشد وأعنف الحروب في
التاريخ البشري، ففي الحربين العالميتين الأولى والثانية كانت
أعداد القتلى كالتالى:⁴¹³

القتلى			
المجموع		قتلى المدنيين	قتلى المحاربين
23 مليوناً	13 مليوناً	أكثر من 10 ملايين	الحرب العالمية الأولى
55 مليوناً ⁴¹⁴	30 مليوناً	25 مليوناً	الحرب العالمية الثانية

وقد كانت الخسائر في الحرب العالمية الأولى غير مسبوقة في تاريخ البشرية، ولكن جاءت الحرب العالمية الثانية ففاققتها عنفاً وضراوة في الصراع بين دول كثير منها يزعم التحضر والديمقراطية.

وبعد الحرب العالمية الأولى حدثت صدمة ثقافية في العالم الغربي، الذي كان يمجّد الفلسفة الإنسانية المادية التي تعظم من شأن الإنسان، وتتنبأ له بمستقبل باهر في طوره الحديث المتحرر من الكنيسة. حتى أن موسوعة إنكارتا تذكر: أن التفاؤل المتعلق بالطبيعة البشرية، وبالمستقبل الواعد للحضارة قد تبدد، لما قام جنود أكثر الدول حضارة على وجه الأرض بذبح بعضهم البعض بلا رحمة. وبدأ الفنانون ينتجون

⁴¹³ Microsoft Encarta 2008, World War I, X. AFTERMATH OF WORLD WAR I, B. Legacy of the War, & World War II, IV. COST OF THE WAR; and
ENCYCLOPEDIA BRITANNICA 2005 Delux Edition CD, World War I, Killed, wounded, and missing, & World War II, Killed, wounded, and missing.

⁴¹⁴ تقدر الموسوعة البريطانية مجموع قتلى الحرب العالمية الثانية بأكثر من 60 مليون قتيل.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

أعمالاً تسخر من الثقة في مبادئ الفلسفة الإنسانية، وتظهر
دناءة الحياة المعاصرة. وبدأ علماء الاجتماع والنفوس يبحثون
عن سر العدوان البشري لتفسير العنف المعربد الذي وقع،
وأخذ الفلاسفة ينعون تفسخ الحضارة وانحطاط الغرب⁴¹⁵.
يقول جون بورن⁴¹⁶:

"إن الأثر الفعلي للحرب كان أخلاقياً، فإن
الخسائر قد وجهت ضربة لثقة أوروبا بنفسها
ولدعواها بالتفوق الحضاري"⁴¹⁷.

والحديث عن الحرب العالمية الأولى يجرنا للحديث عن
ثمرة أخرى من ثمار الديمقراطية التي لا تتقيد بأية أخلاق أو
قيم، ألا وهي نكث العهود والمواثيق بلا تثريب ولا وجل،
فالحكومة في أي بلد ديمقراطي يمكنها أن تتصل من أي
وعد أو عهد أو اتفاق طالما أن ما تقوم به يحظى بموافقة
الأغلبية في البرلمان. ومن أظهر الأمثلة على ذلك نكث
الحكومة البريطانية لوعودها للشريف حسين، الذي أغرته
بالثورة على الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى في
مقابل أن تمنحه ملك الدولة العربية بعد الحرب، ولكنها في
نفس الوقت كانت تعد اليهود بفلسطين، وتتفاوض مع فرنسا
على منحها الشام في اتفاقية سايكس بيكو، بل حرمته حتى
من ملك جزيرة العرب فمنحت معظمها لابن سعود!!
يقول جون بورن:

"إنه بحلول عام 1918 كانت الحكومة
البريطانية تنتهج سياسة شرق أوسطية استعمارية
صريحة (بالتعاون مع فرنسا)، ففي نفس الوقت
الذي كانت تشجع فيه توجهات القومية العربية،

⁴¹⁵ Microsoft Encarta 2008, World War I, X. AFTERMATH OF WORLD WAR I, B. Legacy of the War.

⁴¹⁶ جون بورن محاضر أول للتاريخ المعاصر في جامعة برمنجهام.

⁴¹⁷ THE OXFORD HISTORY OF MODERN WAR, p: 137.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

كانت تعد بدعم إنشاء وطن قومي لليهود في
فلسطين. لقد كانت حقاً حرب الخدع⁴¹⁸.

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فعمت وطمت وزادت،
واستخدم فيها لأول مرة في تاريخ البشر السلاح الذري، الذي
قتلت به أمريكا راعية الديمقراطية وحامية حماها أكثر من
150000 ياباني من أجل الإسراع بإنهاء حرب كانت هزيمة
اليابان فيها مؤكدة.

ثم يثير الأمريكان سخرية العقلاء حينما يبررون امتلاك
إسرائيل للسلاح الذري بأنها دولة ديمقراطية تستأمن على
ذلك السلاح!!

[ب] إفساد البيئة والمناخ وتهديد مستقبل كوكب الأرض،
النتائج عن ظاهرة الاحتباس الحراري، الذي تسبب فيه جشع
الدول الغربية الديمقراطية، بزيادة إنتاج الغازات المضرة
المنبعثة من مصانعها، ذلك الجشع الذي تدفع ثمنه الأمم
الفقيرة، التي تعاني من الجفاف والفيضانات وطغيان الماء
على اليابسة.

[ج] الدول الديمقراطية يقوم اقتصادها أساساً على الربا،
الذي يعد قيمة أساسية في الحضارة الغربية. والذي تفننوا
فيه بكل الوسائل حتى تسببوا في الأزمة الاقتصادية الحالية.
[د] موقف الحضارة الغربية من المرأة.

الدول الغربية الديمقراطية التي تزعم الدفاع عن حرية
المرأة، تنظر إليها كسلعة ووسيلة لجلب الزبائن والمتعة،
وتعد تجارة توفير اللذة والفاحشة نشاطاً أساسياً في
الحضارة الغربية. وسأحاول أن أقدم بعض الأمثلة بإيجاز على
ذلك الجانب الذي يحرص العلمانيون وعملاء الغرب على
إخفائه:

"1" حق العميل الدافع.

⁴¹⁸ THE OXFORD HISTORY OF MODERN WAR, p: 125.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

تبنى الدول الغربية الديمقراطية مبدأ حق العميل الدافع في الحصول على مقابل ما يدفعه، حتى لو كان المقابل يتنافى مع الكثير من القيم الأخلاقية. وتحمي حق العميل بالقوانين الديمقراطية.

فالمصيفة في الطائرة لا تستطيع أن تتوقف عن الابتسام والمعاملة بلطف، وكذلك البائعة في المحل، وفتاة الإعلان المتعاقدة مع شركة الإعلان لا تستطيع أن تتجهم، ولا أن تحتج على الصورة التي يخرجونها فيها، والساقية في الملهى لا تستطيع أن تمتنع عن ارتداء الزي الذي يفرضه عليها الملهى، ولا أن تتجهم في وجه العملاء، والراقصة في الملهى لا تستطيع أن تمتنع عن الرقص لأنها تعتبر العملاء مثلاً حقيري المستوى، والمومس في بيت الدعارة المرخص لا يستطيع أن ترفض إتيان عميل لها لأنها لا ترغب فيه.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري -رحمه الله- عن قطاع اللذة الذي تحميه القوانين الديمقراطية في المجتمعات العلمانية المعاصرة:

"وقطاع اللذة شكل جديد من أشكال الجماعات الوظيفية في العصر الحديث وهو جزء من قطاع تزجية أوقات الفراغ. ولفهم وضع هذه الجماعات، لابد أن نشير إلى أن النموذج العلماني للمجتمع يدور حول مفهومين أساسيين هما المنفعة واللذة، ولكن المفهومين متداخلان منذ البداية إذ أن ما يدخل اللذة على أكبر عدد ممكن من الناس يُعدُّ خيراً ونافعاً. بل إن المنفعة واللذة يكادان يكونان مترادفين لأن كليهما عُرف داخل إطار المرجعية المادية. ومع هذا، يبدو أن جانب المنفعة العملية هو الذي ساد في الفترة التقشفية التراكمية الرأسمالية حتى نهاية القرن التاسع عشر، ثم بدأ جانب اللذة يسود بالتدرج في الفترة الاستهلاكية أو الفردوسية، إلى أن أصبح مفهوماً أساسياً

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

وهدفًا أسمى للإنسان في المجتمعات العلمانية.
وقد عُرِّفت اللذة بشكل حسي إلى أن أصبح
العنصر الجنسي تدريجياً أساساً فيها.

وقد نشأت الصناعات المختلفة للذة التي تهدف
إلى إشباع الرغبات وإلى إثارتها في آن واحد، بل
نجد أن عنصر اللذة بدأ يصبح عنصراً أساسياً في
كثير من الوظائف العملية (إذ يُعَرَّف نفع الوظيفة
بمقدار إدخالها اللذة على المستهلك). ويُلاحَظ أن
قطاع الإعلانات في المجتمعات الاستهلاكية من
أهم القطاعات التي تلتقي فيها المنفعة باللذة،
ولذا يُستخدَم الجنس للإعلان عن سلع نفعية
محضة ليست لها علاقة باللذة مثل صابون الحمام
والسفر على الطائرة، وتُستخدَم أجمل الفتيات
بأكثر الطرق إثارة للإعلان عن أكثر السلع نفعاً!
وبعد أن كانت البغي في الماضي تقوم بإشباع
اللذة بمعزل عن المنفعة، بدأت تظهر شخصيات
أخرى تُعَدُّ تنويعات حديثة على شخصية البغي
(تختلف في قربها وبعدها عنها) تمزج المنفعة
واللذة. ويمكن النظر إلى السكرتيرة الخاصة في
المجتمعات الغربية المتقدمة كوريثة للبغي
التقليدية بعد ترشيد دورها، فهي لم تُعَدُّ تُقدِّم
الخدمات الجنسية وحسب (اللذة) بل أصبحت
تقدم خدمات فنية أخرى مثل الكتابة والاختزال
والاتصالات التليفونية (المنفعة). فالجنس، هنا، إن
هو إلا جزء من كل، فالسكرتيرة تقدم خدمات
شاملة للمدير، فهي بديل الزوجة والعشيقة
والبغي دون أن تكون زوجة أو عشيقة أو بغياً،
فوظيفتها تحقق المنفعة واللذة في آن واحد.
والإصرار على العنصر التعاقدى الواضح، في هذه

الحالة، يهدف إلى خلق مسافة بين السكرتيرة ومخدومها حتى يمكن ضمان سير العمل وحتى يتم ترشيد عنصر اللذة. والسكرتيرة ترتدي أزياء خاصة (جونيلات قصيرة- فساتين ذات صدر مفتوح مثلاً) تبرز جاذبيتها الجنسية حتى يتلذذ مخدومها وزواره أثناء أدائها عملها، ولكن يجب ألا تكون ملابسها فاضحة حتى لا يتوقف سير العمل؛ إنها تمتع رئيسها وتكتب له على الآلة الكاتبة في الوقت نفسه. وعلاقة السكرتيرة الحسنة برئيسها تشبه، من بعض النواحي، علاقة المرتزقة بالنخبة الحاكمة، فهي تقوم على خدمته (نفعياً وحسياً) وتقرب منه (حرفياً ومجازياً) حتى يعتمد عليها، وقد تصل درجة الاعتماد إلى حد أنها قد تهيمن عليه، فهي تعرف كل أسرارها (ومع هذا يوجد ما يُسمّى "السكرتيرة التي لا تجيد الكتابة على الآلة الكاتبة" وهي تُعَيَّن لجمالها وحسب، وتكون مصدراً للذة والمتعة فقط).

ومن أهم التنوعات الحديثة على هذا النمط (حيث يصبح النفع الأساسي للوظيفة هو اللذة التي تمنحها للمستهلك) نجمات السينما، وخصوصاً ملكات الإغراء الجنسي (بالإنجليزية: سكس كوينز sex queens). فالنجمة السينمائية هي العنصر الأساسي في استثمار ضخم هو صناعة الأفلام التي تهدف إلى إشباع رغبة المتفرجين في اللذة، ولذا تضع النجمة السينمائية نفسها (قلباً وقالباً، روحاً] إن كان هناك مثل هذا الروح داخلها] وجسداً) تحت تصرّف المجتمع: مخرج الفيلم ووسائل الإعلام والجمهور الذي يحلم بنجمته. ولذا، يتعين عليها أن تربي أردافها وأن تظهر دائماً في أحسن صورة وأكثرها خلاعةً

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

وترتدي آخر الموضوعات. ولا بد أن يكون الماكياج فاقعاً وكذلك الأصباغ وأن تعطي إشارات حسية واضحة (فالاكتشام يشوه صورتها الإعلامية التي يروج لها وكيل أعمالها). كما يتعين عليها ألا تظهر "على الطبيعة" وإلا أصبحت بشراً عادياً مثلنا وانفض المعجبون عنها (ولذا، نجد أن رؤية النجمة "على الطبيعة"، تُعدّ دائماً مسألة نادرة تثير الدهشة وخيبة الأمل، وعادةً ما يُقال "إن النجمة فلانة عادية جداً في الحياة الواقعية"!). كما أن حياتها الخاصة لا بد أن تكون جزءاً من الصورة الإعلامية، تُوظف في خدمة النجومية. وحينما ترتكب فضائح أخلاقية، فهذه مسألة طريفة ومسلية. وتظهر مجلات كاملة مهمتها تزويد الجمهور بأخبار المسلية عن فضائح النجوم وزيجاتهم وطلاقهم ومغامراتهم وصورهم العارية وغير العارية، وهذه عملية حوسلة تعاقدية كاملة. وتُعدّ المضيفة أيضاً استمراراً لنفس النمط، فمهمتها إسعاد الركاب لا مجرد خدمتهم. ولذا، فلا بد أن تكون جميلة وصغيرة ولا بد أن تكون أنثى (وكم ستكون خيبة أمل الركاب لو أن شاغل هذه الوظيفة ذكر له شوارب)، ولا بد أن تبتسم المضيفة للجميع وأن تكون طريفة معهم ومع أولادهم وأن تقول في نهاية الرحلة ذات الهدف العملي النفعي (الانتقال من مكان لآخر) "أرجو أن تكونوا قد استمتعتم برحلتكم". ومع هذا، لا بد أن تظل العلاقة تعاقدية باردة، ولذا فهي ترتدي زياً يفصلها عن الركاب، كما ينبغي ألا تقضي وقتاً طويلاً مع راكب بعينه، أي لا بد أن توزع وقتها بطريقة تعاقدية باردة (ولذا، فإن نصيب راكب

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الدرجة الأولى من وقت المضيفة يزيد عن نصيب راکب الدرجة الثانية). ولعل ما يلخص الموقف هو العبارة الإنجليزية "كوفي، تي، نوت مي" coffee, tea, not me (أي: أطلب ما شئت، قهوة أو شايًا، وليس المضيفة نفسها)، وفي رواية أخرى "كوفي، تي، أور مي coffee, tea, or me" (أي: أطلب ما شئت، قهوة أو شايًا، أو حتى المضيفة نفسها). والمسألة على كل خاضعة للتفاوض، كما هو الحال في معظم العلاقات الوظيفية، فهي موجودة في بقعة رمادية، ولكن البنية الأساسية لهذه العلاقة تظل تعاقدية تماماً. وتنضوي العوامل في المطاعم والملاهي تحت نفس النمط حيث تختلط المنفعة باللذة".⁴¹⁹

"2" البغاء.

يعد البغاء نشاطاً اقتصادياً هاماً في كثير من الدول الديمقراطية بل إنه يعد من أهمها في البعض منها. ففي معظم المدن الغربية يعد البغاء نشاطاً مقبولاً أو متسامحاً معه، ويكون هم أجهزة تطبيق القانون تتبع الجرائم التي تصاحبه فقط. ففي بعض البلاد مثل تايلاند يعد أهم مصدر للدخل القومي، وفي هولندا يعد البغاء مشروعاً، وإن كان متغاضى عنه لقرن سبق، أما في الدول الاسكندنافية فتهتم الإجراءات القانونية بتأكيد الإجراءات الصحية والفحص المتكرر وضرورة علاج من يصاب بالأمراض الجنسية، وفي بريطانيا منع القانون الصادر في عام 1959م الإغواء العلني الظاهر فقط، ولكنه سمح للمومسات بممارسة البغاء في منازلهن. أما في الولايات

⁴¹⁹ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الخامس: الجماعات الوظيفية- الباب الثاني: الجماعات الوظيفية والحلوية والعلمانية الشاملة- أشكال جديدة من الجماعات الوظيفية في المجتمعات الحديثة- 3- قطاع اللذة ج: 1 ص: 237 و 238.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
المتحدة فقد سمح بالبعاء قانونياً فقط في ولاية نيفادا، بينما
أظهرت استطلاعات الرأي أن قرابة نصف الأمريكيين
يفضلون عدم تجريم البغاء في كل أمريكا⁴²⁰.
ولكن في كل الحالات فإن العقوبة -في البلاد التي تعاقب
على البغاء- تقع على المومس فقط، أما الزاني فبريء لا أثم
عليه ولا حرج.

وبلاحظ الدكتور عبد الوهاب المسيري أن الإنسان الذي
خلقه الله متكاملًا مركبًا قد تحول لإنسان موظف خاضع
لقوانين الطبيعة دون مرجعيات قيمية، ويرى أن عملية
التحويل هذه لها ثلاثة أوجه: الوجه الاقتصادي وهو ما يسميه
(باللحظة السنغافورية)، والوجه الإمبريالي الصهيوني أو
النازي وهو ما يسميه (باللحظة النازية)، والوجه الجسماني
الشهواني وهو ما يسميه (باللحظة التايلاندية)، وعن الأخيرة
-وهي التي تعنينا هنا في حديثنا عن الديمقراطية وثمارها
للأخلاقية التي تحميها بقوانينها- يقول:

"اللحظة التايلاندية: نسبة إلى تايلاند، وهي بلد
آسيوي أصبح قطاع البغاء فيه من أهم مصادر
الدخل القومي وتكوّن فيه لوبي قوي من ملوك
البغاء والمخدرات حتى أصبح من المستحيل الآن
تخيّل تايلاند بدون هذا القطاع البالغ الأهمية.
واللحظة التايلاندية تعبير عن الإنسان الجسماني
حيث يتحول الإنسان تماماً إلى أداة للمتعة (في
عصر ما بعد الحداثة والاستهلاكية العالمية). وإذا
كانت الدعوة إلى تحويل كل البلاد إلى تايلاند
مسألة صعبة، إذ يفرع الناس من نزع القداسة
تماماً عنهم، إلا أن الحديث عن السياحة وتطوير
القطاع السياحي يخفى عادةً نزعة تايلاندية عميقة

⁴²⁰ Microsoft Encarta 2008, Prostitution, & The Netherlands; and
ENCYCLOPEDIA BRITANNICA 2005 Delux Edition CD, prostitution.

بتحاشي الحمى مع مواجعتها

ونحن نعرف تماماً، من خلال معرفتنا بالترشيد
الإجرائي أو الأداتي، وأخلاق الصيرورة، أن طبيعة
العمل والهدف منه ليست لهما أية أهمية، فالمهم
هو كيفية إدارته (الأداء والإجراءات) وكيفية
توظيف الطاقة البشرية بأقل التكاليف لتحقيق
أعلى عائد.

ولا يتحدث أحد أثناء اللحظة السنغافورية عن
توظيف الإنسان وتسلمه وإنما عن "تحسين
مستوى المعيشة وزيادة الإنتاج، وتوفير الرفاهية
والرخاء لأكبر عدد ممكن"، دون أية إشارة للأبعاد
الكلية والنهائية. وتحييد المصطلحات في حالة
اللحظة التايلاندية يستحق قدراً من التوقف، فإذا
كان تحييد المصطلح في حالة اللحظة النازية
مأساوياً، فهو هنا ولا شك كوميدي. إذ يتحول البغاء
إلى أهم القطاعات الاقتصادية (كما هو الحال في
بعض الدول الآسيوية). ومن ثم، تصبح البغي (التي
يُقال لها في اللغة التقليدية "بروستيتوت
prostitute") في بداية الأمر مجرد عاملة جنس
(بالإنجليزية: سكس وركر Sex worker)، عضو في
البروليتاريا الكادحة تقوم بنشاط اقتصادي منتج،
ثم تتحول بالتدريج إلى بطلة قومية. وبعد قليل، قد
يصبح من واجب الجميع أن يؤدوا واجبهم القومي
بتجريد كامل وحياد شديد. (والعياذ بالله)⁴²¹.

⁴²¹ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الباب
السادس: مصطلحات جديدة لبلورة النموذج الكامن- اللحظة العلمانية الشاملة
النماذجية ج: 1 ص: 164 إلى 166.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

ومما هو جدير بالذكر أن تشجيع تجارة البغاء أو السماح بها أو غرض الطرف عنها، يقتضي أيضاً غرض الطرف عن تجارة الرقيق الأبيض، التي تعد الرافد الأساسي للبغاء، وجلبهن من الدول التي توفرهن بأجور أرخص كدول آسيا وأوروبا الشرقية.

هذه هي الديمقراطية وما جلبته على المرأة، إذ قننت تحويل المرأة لسلعة لإرضاء الزبائن الدافعين، وأباحت لها في الكثير من البلدان أن تبيع جسدها، وفي البلاد التي تجرم البغاء تعاقب البغي فقط، بينما ينجو الزبون الدافع من العقوبة، فهل هذا نظام تشريعي يحترم المرأة؟ أم أنه كما أسلفت يخضع لهوى الأغلبية، التي تتلهف على المتاجرة بجسد المرأة (السلعة).

[هـ] الأمراض الرهيبة التي ابتليت بها البشرية بسبب

النظام الغربي الديمقراطي.

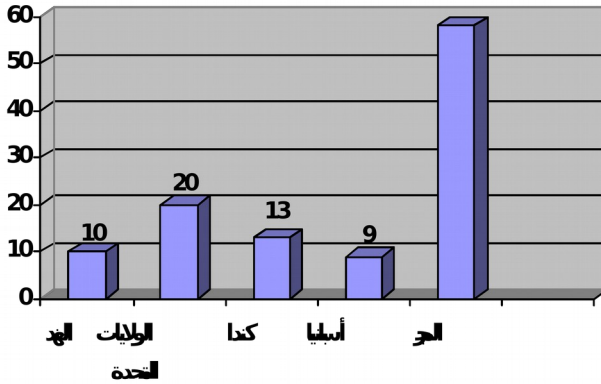
سأتعرض هنا بإيجاز لبعض الأمراض الرهيبة التي ابتليت بها البلدان الغربية، وسأشير بإيجاز للاضطرابات العقلية والانتحار والأمراض الجنسية والإدمان.
"1" الاضطرابات العقلية.

في عام 1999م أصدر كبير أطباء الولايات المتحدة أول تقرير له عن الأمراض العقلية، وجاء فيه أن 1 من 5 في الولايات المتحدة يعاني من مرض عقلي في أي سنة من السنين، كما قرر أن المرض العقلي هو أهم ثاني سبب للإعاقة، وأهم ثاني سبب للموت المبكر في الولايات المتحدة. كذلك ذكر التقرير أن قرابة 50 مليون أمريكي لديهم مرض عقلي قابل للتشخيص في أي وقت من الأوقات⁴²². كذلك أظهرت دراسة قام بها مسح الأمراض المتشاركة في المعهد القومي للصحة العقلية بالولايات

⁴²² Microsoft Encarta 2008, Mental Health, Archives, 1999: Mental Illness: Surgeon General Issues First Report on Mental Illness.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

المتحدة أن 46,4% من الأمريكيين فوق 18 سنة قد عانوا في فترة من حياتهم من مرض عقلي⁴²³.
فقد هذه النتائج بلد مثل الهند، الذي يبلغ فيه معدل انتشار الأمراض العقلية 35 لكل 100000 من الجمهور⁴²⁴.
"2" الانتحار ليس دائماً مرضاً عقلياً، ولكنه نقص اجتماعي خطير، وخاصة إذا ارتفعت معدلاته، لأنه يعبر عن يأس قطاع من الجمهور من الحياة، وبؤس المصير الذي يقودهم له نظامهم. ومن الجدير بالذكر أن أعداد المنتحرين تخفي خلفها قاعدة أوسع من اليائسين والمحبطين، الذين لم يتخذوا قراراً بالانتحار.



رسم بياني بين معدل الانتحار السنوي لكل مئة ألف من الجمهور في عدد من الدول⁴²⁵

⁴²³ Microsoft Encarta 2008, Mental Illness, VI. PREVALENCE.

⁴²⁴ SHORT TEXTBOOK OF PSYCHIATRY, 29. COMMUNITY PSYCHIATRY p: 29.2.

⁴²⁵ CURRENT Medical Diagnosis & Treatment, 25 Psychiatric Disorders, MOOD DISORDERS (Depression & Mania), Complications, p: 1067; Microsoft Encarta 2008, Suicide, II. PREVALENCE AND TRENDS; and SHORT TEXTBOOK OF PSYCHIATRY, 27. PSYCHIATRIC EMERGENCIES. I. SUICIDE. p: 27.1.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

وأكثر الدول في معدلات الانتحار تضم ليتوانيا وروسيا
وبيلروسيا وأوكرانيا وسريلانكا ولاتفيا. أما أقل الدول في
معدلات الانتحار فتضم هندوراس والدومينيكان والأردن
ومصر وسوريا⁴²⁶.

ويلاحظ أن المجموعة الأولى تضم ست دول خمسة منها
تحولت من النظام الشيوعي للنظام الديمقراطي
الرأسمالي.

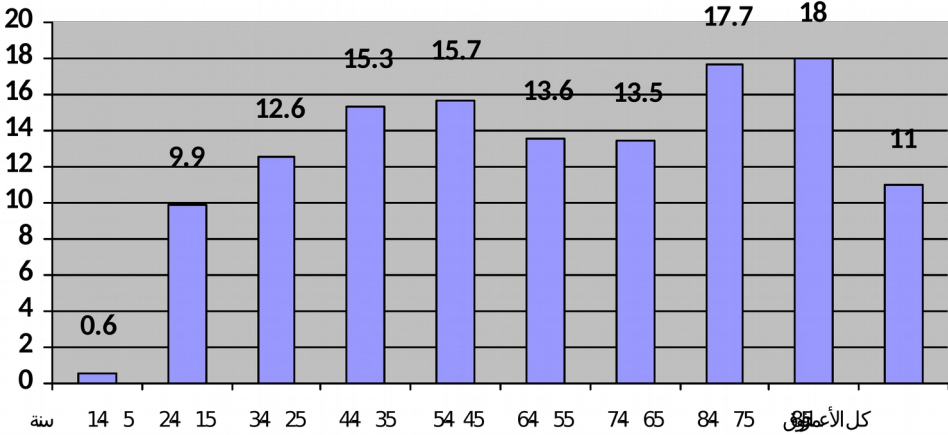
ويلاحظ ازدياد معدلات الانتحار بين المصابين بعدد من
الأمراض المستعصية، إلا أن من أبرزهم مرضى الإيدز بصفة
خاصة، الذين تزيد معدلات الانتحار بينهم ثلاثين ضعفاً عن
عموم الجمهور⁴²⁷. مما يوضح مدى بشاعة المآسي المركبة
لمخالفة الفطرة.

أما في الولايات المتحدة بالذات فإن الانتحار هو أحد أكثر
عشر أسباب للموت، وتعد أعلى معدلاته بين الرجال البيض
الذين تزيد أعمارهم عن 75 سنة.

ومعدل الانتحار الذي أثبتته في الرسم البياني للولايات المتحدة (20 لكل مئة ألف)
نقلته عن (CURRENT Medical Diagnosis & Treatment)، أما الرقم الذي أوردته
موسوعة إنكارتا فهو (11- 13 لكل مئة ألف). وعلى كل حال فهو معدل مرتفع على
أي تقدير.

⁴²⁶ Microsoft Encarta 2008, Suicide, II. PREVALENCE AND TRENDS.

⁴²⁷ CURRENT Medical Diagnosis & Treatment, 25. Psychiatric Disorders, MOOD
DISORDERS (Depression & Mania), Complications, p: 1067.



رسم بياني يبين معدلات الانتحار لكل مئة ألف للفئات

العمرية المختلفة في الولايات المتحدة⁴²⁸

ويرجع ذلك إلى طبيعة المجتمع المادية القاسية، التي تؤدي للتفكك الأسري وفقدان التراحم، فلا يجد المسنون إلا دور العجزة لتوؤيهم، أضف لذلك ارتفاع نسبة الأمراض في المسنين، وطبيعة الحياة المادية التي لا تهتدي بالدين، مما يؤدي بالكثير من المسنين إلى هوة اليأس والقنوط.

وبعد الانتحار هو الثالث من أهم أسباب الموت في الفئة العمرية من 15- 24 سنة من الأمريكان، وقد تضاعف معدل انتحارها ثلاث مرات في الفترة من 1950 إلى 1990 مرتفعاً من 4,5 إلى 13,1، ثم تدنت قليلاً وثبتت على 10 لكل مئة ألف. ومن أهم أسباب هذا التضاعف ازدياد معدل الأمراض العقلية وتعاطي المخدرات في هذه الفئة العمرية. ومن اللافت للانتباه أيضاً أن 90% من المنتحرين هم من البيض⁴²⁹. الذين يفترض أنهم أكثر الأجناس تميزاً في الولايات

⁴²⁸ Microsoft Encarta 2008, Suicide, II. PREVALENCE AND TRENDS.

⁴²⁹ Microsoft Encarta 2008, Suicide, II. PREVALENCE AND TRENDS.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
المتحدة، ولكن الأرقام تبين أنهم أكثر الأجناس يأساً وقنوطاً.
مما يدل على أن حضارة الرجل الأبيض قد جلبت عليه وعلى
البشرية البؤس والإحباط.
"3" الأمراض الجنسية.

تعد الأمراض الجنسية إحدى الثمار الخبيثة التي أثمرتها
الديمقراطية، التي تدافع عن الحرية الجنسية بفسفتها
ودساتيرها وقوانينها. والمؤسف أن ازدياد انتشار الأمراض
الجنسية -وعلى رأسها الإيدز- لم تدفع الديمقراطية عامة
والغربية خاصة للتأمل والتدبر ومراجعة النفس، بل على
العكس صاحبه انتشار أكذوبتين:

الأولى: أن الإصابة بالأمراض الجنسية هي نتيجة الجهل
بالقواعد الصحية، وأن من يلتزم بالقواعد الصحية يأمن من
الإصابة بها، ويتناسون أنهم كلما احترزوا من مرض نشأ آخر،
ولا يعلم -إلا الله- ماذا يخبئ الغيب لهم؟

والثانية: أن المصابين بالأمراض الجنسية -وخاصة الإيدز-
هم ضحايا يجب العطف عليهم، ورعايتهم والشفقة عليهم،
وعدم تعبيرهم بما وقعوا فيه، وهذه نصف الحقيقة، التي هي
أسوأ من الكذب. فلاشك أن الشفقة والرحمة بالمرضى
ورعايتهم والعطف عليهم خلق كريم لا يختلف فيه أحد، ولكن
النصف الآخر من الحقيقة؛ أن المريض يجب أن يعرّف بسبب
مرضه لكي يحذره هو وغيره، فالمصاب مثلاً بسرطان الرئة
من كثرة التدخين يجب أن يعرف مضر التدخين، وهذا واجب
طبيبه المعالج، وكذلك المصاب بسوء التغذية، يجب على
معالجه أن يرشده؛ أن سبب مرضه هو سوء التغذية، وكذلك
المصاب بسرطان المثانة نتيجة للبلهارسيا أو للعمل في
صناعات الأصباغ، لا بد أن يحذره طبيبه من سبب مرضه
ويعرفه به، وكذلك المصاب بمرض جنسي وبالإيدز خاصة، لا
بد أن يعرف أن سبب مرضه؛ هو -في الأغلب الأعم من
الأحوال- بسبب الانحلال الخلقي والإباحية الجنسية وخاصة

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الشذوذ الجنسي. وأن عليه بالتالي أن يقلع عن هذا المسلك، ويتوب لله ويراجع أسلوب حياته، ليتبع سلوكاً من العفة والطهارة، وليس في هذا تعبيراً له بالذنب، ولا يعني أن غيره أفضل منه، فكل البشر خطاءون، وباب التوبة مفتوح، ومن يتب يبدل الله سيئاته حسنات، ويفرح بتوبته، ويعوضه خيراً. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَاءٌ فَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَّابُونَ"⁴³⁰.

أمر آخر أود أن أشير إليه فيما يتعلق بالإيدز خاصة والأمراض الجنسية عامة، وهو أن الكنيسة الكاثوليكية التي تحرم الطلاق وترحب بالترهبين وتمتنع عن قبول عشرات الآلاف من طلبات الرهبان والراهبات الراغيبين في الخروج من سلك الرهبنة، معاداة للفطرة التي خلق الله الناس عليها، وعدولاً عن سنة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، هذه الكنيسة تحرم على المريض بالإيدز أن يستخدم الواقي الذكري لمنع الحمل، لأن منع الحمل في قولها حرام على كل حال، ولذا على المريض بالإيدز التابع لها إما أن يعتزل زوجته تماماً، ولا يأتيها، وبالتالي يعادي فطرته، وبحرم زوجته من حقها، ويعرضها للفتنة، حتى نهاية عمرها أو عمره، لأن الطلاق محرم في العقيدة الكاثوليكية، وإما أن يأتيها فيصيبها وولدها بالإيدز، حتى ترضى الكنيسة ويرضى فقهاء الأعوج.

وازداد انتشار الأمراض الجنسية بدأ بصورة ملحوظة في الستينيات من هذا القرن حيث صاحب ما سمي "بالثورة الجنسية"، التي اعتبرها العلمانيون الغربيون رمزاً من رموز

⁴³⁰ مسند أحمد- مسند أنس بن مالك رضي الله عنه- حديث رقم: 13072 ج: 3 ص: 198.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
تحرر الإنسان من الدين وقيود التخلف. حتى أن المومسات
لم يعدن في الولايات المتحدة يمثلن إلا نسبة صغيرة من
حالات الأمراض المنقولة جنسياً، لأن الحرية الجنسية
المتزايدة جعلت صغار السن والشباب هم المصدر الأساسي
لنتلك الأمراض⁴³¹.

وقد أظهرت الدراسات الحديثة أنه نتيجة لازدياد الإباحية
الجنسية منذ الستينيات فإن قرابة 50% من المراهقين تحت
سن 15 عاماً و 75% تحت سن 19 عاماً قد مارسوا الجماع،
مما أدى لزيادة معدل المواليد غير الشرعيين والأمراض
المنقولة جنسياً⁴³².

حتى أن الأمراض المنقولة جنسياً أصبحت من أكثر أنواع
العدوى شيوعاً، ففي الولايات المتحدة يصاب سنوياً 15
مليون شخص بواحد أو أكثر من تلك الأمراض. والولايات
المتحدة لديها أعلى نسبة إصابة بالأمراض المنقولة جنسياً
في كل العالم الصناعي، فقرابة نصف الأمريكيين يصابون
بتلك الأمراض قبل سن 35 سنة⁴³³.

وتتزايد حالات الإصابة بتلك الأمراض -في العقود الأخيرة-
حتى مع الزيادة في استخدام الواقي الذكري، لأن سن
ممارسة الجنس -لأول مرة- قد تدنى، كما أن عدد الشركاء
الذين يمارس معهم الشخص الواحد الجنس قد ازداد⁴³⁴.

هذا عن الأمراض المنقولة جنسياً عامة، أما عن الإيدز
خاصة فإن عدد المصابين به يقدر بنحو 40 مليون مريض في
العالم، وتبين الإحصاءات الحالية أن سبعمائة ألف أمريكي
مصابون بفيروس إتش أي في، 51% منهم من الرجال
الشواذ أو ثنائيي الممارسة، و 26% منهم من معاشري

⁴³¹ Microsoft Encarta 2008, Prostitution.

⁴³² Microsoft Encarta 2008, Adolescence.

⁴³³ Microsoft Encarta 2008, Sexually Transmitted Infections.

⁴³⁴ Microsoft Encarta 2008, Sexually Transmitted Infections.

الجزء الأول: التفاته للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الجنس الآخر، الذين يتعاطون المخدرات بالوريد، و 21% منهم من معاشري الجنس الآخر الذين لا يتعاطون المخدرات بالوريد.

وبين الجدول التالي نسب خطورة الإصابة بالإيدز المنقول جنسياً، حسب ترتيب الأعلى خطورة فالأدنى⁴³⁵:

نوع الممارسة	نسبة الإصابة
المستقبلون في الجماع الشرجي	1: 30 إلى 100
المولجون في الجماع الشرجي	1: 1000
المستقبلون في الجماع المهبلي	1: 1000
المستقبلون في الجماع الفمي مع القذف	1: 1000
المولجون في الجماع المهبلي	1: 10000

ومن الأرقام السابقة يتبين أن أكثر المتعرضين للإصابة بالإيدز هم اللواطون المستقبلون، يليهم اللواطون المولجون والمستقبلون في الجماع المهبلي، وأكثرهم تعرضاً للخطر المومسات، وتتزايد خطورة ونسبة الإصابة إذا اقترن بذلك تعاطي المخدرات بالوريد. وقد أشرت من قبل إلى أن نسبة الانتحار في مرضى الإيدز تزيد 30 ضعفاً عن غيرهم من المنتحرين. ومن ذلك يتبين أنه كلما زادت مخالفة الفطرة كلما زادت المصيبة.

فهل اتعظ الغرب بشيء من ذلك، بالعكس؛ ففي عام 1996 تم تعديل قانون حقوق الإنسان الكندي ليحرم التمييز المنبني على الميل الجنسي. ودول أخرى جرمت ذلك أيضاً

⁴³⁵ CURRENT Medical Diagnosis & Treatment, 31. HIV Infection, P.1319.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

مثل هولندا والنرويج والسويد وجنوب أفريقيا وأستراليا
ونيوزيلندا⁴³⁶.

ولم يتوقف الأمر على تجريم التمييز ضد الشواذ، بل تعداه
إلى تقنين زواجهم، فهولندا عام 2000 كانت أول دولة تسمح
للزوجين الشاذين بأن يتزوجا! (تأمل) بنفس الشروط
القانونية للزوجين المختلفين جنسياً⁴³⁷، أي البشر العاديين!
ثم تبعتها بلجيكا عام 2003 وأسبانيا وكندا في 2005،
واعترفت عدد من الدول الأوروبية بزواج المثليين جنسياً،
ولكنها أسمتها "القران المدني" أو "الشراكة المسجلة" مثل
المملكة المتحدة عام 2005. ثم تبعتها جنوب أفريقيا عام
2006. أما في الولايات المتحدة فيمكن للشواذ أن يتزوجوا
زواجاً رسمياً في ولاية ماسوشسيتس، ولكن ولايات عديدة
تسمح به تحت مسمى "القران المدني" أو "الشراكة
المنزلية" مثل كونكتيكت ونيوجيرسي وفيرمونت وفلوريدا⁴³⁸

بل وأنشئت كنائس لخدمة الشواذ جنسياً. وفي عام 2003
عينت الكنيسة الأسقفية بالولايات المتحدة شخصاً يجاهر
بشذوذه أسقفاً لنيو هامبشير، وهو يعد أول أسقف مجاهر
بشذوذه في الكنائس الأمريكية⁴³⁹.
وأذكر أنني كنت في لندن في أواخر الثمانينات، وكانت
الكنيسة الإنجليزية تعقد مؤتمراً لمناقشة تعيين قسس شواذ،
وشاهدت حينها مناقشة في التلفاز البريطاني حول المسألة،
وقد استضاف البرنامج قساً معارضاً وآخر مؤيداً، فقال القس
المعارض: إن تعيين الشواذ في الكنيسة يتعارض مع ما في

⁴³⁶ Microsoft Encarta 2008, Homosexuality, III. GAY RIGHTS ACTIVISM.

⁴³⁷ Microsoft Encarta 2008, The Netherlands.

⁴³⁸ Microsoft Encarta 2008, Homosexuality, IV. SAME-SEX UNION AND GAY MARRIAGE.

⁴³⁹ Microsoft Encarta 2008, Homosexuality, V. OTHER ARENAS OF ACTIVISM.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الكتاب المقدس، فرد القيس المؤيد للشواذ ببساطة أدهشتني
بأن الكتاب المقدس كثيراً ما تغير!!

ولا أدري إذا وقف أولئك القسس يعظون المصلين بما في
قصة لوط -عليه السلام- من غير وعظات، فماذا سيقولون
لهم؟ هل سيقولون لهم إن لوطاً كان متشدداً متحجراً يحرم
قومه من حقوقهم، ويتدخل في حريتهم الشخصية؟ أم
سيسقطون قصة لوط من التوراة والإنجيل؟ للذين كثيراً ما
تغير!!

وصدق الله العظيم: ﴿وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا
مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ {14} يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ
كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ
مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ {15} يُهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.﴾

وفي عام 2003 أبطلت المحكمة العليا في الولايات

المتحدة كل القوانين التي تجرم الشذوذ الجنسي⁴⁴⁰
وصدق الله العظيم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ
فَأَخَذْتَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ {42} فَلَوْلَا إِذْ
جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {43} فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ
فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْتَاهُمْ
بَغْيَةٍ فَإِذَا هُمْ مُخْلَبُونَ {44} فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.﴾

يقول الدكتور المسيري رحمه الله:

"يتحدثون في الغرب الآن عن "التفضيل أو
الميل الجنسي" (بالإنجليزية: سكشوال بريفيرنس

⁴⁴⁰ Microsoft Encarta 2008, Homosexuality, VI. RECENT DEVELOPMENTS.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

sexual preference) بدلاً من الطبيعة الجنسية الثابتة للإنسان، بمعنى أن الإنسان يختار الممارسات أو الهوية الجنسية التي يميل لها. فإذا كان المرء ذكراً، فيمكنه أن يمارس الجنس مع ذكر مثله، فهو جنس مثلي أو شاذ جنسياً (بالإنجليزية: هوموسكشوال *homosexual*) مثل وإذا كان المرء أنثى، فهي تمارسه مع أنثى مثله، فهي مساحقة (بالإنجليزية: لزيان *lesbian*) مثل كثير من زعيمات حركة التمركز حول الأنثى. وهناك من يفضل الآن ممارسة الجنس مع الحيوانات (بالإنجليزية: زوفيليا *zoophilia*)، ويُقال إن كان يحب ملاعبة القرود بطريقة جنسية، كما أن هناك من يفضل ممارسة الجنس مع الأطفال (بالإنجليزية: بيدوفيليا *pedophilia*) كما يُقال عن ويمكن إضافة أذواق غير معروفة في البلاد المتخلفة، مثل "ترانسفستيت *transvestite*" وهو الميل إلى ارتداء أزياء الجنس الآخر والتشبه بسلوكه، "أندروجيناس *androgynous*" وهو الخنثى الذي لا يمكن تصنيفه ذكراً أو أنثى (ويؤكد مايكل جاكسون هذا المظهر في هويته). وهناك "ترانس سيكشوال *transsexual*" وهو شكل طريف جداً بدأ يظهر مؤخراً في الغرب، فهو مثلاً رجل يصر على أن يكون امرأة، بل يحاول أن تُجرى له عملية جراحية ليصبح من الجنس الآخر (والعكس بالعكس).

.....
ونضيف إلى هذه القائمة الترانسفيرية "أسكشوال *asexual*" وهو المحايد جنسياً تماماً. وهناك أخيراً (حتى لا ننسى الأصل)

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

"هيتروسكسوال heterosexual " وهو م البشر
التقليديون العاديون الذين يختارون أن يشتهوا
أعضاء من الجنس الآخر (وإذا أردنا أن نتوخي
الدقة تماماً، فإن علينا أن نُسقط كلمة "الأصل"
لأن المساواة تحت رايات ما بعد الحداثة تصل إلى
درجة إنكار الأصل والمركز تماماً)⁴⁴¹.

ويقول الأستاذ الشهيد -كما نحسبه- سيد قطب رحمه الله:
"إن المجتمعات التي تسود فيها القيم والأخلاق
والنزعات الحيوانية، لا يمكن أن تكون محتمعات
متحضرة، مهما تبلغ من التقدم الصناعي
والاقتصادي والعلمي! إن هذا المقياس لا يخطيء
في قياس مدى التقدم في الإنسان ذاته.
وفي المجتمعات الجاهلية الحديثة ينحسر
المفهوم الأخلاقي بحيث يتخلى عن كل ما له علاقة
بالتميز الإنساني عن الحيوان. ففي هذه
المجتمعات لا تعتبر العلاقات الجنسية غير
الشرعية -ولا حتى العلاقات الجنسية الشاذة-
رذيلة أخلاقية! إن المفهوم "الأخلاقي" ينحصر في
المعاملات الشخصية والاقتصادية والسياسية
-أحياناً في حدود مصلحة الدولة!- والكتاب
والصحفيون والروائيون وكل أجهزة التوجيه
والإعلام في هذه المجتمعات الجاهلية تقولها
صريحة للفتيات والزوجات والفتيان والشبان: إن
الاتصالات الجنسية الحرة ليست رذائل أخلاقية!
مثل هذه المجتمعات مجتمعات متخلفة غير
متحضرة -من وجهة النظر "الإنسانية". وبمقياس
خط التقدم الإنساني.. وهي كذلك غير إسلامية..

⁴⁴¹ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الرابع:
العلمانية الشاملة- الباب الثامن: العلمانية الشاملة والإمبريالية- الترانسفير: رؤية
معرفية ج: 1 ص: 196 و 197.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
لأن خط الإسلام هو خط تحرير الإنسان من
شهواته، وتنمية خصائصه الإنسانية، وتغلبها على
نزعاته الحيوانية.."⁴⁴².

"4" الإدمان.

الإدمان هو أحد الثمرات الخبيثات للعلمانية الديمقراطية،
وسأشير هنا -بعون الله- بإيجاز لنوعين من الإدمان:
"أ" الإدمان على الكحول.
"ب" الإدمان على المخدرات.

"أ" الإدمان على الكحول.

معاقرة الخمر وما يترتب عليها من مشاكل خطيرة مختلفة
هي إحدى السمات البارزة للحضارة الغربية، التي تزعم
العقلانية والرقي بالإنسان وتحريره إلى آخر دعاواها.
وكيف يمكن أن تكون حضارة عاقلة محترمة، وهي تبيح
وتقنن وتحمي تغييب العقل؟
{1} مدى انتشار المشاكل المتعلقة بتناول الكحول
وإدمانه.

⁴⁴² في ظلال القرآن- سورة الأعراف- الآيات 1 إلى 9- ج: 3 ص: 1258 إلى 1259.

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

والإسراف في معاقرة الخمر والإدمان عليها ليس من المشاكل الهينة في العالم الغربي، بل هو من المصائب المستفحلة المستشرية.

فقد قدرت منظمة الصحة العالمية أن 76 مليون شخص في العالم يعانون من مشاكل تتعلق بشرب الكحول⁴⁴³. وأن إدمان الكحول وما يتعلق بتناوله من مشاكل يهددون الصحة العالمية، فهم يشكلون 3,5% من كل حالات المرضى في العالم. وهذا الرقم يساوي مخاطر الأمراض الجنسية، ويزيد عن سببين آخرين يهددان الصحة، وهما التبغ والمخدرات⁴⁴⁴. وفي الولايات المتحدة يقدر عدد معاقري الخمر بأكثر من 100 مليون شخص، منهم 12-15 مليون مدمن⁴⁴⁵. وبما إن الوصول لمرحلة الإدمان للكحول يستغرق عدة سنوات، فمن المفترض أن هناك قاعدة من "ما قبل المدمنين" أو المسرفين في الخمر، يتحول منهم كل عام عدة مئات من الألوف لمدمني خمر، وبناء على الإحصاءات القومية في الولايات المتحدة لأنماط شرب الخمر في العقود السابقة، فإن عدد "ما قبل المدمنين" يقدر بأربعة ملايين

⁴⁴³ Microsoft Encarta 2008, Alcoholism, II. PREVALENCE.

⁴⁴⁴ Microsoft Encarta 2008, Alcoholism, IV. SOCIAL EFFECTS OF ALCOHOLISM.

⁴⁴⁵ SHORT TEXTBOOK OF PSYCHIATRY, 8. ALCOHOL AND OTHER PSYCHOACTIVE SUBSTANCE USE DISORDERS, I. ALCOHOL RELATED DISORDERS, Prevalence, p: 8.4.

بينما تقدر الموسوعة البريطانية عدد مدمني الكحول في الولايات المتحدة بقراءة 5,4 مليون نسمة، منهم 4,5 مليون رجل، و 0,9 مليون امرأة، أي 7,3% من الرجال، و 1,3% من النساء، أو 4,2% من البالغين فوق عشرين سنة من العمر كلهم مدمنون للخمر.

[ENCYCLOPEDIA BRITANNICA 2005 Delux Edition CD, alcoholism, Prevalence of alcoholism].

بينما تقدرهم موسوعة إنكارتا بقراءة 12,5 مليوناً أي قرابة 4% من السكان.
[Microsoft Encarta 2008, Alcoholism, II. PREVALENCE].

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
شخص. وهؤلاء بالإضافة لمدمني الخمر يمثلون "الشاربين
المعضلة".

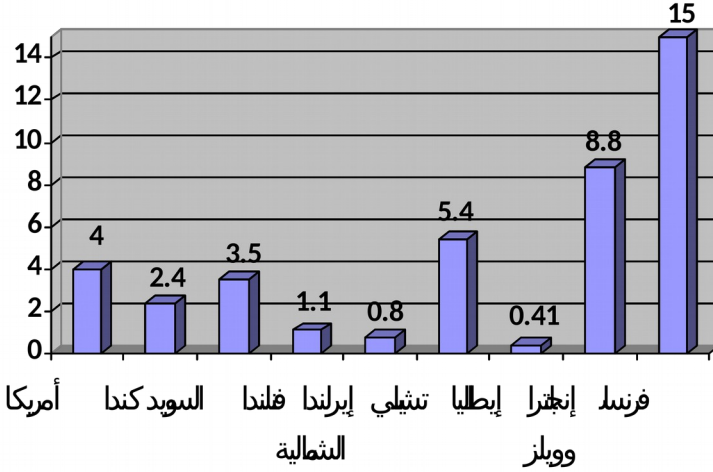
ووجود هذا العدد الضخم يجعل مشكلة إدمان الكحول من
مشاكل الصحة العامة ذات الأولوية الأولى في الولايات
المتحدة. وتظهر خطورة المشكلة من معرفة أن نسبة
الوفيات في أولئك المدمنين أكثر مرتين ونصف من المعدل
العام، ومعدل الانتحار كذلك، ومعدل الموت بسبب الحوادث
أكثر سبعة مرات من المعدل العام، وكذلك لدى هؤلاء
المدمنين معدلات أعلى -على العموم- للأصابة بالأمراض.
وقد أظهرت إحدى الدراسات أن من يعدون مدمني خمر
في المستشفيات العامة يتراوحون من 13 إلى 29 بالمئة،
وأن الاضطرابات النفسية المرتبطة بإدمان الكحول تمثل
15% من الذكور وقرابة 3 إلى 4% من الإناث المدخلين
للمستشفيات النفسية، وأن الداخلين من مدمني الخمر بغير
اضطرابات نفسية -الذين يرغبون عادة في المشاركة في
برامج علاج إدمان الكحول- يمثلون 40% من الرجال و 13%
من النساء المدخلين للمستشفيات العقلية العامة، و 15%
من الرجال و 4% من النساء المدخلين للمستشفيات العقلية
الخاصة. وهذه التقديرات لا تشمل "ما قبل المدمنين"⁴⁴⁶.
أما الخسارة المادية الناشئة عن إدمان الكحول في
الولايات المتحدة فتقدر بأكثر من 185 بليون دولار سنوياً،
بسبب نقص الإنتاجية والمرض والموت المبكر⁴⁴⁷.

⁴⁴⁶ ENCYCLOPEDIA BRITANNICA 2005 Delux Edition CD, alcoholism,
Prevalence of alcoholism.

⁴⁴⁷ Microsoft Encarta 2008, Alcoholism, IV. SOCIAL EFFECTS OF
ALCOHOLISM.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وبين الرسم البياني التالي نسبة المدمنين المئوية من عدد السكان في عدد من الدول الغربية، ويلاحظ الارتفاع الكبير في فرنسا.



رسم بياني يبين نسبة المدمنين المئوية من عدد السكان في عدد من الدول الغربية⁴⁴⁸

أما في الاتحاد السوفيتي فرغم عدد وجود إحصاءات معلنة عن عدد المدمنين إلا أن هناك انزعاجاً قوياً من أن الإدمان

⁴⁴⁸ ENCYCLOPEDIA BRITANNICA 2005 Delux Edition CD, alcoholism, Prevalence of alcoholism; and Microsoft Encarta 2008, Alcoholism, II. PREVALENCE.

كل البيانات التي في هذا الرسم البياني من الموسوعة البريطانية ما عدا النسبة في الولايات المتحدة وكندا فمن موسوعة إنكارتا.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

واسع الانتشار وخطير⁴⁴⁹. حيث يقدر أن ثلث كل الوفيات ترجع مباشرة أو غير مباشرة للإسراف في تناول الكحول⁴⁵⁰.
{2} الآثار الخطيرة لمعاورة الخمر.
لمعاورة الخمر فضلاً عن الإدمان عليها آثار خطيرة يدركها كل عاقل، فلو لم يكن إلا تغييبها للعقل لكفى بهذا بلاء، ولكن لها أيضاً آثار اجتماعية وصحية خطيرة، وقد يكون تتبع هذه الآثار خارج نطاق ذلك الكتاب، ولكنني أذكر بإيجاز أن من أسوأ آثار الكحول الصحية هو ما يحدثه من اختلال عقلي متزايد يصل إلى الحد الخلل العقلي الدائم، وكذلك أثره الخطير على الكبد، حيث يسبب التهابه ثم تليفه، مما يسبب الموت في نهاية الأمر، وتليف الكبد الكحولي هو السبب الأهم لتليف الكبد في العالم الغربي، إلا أن هناك أثراً آخرًا خطيراً، قد لا ينتبه له الكثير من الناس أو أغلبهم، وهو أثر الكحول على الأجنة، فالمرأة الحامل للمعاورة للخمر، وخاصة المسرفة في شربه، قد تسبب عيوباً خلقية لجنينها، وهي ما تسمى (بمتلازمة الكحول الجنينية)، ولا يقتصر الخطر على المسرفات في الشرب فقط، بل حتى المعتدلات في الشرب أيضاً قد تعاني أجنتهن من هذا المرض. والمشكلة أن أثر الكحول التسممي على الجنين يبدأ مع أول شهرين في الحمل، وهي الفترة التي قد لا تعلم المرأة عادة أنها حامل فيها، فحتى لو توقفت عن الخمر بعد معرفتها بالحمل، فإن الأثر الضار عادة ما يكون قد وقع.
ويقدر بأن من 30 إلى 40% من الحوامل المسرفات في الشرب يلدن أجنة مصابين (بمتلازمة الكحول الجنينية). وأهم مشاكل هذا المرض هو التخلف العقلي المصحوب بالضعف

⁴⁴⁹ ENCYCLOPEDIA BRITANNICA 2005 Delux Edition CD, alcoholism, Prevalence of alcoholism.

⁴⁵⁰ Microsoft Encarta 2008, Alcoholism, II. PREVALENCE.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

العصلي وسحنة وجهية خاصة. ويبلغ معدل هذا المرض 0,5 إلى 3 من كل ألف مولود حي في البلاد الغربية، ويعد ذلك المرض أكثر أسباب عيوب المواليد، وأكثر أسباب التخلف العقلي في العالم الغربي⁴⁵¹. وهكذا تنتقل المصيبة من جيل لجيل، وتجنّي الأم على جنينها.

{3} وقد حاول بعض العقلاء في الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية أن يدفعوا شرور الخمر بأن طالبوا بتجريم إنتاج وبيع الخمر، ولذلك قصة يحسن الوقوف عندها، لأنها تكشف حقيقة الديمقراطية.

بحلول عشرينيات القرن التاسع عشر الميلادي كان جمهور الولايات المتحدة يحتسون الخمر بمعدل 27 ليترًا من الكحول النقي في السنة لكل فرد. وبدأ العديد من الزعماء الدينيين والسياسيين يرون ذلك لعنة سياسية.

واعتقد الكثيرون أن هناك صلة وثيقة بين السكر وارتفاع معدل الجريمة والفقر والعنف، واستنتجوا أن الوسيلة الوحيدة لحماية المجتمع من ذلك هي إلغاء تجارة صناعة الخمر. وكانت ولاية مين أول ولاية تحرم إنتاج وبيع الخمر في عام 1851م، ثم تبعتها 13 ولاية من 31 بحلول عام 1855م. وفي هذا الوقت انخفض معدل استهلاك الخمر السنوي للكحول النقي إلى 8 لترات لكل فرد في أمريكا.

ولكن حلول الحرب الأهلية أدى للتراخي في هذا التوجه، وبنهاية تلك الحرب كان هناك أكثر من مائة ألف حانة في أمريكا، أي حانة لكل 400 فرد في أمريكا. وقد شجعت تلك الحانات الدعارة والقمار والعنف وبيع الخمر للقاصرين. وانبثقت كرد فعل لذلك ما سميت (بحرب النساء) الاستثنائية، وانتشرت عبر أمريكا عام 1873م. فكانت آلاف

⁴⁵¹ Microsoft Encarta 2008, Alcoholism, VII. HEALTH CONSEQUENCES; and ENCYCLOPEDIA BRITANNICA 2005 Delux Edition CD, fetal alcohol syndrome.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
النساء يسرن من الاجتماعات الكنسية إلى الحانات، حيث
يتلون الصلوات، وينشدن الأهازيج، مطالبات أصحاب الحانات
بإغلاقها.

وبحلول عام 1900م، بدأ ملايين الرجال والنساء ينضمون
لحركة معاداة الحانات، ويعتبرونها أكثر الشرور المهددة
للعائلة. ونشأت رابطة مكافحة الحانات في أوهايو، وانتشرت
في كل الولايات، وبدأت تمارس ضغطاً سياسياً، استطاعت
من خلاله بحلول عام 1916م أن تدفع 23 من 48 ولاية، لأن
تجرم صناعة الخمر، وتغلق الحانات. وبحلول عام 1917م
استطاعت أن تحقق أغلبية في الكونجرس مكنتها من أن
تقدم للولايات التعديل الثامن عشر للدستور، الذي يجرم
إنتاج وبيع ونقل (المشروبات المُسَمِّمة)، وقد تم التصديق
على ذلك التعديل في يناير 1919م.

وقد جارت معظم الدول الغربية البروتستانتية أمريكا في
ذلك، فقيدت بريطانيا شرب الخمر في عام 1920م،
والسويد أمتت صناعة الخمر في عام 1922م، وحددت بيع
الخمر بلتر واحد لكل أسرة أسبوعياً، وفي النرويج تم تجريم
بيع المشروبات التي تحتوي على أكثر من 12% من الكحول
في عام 1919، وفي نفس العام جرمت فنلندا بيع
المشروبات المحتوية على أكثر من 2% من الكحول. ثم
تبعتهم كندا أيضاً.

وقد أدى هذا التوجه لانخفاض ملحوظ في استهلاك الفرد
الخمر، الذي هبط في أمريكا من 9,8 لتر قبل الحظر (1906-1910م) إلى 3,7 لتر بعد الحظر (1934م).⁴⁵²

ورغم جهود الحكومة الأمريكية المتعددة في محاربة
الخمر⁴⁵³، فقد بدأ الجمهور الأمريكي يمل من الحظر، وبدأت

⁴⁵² Microsoft Encarta 2008, Prohibition.

⁴⁵³ ينقل السيد أبو الحسن الندوي عن السيد أبي الأعلى المودودي قوله عن حظر
الخمر في أمريكا في كتابه (تنقيحات):

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

القوى المعارضة له تتنامي، وكان من أهم أسباب ذلك أنه
بنهاية العشرينيات بدأت تظهر مجتمعات المدن الصناعية
الكبيرة، التي كان توسيع وحماية الحرية الشخصية عندها أهم
من حماية الأسرة.

وبحلول ديسمبر من عام 1933م صدر التعديل الحادي
والعشرين للدستور الأمريكي، الذي نسخ التعديل الثامن
عشر، وتبعت الدول الأخرى -التي حرمت الخمر- أمريكا في
نفس الفترة.

ونتيجة لذلك ارتفع معدل استهلاك الفرد الأمريكي بعد
إلغاء الحظر من 4,5 لترات سنوياً (1934م) إلى 10,2
لترات عام 1975م⁴⁵⁴.

كانت تلك باختصار وإيجاز قصة تحريم الخمر في أمريكا،
وهي تدل على عدة دلالات:

الأولى: أن الديمقراطية ليست إلا وسيلة في يد الأغلبية بلا
أية قيمة خلقية ولا منطقية أو عقلية حتى، وأن الأغلبية هي
التي تفرض ما تريد حتى ولو كان مخالفاً لكل مبدأ أو خلق أو
مصلحة مسلم بها.

الثانية: أن الديمقراطية غير قادرة على حمل الجمهور
على مكارم الأخلاق وكفه عن مساوئها، حتى لو كانت الأغلبية
مقتنعة بتجريم إحدى تلك المساوئ.

"منعت أمريكا الخمر، وطاردتها في بلادها، واستعملت جميع وسائل
المدنية الحاضرة كالمجلات والجرائد والمحاضرات والصور والسينما
لتهجين شربها وبيان مضارها ومفاسدها، ويقدرون ما أنفقته الدولة في
الدعاية ضد الخمر بما يزيد على 60 مليون دولار، وأن ما نشرته من
الكتب والنشرات يشتمل على 10 ملايين صفحة، وما تحملته في سبيل
تنفيذ قانون التحريم في مدة أربعة عشر عاماً لا يقل عن 250 مليون
جنيه، وقد أعدم فيها 300 نفس، وسجن 532335 نفس، وبلغت
العرامات إلى 16 مليون جنيه، وصادرت من الأملاك ما يبلغ 400
مليون وأربعة ملايين جنيه" [ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين -
الباب الثاني: من الجاهلية إلى الإسلام- الفصل الأول: منهج الأنبياء في
الإصلاح والتغيير ص: 97].

⁴⁵⁴ Microsoft Encarta 2008, Prohibition.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

الثالثة: أن العقيدة الدينية الصحيحة هي القادرة وحدها -إذا كانت لها قوة القانون- أن تحمل الجمهور على مكارم الأخلاق وأن تكفه عن مساوئها.

لأن العقيدة الدينية لا تكفي بالترهيب والترغيب القانونيين، ولكنها تخاطب عقل الإنسان وقلبه ومشاعره، وتتغلغل في نفسه، وتربطه بخالق الكون الذي يعمل لرضاه وحده دون أحد سواه ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ولذلك لما نزل تحريم القرآن استجابت الجماعة المسلمة فوراً وبلا تردد، لأن العقيدة كانت قد ترسخت في نفوسها أولاً.

فعن ابن بريدة، عن أبيه قال: بينما نحن قعود على شراب لنا، ونحن على رَمْلَةٍ، ونحن ثلاثة أو أربعة، وعندنا باطية⁴⁵⁵ لنا، ونحن نشرب الخمر جلاً إذ قمت حتى أتني رسول الله -صلي الله عليه وسلم- فأسلم عليه، وقد نزل تحريم الخمر: ﴿بَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، إلى آخر الآيتين، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾، فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾؟ قال: وبعض القوم شربته في يده، قد شرب بعضاً وبقي بعض في الإناء، فقال بالإناء⁴⁵⁶ تحت شفته العليا كما يفعل الحجام. ثم صبوا ما في باطيتهم، فقالوا: انتهينا ربنا! انتهينا ربنا!⁴⁵⁷.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَيْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْقُضَيْخَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ.

⁴⁵⁵ الباطية: هي إناء عظيم من زجاج، تملأ من الشراب، وتوضع بين الشرب يغرفون منها ويشربون.

⁴⁵⁶ يعني: أماله ثم نزع، كفعل الحجام وهو ينزع كأس الحمامة.

⁴⁵⁷ تفسير الطبري - تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ المائدة (91) ج: 10 ص: 572.

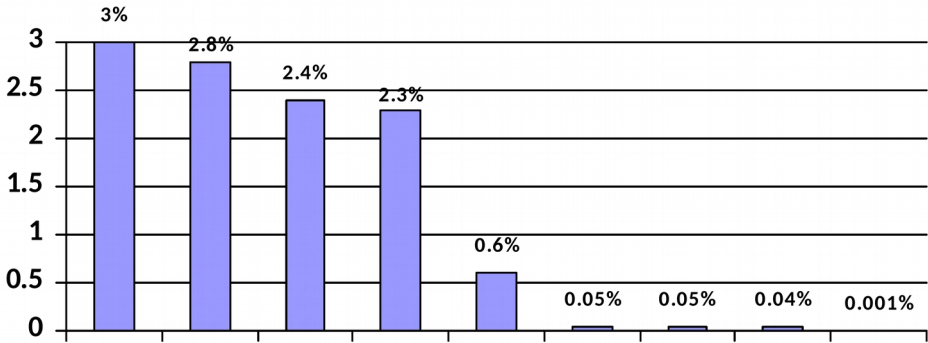
الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: أَخْرَجَ قَاهِرِهَا. فَخَرَحْتُ فَهَرَفْتُهَا،
فَحَرَحْتُ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ "458 .

ولا زالت الشعوب المسلمة حتى اليوم -رغم أن معظم الدول الإسلامية لا تحرم شرب الخمر- هي أقل شعوب الدنيا شرباً للخمر، بل إن الشاربيين هم الأقلية بين جمهور المسلمين، وذلك بسبب أثر العقيدة الدينية في نفوسهم. والغريب أن الدول الغربية تحرم أموراً كثيرة حفاظاً على الصحة، والجميع يذكر المقاطعة التي فرضت على لحوم الأبقار البريطانية، وكذلك يحرمون التدخين في الأماكن العامة، ولكنهم لا يحرمون الخمر، لأن شربها هو هوى الأغلبية، والديمقراطية هي استبداد هوى الأغلبية. "ب" الإدمان على المخدرات. ينتشر إدمان المخدرات في الدول الغربية بصورة واسعة.

458 متفق عليه: صحيح البخاري- كتاب المصالح والمفاسد- باب صب الخمر في الطريق- حديث رقم: 2284 ج: 8 ص: 349، صحيح مسلم- كتاب الأشربة- باب تحريم الخمر وبيان أنها تكون من عصير العنب ومن التمر والبسر والزبيب وغيرها مما يسكر- حديث رقم: 3662 ج: 10 ص: 181.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى



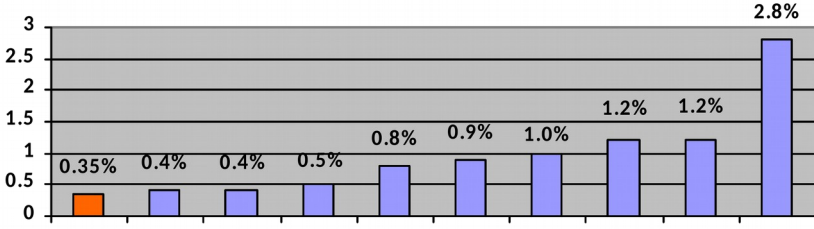
جدول يبين النسبة المئوية للانتشار السنوي لتعاطي الكوكايين في بعض البلدان بين البالغين⁴⁵⁹.

وبلاحظ في الجدول ارتفاع نسبة المتعاطين للكوكايين في الدول الغربية الميمنة به مقارنة بالمعدل العالمي (0,35%)، الميمن بالجدول التالي.

⁴⁵⁹ Word Drug Report 2007, Statistical Annex, Consumption, 3.5.1.2 Cocaine, p: 243.

في كل البلدان الموضحة عمر البالغين (15- 64 سنة) فيما عدا إنجلترا وويلز (16- 59 سنة)، وإسرائيل (18- 40 سنة)، والأحصاءات تمت في العام 2005 في كل البلدان الموضحة ما عدا إنجلترا وويلز ففي عام 2005 / 6، وفي كندا في عام 2004.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

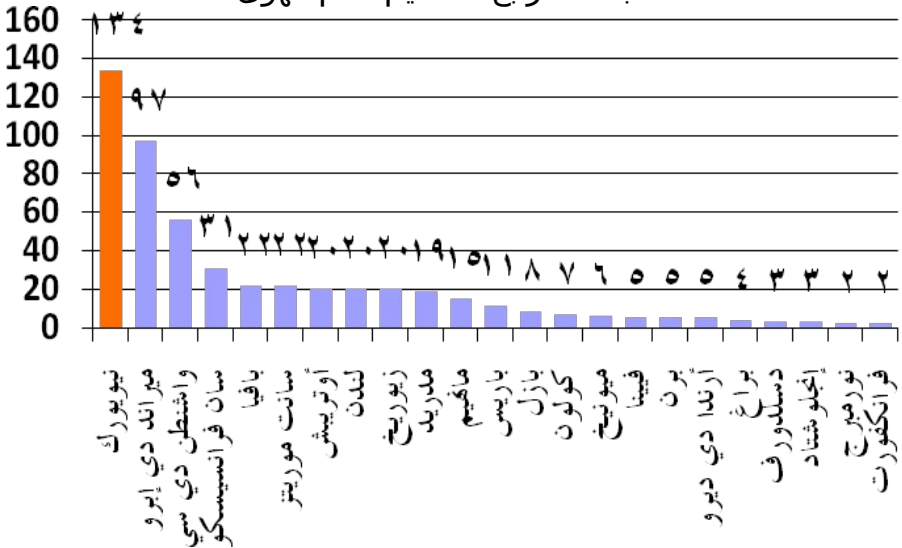


جدول يبين النسبة المئوية للبالغين (15- 64 سنة) المتعاطين للكوكايين في سنة 2006 في أمريكا الوسطى والولايات المتحدة⁴⁶⁰.

وبلاحظ من الجدول أن تعاطي الكوكايين تزيد نسبته كلما اتجهنا شمالاً حتى السوق الرئيسية في الولايات المتحدة. وكذلك يلاحظ الفرق الواضح بين نسبة البالغين المتعاطين في الولايات المتحدة مقارنة بالمعدل العالمي.

⁴⁶⁰ Word Drug Report 2007, Executive Summary, p: 20.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى



جدول يبين كميات الكوكايين في الماء العادم لثلاث وعشرين مدينة غربية في عام 2005 / 6، كما يعبر عنها بخطوط الكوكايين / يوم / 1000 ساكن (15- 64 سنة)، ويمثل كل خط 100 مجم من الكوكايين⁴⁶¹

وبلاحظ أن نيويورك (ملونة بالبرتقالي) بها أعلى كمية كوكايين مستخدم، إذ يعادل $134 \times 100 = 13400$ مجم / يوم / 1000 ساكن (15- 64 سنة).

وقد أجرت إدارة خدمات إسائة استخدام العقاقير والصحة العقلية في الولايات المتحدة إحصاءً أسرياً في عام 1999م، تبين منه أن 14,8 مليون شخص يصنفون أنفسهم كمتعاطين حاليين للعقاقير الممنوعة. وأن حوالي 8% من الشباب (12- 17 سنة) من المتعاطين المنتظمين للماريجوانا، وأن نسبة تعاطي الكوكايين في نفس الفئة العمرية كانت 49%⁴⁶².

⁴⁶¹ Word Drug Report 2007, Methodology, p: 272.

⁴⁶² Microsoft Encarta 2008, Drug Dependence.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

أما هولندا فقد سمحت قوانينها في عام 1976م بحيازة كميات صغيرة من الماريجوانا والحشيش وأشباهه⁴⁶³. ويلاحظ أن الدول الغربية لا تجرم تعاطي المخدرات، ولكنها تجرم التجارة فيها، فالمتعاطي لا شيء عليه، بل وتفرض العقوبات على الدول المنتجة للمخدرات، ولكنها لا تفرضها على الدول الغربية المستهلكة لها. وهذا التعاطي الواسع للمخدرات يثير التساؤل؛ إذا كانت الحضارة الغربية -كما يزعم العلمانيون ومفكرو الحرب الصليبية- هي أمل البشرية، وأكثر مراحلها التاريخية نجاحاً، بل هي نهاية التاريخ عند بعضهم، وهي القدوة التي يجب على الجميع -بما فيهم المسلمون- أن يقتدوا بها، فلماذا هذا الإغراق في الغيبوبة والتخدير والهروب من الواقع؟؟ [و] تفكك الأسرة.

تشهد المجتمعات العلمانية عامة والغربية خاصة تفككاً أسرياً واضحاً، وسأشير هنا لأمرين:
"1" تدمير هيكل الأسرة.
"2" ازدياد معدل الطلاق مع انخفاض معدل الزواج.

"1" تدمير هيكل الأسرة.
تتيح المجتمعات الغربية (الديمقراطية) صوراً مشوهة للأسرة، تدمر كيانها وكيان الإنسان والمجتمع.
يقول الدكتور المسيري رحمه الله:
"يمكن القول بأن الأسرة أهم المؤسسات التي تُدخل الطمأنينة والسكينة على قلب الإنسان، وهي الإطار الذي يتعلم فيه الإنسان كيف يصبح كائناً اجتماعياً مركباً، عضواً في الجماعة وفرداً منفرداً في الوقت نفسه، ذلك لأن العلاقات داخل الأسرة علاقات مادية اجتماعية مفعمة بالحب

⁴⁶³ Microsoft Encarta 2008, The Netherlands.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

والمودة. والمجتمعات العلمانية تضرب كل المؤسسات الوسيطة (وأهمها الأسرة) وتفككها حتى أصبحت الأسرة (كمؤسسة) لا تختلف عن بقية المجتمع: مكاناً للصراع والتناحر لا المأوى الذي يهجع إليه الإنسان. فالجميع داخل الأسرة الحديثة لهم علاقة بالسوق، فالأب يعمل والأم تعمل، وفي الدول المتقدمة يعمل الصبية أيضاً. وقد أصبحت الأسرة ترتيباً مؤقتاً، فحين يصل الأطفال إلى سن السادسة عشرة، فإنهم يتركون المنزل، وحينما يصل الآباء إلى سن التقاعد فإنهم ينتقلون إلى بيوت المسنين.

.....
أما احتمال أن تنحل هذه الأسرة نفسها من خلال الطلاق احتمال قوي جداً (60%). واحتمال تكوين أسرة لا يرتبط أعضاؤها برباط مباشر (زوج وأطفال من زواج سابق مع زوجة وأطفال من زواج سابق...)، فقد أصبح عالياً بشكل مدهل. وفي واقع الأمر، فإن كل هذا يعني مزيداً من التمرکز حول الذات ومزيداً من الإحساس بالعزلة ومزيداً من الانغماس في الآليات اليومية المادية التي تقضي على الدفء والحب والمودة والتراحم.
ويلاحظ أن العلاقة الزوجية، هي الأخرى، تنضوي تحت النمط الحركي التعاقدى الوظيفي نفسه. وقد أشرنا إلى ارتفاع معدلات الطلاق، ويمكن أيضاً أن نشير إلى ظهور علاقات تعاقدية بين الذكر والأنثى تحل محل علاقة الزواج، فالزوجة في الإطار التقليدي شريكة جوانية في السراء والضراء، ولكنها في الإطار العلماني الوظيفي

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الرشيد تصبح رفيقة برانية تتواجد ما دامت تؤدي وظيفة: تحقيق اللذة والمنفعة وحسب (تماماً مثل السكرتيرة أو العشيقة أو المضيفة). ومن هنا، بدأت تتزايد ظاهرة التعايش (بالإنجليزية: كوهابيتيشيان co-habitation)، أي أن يتعايش شخصان معاً فترة من الزمان (تتراوح طويلاً أو قصراً حسب الظروف) دون أن يتزوجا، فالتعايش يعني الحركية والتعاقدية والنفعية (ومن ثم العزلة والغربة) بحيث يكون متاحاً لأي طرف في العلاقة أن يقطعها بشكل هادئ ومحيد إن ثبت له أنها لم تعد تأتيه بالمنفعة أو اللذة (على عكس العلاقة الزوجية التي يجب أن تستمر في السراء والضراء)، أي أن كل طرف في العلاقة يُحوصل الطرف الآخر ويعرّفه في ضوء وظيفته ونفعه وكأنه عضو في جماعة وظيفية⁴⁶⁴.

ويقول أيضاً:

"وإذا كان الترانسفير قد انطبق على أمور لا يزال بعضها يظنها جوهرية وطبيعية وفطرية مثل الجنس، فإنه ينطبق من باب أولى على التنظيم الاجتماعي. ويُلاحظ أن الأسرة قد اختلفت أشكالها (تماماً مثل الميول الجنسية)، ففي الماضي كان هناك الأسرة الممتدة التي تضم ثلاثة أجيال ثم انكشفت إلى الأسرة النووية التي تضم رجلاً وزوجته وطفليهما (ويستحسن أن يكون الطفلان ذكراً وأنثى حتى يتمكن المجتمع من إعادة إنتاج نفسه). أما الآن، فقد أصبحوا (في

⁴⁶⁴ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الخامس: الجماعات الوظيفية- الباب الثاني: الجماعات الوظيفية والحلولية والعلمانية الشاملة- المجتمعات العلمانية والعلاقات الوظيفية (التعاقدية)- آليات تحويل الإنسان التراجمي (أو الإنسان الرباني متعدد الأبعاد) إلى إنسان تعاقدى وظيفي ج: 1 ص: 235 و 236.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

الولايات المتحدة) يسمون الأسرة النووية ("الأسرة الأساسية" بالإنجليزية: كور فاميلي core family) ويشيرون إلى أنماط أخرى من الأسر. ويُلاحظ أن هذه الأسرة الأساسية أصبحت أقلية إذ توجد أنواع أخرى، مثل: أب مع أطفاله - أم بمفردها مع أطفالها- أب وعشيقة مع أطفاله/ أو أطفالها أو أطفالهما- أم وعشيقة مع أطفالها/ أو أطفاله أو أطفالهما- أم وصديقتها مع أطفالها أو أطفالهما- أب وصديقه مع أطفاله أو أطفالهما. وقد قرأنا منذ عدة شهور عن أسرة من نوع الكور فاميلي الثابت الراسخ، إلا أن تعديلاً طفيفاً دخل عليه إذ انضم للأسرة عشيق الأب ووافقت الأم على ذلك (فمن الواضح أنها تتمتع بعقلية ترانسفيرية منفتحة) وأصبح تركيب الأسرة على النحو التالي: أم وأب وصديقه وأطفالهم (أي سقط المثني وسقطت الثنائية والمركزية والمرجعية)⁴⁶⁵.

"2" ازدياد معدل الطلاق مع انخفاض معدل الزواج.
تعد معدلات الطلاق في الدول الغربية مرتفعة، إلا أن معدلات الطلاق في الولايات المتحدة تعد من أعلى المعدلات في العالم.

الدولة	معدل الطلاق لكل 1000 من الجمهور
بيلوروسيا	4,71
الولايات	4,19

⁴⁶⁵ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الرابع: العلمانية الشاملة- الباب الثامن: العلمانية الشاملة والإمبريالية- الترانسفير: رؤية معرفية ج: 1 ص: 196 و 197.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

	المتحدة
4,19	بريطانيا
3,65	روسيا
3,59	أوكرانيا
3,39	كوبا
3,09	استونيا
3,08	لتوانيا
2,61	استراليا
2,61	نيوزيلندا
2,58	بلجيكا
2,54	الدانمرك
2,54	المجر
2,52	كوريا الجنوبية
0,85	جنوب أفريقيا
0,49	تركيا
0,42	تشيلي

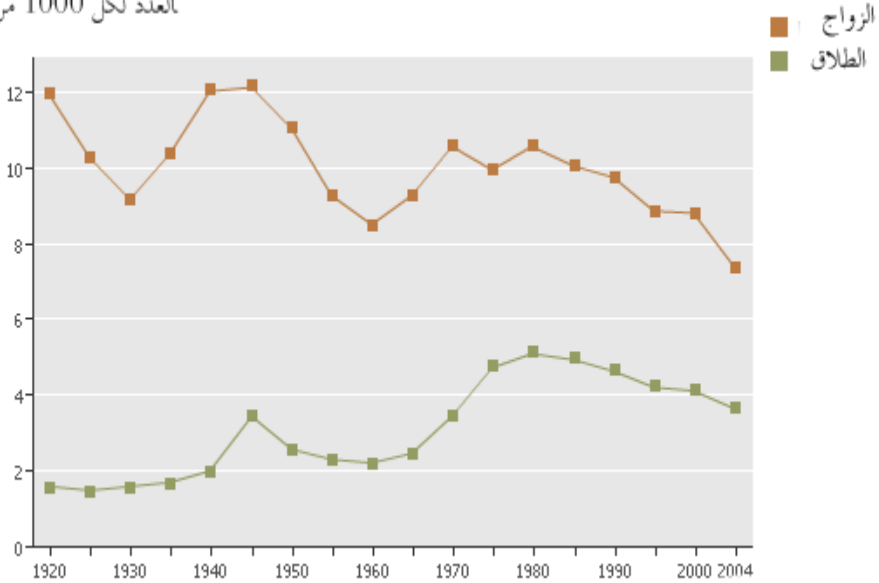
جدول يبين معدل الطلاق لكل ألف من الجمهور في عدد من الدول⁴⁶⁶

وتبين إحدى التقديرات أن 50,3% من الزيجات في الولايات المتحدة تنتهي بالطلاق. وقد أخذت معدلات الطلاق في التزايد في أمريكا منذ عام 1920م حيث كانت تعادل ثلث معدل الطلاق في عام 1995م، ورغم أن معدلات الطلاق قد بدأت في الانخفاض من الذروة التي بلغت في أوائل

⁴⁶⁶ Microsoft Encarta 2008, Divorce, V. DIVORCE IN OTHER COUNTRIES.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
 المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
 الثمانينيات، إلا أن معدلات الطلاق في الولايات المتحدة تعد
 من أعلى المعدلات في العالم⁴⁶⁷.
 وبالإضافة لتزايد معدلات الطلاق في الولايات المتحدة فإن
 معدلات الزواج تتناقص، كما يبينها الرسم البياني التالي، الذي
 يلاحظ منه أن معدلات الزواج عامة في انخفاض ومعدلات
 الطلاق في ارتفاع.

العدد لكل 1000 من الجمهور



رسم بياني يوضح معدلات الزواج والطلاق في
 الولايات المتحدة لكل ألف من الجمهور⁴⁶⁸

[ز] تحريم تعدد الزوجات.

⁴⁶⁷ Microsoft Encarta 2008, United States People.

⁴⁶⁸ Microsoft Encarta 2008, United States People.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

تحريم الديمقراطية الغربية تعدد الزوجات تحريماً باتاً متشدداً. وبعده تعدد الزوجات جريمة في معظم الدول الغربية، بل إن تعدد الزوجات في الولايات المتحدة لا يمكن الدفاع عنه بناء على الحق في الحرية الدينية، فقد حكمت المحكمة العليا في الولايات المتحدة في عام 1878م بأن تعدد الزوجات -الذي تسمح به عقيدة طائفة المورمون- يعد جريمة جنائية⁴⁶⁹.

بل لقد شنت الولايات المتحدة حرباً من أجل منع تعدد الزوجات. وموجز ذلك أن طائفة المورمون المسيحية كانت تجيز تعدد الزوجات، وقد سكنت هذه الطائفة ما يعرف اليوم بولاية يوتاه وما حولها.

وقد رفض كونجرس الولايات المتحدة ضم ولاية ديسيرت المورمونية في الاتحاد لعدة سنوات منذ عام 1849م بسبب ممارسة المورمون لتعدد الزوجات.

وفي عام 1850 قبلت المنطقة كإقليم تابع للولايات المتحدة، وسميت يوتاه، ولكن حاكمها بريجهام يونج -زعيم طائفة المورمون وأول حاكم إقليمي لها- عُزل عام 1857م لأسباب منها تأييده لتعدد الزوجات⁴⁷⁰.

وفي عام 1857م و 1858م أرسلت الحكومة الاتحادية الأمريكية جيشاً إلى يوتاه، نتيجة للتقارير التي وصلتها من هناك عن عدم إظهار الولاء للحكومة واستجابة للغضب العام ضد المورمون لممارستهم لتعدد الزوجات، فشنت ما يعرف بحرب يوتاه.

وتبع تلك الحرب عدة قوانين ومساع قضائية لإجبار المورمون على الخضوع للعرف العام بالاختصار على زوجة واحدة. فقد صدرت منذ عام 1862م إلى عام 1882م عدة قوانين لمنع تعدد الزوجات ومعاينة من يمارسه، ونتيجة لذلك

⁴⁶⁹ Microsoft Encarta 2008, Bigamy.

⁴⁷⁰ Microsoft Encarta 2008, Utah, VIII. HISTORY, G. Polygyny and Statehood, Mormon Polygyny.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

أدين وغرم وسجن العديد من المورمون، واضطرت زعامة
كنيستهم للاختفاء، كما منع 12000 من المورمون من حق
التصويت لرفضهم الوعد بعدم التزوج بأكثر من زوجة.
ونتيجة لتلك الضغوط أصدرت كنيسة المورمون بياناً في
عام 1890م سحبت فيه تأييدها لتعدد الزوجات.
وبالتنكر لشرعية التعدد أزيلت العقبة الرئيسية من طريق
اعتبار يوتاه ولاية في الولايات المتحدة. وفي عام 1894م
سن الكونجرس قانوناً يمكن ولاية يوتاه من أن تصدر
دستورها، وطالب فيه الولاية بأن تنص فيه على تجريم تعدد
الزوجات، وهو الدستور الولائي الوحيد في أمريكا، الذي ينص
على ذلك، وفي عام 1896م ضمت يوتاه للولايات المتحدة
كالولاية الخامسة والأربعين.

ولم تنته المشكلة عند هذا الحد، بل لقد منع بريجهام
روبرتس في عام 1898م من الحصول على مقعده في
مجلس النواب الأمريكي، لأنه من المعددين، وكذلك تعرض
زعيم المورمون ريد سموت -الذي انتخب كعضو بمجلس
الشيوخ عام 1903م- للتحقيق لمدة ثلاثة سنوات منع فيها
من الحصول على مقعده، بسبب اتهامه بالتعدد⁴⁷¹.
وفي الوقت الذي تحرم فيه الديمقراطيات الغربية تعدد
الزوجات، فإن معظمها يبيح الدعارة، ولا عقاب لديها على
المومسات، بل إن المومس في بيت الدعارة المرخص لا
تستطيع أن ترفض إتيان عميل لها لأنها لا ترغب فيه، وفي
نفس الوقت فإن الزوجة التي يريد زوجها أن يعاشرها ليعف
نفسه بغير رغبتها تعد ضحية، ويعد الزوج مجرمًا مِنْتَهكًا
لِعَرْضِهَا، لأنه في عرف القانون ليس (عميلاً دافعاً)، أما

⁴⁷¹ Microsoft Encarta 2008, Church of Jesus Christ of Latter-day Saints, III. HISTORY, C. The Move To Utah, and Utah, VIII. HISTORY, E. Utah Territory and the Utah War; and ENCYCLOPEDIA BRITANNICA 2005 Delux Edition CD, Mormon, History, and Utah, Before and after statehood.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الزاني في بيت الدعارة المرخص فهو (عميل دافع)، يدافع القانون عن حقه في الحصول على لذة في مقابل ما دفع. والمومس التي تعمل في محل مرخص تستطيع أن تعاشر من تستطيع يومياً حسب طاقتها ونشاطها ونهمها على المال، ولكن لو كان لهذه المومس زوج فليس من حقه أن يتزوج عليها!!

ويستطيع الرجل أن يعاشر من يشاء من عشيقاته وعاشقيه، ولا حرج عليه في عددهم وعددهن، ولكنه إن حاول أن يتزوج أكثر من زوجة فالسجن له بالمرصاد. وهذا يذكر بالقصة المشهورة في تونس بأن رجلاً حول للقضاء بتهمة أنه تزوج زوجة ثانية، ولكنه أمام القاضي قال إنها ليست زوجتي، ولكنها عشيقتي، فبرئت ساحته!! ثم هناك جانب آخر خطير في ذلك الانحراف، وهو أن تركيب أي شعب يظهر نمطاً معيناً من حيث نسبة الإناث والذكور، الذين يشكلونه. فعادة ما يولد ذكور أكثر من الإناث، والنسبة النمطية هي 105-106 من الذكور لكل 100 من الإناث. ولكن من الناحية الأخرى فعادة ما يموت من الذكور أكثر من الإناث في كل الفئات العمرية بعد الميلاد. وهذا يعني أن الذكور في سن الطفولة يزيدون على الإناث من نفس السن، ولكن هذا الفارق يتناقص مع تزايد السن، وفي نقطة معينة من عمر البالغين يتساوى الجنسان عدداً، ولكن مع تقدم السن يزيد عدد الإناث باطراد على الذكور. فمثلاً في أمريكا الشمالية وأوروبا فإن نسبة الإناث إلى الذكور فوق سن السبعين -في عام 1985م- هي 100:61-63، وفي الاتحاد السوفيتي تبلغ النسبة 100:40⁴⁷². وتتماشى مع هذه الحقيقة حقيقة أخرى، وهي أن متوسط العمر المتوقع يزيد في النساء عن الرجال، ففي اقتصاديات السوق الصناعية (أوروبا الغربية وشمال أمريكا واليابات

⁴⁷² ENCYCLOPEDIA BRITANNICA 2005 Delux Edition CD, population, Population composition, Sex ratio; and Microsoft Encarta 2008, Life Span.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

وأستراليا ونيوزيلندا) تبلغ تلك الزيادة سبع سنوات، أما في
الاقتصاديات غير السوقية مثل شرق أوروبا فتبلغ تلك الزيادة
ثمانية سنوات⁴⁷³.

إذن هناك دائماً زيادة في عدد النساء البالغات متوسطات
العمر والأسن على عدد الرجال، فإذا لم تجد هاتيك النساء
من يتزوجهن في مجتمع يدفع للإباحية والإغراق في اللذة
وتجاهل الأخلاق بكل إعلامه وثقافته، فما هي النتيجة؟
ثم هناك نقطة أخرى خاصة بالمجتمع المسلم، وهي أن
المجتمع المسلم بالإضافة لما يشترك فيه مع سائر
المجتمعات البشرية من حيث نسبة الإناث للذكور، فإنه
بالإضافة لذلك مجتمع مجاهد، يمارس الجهاد كشعبيرة
أساسية من شعائره، وسلوك أصيل من سلوكياته، وهذا ينشأ
عنه نسبة من أرامل الشهداء وأيتامهن، يحتاجون لمن يكفلهم
وبرعاهم.

ثم يتحدثون عن أن تعدد الزوجات يمثل صورة من صور
ظلم الرجل للمرأة، ولا أتصور كيف يكون ذلك الظلم؟
أليست الزوجة الثانية امرأة أيضاً؟ فإي المرأتين ظلمت
الأخرى؟ ثم لو افترضنا أن الزوجة الأولى -التي يزعمونها
مظلومة- قد ترملت أو طلقت، ثم تقدم للزواج منها رجل
متزوج، فهل ستكون ظالمة أو مظلومة؟ ثم لنفترض أن
أرملة أو مطلقة في الغرب، عاشرت رجلاً متزوجاً، وهو أمر
شائع، ثم إن هذا الرجل أراد إكرامها فقال لها، أذهب بك لبلد
مسلم، فأتزوجك زوجة ثانية إكراماً لك، بدلاً من أن تكوني
مخادنة، فهل ستقبل أم ترفض؟ وأسأل أيضاً لو أن امرأة
عاشرت رجلاً متزوجاً، وأنجبت منه ولداً، فهل يفضل ذلك
الولد أن تكون أمه عشيقة، أم زوجة ثانية؟

⁴⁷³ ENCYCLOPEDIA BRITANNICA 2005 Delux Edition CD, population,
Mortality; and Microsoft Encarta 2008, Life Span.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الظلم الحقيقي من الرجل للمرأة هو في الشذوذ الجنسي للرجال، الذي تجيزه وتحميه وتدافع عنه الديمقراطيات الغربية، وتعتبره من علامات التقدم والرقي. ففي ذلك الانحراف ينصرف الرجل عن المرأة، ويعرضها لأن تتنافس مع غيرها من النساء على الرجال، بأية وسيلة يسمح بها المجتمع، الذي يسمح بل ويشجع تعدد الفاحشة، ولكنه يحرم تعدد الزوجات.

(3) حقوق الإنسان (الأبيض):

من الأصنام التي يدعو لها دعاة الحملة الصليبية الفكرية صنم يسمونه بحقوق الإنسان، ولكنهم لا ينطقون اسمه كاملاً، فاسمه الكامل هو حقوق الإنسان الأبيض أو الغربي. وكل إنسان منصف لا يمكن أن يعترض على أن يحصل أي إنسان على حقوقه، ولكن ما هي تلك الحقوق وما مرجعيتها وما مدلول كلمة (حق) أو كلمة (عدل)، ومن الذي يقررها؟ ولأن المقام هنا مقام الإيجاز، فسأتعرض -بعون الله-

لحقوق الإنسان (الأبيض) تحت عناوين:

(أ) حقوق الإنسان (الأبيض) نظرياً.

(ب) حقوق الإنسان (الأبيض) عملياً.

(أ) حقوق الإنسان (الأبيض) نظرياً.

من أهم الوثائق الدولية التي يشيد بها دعاة حقوق الإنسان (الأبيض) وثيقتان؛ النقاط الأربع عشر للرئيس الأمريكي ويلسون والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وسأشير لكل منهما بإيجاز:

[1] نقاط الرئيس الأمريكي ويلسون الأربع عشر.

[أ] في الثامن من يناير عام 1918م، ألقى الرئيس

الأمريكي ويلسون خطاباً ذكر فيه نقاطه الأربع عشر المشهورة.

[ب] ولكن قبل أن أتطرق لتلك النقاط، أود أن أشير

لأميرين هامين:

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

الأول: أن الرئيس نيلسون -وهو يعلن نقاطه أو مبادئه المشهورة- كان قد خرج هو وحلفاؤه منتصرين في الحرب العالمية الأولى، ولذلك فإن هذه المبادئ تعرض فلسفة وعقيدة ومصالح المنتصرين في تلك الحرب، ولا يمكن قراءتها في غير هذا السياق. ودعت تلك المبادئ إلى إنشاء عصبة الأمم، التي مثلت فلسفة وعقيدة ومصالح أولئك المنتصرين.

الأمر الثاني: أن الحرب العالمية الأولى قد واكبها إعلان وعد بلفور، وأعقبها تحطيم وإلغاء الدولة العثمانية. ولذلك كان الحرص على تحقيق وعد بلفور وعدم قيام دولة الخلافة الإسلامية هدفين مقروئين بين سطور تلك المبادئ لأي قارئ مدقق.

[ج] فما هو أهم ما ورد في تلك المبادئ أو النقاط؟

"1" تؤكد المادة الأولى على إلغاء الدبلوماسية السرية، وأن المعاهدات الدولية يجب أن تتم في العلن.

"2" أكدت المادة الثالثة من تلك المبادئ على إزالة كل الموانع الاقتصادية، وتحقيق التساوي في الشروط التجارية بين كل الأمم الساعية للسلام.

"3" ونصت المادة الخامسة من تلك المبادئ على التسوية العادلة لكل النزاعات الاستعمارية، بما يراعي -على قدم المساواة- مصالح الشعوب المعنية والحكومات المسيطرة.
"4" كما نصت المواد التاسعة والعاشرية والحادية عشرة على تعديل حدود عدد من الدول (إيطاليا- النمسا- المجر- رومانيا- صربيا- الجبل الأسود والعديد من شعوب البلقان) بما يتفق مع متطلباتها القومية والتأكيد على حق تقرير المصير لبعضها.

"5" وطالبت المادة الثانية عشرة بالآتي:

"أ" حصر سيادة تركيا على الأجزاء التركية من الدولة

العثمانية.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

"ب" القوميات الأخرى تحت الحكم التركي لا بد أن يضمن

لها حق تقرير المصير.

"ج" ضمان حرية الملاحة الدائمة في مضيق الدردنيل

للسفن التجارية لجميع الدول.

"6" وطالبت المادة الرابعة عشرة بإنشاء عصبة للأمم

تضمن الاستقلال السياسي وسلامة الأراضي لكل الدول

صغيرها أو كبيرها على السواء.

"7" أما خاتمة المواد الأربعة العشرة فقد تضمنت قول

ويلسون:

"إننا نعد أنفسنا شركاء أساسيين لكل الدول

والشعوب المتضامنة سوية في مواجهة

الامبريالية".

وكذلك تضمنت دعوته لألمانيا بأن تأخذ مكانها وسط

شعوب العالم على أساس المساواة بين الشعوب، وليس

على أساس السيادة.

وأن المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه برنامجه هذا هو:

"مبدأ العدالة لكل الشعوب والقوميات، وحقها

في أن تعيش على أساس متساوية من الحرية

والأمن مع بعضها البعض، سواء كانت قوية أم

ضعيفة".

وأضاف أيضاً أن مواطني الولايات المتحدة مستعدون من

أجل تحقيق ذلك المبدأ:

"أن يضحوا بأرواحهم وعزتهم وكل ما

يملكون"⁴⁷⁴.

[د] فماذا يمكن أن نقرأ في تلك المبادئ؟

"1" بالنسبة للمادة الثالثة التي تؤكد على حرية التجارة

العالمية. فهي تعني بوضوح سيطرة الحلفاء المنتصرين في

⁴⁷⁴ Microsoft Encarta 2008, Fourteen Points, Primary Sources, Wilson's Fourteen Points.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

الحرب العالمية الأولى والمحتلين لمعظم إفريقيا وآسيا على الموارد الطبيعية وأسواق الدول الواقعة تحت احتلالهم والدول الأخرى التي ترهبهم، لأن تلك الدول لا تملك اقتصاديات منافسة لهم، ولا إرادة سياسية حرة مقاومة لهم، ولذا فإن إزالة الموانع التجارية تفتح مصادر ثروة وأسواق تلك الدول المستضعفة على مصراعها للدول العظمى المنتصرة في الحرب العالمية الأولى.

"2" وبالنسبة للمادة الخامسة التي أكدت على التسوية

العادلة لكل النزاعات الاستعمارية، بما يراعي -على قدم

المساواة- مصالح الشعوب المعنية والحكومات المسيطرة.

فهي تؤكد على تسوية النزاعات المتعلقة بالمطامع

الاستعمارية للدول الغربية على أساس نتيجة الحرب العالمية

الأولى، إذ أن من سيفصل في تلك النزاعات هو الأقوي، وثانياً

فإن النزاعات بين الدول المنتصرة سيفصل فيها على أساس

المصالح المتبادلة أو الاتفاقات المبرمة قبل نهاية تلك

الحرب، وأهمها بالنسبة لعالمنا الإسلامي والعربي؛ وعد بلفور

واتفاقية سايكس بيكو. أما ما ورد من النظر -على قدم

المساواة- بين المستعمر والمستعمر، فهو تأكيد لحق

المستعمر في تحقيق مصالح له من استعمارهم، كما أن هذا

التساوي عملياً لا يمكن أن يتحقق، فأية قوة تملكها الشعوب

المستعمرة في وجه محتليها المنتصرين في الحرب العالمية

الأولى؟ وهو ما يكشف عن أن تلك المبادئ لا تضمن إلا

حقوق الإنسان (الأبيض).

"3" أما بالنسبة للمادة الثانية عشرة المتعلقة بالدولة

العثمانية والقوميات الواقعة تحت حكمها فيتبين منها ما يأتي:

"أ" حصر سلطان الحكومة التركية على المناطق التركية

من الدولة العثمانية، وهو ما يعني إنهاء الخلافة كرابطة بين

المسلمين، وإحلال الانتماء القومي بدلاً منها، وتحويل دولة

الخلافة العثمانية لدولة علمانية قومية تركية، وهو ما يعني

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

فرض الفلسفة السياسية للدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى على عالمنا الإسلامي، وهي الفلسفة التي تدعو لقيام الدول على الأسس العلمانية القومية، وليس على الأسس الدينية، ناهيك عن الأسس الإسلامية. وبهذا تخلصت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى من خطر الخلافة، الذي ظل يهدد الغرب النصراني منذ قيام الإسلام، ثم استمر يهدد الغرب العلماني ذا النزعة الصليبية نتيجة لمقاومة دولة الخلافة العثمانية للمساعي الصليبية لاحتلال ديار المسلمين لمدة خمسة قرون، وبتحطيم دولة الخلافة العثمانية وتحويلها لدولة علمانية قومية محصورة في حدودها القومية، تكسرت بقايا القلعة، التي كانت تدافع عن البقية الباقية من بلاد المسلمين، وانطلقت دول الاحتلال الغربي لافتراس تلك البقية الباقية.

"ب" أما ما ورد في المادة الثانية عشرة عن منح

القوميات -الواقعة تحت الحكم العثماني- لحق تقرير المصير، فهو كما يقال (خدعة الصبي عن اللبن).

{1} فمعظم تلك الدول كانت إما محتلة تحت سلطان

الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الأولى، أي لم تكن تحت الحكم التركي عند صدور نقاط ويلسون، أو قد تم

الاتفاق على تقسيمها واحتلالها قبل تلك الحرب:

{أ} فالمغرب العربي كان تحت الاحتلال الفرنسي

والأسباني والإيطالي من قبل الحرب.

{ب} ومصر كانت تحت الاحتلال الإنجليزي من قبل

الحرب.

{ج} ووعده بلفور -الذي أعلن في نوفمبر 1917م- ووعده

بإهود بدولة قومية في فلسطين⁴⁷⁵. وفيما يتعلق بوعده بلفور، فأشير للملاحظات الآتية:

1- إن وعده بلفور يتناقض مع ما أعلنه ويلسون من منح

حق تقرير المصير لعدد من الشعوب، وهو ما اشتهر عن

⁴⁷⁵ Microsoft Encarta 2008, Balfour Declaration.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
نيلسون، بل لقد قُرِض الوعد علي الأغلبية العظمى من أهل
فلسطين المسلمين العرب فرضاً بالقوة والقهر والحرب.
2- إن الرئيس ويلسون من المؤيدين المتحمسين
للصهيونية، بل إنه لقب (بأبي الصهيونية)، ونتيجة لصلاته
القوية بالحركة الصهيونية أعلن تأييده لوعد بلفور فور
صدوره⁴⁷⁶.

3- تبنت عصبة الأمم -التي طالب ويلسون بإنشائها- وعد
بلفور، وأدرجته في 24 يوليو 1922م في قرارها بإخضاع
فلسطين للانتداب البريطاني⁴⁷⁷.
4- وفي مارس 1919م اقترح الرئيس ويلسون على
المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح بين دول الحلفاء (أمريكا-
بريطانيا- فرنسا- إيطاليا) إرسال لجنة تحقيق للوقوف على
رغبات المواطنين في فلسطين وسوريا ولبنان وشرق
الأردن تمهيداً لتقرير مصير المنطقة. وتشكلت اللجنة من
الأمريكيين اللذين سُمِّيت اللجنة باسميهما وهما: هنري كينج
وتشارلز كرين بالإضافة إلى بعض المستشارين.
وأصدرت اللجنة تقريراً، وصف المزاعم الصهيونية بشأن
"الحقوق التاريخية" لليهود في فلسطين بأنها لا تستوجب
الاعتبار، ولا يمكن النظر إليها جدياً بعين الاعتبار. وبيّنت
اللجنة ما في تعهدات وعد بلفور من ازدواجية وتناقض إذ "لا
يمكن إقامة دولة يهودية دون هضم خطير للحقوق المدنية
والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين".
وقد قوبل تقرير اللجنة بالرفض التام من جانب فرنسا
وبريطانيا والحركة الصهيونية. أما الولايات المتحدة -التي

⁴⁷⁶ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد السادس: الصهيونية- الجزء الثاني:
تاريخ الصهيونية- الباب الأول: تاريخ الصهيونية- تاريخ الصهيونية في الولايات المتحدة
ج: 6 ص: 97 و 98.

⁴⁷⁷ Microsoft Encarta 2008, Balfour Declaration.

موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد السادس: الصهيونية- الجزء الأول:
إشكاليات وموضوعات أساسية- الباب الرابع: وضع العقد موضع التنفيذ- الانتداب ج:
6 ص: 40.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

كان رئيسها صاحب فكرة إرسال اللحنة- فلم تُعر انتهاهاً هي الأخرى لتوصيات اللحنة، رغم ما نص عليه تقريرها من أن المشروع الصهيوني يناقض مبدأ الرئيس ويلسون بشأن حرية الشعوب في تقرير مصيرها. وإذا وضعنا في الاعتبار أن ويلسون نفسه كان قد وافق على تصريح بلفور قبل إعلانه، فستتضح على الفور حقيقة الموقف الأمريكي وحقيقة أن تلك المبادئ لم تكن في الواقع إلا ستاراً للمصالح الاستعمارية⁴⁷⁸.

5- تضمن وعد بلفور عبارة تنص على أنه لن يكون هناك:

" ما يحجف بالحقوق المدنية والدينية للجماعات

غير اليهودية في فلسطين"⁴⁷⁹.

وفي هذا استخفاف بعقول المسلمين والعرب، إذ كيف تُنشأ دولة غريبة في وطن قوم ثم تقول أنك لن تمس بحقوقهم المدنية والدينية؟

بل ويكشف هذا أيضاً عن أن حقوق الإنسان لدى الغرب هي ما يعتبره الغرب حقاً له، وهي حقوق الإنسان الأبيض الذي يرى نفسه مركز الكون، والبقية جماعات هامشية، وعن هذا يقول الدكتور المسيري رحمه الله:

"وحينما صدر وعد بلفور، وردت فيه إشارة إلى

"الجماعات غير اليهودية"، أي سكان فلسطين من

العرب البالغ عددهم آنذاك ما يزيد عن 95% من

عدد السكان، أي أن الغالبية الساحقة من سكان

فلسطين تم تهمةشها لصالح المستوطنين

الصهاينة. ولا يمكن فهم عملية التهميش هذه إلا

في إطار أن الصهاينة هنا هم ممثلو الحضارة

الغربية التي تظن أنها تحتل مركز الكون والتاريخ،

⁴⁷⁸ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد السادس: الصهيونية- الجزء الأول: إشكاليات وموضوعات أساسية- الباب الرابع: وضع العقد موضع التنفيذ- لجنة كينج- كرين ج: 6 ص: 40.

⁴⁷⁹ Microsoft Encarta 2008, Balfour Declaration.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

ولذا فإن حقوقهم في فلسطين حقوق مركزية
مطلقة. أما حقوق غيرهم من البشر ممن أقاموا
في هذه الأرض وزرعوها وحصدوا ثمارها وبنوا
منازلهم فيها عبر آلاف السنين، فهي هامشية،
وهم مجرد جماعات غير يهودية⁴⁸⁰.

{د} في مارس سنة 1916م عقدت معاهدة بطرسبرج
بين بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية، والتي تعد معاهدة
سايكس بيكو الموقعة في مايو 1916م الجزء الخاص
التنفيذي لها، وقد قسمت تلك المعاهدة أملاك الامبراطورية
العثمانية التركية وكانت أهم مبادئ هذه المعاهدة هي:
1- تمنح روسيا الولايات التركية الشمالية والشرقية.
2- تمنح بريطانيا وفرنسا الولايات العربية في
الامبراطورية التركية.

3- تدويل الاماكن المقدسة في فلسطين.
وقد كان هذا الاتفاق سرياً إلى أن كشف عنه الروس
البلاشفة⁴⁸¹.

{هـ} كذلك كان قد وُعد الشريف حسين بن علي بأن
يمنح له ملك دولة عربية تضم الشام والعراق والجزيرة في
مقابل أن يخون الدولة العثمانية، ويتعاون مع قوات الحلفاء
ضدها، ولكن الإنجليز -بوفائهم المعهود- وعدوا اليهود
بفلسطين، والفرنسيين بالشام، ثم منحوا معظم جزيرة
العرب لابن سعود!!
إذن فاي تقرير مصير هذا الذي يتحدث عنه ويلسون!⁴⁸²

⁴⁸⁰ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- المقدمة-
المصطلح ج: 1 ص: 22 و 23.

⁴⁸¹ الموسوعة العربية الشاملة- حرف السين- سايكس - بيكو، معاهدة،
ENCYCLOPEDIA BRITANNICA 2005 Delux Edition CD, Sykes-Picot
Agreement; and Microsoft Encarta 2008, Modern Palestine.

⁴⁸² راجع ما كتبه الشيخ الرئيس الشهيد- كما نحسبه- زليم خان بندربي عن ارتباط حق
تقرير المصير بدين الشعب المحتل ومدى ولائه لقيم الدول الصليبية المتحكمة في
العالم في: الباب الثالث: العودة للميدان/ الفصل الخامس: داغستان- الفرع بعد

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

{2} أن بقية الدول لم يطلب منها منح القوميات الواقعة تحت حكمها حق تقرير المصير، كما طلب من الدولة العثمانية، فلم يطلب من أمريكا أن تمنح الهنود الحمر حق تقرير المصير، ولم يطلب من بريطانيا أن تمنح الإيرلنديين نفس الحق، بل لم يطلب من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا وروسيا أن تمنح الدول التي تحتلها حق تقرير المصير، لأن تلك الدول هي الدول المستعمرة المنتصرة في الحرب، وبالتالي فإن مبادئ ويلسون تعبر عن مصالحها. وبذا يتبين أن ما ذكره ويلسون عن حق تقرير المصير والمساواة والعدالة بين الشعوب ليس إلا كذباً صرفاً.

لقد أقر ويلسون لبعض الدول التي من مصلحته إعطائها حق تقرير المصير بذلك، أما شعوب عالمنا الإسلامي، فلم يكن من نصيبها إلا الاحتلال والقهر.

وبهذا يتبين أن عبارات العدالة والمساواة ومقاومة الإمبريالية، التي حشى بها نيلسون بيانه لم تكن إلا تجميلاً للوجه القبيح لأطماع الحلفاء في الشعوب المستضعفة عامة وشعوبنا خاصة.

هذه كانت نظرة سريعة علي مبادئ ويلسون التي اعتبرها كثير من العلمانيين فتحاً جديداً في التاريخ البشري.

[2] الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

أتطرق الآن للمثال الثاني الذي يشيد به أنصار حقوق الإنسان (الأبيض)، وهو الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

[أ] أصدرت الأمم المتحدة في العاشر من ديسمبر لعام 1948م الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

[ب] ولكن قبل أن أتطرق لذلك الإعلان أود أن أشير لأمرين:

انقطاع السبب/ المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز/ الفرع الرابع: المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

"1" مثلت الأمم المتحدة إرادة المنتصرين في الحرب العالمية الثانية⁴⁸³، ولذلك فإن البيان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر عنها يمثل رؤية وفلسفة ومصالح تلك الدول، ولا يمكن أن يقرأ خارج هذا السياق.

"2" كان من أهم نتائج الحرب العالمية الثانية قيام دولة إسرائيل-التي أيدها ودعمها ثم اعترف بها الحلفاء المنتصرون في الحرب العالمية الثانية- في الرابع عشر من مايو لعام 1948م، أي قبل صدور البيان بسبعة أشهر، بل في الحقيقة لقد اعترفوا بشرعيتها بموافقتهم على قرار التقسيم الصادر عام 1947م، بل حتى يمكن إرجاع الاعتراف بتلك الشرعية إلى وعد بلفور الصادر عام 1917م. وقد صدر الإعلان المذكور عن مفوضية حقوق الإنسان في الأمم المتحدة، التي كانت ترأسها مندوبة الولايات المتحدة؛ إيلانور روزفلت، أرملة الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت⁴⁸⁴.

وهو المعروف بتأييده لقيام دولة إسرائيل وعلاقته الوثيقة بالتجمعات اليهودية، حتى أن ما بين 85 و 90% من اليهود أعطوا أصواتهم لروزفلت في الفترة 1933-1945⁴⁸⁵.

كما أنه اتفق مع كل من ستالين وتشترشل في مؤتمر بالطا في فبراير عام 1945 على ضرورة إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، وعلى وجوب إزالة كل معوقات الهجرة اليهودية إلى فلسطين فوراً مقابل السماح للسوفييت بإقامة مناطق نفوذهم في أوروبا الشرقية⁴⁸⁶.

[ج] فما هو أهم ما ورد في ذلك الإعلان؟

⁴⁸³ راجع لتفصيل كيفية نشوء الأمم المتحدة:

Microsoft Encarta 2008, II. CREATION OF THE UNITED NATIONS.

⁴⁸⁴ Microsoft Encarta 2008, Eleanor Roosevelt, V. ON HER OWN.

⁴⁸⁵ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الرابع: الجماعات اليهودية: تواريخ- الجزء الثالث: تواريخ الجماعات اليهودية في بلدان العالم الغربي- الباب السابع عشر: الولايات المتحدة منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى عام 1971- نهاية المرحلة اليديشية وظهور اليهود الأمريكيين (1929-1945) ج: 4 ص: 334.

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

تضمن ذلك الإعلان ثلاثين مادة تؤكد إجمالاً على:

- لا تفرقة في الحقوق والحريات المنصوص عليها في ذلك الإعلان بسبب العرق، واللون، والجنس، واللغة، والدين، والرأي سياسي أو غيره، والأصل القومي أو الاجتماعي، والملكية، والميلاد، أو غيرها من الأحوال.
- الحق في الحياة والحرية والأمن الشخصي.
- الحق في حرية الضمير والديانة والرأي والتعبير والتجمع والاجتماع.
- الحق في الحماية من التوقيف العشوائي.
- الحق في محاكمة عادلة.
- الحق في الحماية من التدخل في الخصوصية والسكن والمراسلة.
- الحق في جنسية.
- الحق في مجتمع آمن ومستوى لائق من المعيشة.
- الحق في التعليم. وأن يوجه التعليم نحو التنمية الكاملة للشخصية الإنسانية وتوكيد حقوق الإنسان والحريات الأساسية.
- الحق في الراحة والترفيه.
- الحق في الملكية الشخصية.
- الحق في اعتبار المتهم بريئاً حتى تثبت إدانته.
- الحق في مغادرة أي شخص لوطنه متى شاء وعودته له متى شاء.
- الحق في العمل تحت ظروف ملائمة.
- الحق في المساواة في الأجر لنفس العمل.
- الحق في الانضمام للنقابات بحرية.
- الحق في الزواج وتكوين أسرة.
- تستحق الأمومة والطفولة عناية ودعمًا خاصين.

486 موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الثالث: الجماعات اليهودية: التحديث والثقافة - الجزء الأول: التحديث- الباب التاسع: الاشتراكية والجماعات اليهودية- البلاشفة والصهيونية ج:3 ص: 124.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

- الحق في المشاركة في الحكومة وفي الحياة

الاجتماعية⁴⁸⁷.

[د] فماذا يمكن أن نقرأ في ذلك الإعلان؟

"1" أكد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على عدم

التفرقة بين الناس على أساس من الفوارق العديدة مثل
(العرق، واللون، والجنس، واللغة، والدين، والرأي سياسي أو
غيره، والأصل..... إلخ). ولكنه لم يتكلم عن التفرقة على
أساسين:

"أ" الأساس الأول: التفرقة على أساس الوطن والجنسية.

التي تفرق بين الناس على أساس من الدولة القومية
والجنسية، بل وتفرضها على غيرها كما حاولت فرنسا ضم
الجزائر لها واعتبارها جزءاً من الوطن الفرنسي العلماني
الغربي.

فالفرنسي مثلاً لا يتمتع في أمريكا بنفس الحقوق التي
يتمتع بها الأمريكي الجنسية، حتى لو أقام في أمريكا
عشرات السنين ودفع من الضرائب ملايين الدولارات،
فسيظل لا يتمتع بنفس الحقوق طالما لم يحصل على
الجنسية الأمريكية.

وهذا ناشيء من تصور العقيدة الغربية لقيام النظام
الدولي على أساس الدولة القومية العلمانية، التي تفرق بين
الناس على أساس الجنسية والوطنية، والتي لا تقيم للدين
أي اعتبار.

وهذا التصور يعادي ويحارب الدولة الدينية، التي بالمقابل
لا تعترف بالفروق القومية والجنسية والوطنية، ويستند الولاء
فيها على أساس الدين. وقد تمكنت الدول الغربية من
القضاء على تلك الدولة باحتلال أجزاء واسعة من الدولة
العثمانية، ثم تقسيم البقية الباقية منها على الدول الغربية
بعد الحرب العالمية الأولى.

⁴⁸⁷ Microsoft Encarta 2008, Universal Declaration of Human Rights.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وهذا التصور الذي لا يرى أية غضاضة من التفريق بين الناس على أساس جنسيتهم ووطنيتهم، يأبى -دون الاستناد على أي أساس عقلي أو خلقي- التفريق بين الناس على أساس الدين. مع أن الدين اختيار، بينما الفوارق التي ذكرت في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لا اختيار للإنسان فيها، وما بني على الاختيار، لا شك أنه أشرف مما بني على الوراثة وعدم الاختيار.

يقول الأستاذ الشهيد -كما نحسبه- سيد قطب رحمه الله:

"وحيث تكون أصرة التجمع في مجتمع هي العقيدة والتصور والفكر ومنهج الحياة. ويكون هذا كله صادراً من الله، لا من هوى فرد، ولا من إرادة عبيد. فإن هذا المجتمع يكون مجتمعاً متحضراً متقدماً. أو بالاصطلاح الإسلامي: مجتمعاً ربانياً مسلماً.. لأن التجمع حينئذ يكون ممثلاً لأعلى ما في "الإنسان" من خصائص -خصائص الروح والفكر- فأما حين تكون أصرة التجمع هي الجنس واللون والقوم والأرض... وما إلى ذلك من الروابط.. فإنه يكون مجتمعاً رجعيّاً متخلفاً.. أو بالاصطلاح الإسلامي: مجتمعاً جاهليّاً مشرّكاً.. ذلك أن الجنس واللون والقوم والأرض... وما إلى ذلك من الروابط لا تمثل الحقيقة العليا في "الإنسان". فالإنسان يبقى إنساناً بعد الجنس واللون والقوم والأرض. ولكنه لا يبقى إنساناً بعد الروح والفكر!

ثم هو يملك بإرادته الإنسانية الحرة -وهي أسمى ما أكرمه الله به- أن يغير عقيدته وتصوره وفكره ومنهج حياته من ضلال إلى هدى عن طريق الإدراك والفهم والافتتاح والاتجاه. ولكنه لا يملك أبداً أن يغير جنسه، ولا لونه، ولا قومه. لا يملك أن يحدد سلفاً مولده في جنس ولا لون؛ كما لا يمكنه أن

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً /
 المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
 يحدد سلفاً مولده في قوم أو أرض.. فالمجتمع
 الذي يتجمع فيه الناس على أمر يتعلق بإرادتهم
 الحرة هو بدون شك أرقى وأمثل وأقوم من
 المجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمور خارجة
 عن إرادتهم ولا يد لهم فيه " 488

وفي المقابل أيدت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية منشئة هذا الإعلان قيام دولة إسرائيل، بموافقتها على قرار التقسيم الصادر عام 1947م، أي قبل صدور الإعلان العالمي بسنة، ودولة إسرائيل تقوم على التفرقة بين الناس على أساس الدين، وتمنح أي يهودي في العالم -بغض النظر عن جنسيته ووطنه ومكان مولده- الحق في أن يهاجر لإسرائيل، ويحمل جنسيتها، ويكون مواطناً فيها، طبقاً لقانون العودة وقانون الجنسية. والقانون الأخير يمنح اليهودي الجنسية الإسرائيلية حتى دون أن يهاجر إليها، بل وهو لا يزال في موطنه الأصلي، دون أن يتنازل عن جنسيته الأصلية، ويكفي أن تكون لديه النية للهجرة، وبينما يعطي هذان القانونان الحق لليهودي الذي غادر أجداده فلسطين منذ ألفي عام -كما يزعمون- في العودة لفلسطين، ينكر هذا الحق على الفلسطيني الذي غادر وطنه مضطراً تحت الإرهاب الصهيوني منذ عدة أعوام⁴⁸⁹.

ومن الجدير بالذكر أن إسرائيل ترفض عملياً الالتزام بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان على غير اليهود، كما ترفض

⁴⁸⁸ في ظلال القرآن- سورة الأعراف- الآيات 1 إلى 9- ج: 3 ص: 1254 إلى 1259.

⁴⁸⁹ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- الجزء الأول: طبيعة اليهود في كل زمان ومكان- الباب الثاني: إشكالية الوحدة اليهودية والنفوذ اليهودي- الولاء اليهودي المزدوج ج: 2 ص: 10 والجزء الثاني: يهود أم جماعات يهودية؟- الباب الثالث: إشكالية الهوية اليهودية- الهويات اليهودية والتناقض بين الرؤية الصهيونية والممارسة الإسرائيلية ج: 2 ص: 140 و المجلد السابع: إسرائيل.. المستوطن الصهيوني- الجزء الأول: إشكالية التطبيع والدولة الوظيفية- الباب الأول: إشكالية التطبيع- التطبيع السياسي والاقتصادي ج: 7 ص: 1 والباب الثاني: إحلالية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني- قانون العودة: قانون صهيوني أساسي ج: 7 ص: 58.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الالتزام بالمواثيق الدولية، ومنها اتفاقيات جنيف في كيفية التعامل مع شعب الأراضي المحتلة. ولا توجد دولة في الأمم المتحدة صدرت بحقها قرارات إدانة في هذا المجال ومجال رفضها الالتزام بميثاق الأمم المتحدة وقراراتها كما صدر بحق دولة إسرائيل⁴⁹⁰.

إذن فهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مبني على تصورات الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية ومصالحها التي تتناقض أحياناً مع مبادئها دون أن يروا أية غضاضة في ذلك.

"ب" الأساس الثاني من التفرقة الذي لم يذكره الإعلان هو التفرقة بين الناس على أساس القوة، لأن واضعيه هم الخمسة الكبار في مجلس الأمن، الذين خرجوا منتصرين من الحرب العالمية الثانية، والذين أعطوا لأنفسهم حق قيادة العالم. وقسموا النظام العالمي في الأمم المتحدة لطبقتين: الأولى الخمسة الكبار في مجلس الأمن، والثانية بقية الدول، الذين يتركونهم يتصاحون في الجمعية العامة.

"2" أكد الإعلان على الحق في الحياة، ولكن المحافظة على الحياة في الإسلام واجب شرعي وليست مجرد حق. وهذا الفرق راجع لفرق في أصل التصور للإنسان، فالإنسان عند العلمانيين هو سيد نفسه والكون عند بعضهم، أو هو أسير القوانين المادية الحتمية التي تسير الوجود المادي عند البعض الآخر، وكلا التصورين الباطلين ناتجين من إنكار وجود المولى - سبحانه وتعالى- أو من إنكار وجوب اتباع أمره.

أما في الإسلام فإن الإنسان مستخلف -في عمران الأمر وإقامة الشريعة- من المولى سبحانه وتعالى، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

⁴⁹⁰ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد السابع: إسرائيل.. المستوطن الصهيوني- الجزء الأول: إشكالية التطبيع والدولة الوظيفية- الباب الأول: إشكالية التطبيع- السمات الأساسية للمشروع الصهيوني ج: 7 ص: 6.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نَعْلَمُونَ ﴿۳۸﴾ ﴿فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }
38} وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿۳۹﴾. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿۴۰﴾.

ولذلك فإن الإنسان محاسب ومسؤول عما استخلف فيه، أما عند العلمانيين فلا وجود للإله، وإنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع، أو أن الله قد خلق الكون ثم تركه، وهو تصور خرافي باطل يأباه الإسلام، يقول عز من قائل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ بَسِيرٌ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿۱۳﴾، ويقول أيضاً: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿۱۳﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿۱۴﴾، ويقول سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿۱۵﴾، ويقول سبحانه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿۱۲۸﴾} قَالُوا أَوْذَيْنَا مِن قَبْلُ أَن تَأْتِنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِقَ فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿۱۲۹﴾.

ولما كان الإنسان مستخلفاً ومؤتمناً على ما وهبه الله، فقد أكدت الشريعة على ضرورة المحافظة على أهم ما

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وُهب للإنسان؛ وهي الضرورات الخمس (الدين والنفس والنسل والمال والعقل). يقول الإمام الشاطبي رحمه الله:

"فقد اتفقت الأمة -بل سائر الملل- على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس -وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل- وعلمها عند الأمة كالضروري"⁴⁹¹.

والمحافظة على هذه الضرورات أمانة تحاسب الأمة كلها عليها. يقول الشيخ عبد الله الجديع عن الواجب الكفائي:

"وهو ما طلب الشارح حصوله من جماعة المكلفين، بحيث لو قام بعضهم بريئت ذمته سائرهم.

مثل: الجهاد في سبيل الله، والأمير بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحصيل الأسباب لحفظ الضرورات الخمس: الدين، والنفس، والمال، والعرض، والعقل، كالتفريع للعلوم المتخصصة في الشريعة والحياة، وإدارة شؤون الحكم والقضاء والسياسة.

واجتماع الناس على التفريط بهذا الواجب اجتماع على الإثم، ولا تبرأ ذمهم حتى يوجد فيهم من يحقق الكفاية لسائر المسلمين بتحصيل ذلك الواجب"⁴⁹².

ولذا حرم الإسلام الانتحار، الذي هو عدوان على إحدى الضرورات الخمس (النفس)، التي أوتين عليها الإنسان. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا {29} وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ تَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾، لأن الإنسان ليس من حقه أن ينهي حياته -التي أمر بالمحافظة عليها- تحت ضغط اليأس والقنوط، بينما الانتحار في الديمقراطيات الغربية

⁴⁹¹ الموافقات ج: 1 ص: 31.

⁴⁹² تيسير علم أصول الفقه ج: 1 ص: 16.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

ليس جريمة⁴⁹³. لأنهم يعتبرون الحياة مجرد حق شخصي،
بينما يعتبرها الإنسان استخلاقاً في الأرض لإقامة حكم الله
فيها ولعمرانها.

بل يعد المدافع عن نفسه ضد العدوان عليها شهيداً. قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قتل دون ماله فهو
شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو
شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد"⁴⁹⁴.

وإذا كان الإعلان قد تكلم عن حق الإنسان في الحياة فإنه
لم يتكلم عن حق الشعوب في الحياة من باب أولى، فلم
يتكلم الإعلان عن حق البشرية في الحماية من أسلحة التدمير
الشاملة التي استخدمها واضعو الإعلان في الحربين
العالميتين، فلم يشر التقرير للغازات السامة التي استخدمها
الغرب في الحرب العالمية الأولى، ولم يشر التقرير للقنابل
النارية التي استخدمها الحلفاء ضد الألمان واليابانيين في
الحرب العالمية الثانية، ولا للقنبلة الذرية التي استخدمها
الأمريكان ضد اليابان لأول مرة في التاريخ.
وكذلك لم يتكلم الإعلان عن منع إبادة الشعوب الأصلية،
لأن أهم واضعيه قامت دولهم على إبادة السكان الأصليين
فيها.

فتوماس جيفرسون مثلاً الرئيس الثالث لأمريكا وكاتب
وثيقة الاستقلال، والذي يفخر به الأمريكيان ويعتبرونه من
أشهر دعاة الحرية والديمقراطية، ومن أكثر الناس المعبة
في التاريخ، والذي كان يعتبر أن حرية الديانة وحرية الطباعة
وحرية الشخص من الاعتقال الغير قانوني وحقه في
المحاكمة العادلة هي المبادئ التي كانت تهدي مسيرة الثورة
والإصلاح⁴⁹⁵. توماس جيفرسون هذا كان هو وجيله لا يعتبرون

⁴⁹³ Microsoft Encarta 2008, Suicide, VII. ATTITUDES TOWARDS SUICIDE.

⁴⁹⁴ قال الضياء المقدسي رحمه الله: إسناده حسن. الأحاديث المختارة- مسند سعيد
بن زيد- حديثان رقم: 1092 و 1093 ج: 3 ص: 292.

⁴⁹⁵ Microsoft Encarta 2008, Thomas Jefferson, quotations.

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الهنود الحمر من مواطني الولايات المتحدة، الذين لهم الحق في التمتع بالحقوق التي يفخر بها الأمريكيان، بل لم يكونوا يعدونهم بشراً، وكانوا يرون أن الهنود الحمر ليس أمامهم إلا خياران، إما أن يندمجوا في الولايات المتحدة، ويعيشوا كأمریکان متحضرين، أو أن ينفوا في أماكن العزل غرب نهر المسيسيبي، بعيداً عن أوطانهم وأراضيهم التي استولى عليها الأمريكيان المتحضرون⁴⁹⁶.

"2" وتكلم الإعلان عن الحق في حرية الضمير والديانة والرأي والتعبير والتجمع والاجتماع.

وهذا الكلام من باب الخداع والإيهام، فالموقعون على البيان -وعلى رأسهم أمريكا- لا يسمحون بحرية الرأي إلا في حدود معينة. وقد مر بنا من قبل موقفهم ممن يعادي السامية أو ممن ينكر المحرقة النازية، أو من يعادي الشواذ. أما كلامهم عن الحرية الدينية فخداع آخر، فقد مر بنا موقفهم من تعدد الزوجات والحجاب والنقاب، وهي أمور شخصية لا تتعدى إلى التدخل في شؤون المجتمع، وكذلك موقفهم من بناء المآذن، وهو شأن داخلي شكلي للمسلمين، لا يتدخل في شؤون الآخرين.

أما كلامهم عن الحرية في اختيار الدين فراجع لاختلاف المقدس والمدنس في تصوراتهم، فالدين والأنبياء والمولى سبحانه وتعالى ليسوا من المقدسات عندهم، ولذا لا بأس من تغيير الدين أو مهاجمته والسخرية منه، أما المحافظة على السامية والإيمان بالمحرقة النازية وحرية الشذوذ الجنسي فهي من المقدسات عندهم، ولذا لا يسمحون لأحد أن يغير رأيه من التصديق بالمحرقة النازية إلى التكذيب بها، مع أن المحرقة النازية جادث تاريخي، وليس عقيدة ولا ديانة. ولا يسمحون أيضاً لأحد أن يصرح بما يعتبرونه معادياً للسامية حتى لو كان سامياً قحاً من أمثال العرب، فليس

⁴⁹⁶ Microsoft Encarta 2008, Native Americans of North America, VI. HISTORY, Removal Trends, 1815 to 1870.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

العرب وأمثالهم من الساميين الذين يمنعون معاداتهم، وإنما الساميون المدافعون عنهم هم (اليهود) سواء كانوا ساميين أو غير ساميين، وكذلك يعد النقاب والحجاب وتعدد الزوجات وبناء المآذن من المندسكات عندهم فلا يسمح بها، ولا يجوز الاحتجاج بحرية ممارسة الشعائر الدينية على القيام بها كما مر بنا. مع التذكير أنهم في الوقت الذي يجرمون فيه تعدد الزوجات، بل ويشنون الحرب على من يمارسه، يسمحون بصور عديدة مقززة من شطحات الشذوذ الجنسي، ويعتبرونها من الحرية الشخصية التي لا يجب أن تمس، بل ويعتبرون احترامها مقياساً على تقدم الأمم.

والأصل الذي تتبع منه كل هذه التصورات أن الدين الذي يدينون به هو (استياد هوى الأغلبية)، فما حرمه صار حراماً، وما أحله صار حلالاً، بل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والأمم المتحدة كلها ليست بذات قيمة عندهم إذا خالفت هوى الأغلبية.

فبالرغم من سيطرة أمريكا على الأمم المتحدة، فإنها لم تنتظر قرارها حتى تغزو العراق، بل غزته، بينما الأمم المتحدة لا زالت تتباحث في أسلحة صدام للدمار الشامل، وفرق تفتيشها لا زالت تعمل في العراق، بل وزعمت أمريكا أن القاعدة على صلة بنظام صدام، واستندت في الدعاية لذلك على بعض الهراء الذي سمته أدلة، ومنه الاعترافات التي انتزعت -تحت التعذيب- من الشهيد -كما نحسبه- الشيخ ابن الشيخ الليبي رحمه الله. ثم ثبت أن كل دعاوى أمريكا عن العراق كانت كذباً في كذب، وكذلك أصدرت الأمم المتحدة عشرات القرارات التي تدين فيها إسرائيل، ولكن الدول الغربية الديمقراطية لا تأبه لها، وكذلك قرار الأمم المتحدة بإجراء استفتاء حول تقرير المصير في كشمير صدر منذ قرابة ستين عاماً، ولا زال راقداً في مقبرة الأمم المتحدة، ولا تأبه له أية دولة غربية ديمقراطية.

"3" وتحدث الإعلان عن الحق في الحماية من التوقيف

العشوائى، والحق في محاكمة عادلة.

ولكن لم يتحدث عما هي العدالة وما هو العدل؟ وهذا يرجع بنا للسؤال الأول الذي يتناقض فيه العلمانيون، حينما يتكلمون عن الحق والمبادئ والعدل.... إلخ. بينما هم لا يرجعون لا في تصوراتهم النظرية ولا ممارساتهم العملية لأية قيم ثابتة.

فالعدل عندهم فردياً هو ما يراه كل واحد منهم عدلاً، وجمعياً هو ما يراه أغلبية النواب في البرلمان عدلاً، ويحق لأولئك النواب أن يفعلوا ما يشاؤون دون ضابط ولا رابط ولا حسيب ولا رقيب، إلا هوى الأغلبية، ولذا لما كان للحزب الجمهوري في أمريكا مثلاً الأغلبية في الكونجرس، وكان الرئيس منهم، شنت أمريكا حرباً مدمرة مجرمة على العراق بناء على حفنة من الأكاذيب، لم تكلف نفسها حتى عبء الاعتذار عنها!!

أما العدل عند المسلمين فهو ما يشرعه المولى سبحانه وأمر به. يقول عز من قائل: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**، ويقول سبحانه: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**.

وهذا الشرع الإلهي يفصل بين الجميع بين الضعيف والقوي والحاكم والمحكوم، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

"أَلَا إِنِّي وَاللَّهِ مَا أُرْسِلُ عَمَّالِي إِلَيْكُمْ لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ، وَلَا لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنْ أُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ لِيَعْلَمُوكُمْ دِينَكُمْ وَسُنَّتَكُمْ. فَمَنْ فَعَلَ بِهِ شَيْءٌ سِوَىٰ ذَلِكَ، فَلْيَرْفَعْهُ إِلَيَّ. فَوَالَّذِي بَفْسِي بِيَدِهِ إِذَنْ لَأَقْصِيَهُ مِنْهُ. فَوَيْبَ عَمْرٍو بِنِ الْعَاصِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. أَوْرَأَيْتَ إِنْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
الْمُسْلِمِينَ عَلَى رَعِيَّةٍ قَادَّةٍ بَعْضَ رَعِيَّتِهِ أَتَيْكَ
لَمْفَتْنُهُ مِنْهُ؟ قَالَ: إِي وَالَّذِي تَفْسِي عَمَرَ يَدِيهِ.
إِدْرَنْ لَأَقْصِيئَهُ مِنْهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُقْصُّ مِنْ نَفْسِهِ "497".

بل يفصل حتى بين المسلمين وعدوهم. يقول سبحانه: يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ بِشَهَادَةٍ بِالْقِسْطِ وَلَا
يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

"4" وتكلم الإعلان عن الحق في الجنسية، ولكنه لم يتكلم
-كما أسلفت- عن حق المسلمين -بل واجبه- في أن ينتموا
لدولة الخلافة، التي لا تفرق بين الناس على أساس الجنسية،
وإنما الرابطة التي تقوم عليها هي الدين، الذي أنكره الإعلان
كفارق بين الناس، بينما اعترف به واضعو الإعلان أساساً
لقيام دولة إسرائيل.

بل لم يتحدث الإعلان عن فرضون الجنسية على
المسلمين، ففرنسا مثلاً اعتبرت الجزائر جزءاً من فرنسا،
واعتبرت الجزائريين مواطنين فرنسيين، وفرضت عليهم
اللغة الفرنسية، واعتبرتها لغة الجزائريين، وفرضت عليهم
فلسفتها العلمانية القومية وقوانينها وأنظمتها الصادرة عن
تلك الفلسفة المتناقضة مع إسلام الجزائريين، واعتبرتها
الفلسفة والقوانين والأنظمة التي يجب أن يلتزموا بها،
ونحت تماماً الشريعة الإسلامية واللغة العربية، وحرمت
التعامل بهما. وقهرت المسلمين في الجزائر على ذلك بقوة
الحديد والنار، رغم مقاومة مسلمو الجزائر لتلك السياسة
بكل ما يملكون.

497 مسند أحمد- مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه- حديث رقم: 286 ج: 1
ص: 41. قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: حسن الإسناد [الحرية أو الطوفان ص:
83].

وما كان للتقرير أن يشير لذلك وكتابه دبلوماسي ورجل دولة فرنسي⁴⁹⁸.

"5" وتكلم الإعلان عن الحق في الملكية الشخصية. والملك في الإسلام ليست حقاً بل هي استخلاف. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقِفُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْقِفُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾. ولذا يحرم إضاعة المال وإتلافه والتبذير فيه. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا {26} إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾.

وبجب إنفاقه في تعمير الأرض، وليس في تدميرها، وفي العمل الصالح، وليس في البغي والظلم والعدوان. ولم يشير الإعلان إلى أن حفظ المال ليس حقاً بل هو واجب كما بينت شريعة الإسلام، يبلغ المقتول في الدفاع عنه مرتبة الشهيد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: "فلا تعطه مالك". قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: "قاتله". قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: "فأنت شهيد". قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: "هو في النار"⁴⁹⁹.

وكيف يقرر الإعلان ذلك؟ وواضعوه هم أكبر السراق والنهاب في تاريخ البشرية، الذين بنوا رفاهيتهم على سلب ونهب آلاف الملايين من الشعوب المحتلة المقهورة، التي كانوا لا يزالون يحتلون وقت كتابتهم للبيان.

⁴⁹⁸ الكاتب الأصلي للإعلان العالمي لحقوق الإنسان هو رينيه كاسين، وهو قانوني ودبلوماسي ورجل دولة فرنسي ومؤسس منظمة اليونسكو، [Microsoft Encarta 2008, René Cassin].

⁴⁹⁹ صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه وإن قتل كان في النار وإن من قتل دون ماله فهو شهيد- حديث رقم: 201 ج: 1 ص: 201.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

وكذلك لم يتحدث الإعلان عن وجوب حماية الإنسان من الاستغلال المالي والربا أحد أبشع صوره، الذي يبتز الفقراء الضعفاء لصالح الأغنياء الأقوياء، والذي تطورت صورته وأشكاله، حتى أصبح يبيع الوهم للفقراء والعامّة وصغار المدخرين، ويكتنز عن طريق ذلك البيع أموالهم وثرواتهم. وأنى له أن يتكلم عن ذلك؟ واقتصاد واضعیه ومصالحهم والقوى المتحكمة في حكوماتهم تقوم على الربا، الذي تتحكم به قلة ضئيلة في أموال الكثرة الغالبة.

"6" وتحدث الإعلان عن الحق في مغادرة أي شخص لوطنه متى شاء وعودته له متى شاء. ولكنه لم يتحدث عن حق الملايين الذين طردهم واضعو الإعلان في العودة لأوطانهم وممتلكاتهم التي طردوا منها، فلم يتحدث الإعلان عن حق الهنود الحمر في العودة لأراضيهم وممتلكاتهم التي طردوا منها لمناطق العزل، ولم يتحدث الإعلان عن حق شعوب القوقاز المسلمة في العودة لأوطانهم، التي طردها منهم الروس القياصرة ثم الشيوعيون، ولم يتحدث الإعلان عن حق الفلسطينيين في العودة لأراضيهم التي طردوا منها، والتي قامت فوقها دولة إسرائيل قبل صدور البيان بسبعة أشهر، التي أيدها ودعمها ثم اعترف بها واضعو الإعلان؛ الحلفاء المنتصرون في الحرب العالمية الثانية.

يقول الدكتور المسيري رحمه الله:

"قامت إسرائيل كدولة صهيونية من خلال ما يُسمّى بالشريعة الدولية المتمثلة في قرار الجمعية العمومية المتحدة في نوفمبر عام 1947 بتقسيم فلسطين، مع أن هذا القرار يتناقض مع المبادئ المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة، لأنه صادر إرادة شعب فلسطين وحقه في تقرير مصيره، فضلاً عن أن تهجير تجمعات بشرية إلى وطن يسكنه شعبه رغم إرادة هذا الشعب، ثم

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

إعطاء هؤلاء المهاجرين حق سلب جزء من
الوطن، عمل يتناقض مع الحقوق الطبيعية
للشعوب التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة
وإعلان حقوق الإنسان⁵⁰⁰.

"7" وتكلم الإعلان عن الحق في تكوين الأسرة، ولكنه لم
يتكلم عن حق الإنسان في حماية عرضه، وهو أحد
الضرورات الخمس، التي أمرت الشريعة بالمحافظة عليها،
وجعلت ذلك من الفروض الكفائية على الأمة المسلمة، كما
تقدم.

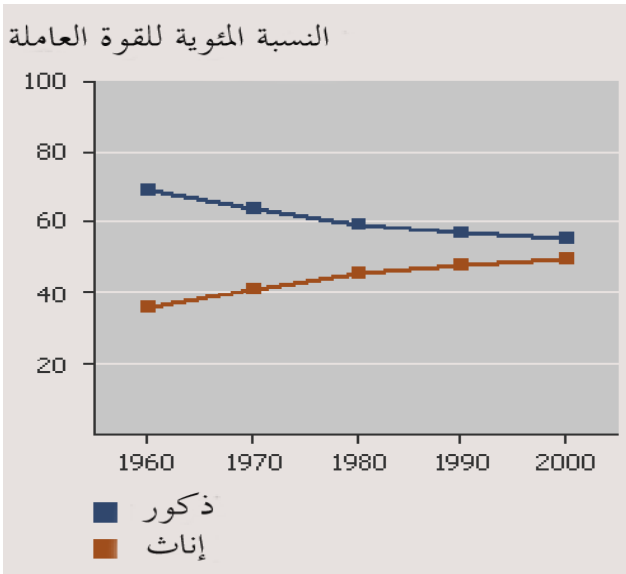
ومن أهم وسائل حماية العرض؛ الحماية من الإغواء
والفتنة والاستدراج للفاحشة، الذي تقوم به تجارة اللذة
والمتعة، التي تعد من الركائز الاقتصادية الهامة، بل ومن
المقاصد الاجتماعية الأساسية، التي تمارس على أوسع
نطاق، وتقوم عليها صناعة ضخمة، تكتسب بسبب قوتها
المالية قوة سياسية ضخمة في المجتمع الغربي.
وهي صناعة تحط من كرامة الإنسان وشرفه، وخاصة
النساء، اللواتي تدفع الكثير منهن ضرورة السعي على
المعاش- في مجتمع لا يكفلهن، ولا يعرف قيمة للأخلاق
والعفة- إلى التورط في تلك التجارة المهينة للبشر، بكل
أشكالها وتنوعاتها.

"8" وتكلم الإعلان عن دعم الأمومة والطفولة، ولكنه لم
يتحدث عن حق المرأة في الكفالة أمماً وبنثاً وزوجة وأختاً،
وهو الحق الذي كفله لها الإسلام. لأن الإعلان نشأ من تصور
غربي مادي، لا يؤمن بالعلاقة التراحمية التكافلية بين
الأفراد، بل ينفذ يده من كفالة المرأة، ويدفعها لسوق
العمل، تكدح فيه وتنافس الرجال، لأنها لا تُكفل، وبالتالي
فإذا لم تعمل وتكدح فستهلك، بل والأشنع والأسفل من ذلك

⁵⁰⁰ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد السابع: إسرائيل.. المستوطن
الصهيوني- الجزء الأول: إشكالية التطبيع والدولة الوظيفية- الباب الأول: إشكالية
التطبيع- السمات الأساسية للمشروع الصهيوني ج: 7 ص: 6.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
 المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
 أنه يستخدمها كسلعة تروج للبضائع، وتجلب الزبائن، وتقدم
 المتعة واللذة.

والخاسر على كل حال هم الأطفال والأسرة والمجتمع
 المتحلل. ثم بعد أن تستنفذ طاقتها في الكدح في سوق
 العمل، يحيلها أبناؤها -الذين لم تربيهم على التراحم، وألقت
 بهم لدور الحضانة ليحصلوا على الحنان بالأجر- لبيوت
 العجزة والمسنين لتموت هناك في هدوء بعيداً عنهم.



رسم بياني يوضح توزيع القوة العاملة بين الإناث
 والذكور في الولايات المتحدة في الفترة بين عامي
 1960م و 2000م⁵⁰¹.

وبلاحظ من الرسم البياني المبين أعلاه تعاضم نسبة
 الإناث في القوة العاملة بالولايات المتحدة، حتى تكاد تقارب

⁵⁰¹ Microsoft Encarta 2008, United States People.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الخمسین بالمئة في العقد الأخير. فكم من النساء بقین في بیوتهن لرعاية أطفالهن؟

"9" وتكلم الإعلان عن الحق في التعليم، وعن أن يوجه التعليم نحو التنمية الكاملة للشخصية الإنسانية، ولكنه لم يتكلم عن أن تنمية الشخصية الإنسانية تستوجب المحافظة على العقل، وهو أحد الضرورات الخمس التي ترى الشريعة ضرورة المحافظة عليها. وأنى للإعلان أن يتحدث عن المحافظة على العقل وواضعوه هم من تمثل تجارة تعيب العقل ركناً أساسياً من اقتصادهم. وقد مر بنا الحديث عن الخمر ومحاولة تحريمها في الولايات المتحدة، لأنهم اعتبروها شراً مدمراً للأسرة والمجتمع، ولا ينفك عنها عدد من الشرور المنحطة. بل من المخزي أن كثيراً من الأديرة النصرانية -التي تزعم أنها مراكز لترقية الإنسان عن شهواته الحيوانية- كانت ولا زالت تتنافس في صناعة أجود أنواع الخمر المعتقد.

ولم يقتصر الأمر على الخمر، بل لقد خاضت بريطانيا وفرنسا الديمقراطيةين حربي الأفيون ضد الصين المتخلفة الرجعية (1839م- 1842م، و 1856- 1860م)، لتجبر الأخيرة على السماح للتجار الغربيين بحلب كميات هائلة من الأفيون للصين، والتي حققوا منها أرباحاً طائلة، وكانت نتيجة تلك الحربين اسشراء الإدمان في الصين بالإضافة لفقدان الصين لاستقلالها السياسي والاقتصادي⁵⁰².

"10" وإذا كنت قد أشرت فيما سبق لبعض لحقوق التي تكلم عنها الإعلان، وعلقت عليها بذكر الحقوق التي لم يذكرها الإعلان مما يقارنها ويقارنها. إلا أنني هنا أود أن أشير لحق تكتم عنه الإعلان تماماً، ولم يشر إليه، ألا وهو حق الإنسان في مقاومة الظلم، وحق المظلومين في مقاومة ظالمهم. وحق المقاومة للشعوب المظلومة المحتلة ضد الاستكبار الغربي، وما كان لواضعيه أن يتكلموا عن ذلك وهم

⁵⁰² Microsoft Encarta 2008, Opium Wars.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
 المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
 أكابر المستكبرين المنتصرين في الحرب العالمية الثانية،
 الذين كانوا يحتلون أجزاء واسعة من آسيا وإفريقيا في وقت
 صدوره.

بينما الحق في مقاومة الظلم أصل أصيل في الإسلام.
 يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا
 وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {40} وَلَمَنْ
 انْتَصَرَ

بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ {41} إِنَّمَا السَّبِيلُ
 عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
 أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {42} وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ
 عَزْمِ الْأُمُورِ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مَنَّكُمْ أُمَّهُ
 يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، ويقول سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ
 أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.﴾

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام ليس حقاً
 فقط، بل هو فريضة كفائية، قد تصير عينية.
 فعلى المستوى الفردي يمدح الشرع من قتل في سبيل
 الصدق بالحق، وبعده شهيداً، قال رسول الله T: "أفضل
 الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"⁵⁰³.

503

المستدرك على الصحيحين- كتاب الفتن والملاحم- حديث رقم: 8543 ج: 4
 ص: 551، مجمع الزوائد- باب الكلام بالحق عند الحكام ج: 7 ص: 272، سنن أبي
 داود- كتاب الملاحم- باب الأمر والنهي- حديث رقم: 4344 ج: 4 ص: 124، سنن ابن
 ماجه- كتاب الفتن- باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- حديث رقم: 4011 و
 4012 ج: 2 ص: 1329 و 1330، مسند أحمد- مسند أبي سعيد الخدري- حديث رقم:
 11159 ج: 3 ص: 19.

قال الترمذي: "وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه". [سنن الترمذي- كتاب
 الفتن- باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر- حديث رقم: 2174 ج:
 4 ص: 471، كشف الخفاء- حرف الهمزة- حرف الهمزة مع الفاء- حديث رقم: 457
 ج: 1 ص: 173].

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وكذا يمدح من قاتل عن حقه ضد من سعى في العدوان عليه واغتصابه. فعن ابن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من قتل دون مظلمته فهو شهيد"⁵⁰⁴. وقال ابن تيمية رحمه الله:

"ويجوز للمظلومين الذين تراد أموالهم قتل المحاربين بإجماع المسلمين، ولا يجب أن يبذل لهم من المال لا قليل ولا كثير إذا أمكن قتالهم. فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون حرمة فهو شهيد".

وهذا الذي يسميه الفقهاء الصائل، وهو الظالم بلا تأويل ولا ولاية. فإذا كان مطلوبه المال حازم منه بما يمكن، فإذا لم يندفع إلا بالقتال قوتل، وإن ترك القتال وأعطاهم شيئاً من المال جاز. وأما إذا كان مطلوبه الحرمة، مثل أن يطلب الزنا بمحارم الإنسان، أو يطلب من المرأة أو الصبي المملوك أو غيره الفجور به، فإنه يجب عليه أن يدفع نفسه بما يمكن ولو بالقتال، ولا يجوز التمكين منه بحال، بخلاف المال فإنه يجوز التمكين منه، لأن بذل المال جائز وبذل الفجور بالنفس أو بالحرمة غير جائز.

وقال الحسيني رحمه الله: "وقال في الرياض: رواه النسائي بإسناد صحيح، وكذا قال المنذري فالمتن صحيح". [البيان والتعريف- حرف الهمزة- الهمزة مع الفاء- حديث رقم: 304 ج: 1 ص: 118 و 119، السنن الكبرى للنسائي- كتاب البيعة- فصل من تكلم بالحق عند إمام جائر- حديث رقم: 7834 ج: 4 ص: 435، فيض القدير- حرف الهمزة ج: 2 ص: 31].

⁵⁰⁴ قال الهيثمي رحمه الله: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح [مجمع الزوائد- كتاب قتال اهل البيعة- باب فيمن قتل دون حقه وأهله وماله ج: 6 ص: 244].

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

وأما إذا كان مقصوده قتل الإنسان حازله الدفع
عن نفسه، وهل يجب عليه قتله أم لا؟ على قولين
للعلماء في مذهب أحمد وغيره⁵⁰⁵.

هذا على المستوي الفردي، أما على مستوى البلد
والمجتمع بل وكل الأمة المسلمة، فإن التصدي للظلم
والعدوان قد يصير فرضاً على كل مسلم، ومن أمثلة ذلك إذا
داهم العدو بلدة للمسلمين وجب على أهلها الدفع وجوباً
عينياً. وقال شهيد الإسلام -كما نحسبه- الشيخ عبد الله
عزام -رحمه الله- عن حالات تعين الجهاد:

"الحالة الأولى: دخول الكفار بلدة من بلاد
المسلمين:

ففي هذه الحالة اتفق السلف والخلف وفقهاء
المذاهب الأربعة والمحدثون والمفسرون في
جميع العصور الإسلامية إطلاقاً أن الجهاد في
هذه الحالة يصبح فرض عين على أهل هذه البلدة
التي هاجمها الكفار- وعلى من قرب منهم،
بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون
إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه، فإن لم يكف
أهل تلك البلدة أو قصرُوا أو تكاسلوا أو قعدوا
يتوسع فرض العين على شكل دوائر الأقرب
فالأقرب، فإن لم يكفوا أو قصرُوا فعلى من
يليهم ثم على من يليهم حتى يعم فرض العين
الأرض كلها"⁵⁰⁶.

كان ما سبق نظرة موجزة في أهم وثيقتين يشيد بهما
دعاة حقوق الإنسان (الأبيض)، ولا يتسع المقام لتتبع بقية
وثائقهم، التي لا تختلف في روح كتابتها عما تعرضت له،

⁵⁰⁵ دقائق التفسير لابن تيمية- فصل في عقوبة المحاربين وقطاع الطريق ج: 2 ص:

40.

⁵⁰⁶ الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان ص: 10.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

ومن هذا يتبين أن حقوق الإنسان (الأبيض)، هي حقوق إنسان الحلفاء المنتصرين في الحربين العالميتين المستكبرين علينا، بتصوراتهم ومصالحهم وإرادتهم التي يفرضونها على غيرهم والمسلمين خاصة. (ب) حقوق الإنسان (الأبيض) عملياً.

بعد التعرض لما يسمونه بحقوق الإنسان نظرياً، فلا بد من كلمة حول تطبيقهم لمبادئهم عملياً، وأظن أنني لا أحتاج للتدليل بأن المستكبرين -وخاصة في الغرب- لم يلتزموا حتى بالمبادئ التي أعلنوها، وزعموا أنهم يسعون لتطبيقها، وأظن أن ما ذكرته في الفصول السابقة وما شاهده العالم كله ويشاهده في فلسطين والعراق وأفغانستان وجواتانامو والسجون السرية والحرب على الإرهاب، بل وفي سجون حلفاء الغرب، الذين يتسلطون علينا، أظن أن كل ذلك كاف لكل عاقل ليوقن أن المستكبرين -من دول الغرب خاصة- يمارسون النفاق السياسي في أعلى صورته، ويعتبرون أنفسهم أعلى وأرقى من أن يلتزموا بمبادئ حقوق الإنسان (الأبيض)، التي يجب أن يلتزم بها الفقراء الضعفاء من غيرهم فقط.

(4) الدولة القومية.

الصنم الرابع من أصنام الطاغوت الذي أشير له بإيجاز هو

صنم الدولة القومية⁵⁰⁷.

(أ) الدولة القومية نظرياً.

من الناحية النظرية تتناقض الدولة القومية مع العقيدة

الإسلامية.

[1] فعالقتها بالعلمانية علاقة تلازم متبادل، فالعلمانية

والدولة القومية جزأان لا ينفصلان، فالعلمانيون إذا أرادوا أن

⁵⁰⁷ تعرف موسوعة إنكارنا الدولة القومية بأنها:

"إقليم تحكمه حكومة واحدة، ويقطنه شعب واحد، له ثقافة واحدة،

تشكل هوية مواطنيه".

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

يننشؤوا دولة فلا بد أن يستبعدوا الدين منها، فلن يجدوا أفضل من الرابط القومي الوطني الأرضي مرجعية لدولتهم، وكذلك إذا أراد القوميون أن يتخذوا لدولتهم مرجعيتها فلن يجدوا أنسب لها من العلمانية التي تستبعد الدين، حتى يهمشوا الدين كمرجعية قد تفرق قومهم.

[2] وكذلك تجعل الدولة القومية نفسها بديلاً عن الدين كمرجعية، فهي المرجعية العليا، التي يجب أن ترجع التصورات والتصرفات إليها.
يقول الدكتور المسيري رحمه الله:

"ومع الثورة البورجوازية، يظهر الفكر القومي العضوي والدولة القومية المركزية العلمانية المطلقة، وهي دولة تجعل ذاتها موضع الحلول والكمون الوحيد، وأقصى تركيز له، والمركز (الموضوع) الوحيد الذي يلتف حوله المواطنون. فالدولة القومية تطلب من الجميع التخلي عن هويتهم ليدنوا لها وحدها بالولاء، وعليهم التخلي عن مطلقاتهم الدينية (أو على الأقل إخفاؤها) داخل ما يُسمّى بالحياة الخاصة خارج رقعة الحياة العامة أو المدنية، أي أن الحلولية الكمونية القومية تحل محل كل الحلوليات الهامشية، وضمنها حلولية أعضاء الجماعة الوظيفية، إذ يتجسّد المركز في الدولة المطلقة وعلى كل الأطراف اتباعه. وبسيادة الدولة القومية، وتزايد عمليات الترشيح في المجتمع، تتم حوسلة كل أعضاء المجتمع ويتوحد الجميع بالمبدأ الواحد والمطلق العلماني والركيزة النهائية (مصلحة الدولة)، ويدخل الجميع في علاقات تعاقدية نفعية وظيفية.

.....

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وهكذا، يسود الفكر العلماني، أي الفكر
الحلولي الكموني المادي (وهذا ما سماه ماركس
عملية "تهويد المجتمع"). وحين يسود هذا الوضع
على المستوى العالمي، ويتم فرض الواحدة على
شعوب الأرض كافة، فإننا ندخل عصر الحلوية
الشاملة السائلة وما بعد الحداثة والنظام العالمي
الجديد⁵⁰⁸.
ويضيف أيضاً:

"ونحن نذهب إلى أن المجتمع العلماني الحديث
يستند إلى فكرة القانون الطبيعي/المادي والتعاقد
ومبدأ المنفعة (واللذة). وتظهر الدولة القومية
العلمانية المركزية التي تضطلع بدور الجماعة
الوظيفية وتقضي على كل الجماعات
والمؤسسات الوسيطة والجماعات الوظيفية
وتحوّل كل أعضاء المجتمع إلى مواطنين يتم
توظيفهم وحوسلتهم لصالح الدولة القومية ولأي
هدف يقرره القائمون عليها، ومن ذلك تحقيق
المنفعة واللذة لأعضاء المجتمع. ولذا، يتحول كل
البشر إلى بشر وظيفيين يشبهون، في كثير من
الوجوه، المتعاقدين الغرباء الذين لا تربطهم
علاقات جوانية تراحمية وإنما يدخلون في علاقات
رشيدة محسوسة. ولعل هذا هو مصير الإنسان
العلماني الذي يُعمل عقله في كل شيء وينزع
القداسة عن كل شيء"⁵⁰⁹.

⁵⁰⁸ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء
الخامس: الجماعات الوظيفية- الجزء الخامس: الجماعات الوظيفية- الباب الثاني:
الجماعات الوظيفية والحلوية والعلمانية الشاملة- الحلوية الكمونية الواحدة
والجماعات الوظيفية ج: 1 ص: 231.

⁵⁰⁹ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء
الخامس: الجماعات الوظيفية- الجزء الخامس: الجماعات الوظيفية- الباب الثاني:
الجماعات الوظيفية والحلوية والعلمانية الشاملة- الحلوية الكمونية الواحدة

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى
(ب) الدولة القومية عملياً.

فرضت الدولة القومية علينا كمسلمين قهراً وجبراً وكرهاً
وغصباً، وذلك عن طريق حملة العالم الغربي العلماني
الصليبي الهوى والنزعة على أطراف الدولة العثمانية وعلى
الدول الإسلامية في الهند والقوقاز وما وراء النهر وشرق
آسيا، ثم اكتمل هذا الاستيلاء باتفاقية سايكس بيكو التي
أشرت لها، وبذلك تحولت ديار الإسلام إلى أكثر من خمسين
دولة قومية متفتتة منفصلة، ولا زال التفتت مستمرًا.
يقول الأستاذ لويس عطية الله:

"لا بد من توضيح قضية مهمة وهي أن هذه الدول
القطرية أو الدول "المركزية" الحديثة، مثل الدول
التي نراها اليوم هي نماذج صنعها الغرب لتمكينهم
من تثبيت مشروعهم الاستعماري الاستنزافي العام
للمشرق الإسلامي.

وهذه الدول لا حقيقة شرعية لها ولا أسس
تعطيها الحق في الوجود ولا سند شعبي لها، وقد
فرضت فرضاً على شعوب المسلمين، وبقاؤها في
الأصل مرتبط بالقوى الغربية التي صنعتها، ولذا
فإن الهدف العام للجهاد والمجاهدين هو ضرب
أسس وبنية المشروع الاستعماري الغربي أو ما
يمكن تسميته بالنظام الدولي، أو بعبارة أوضح
هزيمة الصليبيين في المعركة الدائرة منذ أكثر من
قرن تقريباً.

إن هزيمتهم ببساطة تعني إلغاء كل أشكال
القطرية لبقى الوجود الطبيعي المعترف به في
الإسلام، وهو الكيان الإقليمي الذي يندرج ضمن
الدولة الإسلامية الكبرى، إن إخراج المستعمر
وطرده من بلاد المسلمين يعني ببساطة إلغاء

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الحدود وكل أشكال القطرية التي صنعها الغرب⁵¹⁰

2- شبهات العلمانيين وأضرابهم:
أعرض هنا بإيجاز شديد لأهم شبهات العلمانيين مع رد
مقتضب عليها.

أ- الاستبداد السياسي.

يزعم العلمانيون (اللاذينيون) أن الدين كان سبباً في
الاستبداد السياسي، ولذا يجب فصله عن الدين. والجواب
باختصار شديد:

(1) أن الاستبداد الذي مورس في تاريخنا كان خروجاً عن
تعاليم الإسلام، ولم يكن اتباعاً لها⁵¹¹.

(2) وأقول لهم: رمتني بدائها وانسلت.

(أ) فإن القهر والتنكيل الذي تمارسه حكومات العالم

العربي والإسلامي العلمانية القومية وتفنتها في النكال
بشعوبها، لا يترك لأي علماني بقية من حياء ليضم المسلمين
بالاستبداد.

(ب) المستبدون في عالمنا العربي والإسلامي هم

العلمانيون أصدقاء الغرب وحلفاؤه.

(ج) القهر الذي مارسه الدول الغربية العلمانية -التي

يطالبنا العلمانيون باقتفاء أثرها- ضدنا، يمثل تاريخاً مخزياً، لا
يشرف أي علماني.

(3) إن الحكومة التي نطالب بها ليست حكومة البابوات،

ولا حكومة الولي الفقيه، الذي يتحدث باسم الإمام الغائب في

السرداب، ولكنها حكومة الخلافة الراشدة، التي تقوم على

حاكمية الشريعة، وليس على هوى الأغلبية، والتي تختار الأمة

فيها حكامها، الذين لا يتمتعون بأية عصمة أو قداسة،

⁵¹⁰ حوار الأستاذ لويس عطية الله مع مجلة "صوت الجهاد" 1424 هـ.

⁵¹¹ راجع لتفصيل الرد على هذه الفرية: العلمانيون والإسلام- الدين الحق ص: 46 إلى

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً /
المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

وتحاسبهم، وتعزلهم إن انحرفوا، وتشارك في صنع قراراتها
وتحديد مصيرها في ضوء الشرع وفي هدي الكتاب والسنة.
ب- التخلف بين الدول.

يزعم العلمانيون أن الغرب قد تقدم في الحضارة والعلم
لما تنكر للدين، وأقول لهم: ونحن تخلفنا عن الحضارة والعلم
لما ابتعدنا عن الدين.

وقد يقول العلمانيون: دعونا من السرد التاريخي لظروف
نشوء العلمانية في الغرب، لنكن أبناء اليوم، ولننظر في
العلمانية كحل لإنقاذ البشرية.

وأقول لهم: لا بأس. ولكن يلزمكم أن تكفوا إذن عن
المقولة المكررة: أن الدين سبب التخلف.

الدين عندنا تاريخياً كان سبب التقدم، وعند الغرب سبب
التخلف.

فإذا أردتم أن تتوقف عن الكلام عن الخلفية التاريخية
لعلمانياتكم فيلزمكم أيضاً أن تتوقفوا عن مقولتكم بأن الدين
سبب التخلف. وتطرحوا اعتراضاتكم بعيداً عن نظرياتكم
التاريخية المسروقة من الغرب.

ج- اضطهاد الأقليات.

ويزعم العلمانيون أن النظام الإسلامي يضطهد الأقليات،
وأقول لهم لماذا لا تسمحون للأمريكي في فرنسا أن يكون
رئيساً للجمهورية.

إن الدول الديمقراطية تتباكى على حقوق الأقليات،
وتتغافل أن عقيدتها أساساً قائمة على استبداد هوى الأغلبية
وقهر الأقلية بمجرد الهوى والرغبة.

د- اضطهاد المرأة.

ويزعم العلمانيون وكتاب الحملة الصليبية الفكرية أن
الإسلام يضطهد المرأة، وأقول لهم أيهما أشرف للمرأة
والإنسانية؛ المرأة المضطهدة -في زعمكم- أم المرأة
السلعة في سوقكم.

3- الحل: دولة الخلافة.

في ختام هذا العرض الموجز لحملة التضليل الفكرية الصليبية، يبقى التأكيد على أن خلاص البشرية ليس في العلمانية المادية ولا هوى الأغلبية، ولا في الدين المحرف، وإنما في دولة الخلافة التي تقوم على الشرع المنزل الصحيح، والتي تنشر العدل وتبسط الشورى، وتختار حكامها وتحاسبهم، وتعزلهم إن انحرفوا، وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتجاهد لتحرير ديار المسلمين، ولتحرير البشرية كل البشرية من الظلم كل الظلم ومن الجاهلية كل الجاهلية.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

كان هذا عرضاً موجزاً للرد على الاسس الفكرية لأباطيل الحملة الصليبية الفكرية، عسى أن يكون حافزاً لكل غير على الإسلام أن يبذل ما يستطيع لكشف أباطيل أولئك الدعاة، الذين يسعون بأقلامهم وأقوالهم عبثاً ليطفئوا بأفواههم نور الأسلام الساطع، ليمهدوا لاحتلال ديارنا، ونهب ثرواتنا، وفرض التبعية والذل علينا. يقول الحق سبحانه:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا {31} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا {32} وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

فَوَحَّى نِعْمَتِكَ وَجَعَلْتَ قَلْبِي
الَّتِي أَوْلَيْتَنِي وَاعَى الْقُرْآنِ

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً /

المبحث الرابع: تحطيم صنم الهوى

وَأَجْعَلَنَّ قِتَالَهُمْ دِيْدَانِي وَأَفْرِيَنَّ أَدِيمَهُمْ بِلِسَانِ	لَأَجَاهِدَنَّ عِدَاكَ مَا أَبْقَيْتَنِي وَأَفْصَحْتَهُمْ عَلَى رُوسِ الْمَلَا وَأَحْمِلَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَسَاكِرِ
لَيْسَتْ تَفِرُّ إِذَا التَّقَى الرَّحْقَانِ مَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ بِالْإِحْسَانِ أُولَى بِحُكْمِ العَقْلِ وَالْبُرْهَانِ وَكِتَابَهُ وَشَرَائِعِ الْإِيمَانِ أَوْ لَمْ يَشَأْ فَالْأَمْرُ لِلرَّحْمَنِ ⁵¹²	بِعَسَاكِرِ الْوَحْيَيْنِ وَالْفِطْرَاتِ وَالْ حَتَّى يَبَيِّنَ لِمَنْ لَهُ عَقْلٌ مِنَ الْ وَلَأَنْصَحَنَّ اللَّهَ نَمَّ رَسُولَهُ إِنْ شَاءَ رَبِّي دَا يَكُونُ بِحَوْلِهِ

⁵¹² الأبيات مقتطفة من نونية ابن القيم - رحمه الله - ج: 1 ص: 175 و 176.

المبحث الخامس

التنبه للجانب السياسي

لحرب الصليبيين الفكرية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْتِيكُمُ خَبْرًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ {118} هَآئِنَّمْ أَوْلَآءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمُ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِفُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَٰلَمِكُمْ الْأَتَّامِلِ مِّنَ الْعِظِ قُلْ مُوتُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {119}﴾

﴿تَمَسَّسَكُمْ حَسَبَهُ تَبَسُّوهُمْ وَإِنْ تُصَبِّحُكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَجُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يُضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ سَيِّئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

أشير في هذا المبحث بإيجاز لبعض الأغراض السياسية الخطيرة التي تخفيها دعوات حملة الحرب الصليبية الفكرية، وأتناول ذلك -بعون الله- تحت العناوين التالية.

- 1- تمهيد.
- 2- العلمانية والاستكبار⁵¹³.
- 3- ما بعد الحداثة والنظام العالمي الجديد.
- 4- ما هي الحرية والعلمانية التي يريدونها الغرب منا؟

⁵¹³ أرى أن استعمال مصطلح (الاستكبار) أفضل من مصطلحي (الإمبريالية) أو (الاستعمار)، فالاستكبار لفظ قرآني استعمل وصفاً لمن يريدون علواً في الأرض وفساداً.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

1- تمهيد.

الحرب الممتدة بين الإسلام وأعدائه منذ أن ظهرت رسالته حتى اليوم تهدف ليس فقط إلى الاستيلاء على دياره وثوراته، ولكن تهدف أيضاً لتحويل أتباعه لمنهزمين فكرياً، حتى يمكن استغلالهم وتسخيرهم في النظام الجاهلي المعادي للإسلام، وعن هؤلاء المنهزمين فكرياً يقول العلامة محمود شاكر (في تقديمه لكتاب الظاهرة القرآنية- مشكلات الحضارة- مالك بن نبي-ترجمة د عبد الصبور شاهين- الهيئة العامة لقصور الثقافة):

"انبعثت الحضارة الأوربية، ثم انطلقت بكل سلاحها لتخوض في قلب العالم الإسلامي، أكبر معركة في تاريخنا وتاريخهم، وهي معركة لم يحط بأساليبها وميادینها أحد بعد في هذا العالم الإسلامي (...). لم تكن المعركة الجديدة بين العالم الأوربي المسيحي، وبين العالم الإسلامي، معركة في ميدان واحد، بل كانت معركة في ميدانين: ميدان الحرب، وميدان الثقافة، ولم يلبث العالم الإسلامي أن ألقى السلاح في ميدان الحرب، لأسباب معروفة، أما ميدان الثقافة، فقد بقيت المعارك فيه متتابعة جيلاً بعد جيل، بل عاماً بعد عام، بل يوماً بعد يوم، وكانت هذه المعركة أخطر المعركتين، وأبعدهما أثراً، وأشدّهما تقويضاً للحياة الإسلامية والعقل الإسلامي، وكان عدونا يعلم ما لا نعلم، ويدرك من أسرارها ووسائلها ما لا ندرك، ويعرف من ميادينها ما لا نعرف، ويصطنع لها من الأسلحة ما لا نصطنع، ويجري لهما من الأسباب القاضية إلى هلاكنا ما لا نحصى أو نلقى إليه يالاً، وأعانه وأيده أن سقطت الدول الإسلامية جميعاً مهزومة في ميدان الحرب، فسقط في يده

مقاليد أمورها في كل ميدان من ميادين الحياة (...). والأساليب التي يتخذها العدو للقتال في معركة الثقافة، أساليب لا تعد ولا تحصى، لأنها تتغير وتتبدل وتتجدد على اختلاف الميادين وتراجبها وكثرتها، وأسلحة القتال فيها أخفى الأسلحة".

ثم يستطرد العلامة قائلاً:

"وقد كان ما أراد الله أن يكون، وتتابع هزائم العالم الإسلامي، في ميدان الثقافة جيلًا بعد جيل، وكما بقيت معارك الحرب متتابعة سرًا مكتومًا لا يتدارسه قادة الجيوش الإسلامية وجندها حتى هذا اليوم، بقيت أيضًا معارك الثقافة على تطاولها، سرًا خافيًا لا يتدارسه قادة الثقافة الإسلامية وجندها، بل أكثر من ذلك: فقد أصبح أكثر قادة الثقافة في العالم الإسلامي وأصبح جنودها أيضًا، تبعًا بأمير القادة من أعدائهم، عارفين أو جاهلين أنهم هم أنفسهم قد انقلبوا عدوًا للعقل الإسلامي الذي ينتسبون إليه، بل الذي يدافعون عنه أحيانًا دفاع غير وخلص. لم يكن غرض العدو أن يقارع ثقافة بثقافة، أو أن ينازل ضلالًا بهدى، أو أن يصارع باطلاً بحق، أو أن يمحو أسباب ضعف بأسباب قوة بل كان غرضه الأول والأخير أن يترك في ميدان الثقافة في العالم الإسلامي، جرحى وصرعى لا تقوم لهم قائمة، وينصب في أرجائه عقولاً لا تدرك إلا ما يريد لها هو أن تعرف، فكانت جرائمه في تحطيم أعظم ثقافة إنسانية عرفت إلى اليوم، كجرائمه في تحطيم الدول وإعجازها مثلًا بمثل، وقد كان ما

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

أراد الله أن يكون، وظفر العدو فينا بما كان ينبغي
ويريد⁵¹⁴.

وتزيد تشريل بينارد الأمر وضوحاً فتبين لماذا يجب أن
يتدخل الغرب في الصراع الروحي والسياسي الدائر في
العالم الإسلامي، فتقول:

"الإسلام المعاصر في حالة من الغليان،
ومتورط في نضال داخلي وخارجي حول قيمه
وهويته ومكانه في العالم. وهناك صور متنافسة
منه تتنازع من أجل السيطرة الروحية والسياسية.
وهذا الصراع له تبعات خطيرة وأثار اقتصادية
 واجتماعية وسياسية وأمنية على سائر العالم.

وبالتالي فإن الغرب يبذل جهداً زائداً ليصل
لتفاهم ويفهم ويؤثر في نتيجة هذا الصراع.

وبالتأكيد فإن الولايات المتحدة والعالم
الصناعي المعاصر يل -وفي الحقيقة- المجتمع
الدولي يفضل عالمياً إسلامياً متوافقاً مع بقية
النظام؛ ديمقراطياً منتعشاً اقتصادياً مستقراً
سياسياً ويتبع قواعد وأعراف السلوك الدولي.
كما أنهم أيضاً يريدون منع (صدام الحضارات)
بكل أشكاله الممكنة، من التوتر الداخلي بين
الأقليات المسلمة والجمهير الأصلية في الغرب،
إلى العسكرة المتزايدة عبر العالم الإسلامي
بتابعيها؛ عدم الاستقرار والإرهاب.

ولهذا فإنه من الحكمة أن نشجع العناصر داخل
التركيبة الإسلامية، التي هي أكثر توافقاً مع

⁵¹⁴ أمريكا بدأت هجومها العام والشامل على الإسلام. ابن لادن- وليس أبو جهل وأبو
لهب- هو الحل.

السلم العالمي والمجتمع الدولي، والميالة لليدمقراطية والحدثة"⁵¹⁵.

إذن فالمطلوب دعم العناصر المتوافقة فكريباً مع الغرب، حتى يتبع العالم الإسلامي قواعد وأعراف السلوك الدولي، ويصير أكثر توافقاً مع السلم العالمي والمجتمع الدولي، أي أن يكون تابعاً طبعاً منساقاً مستسلماً لا يعترض ولا ينتفض، ولا يقاوم سيطرة وهيمنة السادة الكبار والقوى العظمى، أو بعبارة أوضح أن يقبل عضوية الجمعية العامة للأمم المتحدة، ليكون راضحاً لإرادة الخمسة الكبار، الذين يفرضون عليه ما يشاؤون من قرارات، ويلوحون في وجهه بالفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، فإن لم يرعوي وينزجر، فالجيوش الجرارة، والأساطيل الجبارة، والأسراب الهدارة على أهبة الاستعداد للغزو والقصف والقتل والحرق التدمير، وخلع الحكومات وتنصيب الحكام الجدد بديمقراطية البني 52 وحرية جوائتانا مو وحقوق الإنسان في السجون السرية. هذه هي أهداف حملة التضليل الفكرية الصليبية إذن، والتي سأحاول أن أشير لبعض معالمها بإيجاز -بعون الله- فيما يلي:

2- العلمانية والاستكبار.

العلمانية هي واحدة من أهم العقائد التي تزينها حملة التضليل الصليبية، وتقدمها على أنها رمز التحضر والتمدن والترقي، ولكن ما تخفيه وتتجاهله هذه الحملة، أن تلك العلمانية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالاستكبار العالمي، بل إنه يعد أهم تجلياتها ومظاهرها السياسية والعسكرية، وقد بدا هذا الارتباط شديد الظهور في عالمنا الإسلامي خاصة، وسأحاول أن أشير لبعض ملامح ذلك الترابط بإيجاز عبر العناوين التالية:

⁵¹⁵ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: ix.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

- أ- القوانين العلمانية مقدمة التدخل الأجنبي.
- ب- العلمانية هي الإطار المعرفي للاستكبار الدولي.
- ج- التوظيف السياسي للداروينية.
- د- التوظيف السياسي للإعلام العلماني
- هـ- انهزامية الفكر العلماني العربي.

أ- القوانين العلمانية مقدمة التدخل الأجنبي.
لم تدخل العلمانية بقوانينها ونظمها بلاد الإسلام باختيار المسلمين وقناعتهم، ولكنها فرضت عليهم فرضاً بحديد الغازي المحتل وناره وقده وقديده. فلم تطأ أقدام المحتل الغازي بلداً من بلادنا إلا وسارع إلى إزاحة الشريعة الإسلامية وتنحيها وإحلال القوانين الوضعية العلمانية محلها.
يقول الدكتور محمد عمارة عن ذلك:

"وفي كل موقع من بلاد الإسلام قامت فيه للاستعمار الغربي سلطة ودولة، أخذ هذا الاستعمار شيئاً فشيئاً - يُحل النزعة العلمانية في تدبير الدولة وحكم المجتمع وتنظيم العمران محل "الإسلامية"، ويزرع القانون الوضعي العلماني حيثما بقتلع شريعة الإسلام وفقه معاملاتها.

• ففي الجزائر وتونس، أخذ الاستعمار الفرنسي في إحلال القانون الوضعي العلماني محل الشريعة الإسلامية وقانونها - وكذلك صنعت انجلترا بمصر بعد أن احتلتها.. وعن هذا الغزو القانوني بالوافد العلماني يحدثنا عبد الله بن النديم (1261- 1313هـ - 1845- 1896م) فيقول: "إن دولة من دول أوروبا لم تدخل بلداً شرقياً باسم الاستيلاء، وإنما تدخل باسم الإصلاح وبث المدنية، وتنادي أول دخولها بأنها لا تتعرض للدين ولا للعوائد ثم تأخذ في تغيير الاثنين شيئاً فشيئاً.. كما تفعل فرنسا في

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الجزائر وتونس، حيث سنت لهم قانوناً فيه بعض مواد تخالف الشرع الإسلامي، بل تنسخ مقابلهما من أحكامه، ونشرته في البلاد، واتخذت لتنفيذه قضاة ترصاهم، ولما لم تجد معارضاً أخذت تحول كثيراً من مواده إلى مواد ينكرها الإسلام، توسيعاً لنطاق النسخ الديني، ولم نلبث أن جاريناها - (في مصر) - وأخذنا بقانون يشبهه..!"
فبالقانون العلماني يتم النسخ الديني، والمسح لشريعة الإسلام!

.....

• بل إن تسلل القانون العلماني الغربي، واختراقه لمؤسساتنا القضائية والتشريعية، قد سبق أحياناً الاحتلال العسكري المباشر والسلطة الاستعمارية السافرة، وذلك عندما رافق تزايد "النفوذ" الاستعماري في بلادنا، وتضخم الجاليات الأجنبية فيها.. فكان تسلله هذا تمهيداً للاحتلال والاستعمار؟!.

ففي مصر، على عهد الخديوي سعيد (1237-1279هـ - 1822-1863م) صدرت "إرادة"؟! - في 12 شعبان سنة 1272هـ - 8 إبريل سنة 1855م- بإنشاء محكمة تجارية (مجلس تجار) مختلط من المصريين والإجانب، ليقضي في المنازعات التجارية التي يكون الأجانب طرفاً فيها" .. فبدأ الاختراق العلماني لمؤسسة القضاء.. ومع تزايد النفوذ الأجنبي، أصبحت للأجانب الأغلبية في عضوية محكمة (قومسيون مصر)- ثلاثة مصريون، وأربعة أجانب؟!.

وبعد أن تعددت "المحاكم القنصلية"- التي يقضي فيها قضاة أجانب بالقانون الأجنبي، في المنازعات التي يكون أحد طرفيها أجنبياً حتى بلغت - في ظل

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

الامتيازات الأجنبية- سبع عشرة محكمة " نظمت هذه الفوضى " القانونية والقضائية سنة 1855م بإنشاء "المحاكم المختلطة"- وهي التي تقضي في المنازعات بين المصريين والأجانب " بقانون نابليون " العلماني.. وباللغة الفرنسية، وأغلبية قضاتها أجانب، والرئاسة فيها للأجانب.. وفي دائرتها الجزئية ذات القاضي الواحد، ينفرد القاضي الأجنبي بالحكم، وكذلك في دوائر الأمور المستعجلة، والوقفية، والبيوع، ونزع الملكية؟!.. فتم الاختراق العلماني لمؤسستي "القضاء" و"التشريع" معاً..، إذ "لم يقتصر النظام المختلط على إنشاء قضاء أجنبي نافذ الأحكام على الرعايا الوطنيين وعلى حكومة البلاد، بل خول للدول الأجنبية حق التدخل في التشريع الذي يسري على رعاياها.."

بل إن قاضياً هولندياً بهذه "المحاكم المختلطة" -"فان بملين" Von Belmmelen- قد وصف القضاء القنصلي بأنه "وليد الاغتصاب الواقع من الأقوياء على حقوق الضعفاء" ووصف المحاكم المختلطة -وكان قاضياً بها- "بأنها ركن قوي من أركان السيطرة الأوروبية على مصر".

ولم تجد في مقاومة هذا التسلل العلماني إلى القضاء والشريع المصريين "صيحة التحذير" التي أطلقها رفاعه الطهطاوي (1216- 1290هـ - 1801- 1873م) عندما كتب (1286هـ - 1869م) عن هذه المجالس التي رُتبت في المدن الإسلامية "لفصل الدعاوى والمرافعات بين الأهالي والأجانب، بقوانين في الغالب أوروبية" وعقب على هذا الاختراق القانوني العلماني، قائلاً: " .. مع أن

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

المعاملات الفقهية لو انتظمت وجرى عليها العمل
لما أخلت بالحقوق، بتوفيقها على الوقت والحالة..
ومن أمعن النظر في كتب الفقه الإسلامية ظهر له
أنها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع
العمومية، حيث بوبوا للمعاملات الشرعية أبواباً
مستوعبة للأحكام التجارية كالشركة، والمضاربة،
والقرض، والمخابرة، والعارية، والصلح وغير ذلك..
إن بحر الشريعة الغراء، على تفرع مشاريعه، لم
يفادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا
أحصاها وأحياها بالسقي والري، ولم تخرج الأحكام
السياسية عن المذاهب الشرعية، لأنها أصل وجميع
مذاهب السياسات عنها بمنزلة الفرع..".

لم تجد صيحة التحذير التي أطلقها الطهطاوي،
في مواجهة الاختراق العلماني لمؤسساتنا القضائية
والتشريعية بل جاء "عموم بلوى الاختراق" عندما
احتل الإنجليز مصر (1299هـ - 1882م).. ففي
العام التالي، عمم الاحتلال القانون الأجنبي في
عموم القضاء الأهلي المصري⁵¹⁶.

ثم لما رحلت عساكر الغازي الأجنبي، لأن مدى قذائفها قد
طال وزاد، ولم تعد بحاجة إلى أن تبقى في بلادنا، وبقي
نفوذها، وتسمت دولنا بالمستقلة، فرضت الأنظمة -التي
أسمت نفسها مستقلة- علينا الدساتير والقوانين العلمانية
بالقهر والمعتقلات والانتخابات المزورة.

ب- العلمانية هي الإطار المعرفي للاستكبار الدولي.
ألغت العلمانية الأوروبية القيم الدينية والأخلاقية، وتبنت
المادية، واعتبرت الإنسان مركز الكون، ولكن ذلك الإنسان
الطبيعي، لا يعرف إلا المصلحة ولا يلتزم تجاه أخيه الإنسان
بأية قيم، ولذلك بحث الإنسان الأبيض عن مصلحته، فسار في

⁵¹⁶ معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام - العلمانية ص: 27 إلى 30.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية
نهج الاستكبار والسيطرة على بقية البشر، ويشرح الدكتور
المسيري -رحمه الله- ذلك فيقول:

"ونحن نذهب إلى أن العلمانية (وحدة الوجود
المادية والمرجعية المادية الكامنة) هي الإطار
المعرفي النهائي للحضارة الغربية الحديثة. ولكننا
نذهب أيضاً إلى أن الرؤية العلمانية هي في واقع
الأمر رؤية حلولية كمنوية مادية لا تفصل الدين عن
الدولة وحسب وإنما تعزل القيم المطلقة
(المعرفية والأخلاقية والإنسانية والدينية) عن
الدنيا، بحيث يصبح مركز الكون كامناً فيه ويُردُّ
الواقع بأسره (الإنسان والطبيعة) إلى مستوى
واحد، ويصبح كلُّه مجرد مادة محضة نافعة نسبية
لا قداسة لها تُوظف وتُسحَّر. والهدف من وجود
الإنسان في الأرض هو زيادة معرفة قوانين
الحركة والطبيعة البشرية والهيمنة عليها من خلال
التقدم المستمر الذي لا ينتهي، ومن خلال تراكم
المعرفة وسد كل الثغرات وقمع الآخر إلى أن
يخضع كل شيء (الإنسان والطبيعة) لحكم العقل
وقانون الأرقام.

وقد تم تهميش الإله أو إلغاؤه باسم الإنسان
وصالح الجنس البشري. وبعد إلغاء أية مرجعية
متجاوزة، تظهر المرجعية الكامنة فيصبح مركز
الكون كامناً فيه، ويصبح الإنسان مركز الكون
(دون أي استخلاف من الإله) وتظهر الحركة
الإنسانية (الهيومانية). ولكن في إطار المرجعية
الكامنة يُختزل الإنسان ويُردُّ في كليته إلى
الطبيعة/المادة، ويصبح إنساناً طبيعياً (مادياً).

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

والإنسان الطبيعي إنسان لا حدود ولا قيود عليه،
يقف وراء الخير والشر، متمركز حول منفعته
ولذته، لا راد لقضائه أو لرغبته في البقاء. وهو لا
يلتزم بأية قيم معرفية أو أخلاقية أو أبعاد نهائية،
فهو يتبع القانون الطبيعي.

.....
فماذا في قوانين الطبيعة وقوانين الحركة
وقوانين الضرورة يُلزمه بأن يتجاوز مصلحته
الخاصة الضيقة والأَيُحَوَّل الآخِر إلى مادة تُوظف
لصالحه؟
لكل هذا فإنه بدلاً من مركزية الإنسان في الكون
تظهر مركزية الإنسان الأبيض في الكون، وبدلاً
من الدفاع عن مصالح الجنس البشري بأسره يتم
الدفاع عن مصالح الجنس الأبيض، وبدلاً من ثنائية
الإنسان والطبيعة وأسبقية الأول على الثاني تظهر
ثنائية الإنسان الأبيض من جهة، مقابل
الطبيعة/المادة ونقبة البشر الآخرين من جهة.
ويصبح هم هذا الإنسان الأبيض هو غزو الطبيعة
المادية والبشرية وحوسلتها وتوظيفها لحسابه
واستغلالها بكل ما أوتي من إرادة وقوة، وهكذا
تحوّلت الإنسانية الهومانية الغربية إلى إمبريالية.

.....
وقد قام الإنسان الغربي بالفعل بذلك وحقق
لنفسه مستويات معيشية مادية ورخاء مادياً لم ير
مثله البشر من قبل.

.....
وقد ظهرت هذه الرؤية الإمبريالية قبل أن تصح
الإمبريالية حقيقة تاريخية. ونشأت لدى الإنسان
الغربي الرغبة في ضبط حياته وترشيد مجتمعه
وذاته والتهايم العالم قبل ميلاد أوربا النهم.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرباً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

كانت جيوش أوروبا الغازية تسير في عقل الإنسان الغربي وأحلامه قبل أن تطأ أقدام جنودها الثقيلة غابات أفريقيا الخضراء وجبال آسيا الشامخة وقيل أن يُباد الملايين من الأطفال والنساء والرجال من الشعوب الأصلية التي كانت تشغل الحيز الحيوي الذي كان يود أن يستولي عليه هذا الرجل النهم.

.....
ولعل الاختلاف بين العلمانية والإمبريالية هو اختلاف في مجال التطبيق وليس في الرؤية نفسها، فالرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية تُعبر عن نفسها من خلال عمليتين تاريخيتين متزامنتين متعاقتين متشابهتين، وهما عمليتان متكاملتان لا يمكن أن نراهما كسبب ونتيجة (الإلفترة مبدئية وجيزة) فالأسباب نتائج والنتائج أسباب. هاتان الظاهرتان هما الدولة (القومية) المطلقة والتشكيل الاستعماري الإمبريالي الغربي.

.....
1 - على مستوى العلمنة في الداخل (من خلال الدولة القومية المطلقة): قامت الحكومات العلمانية المطلقة في الغرب بترشيد البنية المادية والاجتماعية للمجتمعات

.....
وقد استبطن الإنسان الغربي هذه الرؤية (الترشيد من الداخل) فارتفعت كفاءته في الأداء، أي أن الداخل الغربي تم غزوه وحوسلته تماماً.
2 - على مستوى العلمنة في الخارج (من خلال الإمبريالية العالمية): بعد ترشيد الإنسان الغربي من الداخل والخارج، ومع تزايد الترشيح في عمليات النهب والقرصنة في الخارج وتزايد

التراكم الإمبريالي واتساع نطاق السوق حتى تجاوز حدود الدولة القومية المطلقة، بدأت مرحلة إمبريالية الخارج، فقامت الحكومات القومية العلمانية (المطلقة) بتكثيف طاقتها المادية والبشرية وتسخيرها في تجيش الجيوش، ثم قامت بإرسالها إلى كل أرجاء العالم لإخضاعه والهيمنة عليه وترشيده (من الخارج) وتوظيف موارده البشرية والمادية لصالح الحكومات والشعوب الغربية (وفيما بعد، لصالح قطاعات من النخب السياسية والثقافية في العالم الثالث، باعتبار أنها شريكة للإمبريالية والعلمانية)، وذلك حتى تمت لها السيطرة على العالم بأسره وإحكام قبضتها عليه.

.....
ولعله من المفيد، من منظور هذه الموسوعة، أن نشير إلى الاستعمار الاستيطاني باعتباره جزءاً لا يتجزأ من التشكيل الاستعماري الغربي مع أن له خصوصيته المستقلة. لقد بدأ الإنسان الغربي ينزح عن قارته الأوربية في عصر نهضته وفي بداية مشروعه التحديثي العلماني، فاستعمر الأمريكتين حيث أسس مجتمعات استيطانية ضمت فيما بعد جنوب أفريقيا، أستراليا ونيوزيلندا والجيب الاستيطاني في الجزائر، وأخيراً فلسطين. وقد قامت هذه المجتمعات الاستيطانية على أساس المنفعة واللذة بالدرجة الأولى.

.....
ولهذا، ظهر في هذه المجتمعات الاستيطانية إنسان بلا تاريخ ولا قيم ولا تراث ولا هوية، فهو يقترب إلى حد كبير من الإنسان الطبيعي/المادي ذي البعد الواحد الذي يدور تماماً في إطار

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

المرجعية المادية. ولذا، فقد كان من الممكن إدارة هذه المجتمعات على أسس اقتصادية رشيدة إلى أقصى حد، لا تعوقها عوائق تاريخية دينية أو تراثية أو أي شكل من أشكال المطلقات. ومن هنا، فقد جاءت هذه المجتمعات محتمة علمانية مازحة.

ويتبدى هذا بكل جلاء في الاستعمار الاستيطاني البروتستانتي (الأنجلو ساكسوني) حيث تمت إبادة السكان الأصليين إذ كان من المحال تحويلهم إلى مادة استعمالية عامة بسبب تراثهم الحضاري، واستُجلب العبيد إلى المزارع في الجنوب الأمريكي وإلى جزر الهند الشرقية، وحُطمت شخصيتهم الحضارية وعُزلوا عن كل المؤسسات الدينية وضمن ذلك المسيحية (في بادئ الأمر) حيث كانوا يُعاملون بشكل محايد ويُنظر إليهم من منظور الوظيفة وحسب دون أي اعتبار للجوانب الروحية أو الأخلاقية، أما الاستعمار الاستيطاني الكاثوليكي فلم يكن بهذا الرشاد. فقد بذلت الكنيسة جهداً غير عادي في مقاومة المستوطنين، ناظرة إلى السكان الأصليين باعتبارهم مادة إنسانية ذات روح وقداسة وبالتالي لا بد من هدايتهم. ولهذا نجد أن معدلات العلمنة في المجتمعات الاستيطانية ذات الأصول البروتستانتية، مثل أمريكا الشمالية، أعلى بمراحل كثيرة منها في المجتمعات الاستيطانية ذات الأصول الكاثوليكية مثل أمريكا اللاتينية. وأكثر المجتمعات علمنة على وجه الأرض هو المجتمع الأمريكي الذي أباد السكان الأصليين تماماً ومحا آثارهم الحضارية ورفض تقاليد

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الحضارة الأوربية الثقافية والدينية وشيّد
مؤسسات رشيدة تماماً، والأمركة هي العلمنة
الشاملة الحقيقية.

ونحن نقترح استرجاع الإمبريالية كمقولة
تحليلية باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الرؤية
المعرفية العلمانية الإمبريالية، ومن ثم لا يمكن
استبعادها من دراسة أمة ظاهرة في الحضارة
الغربية الحديثة.

ولناخذ الديمقراطية على سبيل المثال. يُلاحظ
أن الدول الغربية الديموقراطية، وفي طليعتها
إنجلترا وفرنسا، هي بلاد لها مشروعها الاستعماري
الضخم حيث التهمت معظم أنحاء العالم وقمعت
السكان الأصليين وسلبتهم حريتهم وحطمت
مؤسساتهم الاجتماعية والثقافية. وقُل نفس
الشيء عن هولندا وبلجيكا، وبدرجة أقل عن
إيطاليا. وبعد أن استعمر الإنسان الغربي الولايات
المتحدة وأقام فيها نظاماً سياسياً مستقراً، قام
بعملية إبادة للسكان الأصليين، ثم دخلت الولايات
المتحدة في تجربتها الاستعمارية فاحتلت
بورتوريكو وهاواي والفلبين، ووضعت أمريكا
اللاتينية تحت مظلتها بمقتضى مبدأ مونرو. وقد
ترسخت الديموقراطيات الغربية عن طريق
الإمبريالية إذ نجحت في تسريع التراكم
الرأسمالي (الإمبريالي) من خلال نهب
المستعمرات، الأمر الذي ساهم في تأسيس بنيتها
التحتية المادية الضخمة المستقرة وتحقيق الرفاه
الاجتماعي للمواطنين عن طريق تجريد بقية
شعوب العالم من مصادرها الطبيعية والبشرية.
وقد نجحت الحكومات الغربية في تصدير مشاكلها
الاجتماعية حيث قامت بإرسال المجرمين

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

والعناصر غير المستقرة اجتماعياً والفائض السكاني إلى الشرق، بل قامت بالتخلص من الجماعات والأقليات غير المرغوب فيها (مثل اليهود) عن طريق نقلهم إما إلى الشرق (في فلسطين) أو إلى الغرب (في أفران الغاز)، كما حلت مشكلة سوء توزيع الثروة من خلال نهب المستعمرات. ويكفي أن نعرف أن ما نهته إنجلترا من الهند يزيد كثيراً عما أنتجته خلال الثورة الصناعية عامة، أي أن نجاح المجتمع الإنجليزي ومشروعه التحديثي لا يمكن رؤيته بمعزل عن التراكم الاستعماري، فالسلام الاجتماعي الداخلي الذي حققه المجتمع الإنجليزي قد تحقق من خلال تصدير مشاكل إنجلترا إلى خارجها ومن خلال تحقيق التراكم الرأسمالي (الإمبريالي) بما نهيه من الآخرين.

.....
ولننظر إلى ظاهرتين تبدوان كما لو كانتا بعيدتين كل البعد وهما قيام الاستعمار الاستيطاني في أمريكا الشمالية في القرن السابع عشر بإبادة السكان الأصليين وقيام الدولة النازية بإبادة يهود أوروبا في القرن العشرين. لو طبقنا نفس المنظور المعرفي الذي يُبين أن الرؤية العلمانية الإمبريالية هي الرؤية الكامنة وراء معظم الظواهر الغربية، فإننا سنرى الوحدة الكامنة وراء تلك الظاهرتين. وكما أسلفنا، فإن جوهر الرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية هو تحويل البشر والعالم إلى مادة نافعة. وانطلاقاً من هذه الرؤية، قام التشكيل الاستعماري الاستيطاني في الغرب بنقل ملايين البشر باعتبارهم مادة محضة تُوظف وتُسحَّر

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وُنقِلَ وَتُعْرَى. فتم نقل الملايين من البشر من أوروبا إلى أمريكا لتوطينهم هناك، لزيادة نفعهم وتعظيم إنتاجيتهم، ولتسهيل عملية توظيفهم ولحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية لأوروبا. ولنفس السبب، تم استجلاب مادة بشرية يمكن تحويلها إلى طاقة عضلية رخيصة. وماذا لو حدث أن ظهرت عوائق تقف في طريق عملية زيادة المنفعة وتعظيم الإنتاج؟ ماذا لو كانت العوائق مادة بشرية أخرى؟ الإجابة سهلة ومباشرة: مثل هذه المادة البشرية ستكون غير نافعة ولذا لا بد من إزالتها. وهذا ما حدث للهنود الحمر في الولايات المتحدة، حيث كان الإنسان الأبيض يبيد الهنود في أمريكا ويقوم في نفس الوقت باصطياد السود في أفريقيا ونقلهم إلى الأرض التي أريد سكانها. ولا يمكن فهم هذا إلا في إطار التوظيف وتعظيم الإنتاج والتعريفات البيولوجية العرقية الصارمة. فالسود يمكن استخدامهم بسبب عدم تماسكهم الحضاري وبسبب قوتهم العضلية ولأنهم بلا حقوق، أما الهنود فكانوا يُشكلون كتلة حضارية متماسكة ذات حقوق تاريخية (كما أن نظام المناعة الخاص بهم كان ضعيفاً جداً أمام الميكروبات التي حملها الإنسان الأبيض، ومن ثم كان من العسير استيعابهم في النظام الجديد)⁵¹⁷. والإيادة النازية لبعض القطاعات البشرية في أوروبا ليست سوى تطبيق متبلور لتلك الرؤية

⁵¹⁷ أشرت في المبحث السابق لرأي الرئيس الأمريكي الثالث جيفرسون ومعاصريه، الذين كانوا يرون أن الهنود الحمر ليس أمامهم إلا خياران، إما أن يندمجوا في الولايات المتحدة، ويعيشوا كأمريكان متحضرين، أو أن ينفوا في أماكن العزل غرب نهر المسيسيبي، بعيداً عن أوطانهم وأراضيهم التي استولى عليها الأمريكان المتحضرون.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

*المعرفة العلمانية الإمبريالية، ولكن في الغرب
نفسه بدلاً من آسيا أو أفريقيا أو الأمريكتين*⁵¹⁸
ج- التوظيف السياسي للداروينية.

لما كانت النظرية الداروينية من أكثر النظريات التي أثرت
في الفكر العلماني، فقد تم توظيفها أيضاً توظيفاً استكبارياً،
فظهرت الداروينية الاجتماعية، التي بررت الدولة القومية
المطلقة والاستعلاء الاستكباري الدولي باعتبارهما حقان
للإنسان الأبيض المتطور الأجدر بالبقاء من الأجناس الأخرى
التي لا تستحقه.

يقول الدكتور المسيري عن ذلك:

"وقد وُظفت الداروينية الاجتماعية في تبرير
التفاوت بين الطبقات داخل المجتمع الواحد وفي
الدفاع عن حق الدولة العلمانية المطلقة وفي
تبرير المشروع الإمبريالي الغربي على صعيد
العالم بأسره. فالفقراء في المجتمعات الغربية
وشعوب آسيا وأفريقيا (والضعفاء على وجه
العموم) هم الذين أثبتوا أن مقدرتهم على البقاء
ليست مرتفعة، ولذا فهم يستحقون الفناء أو على
الأقل الخضوع للأثرياء ولشعوب أوربا الأقوى
والأصلح.

وقد تبيّنت هذه المنظومة الداروينية بشكل واضح
في الرؤية المعرفة العلمانية الإمبريالية، من إنكار
قيمة أي شيء أو أية مرجعية متجاوزة إلى تأكيد
ضرورة التنافس والصراع والإصرار على حرية

⁵¹⁸ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء
الرابع: العلمانية الشاملة- الباب الثامن: العلمانية الشاملة والإمبريالية- الرؤية
المعرفة العلمانية الإمبريالية- ج: ص: 184 إلى 188. راجع أيضاً: الباب التاسع:
العلمانية الشاملة: تاريخ موجز وتعريف- العلمانية الشاملة: تعريف ج: 1 ص: 214 و
215.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

السوق والبياتة وعدم تدخل الدولة بحيث يهلك
الضعفاء ولا يبقى سوى الأقوياء. والإمبريالية هي
تحويل للرؤية الداروينية حيث أصبح العالم كله
سوقاً، مسرحاً لنشاط الإنسان الأبيض المتفوق
الذي أباح لنفسه قتل الآخر ضماناً لبقائه وتأكيداً
لقوته.

.....
والفكر العرقي الغربي هو فكر تطوري إذ يرى
أن الإنسان الأبيض هو آخر حلقات التطور وأعلاها،
ولذا فله حقوق معينة.

.....
والفكر الصهيوني، مثله مثل الفكر النازي،
ترجمة للرؤية الداروينية، فالصهاينة قاموا بغزو
فلسطين باسم حقوقهم اليهودية المطلقة التي
تجُبُّ حقوق الآخرين، كما أنهم جاءوا إلى
فلسطين ممثلين للحضارة الأوروبية يحملون عبء
الرجل الأبيض. وهم، نظراً لقوتهم العسكرية،
يملكون مقدرة أعلى على البقاء. أي أنهم جاءوا
من الغرب مسلحين بمدفعية أيديولوجية
وعسكرية داروينية علمانية ثقيلة، وقاموا بتسوية
الأمر من خلال الموقع الدارويني المنتشوي
فذبخوا الفلسطينيين وهدموا قراهم واستولوا
على أراضيهم، وهي أمور شرعية تماماً من
منظور دارويني علماني، بل واجبة. ولعل تأثير
معظم المفكرين الصهاينة ينتشيه أمر له دلالة
في هذا المقام"⁵¹⁹.

⁵¹⁹ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري - الباب
الخامس: مصطلحات تشير إلى تفكيك الإنسان وتقويضه- الداروينية الاجتماعية ج: 1
ص: 155 إلى 157. راجع أيضاً:

Microsoft Encarta 2008, Social Darwinism.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

والداروينية الاجتماعية التي تبيح لنفسها الإبادة والسلب
بالقوة والمكر والخديعة تبينها -أو تفضحها- خطبة بليغة ذكية
لأحد زعماء الهنود الحمر.

ففي عام 1805م قدم من ماسوشيستس مبشر مسيحي
أمريكي أبيض إلى منطقة بافلو، ودعى الهنود الحمر هناك
لجلسة، حضرها العديد من زعماء قبيلة السينكا ومحاربيها،
وأراد أن يبين لأولئك الهمج المزايا، التي سيجنونها من
اعتناق المسيحية، وألقى عليهم محاضرة، شرح لهم فيها
غرضه من دعوتهم، وأنه قد قدم لهم ليعلمهم كيف يعبدون
(الروح الأعظم)، وأنه لم يأت ليحتال علي سلب أرضهم
وممتلكاتهم. وأن هناك ديناً صحيحاً وحيداً وهو المسيحية،
التي لن ينالوا السعادة إلا باعتناقها.

وبعد أن أنهى خطبته اجتمع الهنود الحمر، وقرروا تفويض
الزعيم البليغ المفوه (المعطف الأحمر) لإبلاغه بجوابهم.
فقام خطيباً وكان مما قال:

"الإخوة والأصدقاء، لقد كانت إرادة الروح
الأعظم أن نلتقي سوياً في هذا اليوم، فهو المدبر
لكل شيء، وقد منحنا يوماً بديعاً لهذه الجلسة.

.....
أخي، لقد أضرمت نار هذا الاجتماع من أجلكم،
وكان ذلك بناء على طلبك؛ أن نجتمع في هذا
الوقت، وقد أنصتنا باهتمام لما قلت، وقد سألتنا أن
نعبر عما في خلدنا بصراحة، وهذا من دواعي
سرورنا.

.....
أخي، لقد طلبت منا أن نجيبك قبل أن تغادر هذا
المكان، وذلك أنك على مسافة بعيدة من منزلك،
ولا نريد أن نعطلك، ولكننا سنلقي أولاً نظرة

للوراء قليلاً، ونخبرك عما أخبرنا به أسلافنا، وعمّا
سمعناه من القوم البيض.

أخي، أصغ لما نقول. فيما مضى كان أسلافنا
يملكون هذه الجزيرة العظمية. وانتشرت
مواطنهم من مشرق الشمس لمغربها. وقد منحها
الروح الأعظم لمنفعة الهنود، وقد خلق الجاموس
والأيل وغيرها من الحيوانات للطعام، وجعل الدب
والسمور وجلودهم للباس، ونشرهم في البر،
وعلمنا كيف نمسك بهم. كل هذا جعله لأطفاله
الحمراء، لأنه يحبهم. وكنا إذا نشأت بيننا أية نزاعات
حول مناطق الصيد، نحلها عادة بدون سفك دم
كثير. ولكن يوماً عصياً أتانا، فقد عبر أسلافك
المياه العظمية، ورسوا على هذه الجزيرة.

وكان عددهم صغيراً، ولقوا أصدقاء لا أعداء،
فقد أخبرونا أنهم هجروا بلادهم خشية من رجال
أشرار، وأتونا هنا ليمارسوا دينهم. وسألونا موضعاً
صغيراً، وقد رفقنا بهم، ومنحناهم ما يطلبون،
ونزلوا بيننا، وقدمنا لهم الحنطة واللحم، فكافئونا
بالسم. ولما اكتشف الرجل الأبيض بلدنا، انتشرت
الأنباء، وجاء العديد بيننا، ولكننا لم نرهبهم،
واعتبرناهم أصدقاء. وسمونا إخوة، وصدقناهم،
وأعطيناهم موضعاً أوسع، وفي النهاية زاد عددهم
جداً، وطالبوا بأراض أكثر؛ لقد أرادوا بلادنا.

وتفتحت أعيننا، وتوجست أنفسنا. ونشبت
الحروب، واستأجر الهنود لمحاربة الهنود، وأبيد
الكثير من قومنا، ولقد جلبوا أيضاً لنا شراباً قوياً،
وكان قوياً وفعالاً ودمر الآلاف.

أخي، لقد كانت مناطقنا سلفاً شاسعة، وكانت
مناطقكم صغيرة جداً، وقد أصبحت الآن شعباً
كبيراً، وبقي لنا موضع نبسط فيه بالكاد أريدتنا، لقد

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

أخذتم بلادنا، ولكنكم لا تقنعون؛ فأنتم تريدون
فرض دينكم علينا"⁵²⁰.

د- التوظيف السياسي للإعلام العلماني
وهذه الاستكبارية العلمانية الشاملة -التي تبرر لها
الداروينية الاجتماعية ما تقوم به- تستخدم في نشر أفكارها
بخبث وسائل من أهمها السينما الأمريكية، التي يقول عنها
الدكتور المسيري:

"وأعتقد أن من أهم آليات العلمنة البنيوية
الكامنة في العالم هي هوليوود، وخصوصاً أفلامها
غير الفاضحة، مثل أفلام رعاة البقر المسماة
"الويسترن western" وأفلام الحرب، فالرؤية
العلمانية الشاملة كامنة فيها، بشكل يصعب على
الإنسان اكتشافه. وأفلام الويسترن بالذات تنقل
لنا رؤية علمانية إمبريالية عنصرية بشعة متحيزة
ضدنا. فبطل الفيلم هو الرائد (بالإنجليزية: بايونير
pioneer)، الرجل الأبيض الذي يذهب إلى البرية
(أرض بلا شعب) ليفتحها ويستقر فيها ولا يحمل
سوى مسدسه. وكلنا يعرف المنظر الشهير، حين
يقف اثنان من رعاة البقر في لحظة المواجهة
التي يفوز فيها من يصل إلى مسدسه "أسرع" من
الآخر. إن هذا المنظر الذي انطبع في مخيلتنا منذ
نعومة أظافرنا، يعلمنا كل أسس الداروينية
الاجتماعية: أن الصراع من أجل البقاء هو سنة
الحياة وأنه لا يكتب البقاء إلا للأصلح، أي الأقوى أو
الأسرع أو الأكثر دهاء ومكراً، وهي مجموعة من
الصفات التي لا علاقة لها بأية منظومة قيمية،
دينية كانت أم أخلاقية أم إنسانية. وحينما يظهر

⁵²⁰ Microsoft Encarta 2008. Native Americans of North America, F. Removal Trends, 1815 to 1870, Sidebars: HISTORIC DOCUMENTS: Against Christian Missionaries.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

الهنود الأشرار، هؤلاء "الإرهابيون" أصحاب الأرض الأصليين الذين لا يتركونه وثنائه كى يرعى أبقاره ويبنى مزرعته، أى مستوطنته، على أرضهم وأرض أجدادهم، يحصدهم الكاوبوي برصاصه حصداً "دفاعاً" عن الفتاة البيضاء البريئة وعن حقوقه المطلقه. نستمتع بكل هذا دون أن ندرك أن الكاوبوي هو في واقع الأمر الرائد الصهيوني (الحالوتس)⁵²¹، وأنه الإنسان الأبيض الإمبريالي الذي نهب ديارنا وثرواتنا وأذلنا، وأن الهنود هم نحن، العرب والفلسطينيون، وأن البرية، هي، فى واقع الأمر، العالم الثالث بأسره، أرض بلا شعب، أو شعب ينظر له الإنسان الغربي من خلال رؤيته العلمانية الإمبريالية الشاملة باعتباره مادة استعمالية يمكنه أن يحوسلها لصالحه. وهكذا نستوعب الرؤية العلمانية الإمبريالية الشاملة، بلا وعى ولا إدراك من جانبنا، فقد جاءت لنا مغلقة تغليفاً أنيقاً، جزءاً عضواً كامناً فى بنية فيلم لذيذ مسل "522".

هـ- انهزامية الفكر العلماني العربي.

سعيت فيما سلف لبيان الطبيعة الاستكبارية العدوانية

الاستعمارية التي لا تنفك عن العلمانية المادية الغربية في

ممارساتها السياسية والعسكرية.

⁵²¹ «حالوتس» مفرد «حالوتسم»، وترجمتها العربية: «الرواد» ومفردها «رائد». ويُطلق المصطلح في الكتابات الصهيونية على الصهيوني الذي يهاجر إلى فلسطين، ويستوطن فيها، ثم يكرس نفسه لبناء المُستوطن الصهيوني. [موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد السابع: إسرائيل: المستوطن الصهيوني- الجزء الرابع: النظام الاستيطاني الصهيوني- الباب الأول: الاستيطان والاقتصاد- الرواد الصهاينة (حالوتسيم- المسكوب) ج: 7 ص: 133].

⁵²² موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الرابع: العلمانية الشاملة- الباب السادس: مصطلحات جديدة لبلورة النموذج الكامن- العلمنة النبوية الكامنة- بعض الأمثلة- 3- المنتجات الحضارية اليومية ج: 1 ص: 161.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

ولكن لما اعتنق بعض بني جلدتنا الفكر العلماني المادي الغربي، كانوا حملاناً في مواجهة الذئاب الشرسة، حدثونا كثيراً عن الحرية والاستقلال، ولكنه كان استقلالاً عن الإسلام والدين فقط، أما أساتذتهم العلمانيون الغربيون فقد واجهوهم بانهازامية وتبعية وانكسار.

يقول الدكتور محمد عمارة عن المنبهرين بالثقافة الغربية:

"وإذا كان هذا "التغريب" أمراً قابلاً "للتفسير" دون "التبرير" .. فإن الأمر الذي يبلغ في الغرابة حد "الكارثة" هو الموقع الذي قادت إليه العلمانية بعضاً من مثقفينا الذين تمذهبوا بمذهبها، موقع التبعية للحضارة الغربية الغازية، والولاء للمركزية الغربية العنصرية.. بل وإعلان التسليم والاستسلام لإرادة الغرب في استلابنا واحتوائنا وإلحاقنا بنموذج الحضاري "في الإدارة.. والحكم.. والتشريع" .. وإلا فماذا تعنيه كلمات الدكتور طه حسين (1306- 1393 هـ 1889- 1973 م): لقد "التزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع. التزمنا هذا كله أمام أوروبا. وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال - (1936م) - ومعاهدة إلغاء الامتيازات - (1938م) - إلا التزاماً صريحاً قاطعاً أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوربيين في الحكم والإدارة والتشريع؟"

إن هذا الاعتراف العلماني "بالالتزام" بما ألزمتنا به الغرب، من أن "نسير سيرة الأوربيين في الحكم والإدارة والتشريع" .. ينقل قضية تبني العلمانية في بلادنا إلى مستوى آخر.. فالقضية تتجاوز أحياناً

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

دائرة الاختلاف في الفكر، لتصب -بوعي أو غير

وعي- في خانة التفريط في الاستقلال؟! "⁵²³

وفي الوقت الذي كان فيه الإنكليز يحتلون البلاد العربية والإسلامية، ويرتكبون الفظائع من قتل وتدمير وإبادة وتجويع وتجهيل في العراق، والهند، ومصر، كان سلامة موسى يتغزل بالإنجليز فهم "النظاف الأذكاء". وهم "أرقى أمة موجودة في العالم، والخلق الإنجليزي يمتاز عن سائر الأخلاق، والإنسان الإنجليزي هو أرقى إنسان من حيث الجسم والعقل والخلق"، ثم دعا إلى التعاون معهم وهم يحتلون البلاد، ويقتلون العباد فقال:

"فنحن إذا أخلصنا النية مع الإنجليز فقد

تتفق معهم إذا ضمنا لهم مصالحهم، وهم في

الوقت نفسه إذا أخلصوا النية لنا، فإننا نقضي

على مراكز الرجعية في مصر، وننتهي منها،

فلنول وجوهنا شطر أوربا"⁵²⁴

وبزيد طه حسين الأمر وضوحاً، أو إن شئت فقل: يسقط القناع، ويكشف الوجه الحقيقي للرواد المنبهرين المنهزمين، فيقول في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر):

"إن سبيل النهضة واضحة مستقيمة ليس فيها

عوج ولا التواء، وهي أن نسير سيرة الأوربيين

ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم

شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها،

وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما

يعاب"⁵²⁵

فليتأمل القارئ هذه التبعية وذلك التقليد الأعمى وهذا الجمود على اللهث وراء الغرب. إن طه حسين الذي كان يدعو للتحرر والانعقاد من القديم، وبلغ به الأمر أن شكك في

⁵²³ معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام- العلمانية ص: 41.

⁵²⁴ العلمانية وثقافة السلام.

⁵²⁵ قضية التنوير في العالم الإسلامي- منهج التغيير في حركة التنوير ص: 25.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

القرآن، طه حسين نفسه يتحول لجامد مقلد أعمى متابع بلا عقل للغرب، يتقبل منه شره ومره ومكروهه ومعيوبه. □ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ □.

أليس ما يقوم به هؤلاء هو ما خطط له نابليون في رسالته التي بعثها من فرنسا، بعد فراره من مصر تحت جنح الظلام هرباً من الهزيمة، لخليفته كليبر، والتي جاء فيها:

"اجتهد في جمع 500 أو 600 شخص من المماليك، حتى متى لاحت السفن الفرنسية تقبض عليهم في القاهرة أو الأرياف وتسفرهم إلى فرنسا. وإذا لم تجد عدداً كافياً من المماليك، فاستعض عنهم برهائن من العرب ومشايخ البلدان، فإذا ما وصل هؤلاء إلى فرنسا يحجزون مدة سنة أو سنتين، وبشاهدون في أثنائها عظمة الأمة الفرنسية، ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا، ولما يعودون إلى مصر، يكون لنا منهم حزب يُضم إليه غيرهم.

كنت قد طلبت مراراً جوقة تمثيلية، وسأهتم اهتماماً خاصاً بإرسالها لك، لأنها ضرورية للجيش، وللبداء في تغيير تقاليد البلاد"⁵²⁶.

وبقدم الدكتور المسيري تفسيراً لهذه الانهزامية بقوله:
"وقد يكون من المفيد أن نتوقف هنا لنشير إلى ظاهرة لاحظناها في العالم العربي وهي أن كثيراً من الباحثين ممن هُزموا من الداخل بدأوا يوظفون المؤثرات في دعم الهزيمة. وهذه ظاهرة بدأت مع العصر الحديث في العالم العربي. فبعد وصول القوات الغازية الغربية في أوائل القرن التاسع عشر، اهتزت ثقة الإنسان العربي في نفسه، وخصوصاً أنه لم يكن يعرف

⁵²⁶ رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص: 108.

شيئاً عن الحضارة الغازية (فكرها- آلياتها- قوانينها- نقاط تصورها)، لم يكن يعرف مثلاً أي شيء عن تاريخ النهب الإمبريالي والتراكم الإمبريالي، فتصور واهماً أن الإنسان الغربي قد توصل إلى ما توصل إليه من نظام ورخاء من خلال أعمال عقله وبذل جهده وعمله لا من خلال استخدام عضلاته وتكنولوجيا الفتك المتقدمة وعمليات النهب المنظمة. وحينما ذهب الطهطاوي إلى باريس لم ير سوى الحرية والثقافة، ولم ير الجوانب المظلمة لهذه الحضارة رغم أنه ذهب إلى هناك عام 1830، وهو نفس العام الذي كانت فيه المدافع الفرنسية تذكّ الجزائر الآمنة. وقد يكون من المهم مقارنة استجابة الطهطاوي باستجابة ذلك الشيخ الجزائري الذي قيل له إن عساكر الفرنسيين قد جاءوا لينشروا الحضارة والمحبة في ربوع الجزائر، فأجاب إجابة مقتضبة جداً: لم أحضروا كل هذه المدافع وكل هذه البارود إذن؟ وهذا هو السؤال الذي لم يسأله الطهطاوي ولم يسأله كثير من الباحثين ممن وقعوا تحت وطأة الهزيمة واستبطنوها تماماً. وبدلاً من اكتشاف الواقع الغربي بجوانبه المنيرة والمظلمة، جعلوا شغلهم الشاغل النقل عن الغرب كجزء من محاولة اللحاق به. وبالتدرّج، وتحت شعار الموضوعية والواقعية، بدأوا يتجردون من مثاليتهم وتراثهم وإبداعهم وأصبح مهمهم تقليل الوضع القائم وموازين القوى وأصبح الآخر هو المثل الأعلى. وقد أنتج هذا مجموعة من المؤشّرات الموضوعية هي في الواقع تعبير عن الهزيمة.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرباً، المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

وقد حدث شيء مماثل بالنسبة لإسرائيل،
فنحن في رصدنا لها لا نركز إلا على مواطن قوتها
وتقدمها وتفوقها، وهذه هي الموضوعية والواقعية،
أما إذا اكتشفنا نقط ضعف العدو وقصوره وتآكله،
فإن هذا يُصنّف باعتباره خداعاً للذات. إن الذات
المهزومة تخضع تماماً للآخر ولا يمكنها أن تتصور
أن من الممكن أن تتفاعل داخله عوامل الحياة
والانتصار والموت والانكسار. وتدرجياً، يدمن
الإنسان الهزيمة إيماناً كاملاً حتى تصبح رؤية
للكون لا يستطيع المرء أن يحتفظ بتوازنه بدونها.
ومع أطروحة الهزيمة الاختزالية، تحوّل كثير من
الباحثين إلى جند محنّة تخدم العدو بنزاهة
موضوعية دون أن تدري، فهي ترصد مواطن
قوته، وتصدّق كل ما يقوله وتتصرف في إطاره
بأمانة مضحكة دون تمحيص، وكيف يتأتى لهم غير
ذلك وهم المهزومون من الداخل؟⁵²⁷

بل ويصرح الدكتور المسيري بأن منهم عملاء للنظام
العالمي الاستكباري الجديد، فيقول:

"يمكن أن يتحول بعض قطاعات النخب
الحاكمة والمتقنين في العالم الثالث إلى جماعات
وظيفية (عميلة) تعمل لصالح الإمبريالية أو النظام
العالمي الإمبريالي الجديد. فهؤلاء يمكن
استيعابهم من خلال الشبكة الاقتصادية والثقافية
الضخمة (شركات متعددة الجنسيات- مؤسسات
بحوث- مؤتمرات علمية- مشاريع بحثية
مشتركة... إلخ). وهذه القطاعات يتم عزلها عن
مجتمعاتها بحيث تصبح غريبة، فتكون داخلها ولكنها

⁵²⁷ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء
الثاني: النماذج كأداة تحليلية- الباب الثالث: النموذج الاختزالي والنموذج المركب-
المؤشر بين النماذج الاختزالية والمركبة ج: 1 ص: 106.

ليست منها. ويمكن أن تكون العزلة فعلية كأن يعيش أعضاء هذه القطاعات في منازل توجد على أطراف المدينة أو في أحياء خاصة ذات طُزُر معمارية معينة (عادةً غربية) أو يرتدون أزياء غربية ويتحدثون بالإنجليزية أو العربية المطعمة بالإنجليزية. كما أن شبكة المصالح العالمية تستوعبهم فتصبح مصالحهم الاقتصادية مرتبطة بالآلة العالمية وباستمرارها وباستمرار مؤسساتها الثقافية.

ولكن العزلة يمكن أن تتم بشكل أكثر تبلوراً وتركيباً فتأخذ طابعاً نفسياً فيحس المثقف بالعزلة عن مجتمعه وبعدم التجذر فيه وبالغربة عنه، ويحس عضو النخبة السياسية بعدم الانتماء لبلده، كما أنهما ينظران إلى أهليهما نظرة دونية حيث يشعران بتخلف المجتمع الذي يعيشان فيه وبحاجته إليهما (مركب الشعب المختار). كما أنهما يمارسان هذا الشعور عادةً بسبب إيمانهما بأيدولوجيا تُجسّد نماذج معرفية وأخلاقية مستوردة متحيزة ضد واقعهما. ورغم أنهما قد يتحدثان بلغة بلدهما، إلا أن خطابهما السياسي يبدأ في التحول التدريجي حتى لا يفهمه سواهما ويصبح أداة للعزلة عن الجماهير لا للتواصل معها. ولا شك في أن أعضاء هذه الجماعة يتسمون بحركية شديدة. كل هذا يجعلهم كيانات مجردة وأدوات قمع في نظر مجتمعاتهم، تماماً كما أنهم لا ينظرون إلى مجتمعاتهم باعتبارها كيانات حية ينتمون إليها. فهم ينظرون إلى الفلاح الذي يرتدي جلبابه، مثلاً، باعتباره عبئاً لا بد من التخلص منه ومشكلة تحتاج للحل.

.....

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

وقد وصف أحد علماء الاجتماع يهود البلاط بأنهم "مخسبون لم يتم خصيهم" وهو وصف دال أيضاً لأعضاء النخب الثقافية والسياسية في العالم الثالث الذين تم إعادة إنتاجهم على هيئة جماعة وظيفية عميلة تخدم النظام الإمبريالي العالمي الجديد، ونحن نرى أن النظام العالمي الجديد ينطلق من إدراك الدول الغربية صعوبة المواجهة العسكرية والأيدولوجية الواضحة مع شعوب العالم الثالث (وخصوصاً الشعوب الإسلامية)، وإدراكها أيضاً ظهور نخبة ثقافية محلية على استعداد كامل للتعاون معها والقيام على خدمتها، فقررت أن تلجأ إلى التفكيك الداخلي (من خلال النخبة المحلية العميلة) بدلاً من المواجهة المباشرة من خلال الجيوش وآليات الحرب التقليدية الأخرى"⁵²⁸.

ومن اللافت للانتباه أن قضية فلسطين، وهي أهم قضايا العلمانيين القوميين باعتبارها قضية أهم أرض قومية محتلة، وهي أيضاً القضية التي يتعاطف معها اليساريون باعتبارها قضية تحرر وطني ضد الإمبريالية العالمية... إلخ. اللافت للانتباه أن قضية فلسطين هذه قد فضحت كل العلمانيين -فيما أعلم⁵²⁹. فكلهم يقبلون بوجود إسرائيل، ولكن النقاش فيما تبقى من فلسطين، وكان على رأس هؤلاء العلمانيين المضيعين لفلسطين؛ منظمة التحرير الفلسطينية، التي غيرت ميثاقها لتعترف بوجود إسرائيل.

⁵²⁸ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول- الجزء الخامس: الجماعات الوظيفية- الباب الثاني: الجماعات الوظيفية والحلوية والعلمانية الشاملة- أشكال جديدة من الجماعات الوظيفية في المجتمعات الحديثة- 6- النخب الثقافية والسياسية المرتبطة بالإمبريالية الغربية ج: 1 ص: 238.
⁵²⁹ وأقول: "فيما أعلم" تحرزاً من أن يكون هناك شخص أو مجموعة ضئيلة تطالب بإزالة إسرائيل.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

لقد فضحت قضية فلسطين عقيدة العلمانيين وسلوكهم، فإن عقيدتهم التي لا تقبل أية مرجعية ثابتة، وتجعل كل شيء نسبياً، سمحت لهم بأن يقبلوا بما كانوا يعتبرونه -أو يعتبره بعضهم- خيانة، وفضحت أيضاً عيوديتهم للدولة القومية العلمانية (العبودية لسايكس بيكو). فلم تعد الأمة المسلمة أمة واحدة، وإنما هي أكثر من خمسين دولة قومية علمانية، وبالتالي فإن لكل دولة همومها، أو على الأقل فإن أهلها هم أولى الناس بحل مشاكلهم كما يرون، ولذلك لما قبل ياسر عرفات بوجود إسرائيل، وسقط في هوة اتفاقيات الاستسلام، كانت مقولة القوميين التحرريين الثوريين: "هل نحن فلسطينيون أكثر من الفلسطينيين؟".

أما طارق حجي -الذي تفخر به مؤسسة راند على أنه من المسلمين العلمانيين؟! لأنه يعتبر نفسه ابناً للحضارة الغربية⁵³⁰- فيدعونا إلى الإيمان بحتمية الوصول إلى السلام مع إسرائيل، وعلينا أن نكافح لترسيخ ثقافة السلام بدلاً من ثقافة العدوان، وأن نسير على خطا السادات، لكي تتجنب المنطقة السقوط في العنف والماضوية والتخلف والفقر، وعلينا أن نقبل قيام دولة ديمقراطية لا دينية على كامل تراب فلسطين يتساوى فيها اليهود والمسلمون والمسيحيون⁵³¹.

أما مراد وهبة فيفلسف للخيانة بل ولكل الخيانات بل أيضاً لكل الموبقات، لأن كل شيء في الوجود نسبي، بما في ذلك الحق والشرف والعدل والقيم الدين، فالعلمانية بنظره هي الحل لمشكلة الشرق الأوسط في فلسطين، ذلك أنه يعرف العلمانية بأنها: "النظر إلى النسبي بما هو نسبي وليس بما هو مطلق"، وبمعنى بذلك سيادة النسبية على كافة المستويات، وإقصاء المطلقات من الوجود، لأنه لا وجود لحقيقة مطلقة، والقول بها مجرد خرافة، وسيادة

⁵³⁰ BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, p: 134 & 135.

⁵³¹ العلمانية وثقافة السلام.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

المطلق يهدد السلام العالمي⁵³²، لأن المطلقات ستدخل في صراع كما هو الحال بين المطلقات الثلاثة الإسلامي اليهودي والمسيحي، وليس من وسيلة لحل هذا الصراع إلا بالقضاء على المطلقات، ويتم ذلك بنفي "الدوجماتيقية"، أي نفي علم العقيدة، لأن مفهوم الحرب كامن في هذا العلم. لأن هذا العلم قائم على اليقين "واليقين لا يمكن أن يكون إلا مغلقاً، ولهذا فهو يؤول في المنتهي إلى الدوغمائية التي تُترجم تعصباً وتحزباً وربما عنفاً وإرهاباً"⁵³³، ومع أن هذا الكلام لا يرضي الناطقين باسم الغائب والمدافعين عن العقائد وحراس النصوص كما يقول الخطاب العلماني، إلا أنه يقرر ذلك ليؤكد على أن الصراع العربي الإسرائيلي في النهاية هو صراع مطلقات، والحل الوحيد في العلمانية لأنها المضاد الحيوي للأصوليات الدينية التي تغذي المطلقات وتتغذى منها، وعلى ذلك بدلاً من شعار "الإسلام هو الحل" تصيح "العلمانية هي الحل"⁵³⁴.

ولأن كل شيء نسبي فكل شيء معروض في السوق وللبيع والشراء والمساومة؛ شرفك دينك عرضك أرضك مالك عيالك بل حتى نفسك، فلم تعد الأمانة والصدق والوفاء والإخلاص والشرف والأخلاق والدين لها معنى محدد، بل كلها تتغير بحسب الهوى والرغبة والمصلحة. هذا الاستخداء العلماني العربي يقابله التوحش والافتراس العلماني اليهودي الصليبي، فاليهود مثلاً بمتدنيهم وعلماينهم يرون القدس عاصمة أبدية خالدة لإسرائيل، ويعتبرون فلسطين هي (أرض إسرائيل)، وبصرون على بناء المستوطنات، ولا يقبلون بتاتا بعودة المهاجرين الفلسطينيين.

⁵³² أي سلام إسرائيل وأكابر المجرمين الذين يتحكمون في الدنيا.
⁵³³ إنظر لهذا الدجل الذي يتعمد تجاهل أن العلمانية الأوروبية هي أكثر العقائد عنفاً وإرهاباً وفتكاً بالإنسان في تاريخ البشرية.
⁵³⁴ العلمانية وثقافة السلام.

وقد يزعم البعض أن هناك من العلمانيين من يصر على قيام دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس، ويرى أن هذه من الثوابت التي لا يمكن التنازل عنها، ولكن من يزعم هذا يتناسى حقيقتين، أنه قد اعترف مسبقاً بإسرائيل، فالدولة الفلسطينية التي يدعو لها العلمانيون، هي دولة الأمم المتحدة، التي تقوم جنباً إلى جنب مع إسرائيل. والحقيقة الثانية التي يتجاهلون، أنهم مثل مراد وهبة وأشكاله يؤمنون بأن كل شيء نسبي، إذاً فممكن أن ينقلبوا من الشيء لصدده، لأنهم يؤمنون بانعدام الثوابت في الكون. وعن هذه الميوعة العقيدة، والتدني السلوكي للعلمانيين في قضية فلسطين يقول الدكتور المسيحي رحمه الله- في كتابه (رحلتي الفكرية- الجذور والبذور والثمر):

"والنسبية بدأت تستشري في بلادنا أيضاً. ويلاحظ أن كثيراً من المثقفين اليساريين ممن اكتسحتهم النسبية تخلوا عن عقيدتهم الثورية وعن الإيمان بمقدرة الإنسان على التجاوز (فالتجاوز يفترض اختياراً، والاختيار يعني مفاضلة، والمفاضلة لا بد أن تستند إلى معايير ثابتة) وأصبحوا من دعاة الأمر الواقع والتطبيع وقبول ما هو قائم، أي أصبحوا من عمد الرجعية الصلبة. ولكن، وهذا هو الغريب، يوجد فريق لا يزال متمسكاً بقيم مثل الخصوصية القومية المستقلة وضرورة مقاومة إسرائيل، ومع هذا تجده ينطلق من الإيمان بنسبية كل الأشياء، فمثل هؤلاء غير مدركين أنه إذا كانت حقاً كل الأمور نسبية (كما يدعون) فلا سبيل لتفضيل شيء على آخر، فالتغير يكتسح كل شيء في طريقه. فالالتزام في الأدب مثلاً يفترض وجود قيم إنسانية ثابتة، لا بد أن يدافع عنها الأديب الملتزم، فإن كانت كل الأمور نسبية، فالالتزام يصبح مساوياً لعدم الالتزام، والدفاع عن الإنسان يصبح مثل الهجوم

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/ المبحث الخامس:
التبني للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

عليه. وقد حضرت ندوة عقدت ضد التطبيع حضرها ممثلو الأحزاب المصرية، بما في ذلك اليساريون، الذين قدموا ورقة عن الهوية المصرية قالوا إنها كانت فرعونية ثم قبطية ثم عربية ثم حديثة!. وقولهم هذا يؤكد الصيرورة المستمرة، بل وتنتهي الهوية بشيء عام لا لليون ولا طعم ولا رائحة له يسمى "حديثة". فأشرت إلى أنه مع هذه التغيرات المذهلة لم لا تتصور تحول هذه الهوية إلى هوية شرق أوسطية، كما ينادي الصهاينة! أليست كل الأمور نسبية؟ أليست كل الأمور متساوية؟ فاستشاط كاتب الورقة غضباً، وأصدر أصواتاً عصبية حيث كان يجلس"⁵³⁵.

أما الشيوعيون فقد كانوا أول من فضحتهم قضية فلسطين، ومواقفهم من إسرائيل منذ إنشائها، ومن حرب عام 1948م فضيحة تاريخية تليق بهم، ولا أرى داعياً لإعادة ذكرها بعد أن أصبحوا مثل فضيحتهم من بقايا التاريخ. وهناك بعد آخر لانهزامية كثير من العلمانيين العرب، وهو اتصالهم بإسرائيل وتشجيعهم للتطبيع معها. ومن هؤلاء من يعدهم جميع العلمانيين سواء دعاة التطبيع أو مقاوميه من رموز الفكر ورواد التنوير وأعلام التقدم.... إلخ. وعلى رأس هؤلاء يأتي نجيب محفوظ، الذي حاز جائزة نوبل لتعرضه للإسلام وللذات الإلهية ولتشجيعه التطبيع مع إسرائيل، حتى أن موشيه ساسون أول سفير لإسرائيل في مصر ذكره في كتابه عن سفارته في مصر، وقال إنه كان من أصدقائه، وأنه كان ينتقد من يعارضون التطبيع، ويقول إنهم يفعلون ذلك بسبب حاجتهم للمال. وقد صرح نجيب محفوظ مبكراً بتشجيعه للسلام مع إسرائيل والتفاوض معها، فيقول:

⁵³⁵ بل هي حرب على الإسلام ص: 92 و 93.

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

"في أعقاب نكسة 1967م جمع د. ثروت

عكاشة (وزير الثقافة حينذاك) بعض المثقفين،
وأصحاب الرأي لتبادل الأفكار وكان رأيي الذي
أعلنته وقتها ضرورة العودة إلى الديمقراطية
تمهيداً للتفاوض مع إسرائيل ثم ناديت بالسلام مع
إسرائيل بجريدة الأهرام، حضرها العقيد القذافي
في أواخر 1970م في بداية حكم السادات"⁵³⁶.

ويقول أيضاً بمناسبة عرض قصته (ثرثرة على النيل)
بالعبرية على أحد المسارح اليهودية:

"التطبيع الثقافي أمر هام؛ لأن فيه تلاقي الفكر
في إطار من النقاء والصفاء، عند ذلك تذوب سحب
التقاتل والصراعات التي تثير جواً من القلاقل
وفقدان الثقة"⁵³⁷.

وأما توفيق الحكيم فكان يتلقى أموالاً من عائدات بيع كتبه
في إسرائيل.

أما إذا انتقلنا من طبقة الرواد لطبقة الأتباع والتلاميذ فحدث
ولا حرج، فلطفي الخولي الثوري اليساري رئيس تحرير مجلة
الطلیعة (الصادرة من الأهرام) سابقاً تحول لداع من دعاة
التطبيع، وهالة مصطفى رئيسة تحرير مجلة الديمقراطية التي
تصدر عن الأهرام أيضاً، استضافت السفير الإسرائيلي في
مقر عملها. والإحصاء متعب.

4- ما بعد الحداثة والنظام العالمي الجديد.
ذكرت فيما سبق أن العلمانية المادية والاستكبار الدولي
(الإمبريالية) صنوان متلازمان. ولكن الآن بدأ أكبر
المستكبرين، يتحولون من الخطاب الاستكباري، إلى خطاب
جديد. خطاب النظام العالمي الجديد، خطاب العولمة
الشاملة، التي تسقط الحدود، وتزيل السدود، وتدول

⁵³⁶ مات نجيب محفوظ وهذه بعض تركته.

⁵³⁷ كلمة صغيرة: حديث الحجاره.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

المعرفة، وتنتشر الديمقراطية والحرية. فما السبب الذي حدا
بالنظام العلماني الأبيض العنصري لأن يتحول لهذا الخطاب
الناعم. يقدم الدكتور عبد الوهاب المسيري تحليلاً رائعاً لهذا
التحول، يكشف الأهداف السياسية والاقتصادية وراءه،
أستسمح القارئ أن أنقل عنه بشيء من الإسهاب.
يقول الدكتور المسيري رحمه الله:

"ونحن نذهب إلى أن ما بعد الحداثة هي
أيدولوجية النظام العالمي الجديد، فبعد حرب
فيتنام وتّصاعُد معدلات الاستهلاكية في العالم
الغربي (وغير ذلك من الأسباب) اكتشف العالم
الغربي والنظام العالمي القديم أن المواجهة
المباشرة مع العالم الثالث وقوى المقاومة
والجهاد أصبحت شبه مستحيلة، ولذا لا بد من
اللجوء للإغواء بدلاً من المواجهة فجدة النظام
العالمي تكمن في الآليات وليس في الأهداف.
ومن الصعب إغواء الشعوب المتماسكة ذات
الرؤية القومية أو الدينية الواضحة، ولذا لا بد من
تسييل العالم والهجوم على الحدود المتعينة، حدود
الذات (الوعي القومي- المذاكرة القومية- الرؤى
القومية) وحدود الموضوع (السوق القومية-
الدولة القومية- والمصالح القومية المشتركة).
والنسبية الكاملة والقصص الصغرى وتناثر المعنى
والنص المفتوح وما شابه ذلك من مصطلحات
ومفاهيم هي خير آلية لتحقيق هذا"⁵³⁸
ويضيف أيضاً:

"يقول دعاة النظام العالمي الجديد إن ما يدعو
إليه النظام هو شكل من أشكال تبسيط العلاقات

⁵³⁸ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء
الرابع: العلمانية الشاملة- الباب السابع: الثنائية الصلبة والسيولة الشاملة وما بعد
الحداثة- السيولة الشاملة- (عصر ما بعد الحداثة)- ما بعد الحداثة ج: 1 ص: 178.

وتجاوز العُقد التاريخية والنفسية والنظر للعالم باعتباره وحدة متجانسة واحدة. والنظام العالمي الجديد، حسب رؤيتهم، هو نظام رشيد يضم العالم بأسره، فلم يَعد هناك انفصال أو انقطاع بين المصلحة الوطنية والمصالح الدولية وبين الداخل والخارج. وهو يحاول أن يضمن الاستقرار والعدل للجميع (بما في ذلك المجتمعات الصغيرة)، ويضمن حقوق الإنسان للأفراد، وهو سينجز ذلك من خلال مؤسسات دولية (رشيدة) مثل هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها الدولية والبنك الدولي وقوات الطوارئ الدولية. وبإمكان كل الدول أن تستفيد من الخبرة الدولية في إدارة شئون الداخل وتكييفه مع النظام العالمي الجديد، وسيتم كل هذا في إطار ما يُقال له "الشرعية الدولية" التي تستند إلى هذه الرؤية، وإلى المقدرة على تحويلها إلى إجراءات، تماماً كما حدث في حرب الخليج حينما تم صد العدوان العراقي على الكويت. والنظام العالمي الجديد لا يخلو من التناقضات، ولكنها تناقضات (حسب رأيهم) يمكن حسمها دون حاجة إلى الصراعات العسكرية إذ أن ثمة إجراءات رشيدة يمكن من خلالها حل كل التناقضات. وهو نظام يدعو إلى تطبيق المُثل الديموقراطية حيث يخضع كل شيء لما يُسمّى "أخلاقيات الإجراءات"، أي الاتفاق على قوانين اللعبة وإجراءاتها دون الانشغال بالماهية أو بالأهداف. وعلى كل يرى دعاة النظام العالمي الجديد أن اللواء قد انعقد أخيراً لأخلاقيات الديموقراطية الليبرالية، بتأكيد على دور المؤسسات وحقوق الإنسان وسيادة القانون

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية
داخل الدول وفي النظام العالمي ككل.

.....
وهكذا تغيّر النظام الإمبريالي القديم، المبني
على توازن القوى والرعب الذي يصدر عن
المنظومة الدارونية، أصبح دون مقدمات نظاماً
عادلاً يدعو إلى الديمقراطية (رغم أنه كان يدك
القرى في فيتنام منذ عدة سنوات، ولا يزال ينظر
للجرافات الإسرائيلية بإعجاب شديد).

.....
ويرى المدافعون عن هذا النظام أن الخطر
الذي يتهدد الأمن لا يأتي من الخارج وإنما من
الداخل، من قوى تقف ضد الديمقراطية وضد
تأسيس المجتمع على أسس اقتصادية وعلى
أسس التكيف مع النظام العالمي. هذه القوى هي
التي تجر الداخل القومي إلى صراع مع الخارج
الدولي بدعوى الدفاع عن الكرامة أو الاستقلالية
أو الشخصية القومية أو الرغبة في التنمية
المستقلة. وهي تكلف الداخل ثمناً فادحاً. ومن
المنطقي أن يتصوّر المبشرون بهذا النظام أن
القيادة فيه لا بد أن تكون للقوة الاقتصادية
العظمى، أي للمجتمع الصناعي الغربي وعلى
رأسه الولايات المتحدة الأمريكية.

هذا الكلام البسيط الجميل لا بد أن تكون وراءه
رؤية معرفية كاملة، فهذه هي طبيعة الخطاب
الإنساني. وهنا قد يتعلل دعاة النظام العالمي
الحديد بأنهم "عصريون نسييون" لا يميلون إلى
إطلاق التعميمات، ولا يؤمنون بأية قيم ثابتة أو
مطلقات، ولا يتوجهون إلى الأسئلة المعرفية
الكلية ولا يعترفون بوجود كليات، فكيف يمكن أن

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

تُحدّد أبعاده المعرفية النهائية إذن؟. وقد يقولون:
"إننا دخلنا عصر ما بعد الأيديولوجيا وما بعد
الحدثة وما بعد التاريخ بل ما بعد الإنسان؛ عصر
الما بعديات السائلة التي تحل محل الما قبليات
الجامدة المطلقة، فثمة سيولة فكرية في الفكر
الحديث تتناقض بطبيعتها مع فكرة النسق الفكري
المتكامل والقيم الكلية".

ونرى أن ثمة منظومة معرفية قيمة متكاملة
كامنة وراء هذا النظام الشامل السائل، شأنه في
هذا شأن أي نظام آخر، منظومة تتجاوز ادعاءاته
وديباجاته واعتذارياته. بل قد تكون حالة السبولة
هذه وادعاء أن الدال ليس له علاقة قوية بأية
مدلولات أو كليات هي أيديولوجيا هذا النظام، أي
من الممكن أن يكون إنكار كل القيم هو قيمته
الكبرى والنهائية، وتأكيد النسبية المعرفية
والأخلاقية هي قيمته المعرفية والأخلاقية الكبرى
والنهائية، وتأكيد أن العالم في حركة دائمة هو
قانونه الثابت.

وقد أعلن الإنسان الغربي في عصر نهضته أنه هو
الأنما المقدّسة وأن العالم قد انقسم ببساطة إلى
الأنما والآخر، والقوي والضعيف، الغازي والمغزو،
المسلح والأعزل، الغرب وبقية العالم (بالإنجليزية:
ذا وست أند ذا رست the west and the rest).
في هذا الإطار المعرفي وُلد ما يُسمّى "النظام
العالمي"، فالعالم لم يعرف نظاماً دولية أو عالمية
إلا بعد الثورة الصناعية وظهور التشكيل
الإمبريالي الغربي بشقيه الاستعماري الاستيطاني
والاستعماري العسكري. فقبل ذلك التاريخ، كان

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

من الممكن أن تنشأ إمبراطورية في الصين
وأخرى في الهند ثم تختفي دون أن تترك أثراً
يذكر على سكان أوروبا.

.....
أما في عصر النهضة الغربية، فقد بدأ الإنسان
الغربي يتسلل تدريجياً إلى أرجاء المعمورة
ويستولي عليها، وبدأ يؤسس جيوباً استيطانية في
بعض الأماكن. وقد استمرت هذه العملية إلى أن
تحوّل العالم بأسره إلى ساحة لنشاطه، خاضعة
لهيمنته، تتبع قوانينه. ولذا، يمكن القول بقدر كبير
من اليقين أن النظام العالمي الجديد يضرب
بجذوره في التشكيل الإمبريالي الغربي، وأن
معالمه بدأت تتحدّد مع منتصف القرن التاسع
عشر حينما بدأ هذا التشكيل يعي ذاته كحركة
مسرحها العالم بأسره، وحينما أدرك ضرورة أن
يقسم العالم وأن يتحوّل إلى مادة استعمالية:
مصدر للموارد الطبيعية- مصدر للطاقة العضلية
الرخيصة- سوق تباع فيه السلع- حيز يمكن أن
تصدّر له المشاكل الاجتماعية والاقتصادية
والسكانية الخاصة بأوروبا. هذا يعني أن النظام
الإمبريالي نظام عالمي (بمعنى أن مسرحه
العالم) ولكنه نظام مغلق تم إغلاقه حتى يتسنى
لصاحب النظام ومؤسسه أن يعظم من استغلاله
للعالم باعتباره مادة واحدة. وتظهر العالمية
المنغلقة لهذا النظام في المواجهة التي تمت مع
محمد علي، أول من حاول تحديه حين حاول أن
يدخل مصر والعالم العربي إلى العصر الحديث
حسب شروطه، مع الاحتفاظ بمنظومة معرفية
وقيمية مستقلة. بل حاول أن يبعث العافية في

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

أوصال رجل أوروبا المريض أو الرجل العثماني المسلم الذي كانت أوروبا تراقب مرضه باهتمام شديد حتى يمكنها تقطيع أوصاله واقتسامه ضمن ما اقتسمت في العالم. وبالفعل، صُرب محمد علي وبشراسة من قبل أعدائه وأصدقائه الغربيين وتم تقطيع أوصال الدولة العثمانية (وهي عملية لا تزال مستمرة في البوسنة والهرسك وكوسوفو)، وتم اقتسام العالم مع الحرب العالمية الأولى، وتحقق النظام المغلق وأصبح واقعاً عالمياً في عصرنا الحديث.

ومنذ أن قام هذا النظام العالمي باقتسام العالم، بدأ يصول ويجول، وبدلاً من أن ينشر الاستتارة والعدل، انغمس في عمليات إبادة منهجية رشيدة لم يعرفها تاريخ البشر من قبل (إبادة سكان الأمريكتين)، وفي عمليات ترانسفير (نقل السود من أفريقيا إلى الأمريكتين، ونقل العناصر البشرية غير المرغوب فيها مثل المجرمين واليهود والفائض البشري والثوريين والفاستين اجتماعياً إلى جيوب استيطانية). وقد خاض هذا النظام العالمي في الصين، حرب الأفيون الأولى ثم حرب الأفيون الثانية حتى يحقق أرباحاً اقتصادية ضخمة. وقام بنهب ثروات الشعوب بشكل منظم لم يعرف له التاريخ مثيلاً. ومع ظهور حركات التحرر الوطني في المستعمرات، ابتداءً من الأربعينيات، قام النظام الإمبريالي العالمي بضربها بعنف شديد، ثم حاول في الخمسينيات الالتفاف حولها بأن منح المستعمرات استقلالاً اسمياً وأسس نظاماً سياسية عملية مستعدة لأن تعطيه امتيازات يفوق

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

عائدها ما كان يحصل عليه من الاستعمار
العسكري المباشر.

.....
قام هذا النظام الإمبريالي العالمي بغرس كل
أنواع الاستعمار فى عالمنا العربي (الاستعمار
العسكري فى مصر والسودان وليبيا والمغرب
وتونس والصومال والعراق وجيبوتي وسوريا
ولبنان وإريتريا- الاستعمار الاستيطاني فى
الجزائر- الاستعمار الاستيطاني الإحلالي فى
فلسطين)، وقام بنهب هذه المنطقة إما مباشرة
إبان فترة الاستعمار العسكري المباشر أو من
خلال التحكم فى أسعار المواد الخام (وخصوصاً
البنترول) وعن طريق بيع أسلحة ببلابين الدولارات
لنظم يضمن هو بقاءها فى الحكم ويعلم جيداً أنها
غير قادرة على استخدام هذا السلاح، كما أثبتت
الخبرة التاريخية (التي يريدنا أن ننساها).

وتتضح هوية هذا النظام العالمي الإمبريالي
المغلق فى ظهور الفلسفات العنصرية والداروينية
والنيتشوية التي تقسم العالم وبحدة إلى الأنا
والآخر، وتجعل الذات القومية هي المعيار الوحيد
للحكم، وتجعل الغرب هو المركز، وتجعل الإنسان
الأبيض هو صاحب المشروع الحضاري الوحيد
الجدير بالاحترام والبقاء.

.....
وفي هذا الإطار، ظهرت الفاشية والنازية ثم
الصهيونية- وهي دعوة لحل مشاكل أوروبا
(المسألة اليهودية) عن طريق تصديرها للشرق.
فحينما كان هرتزل يتحدث عن إنشاء دولة يهودية
يضمونها "القانون الدولي العام" فإنه كان يعنى

"القانون الغربي الاستعماري" الذي يتحكم في العالم ويقسمه حسب رؤيته ومشيئته. ثم صدر وعد بلفور في هذا الإطار، إذ أعطت بريطانيا الحق لنفسها في أن تمنح أرض فلسطين للفئات البشرية اليهودي في الغرب وأن تنقل من فلسطين سكانها الأصليين (تمت الإشارة إليهم باعتبارهم العناصر "غير اليهودية"، أي "غير الغربية"، ومن ثم فهم يقعون خارج نطاق الحقوق والمسئوليات). ثم قام النظام العالمي من خلال عصبة الأمم بوضع فلسطين تحت الانتداب لضمان تنفيذ هذا المشروع الاستيطاني الإحلالي، ثم قام النظام العالمي مرة أخرى من خلال هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين ومنح الوجود الصهيوني شرعية مستمدة من شرعيته الدولية هذه. ثم استمر النظام العالمي، متمثلاً في شقيه الرأسمالي والاشتراكي، بالاعتراف بالدولة الصهيونية ودعمها إما بشرياً (عن طريق نقل المادة البشرية من شرق أوروبا) أو مالياً وعسكرياً (عن طريق الدعم المالي والعسكري من غرب أوروبا والولايات المتحدة) وهو دعم ظل يتزايد في حجمه ونوعه يوماً بعد يوم حتى وصل إلى التحالف الإستراتيجي المعلن بين إسرائيل والولايات المتحدة، مؤكداً بذلك أن الغرب صاحب النظام العالمي هو المهيمن على العالم، وأن العالم هو المسرح، وأن الجنس البشري هو المادة التي وظفها لصالحه.

هذه رؤية ثنائية حادة تنكر تاريخ الآخر وإنسانيته ولا تقبله إلا كمادة استعمالية.

.....

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

ولكن النظام الإمبريالي، شأنه شأن أي نظام حلولي كموني مادي، ينتقل من الصلابة إلى السيولة. وفي هذا الإطار لا يمكن أن تظهر أنا مقدّسة أو غير مقدّسة، فكل شيء نسبي لا يعرف الثنائية أو التجاوز.

وقد تبدت المرحلة السائلة في تحولات النظام العالمي القديم إذ حدثت تطورات تاريخية عميقة لا تشكل لحظة إفاقة أخلاقية تاريخية (وكيف يمكن أن تتوقع هذا من حضارة مؤسسة على أساس القانون الطبيعي والفلسفة النيتشوية والداروينية؟) وإنما تشكل لحظة إدراك ذكية من جانب الغرب لموازن القوى.

ونحن نلخص أسباب ظهور النظام العالمي الجديد فيما يلي:

- 1 - أدرك الغرب عمق أزمته العسكرية والثقافية والاقتصادية، وأحس بالتفكك الداخلي وبعجزه عن فرض سياساته بالقوة.
- 2 - أدرك الغرب استحالة المواجهة العسكرية والثقافية والاقتصادية مع دول العالم الثالث التي أصبحت جماهيرها أكثر صحواً ونُخبها أكثر حركية وصقلاً وفهماً لقواعد اللعبة الدولية.
- 3 - أدرك الغرب أنه على الرغم من هذه الصحوة، فإن ثمة عوامل تفكك بدأت تظهر في دول العالم الثالث، حيث ظهرت نخب محلية مستوعبة تماماً في المنظومة القيمية والمعرفية والاستهلاكية الغربية يمكنه أن يتعاون معها ويجندها، وهي نُخب يمكن أن تحقق له من خلال السلام والاستسلام ما فشل في تحقيقه من خلال الغزو العسكري.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

لكل هذا قَرَّر الغرب أن يلجأ للالتفاف بدلاً من
المواجهة، وبذا يستطيع حل إشكالية عجزه عن
المواجهة ويتخلى عن مركزيته الواضحة وهيمنته
المعلنة ليحل محلها هيمنة بنوية تعطيها دباحات
العدل والسلام والديموقراطية التي ينقلها البعض
ببغائية مذهلة.

.....
كل هذا أَدَّى إلى أن يتبَّنى الغرب إستراتيجية
جديدة: الاستعمار العالمي الجديد الذي يلجأ
للإغواء بدلاً من القمع. فالآلية الأساسية للقسر،
أي سحق إرادة الشعوب، أصبحت مكلفة للغاية إن
لم تكن مستحيلة تماماً.

.....
فالنظام العالمي الجديد، كما أسلفنا، هو امتداد
للنظام العالمي القديم، ومن ثم فهو تعبير جديد
عن الرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية التي
تذهب إلى أن العالم مادة والإنسان أيضاً مادة لا
يختلف عن بقية العالم، وهذه المادة مادة
استعمالية بالدرجة الأولى.

.....
وقد كانت المنظومة القيمية الغربية تسري
على كل البشر، فالجميع مادة استعمالية. ومع
هذا، فإن هناك ثنائية الأنا والآخر الصلبة

.....
ولذا، عبَّرت هذه الرؤية عن نفسها في النظام
الدولي القديم على هيئة خطاب عنصري يؤكد
على التفاوت بين الأجناس كما يؤكد رسالة الرجل
الأبيض. ولكن، نظراً للأسباب التي أدرجناها فيما
سبق، بدأت منظومة التفاوت في التراجع وظهر
بدلاً منها منظومة واحدة مادية سائلة تساوي بين

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

الناس وتسوي بينهم، وأصبح كل البشر مادة
متساوية (معرفياً على الأقل) وظهرت الاستهلاكية
العالمية بديلاً عن الرأسمالية الرشيطة
والاشتراكية العلمية.

وانطلاقاً من ثنائية الأنا والآخر العنصرية الصلبة،
كان النظام الإمبريالي القديم يحاول أن يوقف
عمليات التحديث في أي مكان في العالم حتى
يصبح العالم الغربي متقدماً، منتجاً ومستهلكاً،
ويصبح العالم الثالث متخلفاً بدائياً مصدراً للمواد
الخام والعمالة الرخيصة ومستهلكاً ضعيفاً لبعض
بضائع أوروبا. أما النظام الإمبريالي الجديد في
عصر السيولة (في عصر الاستهلاكية العالمية)،
فيرى أنه من الضروري ترشيد العالم بأسره
وتحويله كله إلى حالة المصنع والسوبر ماركت،
ولذا لا بد أن تتقدم شعوب الأرض بالقدر الكافي
لتصبح شبه منتجة شبه مستهلكة. فالبدو في
صحراء نجد والهندي الأحمر في براري أمريكا
والقروي في الصعيد يشكلون عائقاً يقف أمام
النظام الإمبريالي الجديد (الاستهلاكية العالمية)،
فهم ليسوا في حاجة إلى الهامبورجر أو السيارة
أو الفيديو، ومن ثم لا يمكن تجويعهم أو حرمانهم
أو الضغط عليهم، وبالتالي فهم يشكلون ثغرة في
نظام يشبه الآلة لا يتحمل ثغرات، ويجب أن تكون
أجزاؤه جزءاً من الكل الآلي. فمثل هؤلاء الفقراء
مستقلون قادرين على الحفاظ على أبنيتهم
الثقافية وقيمهم المطلقة وعلى اتزانهم مع الذات
ومع الطبيعة، وهذا أمر يهدد النظام العالمي. ولذا،
لا بد أن "تتقدم" الجميع، حتى يدخل الجميع النظام
العالمي، ويتم هذا من خلال بيع الأحلام الوردية

عن الرخاء الاقتصادي وتعظيم اللذة (أو الوعد باللذة) والتصعيد المستمر للرغبات الاستهلاكية والجنسية. وهو تصعيد يتم من خلال البث التليفزيوني ووسائل إعلام الداخل والخارج. ولكن يجب أن يتم التقدم، تحت مظلة البنك الدولي وصندوق النقد، داخل إطار النظام العالمي الجديد الذي تحكمه بنية التفاوت والمنظومة القيمية الاستهلاكية. ومن ثم يجب الأسْمَح بإدخال التنمية المستقلة، لأنها تحدث ثغرة في النظام الدولي أيضاً، فقد توقف توسع الشركات متعددة الجنسيات، وقد تعوق التنمية تحت مظلة البنك الدولي. وأما التنمية في إطار النظام العالمي الجديد، فإنها ستضمن أن تكون شعوب العالم الثالث نصف منتحة ونصف مستهلكة حتى يستمر اعتمادها المذل على الغرب. ولا شك في أن عمليات تصعيد التوقعات الاستهلاكية، وعملية التسخين (الاستهلاكية الجنسية) التي تتعرض لها شعوب العالم الثالث، ستجعل من المستحيل تحقيق أي تراكم رأسمالي وستبدد الطاقة الثورية أولاً بأول وتختفي الرغبة في السمو وفي الجهاد.

.....
وهكذا تغيّر النظام الإمبريالي القديم، المبني على توازن القوى والرعب الذي يصدر عن المنظومة الداروينية، وأصبح دون مقدمات نظاماً عادلاً يدعو إلى الديمقراطية ولكنه يدعو لأشياء أخرى كذلك مثل السوق الشرق أوسطية التي تنكر تاريخ المنطقة تماماً، ويتحدث عن الشعوب العربية وعن المنطقة. كل هذا يجعلنا ندرك تماماً أن دعوة النظام العالمي الاستهلاكي الجديد للديموقراطية لا تهدف إلى تمكين الجماهير من

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

التحكم في مصيرها، وإنما هي أدواته في فتح الحدود وإضعاف الدول القومية المركزية الصغيرة حتى تتسنى له ترشيده البشر وإزالة أية عوائق إنسانية أو أخلاقية، وحتى تصح كل الأمور متساوية ونسبية ويسود تساو معرفي كامل هو في واقع الأمر عملية تسوية، وتُمحى كل الثنائيات، فالأجساد مادة والعقول آليات والعالم عقارات والأوطان فنادق.

.....
لكن رغم كل هذا الحديث العذب عن الديمقراطية والمساواة والسيولة يكتب الغرب صلابة خاصة من ثقته من أنه الممثل الحقيقي لحالة الطبيعة، وأن طريقه (الغربي- الحديث- العلماني- الطبيعي/المادي) هو الطريق الصحيح، بل الوحيد، أي أنه بعد أن يؤكد غياب المرجعيات بشكل علني ويقوم بتسليط العالم، يتحرك في إطار مرجعته الخفية الصلبة التي تمنحه مركزية في العالم. ولذا، فهو يقوم بفتح حدود الآخرين وتدعيم حدوده هو ويقوم بفك مدافع الآخرين (كما فعل مع محمد علي) وينصب مدافعه هو، فالمدفع هو مركز العالم الذي لا مركز له، هو الصلابة في عالم السيولة، وهو الركيزة في عالم لا ركائز له؛ مدفع يحمل إنسان أوروبا الطبيعي والاقتصادي (المادي)، إنسان هوبز وداروين ونيتشه. هو مدفع ضخم صلب لا ريب فيه، ولكنه مع هذا يظل مختبئاً وراء آليات الإغواء وخطاب السيولة والنسبية والتعددية"⁵³⁹.

⁵³⁹ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الرابع: العلمانية الشاملة- الباب الثامن: العلمانية الشاملة والإمبريالية- النظام العالمي الجديد ج: ص: 188 إلى 194.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

وهذا الإغواء وخطاب السيولة والنسبية والتعددية يدفع بالعلمانيين المفلسين في اتجاه مغازلة إسرائيل، وهو توجه مقصود ترعاه السفارات الأمريكية، وقد لاقى ترحيباً من العديد من العلمانيين القوميين والاشتراكيين بعد أن أفلست مشاريعهم القومية والاشتراكية، وهذا هو التوجه العقائدي لعصر ما بعد الحداثة في العالم العربي والإسلامي، وعنه يقول الدكتور المسيري رحمه الله:

"ولابد من إعادة صياغة النخبة الثقافية والسياسية وإعادة تعليمها، وستأخذ هذه العملية شكل الترغيب والترهيب. أما الترغيب، فهو يأخذ شكل دعم ورشاوى ومراكز بحوث وصفقات وبرامج ثقافية تزيد معدلات الأمركة والعلمنة في المجتمع والتلويح للنخب السياسية والثقافية بأنها ستشارك بشكل مباشر في هذا التعاون الدولي وستجني ثمراته بشكل شخصي. أما الترهب فهو تخويف الجميع من خطر الإرهاب الإسلامي. وقد نجح النظام العالمي الجديد في هذا المجال، فكثير من المثقفين القوميين والاشتراكيين العلمانيين، ممن وجدوا أنفسهم بلا أرضية ولا قضية، بعد حرب الخليج وبعد تراجع المنظومة القومية وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي وتساقط المنظومة الاشتراكية، يبحثون عن مبرر وجيه وموضوعي للتوجه للسفارة الأمريكية والسير في ركاب المنظمات الدولية (التي تدفع رواتب هي أقرب إلى الرشاوى منها إلى الأجور). وقد وجدوا مثل هذا المبرر أخيراً في الادعاء بالخوف على الداخل الديموقراطي من الداخل الإرهابي، ومن ثم فليستعينوا بالخارج الدولي، هذا الذي ساند كل الدول الإرهابية عبر تاريخه ولا يزال يساند طواغيت الأرض الذين ينهبون شعوبهم أثناء

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

عمليات النهب ثم يحميهم بعدها، فهذا الخارج قد أصبح فحاة نصير الديمقراطية والمدافع عن العدالة. وبدأت تظهر بينهم آلهة محلية مثل "حوريس" جزء من الماضي المتحفي (نسبة إلى متحف)، لتحل محل الماضي العربي الإسلامي الحي، وحتى تتصارع الآلهة المحلية الوثنية (هذا، إذا تم بعث آشور، واللات والعزى)، كما كان الحال في الشرق الأدنى القديم قبل الفتح الإسلامي، وهذه هي تماماً الرؤية الصهيونية للمنطقة في عصر ما بعد الحداثة.

هذا هو الإطار المعرفي العام لحركة النظام العالمي الجديد وصهيونية عصر ما بعد الحداثة في الشرق العربي والإسلامي: إنسان اقتصادي مادي لا ذاكرة له- ينسى التاريخ والهوية- مرن- قادر على التفاهم مع الجميع حسبما تمليه عليه الحسابات الاقتصادية الرشيدة. وهو شرق عربي مرن، إجرائي، قادر على الدخول في علاقة طبيعية مع إسرائيل وعلاقة حميمة مع الغرب"⁵⁴⁰.

وهذا الإغواء-المختبئ وراء مصطلحات الديمقراطية والليبرالية والتعددية والاعتراف بالآخر وحوار الأديان- لا يتصدى له إلا الإسلام، الذي يرى الإنسان خليفة لله في الأرض ليعمرها وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وليستعلي بإيمانه فوق قيم المنفعة واللذة. هذا الإسلام القادر بعقيدته وتوحيده أن يتصدى لإسرائيل التي تمثل علمانية الغرب، وعن هذا التصدي الإسلامي للنظام العالمي الجديد يقول الدكتور المسيري رحمه الله:

⁵⁴⁰ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- الجزء الخامس: أزمة الصهيونية والمسألة الإسرائيلية- الباب الثالث: المسألة الإسرائيلية والحلول الصهيونية- ما بعد الصهيونية (صهيونية عصر ما بعد الحداثة والنظام العالمي الجديد) ج: 7 ص: 271.

"ومن هذا المنظور، فإن العدو الأول للنظام العالمي ليس القومية العربية (الآخذة في التراجع، وخصوصاً بعد سقوط الدول الاشتراكية وبعد حرب الخليج) وإنما هو كل من يقف ضد الاستهلاكية العالمية، أي الإسلام كأيدولوجيا إنسانية عالمية وكمنظومة قيمية. فمن المنظور الإسلامي، نحن لم نأت إلى هذا العالم كي نبيع أو نشترى وإنما لنا أمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وقيم الأمانة والكرامة لها ثقل في عقل هذا الإنسان المسلم، فالإسلام رؤية تجعل من العسير على الإنسان أن يرد نفسه إلى النشاطين الأساسيين: أي النشاط الاقتصادي والنشاط الجنسي، ثم يردهما كليهما إلى الطبيعة/المادة، فالإنسان المسلم ليس الإنسان الطبيعي (ذي البعد الواحد) وإنما هو الإنسان المركب الذي استخلفه الله في الطبيعة كي يعمرها ويسخرها لنفسه وللأجيال القادمة بإذنه تعالى. وفي مواجهة هذه الأيدولوجية الإيمانية، تستعيد إسرائيل دورها التاريخي الذي كادت تفقده، وبدلاً من أن تكون مجرد قاعدة للاستعمار الغربي الرأسمالي، فإنها تصبح ممثلة للحضارة الغربية (الحدثة العلمانية) بشقيها الرأسمالي الحالي والاشتراكي السابق، حائطاً ضخماً يمثل الغرب في الشرق ويقف ضد الهمجية الشرقية، على حد قول هرتزل. فهناك الآن الجمهوريات السوفيتية الإسلامية السابقة التي أصبحت لها دينامية مستقلة نوعاً و"تهددها" الأصولية الإسلامية، وهناك كذلك بعض النظم

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرياً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

العربية التي ترى أن عدوها الأساسي هو هذه الأصولية الإسلامية⁵⁴¹

إن الإسلام اليوم لا يتصدى للعقيدة الغربية العلمانية
الفاسدة المدمرة للإنسان بمواجهة عقائدية فقط، ولكنه
اليوم هو المتحدي الأكبر للخطرسة الاستكبارية العالمية في
ميدان الجهاد والقتال، وهو الذي ينزل بالغرب العلماني ذي
الحقد الصليبي وبنظامه العالمي الجديد أفدح الخسائر
البشرية والعسكرية والاقتصادية بعون الله وقوته، وهو الذي
يحشد الغرب اليوم قواه ليواجهه في حرب صليبية معاصرة
باسم الحرب على الإرهاب، سيلاقى فيها الغرب ما لاقاه في
الحروب الصليبية السابقة بإذن الله، وصدق الحق تبارك

وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ
حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ {36}
لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ
فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {37}
قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا
فَقَدْ مَصَّنَّ سُنْبُ الْأَوَّلِينَ {38} وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ
وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ لَنتَهُوَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْملُونَ بصيرٌ }
{39} وَإِنْ تَوَلَّوْا فاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ
التَّصِيرُ.﴾

5- ما هي الحرية والعلمانية التي يريدتها الغرب منا؟
والآن بعد أن أشرت باختصار لأن العلمانية -التي يدعونا لها
دعاة الحملة الفكرية للحملة الصليبية- لم ولا تنفك عن
الاستكبار العالمي، وبعد أن أشرت باختصار أيضاً لأن النظام
العالمي الجديد -الذي يدعونا له أولئك الدعاة- ما هو إلا

⁵⁴¹ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- الجزء الخامس: أزمة الصهيونية والمسألة
الإسرائيلية- الباب الثالث: المسألة الإسرائيلية والحلول الصهيونية- ما بعد الصهيونية
(صهيونية عصر ما بعد الحداثة والنظام العالمي الجديد) ج: 7 ص: 272.

الجزء الأول: الثقافة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/
المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات

امتداد للنظام القديم، يتبني نظرية عبث ما بعد الحداثة، بعد أن بينت ذلك أود الآن أن أشير لما هي تلك العلمانية التي يدعون لها أولئك الدعاة؟ هل هي مطلق العلمانية على ما فيها من بلاء؟ أم أنها نوع خاص من العلمانية يخدم مصالحهم؟ التي هي مقصدهم الأساسي من كل ذلك الضجيج والخلط الفكريين، والتي هي أساساً السيطرة على بلادنا ونهب ثرواتنا، وتغيير عقيدتنا، التي تهدد باطلهم⁵⁴².
إن المتأمل في كتابات دعاة الحملة الصليبية الفكرية يجدهم يصرحون بلا مواربة؛ أن التغيير العلماني الذي يدعون إليه ليس هو مجرد إعطاء الحرية المزعومة للمجتمعات العربية والإسلامية، ولكن التغيير العلماني -في نظرهم- هو إعطاء تلك المجتمعات الحرية في الخضوع لأمريكا وتحقيق مصالحها. أما إذا كانت هذه العلمانية ستعني معاداة أمريكا أو التمرد عليها أو تعطيل مصالحها فهي توجه يجب محاربهه والتصدي له.

ولذلك حذرت تشيرل بينارد من العلمانيين والحداثيين لأن كثيراً منهم له توجهات يسارية. فتؤكد على أن العلمانيين أحياناً يكونون غير مقبولين بسبب ميولهم العقائدية الأوسع⁵⁴³، وتقصد بها معاداة بعضهم لأمريكا. ولذلك تنصح بدعم العلمانيين بانتقائية، وتدعو لتثييط التحالف العلماني مع القوى المعادية للولايات المتحدة على أسس مثل القومية والعقيدة اليسارية⁵⁴⁴.

⁵⁴² راجع هنا ما نقلته عن الدكتور النفيسي في: الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/ المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الثالث: آثار الغزوات المباركات. عن أن هدف أمريكا بعد الحادي عشر من سبتمبر هو تحقيق أمرين: 1- أكبر درجة من علمنة النظم السياسية، التي تقودها نخبة منفصلة عن أمتها تتجاهل الثالوث الخطير الذي تعاني منه الأمة (الطغيان السياسي وسوء توزيع الثروة والتحلل الاجتماعي). 2- عولمة القمع، أي الحرب على الإرهاب بكل بشاعتها وقذارتها.

⁵⁴³ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: x.

⁵⁴⁴ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: xii & 64.

الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكرباً/ المبحث الخامس:
التنبه للجانب السياسي لحرب الصليبيين الفكرية

وتذكر أنه رغم أن العلمانيين من المفترض أن يكونوا أقرب الحلفاء للغرب في العالم الإسلامي، لأن الغرب قد أسس على أساس علماني، ولكن كانت المشكلة ولا زالت أن كثيراً من العلمانيين المشهورين في العالم الإسلامي ليسوا متعاطفين - وأحياناً معادين - لهم (أي الأمريكان) على أساس أخرى غير العلمانية. وأن العقائد اليسارية ومعاداة أمريكا والقومية المغالية والأشكال الاستبدادية ذات المسحات الديمقراطية لا زالت بعض مظاهر (العلمانية الإسلامية!!) حتى اليوم⁵⁴⁵. ولذلك ترى وجوب دعم العلمانيين دعماً يبنني على أساس كل حالة على حدة⁵⁴⁶.

وفي الوقت الذي تعتبر تشيرل بينارد - وأشباهها من كتاب حملة الصليب الفكرية - من يدعو لتطبيق الشريعة متشدداً - كما ذكرت سابقاً - فإنها تشيد بالعلمانية التركية، التي فرضت على الأتراك بالقهر والعسف، وتعتبر أن تركيا - التي تعتبرها من أنجح الدول في العالم الإسلامي - بلغت ما بلغته من تقدم عبر العلمانية الشرسة، وأن من مظاهر تميزها أنها قد حولت نفسها في وقت قصير من الدولة العثمانية للدولة العلمانية⁵⁴⁷.

⁵⁴⁵ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 25.

⁵⁴⁶ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 47.

⁵⁴⁷ CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, p: 5

الفصل الرابع: الغزوات المباركتان/ المطلب الرابع: الرواية الأمريكية الرسمية عن الغزوات

المطلب الرابع:

الرواية الأمريكية الرسمية عن
الغزوات المباركات

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ
بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ
فَتُضْحِكُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ

أصدر الكونجرس الأمريكي تقريره الشهير عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والذي يعد الرواية الأمريكية الرسمية عما حدث في ذلك اليوم. وقد لاحظت أن هذه الرواية حوت كثيراً من المغالطات والأكاذيب، وسأشير في هذا المطلب -بعون الله- إلى بعضها باختصار.

- 1- الأصرار على خداع شعبهم في وصف الغزوات.
- 2- تشويه عقيدة القاعدة.
- 3- الخداع حول أهداف القاعدة.
- 4- استخدام الكذب والدعاية الدنيئة للوقية بين المجاهدين.
- 5- القاعدة والعراق.
- 6- القاعدة وإيران وحزب الله.
- 7- تسعة من المنفذين جاءوا من مناطق فقيرة في السعودية.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان

8- أقوال المعتقلين كمصدر، وتواطؤ التقرير عن الجرائم
التي ارتكبت بحق المعتقلين.

9- ما لم يتحدث عنه التقرير.

1- الأصرار على خداع شعبيهم في وصف الغزوات.
يصر الأمريكان والغرب من ورائهم على تصوير الغزوتين
على أنهما مأساة حلت بأمريكا يجب عقاب مجرميها الذين لا
يمكن أن يبرروا ما اقترفوا. جاء في التقرير:

"لقد كان 11 سبتمبر 2001 يوماً من الصدمة
والمعاناة غير المسبوقتين في تاريخ الولايات
المتحدة. كانت الأمة غير مهيئة. كيف حدث هذا؟
وكيف يمكن أن نتجت مثل هذه المأساة
مجدداً؟"⁵⁴⁸

ويصرون على إخفاء الوصف الحقيقي للغزوات وهي أنها
جزء من القصاص العادل، الذي يستحقونه بسبب جرائمهم
المتكاثرة المستمرة ضد المسلمين.

كان عليهم -إن كانوا أمناء مع أنفسهم- أن يعرضوا وجهة
نظر عدوهم، بدلاً من إشارات عابرة لا تغني شيئاً، وخاصة أن
عدوهم ليس أبكماً، ولكنه أعلن ويعلن مراراً وتكراراً عن
وجهة نظره، قبل وبعد الغزوات.
ولكنه الإصرار على التعمية على الحقيقة، والغطرسة في
عدم الإقرار بالخطأ.

2- تشويه عقيدة القاعدة.

ذكرت من قبل -عند الحديث عن حرب التشويه والكذب-
أن التقرير زعم أن معظم المسلمين يرفضون طائفية بن

⁵⁴⁸ 9/11 COMMISSION REPORT, p: xv.

الفصل الرابع: الغزوتان المباركتان/ المطلب الرابع: الرواية الأمريكية الرسمية عن الغزوات لادن العنيفة، وأن بن لادن وأتباعه يعرفون بين العرب بالتكفيريين⁵⁴⁹.

وهذا التشويه المتعمد في التقرير لعقيدة القاعدة، وزعمه بانصراف المسلمين عنها يتناقض مع ما أقر به التقرير من شعبية أسامة بن لادن والقاعدة في العالم الإسلامي في عدد من مواضعه.

يذكر التقرير في أحد المواضع:

"يتمتع العدو بشعبية واسعة في العالمين العربي والإسلامي عبر مطالبته بالثأر للمظالم السياسية"⁵⁵⁰.

ويذكر في موضع آخر:

"كيف استطاع بن لادن بدعوته لقتل الأمريكان بلا تمييز أن يكسب آلاف الأنصار ودرجة من القبول من ملايين أكثر؟

إن التاريخ والثقافة وبنية العقائد التي شكل منها بن لادن رسالته ونشرها ليست معلومة بدرجة كبيرة للأمريكان. إنه يعد بأن يستعيد العزة للشعوب التي تعتبر نفسها ضحية السادة الأجانب المتعاقبين- عبر تركيزه على رموز المجد الإسلامي الماضي. إنه يستخدم إشارات ثقافية ودينية إلى القرآن الكريم وبعض مفسريه. وهو يروق للشعوب التي تحيرت عندما واجهت تغيرات الحداثة والعولمة الهائلة. إن بلاغته تستند بانتقائية لمصادر متعددة من الإسلام والتاريخ وأمراض المنطقة السياسية والاقتصادية المزمنة. كما أنه

⁵⁴⁹ الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/ المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً / المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب.

⁵⁵⁰ 9/11 COMMISSION REPORT, p: xvi.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان

يؤكد على مظالم الولايات المتحدة التي يتفق عليها الكثيرون في العالم الإسلامي، فهو يندد بوجود قوات الولايات المتحدة في السعودية أرض المقدسات الإسلامية، ويتحدث عن معاناة الشعب العراقي من العقوبات، التي فرضت بعد حرب الخليج، ويعارض تأييد الولايات المتحدة لإسرائيل⁵⁵¹.

ويذكر التقرير في موضع ثالث أن:

"العديد من المتطرفين كان ولا زال لهم أتباعهم الخاصين، أما بن لادن فلا يزال جديراً بنيل إعجاب المجتمعات المليئة بالسخط، بينما تلاشت الرموز الأخرى. ولا زال بن لادن معدوداً رمزاً للمقاومة أساساً ضد الغرب وأمريكا. ويبقى قادراً على أن يقدم نفسه وحلفاءه على أنهم المقاتلون المنتصرون في تجربة القتال الإسلامي الجهادية الأفغانية المظفرة المجيدة ضد الروس. وبحلول عام 1988 كانت له حاذية مميزة لما ركز على مهاجمة أمريكا"⁵⁵².

ويذكر في موضع رابع:

"تجد رسالة بن لادن آذاناً صاغية، لأن العالم الإسلامي قد تخلف عن الغرب سياسياً واقتصادياً وعسكرياً في القرون الثلاثة الأخيرة، ولأن القليل من الديمقراطيات الإسلامية المتسامحة تقدم بدائل عصرية للمستقبل. إن رسالته تجتذب دعماً فعالاً من آلاف الشباب المسلم المعاني، وتتردد بقوة بين عدد أكبر من الذين لا يؤيدون بفاعلية

⁵⁵¹ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 48 & 49.

⁵⁵² 9/11 COMMISSION REPORT, p: 54.

الفصل الرابع: الغزوتان المباركتان/ المطلب الرابع: الرواية الأمريكية الرسمية عن الغزوات

وسائله. إن السخط من أمريكا والغرب عميق، حتى بين زعماء الدول المسلمة الناجحة نسبياً⁵⁵³.

ويذكر التقرير في موضع خامس:

"على الولايات المتحدة أن تقوم بالمزيد لتتواصل برسالتها. وقد تساءل ريتشارد هولبروك وهو يشير لنجاح بن لادن في الوصول للجمهور المسلم: "كيف يمكن لرجل في كهف أن يكون أكثر تواجلاً من مجتمع اتصالات العالم المتقدم؟"⁵⁵⁴.

3- الخداع حول أهداف القاعدة.

يلخص التقرير أهداف القاعدة، وخاصة فيما يتعلق بأمريكا بقوله:

"أما عن السؤال الثاني؛ ماذا يمكن أن تفعل أمريكا؟ فإن إجابة القاعدة هي أن على أمريكا أن تغادر الشرق الأوسط، وتتحول للإسلام، وتنتهي الفسوق والكفر في مجتمعها وثقافتها.

إن بن لادن والإرهابيين الإسلاميين يعنون بالضبط ما يقولونه، فأمریکا بالنسبة لهم هي منبع كل الشرور (رأس الأفعى). ولا بد أن تتحول [للإسلام] أو تباد.

إنه موقف لا يمكن أن تساوم عليه الولايات المتحدة أو تفاوض. ليست هناك أرضية مشتركة -ولا حتى احترام للحياة- يمكن أن يبدأ عليها حوار. إنها فقط إما أن تباد أو تعزل تماماً"⁵⁵⁵.

⁵⁵³ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 362.

⁵⁵⁴ 9/ 11 COMMISSION REPORT, p: 377.

⁵⁵⁵ 9/ 11 COMMISSION REPORT P: 362.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

أنا لن أتحدث عن حجم الكذب والتضليل المتعمد في هذا الكلام، وقد وصفته بالمتعمد، لأن لدى الكونجرس متخصصون وعلماء ومستشرقون درسوا الشريعة الإسلامية، ويتابعون إصدارات القاعدة كلمة بكلمة. إذن فلا يمكن الاعتذار لهم بأنهم سطحيون أو جهلة أو متسرعون، كلا الذي أظنه أنهم متعمدون في نشر هذا الكذب والتضليل.

أقول أنا لن أتحدث عن بطلان هذا الكذب المتعمد، ولكنني أدلف إلى المعاني الخطيرة وراءه، ولكن قبل ذلك أود أن أذكر الصهاينة سواء كانوا يهوداً أو مسيحيين أو غيرهم، من الذين لا أشك في أنهم قد شاركوا في كتابة هذا التقرير وتوجيه أفكاره، أقول لهم لو كان المسلمون يبيدون غيرهم، لأبادوا أسلافكم اليهود لما لجأوا لهم في الأندلس هرباً من محاكم التفتيش المسيحية، ثم كافتهم المسلمين أسوأ مكافأة، وهو أمر لا يستغرب منكم ومن أفكاركم وعقائدكم. ولو كان المسلمون يبيدون غيرهم لأبادوا نصارى الشرق، وعقدوا لهم محاكم التفتيش، كما عقد أسلافكم لأسلافنا.

يقول الشيخ أسامة بن لادن -حفظه الله- في خطابه

للشعب الأمريكي في سبتمبر 2007:

"إن أخلاق ثقافة المحرقة هي ثقافتكم، وليست ثقافتنا، بل إن تحريق الكائنات الحية محرم في ديننا، حتى وإن صغرت كالنمل. فما بالكم بالبشر؟ فمحرقة اليهود قام بها إخوانكم في وسط أوروبا، ولو كانت قريبة من بلادنا لنجا معظم اليهود باللجوء إلينا، ودليلي على ذلك؛ ما فعله إخوانكم الأسبان، عندما أقاموا محاكم التفتيش الرهيبة للمسلمين واليهود، فلم يجد أولئك اليهود ملاذاً آمناً إلا باللجوء إلى بلادنا، ولذلك فإن الجالية اليهودية في المغرب هي من أكبر الجاليات في العالم، وهم أحياء عندنا، ولم

الفصل الرابع: الغزوتان المباركتان/ المطلب الرابع: الرواية الأمريكية الرسمية عن الغزوات

نحرقهم، ولكننا قوم لا ننام على الضيم، نرفض الذل والهوان، ونثار من أهل البغي والعدوان، ولن تذهب دماء المسلمين هدر، وإن غداً قريب لمن انتظر. ثم إن إخوانكم النصارى يعيشون بيننا منذ أربعة عشر قرناً، ففي مصر وحدها ملايين النصارى، لم نحرقهم، ولن نحرقهم".

وأعود لمعنى كلام التقرير عن أهداف القاعدة، فأتساءل ما معنى ذلك الكلام؟ معناه ببساطة أن القاعدة مجموعة من المهاوبس أنصاف المجانين، الذين أعماهم التعصب، ويتعطشون لسفك الدماء، وأنهم قد وضعوا الشعب الأمريكي في وضع لا يمكن المساومة عليه، فإما أن يسلم وإما أن يباد، فماذا يجب على الشعب الأمريكي المظلوم المهتد المضطهد المدافع عن دينه وحرماته؟ إجابة هذا السؤال هي بيت القصيد هنا؛ يجب على الشعب الأمريكي أن يبعد القاعدة، لأنه لا حل معها إلا هذا.

ثم ليتأمل القارئ عبارة " إن بن لادن والإرهابيين الإسلاميين يعنون بالضبط ما يقولونه "، إن العبارة تعني أن بن لادن ليس هو وحده الذي يسعى لإبادة أمريكا، ولكن هناك طائفة أكبر تسمى (الإرهابيون الإسلاميون)، وإذا عرفنا أن أمريكا تسمى كل من يقاومها ويقاوم إسرائيل ومشاريعهما التوسعية الاحتلالية إرهابياً، إذن فالعبارة تحشد الأمريكان لحرب أوسع من بن لادن والقاعدة، حرب ضد كل من تسميهم أمريكا والغرب وإسرائيل إرهابيين إسلاميين. وهؤلاء -بما توجيه العبارة من أنه لا حل معهم بالتفاوض والحوار- يجب أن يبادوا.

إن الأساس الفكري الذي ينطلق منه ما ذكره التقرير هو نفس الأساس الفكري الذي انطلق منه الاستكبار العلماني الغربي وخاصة الإنجلوساكسوني الأمريكي منه، فحينما واجه الإنجلوساكسون المهاجرون الجدد لأمريكا أصحاب

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

الأرض الأصليين من الهنود الحمر، كان الحل مباشرة هو إبادتهم، لأن المهاجرين العلمانيين الإنجلوساكسون (البروتستانت) كانوا يريدون أرض الهنود الحمر وثرواتهم، ولا يمكنهم أن يدمجوا الهنود الحمر في مجتمعهم، لأن لهم ثقافة وأصولاً أخرى، فلا بد من إبادتهم حتى لو اندمجوا في مجتمعهم، لأن المطلوب هو أرضهم وليس تغيير عقيدتهم. وكان لا بد من تقديم المبرر لتلك الإبادة، وذلك بقلب الحقائق، وتصوير المستعمر الأبيض، على أنه رجل مسالم مسكين يزرع الأرض ويعمرها، ويرعى أطفاله وزوجته الأبرياء، وأن الهندي الأحمر المتوحش الهمجي -الذي لا يمكن الحوار معه ولا التفاهم مثل القاعدة والإرهابيين الإسلاميين- قد جاء ليقتل الأبيض المسكين المظلوم وأولاده، ويدمر بيته، ويحرق مزرعته، ولذا لا بد للأبيض المسكين -دفاعاً عن نفسه- أن يبعد الهندي الأحمر. ثم إن رأى من باب الرحمة والشفقة -التي يفيض بها قلب الأبيض المسكين- أن يعزل الهنود في مناطق العزل بعد أن يبعد معظمهم، فلا بأس، وهناك ممكن أن يعلمهم الحضارة بالتدريج، ويدمجهم عبر السنين الطوال في مجتمعهم، كعالة عليه أو خدم أو سائلي إحسانه وإعانتته.

وهو نفس المنطق ونفس الأساس الفكري الذي قام عليه سعي الغرب العلماني الصليبي والإنجلوساكسوني خاصة في إنشاء إسرائيل. فلسطين هي أرض إسرائيل، والفلسطينيين الذين أقاموا فيها لآلاف السنين، هم مجرد "جماعات غير يهودية"، أي هوامش خارج السياق الأساسي، ولذا لا بد أن يبادوا أو يطردوا، بينما يمنح كل يهودي وأي يهودي الحق في الهجرة لإسرائيل والحصول على جنسيتها، حتى ولو لم يهاجر إليها. ولذا لا بد مرة أخرى من تقديم المبرر لذلك، وذلك بقلب الحقائق مرة أخرى، وتصوير اليهودي المحتل الغازي للأرض طليعة الاستكبار الغربي

الفصل الرابع: الغزوتان المباركتان/ المطلب الرابع: الرواية الأمريكية الرسمية عن الغزوات

العلماني الصليبي على أنه إنسان مسالم مسكين يعتدي عليه العرب الهمج الرعاع المتوحشون، وأن المسكين لا حل له معهم -مثل بن لادن والإرهابيين الإسلاميين- إلا إبادتهم أو طردهم إن رأف بحالهم.

وبصبح -بالتالي أيضاً- منطقياً بل مطلوباً؛ أن تُمد إسرائيل بترسانة كاملة من أسلحة الدمار الشامل، لتدافع عن شعبها المظلوم، ضد الهمج البرابرة الظلمة المعتدين من العرب، وبالتالي لا يحق لأولئك الهمج مجرد السعي في تصنيع تلك الأسلحة، لأنهم همج متوحشون لا يحسنون استخدامها!!!
والآن أيها القارئ الذكي المنتبه قارن هذا التضليل المتعمد بكلام أسامة بن لادن حفظه الله:

"وبناء على ما تقدم يظهر بطلان مقولة بوش ولكن القول الذي تهرب منه، وهو جوهر نتائج استطلاعات الرأي بسحب الجنود هو؛ أنه من الأفضل ان لا نقاتل المسلمين على أرضهم ولا يقاتلونا على أرضنا. ولا مانع لدينا من إجابتكم إلى هدية طويلة الأمد بشروط عادلة، نفي بها، فنحن أمة حرم الله علينا الغدر والكذب، لينعم في هذه الهدنة الطرفان بالأمن والاستقرار، ولنبنى العراق وأفغانستان، اللتين دمرتهما الحرب.

ولا عيب في الحل، لولا أنه يحول دون انسياب مئات المليارات إلى أصحاب النفود وتجار الحروب في أمريكا الذين دعموا حملة بوش الانتخابية بمليارات الدولارات. ومن هنا نستطيع أن نفهم إصرار بوش وعصابته على استمرار الحرب. فإن صدقتم في إرادتكم للأمن والصلح فها قد أجبناكم، وإن أبى بوش إلا مواصلة الكذب والبغي فمن المفيد أن تقرأ كتاب الدولة المارقة"⁵⁵⁶.

⁵⁵⁶ عرض الهدنة على الأمريكان- ذي الحجة 1426هـ، يناير 2006م.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

وقارنه أيضاً بقوله:

" وإن من الاستهزاء بالناس واحتقارهم أيضاً أن تكون طائراتكم ودباباتكم تدمر البيوت فوق رؤوس أهلنا وأطفالنا في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وباكستان، ثم تتسموا في وجوهنا، وتقولون نحن لا نعادي الإسلام، وإنما نعادي الإرهابيين، وندعو إلى التعايش السلمي والحوار بدلاً من صراع الحضارات.

والواقع يكذبهم فساسة الغرب لا يرغبون في حوار إلا من أجل الحوار لاستغفالننا وتخديرننا لكسب الوقت، ولا يريدون هدنة إلا من طرفنا نحن فقط.

فقد علمتم ردنا مؤخراً على استطلاعات الرأي عندهم بعرض هدنة بيننا وبينهم بعد انسحاب حيوشهم وكف أذاهم عنا، فرفضوا كل ذلك، وهم مصرون على استمرار حملاتهم الصليبة ضد أمتنا واحتلال بلادنا ونهب خيراتها واستعبادنا"⁵⁵⁷.

عرض الشيخ أسامة بن لادن -حفظه الله- هدنة على الأمريكان وهدنة على الأوروبيين، فماذا كان الرد؟ السب والشتم. وقالوا: نحن لا نتفاوض مع الإرهابيين. ولو صدقوا لقالوا: مع الإرهابيين من العرب والمسلمين، أما الإرهابيون من اليهود الذين قتلوهم وفجروهم في فلسطين، فهم حلفاؤهم وأصدقائهم.

الغرب لا يريد هدنة مع القاعدة أو أية جهة تقاومه، لأن الغرب يعتبر أن مجرد الدعوة لمقاومته والسعي الجاد في ذلك -حتى دون ممارسة أي عمل ضده- جريمة عقوبتها الإبادة.

⁵⁵⁷ كلمة: يا أهل الإسلام- ربيع الأول 1427 هجرية 4-2006 ميلادي.

الفصل الرابع: الغزوتان المباركتان/ المطلب الرابع: الرواية
الأمريكية الرسمية عن الغزوات
4- استخدام الكذب والدعاية الدينية للوقية بين
المجاهدين.

وقد ذكرت من قبل الاتهامات الدينية التي ردها تقرير
الكونجرس حول مقتل الشيخ عبد الله عزام رحمه الله⁵⁵⁸.

5- القاعدة والعراق.

يزعم تقرير الكونجرس أن القاعدة كانت لها علاقات
بالنظام العراقي، وهي أكاذيب كان المفترض أن يترفع عنها
تقرير يمثل الأمة الأمريكية!! إن كان هناك ما يترفعون عنه.
في زعم التقرير -بصدد نشاط بن لادن في التسعينيات- أنه
كان راغباً في استكشاف احتمالات التعاون مع العراق. ولكي
يخفي بن لادن علاقاته مع العراق قام الترابي بالتوسط في
اتفاق يتعهد فيه بن لادن بالتوقف عن دعم الأنشطة ضد
صدام.

ويزعم التقرير أن بن لادن قابل -عبر وساطة الحكومة
السودانية- ضابط مخابرات عراقي عالي الرتبة في الخرطوم
في آخر 1994 أو بداية 1995. ويقال أن بن لادن طلب مكاناً
لإنشاء معسكرات للتدريب، وكذلك معونة لشراء أسلحة،
ولكن ليس هناك دليل على أن العراق قد استجاب لطلبه. ثم
شهدت السنوات التالية جهوداً إضافية لتحقيق تلك العلاقة⁵⁵⁹.
ثم يعلق التقرير في الحواشي على تلك المعلومات بأن
ينسب لمذكرتين للسي أي إيه أن رئيس المخابرات العراقية
وخبير عسكري في صنع القنابل قابلا بن لادن في مزرعته
خارج الخرطوم في 30 يوليو 1996م. وزعم مصدرهم أن بن
لادن طلب مساعدة -بل وحصل عليها- من خبير صنع القنابل

⁵⁵⁸ الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع:
الغزوات المباركات/ المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها
الغزوات/ الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً / المبحث
الثاني: حرب التشويه والكذب.

⁵⁵⁹ 9/ 11 COMMISSION REPORT P: 61.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

العراقي، الذي بقى هناك يوفر التدريب حتى سبتمبر 1996م. وهو الوقت الذي سربت فيه تلك المعلومات للولايات المتحدة.

ولأن حبل الكذب قصير، فيسارع التقرير للتشكيك في تلك المعلومات، ليس عن رغبة في تحري الحقيقة من مصادرها الموثوقة، ولكن لأنه اكتشف أن تقارير السي آي إيه، متضاربة مع الحقيقة، فبن لادن قد غادر السودان لأفغانستان في مايو 1996م. وكان الأولى بكاتبتي التقرير أن يرفضوا إدراج تلك المعلومات المتناقضة في التقرير، ولكنهم يجمعون الشاردة والواردة لتشويه صورة أعدائهم. ثم يعتذر التقرير بأن تلك المعلومات قد وصلت للأمريكان عبر ثلاثة وسطاء، ثم لا يستحي التقرير أن يعود فينقل عن نفس المصدر أن خبير صنع القنابل العراقي قد شوهد في مزرعة بن لادن في ديسمبر 1995م⁵⁶⁰!!

ثم يستمر التقرير في مزاعمه أو أكاذيبه فيزعم أن بن لادن في حدود عام 1997م بعد وصوله لأفغانستان، أرسل البعض ليتحسسوا إمكانية التعاون مع صدام حسين. وفي مارس عام 1998م سافر عضوان من القاعدة ليقابلا المخابرات العراقية. وفي يوليو 1998م سافر وفد عراقي ليلتقي أولاً بالطالبان وثانياً بين لادن. وتفيد المصادر أن أحد هذه الاجتماعات أو كلها قد تمت بوساطة نائبه المصري؛ الظواهري، الذي كانت له علاقاته الخاصة بالنظام العراقي من قبل!!! وأن لقاءات مماثلة قد تمت بين بن لادن أو معاونيه ومندوبين عراقيين في عام 1999م، وأن العراقيين قد عرضوا على بن لادن ملجأً آمناً في العراق. ثم يضيف التقرير أنه -حتى كتابته- لم تظهر أية أدلة تفيد بوجود تعاون

⁵⁶⁰ 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 468.

الفصل الرابع: الغزوتان المباركتان/ المطلب الرابع: الرواية الأمريكية الرسمية عن الغزوات
عملياتي مع العراق، أو الاشتراك في عمليات ضد الولايات المتحدة⁵⁶¹.

ثم يناقض التقرير مزاعمه أو أكاذيبه حينما ينقل عن ريتشارد كلارك في كتابه (ضد كل الأعداء) أن الرئيس بوش طلب منه أن يبحث عن أي دليل عن تورط صدام في أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وأن كلارك وعد الرئيس بأنه سيراجع المسألة ثانية، ولكنه أضاف أن مجلس الأمن القومي والوسط الاستخباري قد راجعوا العلاقات السابقة بين القاعدة والعراق، ولم يصلوا أبداً لأية علاقة حقيقية⁵⁶².

ثم يتعرض التقرير لقصة مقابلة محمد عطا -رحمه الله- مع ضابط استخبارات عراقي اسمه (أحمد خليل إبراهيم سمير العاني)، ويفند التقرير هذه القصة، بل ويضيف أن العاني حالياً -في وقت كتابة التقرير- في أسر القوات الأمريكية، وأنه أنكر هذه القصة تماماً⁵⁶³.

وبالرجوع لحواشي التقرير في المراجع، يتبين أن مصادره عن علاقة القاعدة بالعراق كلها جاءت من تقارير استخباراتية أمريكية، ومن تحقيق مع معتقل لم يذكر اسمه، بل ويضيف التقرير أن اثنين من أهم معتقلي القاعدة وهما خالد شيخ محمد وأبو زبيدة أنكرا تماماً وجود أية علاقة مع العراق.

ثم الأدهى من كل ذلك أن التقرير ظهر في أكتوبر 2004 أي بعد سقوط بغداد بقرابة سنة ونصف!! ولم يعثر الأمريكان على شبه دليل على مزاعم التقرير، والآن وبعد مرور أكثر من ست سنوات على غزو الأمريكان للعراق، وبعد أن حرثوا العراق حرثاً، وقلبوا كل حجر فيه، وبعد أن سقطت المخابرات العراقية كلها في أيديهم برجالها ووثائقها وأرشيفها، لم يصل الأمريكان لشبهة واحدة تدعم ما ذهب إليه التقرير، مع أنهم

⁵⁶¹ 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 66.

⁵⁶² 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 559.

⁵⁶³ 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 228 & 229.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

كانوا في أمس الحاجة لشبهة دليل ليثبتوا صدق مزاعمهم عن علاقة القاعدة بالعراق، التي كانت أحد مبرراتهم لغزوه. والغريب أن التقرير فند قصة لقاء محمد عطا -رحمه الله- بضابط المخابرات العراقي، ونفاها، فلماذا لم يفند كل القصص التي لم يستطع أن يجد عليها دليلاً واحداً، ولماذا لم يؤكد أن تقارير الاستخبارات (أو أكاذيبها) لم يسندها أي دليل بعد غزو العراق وإحراز كل وثائق الاستخبارات العراقية والتحقيق مع أعضائها؟ إنها الرغبة في تشويه الخصم، وتبرير العدوان عليه وإبادته.

6- القاعدة وإيران وحزب الله.

يزعم التقرير أنه في عام 1991 أو 1992م تمت مناقشات في السودان بين نشطاء إيرانيين والقاعدة وانتهت لاتفاق غير رسمي على التعاون في تقديم الدعم -أو حتى مجرد التدريب- للأعمال التي تشن ضد إسرائيل والولايات المتحدة. وبعد فترة ليست بالطويلة سافر عدد من أعضاء القاعدة ومدربيها المهمين لإيران لتلقي التدريب على المتفجرات، وفي خريف عام 1993م سافر وفد آخر لوادي البقاع في لبنان للتدريب على المتفجرات والاستخبارات والأمن. وقد كان لبن لادن شغف بتعلم استخدام الشاحنات المملوغة مثل التي قتلت 241 من مشاة البحرية في لبنان عام 1983م. ثم استمرت علاقات القاعدة مع إيران في السنوات التالية⁵⁶⁴.

ويضيف التقرير في مزاعمه أنه قبل تفجير السفارة الأمريكية في نيروبي بشهور أرسل عدد من كبار أعضاء اللجنة العسكرية بالقاعدة ومن ضمنهم عدد من النشطاء العاملين في خلية كينيا إلى وادي البقاع في لبنان للتدريب⁵⁶⁵.

⁵⁶⁴ 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 61.

⁵⁶⁵ 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 68.

الفصل الرابع: الغزواتان المباركتان/ المطلب الرابع: الرواية الأمريكية الرسمية عن الغزوات وكل ما نقلته آنفاً عن التقرير من مزاعم (أو أكاذيب) يستند فيها التقرير -كما تبين حواشي مراجعته- على تقارير استخباراتية وإفادات جمال الفضل! وما أدراك ما جمال الفضل⁵⁶⁶.

وبعد أن قرر التقرير الأكاذيب سالفة الذكر بناء على مراجعته الواهية، انتقل لنوع آخر من الخداع، وهو النقل عن أقوال المعتقلين لديه في السجون السرية الذين لا يعلم أحد عنهم شيئاً، والذين تعرضوا جميعاً -باعتراف الأمريكان- للتعذيب وأشكال الإهانة والضغط المختلفين، والذين لا يعرف أحد على أي أساس قانوني أو حقوقي يحتجزون أو يسألون أو يعذبون.

ونقل التقرير عنهم أقوال مجملة ليست بنصوص محددة، وحاول أن يستقي منها شيئاً، ليلقي شبهات، إن لم يستطع أن يأتي بحقائق، وأنى له. ورغم ذلك تناقض التقرير فيما أورده.

فيضيف التقرير في مزاعمه أن المعلومات تؤكد على استمرار الاتصالات بين مسؤولي الأمن الإيرانيين وكبار أعضاء القاعدة بعد عودة بن لادن لأفغانستان. وأن خلاد (توفيق بن عتاش) قد ذكر في تحقيقاته أن إيران سعت منسقاََ لتمتين علاقاتها بالقاعدة بعد الهجوم على المدمرة الأمريكية (كول) في أكتوبر 2000م، ولكنها حوهت بالرفض.

وقد وصف هو وعدد من المعتقلين رغبة المسؤولين الإيرانيين في تسهيل سفر أعضاء القاعدة عبر إيران في طريقهم من وإلى أفغانستان. فمثلاً كان مراقبو الحدود

⁵⁶⁶ ذكرته في: الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان/ الفصل الرابع: الغزوات المباركات/ المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات/ الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين فكراً / المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

الإيرانيون يطلب منهم عدم وضع الأختام على جوازات أولئك المسافرين. وهذه الإجراءات كانت مفيدة بالذات لأعضاء القاعدة السعوديين. ويزعم التقرير أن الأمريكان لديهم أدلة على أن 8 إلى 10 من الأربعة عشر سعودياً المنفذين "العضلات" سافروا من وإلى إيران في الفترة من أكتوبر 2000 إلى فبراير 2001⁵⁶⁷.
ويذكر التقرير أيضاً أن خالد شيخ محمد وابن الشببة أكدا أن عدداً من خاطفي 9 / 11 -على الأقل 8 طبقاً لابن الشببة- مروا عبر إيران في طريقهم من وإلى أفغانستان، مستفيدين من الإجراء الإيراني بعدم ختم الجوازات السعودية. وأنكراً وجود أي سبب آخر للخاطفين للسفر عبر إيران. كما أنكراً أيضاً وجود أية علاقة بين الخاطفين وحزب الله.

ثم يقول التقرير إنه بالمحصلة فإن هناك دليل قوي على أن إيران قد سهلت مرور أعضاء القاعدة من وإلى أفغانستان قبل 9 / 11، وكان بعض هؤلاء خاطفي 9 / 11. ثم يؤكد التقرير أنهم لم يعثروا على أي دليل شت علم إيران أو حزب الله المسبق بالتخطيط لعمليات 9 / 11. وأنهم يعتقدون أن هذا الأمر يحتاج لبحث إضافي من حكومة الولايات المتحدة⁵⁶⁸.

وبالتأمل فيما نقله التقرير عن المعتقلين، يتبين في النهاية أنها أقوال منتزعة تحت التعذيب، يمكن جداً أن يقدمها المعتقل ليرضي المحقق حتى يوقف التعذيب، أو لا يرجعه له مرة أخرى، وفضيحة الأمريكان مع أقوال ابن الشيخ الليبي -رحمه الله- عن علاقة العراق بالقاعدة معروفة ومشهورة، وهي المعلومات التي انتزعت منه بالتعذيب في مصر، وهلل لها الأمريكان، ثم اكتشفوا بعد

⁵⁶⁷ 9/ 11 COMMISSION REPORT p:240.

⁵⁶⁸ 9/ 11 COMMISSION REPORT p:241.

الفصل الرابع: الغزوتان المباركتان/ المطلب الرابع: الرواية الأمريكية الرسمية عن الغزوات ذلك أنها كانت كذبة كبرى، وأن ابن الشيخ أراد بها أن يوقف ما يتعرض له من تعذيب.

واستناد التقرير لأقوال المعتقلين المعذبين سأعرض له لاحقاً بإذن الله، ولكن لنفترض أن ما نقله التقرير عنهم صحيح، فأي دليل فيها؟

ما قالوه عن أن مراقبي الحدود الإيرانيين كانوا لا يضعون أختاماً على جوازات أعضاء القاعدة غير صحيح، كانت الأختام توضع على جوازات جميع الجنسيات إلا السعوديين الذين يطلبون ذلك، وهو إجراء تتبعه إيران مع جميع السعوديين، الذين يدخلونها من أفغانستان وإليها أو من غيرها من الدول وإليها، إنه إجراء تتبعه إيران خدمة للشريعة في السعودية، وكل الذي تدل عليه أقوال المعتقلين المعذبين أن بعض أبطال الغزوات المباركات قد استفاد من هذا الإجراء، فماذا في هذا من دليل على العلاقة بين إيران والقاعدة؟ وخاصة أن التقرير قد نقل عن المعتقلين المعذبين أن سعي إيران المنسق لتمتين علاقاتها بالقاعدة بعد الهجوم على المدمرة الأمريكية (كول) في أكتوبر 2000م، قد حوِّيه بالرفض، وأن خالد شيخ محمد ورمزي بن الشيبه -فك الله أسرهما- أنكرا وجود أي سبب آخر للخاطفين للسفر عبر إيران سوى الاستفادة من عدم ختم الإيرانيين لجوازات السعوديين. كما أنكرا أيضاً وجود أية علاقة بين الخاطفين وحزب الله.

إنها محاولة من الأمريكان لتوريط إيران، ولتشويه صورة القاعدة، ولتخويف الأمريكان أن القاعدة متحالفة مع إيران وحزب الله ضدهم، وأن القاعدة لا يمكن التفاهم معها، وأن الحل معهم هو ما فعلوه بالهنود الحمر. ولكن ليتأكد الأمريكان أننا لسنا -بفضل الله- هنوداً حمراً.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان

7- تسعة من المنفذين جاءوا من مناطق فقيرة في

السعودية.

يحاول التقرير بالإيحاء أن يلقي شبهة أن بعض المنفذين للغزوات المباركات كان الفقر من دوافعهم، وهو لا يقول ذلك صراحة، بل ولا يذكر أيضاً أنهم كانوا فقراء، بل يذكر أنهم جاءوا من مناطق فقيرة [تأمل!].

فيذكر أن كلاً من أحمد الغامدي وسعيد الغامدي وحمزة الغامدي وأحمد الحزنوي جاءوا من منطقة الباحة، وهي منطقة متخلفة معزولة.

أما وائل ووليد الشهري وعبد العزيز العمري ومهند الشهري وأحمد النعيمي فقد جاءوا من منطقة عسير الفقيرة⁵⁶⁹.

ويرد عليهم البطل الشهيد -كما نحسبه- عبد العزيز العمري

~ في وصيته:

"إنني حينما بذلت نفسي رخيصة في سبيل الله لم أفعل ذلك هروباً من ضيق العيش، كما يزعم من أضله الله. أو أنني لا أستطيع أن أعيش كما يعيش الناس، لا والله. إنني حين خرجت في أحسن زينتي في شبابي. خرجت باسم الله، أكل من أحسن أكل، وأشرب من أحسن شراب، وأسكن البيت الفاره، وأركب السيارة الجميلة، وتسنى لي العمل المغربي. ولكنني قلت: ثم ماذا؟ والتبعة على ظهورنا والواجب في الذمة والله سبحانه وتعالى يقول: [مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا تُؤَفِّقْ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ {15}] أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ]"⁵⁷⁰.

⁵⁶⁹ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 231& 232.

⁵⁷⁰ شريط (الوصية الثانية لشهداء الغزوتين - وصية البطل الغازي عبد العزيز العمري).

الفصل الرابع: الغزوتان المباركتان/ المطلب الرابع: الرواية الأمريكية الرسمية عن الغزوات

8- أقوال المعتقلين كمصدر، وتواطؤ التقرير عن الجرائم

التي ارتكبت بحق المعتقلين.

يذكر التقرير أنه اعتمد على أقوال عشرة من المعتقلين لدى أمريكا ممن لبعضهم صلة مباشرة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وأن تقدير مصداقية تلك الأقوال يحتاج لتثبيت، وأن كل صلة أعضاء لجنة التقرير بالمعتقلين اقتضت فقط على مجرد مراسلات استلمت من الأماكن التي جرى فيها الاستجواب، وأنهم (أي أعضاء لجنة التقرير) قد قدموا أسئلة لاستخدامها في التحقيق، ولكن لم يكن لديهم أي تحكم في هل استخدمت ومتى وكيف. ولم يسمح لهم حتى بالحديث مع المستجوبين، لأن هذا قد يمس بعملية الاستجواب الحساسة. ولكنهم (أي أعضاء لجنة التقرير) في النهاية قد قرروا إدراج تلك الأقوال من المعتقلين في تقريرهم. وأنهم قد نظروا في تلك الإفادات بدقة، وحاولوا أن يجروها في سياق وثائق وإفادات الآخرين⁵⁷¹.

إذن فهم أوردوا إفادات أرسلت لهم من محققين لم يقابلوهم، ناهيك أن يقابلوا المعتقلين أصلاً، لأن ذلك يمس بعملية الاستجواب الحساسة (أي التي تقوم على التعذيب). وبلاحظ هنا الصمت المريب والتواطؤ من اللجنة عن التعذيب الشديد الذي تعرض له المعتقلون، والذي يتناقض مع دعوى اللجنة في الدفاع عن قيم أمريكا المزعومة، وما تبرؤ اللجنة من صدقية أقوال المعتقلين إلا محاولة مكشوفة للنأي بنفسها عن حقيقة التعذيب الذي تعرض ولا زال يتعرض له المعتقلون تحت سلطة أمريكا.

وزعم اللجنة أنهم لم يمكنوا من لقاء المستجوبين يتناقض مع صلاحيات اللجنة، التي يصفها التقرير بأنها كانت شاملة، ويتناقض مع قانون تشكيل اللجنة، الذي يمكنها من بحث كل ما يتعلق بأحداث الحادي عشر من سبتمبر مما يرتبط بأي

⁵⁷¹ 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 146.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

مجال تراه اللجنة مفيد لعملها بما في ذلك المرتبط
بالاستخبارات وأجهزة الأمن⁵⁷².
ومما لفت نظري في هذا التقرير؛ أنه لم ترد به كلمة
(تعذيب: torture) مرة واحدة!! كما أن (كلمة حقوق
الإنسان: human rights) لم ترد فيه إلا مرتين، مرة فيما
يتعلق بطالبان⁵⁷³، ومرة فيما يتعلق بالسودان⁵⁷⁴.
أما عن اتفاقيات جنيف فقد ذكر التقرير أن المزاعم بأن
الولايات المتحدة قد أساءت للمعتقلين تجعل من الصعب
بناء تحالفات دبلوماسية وسياسية وعسكرية تحتاجها
الحكومة. وأن الولايات المتحدة يجب أن تعمل مع الأصدقاء
لتطوير اتفاقات متبادلة ومتفق عليها حول قواعد الاعتقال
والمعاملة الإنسانية للإرهابيين الدوليين المعتقلين، الذين لا
يعتقلون حالياً تحت القانون الجنائي لدولة معينة⁵⁷⁵.
ويضيف التقرير أن الولايات المتحدة وبعض أصدقائها لا
يقبلون التطبيق الكامل لمعاملة أسرى الحرب في اتفاقيات
جنيف على الأسرى في حرب الإرهاب. وإن كانت تلك
الاتفاقيات لا تنطبق تماماً على الإرهابيين، فإنها تشكل
المعايير المقبولة عامة للمعاملة الإنسانية.
ثم يوصي التقرير بأن الولايات المتحدة يجب أن تشارك
أصدقاءها في تطوير تناول مشترك للتحالف تجاه الاعتقال
والمعاملة الإنسانية للإرهابيين المعتقلين. وقد تسنتج مبادئ
جديدة من المادة 3 من اتفاقيات جنيف بخصوص قانون
الصراعات المسلحة. وقد صممت تلك المادة خصيصاً
للحالات التي لا تنطبق عليها قوانين الحرب المعتادة. وإن

⁵⁷² 9/ 11 COMMISSION REPORT p: xv.

⁵⁷³ 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 111.

⁵⁷⁴ 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 480.

⁵⁷⁵ يشير بذلك للمعتقلين في جوانتانامو وسجون أمريكا السرية حول العالم.

الفصل الرابع: الغزوتان المباركتان/ المطلب الرابع: الرواية الأمريكية الرسمية عن الغزوات معايرها الدنيا تعد مقبولة عموماً في كل العالم كقوانين دولية متعارف عليها⁵⁷⁶.

هكذا ذراً للرماد في العيون؛ أن المزاعم بإساءة أمريكا للمعتقلين ستصعب بناء التحالف المطلوب مع الدول الأخرى، وأن على الولايات المتحدة أن تسعى مع غيرها لإعادة النظر في المادة 3 من اتفاقيات جنيف، ولتطوير تناول مشترك لمعايير الاعتقال!!
متى سيتم ذلك؟ لا يعلم إلا الله.
أما ماذا حصل وكيف وأين فلا يهم معرفته، ولا داعي لمعرفة أو تغييره.

9- ما لم يتحدث عنه التقرير.
ذكر التقرير أنه يخرج بتعاطف عارم مع ضحايا أحداث الحادي عشر من سبتمبر وباحترام متزايد للشعب الأمريكي⁵⁷⁷.
ولكن لم يتطرق التقرير لمعاناة البشر عامة والمسلمين خاصة من أمريكا، إلا ببعض الجمل القليلة عن دعايات الإرهابيين ضد أمريكا.
ففيما يتعلق بفلسطين أشار التقرير في إشارة عابرة إلى أن إختيارات أمريكا السياسية لها عواقبها، وأنه سواء كان ذلك خطأ أم صواباً فإنه من الحقائق بصراحة أن السياسة الأمريكية فيما يتعلق بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني وتصرفات أمريكا في العراق تعد من أهم مواضيع التعليقات الشعبية في العالم العربي والإسلامي. وأن هذا لا يعني أن إختيارات الولايات المتحدة كانت خطأ، ولكنه يعني أن هذه

⁵⁷⁶ 9/ 11 COMMISSION REPORT p: 379 & 380.

⁵⁷⁷ 9/11 COMMISSION REPORT, p: xvii.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة لأفغانستان

الاختيارات يجب أن تدمج مع رسالة أمريكا في توفير الفرص للعرب والمسلمين⁵⁷⁸. أي أن هذه السياسات التي لا يعدها التقرير خاطئة يجب أن تدمج مع بعض الرشاوى وفتات المساعدات للعرب والمسلمين، حتى يتناسوا ما فعلته أمريكا بهم. إذن لم يتحدث عنه التقرير هو أسباب عداة المسلمين لأمريكا، فلم يتحدث مثلاً عن اغتصاب فلسطين وجرائم إسرائيل، بل هو غير مستعد أن يتحدث عنها أصلاً، لأنه يمثل وجهة النظر الصهيونية، بل تحدث عن معاداة السامية، وهو ما يظهر النزعة الصهيونية، أو الرغبة في إرضاء الصهيونية لدى كاتبه ومموليه.

ولم يتحدث مثلاً عن احتلال ديار المسلمين، وقتل مئات الألوف منهم على يد الأمريكان، بل عن قتل الملايين في حروبهم المتعددة، بل عن إبادة أجناس مثل الهنود الحمر على أيديهم.

ولم يتحدث التقرير عن اغتصاب ثروات المسلمين. وفي وقت كتابة التقرير كان الأمريكان وأعدائهم وعملاؤهم يعذبون أسرى المسلمين في أبوغريب وفي جوانتانامو والسجون السرية في مصر والأردن وأوروبا الشرقية والمغرب، ناهيك عن عمليات تسليم المعتقلين (rendition). ورغم ولع التقرير بحقوق الإنسان (الأبيض) وتكرار حديثه عن العنف المزعوم للسلفيين والمتشددين لم يذكر كلمة واحدة عن تعذيب الأمريكان لأسرى المسلمين. سوى العبارة الغامضة عن أن المزاعم! بإساءة أمريكا للمعتقلين ستصعب بناء التحالف المطلوب مع الدول الأخرى.

ورغم إقرار التقرير بفشل الدعاية الأمريكية (الحررة وغيرها) وفيضان العالم الإسلامي بكرهية أمريكا، إلا أنه لم يطرح سؤال: لماذا يكره المسلمون الأمريكان؟

⁵⁷⁸ 9/11 COMMISSION REPORT, p: 376.

الفصل الرابع: الغزوتان المباركتان/ المطلب الرابع: الرواية
الأمريكية الرسمية عن الغزوات

إذ أن الأمريكان من أشد الناس كراهية لكلمة (لماذا؟).
لم يتحدث التقرير عن سحق جنرالات فرنسا لتجربة الجبهة
الإسلامية للإنقاذ في الجزائر، التي صدقت خدعة الديمقراطية
الغربية.

لم يتحدث التقرير عن عدم اعتراف الغرب بحكومة حماس
المنتخبة، وعن فرض العقوبات عليها، واعتبار حماس منظمة
إرهابية، رغم كل تنازلات حماس، وفي هذا درس لها.
لم يتحدث التقرير عن كل هذا، وما كان له أن يتحدث، وهو
يتحدث بمنطق الإنسان الغربي العلماني الاستكباري، الذي
يرى الحق في القوة، التي تعطيه الحق في أن يبعد الآخرين.

الفصل الخامس: القائدان الرفيقان الشهيدان

الفصل الخامس: القائدان الرفيقان الشهيدان

الْفِتْيَةُ
الْبَيْضُ
الْمَصَا
لَمْ تَبْقَ
أَنْفُسُهُمْ
وَكَا
فَمَكَثَتْ
بَعْدَهُمْ وَكُنْ

لِثُ أَشْبَعُوا
حَزْمًا وَلِينًا
نَوَازِينَةً
لِلنَّاطِرِينَ
ثُ يَطْوِلُ
صُحْبَتِهِمْ صَنِينًا⁵⁷⁹

⁵⁷⁹ الأبيات للبيد بن ربيعة العامري- الموسوعة الشعرية- لبيد بن ربيعة العامري.

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان

لا أستطيع أن أنهي هذا الباب دون أن أذكر طرفاً من
السيرة العطرة للأخين القائدين الحبيين الشهيدين أبي عبيدة
البنشيري وأبي حفص القائد (القومندان).
أبو عبيدة البنشيري هو علي الرشيدي، أعطاه المولى
سبحانه بسطة في الجسم، وطيبة في القلب، وابتسامه لا
تكاد تفارقه، ودعابة حاضرة. حافظ لكتاب الله، مواظب على
تلاوته.

كان يعمل مدرباً رياضياً بقوات الشرطة، اعتقل عقب
اغتيال أنور السادات، وكان مرشحاً لأن يكون ضمن مجموعة
الاعتقال، وكان عديلاً للشهيد -كما نحسبه- عبد الحميد عبد
السلام أحد الأربعة الذين اغتالوا السادات وأمير مجموعة
الاعتقال، وبعد الخروج من السجن هاجر لأفغانستان، وانخرط
في الجهاد ضد الروس والشيوعيين في جبهات متعددة، لعل
من أهمها رحلته لوادي بنشير مع مجموعة من الإخوة العرب،
وكانت الرحلة تستغرق شهراً وسط الثلوج وعبر الجبال، وهي
الرحلة التي أكسبته كنيته، ثم مشاركته في معارك جاجي ضد
القوات الروسية عام 1987. وكذلك كانت له مشاركات
كثيرة في الجهاد في جرديز وخوست.

شارك في تأسيس القاعدة من أيامها الأولى، وأصبح اليد
اليمنى للشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، وأذكر أنني سمعت
الشيخ أسامة بن لادن في بشاور يقول: من نعم الله علي أن
أتيت للجهاد الأفغاني حتى أتعرف على أبي عبيدة، وأشرف
على معسكرات التدريب والإعداد، التي تخرج منها المئات،
ولم يكتف بساحة أفغانستان بل وسع من نشاطه لقرارات
أخرى، فزار بلاداً عديدة بآسيا وأفريقيا، ولعل من أهم أنشطته
مشاركاته في إنعاش الجهاد في شرق أفريقيا عامة
والصومال خاصة. كان كثير الترحال والأسفار في سبيل الله،
وكم عانت أسرته من غيابه. وقد استشهد غرقاً في بحيرة

الفصل الخامس: القائدان الرفيقان الشهيدان
فكتوريا بتنزانيا في عام 1996م، حيث انقلبت به عبارة ركاب
تحمل عدداً أكثر من طاقتها.

كان محباً للوحدة بين المسلمين ساعياً لها بما يملك، وإن
تعذرت الوحدة بين المجاهدين تنظيمياً أحياناً، كان يسعى
لتطبيقها في الميدان، متخطياً حواجز التنظيمات وحساسيات
الجماعات، كان الجميع يحس أنه قريب منه، يصغي للجميع
باهتمام وإقبال، ويحاول أن يلبي مطالبهم بما يستطيع.
كان أبو عبيدة طاقة عمل لا تهدأ، وكان حريصاً على أن
يبذل ما يستطيع لدفع عجلة الجهاد، وقد أكسبه نشاطه خبرة
سياسية، وكان يعترف بفضل الجهاد الأفغاني في ذلك، فقد
قال لي مرة: إن عمري قد زاد مائة سنة في أفغانستان.

ومن كثرة أسفاره أصبح خبيراً في إجراءات السفر وطبائع
البلاد، سألني مرة هل معك دولارات من فئة الدولار والخمسة
دولار، فقلت له أبحث لك، ولكن قد أجد من فئة العشرة أو
الخمسين، فقال لي بمزاحه المحبب المعهود: لا. أريد من فئة
الدولار، فهي عملتي في مطارات شرق أفريقيا، حتى أن
موظفي المطارات قد عرفوني، وإذا رأوني ينادونني حتى
ينهوا إجراءاتي ويحصلوا على الدولارات القليلة.

ومن طرائفه -رحمه الله- أنه كان قبل استشهاده بحوالي
سنة كلما قابلني يسألني عن كلمات وعبارات إنجليزية تفيده،
ثم يسجلها في مفكرة معه، وكنت أتعجب من اهتمامه الجديد
باللغة الإنجليزية، وكان يقول لي إنه يحتاج هذه العبارات في
السفر، ثم اكتشفت بعد وفاته -رحمه الله- أنه كان متزوجاً
من زوجة ثانية كينية لا تعرف العربية.

كان من أماله توحيد جماعة الجهاد والقاعدة، وقد سعى
في ذلك حينئذ، ولذلك ذكرته -رحمه الله- في كلمتي يوم
الوحدة وتكوين جماعة قاعدة الجهاد، فقلت ما معناه:

"وفي هذا الحفل فإني لأذكر إخوة كراماً، كان
يسرهم أن يكونوا بيننا اليوم، ليسشهدوا هذا الحدث
الكبير، وأحسب منهم أخانا الكبير الشهيد -ولا نزكيه

الجزء الأول: التفاتة للماضي/ الباب الرابع: العودة
لأفغانستان

على الله- أبا عبيدة البنشيري ~، فتم قيرير العين يا
أبا عبيدة فقد تحققت الوحدة التي كنت تأملها".
كان كلاً من أبي عبيدة وأبي حفص حريصاً على إنشاء
وتطوير حركة جهادية عالمية، وكان أبو عبيدة بمثابة روحها
المتدفقة، وكان أبو حفص مهندسها الهادئ. فكان كلاً منهما
يكمل أخاه.

أما رفيق دربه أبو حفص القائد، أو القومندان كما كان
إخوانه ينادونه، صبحى عبد العزيز أبو ستة، فمثال الخلق
والأدب الرفيع والحرص على مشاعر إخوانه، أعطي مثل
رفيق دربه أبي عبيدة بسطة في الجسم مع وسامة، ولحية
أسرع الشيب لها مبكراً.

وأبو حفص من محافظة البحيرة من قبيلة أبو ستة، وهي
قبيلة عدنانية هاجرت من فلسطين لمصر.
كان شديد الحرص على الوحدة بين المسلمين، وقد ذكرت
من قبل جهوده في إنشاء قاعدة الجهاد.

ومن غرائب الاتفاق أنني كنت جاراً لهما، بل وأحياناً ما
تركت لكل منهما سكني، وكذلك كنت طبيياً لهما مرات
عديدات، وكان من أهم ما مر بي في ذلك مشاركتي في
تطبيب أبي عبيدة من ملاريا خبيثة عنيفة كادت أن تؤدي به
لولا لطف الله، وتخير المتخصصين في علاجها فترة، حتى أن
بعض الإخوة بدأ يتحدث عن نظرية تسميم أبي عبيدة، ثم
شفي منها وعوفي بفضل الله، وكذلك أجريت لأبي حفص
عمليتين كانت أولاهما المشاركة في علاجه من جراحاته في
معركة جلال آباد حيث أصيب بجرح نافذ في الصدر مماس
للحجاب الحاجز، لكن لم يخترق البطن من قذيفة كسرت
ذراعاه وضلوعه.

كان أبو حفص مثلاً في الخلق الرفيع والأدب العالي
والسماحة والكرم والزهد، وكان نافراً من الخلافات
والمشاحنات مقبلاً على العمل والعطاء، وقد اكتسب خبرة

الفصل الخامس: القائدان الرفيقان الشهيدان
عسكرية واسعة، بدأت من عمله بالجيش المصري كضابط
احتياط، ثم تنامت مع حياته الجهادية المتطورة.
وقد بذل غاية جهده في تطوير القاعدة وتنظيم شؤونها
حتى وصلت لما وصلت إليه من نمو واتساع مكنها من ضرب
أمريكا ضربات بلغت أوجها بالغزوات المباركات.
وكان شديد الإعجاب بالإخوة المنفذين للغزوات، وخاصة
بالقائد الغازي البطل الشهيد - كما نحسبه - محمد عطا، فقد
حكى لي أن محمد عطا كان ضمن مجموعة من المتدربين
يستمعون لمحاضرة سياسية يلقيها أبو حفص - رحمه الله - عن
أوضاع العالم الإسلامي، وقد تطرق فيها لمأساة فلسطين،
وفي آخر المحاضرة وقف محمد عطا وسأله: وماذا يمكن أن
نعمل من أجل فلسطين؟ وقد ظل أبو حفص رحمه الله
متذكراً لذلك السؤال ومتأثراً به.
استشهد رحمه الله في قندهار في بداية الغزو الصليبي
لأفغانستان.
فرحمهما الله رحمة واسعة، وألحقنا بهما على خير.

X

X

وقد رتبها ترتيباً أبجدياً. وذكرت فيها تفاصيل طبعة كل مرجع موجود في الكتاب، ليسهل الرجوع إليه لمن أراد، وأسأل القارئ المعذرة عما وقع فيها من نقص لظروف التنقل وقلة الاستقرار، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، وقد نقلت عن بعض الموسوعات الإلكترونية والمواقع على شبكة المعلومات وأرفق بالهامش عنوانين منعاً لتكرارها⁵⁸⁰.

- إتخاف العباد بفضائل الجهاد لعبد الله عزام.
- الأحاديث المختارة لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، سنة 1410هـ، الطبعة الأولى. نقلاً عن: المكتبة

⁵⁸⁰ عناوين الموسوعات الإلكترونية والمواقع على شبكة المعلومات:

- المكتبة الشاملة، الإصدار 3,8، <http://www.shamela.ws>

- المكتبة الألفية للسنة النبوية (الإصدار 1,5)، 1419هـ-1999م، مركز التراث

الأبحاث الحاسب الآلي، عمان.

- مكتبة الأدب العربي، الإصدار الأول، 1419هـ-1999م، مركز التراث لأبحاث

الحاسب الآلي، عمان.

- مكتبة الفقه وأصوله (الإصدار 1,5)- مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي-

1419هـ، 1999م- عمان.

- مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية، الإصدار الأول، 1419هـ-1999م، مركز

التراث لأبحاث الحاسب الآلي، عمان.

- مكتبة علماء الإسلام، الإصدار الأول، 1421هـ-2001م، مركز التراث

لأبحاث الحاسب الآلي، عمان.

- مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية- الإصدار الثاني- 1421هـ الموافق 2000م-

مركز التراث للحاسب الآلي- عمان.

- الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2003م. □

Website: <http://www.cultural.org.ae>

- منبر التوحيد والجهاد.

<http://www.tawhed.ws>, <http://www.almaqdese.com>,

<http://www.alsunnah.info>.

- موقع الدكتور محمد عباس. www.mhamadabbas.net, mhamadab@gawab.com.

X

- الألفية للسنة النبوية.
- الأحزاب السياسية العربية وعلاقتها بتحركات الشارع العربي، قناة الجزيرة الفضائية، برنامج حوار مفتوح، المقدم: غسان بن جدو- الضيوف: الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح وحسين عبد الرازق وعبد الله الكوراني- تاريخ الحلقة: 3 / 3 / 1425هـ.
- أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، دار الفكر، بيروت.
- أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي. نقلاً عن: الموسوعة الشعرية.
- أخبار القلم والسيف في رحلة الشتاء والصيف لمحمد السمرقندي.
- وأخيراً ترجم الفارس خطاب- تنسيق أبو أنس الطائفي- نقلاً عن موقع مفكرة الإسلام.
- إرهابي 007 من هو... كتاباته... إنجازاته... ادخل لتعرف- شبكة الإخلاص الإسلامية/ المنتديات العامة/ منتدى الحدث (قضايا الأمة الإسلامية).
- إرواء الغليل في تخرّيج أحاديث منار السبيل لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1405هـ- 1985م. نقلاً عن: المكتبة الشاملة.
- الإسلام يتحدّى لوحد الدين خان. نقلاً عن: المكتبة الشاملة.
- استهداف أمريكا (محاضرة صوتية لحوار مع الدكتور محمد المسعري)- تعليقات على أحداث سبتمبر- حوار في قضية- تسجيلات التجديد الإسلامية- موقع تنظيم التجديد الإسلامي. tajdeed@tajdeed.net.
- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين للخالدين سعيد ومحمد ابني هاشم بن وعله

X

الخالدي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1958م.
نقلًا عن: الموسوعة الشعرية.

- إظهار الحق لرحمت الله بن خليل الرحمن الهندي. نقلًا
عن: المكتبة الشاملة.

- الإعجاز والإيجاز لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبي
منصور الثعالبي. نقلًا عن: الموسوعة الشعرية.

- أعلام الموقعين عن رب العالمين لشمس الدين أبي
عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بانن قيم الجوزية، دار

إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ-
2001م.

- إعلان الجهاد على الأمريكيين المحتلين لبلاد الحرمين
لأسامة بن محمد بن لادن- أفغانستان- الجمعة 9 ربيع الآخر

1417 هـ الموافق 23 أغسطس 1996م.

- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، دار الفكر، بيروت،
الطبعة الثانية. نقلًا عن: مكتبة الأدب العربي.

- إفريقيا بين التنصير والتغريب لسالي هاني.

- أفغانستان والطالبان ومعركة الإسلام اليوم لعمر عبد

الحكيم أبي مصعب السوري، سلسلة قضايا الظاهرين على
الحق، مركز الغرباء للدراسات الإسلامية (1)، كابل-
أفغانستان، 10/1998.

- الأم لمحمد بن إدريس الشافعي أبي عبد الله، دار

المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1393 هـ. نقلًا عن:
المكتبة الألفية للسنة.

- إماطة اللثام عن بعض أحكام ذروة سنام الإسلام
لرفاعي أحمد طه.

- الإمام المجدد والمحدث الشاه ولي الله الدهلوي-

حياته ودعوته لمحمد بشير السالكوتي، دار العلم، إسلام
آباد، الطبعة الأولى، شعبان 1413 هـ- يناير 1993.

X

- الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق لمحمد حسنين هيكل، دار الشروق، الشركة المصرية للنشر العربي والدولي، القاهرة، الطبعة الخامسة، فبراير 2005.

- أمريكا بدأت هجومها العام والشامل على الإسلام. ابن لادن - وليس أبو جهل وأبو لهب - هو الحل للدكتور محمد عباس. موقع الدكتور محمد عباس.

- الأمم المتحدة (S/2008/324) - مجلس الأمن - 14 مايو 2008 - رسالة مؤرخة 13 أيار/ مايو 2008 موجهة إلى رئيس مجلس الأمن من رئيس لجنة مجلس الأمن المنشأة عملاً بالقرار 1267 (1999) بشأن تنظيم القاعدة وحركة الطالبان ومن يرتبط بهما من أفراد وكيانات.

- أمن مصر القومي لمحمد حافظ إسماعيل.

- **أميركا تعلن فشل مشروعها الإعلامي: إقفال قناة الحرة قريبًا - منتديات شبكة الحسبة/ القسم العام/ منتدى الاحتساب في السياسة الشرعية -**
2008 / 7 / 27

- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعلي بن سليمان المرداوي أبي الحسن، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- البداية والنهاية لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء، مكتبة المعارف، بيروت. نقلًا عن: مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية.

- بابا روما وصهينة النصرانية لعبد الرحمن عبد الخالق.
- باكستانية نرويجية مسلمة!!! تدعو الى حرق القرآن -
منتديات شبكة الحسبة/ القسم العام/ منتدى الاحتساب
في السياسة الشرعية - 10 - 6 - 2008. نقلًا عن جريدة الوطن السعودية.

X

- بل هي حرب على الإسلام لمحمد عباس، الطبعة الأولى : 2002، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- بلاغ إلى هيئة الأمن القومي: مذبة السودانين تخطيط صليبي صهيوني للدكتور محمد عباس- موقع الدكتور محمد عباس.
- بيان إلى المسلمين من أبي قتادة عمر بن محمود أبو عمر تعليقاً على قرار محكمة اللوردات البريطانية بإقرار الحكومة في تسليمه إلى الحكومة الأردنية- منتديات الفلوجة الإسلامية/ المنتديات العامة/ منتدى الحدث (قضايا الأمة الإسلامية) بيان إلى المسلمين من أبي قتادة/ عمر بن محمود أبو عمر.
- البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار صعب، بيروت، سنة 1968، الطبعة الأولى. نقلاً عن: مكتبة الأدب العربي.
- بيان من فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشيعي عما جرى في أمريكا من أحداث.
- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف لإبراهيم بن محمد الحسيني، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة 1401هـ. نقلاً عن: المكتبة الألفية للسنة النبوية.
- تأثير الحرب على الإرهاب على تنظيم القاعدة بعد 5 سنوات على 9-11، ندوة ضمن التغطية الخاصة الخامسة لأحداث 9-11، قناة الجزيرة.
- تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الأول لشوقي ضيف، الطبعة السادسة عشرة، دار المعارف.
- تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك المحامي، دار النفائس، بيروت، سنة 1403هـ، الطبعة الثانية. نقلاً عن: مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية.
- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن

X

- بن حسن الجبرتي، دار الجيل، بيروت، نقلاً عن: مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية.
- التحفة المقدسية في مختصر تاريخ النصرانية لأبي محمد المقدسي، منبر التوحيد والجهاد.
- تدمير المدمرة الأمريكية كول (شريط مرئي)، إنتاج مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي.
- التعددية السياسية في الدولة الإسلامية لصالح الصاوي، الطبعة الأولى، دار الإعلام الدولي، 1992م.
- تنظيم الجهاد، جذوره وأسراره لمحمد مورو، الشركة العربية الدولية للنشر والإعلام.
- تيسير علم أصول الفقه لعبدالله بن يوسف الجديع. نقلاً عن: المكتبة الشاملة.
- الثمر المستطاب في سيرة القائد خطاب- كتاب النور. Aljabha1420@hotmail.com
- الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبي عبد الله، دار الشعب، القاهرة، سنة 1372هـ، الطبعة الثانية. نقلاً عن: المكتبة الألفية للسنة النبوية.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي لمحمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. نقلاً عن: المكتبة الألفية للسنة النبوية.
- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري، نقلاً عن: المكتبة الشاملة.
- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبي عبد الله، نقلاً عن: المكتبة الشاملة.

X

- جاهلية القرن العشرين لمحمد قطب، منبر التوحيد والجهاد.

- **جدير بالشيخ القرضاوي أن يعود لمحمد مصطفى المقرئ، منبر التوحيد والجهاد.**

- جريدة الشرق الأوسط- الأربعاء 6 رجب 1426هـ 10 أغسطس 2005م- العدد 9752.

- جريدة الوفد: الأربعاء 16 رجب 1409هـ- 22/2/1989.

- الجمعيات التنصيرية تثير مخاوف مسلمي البوسنة

- لإبراهيم القديمي، موقع الجزيرة نت، الصفحة الرئيسية: تقارير وحوارات، الجمعة 3/3/1430 هـ- الموافق 27/2/2009 م.

- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد

القرشي- الموسوعة الشعرية- المجمع الثقافي- الإمارات العربية المتحدة- 2003م.

Website: <http://www.cultural.org.ae>

- جندي أمريكي للجنرال تومي فرانكس- القائد العام

للقيادة المركزية للولايات المتحدة، جريدة الشرق الأوسط: الحلقة الثانية- 11 أغسطس 2004، الحلقة السادسة- 20 أغسطس 2004، الحلقة الثامنة- 25 أغسطس 2004.

- الجنوب.. مدخل الصليبية إلى السودان لمصعب

الطيب بابكر- المسلمون والعالم العدد (173) المحرم 1423- إبريل 2002.

- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ، لمحمد خير

هيكل، الطبعة الأولى، دار البيارق، بيروت، 1414هـ، 1993م.

- الجهاد ماض 2 (شريط صوتي) لعبد الله عزام.

- جهود المنصرين في كينيا.. أضواء على الخطط

X

القائمة لاستئصال المسلمين لخلفان خميس إسماعيل-
المسلمون والعالم العدد (87) ذو القعدة 1415هـ- إبريل
1995م.

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لأحمد بن عبد
الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، دار العاصمة، الرياض،
سنة 1414هـ، الطبعة الأولى. نقلًا عن مؤلفات شيخ
الإسلام ابن تيمية- الإصدار الثاني- مركز التراث لأبحاث
الحاسب الآلي- 1421هـ، 2000م- عمان.

- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير لمحمد
عرفة الدسوقي، دار الفكر بيروت.

- حرب أكتوبر لسعد الدين الشاذلي، مؤسسة الوطن
العربي للطباعة والنشر، باريس 1980.

- حرب أكتوبر (1973) دراسة ودروس لمحمد فوزي.

- حرب المستضعفين لروبرت تاير، تعريب محمود سيد
الرصاص، مراجعة: المقدم الهيثم الأيوبي.

- الحرية أو الطوفان- دراسة موضوعية للخطاب

السياسي الشرعي ومراحل التاريخة لحاكم المطيري،
2003م.

- الحصاد المر، الإخوان المسلمون في ستين عامًا

لأيمن الطواهري، الطبعة الثانية 1426هـ، 2005م.

- حقيقة العلمانيين العرب لحامد بن عبد الله العلي-

منبر التوحيد والجهاد- حامد بن عبد الله العلي.

- حقيقة مايجري وراء قضبان سجون الأمريكان لأبي

يحيى حسن قائد- الأحد 14 شعبان 1426هـ.

- حماس، الجذور التاريخية والميثاق لعبد الله عزام، الطبعة

الأولى، نشر وتوزيع مركز الشهيد عزام الإعلامي، بشاور.

- الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري صدر الدين

علي بن أبي الفرج بن الحسن- الموسوعة الشعرية.

X

- حوار الأستاذ لويس عطية الله مع مجلة "صوت الجهاد" 1424 هـ- منبر التوحيد والجهاد- لويس عطية الله.
- خصوم الولايات المتحدة يحركون حملة إعلامية ضمن ما يسمى بحرب الأفكار- الجمعة 27-10-2006- بيرند دبسمان مراسل رويتر من واشنطن- نقلتها عن: منتديات شبكة الحسنة/ القسم العام/ منتدى الاحتساب في السياسة الشرعية/ خصوم الولايات المتحدة يحركون حملة إعلامية ضمن ما يسمى بحرب الأفكار- نخبة الإعلام الجهادي 9 /12 /2006.
- الخطابي ومعركة أنوال لمحمد القاضي، مجلة (الجندي المسلم)، العدد 110، نقلاً عن: منبر التوحيد والجهاد.
- دعوة المقاومة الإسلامية العالمية لعمر عبد الحكيم أبي مصعب السوري.
- الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان لعبد الله عزام- منبر التوحيد ولجهاد.
- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية لأحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبي العباس، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سنة 1404هـ، الطبعة الثانية. نقلاً عن: مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية.
- ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي. نقلاً عن: مكتبة الأدب العربي.
- ذكريات فلسطين لعبد الله عزام، نشر مركز الشهيد عزام الإعلامي، بشاور.
- رد المختار على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار لمحمد أمين، دار الفكر، بيروت، 1386هـ، الطبعة الثانية.
- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا لمحمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977.

X

- روايات ساخنة من أرض الشيشان لأبي بكر عقيدة
أشرف عبد الحميد الشنتلي رحمه الله، 1417هـ- 1996م،
شبكة وإسلاماه الإخبارية، 1423هـ- 2002م.
- زاد المعاد في هَدْي خير العباد لمحمد بن أبي بكر
شمس الدين ابن قيم الجوزية. دار الكتب العلمية، بيروت،
الطبعة الثانية، 1423هـ- 2002م.
- سبل السلام شرح بلوغ المرام، لمحمد بن إسماعيل
الأمير الصنعاني، المكتبة الأثرية، لاهور.
- سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد أبي عبدالله القزويني، دار
الفكر، بيروت. نقلاً عن: المكتبة الألفية للسنة النبوية
(الإصدار 1,5)- مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي-
1419هـ، 1999م- عمان.
- سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني
الأزدي، دار الفكر. نقلاً عن: المكتبة الألفية للسنة النبوية.
- السنن الكبرى لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن
النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ-
1991م. نقلاً عن: المكتبة الألفية للسنة النبوية.
- سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن
عثمان الذهبي، الطبعة التاسعة، 1413هـ- 1993م،
مؤسسة الرسالة، بيروت. نقلاً عن: المكتبة الشاملة.
- سيناتور أمريكي يطالب "يوتيوب" إزالة تسجيلات الشيخ
أسامة- شبكة الإخلاص الإسلامية/ المنتديات العامة/ منتدى
الحدث (قضايا الأمة الإسلامية)- أحمد هاجر- 2008-05-21،
سلطان الحزيري- 2008-05-21.
- شفاء صدور المؤمنين- رسالة عن بعض معاني الجهاد في
عملية إسلام آباد لأيمن الظواهري، ذو القعدة 1416هـ-
مارس 1996م.

X

- الشهيد عزام بين الميلاد والاستشهاد للدكتور أبي مجاهد،
نشر مركز الشهيد عزام الإعلامي، بشاور.
- الشيشان- إعداد وترتيب أبي محمد الفلسطيني- Scouba
diver@hotmail.com
- الشيشان- السياسة والواقع لزليم خان يندربي، 1421هـ
2000م.
- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبدالله
البصري الزهري، دار صادر، بيروت. نقلاً عن: المكتبة
الشاملة.
- العالم ما بعد غزوة مانهاتن (سلسلة مقالات) للدكتور عبد
الله النفيسي.
- عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر لعبد الله عزام.
- العلمانية وثقافة السلام لأحمد إدريس الطعان،
موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة 1-29 ج: 12
ص: 113. نقلاً عن: المكتبة الشاملة.
- العلمانية ودورها في إنشاء ديانة شمعية ميتة ليحيى
هاشم حسن فرغل - منبر التوحيد والجهاد.
- العلمانية ودورها في تشويه العلاقة بين الدين والعلم
ليحيى هاشم حسن فرغل- منبر التوحيد والجهاد.
- العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية
المعاصرة لسفر بن عبد الرحمن الحوالي. نقلاً عن: المكتبة
الشاملة.
- العلمانيون والإسلام لمحمد قطب- منبر التوحيد والجهاد.
- عملاق الفكر الإسلامي لعبد الله عزام، الطبعة الأولى، ،
نشر مركز الشهيد عزام الإعلامي، بشاور. نقلاً عن: منبر
التوحيد والجهاد.
- غزوة 11 سبتمبر: المستحيل إذا صار ممكناً لأبي عبيد
القرشي، ضمن كتاب: غزوة 11 سبتمبر: رؤية متكاملة

X

للحدث الذي هز العالم- كتاب الأنصار- العدد الأول: رجب 1423 هـ- سبتمبر 2002 م.

- غزوة نيويورك وواشنطن- قراءة تأصيلية لسيف الدين الأنصاري، ضمن كتاب: غزوة 11 سبتمبر- رؤية متكاملة للحدث الذي هز العالم- كتاب الأنصار- العدد الأول: رجب 1423 هـ- سبتمبر 2002 م.

- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار المعرفة، بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي رحمه الله، دار المعرفة، بيروت، سنة 1379هـ. نقلاً عن: المكتبة الألفية للسنة النبوية.

- فتح القدير (شرح الهداية) لمحمد بن عبد الواحد السيواسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبي محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة. نقلاً عن: المكتبة الشاملة.

- الفوائد لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، سنة 1393هـ- 1973م، بيروت. نقلاً عن: مكتبة علماء الإسلام.

- في التربية الجهادية والبناء لعبد الله عزام، نشر مركز الشهيد عزام الإعلامي، بشاور- 1992م- 1413هـ.
- في الجهاد فقه واجتهاد لعبد الله عزام، نشر مركز الشهيد عزام الإعلامي، بشاور.

- في السيرة عبرة لعبد الله عزام.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، سنة 1356هـ، الطبعة الأولى. نقلاً عن: المكتبة الألفية للسنة النبوية.

X

- في ظلال القرآن لسيد قطب، الطبعة التاسعة، 1400هـ- 1980م، دار الشروق، القاهرة- بيروت.
- في ظلال سورة التوبة لعبد الله عزام، نشر مركز الشهيد عزام الإعلامي، بشاور.
- القاعدة: التنظيم السري لعبد الباري عطوان، الطبعة العربية، الطبعة الأولى 2007، دار الساقى، بيروت، نُسخ عن طريق شبكة الحسبة.
- القاعدة تسببت في الأزمة المالية لأمجد شلتوني- الجزيرة توك- 2008 /15/10.
- القدس.. وغزة.. وبغداد.. عروس عربتكم للدكتور محمد عباس.
- القواعد الأربع التي تفرق بين دين المسلمين ودين العلمانيين لعلي بن خضير الخضير- منبر التوحيد والجهاد- علي بن خضير الخضير.
- قضية التنوير في العالم الإسلامي لمحمد قطب- منبر التوحيد والجهاد.
- كتائب الإرهاب الإعلامية الأمريكية لعبد الباري عطوان، صحيفة القدس العربي، 12 رمضان 1425هـ الموافق 26/10 /2004 ص: 1.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة 1405هـ، الطبعة الرابعة. نقلًا عن: المكتبة الألفية للسنة النبوية.
- كلمة حق، مرافعة الشيخ عمر عبد الرحمن في قضية الجهاد، نقلًا عن: منبر التوحيد والجهاد.
- كلمة صغيرة: حديث الحجارة، مجلة البيان، رجب 1422هـ، عدد: 167 ص: 1.

X

- لِمَ كل هذا التحامل على ديدات؟ لأحمد دعدوش، مجلة العصر، منتدى العصر، 5 / 5 / 2006. نقلها عن [مصر الحديثة لكرومرج: 2 ص: 232].

- لماذا لا يعامل "بات روبرتسون" كإرهابي؟ لعبدالله صالح، مجلة العصر، منتدى العصر، 26 / 8 / 2005.

- ليس غريباً أن يكره العرب الغرب- موقع الجزيرة/ الصفحة الرئيسية/ جولة الأخبار/ فيسك- الأربعاء 10/1/1430 هـ - الموافق 7/1/2009 م.

- مات نجيب محفوظ وهذه بعض تركته لسعيد بن ناصر الغامدي، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة 1- 29 ج: 52 ص: 106. نقلًا عن: المكتبة الشاملة.

- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن علي الحسيني الندوي، الطبعة الثالثة، 1425 هـ- 2004 م، دار القلم، دمشق.

- المتحدث بإسم القيادة المركزية الأميركية يقر بانتصار القاعدة إعلامياً- كلارك لـ "العربية.نت": "4 آلاف موقع إلكتروني "إرهابي" يناصر بن لادن - العربية نت- السبت 11 مارس 2006 م، 10 صفر 1427 هـ.

- متن القصيدة النونية لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطبعة الثانية، 1417 هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة. نقلًا عن: المكتبة الشاملة.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي، المكتبة العصرية، بيروت، سنة 1995. نقلًا عن: مكتبة الأدب العربي.

- مجزرة سجن جانغي.. شاهدة على الإرهاب الغربي لروبرت فيسك.

X

- مجمع الزوائد ومنيع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث- دار الكتاب العربي، القاهرة- بيروت. نقلاً عن: المكتبة الألفية للسنة النبوية.

- مجموع الفتاوى لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، مكتبة ابن تيمية، القاهرة. نقلاً عن: مكتبة الفقه وأصوله.

- المدخل للثقافة العسكرية لهانئ أحمد الدرديري- نقلاً عن: منبر التوحيد والجهاد.

- مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، نقلاً عن: المكتبة الشاملة.

- مذكرات الجمسي، حرب أكتوبر 1973 لمحمد عبد الغني الجمسي، المنشورات الشرقية، باريس، الطبعة الأولى 1979.

- مذكرات محمود رياض، الجزء الثالث: أمريكا والعرب لمحمود رياض، دار المستقبل العربي، الطبعة الأولى 1986، القاهرة.

- مذكرات هنري كسينجر في البيت الأبيض ترجمة خليل فرحات.

- المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1411هـ- 1990م، الطبعة الأولى. نقلاً عن: المكتبة الألفية للسنة النبوية.

- المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبخشي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1986، الطبعة الثانية. نقلاً عن: مكتبة الأدب العربي.

- المستقبل السياسي للإخوان المسلمين في مصر، برنامج بلا حدود، قناة الجزيرة الفضائية، مقدم الحلقة: أحمد منصور- ضيف الحلقة: د. محمد جمال حشمت عضو الكتلة

X

- البرلمانية للإخوان المسلمين في مجلس الشعب المصري-
تاريخ الحلقة: 10/01/2001.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل أبي عبدالله الشيباني،
مؤسسة قرطبة، مصر. نقلاً عن: المكتبة الألفية للسنة
النبوية.
- المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر عبد الله بن
محمد بن أبي شيبه الكوفي رحمه الله، مكتبة الرشد،
الرياض، سنة 1409هـ، الطبعة الأولى. نقلاً عن: المكتبة
الألفية للسنة النبوية.
- معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي أبي عبد الله،
دار الفكر، بيروت. نقلاً عن: المكتبة الألفية للسنة النبوية.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بمصر، الطبعة
الرابعة، 1425هـ 2004م، مكتبة الشروق الدولية.
- معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام لمحمد عمارة،
نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية،
2004م.
- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني لعبد الله
بن أحمد بن قدامة المقدسي أبي محمد، دار الفكر، بيروت-
سنة 1405هـ، الطبعة الأولى.
- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج لمحمد
الشربيني الخطيب، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر،
1352هـ، 1933م.
- مفاجآت شريط زعيم القاعدة- صحيفة القدس العربي-
1 نوفمبر 2004 ص: 1.
- المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، الكتاب الأول:
الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية لمحمد حسنين
هيكل، الطبعة الثالثة إبريل 1996، دار الشروق، القاهرة.

X

- المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل لمحمد حسنين هيكل، الكتاب الأول: الأسطورة والأمبراطورية والدولة اليهودية، الطبعة الثالثة، دار الشروق، القاهرة، إبريل 1996.
 - المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل لمحمد حسنين هيكل، الكتاب الثاني: عواصف الحرب وعواصف السلام، دار الشروق، القاهرة، 1996م.
 - من اغتال أحمد شاه مسعود؟ برنامج مصور من إنتاج قناة العربية.
 - من يعرف عن قضية الجبهة الإسلامية العالمية؟- شبكة الإخلاص الإسلامية/ المنتديات العامة/ منتدى الحدث (قضايا الأمة الإسلامية).
 - منح الجليل شرح مختصر سيدي خليل لمحمد عليش، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1414 هـ، 1984م.
 - الموافقات لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م. نقلاً عن: المكتبة الشاملة.
 - الموسوعة الشعرية- المجمع الثقافي- الإمارات العربية المتحدة- 2003م. □
- Website: <http://www.cultural.org.ae>
- الموسوعة العربية الشاملة. نقلاً عن: المكتبة الشاملة، الإصدار 3,8.
 - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للدكتور عبد الوهاب المسيري.
 - النفحات لعبد الوهاب عزام.
 - هذه حياتي سيرتي ومسيرتي لأحمد ديدات، منبر التوحيد والجهاد.
 - هلم نخرج من ظلمات التيه لمحمد قطب- منبر التوحيد والجهاد.

X

- هؤلاء قتلوا السادات، أسرار المرافعات في تنظيم الجهاد لكمال خالد المحامي، دار الاعتصام.
- الهيمنة أم البقاء؛ السعي الأمريكي للسيطرة على العالم لنعوم تشومسكي، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة 2004.
- الوصية الأولى لشهداء الغزوتين- البطل الغازي أحمد الحزنوي- شريط من إنتاج مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي- 1422هـ.
- الوصية الثالثة لشهداء الغزوتين- الغازي البطل سعيد الغامدي- شريط من إنتاج مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي- رجب 1424هـ.
- الوصية الثانية لشهداء الغزوتين- وصية البطل الغازي عبد العزيز العمري- شريط من إنتاج مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي- رجب 1422هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار الثقافة، بيروت، سنة 1968. نقلًا عن: مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية، الإصدار الأول، 1419هـ- 1999م، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، عمان.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور عبدالملك الثعالبي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1983، الطبعة الثانية. نقلًا عن: مكتبة الأدب العربي.
- يعتبرون رضاها من رضا الرب: "المسيحيون الصهاينة" .. في خدمة إسرائيل لعبدالله صالح، مجلة العصر، 22/ 5/ 2004.

- Beyond al-Qaeda. Part 1. The global jihadist movement by Angel Rabasa et al. Published 2006 by the RAND Corporation, Prepared for the United States Air Force.

- Blair: West could lose al-Qa'ida propaganda war, By Andrew Grice, Political Editor, The Independent, 18 April 2007.

X

- BUILDING MODERATE MUSLIM NETWORKS, by Angel Rabasa et al, RAND corporation, CENTER FOR MIDDLE EAST PUBLIC POLICY, Published 2007 by the RAND Corporation.
- Bringing Peace to Chechnya? Assessments and Implications, by Jim Nichol. CRS Report for Congress. Congressional Research Service- The Library of Congress. updated march 31, 2006.
- CBO TESTIMONY, Statement of Peter Orszag, Director, Estimated Costs of U.S. Operations in Iraq and Afghanistan and of Other Activities Related to the War on Terrorism before the Committee on the Budget, U.S. House of Representatives, October 24, 2007.
- Can al-Qaeda Endure Beyond bin Laden, by Micheal Scheuer, Terrorism Focus, Volume II. Issue 20. October 31, 2005.
- Chechnya- Tombstone of Russian Power, by Anatol Lieven, Yale University Press, 1998.
- CIVIL DEMOCRATIC ISLAM, Partners, Resources, and Strategies, by Cheryl Benard, RAND Corporation, 2003.
- Communication and Media Strategy in the Jihadi War of Ideas, by Steven R. Corman & Jill S. Schiefelbein, April 20, 2006 Report #0601 Consortium for Strategic Communication Arizona State University.
- CURRENT Medical Diagnosis & Treatment, 45TH EDITION, 2006, LANGE MEDICAL PUBLICATIONS.
- THE ECONOMIC COSTS OF THE IRAQ WAR: AN APPRAISAL THREE YEARS AFTER THE BEGINNING OF THE CONFLICT, BY Linda Bilmes Kennedy School, Harvard University And Joseph E. Stiglitz University Professor, Columbia University.
- ENCYCLOPEDIA BRITANNICA 2005 Delux Edition CD.
- Encyclopedia of Prisoners of War and Internment, Second Edition, Jonathan F. Vance, Editor, Grey House Publishing, Inc., 2006, USA.

X

- The Evolving Al-Qaeda Threat by James Phillips, Heritage Lectures, No. 928, delivered February 16, 2006, published by the Heritage Foundation, March 17, 2006.

- Harmony and Disharmony- Exploiting al-Qa'ida's Organizational Vulnerabilities, Combating Terrorism Center, Department of Social Sciences, United States Military Academy, Department of the Army, February 14, 2006.

- High-Tech Terror: Al-Qsaeda's Use of New Technology, by Jarret M. Brachman, THE FLETCHER FORUM OF WORLD AFFAIRS, VOL. 30:2 SUMMER 2006.

- IMPERIAL HUBRIS: Why the West Is Losing the War on Terror, by Micheal Scheuer, Brassey's, Inc, 2004.

- Internet Imams: Inside the Cyber-Jihad, Are we in danger of losing the war of ideas on the Web? By Christopher Dickey, Newsweek, July 30, 2007 issue.

- Interview with Micheal Scheuer in (Interview) program, BBC, 11 am GMT, Saturday, 8th July 2006.

- The Iraq Study Group Report, by James A. Baker, III, and Lee H. Hamilton, et al, vintage books, A Division of Random House, Inc., New York, 1st edition, 2006.

- THE MAN BEHIND BIN LADEN- How an Egyptian doctor became a master of terror, by LAWRENCE WRIGHT, The New Yorker, Issue of 2002-09-16.

- Microsoft ® Encarta ® Encyclopedia 2005 © 1993-2004 Microsoft Corporation.

- Microsoft ® Encarta ® 2008. © 1993-2007 Microsoft Corporation.

- Militant Ideology Atlas, Executive Report, editor & project director: William McCants, project coordinator: Jarret Brachman and CTC director: LTC Joseph Felter, Combating Terroism Center, U.S. Military Academy, Department of the Army, November 2006.

- Militant Ideology Atlas- Research Compendium, editor & project director: William McCants, project coordinator: Jarret Brachman and

X

CTC director: LTC Joseph Felter, Combating Terrorism Center, U.S. Military Academy, Department of the Army, November 2006.

- THE 9/11 COMMISSION REPORT, Final Report of the National Commission on Terrorist Attacks Upon the United States, OFFICIAL GOVERNMENT EDITION.

- The Origins of al Qaeda's Ideology: Implications for US Strategy by CHRISTOPHER HENZEL, Parameters, Spring 2005.

- THE OXFORD HISTORY OF MODERN WAR, edited by CHARLES TOWNSHEND, Oxford University Press, 2000.

- The Post-Madrid Face of Al Qaeda, by Rohan Gunaratna, The Washington Quarterly • 27:3, SUMMER 2004, p: 99 & 100, by The Center for Strategic and International Studies and the Massachusetts Institute of Technology.

- THE POWER OF NIGHTMARES- THE RISE OF THE POLITICS OF FEAR, Part One: BABY IT'S COLD OUTSIDE, BBC.

- Pursue Prevent Protect Prepare, The United Kingdom's Strategy for Countering International Terrorism, March 2009, Presented to Parliament by the Prime Minister and the Secretary of State for the Home Department.

- Al-Qaeda's 'British propagandists, by Sean O'Neill, The Times, April 24, 2007.

- Al-Qaeda Five Years On: The Threat and the Challenge by Maha Azzam, Chatham House, MIDDLE EAST PROGRAMME, MEP BP 06/02, SEPTEMBER 2006.

- Al Qaeda German mouthpiece resurfaces on the Web, Fri Sep 21, 2007 11:17 am EDT, By Mark Trevelyan, Security Correspondent, LONDON (Reuters).

- Al-Qaeda's Media Doctrine: Evolution from Cheerleader to Opinion-Shaper, By Michael Scheuer, Terrosim Focus, Volume 4, Issue 15 (May 22, 2007). Published by The Jamestown Foundation.

X

- Al-Qaeda's online media strategies: From Abu Reuter to Irhabi 007, by Hanna Rogan, Norwegian Defence Research Establishment (FFI), 01.12.2007.

- Al Qaeda: Profile and Threat Assessment, by Kenneth Katzman; Specialist in Middle Eastern Affairs, Foreign Affairs, Defense, and Trade Division, August 17, 2005, CRS Report for Congress, Order Code RL33038, Congressional Research Service- The Library of Congress.

- Al Qaeda: Statements and Evolving Ideology by Christopher M. Blanchard, CRS Report for Congress, Order Code RS21973, November 16, 2004, Congressional Research Service ~ The Library of Congress.

- Al-Qaeda's 007, The extraordinary story of the solitary computer geek in a Shepherds Bush bedsit who became the world's most wanted cyber-jihadis, by Gordon Corera, The Times, January 16, 2008.

- Reading Their Lips: The Credibility of Jihadi Web Sites as 'Soft Power' in the War of the Minds, by Reuven Paz. Global Research in International Affairs (GLORIA) Center, The Project for the Research of Islamist Movements (PRISM) Herzliya, OCCUPIED PALSTINE.

- Rogue State: A Guide to the World's Only Superpower, by William Blum, Zed Books Ltd, London. New updated edition, 2002.

- Scamming America- The Official 9/11 Cover-up Guide, by NY 9/11 TRUTH, www.ny911truth.org.

- Seven Years After 9/11: Al-Qaida's Strengths and Vulnerabilities, by Richard Barrett, September 2008, The Future Actions Series, Future Actions is co-published by Eden Intelligence and the International Centre for the Study of Radicalisation and Political Violence (ICSR).

- SHORT TEXTBOOK OF PSYCHIATRY, by M. S. Bahatia, fifth edition, 2004, CBS PUBLISHERS & DISTRIBUTORS, New Delhi.

- Stealing Al-Qa'ida's Playbook, By Jarret M. Brachman & William F. Mccants, Combating Terrorism Center, United States Military Academy, February 2006.

X

- Terrorism Focus, Volume II. Issue 20. October 31, 2005.
- Terror Goes Digital With Canadian Help, by OMAR EL AKKAD, from Saturday's Globe and Mail, August 18, 2007, globeandmail.com.
- The War Behind Me- VIETNAM VETERANS CONFRONT THE TRUTH ABOUT U.S. WAR CRIMES, by Deborah Nelson, Published by Basic Books,2008.
- Word Drug Report 2007, UNITED NATIONS, Office on Drug and Crime, United Nations Publications, Sales No. E. 07.XI.5.

الفهرس

الفهرس

الصفحة	المحتويات
1	مقدمة الجزء الأول من الطبعة الثانية
9	الباب الأول: صنم يتهاوى وطاقة تتحرر
10	- الفصل الأول: البداية
21	- الفصل الثاني: يحيى هاشم- رائد على الطريق
27	الباب الثاني: السادات مقتولاً ثم مداناً
29	- الفصل الأول: في يوم زينته الفرعون مصرع
60	- الفصل الثاني: قضية الجهاد الكبرى
77	- الفصل الثالث: عصام القمري- شهامة وشجاعة وشهادة
94	- الفصل الرابع: طه البوتلي- أصالة من الصعيد
100	- الفصل الخامس: فتحي رضوان- عرفان في زمن الجحود
104	الباب الثالث: العودة للميدان

الفهرس

- 105 - الفصل الأول: أفغانستان- الهجرة والإعداد
.....
- 130 - الفصل الثاني: عبد الله عزام- جرح القدس في ذرى
الهندكوش
- 158 - الفصل الثالث: العمليات في مصر
.....
- 202 - الفصل الرابع: رسالة لعملاء اليهود بإسلام آباد
.....
- 206 - الفصل الخامس: داغستان- الفرج بعد انقطاع السبب
.....
- 207 -- تمهيد
.....
- 211 -- المطلب الأول: تأملات في أحوال القوقاز المسلم
.....
- 212 --- الفرع الأول: اقترابي الشخصي الأول من القوقاز المسلم
.....
- 215 --- الفرع الثاني: موجز تاريخ الصراع بين روسيا والقوقاز المسلم
.....
- 216 ---- 1- الصراع بين روسيا القيصرية والقوقاز المسلم
.....
- 216 ---- أ- حركة الإمام منصور
..... ~
- 217 ---- ب- الجهاد في القوقاز المسلم بعد الإمام منصور ~ حتى
ظهور حركة الإمام شاميل
..... ~
- 219 ---- ج- حركة الإمام شاميل
..... ~

الفهرس

- 222 ---- د- الجهاد في القوقاز المسلم بعد الإمام شامل
..... ~
- 222 ---- 2- الصراع بين الاتحاد السوفيتي والقوقاز المسلم
.....
- 222 ---- أ- انتفاضة القوقاز المسلم في الحرب الأهلية الروسية بين
عامي 1917 و 1919
- 223 ---- ب- الانتفاضات التالية لانتفاضة الحرب الأهلية
.....
- 224 ---- ج- الترحيل القسري للشيشانيين
.....
- 226 ---- 3- الصراع بين الروس والقوقاز المسلم بعد سقوط الاتحاد
السوفيتي
- 226 ---- أ- قيام جمهورية الشيشان
.....
- 227 ---- ب- الحرب الشيشانية الروسية الأولى (ديسمبر 1994م-
أغسطس 1996م)
- 228 ---- ج- الحرب الشيشانية الروسية الثانية (سبتمبر 1999م- ...)
.....
- 231 --- الفرع الثالث: المعاني القتالية التي أبرزتها الحرب الأولى
(ديسمبر 1994م- أغسطس
1996م)
- 231 ---- 1- حقيقة وقيمة الانتصار الشيشاني على الروس في الحرب
الأولى
- 236 ---- 2- العصابات المؤمنة مقابل القوة العاشمة المنظمة
.....
- 252 ---- 3- المدن التي لا تكل عن المقاومة
.....
- 262 --- الفرع الرابع: المعاني السياسية والنفسية التي أبرزها الصراع
بين روسيا والقوقاز المسلم

الفهرس

- 263 ---- 1- الشيشان كميدان من ميادين الحرب الصليبية على
الإسلام
- 263 ---- أ- الدعم الغربي الصليبي لروسيا في صراعها مع القوقاز
المسلم
- 273 ---- ب- ازدواجية العالم المسيحي في استخدامه لقضية حقوق
الإنسان
- 273 ---- 2- شرف الشعب الشيشاني
.....
- 273 ---- أ- تصور الشيشانيين عن دورهم في خدمة الإسلام وفي
خدمة القوقاز المسلم
- 283 ---- ب- الإباء والاعتزاز بالنفس
.....
- 283 ---- ج- العناد المفرط في المقاومة
.....
- 285 -- المطلب الثاني: تأملات في أحوال السجن
.....
- 304 الباب الرابع: العودة لأفغانستان
.....
- 305 - الفصل الأول: أفغانستان: عودة لأول مهجر
.....
- 321 - الفصل الثاني: الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود
والصليبيين
- 331 - الفصل الثالث: قاعدة الجهاد
.....
- 340 - الفصل الرابع: الغزوات المباركات
.....
- 341 -- المطلب الأول: في الطريق للغزوات
.....
- 342 --- الفرع الأول: محاولات أمريكا لضرب أفغانستان والقاعدة
.....

366	الفهرس --- الفرع الثاني: المجاهدون والحشد والتحريض
371	-- المطلب الثاني: المعاني القتالية التي أبرزتها الغزوات
372	--- الفرع الأول: كيف يقاتل المجاهدون؟
391	--- الفرع الثاني: كيف يقاتل العدو؟
417	-- المطلب الثالث: المعاني السياسية والفكرية التي أبرزتها الغزوات
418	--- الفرع الأول: رسالة الغزوات
434	--- الفرع الثاني: نقل المعركة لأرض العدو
436	--- الفرع الثالث: آثار الغزوات
455	--- الفرع الرابع: الانتصار الإعلامي للمجاهدين
481	--- الفرع الخامس: كيف يخطط الصليبيون لحرب المجاهدين سياسياً وفكرياً
483	---- المبحث الأول: محاربة العقيدة الجهادية
526	---- المبحث الثاني: حرب التشويه والكذب
559	---- المبحث الثالث: الضحالة الفكرية والعلمية
562	---- المبحث الرابع: ضرورة المواجهة الفكرية لحملة التضليل الصليبية
565	----- 1- أهم أركان الفكر الغربي المحارب للإسلام

الفهرس

- 565 ----- أ- السؤال الأول: الله أم الطاغوت؟
- 569 ----- ب- أصنام الطاغوت الأربعة
- 569 ----- (1) اللادينية
- 642 ----- (2) استبداد هوى الأغلبية
- 732 ----- (3) حقوق الإنسان
- 761 ----- (4) الدولة القومية
- 764 ----- 2- شبهات العلمانيين وأضرابهم
- 766 ----- 3- الحل: دولة الخلافة
- 768 --- المبحث الخامس: التنبه للجانب السياسي والعسكري لحرب
الصليبيين الفكرية
- 817 -- المطلب الرابع: الرواية الأمريكية عن الغزوات
- 838 - الفصل الخامس: القائدان الرفيقان الشهيدان
- 843 المراجع